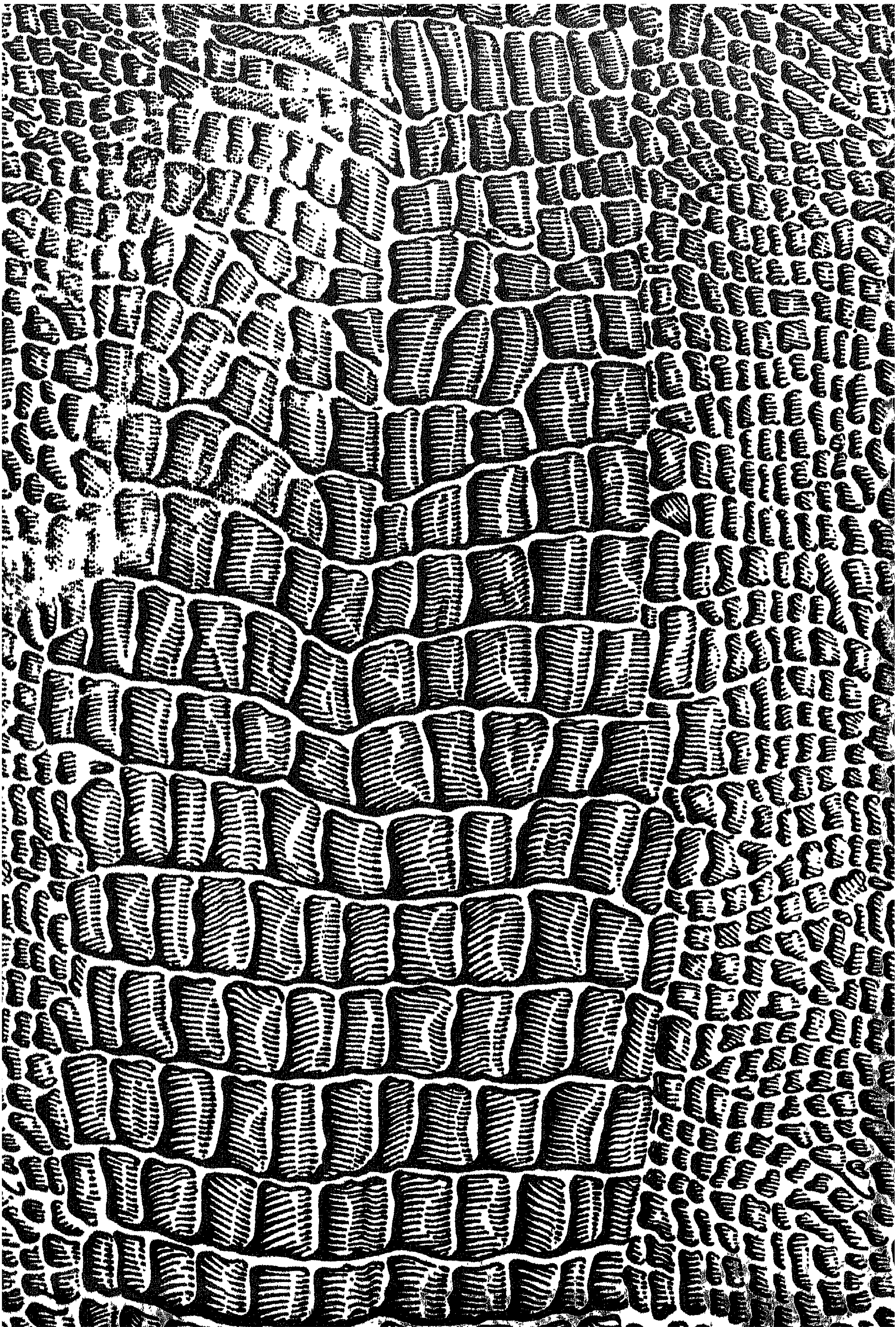





(فهرست الجزء الاول من شرح العلامة خليل بن أيبك الصفدي على لامية العجم)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت فهرست الجزء الاول ويليه الجزء الثانى اوله الكلام على قول المصنف)

(فهرست الجزء الاول من كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون وهذا الشرح المذكور قد وضع هامشا على شرح لامية العجم)

(تمت فهرست الجزء الاول ويليه الجزء الثاني واوله ترجمة الامام مالك)

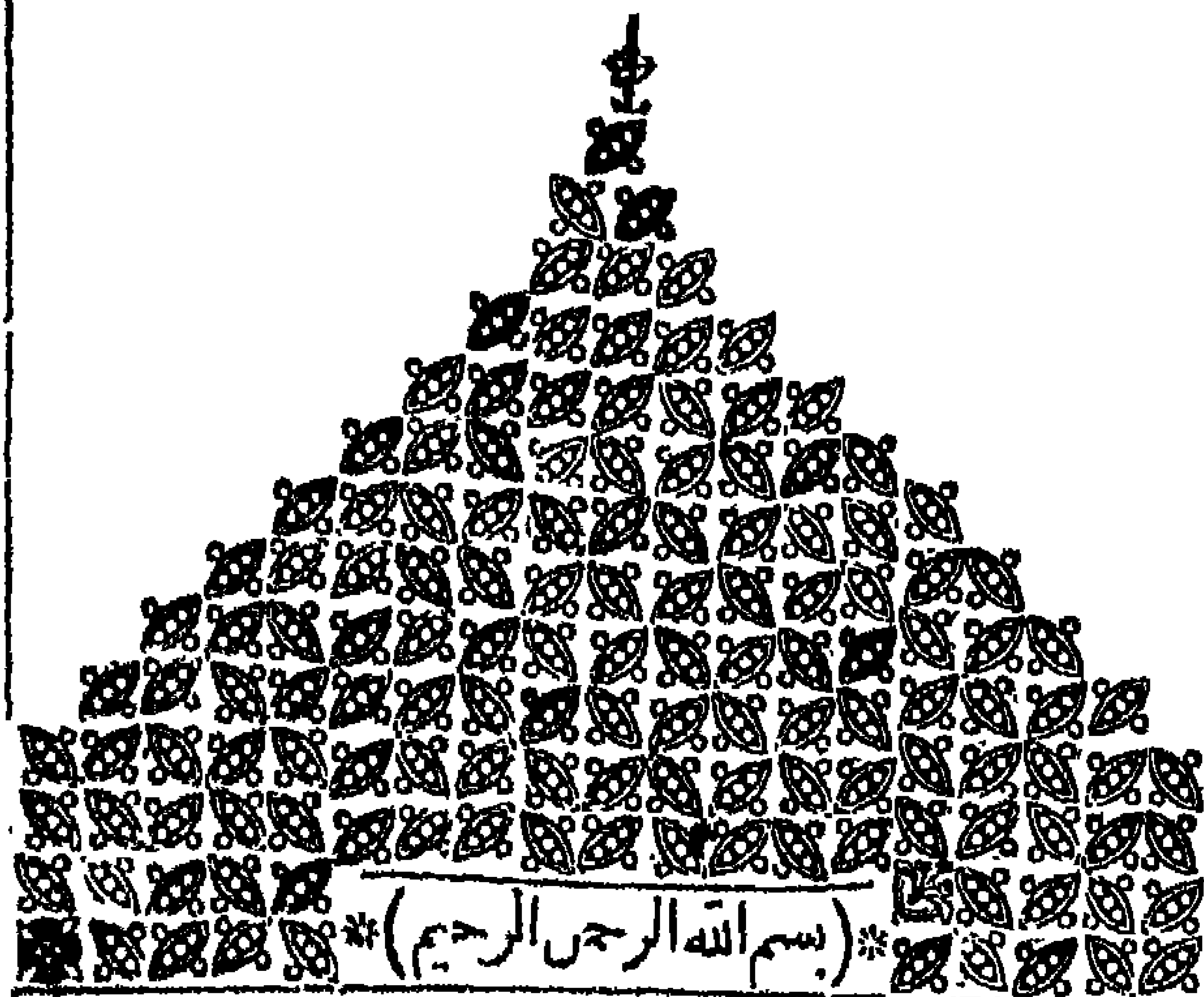
الجزء الاول من كتاب الغيث المسجم في شرح لامية العجم

للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك
الصفدي الاديب الشاعر المنشي
الاديب تغمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين

قال في كشف الظنون (لامية العجم) لمؤيد الدين اسماعيل بن الحسين بن على فخر الكتاب العميد الطغرائي المتوفي سنة ٥١٤ نظمها ببغداد سنة ٥٠٠ في وصف حاله وشكاية زمانه واعتنى بها الادباء (فشرحها) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفي سنة ٧٦٤ بشرح أوله الحمد لله الذى شرح صدر من تأدب الخ وسماه الغيث المسجم في شرح لامية العجم ذكر فيه شيئا كثيرا على طريق الاستطراد فصار مشحونا بغرائب الجد والهزل وأحسن المجاميع (وعليه حاشية) لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسي المتوفي سنة ٩٦٣ (واختصره) كمال الدين محمد بن موسى الدميري المتوفي سنة ٨٣٩ ذكر فيه ان الصفدي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائده الا أظهرها وأنه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة فهو غريب في بابه عزيز عند طلابه (وشرحها) أيضا أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفي سنة ٦١٦ (وبدر الدين) محمد بن أبي بكر بن عمر المالكي الدماميني المتوفي سنة ٨٢٨ (وابن جماعة) النحوي وسماه ايضاح المبهم من لامية العجم (وعلى بن قاسم) الطبري وسماه حل المبهم والمعجم في شرح لامية العجم (وجمال الدين) محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي وسماه نشر العلم في شرح لامية العجم (وحسين الكفوي) جمعه من الشروح كشرح الصفدي (والقاضي) جلال الدين المدني (وجلال الدين) خضر الحنفي الذى ألفه بقسطنطينية سنة ٩٦٢ (وشرحها) معاذ الدين أبو جعفر محمد بن على الربعي البغدادي (وشهاب الدين) أحمد بن عبد الله الاندلسي وأجاد انتهى باختصا

(وبهامشه كتاب سرح العيون [illegible] شرح رسالة ابن زيدون) لعلامة زمانه ونادرة أوانه جمال الدين محمد بن [illegible] نباتة المصري جعل الله تعالى أنهار الجنة من تحته تجري)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٥ هجرية)



الحمد لله الذى شرح صدر من تأدب ورفع قدر من تأهل للعلم وتأهب وجمل من تدرع لباس الفضل وتدرب وكمل من ترقى الى غاية ما ترقب (أحمده) على نعمه التى جعلت العلوم بالادب روضا مثمرا وأملت همة من برى له قلما قد اتخذ الانامل منبرا وأغلت قيمة جواهره فكانت ثمنا تباع به القلوب وتشترى وأوجدت من كرام أهله من نحر البدر النضار لمن قرى (وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تسجع بها حمائم الخطباء على غصون المنابر وتجلى الذين نصبوا لها جسور الاقلام على معابر المحابر وتنضد دليها على عرائس السطور فى منصات الدفاتر وتنبه بايقاظ نسيمها مقل الزهر الفواتر (وأشهد) أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أفصح ناطق صرف عنان لفظه وأبلغ صادق أرهف سنان وعظه وأشرف زاهد ثنى عن زهرة الدنيا عند الحياة سوام لحظه وأعرف ناقد بنى فى حضرة العلياء بعد الممات مقام حظه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بآدابه وسبقوا الى مدى لم يطمع أحد من بعدهم فى عادية سكابه ونصروا أقواله ولسان السيف لم يتلمظ فى فم قرابه وهزموا حزب الكفر بنصل كنانته ونص كتابه صلاة تطول لهم بها القصور وتحيط بهم بركاتها الحاطة الهالات بالبدور ما خفقت أقلام الطروس على مواكب السطور وأودعت نفائس الكلام فى خزائن الصدور وسلم ومجد وكرم (وبعد) فان القصيدة الموسومة بلامية العجم رحم الله ناظم عقدها وراقم بردها مما تعاطى الناس مدام أكوابه

وتجاذبوا

الحمد لله الذى لا يجب الحمد الا له وصلى الله على سيدنا محمد المخصوص بأشرف رسالة وعلى آله وصحبه فيا أفضل وأكرم صحبه وآله وأدام الله أيام مولانا السلطان المؤيد المالك الكامل العالم العادل عماد الدنيا والدين ادامة متصلة الجلالة مقتبلة الايالة ما جنت عسل النصر الشهى رماحه العسالة وأثمرت غصون أقلامه المنعمة بين ديم أنامله المطالة فمن فروض نعمه على وقروض منته لدى أن أدعو لايامه المكرمة كما صليت على نبى المرحمة وأذكر من أصلح لنا أمور الدنيا القائمة كما ذكرت من أصلح لنا أمور الدين القيمة طلبا لاجابة الدعاء واثابة الرجاء وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وأمتعنا ببقاء من سبقت مواهبه الغيث فصلى وأعجزته فسلم

وتجاذبوا هداب أهدابه وتداولوا وضرب مثله الذي علا عن أضرابه واقتطفوا ثمر معانيه متشابها وغير متشابه

اهانت الدر حتى ماله ثمن * وأرخصت قيمة الامثال والخطبا

أما فصاحة لفظها فيسبق السمع الى حفظها وأما انسجامها فيطوف منه بخمر الانس جامها وأما معانيها فنزهة معانيها وأما قوافيها فتذهب القوى فيها وأما شكواها فترض الاكباد في الاجسام وأما اغراؤها فيوجب الوثوب على الآساد في الآجام وأما غزلها فتلتذ كرعه نغمات الاوتار وأما مثلها فما هي الا كالمصابيح في المساجد ذات الانوار كأن ناظمها غاص في البحر فأتى بالدر متضودة أو ارتقى الى السماء فجاء بالدرارى من الافق مصفودة

فمالها في الورى مثل يناظرها * وكم لها سار بين الناس من مثل

أقمارها في تمام النظم قد طلعت * تسير في أوج معناها ولم تفل

وزهرها لم تزل تندى غضارته * لان منبته في روضها الخضل

يرتاح سامعها حتى يهزلها * من التعجب عطف الشارب الثمل

فلا تعر غيرها سمعا ولا بصرا * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وقد أحببت ان أضع عليها شرحا يجيد ها فرائدا وقصيدتها فوائدا مما سمعت فوعيت وجمعت فأوعيت ولا أغادر فيها لغة ولا اعرابا ولا ايضاح معنى ولا اغرابا ولا ما يضمه اليها سلك أو يدخل معها جرابا الا نبهت عليه وأشرت بحسب الامكان اليه هذا الى ما يستطرد اليه الكلام من نكتة وتعترض جملة ذكره بغتة ويبديه الضمير على لسان القلم وكم للسان فلتة ويثبته التعمد اذا علمت أن لجيد الاطلاع اليه لفتة ليكون هذا الشرح أنموذج الادب وعنوانا يدل على الفضيلة التي امتاز بها لسان العرب فقد أودعت فيه فوائد جمة وقواعد مهمة وشواهد هي لجامحات المعاني أزمة ودلائل تبرهن كل علم فلا يكن أمركم عليكم غمة فما شامت عيونه برق علم الا انجعت قطره الصيب وصبرت على ثمره الردى حتى رأيت الطيب ولا تطاعت أعناقه الى مرعى بحث الا أسمته سعدانه وأنقلت بالفوائد اذا انصرف من مأدبته أردانه ولا قرمت شهواته الى نكت بديع الا نزلته عن يمحه العطا وينعه العطب وتتبعت لقراه ذوائب النيران التي وقودها المندل الرطب لا الحطب فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال منهومان لا يشبعان طالب دنيا وطالب علم (وقال) عبد الله بن قتيبة من أراد أن يكون عالما فليطلب فنا واحدا ومن أراد أن يكون أديبا فليتسع في العلوم فلهذا لا تجدني في هذا الشرح واقفا مع ضيق المقام ولا فارا من مشق القواضب ولا رشق السهام بل أشرف على كل مكان فأسقط وأتوخى الحب من الدرر الكبار فألقط فمهما استطرد الكلام اليه وفيته حقه ومهما تعلق به ملكته رقه فمن غور الى نجد ومن ربوة الى وهد ومن ظهر أرض الى بطن مهد ومن اقتناص بصقر الى اصطياد بفهد ومن سنام واخذة شملال الى صهوة كميت نهد

طورا يمان اذا لاقيت ذايمن * وان لقيت معديا فعدناني

فقد يتسلسل الاستطراد ذو القلم معه ويتشعب الكلام فلا أدعه يجد دعة فاترك كثيرا مما

(وبعد) فاني أمرت بشرح رسالة الوزير أبي الوليد بن زيدون الآتي ذكرها وايضاح براهينها الغامض على كثير من سراة الادب سرها فقلت ما أنا وصعود هذا الصرح وولوج هذا السرح ومعارضة ذلك البزولست من ذلك الطرح وهل أنا الا صاحب أبيات تقسيم جدودها القريحة المطبوعة وكلمات تأتي على العفو فقرها المسجوعة فتى أخرجت عن ظل أبياتي ظلمت ومتى أبعدت عن رياض سجعي ألمت هذا مع تشعب فنون هذه الرسالة واحجام الفضلاء عن الخوض في غدرها السيالة فقيل لي انا نقتصر من شرحك على الاختصار ونهب تقصيرك لما قدمت بين يدي نجواك من الاعتذار ونرضى من بيانك بأدنى الحصص ومن قسمة الايضاح ببعض الحصص ونقنع من التاريخ الغاص ببعض القرص واذا كنت من الشعراء فما أنت ببعيد من القصص فقابلت بالطاعة أمرا قد وجب وقلت ان فاتني سلوك الآداب المنظومة فان الامتثال خير من سلوك الادب وكنت أعرف ببعض خزائن دمشق

طلب وأتطلب مايحق له الفرار والهرب وأتذكر بالضد غيره عند الرجوع والمنقلب وأعطف على نظائره فأفوز بالغلب فكنت كما قيل

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا * وأخرى بنا مجنونة لانريدها

ولا أقول

علقتها عرضا وعلقت رجلا * غيرى وعلق أخرى ذلك الرجل

بل أقول

أحب الذى هام الحبيب بحبه * ألا فاعجبوا من ذا الغرام المسلسل

ولا بدع فالمعانى بعضها ببعض مشتبك والمباحث لايزال نافرها فى شرك الذهن يرتبك وما أليق هذا المقام بقول ابن عميرة لما جعل البرق سميره

تعرض مجتازا وكان مذكرا * بعهد اللوى والشئ بالشئ يذكر

ومن وقف على كتاب الحيوان للجاحظ وغالب تصانيفه ورأى تلك الاستطرادات التى يستطردها والانتقالات التى ينتقل اليها والجمل التى يعترض بها فى غضون كلامه ويدرجها فى أثناء عباراته بأدنى ملابسة وأيسر مشابهة علم مايلزم الاديب ومايتعين عليه من مشاركة المعارف

هكذا هكذا والا فلالا * طرق الجد غير طرق المزاح

ولم أقصد بما أوردته غير صلة العائد من الفائدة وبعث النفوس التى هى فى قبور الفتور هامدة سامدة فان المطالعة تستروح اليها النفوس وتجد فى مراجعتها ماتجده فى معاطاة الكؤس فالكتاب خير جليس ونعم أنيس لايمل من محادثته الانيس واسمح كريم لايبخل الا على الغبى بما عنده من الدر النفيس

لم يبق شئ من الدنيا يسر به * الا الدفاتر فيها الشعر والسمر.

(قال) شيخ قرأت عليه ما ترغطفان من كتاب ذهبت المكارم الامن الكتب والخروج من فن الى فن أقدر على البحث وأسلط والانتقال من نوع الى نوع انشط للمطالعة وأبسط والمشاركة أقوى على الظفر بالصواب وأقوم وأقسط

لايصلح النفس اذ كانت مدبرة * الا التنقل من حال الى حال

ولان فيما أوردته مايتسلط به الواقف على الانتقاء والانتقاد ويتوصل به الى حسن الارتياء والارتياد (قال) الجاحظ طلبت علم الشعر عند الاصمعى فوجدته لايعرف الا غريبه فرجعت الى الاخفش فوجدته لايتقن الا اعرابه فعطفت على أبى عبيدة فرأيته لاينقل الا فيما اتصل بالاخبار وتعلق بالانساب والايام فلم أظفر بما أردت الا عند أدباء الكتاب كالحسن ابن وهب ومحمد بن عبد الملك (وقال) محمد بن يوسف الحمادى حضرت مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد حضره البحترى فقال يا أبا عبادة أمسلم أشعر أم أبو نواس فقال بل أبو نواس لانه يتصرف فى كل فن ويتنوع فى كل مذهب ان شاء جد وان شاء هزل ومسلم يلزم طريقا واحدا لايتعداه ويتحقق بمذهب لايتخطاه فقال له عبيد الله ان أحمد بن يحيى المعروف بثعلب لايوافقك على هذا فقال أيها الامير ليس هذا من علم ثعلب واضرابه ممن يحفظ الشعر ولا يقوله وانما يعرف الشعر من دفع الى مضايقه فقال ورت بك زنادى يا أبا عبادة وان حكمك

الوقفية أسفارا فيها للطالب منجح وللافهام النائية ذكرى تنفع فلم يتهيأ أن أعاودها كتابا ولا أراجع من ألسنة حروفها خطابا فقلت هذا عذر آخر لم يكن فى الحساب وهذا قصد تغلقت دونه الكتب فانها ذات أبواب ومابقى الا الرجوع الى صبابة الحاصل التى أبقتها نوب الدهر واستنباط الثمد اذا عجز ورود البحر ثم أمليت شرح هذه الرسالة عن فكر خامل مسه القرح وشرحت الا أننى مقصر وما أطيل الشرح بيد أنى لم أعتمد الا على نقل خبر صحيح ونسب على قول صريح ولم أخل ترجمة كل مذكور من فائدة سارة ونادرة دارة وأقوال سديدة وأبيات مشيدة وفقر ما أخطأتها فطنة سعيدة ولم آل فى اختيارها جهدا ولا ازددت مع صروف الزمان الا نقدا هذا مع تجنب الاكثار وترك الاجلاب بنظائر الاشعار والتخفيف مما لعل المباحث تقتضيه من العثار والله تعالى الموفق لصواب الارادة ومعين الخدم على القيام بطاعة السادة وجابر وهنهم بما يتلقونه من امتثال أوامرهم السادة بمنه وكرمه

في عملك أبي نواس ومسلم وافق حكم أبي نواس في عميه جرير والفرزدق فانه سئل عنهما ففضل جريرا فقيل له ان أبا عبيدة لا يوافقك على هذا فقال ليس هذا من علم أبي عبيدة وانما يعرفه من دفع الى مضايق الشعر على اني لم أدع الجفلى الى هذه المأدبة ولا رضيت طفيلي الكلام أن يتصدر في هذه المرتبة فكم توقف القلم في الاذن على ما حصل فيه أدنى لبس وكم ضاق بواحد من غسان ولم يسع جميع بني عبس وكم دفع عن صدر كثير من المحاسن وأعرض عن منهل كان ماؤه العذب غير آسن

وهل يباعد عذب الماء ذو غصص * أو ينثني عن لذيذ الزاد منهوم

(نعم) خشيت الاطالة واجتنبت العثرة خوفا من عدم الاقالة وفررت من الزيادة حتى لا يكون ضغثا على ابالة وقلت مع ضوء الشمس لا يظهر فضل الذبالة ومع الظفر بالصيد لا فكرة في الحبالة ومع الحصول على متاع البيت لا يلتفت الى الزبالة فاضربت عن التجمل بالاثيل الاثير وعلمت أن من الناس من يقرأ النافع ولا يقرأ الا ابن كثير فاقتصرت على الزبد واختصرت وملت في المباحث الى قول المتأخرين وانتصرت (اللهم) الا فيما ندر وخان هذا الشرط وغدر (قال) بعضهم الاديب من يكتب احسن ما يسمع ويحفظ أحسن ما يكتب ويورد أحسن ما يحفظ (ومثل) هذا قول عبد الرحمن بن مهدي اذا لقي الرجل الرجل فوقه في العلم كان يوم غنيمته واذا لقي من هو مثله كان يوم دراسته واذا لقي من هو دونه تواضع له وعلمه ولا يكون اماما في العلم من حدث بكل ما سمع ولا يكون اماما من حدث عن كل أحد ولا يكون اماما من حدث بالشاذ فلهذا عرضت نخب فكري وانتقيت وعلوت عن التعرض للرذل وارتقيت ولم انتق له الا ما كان أدبه غضا ولم اختر منه الا ما كان نفعه نضا مما راق جنى ولاق سنا ووجد المعنى فيه بريئا من العنا وجمته من الاوراق بيض الظبا ومن الاقلام سمر القنا لئلا يكون هذا القول الشارح محمود المقدم مذموم التالي وحتى لا ينظر السائل حسنه بعين السالي فتصبح أساليبه بعد القائل عند القالي وقد علقت هذا الشرح وأنا في هموم قد علم الله ترادف بعوثها وانسكاب غمائم غمومها وغيوثها وافتراس فوارسها واذهلني الجناس عن ذكر ليوثها قد لهجت في نهج الكناية بكيت أو التصغير بالثريا عن الكميت وامتنعت الراحة مني امتناع الفاء من الدخول على خبر لعل وليت

والاقبالي ولم أشهد الوغى * أبيت كأني مثخن بجراح

أتجرع كؤوسا علق بها العلقم وأساور على الارق منها أفاعي وانفث سما من الارقم وأتلقى بصدري كل صدع قد يئس من الجبر والتزم بحملها التزام واصل بن عطاء بالقدر أو جهم بن صفوان بالجبر وأعالج منها كل جراحة بعد غورها عن السبر وانتظر رضا الايام وهي على أشد حقدا من سلامة بنت سعد على عاصم حمي الدبر والتي جيوش الخطوب وأنا عار نعم ذكرت بالسجع أن لي درعا من الصبر وأعد في الاحياء وأنا من الاموات ولكن ما ضمتني جوانح القبر

فالارض تعلم اني متصرف * من فوقها وكأنني من تحتها

فكيف يتألق مع هذا الحال برق فكر وكيف يتفرق ودق ذكر وكيف تعلق يد الذهن بذيل مسئلة وكيف يتعقل بحثا وقد عمه وله وكيف يعرف الكلمة الاولى من الثانية ولا أقول الاولة وكيف وكيف وكيف وأني لمن يتردد بين جناس الحتف والخيف

(ذكر منشئ هذه الرسالة)

هو الوزير أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب ابن زيدون المخزومي الاندلسي الكاتب الشاعر المشهور ولد بقرطبة سنة أربع وتسعين وثلثمائة وكان من أبناء الفقهاء المتعينين واشتغل بالادب وفحص عن نكته ونقب عن دقائقه الى أن برع وبلغ من صناعتي النظم والنثر المبلغ الطائل وانقطع الى أبي الوليد بن جهور أحد ملوك الطوائف المتغلبين بالاندلس فخف عليه وتمكن من دولته واشتهر ذكره وقدره واعتمد عليه في السفارة بينه وبين ملوك الاندلس فأعجب به القوم وتمنوا ميله اليهم لبراعته وحسن سيرته واتفق أن ابن جهور نقم عليه أمرا فحبسه واستعطفه ابن زيدون برسائل عجيبة وقصائد بديعة فلم تنجع فهرب واتصل بعباد بن محمد صاحب اشبيلية الملقب بالمعتضد فتلقاه بالقبول والاكرام وولاه وزارته وفوض اليه أمر مملكته وكان حسن التدبير تام الفضل محببا الى الناس فصيح المنطق جدا (حكى) ابن بسام في كتاب الذخيرة

والحيف

ومامثل هذا الامر تحمل مضغة * ولكن قلبي في الردى مقلوب

ولكن قد يلفت الحظ الاعنة ويثور كمين اللطف الخفي لهذا الخمول وتشرع الاسنة وتضع الايام حملها فان الآمال في بطونها أجنة وليس الا حسن الظن بالله فانه ثمن الجنة

ان ختم الله بغفرانه * فكل مالاقيته سهل

اعترضت بهذا الفصل وقطعت به لذة ذلك الوصل ليعذر الواقف على الخطا ويتحقق السبب في عدم نوم القطا لان هذه الاوراق مافيها غير هذه القصيدة تمر ولو عاين الطغرائي رحمه الله هذا الشرح لقال أراني السها لما أريته القمر وما أولاني بقول العماد الكاتب

هي كتبي فليس تصلح من بعدي لغير العطار والاسكاف

هي اما مزاود للعقاقير واما بطائن للخفاف

(وقول) مجير الدين محمد بن تميم الاسعردي

عرضت كتابي كي يباع بدرهم * على مشتر عند الوفاء شحيح

رأى خطه ذا علة فأعاده * ومن يشتري ذا علة بصحيح

ومن هنا أشرع في ذكر الطغرائي رحمه الله وتاريخ مولده ووفاته وسبب قتله وما اتفق له في ذلك ثم اتلوه بشئ من شعره المقاطيع التي له ثم أتكلم فيما بعد على عروض القصيدة وقافيتها وما يتعلق بذلك واذا انتهى الامر الى ذلك أجمع سردت القصيدة بيتا فبيتا ولا أذكر الثاني حتى أفرغ من الاول وأسوق فيه ماله به علاقة لا يستغني الاديب عنها ومن الله أستمد الاعانة على الابانة وأسأله التوفيق الى التحقيق لاهدى الابنوره ولا بيان لمتكلم ان لم يوره عليه توكلت واليه أنيب (ذكر مولد الطغرائي ووفاته رحمه الله) هو العميد مؤيد الدين فخر الكتاب أبو اسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الاصبهاني المنشي المعروف بالطغرائي بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء وهذه نسبة الى من يكتب الطغرا وهي الطرة التي تكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الجلي تتضمن نعوت الملك وألقابه وهي لفظة أعجمية * قال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان كان غزير الفضل لطيف الطبع فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر وذكره السمعاني في كتاب الانساب وأثنى عليه وأورد له قطعة من شعره في وصف الشمعة وذكر انه قتل في سنة خمس عشرة وخمسمائة وللطغرائي المذكور ديوان شعر جيد ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم وكان عملها ببغداد سنة خمس وخمسمائة يصف فيها حاله ويشكو زمانه ولم يذكر القصيدة مستوفاة وأتبعها بمقاطيع من شعره ثم قال وذكره أبو المعالي الحظيري في كتاب زينة الدهر وذكر له مقاطيع وذكره أبو البركات في المستوفي في تاريخ اربل وقال انه ولي الوزارة بمدينة اربل مدة وذكر العماد الكاتب في كتاب نصرة الفطرة وعصرة القطرة وهو تاريخ الدولة السلجوقية أن الطغرائي كان ينعت بالاستاذ وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل وأنه لما جرى بينه وبين أخيه السلطان محمود المصاف بالقرب من همدان والري وكانت النصرة لمحمود فأول من أخذ الاستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود فأخبر به وزير محمود وهو الكمال نظام الدين أبو طالب علي بن أحمد بن حرب السميري فقال الشهاب أسعد وكان طغرائيا في ذلك

عن بعض وزراء اشبيلية قال شهدت أبا الوليد بن زيدون قائما على جنازة بعض حرمه والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم فما سمعته يجيب أحدا بما أجاب به غيره لسعة ميدانه وحضور جنانه ولم يزل عند المعتضد عباد وعند ابنه المعتمد على الله قائم الجاه وافر الحرمة الى أن توفي باشبيلية سنة ثلاث وستين وأربعمائة تغمده الله برحمته وقد ذكره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين وأجروا نبذا كثيرة من أخباره وفضائله ووقفت على ديوان شعر له وكثير من ترسله ونظمه أمكن عند النقاد وأجود من نثره وكان يسمى بحتري المغرب لحسن ديباجة لفظه ووضوح معانيه فأما نثره فانه أكثر فيه من استعمال أمثال العرب وحل أشعار المتقدمين والمتأخرين الى أن قيل ان رسائله أشبه بالمنظوم من المنثور وعلى ذلك فقد دل بها على اطلاع معجب واستحضار معجز وقد اكتفيت منها بهذه الرسالة المشروحة فمن شعره ماقاله من قصيدة يخاطب بها ابن جهور أيام محنته

ما جال بعدك لحظي في سنى القمر * الا ذكرتك ذكر العين بالاثر

الوقت نيابة عن النصر الكاتب هذا الرجل ملحد يعني الاستاذ فقال وزير محمود من يكن ملحدا يقتل فقتل ظلما وقد كانوا خافوا منه لفضله فاعتمدوا قتله بهذه الحجة وكانت الواقعة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وقيل سنة أربع عشرة وقيل ثماني عشرة وقد جاوز ستين سنة وفي شعره ما يدل على أنه بلغ سبعا وخمسين سنة لانه قال وقد جاءه ولد

هذا الصغير الذي وافى على كبر * أقر عيني ولكن زاد في فكري
سبع وخمسون لو مرت على حجر * لبان تأثيرها في ذلك الحجر

والله أعلم بما عاش بعد ذلك وقتل السميري المذكور يوم الثلاثاء سلخ صفر سنة ست عشرة وخمسمائة في السوق ببغداد عند المدرسة النظامية قيل قتله عبد أسود كان للطغرائي لانه قتل استاذه انتهى (وقال) عز الدين بن الاثير في الكامل في ترجمة سنة أربع عشرة وخمسمائة واتصل الاستاذ أبو اسماعيل الحسين بن علي الاصبهاني الطغرائي بالملك مسعود وكان ولده أبو المؤيد محمد بن اسماعيل يكتب الطغرا مع الملك مسعود فلما وصل والده استوزره الملك مسعود بعد أن عزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة وخمسمائة بباب خوما فحسن ما كان دبيس يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وظهور ماهم عليه فبلغ السلطان محمودا الخبر فكتب اليهم يخوفهم ان خالفوه ويعدهم الاحسان ان أقاموا على طاعته وموافقته فلم يصغوا الى قوله وأظهروا ما كانوا عليه ثم قال ابن الاثير بعد أسطر قلائل فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار وأسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم وأسر الاستاذ أبو اسماعيل وزير مسعود فأمر السلطان محمود بقتله وقال قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده وكانت وزارته سنة وشهرا وقد جاوز ستين سنة وكان حسن الكتابة والشعر يميل الى صناعة الكيميا وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس أموالا لا تحصى انتهى (وذكره) العماد الكاتب في الخريدة فقال الطغرائي خدم السلطان العادل ملكشاه ابن ألب أرسلان وكان منشي السلطان محمد مدة مملكته متولي ديوان الطغرا ومالك قلم الانشاء تشرفت به الدولة السلجوقية وتشوقت اليه المملكة الايوبية وتنقل في مراقي المناصب وتوقل في مراقب المراتب وتولى الاستيفاء وترشح للوزارة واستبد بالحكم وتوشح بالكفاية ولم يكن للدولتين السلجوقية والامامية من يضاهيه في الترسل والانشاء سوى امين الملك ابي نصر حفص من أهل أصبهان المنشي في عهد نظام الملك والفضل له لتقدمه ولكن برز هذا في فنون العلم وحسن الاستعارة في النثر والنظم وراض في العلوم العربية المصعب فاصحب وسلك المذهب المذهب وأبدع المعنى المهذب وله معجز البلاغة المعجب وصاحب البيان المغرب فأما شعره فعبر الشعرى العبور علو عبارة وسمو استعارة وسموق راية وشروق آية وتناسق مقصد وغاية وتناسب بداية ونهاية وأما نثره فنثر الدراري والدرر ومنثور الزهر وأماخلائقه فمطورة على الكرم موقورة بحسن الشيم متأرجة بعرف العرف متموجة بماء اللطف متبلجة بنور الظرف متوهجة بنار الحسن مبتهجة بنور اليمن حدثني الامام محمد بن الهيثم باصفهان عنه وهو الذي سمعت شعره منه انه كشف بذكائه سر الكيمياء المرموز واستخرج من معماه المكنوز لم يزل في مدة حياته مصدرا في الدسوت موقرا بالنعوت حليفا بل جليسا أنيسا للسلاطين

ولا استطالت زمام الليل من أسف
الا على ليلة مرت مع القمر
يا ليت ذاك السواد الجون متصل
قد استعار سواد القلب والبصر
جمعت معنى الهوى في لحظ طرفك لي
ان الحوار لمفهوم من الحور
لا يهنأ الشامت المرتاح ناظره
أني معنى الاماني ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة
أم الكسوف لغير الشمس والقمر
ان طال في السجن ايداعي فلا عجب
قد يودع الجفن حد الصارم الذكر
وان يثبط أبا الحزم الرضا قدر
عن كشف ضري فلا عتب على القدر
من لم أزل من تدانيه على ثقة
ولم أبت من تجنيه على حذر
(وقال من أبيات في بني جهور)
بني جهور أحرقتم بجفائكم
جناني فما بال المدائح تعبق
تعدونني كالعنبر الورد انما
تطيب لكم أنفاسه حين يحرق
(وقال فيهم أيضا من أبيات)
ان الجهاورة الملوك تبوؤوا
شرفا جرى معه السماك جنيبا
فاذا دعوت وليدهم لعظيمة
لباك رقراق السماح أريبا
همم تعاقبها النجوم وقد تلا
في سودد منها العقيب عقيبا
ومحاسن تندى دقائق ذكرها

والملوك تحيرا بنظمه ونثره الموشي المحبوك فلما انتهت الايام الغياثية المحمدية واستوفت مدتها استأنفت الدولة المغيثية المحمودية جدتها واستقر الشهاب أسعد في مكانه وانتصب في منصب ديوانه وكان السلطان مسعود بن محمد حينئذ ملكا صغيرا فاستوزر أبا اسماعيل وروض به روض ملكه المحيل وأصبح بالمؤيد مؤيدا وبسداده مسددا حتى اتفقت بينه وبين أخيه السلطان محمود الحرب التي أودعت أهل الفضل الحرب وقلت العلم والادب ولما سعود مسعود العسم انكسر وأحجم مقدم جيوشه جوشلك وألقى قناع الهزيمة فانحسر وأدرك الاستاذ رحمه الله فأسر وطغى رأي الطغرائي في حقه فسعى في حتفه خوفا على منصبه فأجال في نصه وأعطى الرضا بغضبه وقتله وقت أسره بل قدم سرا وقتل صبرا قبل ان ينبه بأمره وينوه بقدره وأزر الطغرائي الوزير وعانده التقدير فقد زبالشهادة وختم له بالسعادة وذلك في سنة خمس عشرة وخمسمائة (فهذا) من جملة من قتله فضله ورماه بنبل الدهر نبله والحفه رداء الردى علمه وسامه الادب فهام به في حيرة التيه فهمه وحسده الدهر فاغتاله وقلص بعد السبوغ ظلاله بل غار الزمان على مثله من بين الجهال فاسترده وأخلق من الابتهاج بفضله ما استجده انتهى اقتصرت هنا على ما ذكره العماد الكاتب (قلت) فعلى ما ذكره ابن خلكان عن مستوفي أربل وابن الاثير أيضا يكون مولد الطغرائي في عشر الستين بعد الاربعمائة تقريبا والخلاف في وفاته مبني على الخلاف في الواقعة التي كانت بين الملك مسعود وأخيه السلطان محمود كما مر في كلام مستوفي أربل وأخبرني العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري بالقاهرة المحروسة ان الطغرائي لما عزم أخو مخدومه على قتله أمر به ان يشد الى شجرة وان يقف تجاهه جماعة ليرموه بالسهام ففعل به ذلك وأوقف انسانا خلف الشجرة من غير ان يشعر به الطغرائي وأمره ان يسمع ما يقول وقال لارباب السهام لا ترموه الا اذا أشرت اليكم فوقفوا والسهام في أيديهم مفوقة لرميه فأنشد الطغرائي في تلك الحالة

ولقد أقول لمن يسدد سهمه * نحوي وأطراف المنية شرع
والموت في لحظات أحور طرفه * دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل يرى * فيه لغير هوى الاحبة موضع
أهون به لو لم يكن في طيه * عهد الحبيب وسره المستودع

فرق له وأمر باطلاقه في ذلك الوقت ثم ان الوزير عمل على قتله فيما بعد وقتل (قلت) ما هذا الاثبات جنان بل ثبوت جنون لقد أربى هذا في الثبات والشجاعة وعدم الالتفات الى الحياة ونفادها والوفاء بشرط المحبة والذكرى لمحبوبه في السراء والضراء على عنترة العبسي وغيره ممن تبعه من الشعراء في قوله ولقد ذكرتك والابيات في هذا المعنى مشهورة ولولا خوف الاطالة ههنا لذكرتها ولعلها ترد فيما بعد في اثناء هذه الاوراق (وأما حله رموز الكيميا) فان له فيها تصانيف وهي معتبرة عند أربابها منها كتاب مفاتيح الرحمة ومصابيح الحكمة ومنها جامع الاسرار وكتاب تراكيب الانوار ورسالة وسمها بذات الفوائد وكتاب حقائق الاستشهادات بين فيه اثبات صناعة الكيمياء والرد على ابن سينا في ابطالها بمقدمات من كتاب الشفاء وله مقاطيع شعر في الصنعة وله ديوان شعر على عادة الشعراء ومن شعره

فتكاد توهمك المديح نسيبا

(وقال من قصيدة يمدح بها المعتضد بن عباد)

أما في نسيم الريح عرف يعرف
لنا هل لذات الوقف بالجزع موقف
وليلة وافينا الكثيب لموعد
سرى الاين لم يعلم بسراه مرجف
تهادى أناة الخطو رتاعة الحشا
كما ريع يعفور الفلا المتشوف
فديتك أني زرت نورك واضح
وعطرك نمام وحليك مرجف
هبيك اعتسفت الليل واشيك هاجع
فرعك غربيب وليلك أغدف
فكيف أطقت المشي خصرك مدمج
وردفك رجراج وقدك أهيف
فما قبل من أهوى حوى البدر هودج
ولا ضم ريم القصر خدر مسجف
ولا قبل عباد حوى البحر مجلس
ولا حل الطود المعظم رفرف
رويته في الحادث الاد لحظة
وتوقيعه الحالي دجى الخطب أحرف
على السيف من تلك الصرامة ميسم
وفي الروض من تلك الطلاقة زخرف
أظن الاعادي أن حربك نادم
لقد تعد النفس الظنون فتتلف

قوله

قوله

أما العلوم فقد ظفرت ببغيتى * منها فما أحتاج أن أتعلما
وعرفت أسرار الخليقة كلها * علما أنار لى البهيم المظلما
وورثت هرمس سر حكمته الذى * ما زال ظنا فى الغيوب مترجما
وملكت مفتاح الكنوز بفطنة * كشفت لى السر الخفى المبهما
لولا التقية كنت أظهر معجزا * من حكمتى يشفى القلوب من العمى
أهوى التكرم والتظاهر بالذى * علمته والعقل ينهى عنهما
وأريد لا ألقى غبيا موسرا * فى العالمين ولا لبيبا معدما
والناس اما ظالم أو جاهل * فمتى أطيق تكرما وتكلما

(قلت) يقال ان طلب الكيميا أول ما ظهر فى جبابرة قوم هود تعاطوا ذلك وبنوا مدينة من ذهب وفضة لم يخلق مثلها فى البلاد وهذه اللفظة معربة من اللفظ العبرانى وأصله من كيم يه معناه انه من الله والاشبه انها فارسية فمعنى كى مياميى تجىء على الاستبعاد وكان الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية ينكر ثبوتها وصنف رسالة فى انكارها ورد عليه فيها نجم الدين بن أبى الدر البغدادى وزيف ما قاله وأما الامام فخر الدين الرازى فانه فى المباحث المشرقية عقد فصلا فى بيان امكانها فقال سلم امكان صبغ النحاس بصبغ الفضة والفضة بصبغ الذهب وان يزال عن الرصاص أكثر ما فيه من النقص فأما أن يكون الفصل المنوع يسلب أو يكتسى قال فلم يظهر لى امكانه بعد اذ هذه الامور المحسوسة يشبه أن لا تكون هى الفصول التى تصير بها هذه الاجساد أنواعا بل هى اعراض ولوازم فصولها مجهولة واذا كان الشئ مجهولا كيف يمكن أن يقصد قصد ايجاده أو افنائه ثم ان الامام ذكر حججا أخر للفلاسفة على امتناعها وأبطل بعد ذلك ما قاله الشيخ وغيره وقرر امكانها واستدل الامام أيضا فى الملخص على امكانها فقال الامكان العقلى ثابت لان الاجسام مشتركة فى الجسمية فوجب أن يصح على كل واحد منها ما يصح على الكل على ما ثبت وأما الوقوع فلان انفصال الذهب عن غيره باللون والرزانة وكل واحد منهما يمكن اكتسابه ولا منافاة بينهما نعم الطريق اليه عسر (وحكى) ابو بكر ابن الصائغ المعروف بابن باجة الاندلسى فى بعض تعاليقه عن الشيخ أبى نصر الفارابى انه قال قد بين ارسطوطاليس فى كتبه فى المعادن أن صناعة الكيميا داخلة تحت الامكان الا انها من الممكن الذى يعسر وجوده بالفعل اللهم الا أن تتفق قرائن يسهل بها الوجود وذلك انه فحص عنها أولا على طريق الجدل فأثبتها بقياس وأبطلها بقياس على عادته فيما يكثر عناده من الاوضاع ثم أثبتها آخرا بقياس ألفه من مقدمتين بينهما فى أول الكتاب وهما أن الفلزات واحدة بالنوع والاختلاف الذى بينها ليس فى ماهياتها وانما هو فى أعراضها فبعضه فى أعراضها الذاتية وبعضه فى أعراضها العرضية والثانية ان كل شيئين تحت نوع واحد اختلفا بعرض فانه يمكن انتقال كل واحد منهما الى الآخر فان كان العرض ذاتيا عسر الانتقال وان كان مفارقا سهل الانتقال والعسر فى هذه الصناعة انما هو لاختلاف أكثر هذه الجواهر فى أعراضها الذاتية ويشبه أن يكون الاختلاف الذى بين الذهب والفضة يسيرا جدا انتهى كلامه والمراد بالفلزات الجواهر التى لا تحرقها النار عند الملاقاة بل تذيبها فاذا فارقتها النار

ولما قضينا ما دعانا أداؤه
وكل بأرضيك داع فملهف
رأيناك فى أعلى المصلى كأنما
تطلع من محراب داود يوسف
(وقال أيضا فى مرثية له)
يا من ثنا الامثال فيه مهذب
ضربت له فى السودد الامثال
نقصت حياتك حيث فضلك كامل
هلا استضاف الى الكمال كمال
حيا الحيا مثواك وامتدت على
ضاحى ثراك من النعيم ظلال
فلئن أذالك بعد طول صيانة
قدر فكل مصونة ستذال
(وقال فى الغزل وهو من المجيدين فيه)
بينى وبينك ما لو شئت لم يضع
سر اذا ذاعت الاسرار لم يذع
يا بائعا حظه منى ولو بذلت
لى الحياة بحظى منه لم أبع
يكفيك أنك لو حملت قلبى ما
لا يستطيع قلوب الناس يستطع
ته أحتمل واستطل أصبر وعز أهن
وول أقبل وقل أسمع ومر أطع
(وقال أيضا)
أما رجا قلبى فأنت جميعه
يا ليتنى أصبحت بعض رجاكا
يدنو بوصلك حين شط مزاره
وهم أكاد به أقبل فاكا
(وقال من أخرى)
انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا
والافق طلق وماء الروض قد راقا

عادت الى حالتها الاولى وهى هذه المتطرقات السبع الذهب والفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص والخارصيني وهو المعروف فى زماننا بالحديد الصيني الذى تأتى منه القدور من بلاد الصين وتكسر ويعمل فى أكاريخ البارود * قال الشيخ العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى أما ان أراد المدبر أن يصنع ذهبا نظير ما صنعته الطبيعة من الزئبق والكبريت الطائرين فيحتاج الى معرفة أربعة أشياء كمية كل واحد من ذينك الجزأين وكيفيته ومقدار الحرارة الفاعلة للطبخ وزمانه وكل واحد منها عسر التحصيل وأما ان أراد ذلك بأن يدبر دواء وهو المعبر عنه بالاكسير مثلا ويلقيه على الفضة لتمتزج بها ويستقر خالدا فيها ويكسبها لون الذهب ووزانته فاستخراج ذلك بالتجربة يحتاج الى استقراء حال جميع المعدنيات وخواصها وان استخرجه بالقياس فقدماته مجهولة ولا خفاء فى عسر ذلك ومشقته انتهى كلامه (قلت) زعم الطبيعيون فى علة كون الذهب فى المعدن ان الزئبق لما كمل نضجه جذبه اليه كبريت المعدن فأجنه فى جوفه لئلا يسيل سيلان الرطوبات فلما اختلطا واتحدا وذابت الحرارة فى طبخهما ونضجهما انعقد عند ذلك منهما ضروب المعادن فان كان الزئبق صافيا والكبريت نقيا واختلط أجزاؤهما على النسبة وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لها عارض من البرد واليبس ولا من الملوحات والمرارات والحموضات انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز وهذا المعدن لا يتكون الا فى البرارى الرملة والاحجار الرخوة فتبارك الله الفعال لما يريد ومراعاة الانسان النار فى عمل الذهب بيده على مثل هذا النظام مما يشق معرفة الطريق اليه والوصول الى غايته وعمل الزجاج ومعامل الفراريج بالديار المصرية مما يطمع العقول فى عمل الذهب

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

وليعقوب الكندى رسالة فى ابطال دعوى الذين يدعون صنعة الذهب والفضة جعلها مقالتين يذكر فيهما تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وجهلهم ورد عليه أبو بكر محمد بن زكريا الرازى ردا غير طائل (قلت) قال المنكرون لذلك لو كان الذهب الصناعى مثلا للذهب الطبيعى لكان ما بالصناعة مثلا لما بالطبيعة ولو جاز ذلك لجاز أن يكون ما بالطبيعة مثلا لما بالصناعة فكنا نجد سيفا أو سريرا أو خاتما بالطبيعة وذلك باطل * وقالوا أيضا الجواهر الصابغة اما ان تكون أصبر على النار من المصبوغ أو يكون المصبوغ أصبر أو يتساويان فان كان الصابغ أصبر وجب ان يفنى المصبوغ قبل الصابغ وان كان المصبوغ أصبر وجب ان يفنى الصابغ ويبقى المصبوغ على الحالة الاولى عريا عن الصبغ وان تساويا فى الصبر على النار فهما من جنس واحد لاستوائهما فى المصابرة على النار فلا يكون أحدهما صابغا ولا مصبوغا وهذه الحجة الثانية من أقوى حجج المنكرين * والجواب من المثبتين عن الاولى انا نجد النار تحصل بالقدح واصطكاك الاجرام والريح يحصل بالمراوح وأكواز الفقاع والنوشادر قد يتخذ من الشعير وكذلك كثير من المزاجات ثم بتقدير أن لا يوجد بالطبيعة ما وجد بالصناعة لا يلزمنا الجزم بنفى ذلك ولا يلزمنا من امكان حصول الامر الطبيعى بالصناعة امكان العكس بل الامر موقوف على الدليل * وعن الثانية انه لا يلزم من استواء الصابغ والمصبوغ فى الصبر على النار استواؤهما

وللنسيم اعتلال فى أصائله
كأنه رق لى فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتسم
كما حلت عن اللبات أطواقا
لا سكن الله قلبا عن تذكركم
فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين سرى
وافا كم بفتى أضناه مالاقى
الآن أحمد ما كنا لعهدكم
سلوتم وبقينا نحن عشاقا

وله القصيدة النونية التى أولها بنتم وبنا وهى أشهر من أن تذكر وقد تداولتها الالسن وزيديها ما كانت غنية عنه * وفضائل الرجل متمكنة وكفى بهذا القدر عنوانا لها

(ذكر سبب انشاء هذه الرسالة)

كانت بقرطبة امرأة ظريفة من بنات خلفاء الغرب الامويين المنسوبين الى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل من بنى عبد الملك ابن مروان تسمى ولادة بنت المستكفى بالله محمد بن المستظهر بالله عبد الرحمن ابتذل حجابها بعد نكبة أبيها وقتله وتغلب ملوك الطوائف فى خبر طويل ثم صارت مجلسا للشعراء والكتاب وتعاشرهم وتحاضرهم ويتعشقها

فى الماهية لما عرفت ان المختلفين قد يشتركان فى بعض الصفات وفى هذا الجواب نظر (وحكى) لى بعض من انفق عمره فى الطلب ان الطغرائى ألقى المثقال من الاكسير أولا على ستين ألفا ذهبا ثم انه ألقى آخر المثقال على ثلثمائة ألف (وحكى) لى أيضا ان مريانس الراهب معلم خالد بن يزيد ألقى المثقال على ألف ألف ومائتى ألف مثقال وقال لى أيضا قالت مارية القبطية والله لولا الله لقلت ان المثقال يعلا ما بين الخافقين فما كان له عندى جواب الا أن انشدته قول أبى اسحق ابراهيم الغزى

كجوهر الكيمياء ليس يرى * من ناله والانام فى طلبه

والذى ظهر لى من حال الطغرائى انه لم يدبر شيأ البتة لانه قال

ولولا ولاة الجور أصبحت والحصى * بكفى إن شئت درو ياقوت

وسيأتى تمام هذا الشعر فى موضعه عند قوله أريد بسطة كف البيت وصاحب الشذور من جلة أئمة هذا الفن صرح بان نهاية الصبغ القاء الواحد على الالف فى قوله فى القصيدة الفائية

فعاد بلطف الحل والعقد جوهرا * يطاوع فى النيران واحده الالف

وفى قوله فى القصيدة القافية

فذان هما البدران فاغن بعلمنا * تنل بهما ما يصبغ الالف دانقه

وأنشدت بعض المولعين بها قول القائل

أعيا الفلاسفة الماضين فى الحقب * ان يصنعوا ذهبا الا من الذهب

أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة * الا من الفضة المعروفة النسب

فقل لطالبها من غير معدنها * أضعت نفسك بالتكييد والتعب

فقال لى صدق لو لم يكن الذى يدبره الصانع فى أصله ذهبا بالقوة لما صار ذهبا بالفعل فقلت له هذا من باب التاويل واخراج اللفظ الظاهر عن الصريح الى ما لا يفهم منه الا بالاحتمال والصريح لا يعارض بالمؤول ولو أراد الانسان ان يجعل معلقة امرئ القيس مرثية فى قط أو غزلا فى فيل لما أعجزه ذلك (حكى) لى بعض الفضلاء ان الشيخ تقى الدين بن تيمية كان كثير الحط على الشيخ محيى الدين بن عربى فقيل له يوما ان ههنا انسانا يخرج جميع ما تنكره عليه ويرده بالتاويل الى ما يوافق ظاهر الشريعة فطلبه فلم يحضر اليه فلما كان بعد مدة اتفق اجتماعهما فى مكان واحد فقيل له هذا الذى وصفناه لك فقال له ما الذى تفهم من قول محيى الدين بن عربى دخلت لجة بحر الانبياء وقوف بساحله فقال له صدق لان الانبياء يقفون على الساحل بصدد من يغرق فينقذونه من الغرق فقال هذا بعيد فى الاحتمال فقال أليس انه يحتمل ما قلته خلافا لغرضك وحظ نفسك فلم يجبه وكان شمس الدين محمد شيخ الربوة المعروف بابن أبى طالب يقول زعم بعضهم ان المقامات وكليله ودمنه رموز فى الكيميا سمعته يقول ذلك غير مرة ويزعمون أيضا ان الصناعة مرموزة فى صورة البرابى وكل ذلك من شغفهم وكلفهم بحبها نسأل الله السلامة ووجدت بعض من جرب وتعب فاقلقه الوجد وظن ان جدها لعب قد كتب على بعض مصنفات جابر بن حيان تلميذ جعفر الصادق

هذا الذى بمقاله * غر الاوائل والاواخر

ما أنت الا كاسر * كذب الذى سماك جابر

الكبراء منهم وكانت ذات خلق جميل وأدب غض ونوادر عجيبة ونظم جيد فمن ذلك ما كتبت به لابن زيدون وهى راضية عنه تقول

ترقب اذا جن الظلام زيارتى * فانى رأيت الليل أكتم للسر

وبى منك ما لو كان بالبدر لم ينر * وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وقولها فيه وهى عليه غضبى

ان ابن زيدون على فضله * يلهج بى شتما ولا ذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته * كانما جئت لأخصى على

تعنى غلاما له يسمى عليا وكان سبب قولها فيه هذا الشعر أنه اتهمها بمواصلة الوزير أبى عامر بن عبدوس وكان يلقب بالفار فقال فيه وفيها

عيرتمونا بأن قد صار يخلفنا * فيمن نحب وما فى ذاك من عار

أكل شهى أصبنا من أطايبه * بعضا وبعضا صفحنا عنه للفار

ومن شعرها ما كتبت به على كمها وقيل تاجها

أنا والله أصلح للمعالى * وأمشى مشيتى وأتيه تيها

وأمكن عاشقى من لثم ثغرى * وأعطى قبلتى من يشتهيها

(ومما ينسب اليها وهو عندى كثير على شعر امرأة)

لحاظكم تجرحنا فى الحشى * ولحظنا يجرحكم فى الخدود

وبعض الناس ينكر وجود جابر هذا وهو محال لأن له تصانيف كثيرة وهي مشهورة بين القوم
*وقال صاحب الأغاني في ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية وكان من رجالات قريش سخاء
وعارضة وفصاحة وكان قد شغل نفسه بطلب الكيميا فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه
وحدثني من أثق به ممن كان يطلع على أحوال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد أنه كان بها
مغرى وأنفق فيها مالا وعمرا وقيل ان امام الحرمين مات وهو يفك وصلا من أوصالها خرج
اليه منه لسان نار فقتله وقد صحت كيميا العشق مع كمال الدين علي بن النبيه حيث يقول

تعلمت علم الكيمياء بحبه * غزال بجسمي ما بعينيه من سقم
فصعدت أنفاسي وقطرت أدمعي * فصح من التدبير تصفيره جسمي

(وقال أيضا)

صنعة الكيمياء صحت لعيني * حين يزداد اذ يراني احمرارا
فاذا ما ألقيت اكسير لحظي * في لجين الخدود عاد نضارا

وقال ابن حمديس الصقلي

ومغرب طعنته غير نائية * أسنة هن ان حققتها شهب
ومشرق كيمياء الشمس في يده * ففضة الماء من القائها ذهب

وما أحلى قول عبد الملك التميمي المعروف بالدزكار المغربي

قم الى كيمياء شرب كرام * لا ترى فيهم نديما خسيسا
خذ بدور الكؤوس التي عليها * من أكاسيرها تعدها شموسا

ما أحسن هذا وأوقعه في النفس لان أرباب الكيمياء يرمزون الفضة بالقمر والذهب
بالشمس وقد أقام الخمر مقام الاكسير الذي يصبغ الجسم وقد حام الشيخ صدر الدين بن
الوكيل في قصيدته على هذا المعنى فقال

وليست الكيميا في غيرها وجدت * وكل ما قيل في أبوابها كذب
قيراط خمر على القنطار من حزن * يعيد ذلك أفراحا وينقلب

ولكنه لم يكن على تراكيب كلامه تلك الخفة ولا ذلك الانسجام وأما قول بكر بن النطاح
في أبي دلف

يا طالبا للكيمياء وعلمه * مدح ابن عيسى الكيمياء الاعظم
لو لم يكن في الارض الا درهم * ومدحته لاتاك ذاك الدرهم

فليس هذا من صناعة الكيميا في شئ بل هذا من باب الرقى والعزائم وكذا قول ابن قلاقس
الاسكندري

ماصح علم الكيمياء لغير مداح الامام الاريحي الحافظ
يعطيهم الاموال اذ يعطونه * لفظا وما مقدار لفظ اللافظ

وكذا قول القائل في حق الشعراء يخاطب ممدوحه

ماصح علم الكيمياء لغيرهم * فيما رأينا من جميع الناس
تعطيهم البدر النضار اذا هم * رفعوا اليك الشعر في قرطاس

وهذا كله من فساد التخيل أو من الجهل بماهية الكيميا وقد ظرف شيطان العراق في
قصيدته

جرح بجرح فاجعلوا اذا بذا
فما الذي أوجب جرح الصدود
وكان ابن زيدون كثير
التشغف بها والميل اليها
وأكثر غزل شعره فيها وفي
اسمها ثم ان الوزير أبا عامر بن
عبدوس أيضا هام بها وكلف
بعشرتها وكان قصدهم
الظرف والادب وكانت ولادة
كثيرة العبث به ولها معه
نوادر ظريفة *ومن نوادرها
الظريفة أنها مرت يوما بدار
ابن عبدوس وهو جالس
بالباب وحوله جماعة من
أصحابه وأمامه بركة تتولد
من مراحيض وأقذار
فوقفت عليه وقالت يا أبا عامر
أنت الخصيب وهذه مصر
فتدفقا فكلاكما بحر
فلم يحيروا جوابا فمضت وحفظت
هذه النادرة واشتغل بها
الناس وهذا البيت لأبي
نواس تمثلت به ونقلته هذا
النقل الحسن من المدح الى
الهجاء وكان كثيرا ما يخدعها
ويبغي التفرد بها وفي ذلك
يقول ابن زيدون (شعرا)
وغرك من عهد ولادة
سراب تراءى وبرق ومض
هي الماء يأبى على قابض
ويمنع زبدته من مخض
وكان أول أمرها معه
والباعث لابن زيدون على
انشاء هذه الرسالة أن ابن
عبدوس لما سمع بها أرسل

قصيدته التائية حيث قال

وما صنفه جابر * من الصنعة جربت
فكم للطين حلت * وللآمال وصلت
وفوق الشب والكبريت للزرنيخ صعدت
وكم ركبت انبيقا * على النار وقطرت
وللاجساد لينت * وللارواح اطفت
وللزهرة نقيت * وكم للشمس كلست
وكم فى بوط بربوط * من الراسخت نزلت
وبالماشك كم كويست فى كفى وحرقت
وما صح لى التدبير لكنى أدبرت

وملح البوصيرى حيث قال يهجو جماعة

اكسير نحس كل بمفرده * مركب من مسد برفاسد
ان شئت أن تجعل الورى سفلا * ألق على الالف منهم واحد

وكتب الظهير البارزى الى من رزق توأمين ذكرا وأنثى من جارية سوداء أبياتا من جملتها

وخصك رب العرش منها بتوأم * ومن ظلمات البحر تستخرج الدرر
وابرك أضحى وارثا علم جابر * فاعطاك من القائه الشمس والقمر

(وأما هذه القصيدة اللامية) فانما سميت لامية العجم تشبيها لها بلامية العرب لانها تضاهيها فى حكمها وأمثالها ولامية العرب هى التى قالها الشنفرى وأولها

أقيموا بنى أمى صدور مطيكم * فانى الى قوم سواكم لأميل

وقد روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال علموا أولادكم لامية العرب فانها تعلمهم مكارم الاخلاق * ورأيت لها شرحا حسنا تام المقاصد كثير الفوائد وهو مجلد جيد وحسبك ان الناس قالوا فى هذه القصيدة انها لامية العجم فى نظير تلك يعنى ان كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالادب والامثال والحكم فان للعجم لامية مثلها تناظرها واضافة الشئ الى شئ مشهور أو عظيم تدل على شرف المضاف الا ترى قوله تعالى من كان عدوا لله وملائكته أشرف لهم من قوله والملائكة لاضافتهم اليه * وزعم بعضهم ان بعض الشعراء غير قوافى هذه القصيدة من اللام الى حرف العين وهذا عندى يتعذر لان ألفاظ هذه القصيدة فى غاية الفصاحة وتراكيب كلماتها كلها منسجمة عذبة غير قلقة ولا نافرة ومعانيها بليغة غير ركيكة وقوافيها فى غاية التمكن فهى كما قال ابن عنين

معنى بديع وألفاظ منقحة * غريبة وقواف كلها نخب

والقافية المتمكنة هى التى يبنى البيت من أوله الى آخره عليها فاذا ختم البيت بها نزلت فى مكانها ثابتة فيه متمكنة فى محلها قد رسخت فى قرارها ودفعت الى مركزها فهى لا تتزحزح ولا تتغير منه بخلاف القافية القلقة التى اجتلبت وجئ بها لتمام الوزن وهى أجنبية منه غريبة من تركيبه عارية من الالتحاف به والالتحاق بحسبه ومتى غيرت القافية المتمكنة بغيرها جاءت نافرة عن الطباع فى غاية الركة وليت شعرى عماذا يغير قوله

اليها امرأة من جهته تستميلها اليه وتذكر لها محاسنه ومناقبه وترغبها فى التفرد بمواصلته فبلغ ابن زيدون ذلك فكتب هذه الرسالة البديعة جوابا له عن لسانها تتضمن هذه الغرائب من سب أبى عامر والتهكم به والهجاء له وجعلها جوابا له على لسان ولادة وأرسلها اليه عقيب رجوع المرأة فبلغت منه كل مبلغ واشتهر ذكرها فى الآفاق وأمسك ابن عبدوس عن التعرض لولادة الى أن انتقل ابن زيدون الى اشبيلية وتوفى بها تغمده الله برحمته وغفر لنا ولهم بمنه وكرمه هذا معنى ماذكره ابن حيان وابن بسام وغيرهما من المؤرخين

(ذكر الرسالة وشرحها)

(أما بعد أيها المصاب بعقله المورط بجهله)

(أما) حرف يقتضى مضى أحد الشيئين ويبتدأ به الكلام و(بعد) ههنا تستعمل فى الترتيب الصناعى وتقدير أما بعد مهما يكن بعد وهى كلمة يبتدئ بها كثير من الخطباء والكتاب كلامهم فى خطبهم المحبرة ورسائلهم المحررة كانهم يستدعون بها الاصغاء لما يقولون ولذلك فخر بها سحبان فقال

لو أن فى شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

(وقوله أيضا)

وان علانى من دونى فلا عجب * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

الى غير ذلك من بقية القوافى المتمكنة التى هى فى البيت بمثابة القاعدة التى اذا زحزحت أونقلت تهدم البيت وخرب وذهب حسنه وزال رونق تركيبه واذا غير مثل ها تين القافيتين فقد زال طرازها وذهب شمسها وقمرها ومحيت آية حسنها نعم قد يتفق للشاعر نفسه اذا أراد بناء قصيدته على قافيتين أو أكثر لانه يراعى ذلك فى أصل التركيب ويوفق بين ذلك من أول العمل كما فعل سيف الدين بن المشد فى قصيدته التى مدح بها السلطان نجم الدين أيوب وهى مشهورة أولها

اسقنى الراح قد تجلى النهار الظلام وتغنى على الأزرار الهزار الحمام
وبدا الروض فى ثياب من الزهـر سداها بنفسج وعرار وغمام
فاسقنيها مثل الخدود احمرارا * وكثغر الحبيب فيه افترار ابتسام
قهوة مرة وحيق شمول * قرقف لذة سلاف عقار مدام
من يدى أوطف الجفون غرير * زانه الخصر والحلى والعذار والقوام
بدر تم يلوح فى زى ظبى * قصرت عن صفاته الافكار الافهام

ثم انه سار على هذا الانموذج الى تمام أحد وعشرين بيتا ولا يخفى ما فى هذه الابيات من الانحلال والانحطاط وما فيها من الايراد لمن يروم النقد عليه وكما فعل الامير مؤيد الدولة اسامة بن منقذ فى ثلاثة أبيات أنشأها وهى

كتمت بثى غيران لم أطـق *
كتمان فيض المدمع الهامل * السافح الساكب الماطر
وليس يدرى القذى جائل *
فى العين فاضت أم هوى داخل * فاضح غالب قاهر
كالورق لا يدرى على هالك *
ناحت أم ارتاحت الى راحل * نازح غائب هاجر

وقال ابن الزروى والذى حملنى على نظم ذات القوافى على بن الرومى اذ قال فى كلمة له

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد
والا فما يبكيه منها وانها * لأفسح مما كان فيه وأرغد
اذا أبصر الدنيا استهل كأنه * بما سوف يلقى من أذاها يهدد

وقال فى كلمة أخرى نظير هذه الابيات الا أنه أبدل فى البيت الاول يولد بقوله يوضع وأبدل أرغد بقوله أوسع وأبدل يهدد بقوله يقرع ونظم ابن الزروى قصيدته التى أولها

نوى اطلعت منها القفار البسابس * بخيل مطى طلعهن أوانس

وهى تزيد على العشرين بيتا جعل لكل بيت أربعا وعشرين قافية وهذه القصيدة تنشد أربعا وعشرين قصيدة وهذا فى غاية القدرة وانما سهل هذا سعه وانقاد له ما أراد لانه هو الذى بنى كل بيت فى الاصل على ما يريد ختمه به من القوافى المتعددة ولو أخذ قصيدة لغيره وأراد تغيير

قوافيها

وقد علمت قيس بن عيلان انى اذا قلت أما بعد أنى خطيبها وكثيرا ما تأتى عقيب قول الحمد لله وتسمى هنالك فصل الخطاب لانها فصلت بين الكلام الاول والتالى وتأتى عقيب البسملة وتأتى ابتداء كانها عقيب الفكر والروية وأول من قالها داود عليه السلام وقيل انها فصل الخطاب المذكور فى الكتاب العزيز وقيل أول من قالها قس بن ساعدة والاول أصح وانما قس أول من خطب بها فى العرب وكتبها أول الكتب على ما ذكر (أيها المصاب) اسم لمن نزلت به نائبة مصيبة وأصاب السهم اذا وصل الى المرمى بالصواب فالمصيبة أصلها فى الرمية ثم اختص بالنائبة (بعقله) العقل المعرفة المستعملة فى تحرى النفع وتجنب الضرر ولاهل اللغة والمتكلمين فى اشتقاقه ومعناه أقوال كثيرة قيل اشتق من عقل الناقة اذا شد وظيفها مع ذراعها بحبل يمنعها من الشراد فكأنه يمنع الانسان عما يميل اليه من الهوى ومن عقل الناقة سميت الدية عقلا لانها تعقل بفناء المقتول أو لانها تحبس الدم وقيل اشتق من العقل وهو الملجأ يقال

قوافيها لتقاعس المعنى عليه ولم ينقدله وأنت ترى قافية ابن الرومى الدالية كيف لفظة أرغد فيها قلق يسير و كيف أوسع أحسن منها و كيف لفظة يهدد أليق من يقرع هذا أمر يشهد به الذوق وصنع أبو القاسم على بن منجب المعروف بابن الصير فى بيتين وهما

لما غدوت مليك الارض أفضل من * حلت مفاخره عن كل اطراء

تغايرت أدوات النطق فيك على * ما يصنع الناس من نظم وانشاء

ثم انه غير روى البيتين على جميع حروف المعجم ومن وقف على كلام أبى العلاء المعرى فى رسالة الغفران فى ذينك البيتين اللذين للنمر بن تولب وهما

ألم بصحبتى وهم هجوع * خيال طارق من أم حصن

لها ما تشتهى عسل مصفى * متى شاءت وحوارى بسمن

وكيف غير القوافى منها ونزلها على سائر حروف المعجم خلا حرف الطاء علم تمكن أبى العلاء من الادب واطلاعه على اللغة وحكايته خلف الاحمر مع أصحابه ومعناها انه لو قال أم حفص ماذا كان يقول فى تمام البيت الثانى فسكتوا فقال بامص وأما اتفاق الشاعرين فى الابيات وتخالفهما فى القافية فكثير فمنه قول النابغة

لو انها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله ضرورة متعبد

لرنا لبهجتها وحسن حديثها * ولخاله رشدا وان لم يرشد

وقول ربيعة بن مقدوم الضبى

لو انها عرضت لاشمط راهب * عبد الاله ضرورة متبتل

لرنا لبهجتها وحسن حديثها * ولهم من ناموره يتنزل

وقول الافشين العلى

جريت مع الصبا طلق العتيق * وهان على مأثور الفسوق

وجدت ألذ عارية الليالى * قران النغم بالوتر الخفوق

ومسمعة متى ماشئت غنت * متى نزل الاحبة بالعقيق

تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرى الصبوح عرى الغبوق

وقول أبى نواس

جريت مع الهوى طلق الجموح * وهان على مأثور القبيح

وجدت ألذ عارية الليالى * قران النغم بالوتر الفصيح

ومسمعة متى ماشئت غنت * متى كان الخيام بذى طلوح

تمتع من شباب ليس يبقى * وصل بعرى الغبوق عرى الصبوح

وهذا من أبى نواس فى غاية الحسن لمن تأمله وقول امرئ القيس

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجمل

وقول طرفة بن العبد بعده

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

وقول امرئ القيس أيضا

ألا أيها الليل الطويل الا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بأمثل

عقل الوعل اذا التجأ الى الجبل الذى يمنعه فكان الانسان يلتجئ اليه فى أحواله وقيل غير ذلك وأكثر المعانى مشتركة فى الاشتقاق وقال الجاحظ العقل اسم يقع على المعرفة بالصواب والخطا وايثاره اذا اقترنا فى زمان وكان العلم علة للعمل وقيدا له فاذا دعا الرجل علمه بالمحاسن الى العمل بها ونهاه علمه بالمساوى عن العمل بها صار قيدا لعمله وكان كالعقال لما استحسنه فاذا عقله علمه وحبسه كما يحبس الجمل قالوا هذا عاقل * وقال الراغب العقل يقال للقوى المتهيئة للعلم ويقال للعلم الذى يستفيده الانسان بتلك القوى عقل ولهذا قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مطبوع اذا لم يكن مسموع كما لا ينفع ضوء الشمس وضوء العين ممنوع والى الاول اشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل والى الثانى أشار بقوله ما كسب أحد شيأ أفضل من عقل يهديه الى هدى أو يرده عن ردى وكل موضع ذم الله فيه الكفار بعدم العقل فأشارة الى الثانى دون الاول وكل موضع رفع فيه التكليف

وقول الطرماح بعده

ألا أيها الليل الطويل الاصبح * بيوم وما الاصباح منك بأروح

وقول علي بن الخليل

لا أظلم الليل ولا أدعي * أن نجوم الليل ليست تزول
ليلي كما شاءت قصير اذا * جادت وان ضنت فليلي طويل

وقول ابن بسام بعده

لا أظلم الليل ولا أدعي * أن نجوم الليل ليست تغور
ليلي كما شاءت فان لم تجد * طال وان جادت فليلي قصير

وقول الامير أبي الفضل الميكالي

أقول لشادن في الحسن أضحى * يصيد بلحظه قلب الكمي
ملكت الحسن أجمع في نصاب * فأد زكاة منظرك البهي
وذاك أن تجود لمستهام * برشف من مقبلك الشهي
فقال أبو حنيفة لي امام * يرى أن لا زكاة على الصبي

وقد رواها بعضهم على غير هذه القافية فأنشدها

أقول لشادن في الحسن فرد * يصيد بلحظه قلب الجليد
ملكت الحسن أجمع في قوام * فلا تمنع وجوبا عن وجود
وذاك أن تجود لمستهام * برشف من مقبلك البرود
فقال أبو حنيفة لي امام * يرى أن لا زكاة على الوليد

وقول سليمان بن دباكل الخزاعي

يا بنت خنساء التي أتجنب * ذهب الزمان وحبها لا يذهب
اني لأمنحك الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لأجنب

وقول الاحوص

يا بيت عاتكة التي أتعزل * حذر العدا وبها الفؤاد موكل
اني لأمنحك الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لأميل

وقد اشتهر قول الاحوص وشاع وذاع وملأ الافواه والاسماع واستشهد الناس به قديما وحديثا في حكايات مشهورة عند أرباب الادب * وعن محمد بن كعب القرظي قال بينما عمر ابن الخطاب جالسا ومعه أصحابه اذ مر به رجل فسلم عليه فقال رجل من القوم يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المسلم قال لا قال هو سواد بن قارب الذي أتاه رئيه من الجن بظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه عمر فقال له أنت سواد بن قارب قال نعم قال أنت على ما كنت عليه من كهانتك فغضب الرجل غضبا شديدا وقال ما استقبلني أحد منذ أسلمت بهذا فقال عمر ما كنا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك فاخبرني بالذي أنبأك به رئيك من ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم بينا أنا بين نائم ويقظان اذ أتاني رئيي وضربني برجله وقال قم يا سواد بن قارب وافهم واعقل انه قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله تعالى ثم أنشأ الجني يقول بحيث أسمع

عن العبد لعدم العقل فاشارة الى الاول (وقال) بعض الحكماء هو جوهر بسيط وقال آخرون هو جسم شفاف ومحله الدماغ وبعض العلماء يقول محله القلب ويستدل بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله تعالى لمن كان له قلب أي عقل وقال الجاحظ هو مادة تتولد من الاغذية المقوية للعصب فلذلك كان البلادر جيدا له والبصل مضرا له ولذلك يقال يفسد الباذنجان في شهر ما يصلح البلادر في عام ويزعم قوم أنه هيئة تحصل بالدربة ولذلك فسدت أذهان المعلمين لمخالطتهم الصبيان (المورط) الورطة الهلاك قال رؤبة

فأصبحوا في ورطة الاوراط

وأصل الورطة أرض مطمئنة لا طريق فيها وربما هلك الواقع فيها ومنه الوراط الخديعة وفي الحديث لا خلاط ولا وراط (مجهله) الجهل ضد العلم ومنه سميت المفازة مجهلة كانه جهل كيف الطريق فيها وقال الراغب الجهل على ثلاثة أضرب الاول خلو النفس من العلم هذا هو الاصل وقد جعل بعض المتكلمين الجهل معنى مقتضيا للافعال الخارجة عن النظام كما جعل العلم معنى مقتضيا

عجبت للجن وأخبارها * وشدها العيس بأكوارها
تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما مؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روابيها وأحجارها

فقلت دعني أنام فقد أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب وافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم أنشأ الجني يقول

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس بأقتابها
تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * فما قداماها كاذنابها

فقلت دعني أنام فقد أمسيت ناعسا فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني برجله وقال قم ياسواد بن قارب وافهم واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعو الى الله والى عبادته ثم أنشأ الجني يقول

عجبت للجن وتحساسها * وشدها العيس بأحلاسها
تهوي الى مكة تبغي الهدى * ما خير الجن كأنجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى راسها

فلما أصبحت شددت على ناقتي رحلها وسرت الى مكة فقيل لي قد سار الى المدينة فأتيت المدينة فسرت الى المسجد فعقلت ناقتي واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة من أصحابه فلما نظر الى قال هات ياسواد بن قارب فقلت

أتاني رئيي بعد هدء ورقدة * ولم أك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤي بن غالب
فشمرت من ذيلي الازار ووسطت * بي الدعلب الوجناء بين السباسب
وأشهد أن الله لارب غيره * وأنك مأمون على كل غائب
وأنك أعلى المرسلين وسيلة * الى الله ياابن الاكرمين الاطايب
فمرنا بما يأتيك ياخير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوائب
وكن لي شفيعا يوم لاذو شفاعة * سواك بمغن عن سواد بن قارب

قال ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فرحا شديدا فقام اليه عمر فالتزمه وقبله بين عينيه وقال لقد كنت أحب ان أسمع هذا الخبر منك فاخبرني هل يأتيك رئيك اليوم قال اما منذ قرأت كتاب الله فلا ونعم العوض كتاب الله من الجن (وحكى) صاحب الجليس والانيس قال كان الاصمعي يعادي عباس بن الاحنف فقال يوما وهو بين يدي الرشيد والاصمعي حاضر

اذا أحببت أن تعمـ * ـل شيأ يعجب الناسا
فصور ههنا فردا * وصور ثم عباسا
وبينهما فدع فترا * فان زدت فلا باسا
فان لم يدنوا حتى * ترى رأسيهما راسا

للافعال الجارية على النظام والثاني اعتقاد الشئ على خلاف ماهو عليه والثالث فعل الشئ بخلاف ماحقه أن يفعل سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا أو فاسدا

(البين سقطه الفاحش غلطه) (السقط) مالارضي ومنه سقط المتاع رديئه وسقط القول خطؤه وسقط الرجل في يده اذا فعل ما يندم عليه وقال الاخفش أسقط وهو غير مستعمل والاصل السقوط وهو طرح الشئ من العالي الى المنخفض و(الفاحش) ماعظم قبحه من الاقوال والافعال ومنه الفاحشة الفعلة القبيحة سميت فاحشة وصار علما عليها والغلط الخروج عن الصواب نطقا أو فعلا تقول العرب غلط وغلت بالتاء زعم قوم أنهما لغتان وزعم قوم أن غلط انما يقال في المنطق وغلت انما يقال في الحساب

(العاثر في ذيل اغتراره الاعمى عن شمس نهاره) (العثار) السقوط وما قاربه و(الاغترار) الغفلة واستعارة الذيل والعثار للغافل حسنة والفقر مناسبة لما قبلها وما بعدها و(العمى) يقال في افتقاد البصر ويقال فيه أعمى وعم وعمى البصيرة أشد ولذلك لم يعد الله تعالى افتقاد

فكذبها بما قاست * وكذبه بما قاسا

فقال الرشيد ما سمعت معنى أحسن من هذا فقال الاصمعي قد سبقه الى هذا المعنى رجل من العرب ورجل من النبط فقال ما قال العربي قال كان رجل يقال له عمرو يحب جارية يقال لها قمر فقال

اذا أحببت ان تعمل شيأ يعجب البشرا
فصور ههنا قمرا * وصور ههنا عمرا
فان لم يدنوا حتى * ترى بشريهما بشرا
فكذبها بما ذكرت * وكذبه بما ذكرا

قال الرشيد فما قال النبطي قال كان رجل يقال له روز يحب جارية يقال لها فاق فقال

اذا أحببت ان تعمل شيأ يعجب الخلقا
وتسمع صوت معشوقين لاقى في الهوى رتقا
فصور ههنا روزا * وصور ههنا فلقا
فان لم يدنوا حتى * ترى خلقيهما خلقا
فكذبها بما لاقت * وكذبه بما يلقى انتهى

وتغيير قوافي هذه اللامية أراه متعذرا الا أن يتهدم جانب جيد من كل بيت ومع ذلك فلا يكون لغير قوافيها ديباجة أسنى أثر بها الطغرائي * وأنشدني لنفسه من لفظه المولى نور الدين علي بن محمد بن فرحون المالكي اليعمري المدني بدمشق المحروسة في سنة احدى وأربعين وسبعمائة هذه اللامية وقد ركب على كل صدر عجزا وعلى كل عجز صدرا فناسبها وهذا قصد ظريف ومما أنشدني قوله

اصالة الرأي صانتني عن الخطل * وسرعة الحزم ذادتني عن المذل
وحلة العلم أغنتني ملابسها * وحلية الفضل زانتني لدى العطل
مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع * وسوددي ذاع في حل ومرتحل
وهمتي في الغنى والفقر واحدة * والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل
فيم الاقامة بالزوراء لاسكني * دان ولا أنا في عيش بها خضل
وليس لي أرب فيها ولا خولي * بها ولا ناقتي فيها ولا جملي

وتغيير القوافي في البيت والبيتين أمرهون كما أنشد بعضهم البيتين المشهورين في الشيب وهما

وخود دعتني الى وصلها * وعصر الشبيبة مني ذهب
فقلت مشيبي ماينطلي * فقالت بلى ينطلي بالذهب

وكان في المجلس بعض ظرفاء الادباء حاضرا فقال ما أعرف القافية في هذين البيتين الا حرف الراء فقال له المنشد كيف قال فقال قال * وعصر الشبيبة مني سرى * فقال فكيف تصنع بالثاني بعد قوله مشيبي ماينطلي فقال * فقالت بلى ينطلي بالخرا * فأطرق المنشد خجلا وأما أنا فاتفق لي يوما مثل هذه الواقعة في بعض مجالس المذاكرة في محفل فيه رؤساء وأكابر من الكتاب وفيهم من يتعاطى الادب وهو شاب فيه مغمز ومطمع فأنشد قول ابن العفيف التلمساني

ولقد عتبت عليه وهو مجدد * والاير في أحشائه مدسوس

البصر عمى في جنب افتقاد البصيرة حيث قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور و(شمس النهار) ههنا كناية عن الصواب الواضح الذي تركه هذا المكتوب اليه وعمي عنه حتى تعرض للذم أو كناية عن مقدار هذه المرأة التي هي كالشمس حتى طلب منها ما لا يصل اليه

(الساقط سقوط الذباب على الشراب)

الذباب في اللغة يقع على هذا المعروف من الحشرات وعلى النحل والزنابير ونحوهما قال الجاحظ ومن الدليل على ان اجناس النحل والزنابير وما أشبهها كلها ذباب ما جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل ذباب في النار الا النحلة وقال الشاعر

فهذا أوان العرض حي ذبابه * زنابيره والازرق المتلمس

والذباب ههنا هو المعروف وسمي ذباب العين ذبابا للشبه به أو لتطاير شعاعه طيران الذباب وبه يضرب المثل في الوقوع على الشراب فيقال أوقع من ذباب على شراب و(الشراب) كل مائع متناول للشرب وغرض الذباب ما حلا ولشرهه عليه يقع على كل مائع سواء كان حلوا أو غيره * وفي كتاب كليله

أومأ بعبره وقال بنقرة * من ههنا يتعوج الفقوس
فقلت وقد أشار بيده عند نصف البيت الثاني مثل مولانا يغير القافية انما هو من ههنا يتعوج اليقطين فاستحى فقال بعض الحاضرين كيف تعمل في القافية الاولى فقلت بسرعة عوض مدسوس مدفون والتذنيب يغتفر فيه ويسامح بما لا يسامح في غيره لسرعة الجواب الاترى ما أحلى جواب بعض الوعاظ وهو على المنبر لما سئل عن أشياء ما الاصل فيها فقال اذا كان الله عز وجل قال يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء فكيف تسألون أنتم عنها فاستحسن هذا الجواب منه لسرعته وان كان قد مغالط ولكن لما عجز عن الجواب مال الى هذا الجواب الاقناعي لان أرباب التصريف لهم فيها كلام طويل منهم من يقول أصل أشياء فعلاء ومنهم من يقول فعلاء والكلام في ذلك يطول ويقال ان أبا الحسين بن السماك كان يتكلم على رؤس الناس بجامع المدينة وكان لا يحسن شيأ من العلوم الا ما شاء الله وكان مطبوعا بالتكلم على مذاهب الصوفية فرفعت اليه رقعة فيها ما تقول السادة الفقهاء في رجل مات وخلف كذا وكذا فلما فتحها ورأى ما فيها من الفرائض رماها من يده وقال أنا أتكلم على مذاهب أقوام اذا ماتوا لم يخلفوا شيأ فعجب الحاضرون من سرعة جوابه * وكذا التذنيب في البيتين الاولين الاصل فيهما أكمل لان الطلاء دائما بالذهب مع ما في القافيتين من الجناس التام وكذا قولي اليقطين فان فيه تغيير المثل المتداول بين الناس وهو * من ههنا يتعوج الفقوس ولكن لما كانت تلك الحالة لائقة باليقطين عند اشارته بيده حسن ذلك وخف على السمع وراج على القلب * وأنشدت يوما بعض الافاضل قول البحتري من قصيدته المشهورة

وأزرق الصبح يبدو قبل أبيضه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

فقال بدل ينسكب ينهمر فقلت كيف تصنع في الاول وهو قوله

هذي مخايل برق خلفه مطر * جود وورى زناد خلفه لهب

فقال بدل لهب شرز فقلت هذه القصيدة بائية أولها

نحن الفداء فيا جود ومرتقب * ينوب عنك اذا همت بك النوب

فلم يحر جوابا لكنه اعترف له بالاحسان لسرعة الجواب في الثاني (ايرادشئ من نظم الطغرائي) قال قصيدة خائية عارض بها محمد بن هانئ المغربي في قصيدته التي أولها

سرى وجناح الليل أقتم أفتخ * مهاد ضجيع بالعبير مضمخ

ومدح الطغرائي بها السلطان محمود بن محمد أيام سلطنة أبيه سنة أربع وخمسمائة وهي

هي العيس قودا في الازمة تنفخ * تمطى لها من عجمة الليل برزخ
ومنها
ويا نار قلبي ما لجمرك كلما * نفخت عليه الماء لا يتبوخ
ويا صادحات الورق في الايك أقصري * فمالي اذن أشكو ولالك مصرخ
ويا جيرة شطت بهم غربة النوى * ولا عهدهم ينسى ولا الود يفسخ
لكم في جنوب الارض مسرى ومسرح * وللحب في جنبي مرسى ومرسخ
ومنها
وحظى من الايام ملك بعزه * تقام مواقيت العلا وتؤرخ
يتوق اليه الملك وهو له اب * ويصبو اليه التاج وهو له أخ
يربي العدا أبناءهم لحسامه * وللصقر ما أضحى البغاث يفرخ

ودمنه من لم يرض بما يكفيه كان كالذباب الذى لا يرضى حتى يطلب الماء السائل من آذان الفيلة فتضربه بآذانها فتقتله
(المتهافت تهافت الفراش في الشهاب)
(التهافت) التهامي مع خفة وطيران يقال منه هفت وتهافت ومنه قولهم وردت هفية من الناس الذين أقحمتهم السنة و(الفراش) نوع من الذباب رقيق الجسد ومنه قيل لكل عظم رقيق فراشة وقيل فراشة القفل لرقتها أولشبهها بالفراش الطائر وأما قول ذي الرمة
فأيقن أن النقع صارت نطافه فراشا وأن البقل ذاو ويابس
فقد قيل ان النقع وهو الموضع الذى يجتمع فيه نقر الماء صار فراشا أي ماء رقيقا وقيل المراد أن نطف الماء صارت فراشا طائرا فربما تولد الفراش من الماء (والشهاب) الشعلة من النار ومن ذلك قيل للسواد المختلط بالبياض شهبة تشبيها بالسواد المختلط بالدخان والفراش معروف بالقاء نفسه في النار ولذلك قيل في المثل ما هم الا فراش طمع والفلاسفة تزعم أن الحيوان تجذبه النورية كالفراش الطائر بالليل وما لطف جسمه يطرح نفسه في

ومنها خدمتكم والعمر غصن جيمه * ندوأهاضيب الشبيبة تنضخ

ومنها أسير في أيامكم من شواردي * غلالة سفر حين تمد سريج

وأحمل من أسراركم كل ناهض * يضيق به صدر الكتوم فينضح

وأنشر في الشورى صحائف طيها * نوافث سحر للعزائم تسنح

وأنصحكم في حل كل مترجم * به يضبط الامر الشعاع فيرسخ

أحين أنى أن أجتني ثمر الرضا * أردالى نزرمن العيش يرضخ

أعوذ بكم من كبوة الجد انها * دهتني ولاذنب به أتلطخ

قلت كان الطغرائي يتمنى علو شانه ويؤمل اقبال زمانه في أيام هذا الممدوح اذا آل أمر السلطنة اليه فكان فيها حتفه * وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تتمنوا الدول فتحرموها وما أحسن قول القائل

سألت الله أن تعلو محلا * كعرض الارض في طول السماء

فلما ان علوت علوت عني * فكان اذن على نفسي دعائي

وقال ابن دريد

اذا رأيت امرأ في حال عسرته * مصافيا لك مافي وده دخل

فلا ترج له أن يستفيد غنى * فانه بانتقال الحال ينتقل

وقال محمد بن سبط التعاويذي

أأسرم دولتكم بعدما * ركبت الاماني وأنضيتها

ومالي ذنب سوى أنني * رجوتكم وتمنيتها

وقال أحمد بن أبي بكر الكاتب

اذا لم يكن للمرء في دولة امرئ * نصيب ولاحظ تمنى زوالها

وماذاك عن بغض لها غير أنه * يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

وقال جريج المقل

ربما يرجو الفتى نفع فتى * خوفه أولى به من أمله

رب من ترجو به دفع الاذى * سوف يأتيك الاذى من قبله

وقال ابن عنين في ابن المجاور

سواء علينا ما نلت من علا * اذا لم تنل أو كنت ما كنت من قبل

وما نافعي أن يبلغ العرش صاحبي * ويحط قدري عنده عندما يعلو

أنشد الزكي عبد الرحمن القوصي الملك المظفر قبل أن يملك حماة

متى أراك ومن تهوى وأنت كما * تهوى على رغمهم روحين في بدن

هناك أنشد والآمال حاضرة * هنئت بالملك والاحباب والوطن

فوعده اذا ملك حماة أن يعطيه ألف دينار فلما ملكها أنشده

مولاي هذا الملك قد نلته * برغم مخلوق من الخالق

والدهر منقاد لما شئته * وذا أوان الموعد الصادق

فدفع اليه الالف وأقام معه ولزمه في اسفار أنفق فيها المال الذي أعطاه ولم يحصل بيده زيادة

النار فيحترق وغير ذلك مما يصادفي الليل بالشهاب من الغزلان والوحش والطير والسمك اذا قرب منها السراج في الزوارق ويزعمون ان النور صلاح هذا العالم ومعنى هذا المجع أن المكتوب اليه من جهله وتعرضه لما يؤذيه بمنزلة الفراش والذباب الواقع فيما يهلكه من غير اشعار انه هالك

(فان العجب أكذب ومعرفة المرء نفسه أصوب) (قوله فان) صلة لقوله أما بعد ولابد من اقتضائها الفاء لرد الكلام بعضه على بعض و(العجب) ما يعجب الانسان من نفسه أي يستحسنه والاصل العجب كأنه يتعجب من حسن ما يجد و(الكذب) ضد الصدق يقال في المقال والفعال وينسب أيضا الى نفس القول والفعل فيقال فعلة صادقة وفعلة كاذبة ومعنى المثل أن المعجب من نفسه بحالة يظن أنه قد بلغ بها الغاية وامتاز بالفضل وليس الامر كذلك فكان عجبه بنفسه خيل له ما لا صحة فيه فكذبه و(المعرفة) ادراك الشئ بتدبر لاثره وهو أخص من العلم فيقال فلان يعرف الله ولا يقال يعلم الله متعديا الى مفعول واحد لما

عليه فقال

ذاك الذى أعطوه لى جملة * قد استردوه قليلا قليل
فليت لم يعطوا ولم يأخذوا * وحسبي الله ونعم الوكيل

فبلغ ذلك المظفر فأخرجه من دار كان أنزله بها فقال

أتخرجني من كسر بيت مهدم * ولى فيك من حسن الثنا بيوت
فان عشت لم أعدم مكانا يضمني * وأنت ستدرى ذكر من سيموت

فحبسه المظفر فقال ماذنبي اليك فقال وحسبي الله ونعم الوكيل ثم أمر بخنقه فلما أحس بالهلاك قال

أعطيتني الالف تعظيما وتكرمة * ياليت شعرى أم أعطيتني ديتي

قلت لو كنت حاضر الزكى عبد الرحمن لانشدته قول القائل

وكنت كالمتمني أن يرى فلقا * من الصباح فلما أن رآه عمى

وما أحسن قول أبى الطيب وهو مما رواه تاج الدين الكندى عنه ولم يكن فى ديوانه

أبعين مفتقر اليك نظرتني * وأهنتني وقذفتني من حالق
لست الملوم أنا الملوم لانني * أنزلت آمالى بغير الخالق

ومما ينخرط فى هذا السلك قول القائل

لما بدا العارض فى خده * بشرت قلبى بالنعيم المقيم
وقلت هذا عارض ممطر * فجاءنى منه العذاب الاليم

وقال الطغرائى يصف خيلا

سبقت حوافرها النواظر فاستوى * سبق الى غاياتها وسفون
لولا ترامى الغايات لاقسم الراؤن انها ساكين
وتكاد تشبهها البروق لانها * لم تعتقلها أعين وظنون

هذه مبالغة فى السرعة والاول مأخوذ من قول أبى الطيب

تقبلهم وجه كل سابحة * اربعها قبل طرفها تصل

قيل ان أبا الحر الثعلبى قال عندما سمع هذا البيت هذه كانت عينها فى استها وذكرت بهذه واقعة اتفقت لبعض أكابر اهل العصر وهو انه كان له غلام حسن الوجه فحضر يوما عنده بعض أصحابه وأخذ يصف ذلك الغلام ويلاحظه فى دخوله وخروجه لا يفتر عن ذلك فقال له مالك قد أطلت النظر الى هذا الغلام فقال أعجبنى حسنه فقال عينك فى استك فقال لا والله بل عينى فى استه وقد فسر بعض المتعصبين على أبى الطيب قوله

تبل خدى كلما ابتسمت * من مطر برقه ثناياها

فقال كانت تبصق فى وجهه وكذلك قوله

كفى بجسمى نحولا انني رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

وقال هو اذن ضرطة يسمع ولا يرى وبالغ ابن حجاج فى مرثية فرس له فقال

قال له البرق وقالت له الريح جميعا وهما ماهما
أأنت تجرى معنا قال لا * ان شئت أضحكتكما منكما

كان معرفة البشر لله تعالى هى بتدبر آثاره دون ادراك ذاته ويقال الله يعلم كذا ولا يقال الله يعرف كذا لما كانت المعرفة تستعمل فى العلم القاصر المتوصل اليه بتفكر وأصله من عرفت كذا أى أصبت عرفه أى رائحته والمعنى أن معرفة الانسان مقداره حتى لا يتعدى أطواره أصوب وهو مما يؤيد قوله العجب اكذب وهذان مثلان جيدان الاول ينسب الى أكثم بن صيفى والثانى مأخوذ من قوله لن يهلك امرؤ عرف قدر نفسه وهو أكثم بن صيفى بن رباح التميمى أشهر حكام العرب فى الجاهلية وحكمائهم وخطبائهم ادرك مبعث النبى صلى الله عليه وسلم وراسله واختلف فى اسلامه والاكثر على صحته حكى الهيثمى ان أكثم بن صيفى لما بلغه مبعث النبى صلى الله عليه وسلم قال لقومه احملونى اليه فقالوا لا والله وانت سن من أسنان العرب قال فليأته احدكم فليسأله عن ربه وعما امره به فأتى حبيش بن أكثم فقال يا محمد بم بعثك ربك قال بعثنى بان اكسر الاوثان قال بم امرك قال ان الله يأمر بالعدل والاحسان

هذا ارتداد الطرف قد فته * الى المدى سبقا فمن أنتما

وقال أبو العلاء المعري

ولما لم يسابقهن شئ * من الحيوان سابقن الظلالا

وقال ابن خفاجة الاندلسي

وأبلق خوار العنان مطهم * طويل الشوى والساق أقود أتلعا
جرى وجرى البرق اليمانى عشية * فابطأ عنه البرق عجزا وأسرعا
وحسب الاعادى منه ان يزجرونه * مغيرا غرابا صيح الحى أبقعا

هذا المعنى فى غاية الحسن، ومن هنا اختلس هذا المعنى النفيس أحمد بن عبد العزيز المالكى حيث قال

حبذا ليلة رأيت دجاها * زاهيا عطفه بحلة فخر
بشرت باللقاء وهى غراب * ونعى الفجر حسنها وهو قمرى

وقرأت على الشيخ الامام القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود الكاتب كتابا انشأه فى وصف الخيل جاء منه لا يستزاد حس فى مضماره ولا تطمع الغبراء فى شق غباره ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره تسابق يداه مرامى طرفه ويدرك شوارد البروق ثانيا من عطفه وقد اشتهر هذا المعنى فى سبق الحافر الناظر قال بعضهم

كم سابح أعددته فوجدته * عند الكريهة وهو نسر طائر
لم يرم قط بطرفه فى غاية * الا وسابقه اليها الحافر

وما أحسن ما أنشدنى لنفسه من لفظه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى بالباب وبراعة من بلاد حلب سنة احدى وثلاثين وسبعمائة

وأغر تبرى الاهاب مورد * سبط الاديم محجل ببياض
أخشى عليه ان يصاب باسهمى * مما يسابقها الى الاغراض

وأنشدنى لنفسه أيضا

وأدهم يقق التحجيل ذى مرح * يميس من عجبه كالشارب الثمل
مضمر مشرف الاذنين تحسبه * موكلا باستراق السمع عن زحل
ركبت منه مطاليل تسيربه * كواكب تلحق المحمول بالحمل
اذا رميت سهامى فوق صهوته * مرت بهاديه وانحطت عن الكفل

قلت الثانى من الاول والرابع من الثانى فى غاية الحسن وهما من المبالغات المليحة وما احسن ما أنشدنيه لنفسه من لفظه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

وردمع العرب منسوب فلا قطعت * أيدى الحوادث من انسابه شجره
اذا امتطى ظهره رامى السهام مضى * والسهم حذوا فلولا سبقه نقره
عجبت حين يسمى سابحا وله * وثب لو البحر ارسى دونه طفره
فتعاه فى هضبات الحزن صاعدة * أولا فصاعقة فى السهل منحدره
لما ترفع عن ند يسابقه * أضحى يسابق فى ميدانه نظره

الى آخر الآية فانصرف حبيش الى أبيه فأخبره بكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وتلا عليه الآية الشريفة فجعل يرددها ويقول ان هذا الرب كريم يأمر بمحاسن الاخلاق وينهى عن مساويها ثم جمع اليه بنى تميم وقام فيهم خطيبا وعمره اذذاك مائة وتسعون سنة وفى ذلك يقول

وان امرأ قد عاش تسعين حجة * الى مائة لم يسأم العيش جاهل

ويروى لخمس فلم يسأم على ان عمره خمس وتسعون سنة وهو الاقرب ثم قال يا بنى تميم لا تحضروا الى سفيه فان السفيه يوهن من فوقه ويثبط من دونه اى يهلكه ولا خير فيمن لا عقل له ان ابنى قد شاهد هذا الرجل الذى ظهر بمكة وشافهه وهو يأمر بمحاسن الاخلاق ويدعو الى توحيد الله عز وجل وخلع الاوثان وقد عرف ذوو الرأى منكم ان الفضل فيما يدعو اليه وان احق الناس بمعاونته لانتم فان كان الذى يدعو اليه حقا فهو لكم وان كان باطلا كنتم احق من كتم وستر وقد سمعت أسقف نجران يذكره ويترجى أن يكون له فسمى ابنه محمدا فكونوا فى أمره أولا ولا تكونوا آخرا وائتوه طائعين قبل أن تأتوه كارهين والله

وأنشدنى

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف بن سليمان بن أبي الحسن الصوفي بدمشق في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة

وأدهم اللون فات البرق وانتظره * فسارت الريح حتى غيبت أثره
فواضع رجله حيث انتهت يده * وواضع يده أنى رمى بصره
شهم تراه يحاكي السهم منطلقا * وماله غرض مستوقف خبره
ويعقر الوحش في البيداء فارسه * وينثني وادعا لم يلتحف غبره

ومما اتفق لي نظمه في فرس أشقر

ياحسنه من أشقر قصرت * عنه بروق الجو في الركض
لاتستطيع الشمس من جريه * ترسم ظلا على الارض

وقال الطغرائي يصف الصبح

وردنا سميرا بين يوم وليلة * وقد علقت بالغرب أيدي الركائب
على حين عرى منكب الشرق جذبه * من الصبح واسترخى عنان الغياهب

ما أحسن هذه الاستعارة في عرى منكب الشرق وفي استرخاء عنان الليل يعني ان الصبح ظهر وانكشف والليل أسرع ذاهبا والاستعارة الاولى من قول ذي الرمة

وقدلاح للسارى الذى كمل السرى * على أخريات الليل فتق مشهر
كمثل الحصان الانبط البطن قائما * تمايل عنه الجل واللون أشقر

فأخذه ابن المعتز فقال

وساق يجعل المنديل منه * مكان حمائل السيف الطوال
غدا والصبح تحت الليل باد * كطرف أشقر ملقى الجلال

ونقله ابن المعتز الى النار فقال

مشهرة لايحجب البخل ضوءها * كأن سيوفا بين عيدانها تجلى
يفرج أغصان الوقود اضطرامها * كما شقت الشقراء عن متنها جلا

والاستعارة الثانية تشبه قول ابن عمار الاندلسي

أدر الزجاجة فالنسيم قد انبرى * والليل قد صرف العنان عن السرى

لكن ابن عمار كنى عن ذهاب الليل بصرف العنان والطغرائي كنى عن ذهابه بارخاء العنان كانه أسرع وولى هاربا واستعمله ابن قلاقس في البرق فقال

نعم هو البرق على الأنعم * فاشق به ان شئت أوفانعم
لاح بأعلى هضبة خافقا * خفق لواء البطل المعلم
وزال عن صهوة طرف الدجا * سقطة جل الفرس الادهم

وقال الطغرائي من أبيات

ونفس بأعقاب الامور بصيرة * لها من طلاع الغيب حاد وقائد
وتأنف ان يشفي الزلال غليلها * اذا هي لم تشتق اليها الموارد

يشير الى قول أبي العلاء المعري مع انه هدم القافية

اذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت * عن الماء فاشتاقت اليها المناهل

ان هذا الذي يدعو اليه لو لم يكن دينا لكان في أخلاق العرب حسنا فأطيعوا أمري فمن سبق فاز ومن تأخر ندم فقام مالك بن نويرة وقال لقد خرف شيخكم فلا تتعرضوا للبلاء فقال أكثم ويل للشجي من الخلي لهفي على أمر لم أدركه ولم يسبقني ثم رحل الى النبي صلى الله عليه وسلم فمات في الطريق وبعث باسلامه مع من أسلم ممن كان معه وذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآية وهي ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله نزلت في أكثم ومن تبعه من أصحابه وقال قوم آخرون خرج مهاجرا ولم يسلم وكان من أفصح خطباء العرب وجمع من كلامه شئ كثير ومما صح من أمثاله على مارواه ابن دريد عن أبي حاتم قوله يابني تميم لا يفوتنكم وعظي ان فاتكم الدهر بي يابني تميم ان مصارع الالباب تحت ظلال الطمع ومن سلك الجدد أمن من العثار ولن يعدم الحسود أن يتعب فكره ولا يجاوز ضرره نفسه. والسكوت عن الاحمق جوابه *ومن أمثاله أشبع جارك وأجع فارك يعني لاتدخر شيأ كله الفار أو يعني بالفار الفضل في الجسد أي

وهو مأخوذ من قول البحتري

لو أن مشتاقا تكلف فوق ما * في وسعه لسعى اليك المنبر

ومن هذا المعنى أخذ المتنبي قوله

لو تعقل الشجر التي قابلتها * مدت محيية اليك الاغصنا

ولكن ديباجة البحتري أحسن وأمكن وأمتن قال ميمون بن هارون رأيت أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المؤرخ يقول كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال لست أقبل الا من قال مثل قول البحتري في المتوكل لو أن مشتاقا البيت فرجعت الى داري وصنعت بيتين وأتيته فقلت قلت فيك أحسن مما قال البحتري فقال هاته فأنشدته

ولو أن برد المصطفى اذ لبسته * يظن لظن البرد أنك صاحبه
وقال وقد أعطيته ولبسته * نعم هذه اعطافه ومناكبه

فقال ارجع الى منزلك وافعل ما آمرك به فرجعت فبعث لي بسبعة آلاف دينار وقال ادخر هذه للحوادث بعدي ولك على الجراية والكفاية مادمت حيا وقال الطغرائي

اني لاذكركم وقد بلغ الظما * مني فاشرق بالزلال البارد
وأقول ليت أحبتي عاينتهم * قبل الممات ولو بيوم واحد

وقال أيضا

مرض النسيم وصح والداء الذي * أشكوه لا يرجى له افراق
وهدا خفوق البرق والقلب الذي * ضمت عليه جوانحي خفاق

وما أحسن قول ابن التعاويذي وأرقه

ارحم ضنى جسد أودى السقام به * أتلفته فيك وانظر في تلافيه
واسأل خيال الشعر عن هم أكابده * ليلى الطويل وعن وجد أعانيه
تصرمت فيك أيامي وقصر عذالي وقلبي المعنى في تماديه

وقال الطغرائي

تالله ما استحسنت من بعد فرقتكم * عيني سواكم ولا استمتعت بالنظر
ان كان في الارض شيء غير كم حسنا * فان حبكم غطى على بصري

وقول أبي الطيب

يقضي على المرء في أيام محنته * حتى يرى حسنا ماليس بالحسن

هذا من قول عباس بن الاحنف فيما أظن

قالت وابثثتها سري فبحت به * قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها * غطى هواك وما ألقى على بصري

وما أحسن ما ضمنه مجير الدين محمد بن تميم وسيأتي

لما رحلتم بقلبي في حمولكم * فظلت حيران بين الهم والفكر
سلطت دمعي على عيني وقبلكم * قد كنت أشفق من دمعي على بصري

وقال الطغرائي

خبروها أني مرضت فقالت * أضنى طارفا شكي أم تليدا

لا تسمن وجارك جائع * ومن امثاله أيضا لا تهرف بما لا تعرف * وسئل ما الحزم فقال سوء الظن بالناس وأقواله كثيرة وقلما عرف له نظم

(وانك راسلتني مستهديا من صلاتي ما صفرت منه أيدي أمثالك)

(الصلة) قرب الشيء وبلوغه ويستعمل في الأعيان والمعاني ومنه سميت العطية صلة وقيل فلان متصل بفلان اذا كانت بينهما مناسبة أو مصاهرة والصلة ههنا تحتمل الوجهين اما المودة وتقوم مقام العطاء أو القرب وتقوم مقام الاتصال (وصفر) الاناء اذا خلا حتى يسمع له صفير لخلوه ثم صار متعارفا في كل خال من الآنية وغيرها ويقال صفرت اليد اذا خلت وسمي خلو العروق من الغذاء صفرا وكانت العرب تزعم أن ذلك حية في البطن تسمى الصفر حتى جاء في الحديث لا صفر والمعنى انك تتعرض من صلاتي لما تخلو منه يد مراد لك (متصديا من خلتي لما قرعت دونه أنوف أشكالك)

(التصدي) المقابلة مأخوذ من مقابلة الصدى أي الصوت الراجع من الجبل (والخلة) المودة اما لانها تتخلل النفس أي تتوسطها

وأشاروا بان تعود وسادى * فابت وهى تشتهى ان تعودا
وأتتنى فى خيفة وهى تشكو * ألم الوجد والمزار البعيدا
و رأتنى كذا فلم تتمالك * ان أمالت على عطفا وجيدا

(قلت) هذه الابيات يرشفها السمع مداما ويفضلها السامع على العقود نظاما ويظن الناظر الفاتها غصونا والهمزات عليها حماما وما أحسن قول الاستاذ شمس الدين بن العفيف فى الزيارة

ومليح كالبدر زار بليل * فلاحسنه الدجا اذ تجلى
مادرى منزلى ولكن قلبى * بلهيب الجوى هداه وولى
وعجيب منه فقيه ذكى * بمحل النزاع كيف استدلا

وفى قوله بمحل النزاع مساحة يسيرة تغتفر لما فيها من التورية وأما العيادة فيعجبنى فيها قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

مرضت لله قوم * ما فيهم من جفانى
عادوا وعادوا وعادوا * على اختلاف المعانى

وقد أنشدتها الجماعة من العصريين فلم يفسروا كيفية اختلاف المعانى فى عادوا بل الفاضل منهم يقول الاول من العيادة والثانى من العود قلت والثالث من قولهم اللهم عد علينا بفضلك ونقلت من خط السراج الوراق له أيضا

قال صديقى ولم يعدنى * وعارض السقم فى أثر
لقد تغيرت يا صديقى * ويعلم الله من تغير

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ومملولة فى الحب لما ان رأت * أثر السقام بعظمى المهتاض
قالت تغير نا فقلت لها نعم * أنا بالسقام وأنت بالاعراض

والثانى بديع وفى الاول نظر من وجهين (وقال) ناصر الدين بن النقيب الفقيسى رحمه الله تعالى

سمعت بما تشكو وما أنت واجد * فظلت دموع العين فى الخد تسفح
وارسلت خطى فى العيادة نائبا * وما كل خط للزيارة يصلح

وقال الطغرائى فى البان

غصون الخلاف اكتست فانبرت * لها الطير دراسة شجوها
مقدمة لورود الربيـــــع تشخص أبصار نا نحوها
أحست برحلة فصل الشتا * فجاءت وقد قلبت فروها

(قلت) لابد من المساحة فى هذا الثالث وقد قلده الآخر فقال

قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قليل نشتكى الحرّا
اماترى البان بأغصانه * قد قلب الفرو الى برا

وأسلم منهما قول القائل

أوماترى البان الذى يزهو على * كل الغصون بقده المياس

فانّ الخلال الفرجة بين الشيئين وأما الفرط الحاجة اليها ويقال خاللته مخالة فهو خليل وسمى الله تعالى نبيه ابراهيم خليلا لافتقاره الى ربه تعالى (والقرع) صوت ضرب شئ على شئ والمعنى انك تخطب من مودتى مالا يصلح له أمثالك واشكالك فدفعوا عنه وضربت أنوفهم دونه اما حقيقة أو مجاز الكون أنهم ردوا فحصل لهم من الهوان ما يحصل لمن يضرب أنفه وخص الانف بالضرب لانه محل الشمم والكبر مع ان المثل للعرب يخاطب به الخاطب الكفؤ فيقول هو الفحل لا يقرع أنفه والاصل فى الابل اذا ضرب وجهه عن الناقة التى لا يريدون نتاجها منه وتمثل به أبو سفيان ابن حرب حين بلغه زواج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته أم حبيبة فقال ذاك الفحل لا يقرع أنفه

*(مرسل لاخليلتك مرتاده * مستعمل لاعشيقتك قواده)*
(خليلتك) صاحبة مودتك أو حليلتك زوجتك وفى كلا المعنيين ذم للمرسل لان الخليلة أو الحليلة التى هى محل الغيرة على الرجل لا تغار على مثله حتى تمشى بينه وبين النساء (والمرتاد) طالب الكلا وسمى به الطالب مطلقا

وافى بشير ابالربيع وقربه * يختال فى السنجاب والبرطاس

وما أحلى قول محيي الدين بن قرناص

والبان مذولى الشتا * أقبل فى زى عجب

يخلع سنجابا من السفر ويبدو فى غبب

قلت تشبيه البان بالسنجاب والبرطاس واقع فى موضعه (حكى) أن شهاب الدين أبا حاجلك كتب ورقة الى بعض الحكام يسأله فيها شيئا فوقع له برطلين من خبز فتوجه الى بستان للنعا كم و كتب على حائطه رحمه الله تعالى

لله بستان حللنا دوحه * فى جنة قد فتحت أبوابها

والبان تحسبه سنانيرا رأت * قاضى القضاة فنفشت أذنابها

قيل ان الشيخ بدر الدين بن مالك املى عليهما كراسة فى البديع ولم ارها وقال الطغرائى فى الشمعة من ابيات

تحيي بما يفنى به من جسمه * فحياته مرهونة بفنائه

ساويته فى لونه ونحوله * وفضلته فى بؤسه وشقائه

هب انه مثلى بحرقة قلبه * وسهاده طول الدجا و بكائه

أفوادع طول النهار رفه * كمعذب بصباحه ومسائه

وما تركت قصيدة الارجانى الهائية التى له فى الشمعة وأسار فيه شاعر ولا بيتا فى غيرها بعد من البديع النادر بل أخذت بمسامع الحسن وفاقت على التقاول الالسن ولشهرتها لم أثبتها هنا وقال الطغرائى فيها أيضا من أبيات

اعدى اليه لظى فؤادى فالتقى * نارا تحدث عن لظى برحائه

أمعذب والنار فى عذباته * كمعذب والنار فى احشائه

وما أحلى قول مجير الدين محمد بن تميم وقد اجتاز ليلة بدار صاحب له ومعه شمعة وقد طفئت فأوقدها من داره ومن خطه نقلت

لما أزرتك شمعتى لتنيرها * جاءت تحدث عن سراجك بالعجب

وافته حاسرة فقبل رأسها * وأعادها تحوى بتاج من ذهب

وله فى مليح فى يده شمعة

عجبا له أنى يزور بشمعة * وضياؤه يثنى الظلام نهارا

واظنها لما تلهب قلبها * حسدا أسالت دمعها مدرارا

وغدت لفرط الغيظ تعطى كل من * وافى ليقطع رأسها دينارا

وما احسن قول القائل

وباكية من غير حزن بأدمع * تذوب بها احشاؤها حين تهمل

دموع اذا اردت اليها بكت بها * ولم أر دمعا غيره رد فى المقل

وقول الآخر

اذا مرضت طال منها اللسان * ومد المداوى اليها يدا

ويقطف من رأسها الجلنار * فيرجع اهليلجا اسودا

وأصل الرود التردد فى طلب الشئ برفق وباعتبار الرفق قيل رادت المرأة فى مشيتها فهى رود (وقاد) الشئ فانقاد له أى خضع وقود شدد للكثرة واستعمل فيمن يجمع بين الشخصين حراما لانه أصعب للانقياد وكانت القوادة فى العرب تكنى أم حكيم ولما قال ابن أبى ربيعة فى وصف القوادة

فأتتها طبة عارفة

تخلط الجد مرارا باللعب

تغلظ القول اذا لانت لها

وتراخى عند ثوران الغضب

قال له ابن أبى عتيق يا ابن أخى ان الناس يحتاجون الى خليفة مثل قوادتك لسوسهم ومنه كان يقال فى المثل أقود من ظلمة قيل انها امرأة كانت تقول اذا مت فأحرقونى وتربوا برمادى الكتب المرسلة بين المتعاشقين فانهم يجتمعون وقيل انها الظلمة من الليل فانها تستر وتعين على الاجتماع وأنشد بعضهم

فالشمس نمامة والليل قواد

(كاذبا نفسك انك ستنزل عنها الى وتخلف بعدها على) يعنى انك وعدت نفسك أن تترك الاتصال بهذه المرأة التى هى خليلتك وتتعوض عنها بحصولى وهذا أمر لا يقع فأنت كاذب نفسك فى الوعد أو وعدت هذه المرأة التى

وقال الطغرائي من ابيات في الروض والنهر

يشقها في وسطها جدول * مياهه العذبة مثلوجه

له سواق طفحت والتوت * تلوى الحيات مشجوجه

فهي رماح أشرعت نحوها * تطعنها سلكى ومخلوجه

(قلت) عجز البيت الثالث صدر بيت امرئ القيس وهو

نطعنهم سلكى ومخلوجة * كركر الامين على نابل

السلكى الطعنة المستقيمة التي تكون حيال الوجه والمخلوجة التي تأتي عن اليمين وعن الشمال

وقال ابن حمديس الصقلي وأحسن

ومطرد الاجزاء تصقل متنه * صبا أعلنت للعين ما في ضميره

جريح بأطراف الحصا كلما جرى * عليه شكى أوجاعه بخريره

كأن حبابا ريع تحت حبابه * فاقبل يلقى نفسه في غديره

وقال الطغرائي يصف كوكب الرجم

وليل ترى الشهب منقضة * بها نحو مسترق سمعه

كما مد من ذهب مدة * على لازوردية الرقعه

وما أحسن قول بعضهم فيه

وكوكب أبصر العفريت مسترقا * للسمع فانقض يذكي اثره لهبه

كفارس حل من تيه عمامته * وجرها كلها من خلفه عذبه

وقال الطغرائي يصف الهلال والثريا

وترى الثريا والهلال مظاهرا * لمنسبر من حليه ومجعد

كالحب فضل في وشاح خريدة * حسناء تطلع في اثام أسود

فكأنه وكأنها في جنبه * عنقودة في زورق من عسجد

(قلت) وقول ابن طباطبا العلوي أحسن ما قيل في هذا الباب

أما والثريا والهلال جلتهما * لي الشمس اذ ودعت كرها نهارها

كأسماء اذ زارت عشاء وغادرت * دلالا لديناقرطها وسوارها

وتشبيه ابن المعتز أكمل من ثالث الطغرائي حيث قال

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد

يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لاكل عنقود

وقال ابن المعتز أيضا

زارني والدجا أحم الحواشي * والثريا في الغرب كالعنقود

وهلال السماء طوق عروس * بات يجلي على غلائل سود

وشبههما ابن قلاقس تشبيها حسنا فقال

يارب ليل أشتهي لباسه * قد عطر الوصل لنا أنفاسه

دع امرأ القيس ودع أمراسه * فيرى الهلال سوعة قد قاسه

منكسا نحو الثريا راسه * هل تعرف العرجون والكباسه

هي عندك بمنزلة نفسك في الوعد انك اذا ظفرت في تركتها وأطلقت سراحها لرغبتها في البعد عنك فهي تسعى في هذا الامر سعي المجتهد وهذا أمر لا يتم فقد كذبتها فيما وعدت (والخلف) ما جاء بعد الشيء ومنه سمي الخليفة ويقال بالتحريك للمدح مثل خلف صالح وبالسكون للذم كجلد الاجرب

(ولست بأول ذي همة دعته لما ليس بالنائل)

هذا البيت للمتنبي وحسن التمثيل به ههنا لمطابقة المعنى في طلب ما لا يوجد لاسيما ان كان التصحيف أريد بلام النائل فان ذلك في هذا الموضع يكون عجبا وكثيرا ما يعتمد أهل الظرف شبيه ذلك في مكاتباتهم * وحيث أفضى القول الى ذكر المتنبي فلا بأس بذكر نبذة من أخباره فاما أشعاره فقد ملأت الاقطار لكني أقتصر منها على ذكر القصيدة التي منها هذا البيت وكذلك اعتمد في كل ما يمر من شعره في هذه الرسالة وهو أحمد بن محمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي ويكنى أبا الطيب ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلثمائة وقيل ان أباه كان يسمى عبدان وهو رجل يسقي الماء على جمل له بالكوفة ونشأ أبو الطيب

ولمحمد بن الخياط الدمشقي في تشبيه الهلال قريبا من كوكبين

لاح الهلال كما تعوج رهفا * والكوكبان فأعجبا بل أطرفا

متتابعين تتابع الكعبين في * رمح أقيم الصدر منه وثقفا

فكأنه وقد استقاما فوقه * كف بنا ألف أكرتين تلقفا

ولآخر في تشبيهه مع الزهرة

أما رأيت الافق لما غدا * هلاله ملتقم الزهره

كعاشق قبل معشوقة * فالتقمت من فمه دره

ولآخر في تشبيهه مع انقضاض النجوم

كأنما الليل والهلال وقد * وافت نجوم السماء منقضه

رام من الزنج قوسه ذهب * تقذف منه بنادق الفضه

(أنشدني) من لفظه لنفسه الشهاب أبو الثناء محمود بدمشق سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة في تشبيه الثريا والهلال والدارة

كأن الثريا والهلال ودارة * حوته وقد زان الثريا التئامها

حباب طفا من حول زورق فضة * بكف فتاة طاف بالراح جامها

وقال الطغرائي في تقابل الشمس والقمر

وكأنما الشمس المنيرة اذ بدت * والبدر يجنح للغروب وما غرب

متحاربان لذا مجن صاغه * من فضة ولذا مجن من ذهب

(قلت) وقال الشريف دفترخوان

تأمل اذا ما قابل البدر شمسه * صباحا وكل يملأ الافق أنوارا

كأن الذي ألقى الى الغرب درهما * لحاجته ألقى الى الشرق دينارا

وقال الطغرائي في الهلال

قوموا الى لذاتكم يا نيام * ونبهوا العود وصفوا المدام

هذا هلال الفطر قد جاءنا * بمنجل يحصد شهر الصيام

(قلت) وأحسن منه قول ابن المعتز

انظر الى حسن هلال بدا * يهتك من أنواره الحندسا

كمنجل قد صيغ من عسجد * يحصد من زهر الدجا نرجسا

ومن أحسن ما قيل في وصف الهلال قول علاء الدين النابلسي

هلال شوال ما زالت مطالعه * يرنو اليها الورى من شدة الفرح

كاصبعي كف ندمان أشار الى * ساق لطيف يروم الاخذ للقدح

وقول أبي الحسين الجزار

ان هلال الفطر لما بدا * مستحسنا في أعين الناس

وددت ان ألثمه عندما * راح يحاكي شفة الكاس

وقول ناصر الدين حسن بن النقيب

أعملت فكري في السماء وقد بدا * فيها هلال جسمه منهوك

مشتغلا بالادب راغبا فيه مع فقره واحتياجه وكان من أذكى الناس وأسرعهم حفظا (حكى) انه جلس يوما بالوراقين في أيام صباه فاستعرض من أحد الدلالين دفترا فيه أكثر من عشرين ورقة فأطال تأمله الى أن قال له الدلال ان كنت تريد شراءه فعجل الثمن وان كنت تريد حفظه فهذا يكون في شهر فقال ان كنت حفظته آخذه بغير ثمن قال نعم فشرع يسرده عليه حفظا الى أن أتمه ووضعه في كمه وانصرف ثم نظم الشعر واسترزق به وطاف البلاد وكان يقنع من الجائزة بأيسر شيء ثم نزل باللاذقية على معاذ بن اسمعيل فأكرمه وأحسن اليه وأقام عنده مدة ثم خرج الى بادية السماوة فنزل بقوم من بني عبس فتنبأ وعمل أسجاعا كثيرة وتبعه قوم منهم وكان سبب ذلك وقائع نادرة منها أن قوما قالوا له ان ههنا ناقة صعبة فان ركبتها علمنا انك مرسل فتحيل يوما الى أن ركبها فنفرت ساعة ثم سكنت وورد الحي وهو راكبها ومنها انه كان مستخفيا في راح ليلة هو ورجل فنبح عليهما كلب فلما ذهبا قال للرجل انك ستجد الكلب ميتا اذا رجعت فوجده كذلك وقيل كان يعرف نوعا من

فكأنما هي شقة ممدودة * وكأنه من فوقها مكوك

وقلت أنا وفيه تشبيهان باستعارتين

حكى هلال الافق لما مضت * له ثلاث واعتلى واستنار
مرآة خد بعضها ظاهر * والبعض منها في غلاف العذار

وقد جمع بعض الافاضل في وصف الهلال ما يقارب السبعين وأنا أذكر الآن هنا ما يمكن من تشبيهه ولم أذكر الشاهد عليه خوفا من الاطالة فأقول المقدم على ذلك كله تشبيه القرآن العظيم بالعرجون وشبه بحاجب النسوي الشائب وبقلامة الظفر وبضلع ملقاة في فلاة وبالصدع في الزجاج وبالزورق وبحرف النون وبشفرة السكين وبالنؤى وبالسرج وبمخلب الطائر وبناب الفيل وبالخلخال وبالسوار وبالدملج وبطوق عروس وبوقف من عاج وبالقوس وبلحية انتقيت وبأثر الظفر في تفاحة وبزباني عقرب من فضة وبمقبضي سرطان من ذهب وبراكع منحن وبخشكنانة وبعين المليحة وبقراضة دينار وبالفخ وبالمنجل وبطرف الصدغ وبالمكوك وبشقة الكاس وبوجه مسافر رفع العمامة عن جبينه وبجانب مرآة انكشف عنها الغلاف وباكليل ملك وبأثر الحافر وبنعل الحافر وبالعذار الشائب وبالسنان المنعطف وبعطفة اللام وبصولجان وبطيلسان مقور وبنصف زردة وقد ذكرت الشواهد على هذه التشبيهات في مقتضب لي مسمى بالتنبيه على التشبيه وقال الطغرائي رحمه الله

سأحجب عني أسرتي عند عسرتي * وأبرز فيهم ان أصبت ثراه
ولي أسوة بالبدر ينفق نوره * فيخفى الى أن يستجد ضياه

(قلت) أخذه من قول أبي بكر الخوارزمي

رأيتك ان أيسرت خيمت عندنا * لزاما وان أعسرت زرت لماما
فما أنت الا البدر ان قل نوره * أغب وان زاد الضياء أقاما

والاصل في هذا المعنى قول عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب حيث قال

اذا افتقرت نفسي قصرت افتقارها * عليها فلم يظهر لها أبدا فقري
وان ألتقي في الدهر مندوحة الغنى * يكن لأخلائي التوسع في العسر
فلا العسر يزري بي اذا هو نالني * ولا اليسر يوما ان ظفرت به فخري

على ان الخوارزمي أخذ المعنى من قول ابراهيم بن العباس الصولي في محمد بن عبد الملك الزيات

أسد ضار اذا ما نعته * وأب بر اذا ما قدرا
يعرف الأبعد ان أثرى ولا * يعرف الادنى اذا ما افتقرا

ولكن الخوارزمي أراد ان يضرب لهذه الحالة مثالا في الخارج فلم يجده الا في القمر فزاد ذلك حسنا وعكس الوراق الخطيري هذا المعنى أعني قول الطغرائي فقال

قد كان يجمع صحبه في فقره * فتفرقوا عنه اطول ثرائه
مثل الهلال ترى الكواكب حوله * فاذا استتم تغيبوا لضيائه

(الكلام فيما يتعلق بالقصيدة من العروض والقافية) العروض مؤنثة لانها مشتقة اما من الناحية والمراد بذلك الناحية التي قصدتها العرب قال الاخنس بن شهاب

الامحر يسمى صدحة المطر وذلك ان الشخص يدير حوله بعصا ويذكر كلاما فيصرف عن موضعه المطر وذكر أن كثيرا من العرب باليمن من أهل حضرموت والسكون يعرفون هذه الصدحة حتى ان أحدهم يصدح عن ابله وبقره وعن القرية من القرى فلا يصيبها من المطر قطرة ومما يدل على ان المتنبي كان من السكون قوله

أمنسي السكون وحضرموتا * ووالدتي وكندة والسبيعا

مع انه كان يخفي نسبه فاذا سئل عنه قال أنا رجل أخبط القبائل ولا آمن أن يكون لاحد ثأر في قبيلتي فيقتلني ثم ان بعض الولاة ظفر بالمتنبي وحبسه فتاب ورجع عما ادعاه من النبوة وقيل له يوما على من تنبأت قال على السفلة قيل ان لكل نبي معجزة فما معجزتك قال قولي

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

ثم تقلبت به الاحوال ووصل الى سيف الدولة علي بن حمدان بحلب فأقبل عليه وحظته السعادة واشتهر ذكره في الآفاق ورزق من الحظ والنعمة والسعة ما لا مزيد عليه ثم اتفق بينه وبين ابن خالويه كلام بحضرة سيف

لكل اناس من معد عمارة * عروض اليها يلجؤن وجانب

واما من قولهم ناقة عروض أى صعبة والمراد بذلك انها راض بها الصعب حتى يدخل الوزن وهذا أحسن من قول من قال مأخوذ من العرض لان الشعر يعرض على هذه الاوزان فما وافق كان صحيحا وما خالف كان سقيما اذ الصحيح انه معروض عليه اللهم الا أن يقال مفعول بمعنى فعول وليس بشئ وعلى هذا تكون العروض مذكرة واما من العروض أى الطريق التى فى الجبل والمراد الطريقة المسلوكة التى تسلكها العرب وقيل لما شبهوا البيت من الشعر ببيت من الشعر شبهوا العروض التى تقيم وزنه بالعروض وهى الخشبة المعترضة فى سقف البيت كما شبهوا الاسباب بالاسباب والاوتاد بالاوتاد والفواصل بالفواصل والعروض اسم لآخر الجزء الذى هو نصف البيت الاول وانما سمى عروضا لكثرة دوره كما سمى علم المواريث فرائض لكثرة قولهم فرض الزوج كذا فرض الام كذا وأما حد علم العروض اصطلاحا فانه علم بمعرفة أوزان شعر العرب وقال الجاحظ العروض ميزان الشعر ومعياره وبه يعرف الصحيح من السقيم والمعتل من السليم وعليه مدار القريض من الشعر وبه يسلم من الاود والكسر (قلت) هذا أليق بالوصف من الحد وقال الجوهرى العروض ميزان الشعر وهى ترجمة عن ذوق الطباع السليمة وقال على بن عبد الرحمن علم يدرك به معرفة ما تعتقده العرب من كلامهم شعرا وأقول انا العروض آلة قانونية تعصم مراعاتها الانسان من ان يضل فى وزن شعر العرب وهذا الاحتراز الاخير أتيت به لان اللغة اليونانية فيها شعر ولهذا نسمعهم يقولون سولون الشاعر وقال أرسطو حكيم اليونان و خطيبهم وشاعرهم وليس الشعر عندهم ما يكون ذا وزن وقافية ولا ذلك ركن فيه بل الركن فى ذلك ايراد المقدمات المخيلة فحسب فان كانت المقدمة التى ترد فى القياس الشعرى مخيلة فقط تمحض القياس شعريا وان انضم الى المقدمة قول اقناعى تركبت المقدمة من معنيين شعرى واقناعى قال أرباب المنطق القياس الشعرى قول مؤلف من مقدمات مخيلة تؤثر فى النفس تأثيرا عجيبا من قبض أو بسط كقول القائل مع البيضة عذرة والخمر ياقوت سيال فالاول يؤثر فى النفس انقباضا والثانى انبساطا (وذكر) لى العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى ان الشعر اليونانى له وزن مخصوص ولليونان عروض لبحور الشعر والتفاعيل عندهم تسمى الايدى والارجل قال ولا يبعد أن يكون وصل الى الخليل بن أحمد شئ من ذلك فأعانه على ابراز العروض الى الوجود انتهى والحاجة ماسة وداعية الى معرفة الوزن وما يجوز من الزحاف فى كل بحر وما لا يجوز فقد وقع فى ذلك جماعة من كبار العرب كالمرقش ومهلهل وعلقمة بن عبدة وعبيد بن الابرص وغيرهم وجماعة من كبار المحدثين كأبى العتاهية والبحترى وأبى الطيب وحسبك بوقوع مثل هؤلاء الفحول فى الخروج عن الوزن واذا اتفق مثل هذا لمثل هؤلاء فما الظن بغيرهم وقال قوم لا حاجة الى العروض لان كل من نظم بالعروض شق ذلك عليه وأتى به متكلفا ولا يتأتى له وزن البيت الواحد بل الكلمة الواحدة يدخلها الوزن وينظر فى حركاتها وسكناتها وهل هى من سببين وفاصلة صغرى أولا الى غير ذلك من التفصيل الا بعد مكابدة مشقة عظيمة والى أن ينظم الناظم بالعروض بيتا نظم صاحب الطبع السليم قصيدة وما أحسن قول أبى فراس ابن حمدان

الدولة فضربه ابن خالويه بمفتاح فخرج غضبان ورحل الى مصر فاتصل بمتوليها كافور الاخشيدى فطمع منه بالولايات فلم يتهيأ له ذلك ورحل فى البرية الى العراق فاقام بها أياما وسئل عن ذلك فقال ان بنى حمدان كدروا خاطرى فخبثت أريحيته ويقال ان هذا من الكلام الموجه فى مدح الجهتين وذمهما ثم رحل الى العجم فمدح عضد الدولة وابن العميد وكسب أموالا جزيلة ورجع فقتل فى الطريق سنة أربع وخمسين وثلثمائة وكان رحمه الله قد انفرد بخصال منها الكبر الزائد كما ذكره الحاتمى وغيره وكما أحوجه الى فراق سيف الدولة * ومنها البخل حتى حكى انه أجيز على قصيدة بعشرة آلاف درهم فوزنها ووضعها فى كيس وختمه ورفعه الى صندوق فى خزانته ثم رجع الى مجلسه فوجد بين الحصير قطعة تكون مقدار ربع درهم فعالجها بأظافيره وهو ينشد قول ابن الخطيم

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة
بدا حاجب منها وضنت بحاجب

الى أن أخذها فأعاد الكيس ووضعها فيه بحضرة جماعة يعرف أنهم يذمونه بذلك * ومنها اقبال الناس على

تناهض الناس للمعالي * لما رأوا نحوها نهوضي
تكلفوا المكرمات كدًا * تكلف النظم بالعروض

وقول ابن حجاج

مستفعلن فاعلن فعول * مسائل كلها فضول
قد كان شعر الورى صحيحا * من قبل أن يخلق الخليل

(قلت) هذا الوزن يعرف بمخلع البسيط ولابد للباغي من مصرع فان ابن الحجاج بغى على الخليل فاورده بغيه مصرعا فظيعا واوقعه الله في زحاف هذا الوزن بعينه لانه قال أول قصيدته البائية

النيك عندي أحلى وأطيب * من عنب أصفر مزبب

فان وزنه مستفعلن فاعلن فعولن فهو كما ترى غير فاعلن بفعولن فزاد سببا خفيفا في قوله عندي أحلى وقال ابن نقادة يهجو

أعبيد من سماك انسا كاذب * ما الوحاشة عن خلالك معدل
وأقمت ميزان العروض وقد غدا * تقطيع كاملها بوصفك يكمل
مستصفع مستقود مستجهل * مستحمق مستبرد مستثقل
مستفعلن مستفعلن مستفعلن * مستفعلن مستفعلن مستفعل

ولقائل ان يورد على العروض ما أورد على المنطق وعلم المعاني فيقول ان كان هذا العلم من النظريات فليستغن عن تعلمه والا افتقر الى علم آخر ودار أو تسلسل ولان اصابة الانسان في الاتيان بما ينظمه من بحور الشعر على اختلاف أوزانها من غير مراعاة هذا العلم تنفي الحاجة اليه وقال الجاحظ العروض علم مستبرد ومذهب مرفوض وكلام مجهول يستكد العقول بمستفعلن ومفعول من غير فائدة ولا محصول (يحكى) ان أبا جعفر أحمد بن النحاس المصري النحوي كان جالسا على درج المقياس في سنة لم يزد فيها النيل والناس من أمره في شدة وهو اذ ذاك يقطع في بيت شعر فربه اثنان فسمعاه يتكلم بكلام غير معقول المعنى فتوهما فيه انه يسحر النيل فدفعاه الى البحر فغرق (ويحكى) ان بعض الاكابر مر بامرأة من بعض احياء العرب فقال لها ممن المرأة قالت من بني فلان فأراد العبث بها فقال لها أتكتنون فقالت نعم نكتني فقال لها معاذ الله ولو فعلته لاغتسلت فاجابته على الفور وقالت له دع ذا أتعرف العروض قال نعم قالت قطع لي قول الشاعر

حولوا عنا كنيستكم * يا بني حمالة الحطب

فلما اخذ يقطعه وقال حولوا عن ناكني فقالت من هو فتعجب وقال الله أكبر ان للباغي مصرعا وقد روى صاحب العقد وغيره هذه الحكاية واختلفوا فيها وزادوا بيتا آخر والذي اعتقده انها موضوعة وعلى الجملة فلا باس بمعرفة ما أمكن من العروض وأحسن ما فيه معرفة فك الدوائر وبمعرفة ذلك يعرف قدر واضعه الذي استنبطه فانه كان ذا ذهن متوقد وعقل صحيح وفطرة سليمة قيل انه قال أريد ان أضع قاعدة في الحساب اذا توجهت الجارية بها الى البقال ومعها درهم لا يكاد يظلمها في فلس واحد ثم أخذ يفكر فيها وهو في المسجد ذاهبا وراجعا فبيناهو مشغول عن نفسه لاطمته السارية فمات منها (ومن فوائد) علم العروض فصل

شعره واشتغالهم به حتى ترك شعر غيره ووضع لشعره أكثر من أربعين تصنيفا وكان اذا سئل عن معنى من قوله قال اذهبوا الى ابن جني فانه يقول لكم ما أردته وما لا أردته * ومنها معرفته بلغة العرب وحوشيها حتى حكى أن أبا علي الفارسي الداريني قال له يوما كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال حجلى وظربى قال أبو علي فطالعت الكتب ثلاث ليال على اني أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجده وكان يرمى بفساد عقيدته استخرج ذلك من شعره مثل قوله على مذهب السوفسطائية

هون على بصر ماشق منظره
فانما يقظات العين كالحلم

وقوله على مذهب القائلين بالنفس الناطقة

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم
الا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تسلم نفس المرء باقية
وقيل تشرك جسم المرء في العطب

وقوله على مذهب الهوائية وأصحاب القضاء

تحول أيدينا بأرواحنا
على زمان هن من كسبه
وهذه الارواح من جوه
وهذه الاجسام من تربه

وغير ذلك من المنكرات

القصيدة فيما يتنازع فيه هل هو شعر عربي أم لا وقد رأيت للشيخ جمال الدين بن واصل كلاما على قول البهاء زهير

يا من لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل

الابيات فقال فيها انها غير داخلة في أبحر العروض وتابعه جماعة والصحيح أنها من بحر الوافر الا أنه دخل فيه العقص وهو اجتماع الخرم بالراء والعصب فيخلفه مفعول بتحريك اللام وشاهده

لولا ملك رؤف رحيم * تداركني برحمته هلكت

تقطيع بيت البهاء زهير وتفعيله

يا من لـ عبت به شـمول * ما ألطاف هـذه الشمائـل

مفـعول مفاعلن فعولن * مفـعول مفاعلن فعولن

ورأيت قصيدة أظنها لابي الحسين الجزار ومطلعها

يا عاذلي هجر المحبوب أو وصلا * أنا الذي لا أرى في حبه بدلا

هذا البيت من البسيط ويخرج منه وزن آخر من المديد وهو

هجر المحبوب أو وصلا * لا أرى في حبه بدلا

وأما عروض قصيدة الطغرائي هذه فانها من الضرب الاول من البسيط والبسيط نفسه مركب من مستفعلن فاعلن أربع مرات وعروضه الاولى مخبونة والضرب مثلها ولم يأت عن العرب سالما لا العروض ولا الضرب ولا يحسن ذوقهما في السمع الا مخبونين وهو أمر غير معقول المعنى والخبن هو حذف الثاني الساكن فيرجع مستفعلن الى مفاعلن وفاعلن الى فعلن وانما سمي البسيط بسيطا لانبساط السببين على الوتد في أول جزء وهو مستفعلن لانها مركبة من سببين خفيفين ووتد مجموع وقيل لانه بسطت أسبابه من أسباب الطويل لانه فك منه فان عيلن مفاه ومستفعلن وقيل لانه كانت عروضه فاعلن وضربه كذلك فصارا فعلن فانبسطت الحركات في قاعدتيه لان الالف كانت فاصلة ومانعة من انبساط الاولى الى الثانية فهو فعيل بمعنى مفعول وهذا أحسن ما علل به والبيت مقفى لانه في العروض بحرف الروي وهو اللام استعجالا لبيان القافية للسامع ثم في التقفية لم يلتزم ذلك وليس بمصرع لان من شرط التصريع تغيير العروض من زنتها الى زنة الضرب وههنا لم يتغير العروض وزن والتصريع أخص من التقفية لان كل مصرع مقفى من غير عكس (ذكرت) هذا لغزا أنشدنيه بعض الاصحاب لشمس الدين بن الصائغ الحنفي

يا عروضيا له فطن * بحرها بالفكر يضطرب

أي اسم وضعه وتد * وهو ان صحفته سبب

ويرى في الوزن فاصلة * ساكن تحريكه عجب

وهذا اللغز ظاهره مشكل اذ الوتد غير السبب والسبب غير الفاصلة عند العروضي واللغز هو في جبل وأراد بالوتد قوله تعالى والجبال أوتادا وهو في تصحيفه حبل وهو السبب لغة ووزنه فاصلة صغرى لان جبلا ثلاثة أحرف متحركة بعدها ساكن وقد جمع مثال السببين والوتدين والفاصلتين في قول القائل لم أر على ظهر جبل سمكة ونقلت من خط السراج الوراق له

ظاهر المحتج فيها باطنا وعلى الجملة فكان كثير المحاسن والحساد وله أشعار لم تدخل في ديوانه مثل قوله

وتركت مدحي للوصي تعمدا * اذ كان نورا مستطيلا شاملا

واذا استطال الشئ قام بنفسه * وصفات نور الشمس تذهب باطلا

وهو شبيه بنفسه ويروى له أيضا نثر لطيف مثل قوله وقد مرض بمصر فعاده بعض أصحابه مرارا ثم انقطع عنه بعد ما شفي وصلتني وصلك الله معتلا وهجرتني بليلا فان رأيت أن لا تحبب العلة الي ولا تكدر الصحة علي فعلت ان شاء الله * فأما القصيدة التي منها البيت المذكور بسببه فانه يمدح بها سيف الدولة بن حمدان ويذكر فيها خلاص بعض أقاربه من الاسر وهزيمة بعض الخوارج عليه أولها

الام طماعية العاذل * ولا رأي في الحب للعاقل

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل

واني لاعشق من عشقكم * نحولي وكل امرئ ناحل

ولو زلتم ثم لم أبككم * بكيت على حبي الزائل

يعني اني أحب الحب لا جلكم أو اني ألفته لطول صحبته فلو زال بكيته

أنا الذي مرضت شهرا كاملا * فما رأيت عائدا ولا صله
لولا الوزير الصاحب البدر الذي * نعماه لي مع الزمان واصله
شارف قلعا وتدي وخاف قطـ * ـع ساببي فقلت هذي الفاصله

ومن شعره أيضا

قالت جمعت لفاقة كسلا * فانهض وقم وادأب لهم العائله
فأجبت هل تدرين لي سببا * قالت ولا وتدا وهذي الفاصله

ونقلت من خطه أيضا له

مالي ونظم الشعر بانت صبوتي * والناس قد رغبوا عن الآداب
أأقوله عبثا بلا سبب له * والشعر مبني على الأسباب

أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

من منصفي من أناس * فيهم تحير ذهني
لادرهما وزنوه * وحاولوا الشعر مني
وهل سمعتم بشعر * يأتي على غير وزن

وما أحسن قول الغزي

قالوا هجرت الشعر قلت لهم نعم * باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى * منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب أنه لا يشترى * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

والبسيط من الدائرة الاولى وهي دائرة المختلف وانما سميت بذلك لاختلاف أجزائها وهذه الدائرة تجمع ثلاثة أبحر وهي الطويل والمديد والبسيط أنشدني بعض الاصحاب لغزا حسنا وهو

يا أيها الحبر الذي * علم العروض به امتزج
أبن لنا دائرة * فيها بسيط وهزج

ثم قال ان العالم العلامة نجم الدين أبا الحسين علي بن داود القحفيري أنشده لبعض الطلبة في حلقته ففكر ساعة طويلة ثم قال هذا في الساقية فقال له الشيخ أصبت الان لك درت فيها زمانا طويلا حتى وقفت على المقصود (قلت) وهذا من الشيخ أحسن من فك اللغز فانه ظرف في التنديد واللغز ظاهره مشكل لانه ليس في دوائر العروض مايجمع البسيط والهزج لان البسيط من دائرة المختلف والهزج من المجتلب وأوهم بالبسيط وهو يريد الماء لانه أحد البسائط وأوهم بالهزج وهو يريد الصوت اللذيذ المسموع من الساقية حال الدوران ومن أبيات المعاياة في العروض قول الشاعر

يا أيها القوم برتني الخطوب * وخيال اذا رجعت يوما يؤوب

فانه يخرج من ثلاثة أبحر الاول من الضرب الثالث من الطويل الان أول النصف الاول مخروم بالراء المهملة أي ناقص حرفا وأول النصف الثاني مخزوم بالزاي المعجمة أي زائد حرفا والثاني من الضرب الاول من المديد الا أنه مخزوم الاول بالزاي أي زائد حرفين ومخزوم أول النصف الثاني بزيادة أربعة أحرف والثالث من الضرب الاول من السريع وذلك اذا سكنت الباء وجعلت القافية مردوفة لكن في أول النصف الثاني خزم بزيادة حرفين ويمكن عليه

كأن الجفون على مقلتي
ثياب شققن على ثاكل
ولو كنت في أسر غير الهوى
ضمنت ضمان أبي وائل

يعني لو أسرني غير الهوى لخلصت منه كما خلص أبو وائل وهو قريب سيف الدولة وكان مأسورا في بني كليب عند الخارجي الذي خرج بهم على سيف الدولة وكان أبو وائل قد ضمن له فداء نفسه بذهب وخيل واستدعى سيف الدولة سر الفرج ومر بهم واستنقذه بغير فداء فذكر أبو الطيب صورة الحال

فدى نفسه بضمان النضار
وأعطى صدور القنا الذابل
ومناهم الخيل مجنوبة
فجئن بكل فتى باسل
فكان خلاص أبي وائل
معاودة القمر الآفل
دعا فسمعت وكم ساكت
على البعد عندك كالقائل

(ومنها)

وجيش امام على ناقة
صحيح الامامة في الباطل
فأقبلن ينحزن قدامه
نوافر كالنحل والعاسل
فلما بدون لاصحابه
رأت أسدها أكلة الآكل
بضرب يعمهم جائر
له فيهم قسمة العادل

يعني بالجور افراطه في قتلهم وبالعدل ثلاثة أوجه أحدها أنهم مستحقون لذلك لخروجهم

أن يخرج أيضا من الضرب الثانى من المديد وتقطيع البيت

أصالة الـ رأى صا نتنى عن الـ خطل * وحلية الـ فضل زا نتنى لدى الـ عطل
مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن * مفاعلن فاعلن مستفعلن فعلن

وأما القافية فانها من المتراكب وأقول القافية لغة تطلق على القصيدة قالت الخنساء

وقافية مثل حد السنا * ن تبقى ويذهب من قالها

واشتقاقها من قفوت أثره اذا تتبعته كأن الشاعر يتتبع الكلام التى تناسب ما بنى قصيدته عليه فحينئذ تكون فاعلة بمعنى مفعولة أى مقفوة كقوله تعالى عيشة راضية أى مرضية وقوله من ماء دافق أى مدفوق أو كأن كل قافية تقفو صدر البيت الاول وما أحسن قول أبى تمام الطائى

وتقفو لى الجدوى بجدوى وانما * يروقك بيت الشعر حين يصرع

والقافية اصطلاحا اختلفوا فيها اختلافا كثيرا وأصح الاقوال ما ذهب اليه الخليل بن أحمد من انها من آخر حرف فى البيت الى أول ساكن يليه مع حركة الحرف الذى قبله لانك ترى هذا القول منتظما لجميع العوارض فى القافية من حروف وحركات تراعى أحكامها ومتى اختل شئ مما شرطه فسدت القافية وانما أنثوا القافية مع كون الحرف أو الروى مذكرا لان حروف المعجم كلها مؤنثة تقول هذه ألف مستقيمة وجيم حسنة والمتراكب من القوافى ما كان فى آخر البيت فاصلة صغرى وهى ثلاث حركات بعدها ساكن وكذلك الخطل الخاء والطاء واللام متحركات والياء ساكنة وسمى هذا النوع متراكبا لتراكب حركاته وهو دون المتكاوس لان التكاوس هو الاضطراب والمتكاوس أربع متحركات والاضطراب أشد من التراكب فالروى فى هذه القصيدة هو اللام لانها الحرف الذى بنيت القصيدة عليه والروى فى اللغة هو الجمع والاتصال والضم ومن ذلك الرواء وهو الحبل الذى يشد به المتاع والاحمال قال الراجز

انى اذا ما القوم كانوا أنجيه * واضطرب القوم اضطراب الارشيه
وشد فوق بعضهم بالارويه * هنالك توصينى ولا توصى بيه

وقيل للماء الكثير روى لاجتماع الناس اليه فكأن هذا الحرف يربط القصيدة ويجمعها والياء التى بعد اللام فى القصيدة هى الوصل وسمى الوصل بذلك لانه وصل حركة المجرى وهى حركة الروى قلت قول الشاعر

يوشك من فر من منيته * فى بعض غراته يوافقها

هذه القافية وأمثالها نهاية ما يمكن أن يجتمع فى قافية وذلك لانه اجتمع فيها خمسة أحرف وهى التأسيس والدخيل والروى والصلة والخروج وكل واحد من هذه يلزم تكراره الا الدخيل واجتمع قبله أربع حركات وهى الرس والاشباع والاطلاق والنفاد فهذه تسعة أشياء اجتمعت فى قافية واحدة كما ترى فالالف فى الكلمة تأسيس وحركة الواو التى قبلها رس والفاء دخيل وحركتها اشباع والقاف روى وحركتها اطلاق ومجرى ان شئت والهاء صلة وحركتها نفاد والالف خروج (ذكرت هنا) ما كتب به بعض أدباء الاندلس الى الفقيه أبى عبد الله المازرى بالمهدية وهو

ربما عالج القوافى رجال * تلتوى تارة لهم وتلين

والثانى انه وقع ذلك لمن بالغ منهم فى القتال والثالث أن الضربة كانت تقسم الفارس نصفين

بنصل يخضب منها اللحى * فتى لا يعيد على الناصل

قال ابن وكيع يعنى أن كل خضاب ينصل الاخضاب هذه القتلى الذى هو الدم فانه لا ينصل فيعيده لانهم فارقوا الحياة وما ينصل غير خضاب اللحى وقال بعضهم وهو وجه بعيد الناصل المضروب بالنصل وهو فاعل بمعنى مفعول كقولك ناقة ضارب وعيشة راضية يريد أنه اذا ضرب انسانا بالنصل لم يبق فيه ما يحتاج الى اعادة ضربه

خذوا ما أتاكم به واعذروا * فان الغنيمة فى العاجل

يعنى أن هذا بدل الفداء يتهكم بهم

وان كان أعجبكم عامكم * فعودوا الى حمص فى قابل
فان الحسام الخضيب الذى * قتلتم به فى يد القاتل

(ومنها)

تركت جماجمهم فى النقا * وما يتحصلن للناخل

(ومنها)

وعدت الى حلب ظافرا * كعود الحلى الى العاطل

(ومنها)

وكم لك من خبر شائع * له شبه الابلق الجائل

طاوعتهم عين وعين وعين * وعصتهم نون ونون ونون

فأبن لى ماطاوعهم وماعصاهم فأجاب طاوعهم العجمة والعى والعجز وعصاهم اللسان والجنان والبيان قلت ماأجاب بشئ ومال عن الجد الى الهزل وماناسب بين الاول والثانى وكان ينبغى أن يقول عوض الثلاثة الاخيرة التى ذكرها النحو والنقل والنظم أو يقول طاوعهم الهلع والجزع والطبع وعصاهم اللسان والجنان والبيان لتكون أوائل الكلمات من القسمين متناسبة وكذلك الاواخر منهما ومثل هذا الجواب ماحكاه ضياء الدين بن الاثير فى المثل السائر بعد ماساق لغزا فى الخلخال وهو

ومضروب بلاجرم * مليح اللون معشوق
له شكل الهلال على * مليح القد ممشوق
وأكثر مايرى أبدا * على الامشاط فى السوق

قال وبلغنى أن بعض الناس سمع هذه الابيات فقال دخلت السوق فلم أر على الامشاط شيأ انتهى قلت ولو قال دخلت فلم أر على الامشاط فى السوق غير الكتان لكان أغرب وقد أوهم بالامشاط التى يرجل بها الشعر وهو يريد أمشاط الاقدام والسوق جمع ساق ومما اتفق لى نظمه فى الخلخال

أياعجبا من صابر صامت ولم * يفه بكلام قط فى ساعة الضرب
أقام ولم يبرح مكانا ثوى به * على أنه أضحى يدور على الكعب

واتفق لى فيه أيضا

ما أصفر دار على أبيض * لان ولكن قلبه قاسى
وربساق غص منه وما * أحسن هذا الوصف فى الناس

(وأما الجواب) عن البيتين المتقدمين فى ذكر القوافى فهو ماوقفت عليه بالقاهرة المعزية بخط الفقيه كمال الدين أبى العباس أحمد بن سليمان بن ابراهيم الطوخى الشافعى صهر الشيخ جمال الدين أبى عمرو بن الحاجب وصورته أنشدنى الشيخ جمال الدين بن الحاجب ماذكره بعض أصحاب التاريخ فى المعميات وذكر البيتين ثم قال كتب هذان البيتان الى حاذق باخراج المعميات فاقام ستة أشهر ينظر فيهما الى أن كشفهما ثم حلف بأيمان مغلظة انه لاينظر فى معمى أبدا ولم يذكر تفسيرهما أصلا قال الشيخ جمال الدين فاضربت عن النظر فيهما لما تبين من عسرهما من سياق الحكاية ثم بعد أربعين سنة خطر الى بالليل ففكرت فيهما فظهر لى أمرهما وانه انما أراد بقوله طاوعتهم عين وعين وعين يعنى نحو يدوغدود لانها عينات مطاوعة فى القوافى مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة وكل واحد منها آخره عين الكلمة لان وزن غد فع ووزن يد فع ووزن دد فع وأراد بقوله وعصتهم نون ونون ونون الحوت لانه يسمى نونا والدواة لانها تسمى نونا والنون أحد حروف الهجاء وكلها نونات غير مطاوعة فى القوافى اذ لايلتئم كل واحد منها مع الآخر ثم انه نظم فى ذلك بيتين وسبك الجواب فيهما على الوزن والقافية فقال

وغد مع يد ددهى حروف * طاوعت فى الروى وهى عيون
ودواة والحوت والنون نونا * ت عصتهم وأمرها مستبين

(ومنها)
فهناك النصر معطيكه
وارضاه سعيك فى الآجل
فذى الدار أخون من مومس
واخدع من كفة الحابل
تفانى الرجال على حبها
ولايحصلون على طائل

(ولاشك انها قلتك اذلم تضن بك وملتك اذلم تعز عليك) يعنى أبغضتك لانها لم تبخل بك على من تحبه دونها (والقلى) شدة البغض يقال قلاه يقليه ويقلوه فمن جعله من الواوى فهو من القلو أى الرمى يقال قلت الناقة براكبها تلوا وقلوت بالقلة فكأن المقلو الذى يقذفه القلب من بغضه فلايقبله ومن جعله من اليائى فمن قليت السويق وغيره على المقلاة وفى الحديث اخبر تقله والهاء للسكت (والضن) البخل بالشئ النفيس ولهذا قيل علق مضنة ومنه قوله تعالى وما هو على الغيب بضنين اى ببخيل على مايوحى اليه وقرئ بظنين أى متهم والامر كذلك على كل من المعنيين (فانها اعذرت فى السفارة لك وماقصرت فى النيابة عنك) يعنى بلغت عذر الاجتهاد لك فى الصلة بينى وبينك يقال اعذر الانسان اذا اتى ماصار

ثم قال ولا يشك عارف بالمعميات انه لم يرد سوى ذلك انتهى وعلى ذكر القافية فنقلت من خط السراج الوراق له

قالت صلني فقد تقيدت في الحب بأسر والاسر في الحب ذل
قال يا من يجيد علم القوافي * لا تغالط ما للمقيد وصل

وقال الاسعد بن مماتي يصف قصيدة مقيدة

تبكي قوافي الشعر لامية * بيضتها جهلا فسودتها
لما علا وسواس ألفاظها * ظننتها جنت فقيدتها

(وقلت) أخاطب أمرد يسرق نظمي

ان كان لابد ولاي أن * يأخذ شعري جملة كافيه
قافية البيت اطرح لفظها * وقم خذ الكل بلا قافيه

(وهذا أول القصيدة قال الطغرائي)

(أصالة الرأي صانتني عن الخطل * وحلية الفضل زانتني لدى العطل)

اللغة (أصالة) مصدر أصل الشيء أصالة مثل ضخم ضخامة ومجد أصيل ذو أصالة ورجل أصيل الرأي محكمه قال ابن الانباري الاصيل القوي الذي له أصل (الرأي) مصدر رأى رأيا مهموز ويجمع على آراء وأرآء أيضا مقلوب منه والرأي هو التفكر في مبادي الامور ونظر عواقبها وعلم ما تؤل اليه من الخطا والصواب وأصحاب الرأي عند الفقهاء هم أصحاب القياس والتاويل كأصحاب أبي حنيفة وأصحاب أبي الحسن الاشعري وروى نوح الجامع انه سمع أبا حنيفة يقول ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وما جاء عن الصحابة اخترنا وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال وقال يحيى القطان لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأى أبي حنيفة وقد أخذنا أكثر أقواله وقال أبو يوسف قال أبو حنيفة علمنا هذا رأى وهو أحسن ما قدرنا عليه فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه وقال ابن حزم جميع الحنفية مجمعون على ان مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأي قلت وقول أبي حنيفة يشبه قول الخليل بن أحمد حيث قال مثلي في النحو كمثل رجل دخل دارا قد صح عنده حكمة بانيها فقال انما كان الايوان هنا لكذا والصفة هنا لكذا فان وافق نية الباني والا فقد أتى بما يقبله العقل والشافعي احتاط لمذهبه فقال اذا صح الحديث فهو مذهبي أو فاضربوا بمذهبي عرض الحائط وبهذا احتج الشيخ محيي الدين النووي وصحح امتداد وقت المغرب الى غيبوبة الشفق قال أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي

عذيري من قوم يقولون كلما * طلبت دليلا هكذا قال مالك
وقد قاله ابن القاسم الثقة الذي * على قصده منهاج الهدى هو سالك
فان عدت قالوا هكذا قال أشهب * وقد كان لا تخفى عليه المسالك

(قال) الشافعي ما رأيت كأهل مصر اتخذوا الجهل علما لانهم سألوا مالكا عن مسائل فقال لهم لا أعلمها فهم لا يتعلمونها ممن يعلمها لان مالكا قال لا أعلمها وأصحاب الرأي والتاويل ضد أصحاب الظاهر كالحنابلة واتباع داود وابن حزم الظاهريين (انشدني) الحافظ المحدث الاديب فتح الدين محمد بن أبي عمرو محمد بن أبي بكر بن محمد بن سيد الناس اليعمري بالقاهرة

به معذورا وأعذر من أنذر (والسفارة) المشي في الصلح وكانها كشفت ما في من الحال بين المتباينين اي سفرت ومنه قيل السفر لانه يكشف الاخلاق والاصل من سفر الصبح اذا اضاء (زاعمة أن المروءة لفظ أنت معناه) (المروءة) كمال المرء كما ان الرجولية كمال الرجل والانسانية تمام الانسان و (اللفظ) مستعار من لفظ الشيء من الفم اذا طرحه ولفظت الرحا الدقيق (والمعنى) نفس الكلام وسره وكانه ماخوذ من معاناة المرء اطلاعه على فحوى الكلام ولاهل البيان والمتكلمين في تمثيل الالفاظ والمعاني فصول مستحسنة قال القوشي الفيلسوف الالفاظ من أمة الحس والمعاني من امة العقل والحس تابع للعقل والطبيعة وقال آخر مما حكاه ابن رشيق المعنى مثال واللفظ حذو والحذو يتبع المثال فيتغير بتغيره ويثبت بثباته وقال آخر اللفظ جسم والمعنى روح وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم يضعف بضعفه ويقوى بقوته فاذا سلم المعنى واختل اللفظ كان نقصا في الكلام كما يعرض لبعض الاجسام من العور والعرج وما أشبه ذلك من

المحروسة قال أنشدني والدي قال أنشدني الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج النباتي قال أنشدني أبو الوليد سعد السعود بن أحمد بن هشام قال أنشدني الحافظ أبو العباس أحمد ابن عبد الملك قال أنشدنا أبو أسامة يعقوب قال أنشدني والدي الفقيه الحافظ أبو محمد ابن حزم لنفسه

من عذيري من أناس جهلوا * ثم ظنوا انهم أهل النظر
ركبوا الرأي عنادا فسروا * في ظلام تاه فيه من عبر
وطريق الرشد نهج مهيع * مثل ما أبصرت في الافق القمر
وهو الاجماع والنص الذي * ليس الا في كتاب أو أثر

ولابن حزم أيضا أبيات عينية في هذه المادة أضربت عن اثباتها لطولها الا أنه ختمها بقوله

فخير الامور السالفات على الهدى * وشر الامور المحدثات البدائع

وقد بالغ في الشناع حيث قال

ان كنت كاذبة الذي حدثتني * فعليك اثم أبي حنيفة أو زفر
الواثبين على القياس تمردا * والراغبين عن التمسك بالاثر

واستطرد استطرادا قبيحا (وحاش لله) ليس أبو حنيفة وزفر ممن يقال في حقهما مثل هذا وبين الظاهرية وأصحاب الرأي والتأويل خلاف شديد في الوقف في قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا فأصحاب التأويل قالوا الوقف عند قوله والراسخون في العلم بناء على أن الواو عاطفة والظاهرية يقولون الوقف على الا الله والواو استئنافية وعلى هذا لا يعلم المتشابه الا الله (قال الامام فخر الدين) وعلى هذا قول ابن عباس وعائشة والحسن ومالك والكسائي والفراء ومن المعتزلة قول أبي علي الجبائي وهو المختار عندنا والاول مروي عن ابن عباس ومجاهد والربيع بن أنس وأكثر المتكلمين وقد استدل الامام في مفاتيح الغيب على ان الوقف الصحيح على قوله الا الله بستة أوجه ملخص الثاني منها ان الآية دلت على أن طلب التأويل مذموم لقوله تعالى فأما الذين في قلوبهم زيغ الى آخره ولو كان التأويل جائزا لما ذمه الله والرابع منها ملخصه لو كانت الواو في والراسخون عاطفة لصار قوله يقولون آمنا به ابتداء وهو بعيد عند ذوي الفصاحة بل كان الاولى أن يقول وهم يقولون آمنا به أو يقال ويقولون آمنا به (قلت) مذهب أبي الحسن الاشعري اما أن يرد ظاهر القرآن بالتأويل الى ما يطابق العقل واما أن يجريه على ظاهره ويسند العلم فيه الى الله من غير أن يحكم فيه بشئ ولا يعتقد فيه ما يقوله الحشوية وقد سئل ابن عباس عن قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم فقال علمه وهذا اشارة الى ان ذلك القول الاول مروي عن ابن عباس (صانتني) تقول صنت الشئ صونا وصيانة وصيانا فهو مصون ولا يقال مصان وثوب مصون على النقص ومصوون على التمام قال الجوهري ليس يأتي ثلاثي من بنات الواو بالتمام الا حرفان مسك مدووف وثوب مصوون فان هذين جاآ نادرين والكلام مدوف ومصون لثقل الضمة على الواو والياء أقوى على احتمالها منه فلهذا جاء ما كان من بنات الياء بالتمام والنقصان نحو ثوب مخيط ومخيوط (الخطل) المنطق الفاسد المضطرب وقد خطل في كلامه بالكسر خطلا أي أفحش وأذن خطلاء اذا كانت

غير أن تذهب الروح وكذلك ان ضعف المعنى وأجيد لفظه كان للفظ من ذلك أوفر حظ كالذي يعرض للاجسام من المرض بمرض الارواح ولا تجد معنى يختل الا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياسا على ما قدمت من أدواء الجسوم والارواح فان اختل المعنى كله وفسد بقي اللفظ مواتا لا فائدة فيه وان كان حسن الطلاوة في السمع كما ان الميت لا ينقص من شخصه شئ في رأي العين الا انه ميت لا ينتفع به وكذلك ان اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى لانا لم نجد روحا في غير جسم البتة (والانسانية اسم أنت جسمه وهيولاه) (الانسانية) تمام الانسان كما تقدم ومما عبر به أبو زرعة البغدادي من كلام ارسطاطاليس فصوله الانسانية أفق والانسان متحرك الى أفقه بالطبع دائر على مركزه الا أن يكون مخلوطا بأخلاق بهيمية ومن رفع عصاه عن نفسه وسيب هواه في مرعاه وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الرديئة فقد خرج من أفقه وصار أذل من البهيمة لسوء ايثاره (والاسم) ما عرف به

مستترخية كالكلاب والغنم ورمح خطل أى مضطرب ومنه سمى الاخطل لخطل كان فى أذنيه (وحلية) الحلية للسيف وغيره جمعها حلى مثل كلية وكلى وحلية الرجل صفته وليست هى مرادة هنا وانما المراد بها هنا الزينة التى يتحلى بها الانسان من الفضائل (الفضل) خلاف النقص لغة والمراد به هنا ما ينطوى عليه الانسان من العلم والادب والتجارب والممارسة للامور والاشياء التى يفضل بها الانسان غيره والفاضل بخلاف الناقص كانه فى انسانيته زائد على الجاهل (زانتنى) الزينة ما يتزين به والزين ضد الشين (لدى) بمعنى عند (العطل) مصدر عطلت المرأة اذا خلا جيدها من القلائد فهى عطل (الاعراب) اصالة مبتدا مضاف الى ما بعده والمبتدا قال الشيخ بدر الدين بن مالك هو الاسم المجرد عن العوامل اللفظية غير الزائدة مخبرا عنه أو وصفا رافعا المكتفى به وقد اختلف فى رافعه فقيل الابتداء وهو جعلك الاسم أول الكلام وهذا أمر معنوى والعامل المعنوى لم يأت عن النحاة الا فى موضعين هذا والثانى وقوع الفعل المضارع موقع الاسم حتى أعرب وهذا قول سيبويه وأكثر البصريين وأضاف الاخفش اليهما موضعا ثالثا وهو عامل الصفة فذهب الى أن الاسم يرتفع لكونه صفة لمرفوع وينتصب لكونه صفة لمنصوب وينجر لكونه صفة لمجرور وكونه صفة فى هذه الاماكن معنى يعرف بالقلب وليس للفظ فيه حظ وما أحسن قول القائل

قالوا أحب حبيبا ما تأمله * فكيف حل به للسقم تأثير

فقلت قد يعمل المعنى لقوته * فى ظاهر اللفظ رفعا وهو مستور

(ملحة) اذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم فى المسئلة قال هذا تعبد كما يعلل المالكى غسل الاناء سبعا من ولوغ الكلب لانه قائل بطهارته فاذا أورد عليه الحديث وهو طهور اناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبعا قال هذا شئ تعبدنا الله به والحديث رواه مالك فى الموطا عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبع مرات وفى حديث مسلم طهور اناء أحدكم اذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرات أولاهن بالتراب وفى حديث آخر وعفروه الثامنة بالتراب وقال ابن حزم وروى ابن القاسم عن مالك أنه ان كان فى الاناء ماء أريق وغسل سبع مرات وان كان فيه لبن أو زيت أكل ذلك ثم لا يغسل الاناء سبعا ولا أقل ولا أكثر وروى ابن وهب عن مالك أنه قال يشرب الماء ويؤكل اللبن والزيت ثم يغسل الاناء سبع مرات قال وكلتا هاتين الروايتين مخالفة لما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صاحب اثارة العزم فى الرد على ابن حزم ان ابن حزم وأهل الظاهر فى معزل عن فقه هذه المسئلة وشبهها ولا شك أن هذه الاحاديث جاءت هكذا وقال الله تعالى فى الكلاب فكلوا مما أمسكن عليكم فهذه الاحاديث معارضة لعموم القرآن وعموم القرآن مقدم عند كثير من العلماء وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم اذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك قلت وان قتلن قال وان قتلن ولم يأمره بغسل الصيد ولو كان ريق الكلاب نجسا لامره بغسله ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة واذا عجز النحوى عن تعليل الحكم أيضا قال العامل هنا معنوى كما تقدم واذا عجز الحكيم عن التعليل فى شئ قال هذا بالخاصية كما اذا طلب منه علة جذب المغناطيس الحديد (رجع) وقيل رافع المبتدا التجرد عن العوامل وليس بشئ اذ العدم

الشئ وأصله من السمو وبه رفع ذكر المسمى فعرف وسيأتى ذكره عند الفصل بين الاسم والمسمى و(الجسم) يقال لكل ذى طول وعرض وعمق ولما لا يثبت له لون كالماء والهواء ولا تخرج أجزاء الجسم عن كونها أجزاء وان قطع وجزئ وهو أعم من الجسد لان الجسد لا يقال الا لما له لون (والهيولى) المادة المدبرة للصورة وهى أصل الشئ كالفضة فى الدرهم وكان ارسطاطاليس يسمى صاحب الهيولى وذلك أن مذهبه فى الدهر أن أصل العالم قديم غير انه لم يكن من طينة ولا كان شئ مما نسميه العرض وللحكماء فى تحقيقها كلام طويل لا يسع هذا المحل ذكره (قاطعة انك انفردت بالجمال واستأثرت بالكمال واستعليت فى مراتب الجلال واستوليت على محاسن الخلال) (قطعت) الامر اذا فصلته عن الشك ومنه الدليل القطعى والقطع الفصل فيما يدرك بالابصار كالاجسام وفيما يدرك بالبصيرة كالامور العقلية (والكمال) حصول غايات الغرض فى الشئ محسوسا أو معقولا وقوله تعالى ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك

لا يكون علة للوجود وفيه نظر وقيل رافعه الخبر وهو باطل لان الخبر متأخر عنه وضعا وقيل بل هما مترافعان وقيل الابتداء رافعهما وهو ضعيف لان المعنى ماله هذه القوة وقيل الابتداء رفع المبتدا والمبتدا رفع الخبر وهو أقرب الاقوال وقد استوفيت هذه المسئلة فى تعليقى على الحاجبية (الرأى) مجرور بالمضاف لا بالاضافة الى المبتدا (صانتنى) صان فعل ماض والتاء ضمير يرجع الى أصالة وهو فى موضع رفع لانه فاعل صان والنون الثانية نون الوقاية وهذه النون هى التى تقى الفعل من الكسر وما أحلى قول الامير أمين الدين أبى الحسن على بن عثمان السليمانى

أضيف الدجا معنى الى ليل شعره * فطال ولولا ذاك ماخص بالجسر

وحاجبه نون الوقاية ماوقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

والياء ضمير المتكلم وهى فى موضع نصب على أنها مفعول صان وهذه الجملة من الفعل والفاعل والمفعول فى موضع رفع على أنها خبر المبتدا وهو أصالة والاصل فى الخبر أن يكون مفردا وقد يكون جملة اسمية مثل زيد أبوه كريم وفعلية كما فى البيت (عن) حرف جر وتجىء للمجاوزة كما هنا أى تجاوزت بى عن الخطل وتجىء بمعنى بعد كقوله تعالى لتركبن طبقا عن طبق وتجىء بمعنى على كقول الشاعر

لاه ابن عمك لا أفضلت فى حسب * عنى ولا أنت ديانى فتخزونى

(الخطل) مجرور بعن وسيأتى الكلام على الالف واللام فى قوله

و يحرون كرام الخسل والابل *(وحلية) الواو تكون تارة للعطف كهذه وهى للتشريك فى الحكم بلا ترتيب فان الواو فى قوله تعالى واسجدى واركعى ما أفادت الترتيب وقيل لعل السجود كان قبل الركوع فى ذلك الزمان ثم نسخ وكذا قوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى والصحيح ان المسيح عليه السلام ما توفى بل رفعه الله اليه لان الخبر ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سينزل ويقتل الدجال وعلى هذا لا ترتيب فى الواو ولكن قال ابن عباس ومحمد بن اسحاق متوفيك أى مميتك والمقصود لا يصل أعداؤك من اليهود الى قتلك ثم أكرمه الله تعالى بعد ذلك برفعه الى السماء واختلف فى مدة الوفاة فقال ابن وهب توفى ثلاث ساعات ثم رفع وأحيى وقال محمد بن اسحاق سبع ساعات ثم رفع وقال الربيع بن أنس نومه حال رفعه واستشهد بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها الآية وقال أبو بكر الواسطى المراد انى متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك ومنهم من قال التوفى أخذ الشئ وافيا ولما علم الله تعالى ان من الناس من يخطر بباله ان الذى رفعه الله انما هو روحه ذكر ذلك ليدل على ان الله رفعه بجسده اليه ومنهم من قال كل من رفع وانقطع خبره وأثره عن الارض كان كالمتوفى ومنهم من قال فى الكلام حذف مضاف تقديره متوفى عملك وهو جائز (رجع) وتارة تكون بمعنى رب وتارة للقسم وتارة تكون واو مع وتارة تكون واو الحال وتارة تكون ضمير الفاعلين فى مثل يقومون أو علامة الرفع فى مثل الزيدون وتارة تزاد فى مرسوم الخط فى مثل عمرو فرقا بينه وبين عمر فاذا دخل تنوين النصب عمرا فلا دخول لها لان الفرق حاصل لكون عمر غير منصرف (حكى) أن بعضهم كان يكتب كتابا والى جانبه آخر فكتب عمرا بغير واو فقال له يا مولانا زدها واو الفرق فقال له والله لقد تفضل مولانا بزيادة واو يعنى انه تفوضل وبعضهم

عشرة كاملة ليس للاعلام بأن الثلاثة والسبعة عشرة وانما اليبين أن يحصول صيام العشرة يحصل كمال الصوم القائم مقام الهدى (والخلال) جمع خلة وهى الطريقة الحسنة مأخوذ من الخلة وهى الطريق فى الرمل وفى قوله استعلت واستوليت والحلال والخلال أنواع من الصناعات اللفظية من ترصيع وتجنيس ليس الغرض ذكرها

(حتى خيلت أن يوسف عليه السلام حاسنك فغضضت منه)

يعنى بار الك فى الحسن فأخجلته وأصل الغض النقصان فى الطرف ويستعار لما سواه وبدأ بذكر الحسن فيما سرده من تواريخ ذوى الاوصاف الشريفة لانه أول ما يعجب المرأة من الرجل ثم ذكر المال والهمم والعلوم ونحو ذلك * والمراد ههنا يوسف عليه السلام وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ذلك الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن ابراهيم وبه ضرب المثل فى الحسن ويستدل على حسنه بكتاب الله تعالى والحديث والآثار فمن الكتاب قوله عزوجل فى ذكر امرأة العزيز والنسوة اللاتى لمنها على حبه

يرى أن تزاد بعد لا النافية في الجواب اذا قيل هل فعلت كذا فتقول لا وعافاك الله (يحكى) عن الصاحب بن عباد انه قال هذه الواو ههنا أحسن من واوات الاصداغ في خدود الملاح قال ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج رحمه الله روينا عن عمر رضي الله عنه انه قال لرجل عرس هل كان كذا فقال لا أطال الله بقاءك فقال عمر رضي الله عنه قد علمتم فلم تتعلموا هلا قلت وأطال الله بقاءك وتارة تكون الواو واو الثمانية في مثل قوله تعالى ثيبات وأبكارا وفي قوله تعالى الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر وفي قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها أتى بالواو وهنا ولم يأت بها في ذكر جهنم لان للنار سبعة أبواب وللجنة ثمانية وستأتي أسماء الجنة والنار فيما بعد ان شاء الله تعالى (وحكى) لي بعض الافاضل عن بعض الحكام في المدن الكبار انه ألقى درسا في هذه الآية الكريمة وقد قال في حق أصحاب جهنم انهم لما جاؤها فتحت لهم أبوابها على التعقيب لأن الفاء للتعقيب فلم يمهلوا للدخول بل أدخلوا على الفور وأما أهل الجنة فانهم لم يضطروا الى الدخول بل أمهلوا لانه قال وفتحت أبوابها (قلت) انظر الى هذه الغفلة في الاولى والثانية كونه ظنها اولا خارجة عن الكلمة ولم تكن من اصلها ووجدها ثابتة في الثانية فلم ينكرها ونقول هذه هي تلك الحمد لله واهب العقل اه وفي قوله تعالى ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ولعمري ان هذا استقراء حسن وبعض المحققين منع هذا وقال انما تقع بين المتضادين لان الثيبات غير الابكار والآمرين ضد الناهين وقال في قصة أهل الكهف انه أتى بالواو مع الثمانية لان القول الثالث أقرب الى الحق أو هو الحق لانه قال في القولين الاولين رجما بالغيب وفي الثالث قال تعالى قل ربي أعلم بعدتهم وقال في قصة أهل الجنة وأثبت الواو ولان أبواب جهنم لا تفتح الا عند دخول أهلها زيادة في الضيق على من بها وأما أبواب الجنة فانها تفتح لاهلها قبل دخولهم اليها اكراما لهم لقوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب ورده هذا القول بأن الواو دخلت مع تعدد الصفات في قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب ولم تدخل في قوله تعالى الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن الآية ولا تضاد بين الغفران وقبول التوبة (قلت) لو سقطت الواو من أبكارا لاختل المعنى لانهن لا يكن ثيبات أبكارا معا فاضطر الى الواو لتدل على المغايرة قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله ان القاضي الفاضل رحمه الله كان يعتقد زيادة الواو في هذه الآية ويقول هي واو الثمانية الى أن ذكر ذلك بحضرة الشيخ أبي الجود المقرى فبين له انه وهم وان الضرورة تدعو الى دخولها هنا والا فسد المعنى بخلاف واو الثمانية فانه يؤتى بها لا لحاجة فقال ارشدتنا يا أبا الجود اه والامام فخر الدين اعترف بأن الواو في قوله تعالى وثامنهم كلبهم واو الثمانية وعلى الجملة ففي هذه الواو مباحث جليلة جمعتها في كراسة أضربت عن اثباتها هنا خوفا من الاطالة والواو التي في سبحانك اللهم وبحمدك قال أبو اسحاق الزجاج سألت أبا العباس المبرد عن العلة في ظهور الواو وههنا فقال لقد سألت أبا عثمان المازني عما سألت عنه فقال المعنى سبحانك اللهم وبحمدك سبحتك (قلت) وأما واو عمرو فقد نظم الشعراء فيها كثيرا منهم أبو نواس قال يهجو اشجع السلمي

قل لمن يدعي سليمى سفاها ✽ لست منها ولا قلامة ظفر
انما انت من سليمى كواو ✽ ألصقت في الهجاء ظلما بعمرو

(وأعتدت لهن متكأ) الى آخر الآية قال المفسرون المتكأ النمرق الذي يتكأ عليه وقيل المتكأ هو الطعام والاصل فيه ان من دعوته ليطعم عندك فقد أعددت له وسادة فسمي الطعام متكأ على الاستعارة وقيل متكأ طعاما ما يحتاج الى أن يقطع بالسكين لان الطعام اذا كان كذلك احتاج الانسان الى أن يتكئ عند القطع وقيل المتكأ الاترج وهو شاذ أنكره أبو عبيدة (وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه) قيل عظمنه ورأينه كبيرا عما في أنفسهن وقيل حضن والهاء للسكت مثل انه بمعنى ان وهو قول شاذ ولا يعرف في اللغة الاكبار بمعنى الحيض الا ان تكون الصغيرة بالحيض تدخل في معنى الكبيرة ولا في الطب أن المرأة تحيض اذا رأت ما روعها الا أن تكون حاملا فيحصل لها اسقاط فتحيض والقول الاول من أن معنى الاكبار التعظيم أصح وأحسن (وقطعن أيديهن) كناية عن الدهش والحيرة اما أنها دهشت فكانت تقطع في يديها وهي تظن أنها تقطع في الفاكهة أو الطعام واما أنها تناولت السكين من موضع النصل وهي تظن أنه من

(حكى) ان بعض الناس رأى فى منامه انه قد كتب على ظفره واو افجاء الى المعبر وقص الرؤيا عليه فقال له أنت دعى فى نسبك واستشهد بالبيتين وقال آخر يهجو

غير المقول عيوبه كالواو من * عمرو يرى واللفظ عنه قصير
كالنون من زيد يقال مديحه * باللفظ لكن لا يراه بصير

(وقال التهامى)

لغو كحرف زيد لا معنى له * او واو عمرو فقدها كوجودها

(وكان) الجاحظ يزعم ان عمرا أرشق الاسماء وأخفها وأظرفها وأسهلها مخرجا وكان يسميه الاسم المظلوم ومعنى ذلك الزاقهم به الواو التى ليست من جنسه ولا فيه دليل عليها ولا اشارة اليها ويزعم ان هذا الاسم لم يقع فى الجاهلية الا على فارس مذكور او ملك مشهور او سيد مطاع او رئيس متبوع ثم انه يقول بعد ذلك عمرو بن هاشم وعمرو بن سعيد الاكبر وعمرو الاشدق وعمرو بن العاص وعمرو بن حممة وعمرو بن يحيى بن قمعة وعمرو بن معديكرب وعمرو بن عبدود وعمرو بن الشريد وعمرو بن الحمق الى ان يذكر عمرو بن عبيد وعمرو بن قائد وغيرهم ثم يحتج بقول ابى نواس

فقلت له ما الاسم قال شمردل * على اننى أكنى بعمرو ولا عمرا
وما شرفتنى كنية عربية * ولا أكستنى منه سناء ولا فخرا
ولكنها خفت فقلت حروفها * وليست كأخرى انما خلقت وفرا

قلت انما كان الجاحظ يقول هذا لان اسمه عمرو وكنيته أبو عثمان وقال أبو سعيد الرستمى

أفى الحق ان يعطى ثلاثون شاعرا * ويحرم ما بين الورى شاعر مثلى
كما سامحوا عمرا بواو مزيدة * وضويق اسم الله فى ألف الوصل

(وما) احلى قول ابن نفادة

أقل وجدى مذ نتاء وافكر * وبعض ما ألقاه فيهم سهر
أنحلنى الوجد فجسمى ألف الـ * ـوصل وأسقامى ليست تظهر

(وقد) جمع السراج الوراق رحمه الله هذه الواوات فى أبيات وأحسن فيها حيث قال ومن خطه نقلت

مالى أرى عمرا أنى استجرت به * قد صار عمرا بواو فيه وانصرفا
ونام عن حاجة نبهته غلطا * بها فألفيت منه السهد والاسفا
والمستجير بعمرو قد سمعت به * فما أزيدك تعريفا بما عرفا
وتلك واو ولا والله ما عطفت * ولو أتت واو عطف ما أتت طرفا
ولو أتت واو حال لم تسد ولو * أتى بها قسما ما برّ إذ حلفا
أو واو رب لما جرّت سوى أسف * وكثرته خلافا للذى ألفا
أو واو مع لم أجد خيرا أتى معها * أو واو جمع غدا من فرقة تلفا
وليت صدغا بها قد شبهوه غدا * يكوى بنارى وهذا فى السلو كفى
والله يطمسها واوا ذكرت بها * دالا بوسطى وكانت قبل ذا ألفا

(قلت) أما تشبيه الصدغ بالواو فهو كثير مشهور بين الشعراء ومن ذلك قول ابن قلاقس

موضع النصاب فتجرح يدها والالتذاذ بالنظر يمنعها من وجود الالم وفى هذا من الكناية عن الحسن ما لا مزيد عليه (وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم) المقصود اثبات الحسن لانه تعالى ركب فى الطباع أن لا شئ أحسن من الملك وقد عاين ذلك قوم لوط فى ضيف ابراهيم من الملائكة كما ركب فى الطباع أن لا شئ أقبح من الشيطان وكذلك قوله تعالى فى صفة جهنم طلعها كأنه رؤس الشياطين فكما تقرر فى الطباع أن اقبح الاشياء هو الشيطان فقد تقرر أن أحسن الاشياء هو الملك فلما أرادت النسوة وصف يوسف بالحسن شبهنه بالملك * وأما الحديث فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مررت بيوسف فى الليلة التى عرج بى فيها الى السماء فقلت لجبريل من هذا قال يوسف فقيل يا رسول الله كيف رأيته فقال كالقمر ليلة البدر * ومن الآثار قولهم انه كان اذا مشى فى أزقة مصر يتلألأ نور وجهه على الجدران كما يتلألأ نور الشمس من الماء عليها وقولهم انه ورث الحسن من جدته سارة التى هم الملك بأخذها من ابراهيم وزاد عليها وقصتها مشهورة

الاسكندرى وهو مليح

قرنت بواو الصدغ صاد المقبل * وابديت لامامن عذار مسلسل
فان لم يكن وصل لديك لعاشق * فماذا الذى أبديت للتأمل

(وقال) البهاء زهير فيما أظن

عنى عطفة للوصل ياواو صدغه * وحقك انى أعهد الواو تعطف

(وقول) السراج والله يطمسها واوا البيت يريد بذلك احليله وانه قد تعقف من الكبر فكان واوا لكنه منحن كالدال بعد أن كان كالالف وله فى هذا المعنى عدة مقاطيع منها قوله ومن خطه نقلت

انحل أيرى منى * كأنهم عقدوه
وصار يحضن بيضى * كأنهم رقدوه

(وقوله أيضا)

كان ايرا صار سيرا * ياطام الا كساس سخره
كيف لا ينأين عنى * ومعى شيب ودره

(أنشدنى) لنفسه الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردى اجازة

وكان اذا رأيت ولو عجوزا * يبادر بالقيام على الحراره
فأصبح لا يقوم لبدر تم * كأن النحس قد ولى الوزاره

(وقولهم) وقع رمضان فى الواوات يريدون انه جاوز العشرين فلا يذكر الا بواو عطف (وما) احسن قول محمد بن على بن منصور بن بسام

قد قرب الله منا كل ماشسعا * كأنى بهلال الفطر قد طلعا
فخذ للهوك فى شوال اهبته * فان شهرك فى الواوات قد وقعا

(وكذا) قول بعضهم وقع الشهر فى الاثنين مراده انه يقال فيه احد وعشرين ثانى وعشرين فيكرر فيه الاثنين وفى أمثال العوام اذا وقع رمضان فى الاثنين خرج شوال من الكمين (رجع الى الاعراب) حلية مبتدأ والنصف الثانى اعرابه كاعراب الاول وأما الذى فانها ظرف مكان موضعها النصب والعامل فيها زانت (المعنى) رأى الاصيل يصونى عن الاضطراب فى القول والعمل وحلية علمى تزيننى عند العطل أى التعرى عن أعراض الدنيا وزخرفها ولعمرى ان الانسان شئ وراء الزينة واللبس والشكل والرواء وقد قال صلى الله عليه وسلم المرء بأصغريه قلبه ولسانه وقال عليه السلام المرء مخبوء تحت لسانه وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه قيمة كل امرئ ما يحسنه قال الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين عند ذكر هذه الكلمة لو لم نقف من هذا الكتاب الا على هذه الكلمة لوجدناها فاضلة عن الكفاية غير مقصرة عن الغاية اه (وقيل شعر)

واجهد لنفسك واستكمل فضائلها * فأنت بالنفس لا بالجسم انسان

(وأنشدنى بعضهم)

كل حقيقتك التى لم تكمل * والجسم دعه فى الحضيض الاسفل
أتكمل الفانى وتترك باقيا * هملا وأنت بأمره لم تحفل

وروى أنه عاش مائة سنة وتوفى بمصر ودفن فى نهر الفيوم الذى أحكم صنعته البديعة * ومن كلامه قيل له ما صنع بك اخوتك فقال لا تسئلونى عن صنيع اخوتى واسئلونى عن صنيع ربى ودعا لاهل السجن فقال اللهم عطف عليهم الاخيار ولا تخف عنهم الاخبار فيقال انهم أعرف الناس بما يتجدد من الاخبار فى البلدان والله أعلم

(وأن امرأة العزيز رأتك فسلت عنه)

(امرأة العزيز) زليخا المشغوفة بحب يوسف صار الحب شغافا لقلبها والشغاف جلدة رقيقة تحيط بالقلب وقرئ شعفها بالعين والشعاف أعالى الجبال كأن الحب بلغ أعلى قلبها وما كانت تسلو مع ذلك الحب الا باضعاف ذلك الحسن ومن كلامها حين دخلت على يوسف بعد أن ملك مصر واحتاجت اليه سبحان من جعل العبيد ملوكا بالطاعة وجعل الملوك عبيدا بالمعصية

(وأن قارون أصاب بعض ما كنزت)

(قارون) هو المذكور فى الكتاب العزيز قال بعض المفسرين اختلف فى نسبه فقيل كان ابن عم موسى عليه السلام لان موسى ابن عمران

النفس للجسم النفيسة آلة * مالم تحصـــله به لم يحصـل
يفنى ويبقى دائما فى غبطة * أبدية أو شقوة لاتنجلى
شرك كثيف أنت فى حبلاته * بادر الى وجه الخلاص وعجل
من يستطيع بلوغ أعلى منزل * ما باله يرضى بادنى منزل

والرأى ما زال ممدوحا عند العقلاء قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه رأى الشيخ خير من مشهد الغلام وقال أبو فراس الحمدانى

ولا أرضى الفتى مالم يكمل * برأى الكهل اقدام الغلام

(وقال أيضا)

فما اشتورت الا وأصبح شيخها * ولا احتربت الاوكان فتاها

ولو قال استحربت مكان احتربت لكان حسنا * ولما هممت ثقيف بالارتداد بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم استشاروا عثمان بن أبى العاص وكان فيهم مطاعا فقال لهم لا تكونوا آخر العرب اسلاما وأولهم ارتدادا فنفعهم الله برأيه (وكان) الحباب بن المنذر يدعى ذا الرأى أشار يوم بدر على النبى صلى الله عليه وسلم أن ينزل على آخر ماء ببدر ليبقى المشركون على غير ماء وكان برأيه الخير لان ذلك أضر بكفار قريش * والمشهورون بالرأى والدهاء خمسة معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن الانصار قيس بن سعد بن عبادة ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعى رضى الله عنهم * وقال بعضهم دهاة العرب أربعة معاوية بن أبى سفيان وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد ابن أبيه أما معاوية فللاناة والحلم واما عمرو فللمعضلات واما المغيرة فللمبادهة واما زياد فللصغير والكبير ويقال ذوو رأى العرب ومكيدتهم معاوية وعمرو ابن العاص والمغيرة وعبد الله بن بديل ذكرهم الشعبى فى بيت

من العرب العرباء قد عد أربع * دهاة فما يؤتى لهم بشبيه
معاوية عمرو بن عاص مغيرة * زياد هو المعروف بابن أبيه

ثم جمعت الستة فى قولى

من العرب ان رمت الدهاة فستة * موائد فضل ما بهن طفيلى
معاوية عمرو زياد مغيرة * وقيس وعبد الله نجل بديل

وقال أبو الطيب المتنبى

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهى المحل الثانى
فاذا هما اجتمعا لنفس حرة * بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه * بالرأى قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت * أيدى الكماة عوالى المران

وقال أيضا

نفت التوهم عنه حدة ذهنه * فقضى على غيب الامور تيقنا

وقال الامير بدر الدولة بن نشو الدولة أحمد بن نفادة

العلم للاعلام أقوى ناصب * والرأى للرايات أثبت حامل

ابن قاهث وقارون ابن يصهر ابن قاهث وقيل كان ابن خالته وهو أول من ضرب به المثل فى كثرة المال وفى قوله تعالى (كان من قوم موسى) دليل على ايمانه وقرابته وكان من أحسن الناس وجها وقراءة للتوراة ويسمى المنور لحسنه وقيل انه كان من السبعين المختارة قال الله تعالى (وآتيناه من الكنوز) الكنز يطلق على ما جمع من المال سواء كان فى باطن الارض أو ظاهرها (ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة) أى تنوء بها العصبة تتكلف بها النهوض وهذا من القلب المستعمل فى كلام العرب مثل دخل الرأس الظل ٣ وعرضت الدابة على الحوض واختلف فى المفاتح فقيل مفاتح أبواب الخزائن وكانت وقر ستين بغلا وهو قول واه وقيل المفاتح الخزائن نفسها وقد يسمى الشئ بما لابسه وقيل المفاتح العلم والاحاطة كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب يعنون أنه أوتى من الكنوز ما ان حفظه والاطلاع عليه ليثقل على العصبة أولى القوة أى يعجزون عن حسابها وحفظها لكثرة صنوفها (قال انما أوتيته على علم عندى) أى على خير وصلاح علمه الله منى وقيل على علم بالمكاسب

ولرعاملم المغيب من له * فهم صحيح باتضاح دلائل
وأخو الحجا بالفكر منه يستدل على أواخر أمره بأوائل
علم المجرب شمسه يهدى بها * والرأى مرآة اللبيب العاقل
لكنه كالسيف يصدا ثم يجلى بالاشارة لابكف الصاقل

وقال أبو تمام

وما شئ من الاشياء أمضى * على المهجات من رأى سديد

وقال البحترى

يوم أرسلت من كتائب آرا * ئك جندا لا يأخذون عطاء
ويود الاعداء لو تضعف الجيش عليهم وتصرف الآراء

قلت لو كان لى فى هذا البيت حكم لقلت بدل تصرف تضعف أيضا فيكون الاول من الاضعاف وهو الزيادة بالمثل والثانى من الضعف وهو المرض والوهن على ان تصرف أمدح وتضعف أصنع (وقال) على بن الجهم

فهمته جيش وعزمته سرى * وفكرته حرب وآراؤه جند

(وقال) ابن حيوس

وما البطش الشديد بمفيد عز * اذا لم يمضه الرأى السديد

(وقال ابن مكنسة)

بت جاره فالعيش تحت ظلاله * واستسقه فالبحر من أنوائه
يلقى الخطوب بمثلها من صبره * والباترات بمثلها من رائه

وقال ابن المعتز

وأثارنى الدهر عضبا مهندا * يفصل شبا الخطى وقلبا مشيعا
ورأيا كمرآة الصناع أرى به * سرائر غيب الدهر من حيث ما سعى

قلت ما رأى من غيب الدهر شيأ فانه ولى الخلافة يوما واحدا ثم قتل (وقال التهامى)

وللعادى رتب فى الحجا * الرأى ثم الكيد ثم الكفاح
قد يغلب المرء بتدبيره * ألفا ولا يغلبهم بالسلاح

(قيل) ان الملك العزيز بن صلاح الدين لما أتى عمه العادل لقتاله ووصل بالعساكر الى بلبيس ضاق الامر به وأراد النفقة فى الجيوش ولم يكن عنده شئ فقيل له ان القاضى الفاضل عنده من الاموال ما يقوم بما تريده فقال أستحى ان أطلب منه شيأ فألزموه بطلبه فلما علم بوصوله دخل الى الحريم حياء منه فتضرع القاضى الفاضل له حتى خرج اليه وحكى له القصة فقال له كل ما أنا فيه من نعمة فهى من صدقاتكم والمال عندى يكفى ما ترومه ولكن دعنى أتوجه الى العادل وأطلب منه الصلح فان وافق فيها ونعمت والا فالنفقة قدامنا والمحاربة أمامنا ثم ان القاضى الفاضل توجه الى الملك العادل ولم يزل يسحره ببيانه ويفتل فى ذروته والغارب بلسانه حتى رد راجعا ولم يدخل وكفى الله العزيز أمره تلك المرة برأى الفاضل * ومن شعر مؤيد الدين الطغرائى صاحب القصيدة

لا تحقرن الرأى وهو موافق * حكم الصواب اذا أتى من ناقص

والتجارات وقيل على علم الكيميا وكان الزجاج يقول هذا قول لا أصل له فان الكيميا باطلة ولا حقيقة لها (فخرج على قومه فى زينته) قيل خرج راكبا بغلة شهباء بسرج من ذهب ومعه سبعمائة وصيفة على بغال شهب عليهن الحلى والحلل والزينة فكاد يفتن بنى اسرائيل ثم بغى وتكبر حتى أهلكه الله * واختلف فى سبب بغيه وهلاكه فقيل انه كان قد حسد هرون على الحبورة وذلك أن موسى عليه السلام لما قطع البحر وأغرق الله فرعون جعل الحبورة لهرون فحصلت له النبوة والحبورة وهى القربان تأتى بنو اسرائيل بهداياهم الى هرون فيضعها فى المذبح فتنزل نار فتأكلها وكان لموسى الرسالة فوجد قارون من ذلك فى نفسه وقال يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة ولست فى شئ لا أصبر على هذا فقال موسى والله ما صنعت ذلك لهرون بل جعله الله له فقال والله لا أصدقك أبدا حتى تأتينى بآية فأمر موسى رؤساء بنى اسرائيل أن يجئ كل رجل منهم بعصاه فجاؤا بها فألقاها موسى عليه السلام فى قبة له وكان ذلك بأمر الله تعالى ودعا موسى أن يريهم

فالدر وهو أجل شئ يقتنى * ماحط قيمته هوان الغائص

وقال القاضي الحشيشي

ولي صاحب ماخفت مكروه طارق * من الامر الا كان لي من ورائه
اذا عضني صرف الزمان فانني * برايته أسطو عليه وورائه

وقال أبو الفتح البستي

عول على رأيه اذا حزبت * نائبة من نوائب الزمن
فليس في الارض معقل أشب * كرائه من كرائه المحن

هذا ان الجناسان اللذان في هذين المقطوعين من أنواع الجناس المرفو وهو ان يكون أحد ركني الجناس مركبا من جزأين أولهما حرف من حروف المعاني وقد ذكرت ذلك مستوفى في كتابي المسمى جنان الجناس (وما) أحلى قول أسعد بن مماتي

طبع المجنس فيه نوع قيادة * أوما ترى تأليفه للاحرف

ونظمت أنا في هذا المعنى

ألا ان من عاني القريض بطبعه * يقود فأرسله لمن صد واحتشم
ألم تره ان قال شعرا مجنسا * يؤلف ما بين الحروف اذا انتظم

ونظمت فيه أيضا

ما ناظم الشعر في محل فتى * يقود فاسمع مقالة الظرفا
ألف هذا حروفه وسمت * همة هذا فألف الحرفا

وقال ابن سنا الملك

وشاعر كاتب أديب * منتظم العقل والقياس
قلت له والفضول داء * وهو كما قيل كالعطاس
لم كنت تبغي فصرت تبغو * قال من العشق في الجناس

وقلت أنا

تعشقته جاورا أسال مدامعي * وحملني ما ليس يحمله الناس
فجار وأجرى حين جاور واجترى * فعاقته عما يروم جناس

(وقلت)

أتى على أناس * بهم تحلى المديح
زاروا وزانوا وزادوا * هذا الجناس المليح

(وقلت)

لله قوم حموني * من حادثات الليالي
صانوا وصابوا وصالوا * كذا جناس المعالي

(رجع القول الى الرأي) لما استولى الاسكندر على ملك فارس كتب الى ارسطو يأخذ رأيه في ذلك فكتب اليه الرأي ان توزع مملكتهم بينهم وكل من وليته ناحية سمه بالملك وأفرده بملك ناحيته واعقد التاج على رأسه وان صغر ملكه فان المسمى بالملك لا يخضع لغيره ولا ينشب في ذلك أن يقع بينهم تغالب على الملك فيعود حربهم لك حربا بينهم فان دنوت منهم دانوا لك وان

الله بيان ذلك فبأتوا بحرسون عصيهم فأصبحت عصا هرون تهتز لها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون أما ترى صنع الله تعالى لهرون فقال والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر ثم اعتزل عن معه من بني اسرائيل وكان كثير المال والتبع فدعا عليه موسى وقيل انه لما نزلت آية الزكاة على موسى جاء موسى اليه وصالحه على كل ألف دينار دينار وألف شاة شاة وعلى هذا الاسلوب فحسب ذلك فوجده مالا عظيما فجمع قومه من بني اسرائيل وقال ان موسى يأمركم بكل شئ فتطيعونه وهو الآن يريد أخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فرنا بما شئت فقال علي بفلانة البغي فأعطاها مائة دينار وأمرها أن تقذف موسى بنفسها وجاء الى موسى وقال ان قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم فخرج فقام فيهم خطيبا فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن زنى جلدناه فان كانت له امرأة رجمناه فصاح به قارون وقال له وان كنت أنت فقال نعم قال فان بني اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي فقال علي بها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت

ثابت تعز زوايلك وفى ذلك شاغل لهم عنك وأمان لاحدائهم بعدك شيأ فلما بلغ الاسكندر ذلك علم أنه الصواب وفرق القوم فى الممالك فسموا ملوك الطوائف فيقال انهم لم يزالوا برأى ارسطو مختلفين أربعمائة سنة لم ينتظم لهم أمر (وحكى) ان المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى أظنه صاحب جزيرة قبرص طلب منه خزانة كتب اليونان وكانت عندهم مجموعة فى بيت لا يظهر عليها أحد فجمع الملك خواصه من ذوى الرأى واستشارهم فى ذلك فكلهم أشاروا عليه بعدم تجهيزها الامطرانا واحدا فانه قال جهزها اليهم فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية الا افسدتها واوقعت بين علمائها (حدثنى) من اثق به ان الشيخ تقى الدين احمد ابن تيمية رحمه الله كان يقول ما أظن ان الله يغفل عن المأمون ولا بد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الامة من ادخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها (قلت) ان المأمون لم يبتكر النقل والتعريب بل نقله قبله كثير فان يحيى بن خالد البرمكى عرب من كتب الفرس كثيرا مثل كليله ودمنه وعرب لاجله كتاب المجسطى من كتب اليونان والمشهور ان أول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما أولع بكتب الكيميا (وللتراجمة) فى النقل طريقان احدهما طريق يوحنا بن البطريق وابن الناعمة الحمصى وغيرهما وهو ان ينظر الى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتى بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها فى الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها وينتقل الى الاخرى كذلك حتى يأتى على جملة ما يريد تعريبه وهذه الطريقة رديئة لوجهين أحدهما انه لا يوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ولهذا وقع فى خلال هذا التعريب كثير من الالفاظ اليونانية على حالها الثانى ان خواص التركيب والنسب الاسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما وأيضا يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثيرة فى جميع اللغات * الطريق الثانى فى التعريب طريق حنين بن اسحاق والجوهرى وغيرهما وهو أن يأتى الى الجملة فيحصل معناها فى ذهنه ويعبر عنها من اللغة الاخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الالفاظ أم خالفتها وهذه الطريق أجود ولهذا لم تحتج كتب حنين بن اسحاق الى تهذيب الا فى العلوم الرياضية لانه لم يكن قيما بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعى والالهى فان الذى عربه منها لم يحتج الى اصلاح فاما أوقليدس فقد هذبه ثابت بن قرة الحرانى وكذلك المجسطى والمتوسطات بينهما (رجع القول الى ما يتعلق بالمأمون) والخلاف ما زال فى هذه الامة منذ توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موته ودفنه وأمر الخلافة بعده وأمر ميراثه وأمر قتال مانعى الزكاة الى غير ذلك بل فى نفس مرضه صلى الله عليه وسلم لما قال ائتونى بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى على ما هو مذكور فى مواطنه وقد روى انس بن مالك رضى الله عنه انه عليه أفضل الصلاة والسلام قال ان بنى اسرائيل افترقوا على احدى وسبعين فرقة وان أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار الا واحدة وهى الجماعة وهو صلى الله عليه وسلم الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى قد أخبر ان الامة ستفترق ومتى افترقت خالف بعضها بعضا ومتى خالفت تمسكت بشبه وحجج وناظر كل فرقة من يخالفها فانفتح باب الجدل واحتاج كل أحد الى ترجيح مذهبه وقوله بحجة عقلية أو نقلية أو مركبة منهما فهذا الامر كان غير مأمون قبل المأمون ثم زاد الشر شرا والضر ضرا وقويت به حجج

ما يقول هذا فقالت لا والله يا نبى الله وانما جعل لى جعلا حتى أقذفك بنفسى فسجد موسى يبكى ويتضرع فأوحى الله اليه مر الارض بما تشتهيه فقال يا أرض خذيه يعنى قارون فأخذته حتى غيبت بعضه ثم لم يزل يقول خذيه وهو يغيب حتى لم يبق من جسده الا القليل وهو يتضرع الى موسى ويسأله وهو يقول خذيه الى أن غاب وقال ابن الجوزى وهو يناشده الرحم فما رحمه فاوحى الله الى موسى ما أقطعك وعزتى لو استغاث بى لاغثته قيل ولما خسف به قال بعض الجهال من بنى اسرائيل انما قصد موسى أخذ داره وكانت مبنية بالذهب والفضة فسأل الله فخسف بداره وقيل أراد بداره منزله والعرب تسمى المنزل دارا هذا قول من زعم انهم كانوا فى التيه اذ ذاك ثم دور والقول الآخر قول من زعم أن الواقعة كانت بمصر والله أعلم

(والنطف عثر على فضل ما ركزت)

(الفضل) ههنا بقية الشئ و(الركز) والركاز دفين مال الجاهلية وفى الحديث فى الركاز الخمس (والنطف) رجل من العرب أصاب مالا فضرب به المثل واختلفت

المعتزلة وغيرهم وأخذ أصحاب الاهواء ومخالفو السنة مقدمات عقلية من الفلاسفة فأدخلوها في مباحثهم وفرجوا بها مضايق جدالهم وبنوا عليها قواعد بدعهم فاتسع الخرق على الراقع وكاد منار الحق الواحد يشتبه بالثلاث الاثافي والرسوم البلاقع على ان السنة الشريفة مرفوعة المنار مأمونة الشرار خافقة الاعلام راسخة الاحكام باهرة السنى ساطعة غضة الجنى يانعة

ويزيدها مر الليالي جدة * وتقادم الايام حسن شباب

وأهل السنة فتح لهم السلف الصالح مغلق أبوابها وذللوا بالشواهد الصادقة الصادعة ما جمح من صعابها واطلعوا انيرها الاعظم فطمس من البدع تألق شهابها وأجنوا من اتبع هداهم ثمر اليقين متحد النوع وان كان متشابها وجاسوا خلال الحق فيزوه وأهل مكة أخبر بشعابها

ومن قال ان الشهب أكبرها السها * بغير دليل كذبته ذكاء

(قال) ابو بكر الصيرفي الفقيه الشافعي الاصولي كانت المعتزلة قد رفعوا رؤسهم حتى اظهر الله ابا الحسن الاشعري فحجزهم في اقماع السمسم اهـ (قلت) ومن وقف على طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار علم قدر ما كانوا اعليه من العدد والعدد (وحكي) ان أبا الحسن الاشعري رحمه الله تعالى كان تلميذا لابي علي الجبائي قرأ عليه وتمذهب بمذهبه لان الجبائي كان زوج أم الشيخ أبي الحسن فاتفق أن جرت بينهما مناظرة في وجوب الاصلح والصلاح على الله تعالى فقال له الشيخ أبو الحسن أتوجب الصلاح أو الاصلح على الله تعالى في حق عباده فقال نعم فقال ما تقول في ثلاثة صبية اخوة اخترم الله تعالى منهم أحدهم قبل البلوغ وبقي اثنان فاسلم احدهما وكفر الآخر وما العلة في اخترام الصغير ان سأل ربه تعالى فقال لم اخترمتني دون اخوي فقال له ابو علي انه لو عاش لكفر فكان الاصلح اخترامه فقال الشيخ ابو الحسن فقد أحيا احدهما وكفر فهلا اخترمه عملا بالاصلح له فقال له أبو علي انما احياه ليعرّضه لأعلى المراتب فهو الاصلح له فقال له الشيخ ابو الحسن فهلا احيا الذي اخترمه ليعرّضه لاعلى المراتب كما فعل بأخيه اذ قلت انه الاصلح له فانقطع ابو علي ولم يحر جوابا ثم قال الشيخ ابو الحسن اوسوست قال ابو علي ما وسوست ولكن وقف حمار الشيخ على القنطرة ثم فارقه الشيخ ابو الحسن وخالفه وخالف سائر المعتزلة اللهم انا نسألك لطف الهداية والعصمة ودوام النعمة التي لا تنالها نقمة والثبات بالقول الثابت حتى نحشر مع الفرقة الناجية من هذه الامة انك اهل التقوى واهل المغفرة وولي الخيرات التي وجدناها برسولك الصادق الامين لنا مسخرة وهذا الالزام من الشيخ ابي الحسن رضي الله تعالى عنه في غاية الحسن (ومن الالزام) ايضا ما حكي أنه توفي لصالح ابن عبد القدوس ولد فمضى اليه ابو الهذيل العلاف ومعه ابراهيم النظام وهو صغير فوجده يتلظى حزنا على ولده فقال له لا ارى لتحرقك وجها اذ الناس عندك كالنبات فقال يا ابا الهذيل انما تحرقي لانه لم يقرأ كتاب الشكوك فقال وما هذا يا صالح قال كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان حتى كانه لم يكن وفيما لم يكن حتى كانه كان فقال له ابراهيم النظام فابن أنت على انه لم يمت وان كان قد مات وعلى أنه قرأ الكتاب وان لم يكن قرأه فلم يحر جوابا (ومن الالزامات) نظما قول ابن الرومي

ماعذر معتزلي موسر منعت * كفاه معتزليا معسرا صفدا

الاقوال فيه فبعض من لا يعرف حقيقة أمره يقول هو رجل كان يسقي الماء على ظهره فكان ينطف أي يقطر فسمي النطف ووجد خبيئة من المال فعظم حاله واستغنى بعد فقره وبعضهم يقول النطف الرجل المتهم كان الفقير يجد المال الكثير فيقصد اخفاءه فيتهم ويظهر عليه والصحيح ما ذكره البلاذري أن النطف ابن جبير بن حنظلة اليربوعي كان مقيما بالبادية مع بني تميم وكان باذام عامل كسرى على اليمن يحمل ثيابا من ثياب اليمن وذهبا ومسكا وجوهرا ويرسله الى كسرى مع خفراء من بني الجعد المرازبة الى أن يصل الى أرض بني تميم فيبعث معها هوزة من يجاوزها أرض بني تميم فلما كان في بعض السنين في أرض بني حنظلة تعرض لها بنو يربوع فأغاروا عليها وقتلوا من بها من العرب والاساورة والفرس وكان فيمن فعل ذلك ناجية بن عقال والحرث ابن عقبة والنطف بن جبير وكانوا فرسان بني تميم فنهبوا الاموال فحصل النطف على شيء كثير من جملته خرجان مملوآن مناطق ذهبا محلاة بالجواهر النفيسة فباعها متفرقة وضرب المثل بها

أيزعم القدر المحتوم ثبطه * ان قال ذلك فقد حل الذى عقدا

(وسمعت) الشيخ تقى الدين بن تيمية ينشد

اصفع المجبر الذى * بقضا السوء قد رضى
فاذا قال لم فعلـ * ـت فقل هكذا قضى

(وما) أحسن قول بعضهم

لئن كان حكم النجم لاشك واقعا * فما سعينا فى رده بنجيح
وان كان بالتدبير يبطل حكمه * فقد صح أن الحكم غير صحيح

وقال أبو العلاء المعرى

زعم المنجم والطبيب كلاهما * ان لامعاد فقلت ذاك اليكما
ان صح قولكما فلست بخاسر * أو صح قولى فالوبال عليكما

وقال أيضا

عجبا للمسيح بين النصارى * والى أى والد نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا * انهم بعد قتله صلبوه
فاذا كان ما يقولون حقا * فاسألوهم فى أين كان أبوه
واذا كان راضيا بقضاهم * فاشكروهم لاجل ما عذبوه
واذا كان ساخطا بأذاهم * فاعبدوهم لانهم غلبوه

ووجدت منسوبا الى أبى العلاء المعرى أيضا

زعم الجهول ومن يقول بقوله * أن المعاصى من قضاء الخالق
ان كان حقا ما يقول فلم قضى * حد الزنا وقطع كف السارق

وهذه من مسائل الاعتزال والجواب عنها مذكور فى مسئلة خلق الافعال وقال أيضا

يد بخمس مئين عسجد وديت * ما بالها قطعت فى ربع دينار
تحكم مالنا الا السكوت له * وأن نعوذ بمولانا من النار

فأجاب علم الدين السخاوى

عز الامانة أغلاها وأرخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

(وحكى) ان بعض اليهود صحب قدريا فى الطريق فقال له لاى شئ لم تسلم فقال له لو شاء الله تعالى لاسلمت فقال ان الله تعالى قد شاء ولكن الشيطان لا يدعك فقال اليهودى أنا مع أقواهما فلم يحر القدرى جوابا (وناظر) بختويه النيسابورى عافية بن شبيب البصرى فقال له بختويه ما دليلك على اثبات الخالق فقال له شعرة أملك التى تحلقها فتنبت فلو لم يكن لها منبت لم تنبت فقال له بختويه ينبغى ان يكون بظر أملك حين قطع ولم ينبت دليلا على انه لا منبت فأفحمه (وأما حلية الفضل) فانها أفضل حلية وأنفس شئ تطمح اليه نواظر الامنية وهى جمال من ليس له جمال وكمال من يتعلم منه البدر الكمال * ومن كلام ابن المعتز العلم جمال لا يخفى ونسب لا يجفى قيل ان بعض الملوك شتم بقراط فقال له انما تفتخر على بغيرك ولكن رد كل جنس الى جنسه وتعال فتكلم * وقال المأمون لبعض أولاده وقد سمع منه لحنا ما على أحدكم ان يتعلم العربية فيقيم بها أوده ويزين بها مشاهده ويفل بها حجج خصمه ويملك مجالس سلطانه

أصابه وقيل انه فرق على الفقراء من عشيرته منذ طلعت الشمس الى أن غابت وفى ذلك يقول بعض ولده

أبى النطف المبارى الشمس انى غريق فى السماحة والمعالى

ومات النطف حتف أنفه بعد أن جرت بين العرب والفرس بسببه حروب عظيمة

(وكسرى حل غاشيتك) كسرى اسم لملوك الفرس وقيصر للروم وخاقان للترك وتبع لحمير والنجاشى للحبشة واختلف فى نسب الفرس على أقوال أحدها أنه فارس ابن سام بن نوح وقيل فارس ابن افريدون بن اسحق عليه السلام وكان فى العرب من يفتخر بفارس على قحطان والفرس يقولون انه ابن كيومرث وكيومرث عندهم آدم عليه السلام وانه أول من ملك الفرس وكان منفردا عن العالم وليس فى زمانه ظلم ولا فساد فكثر البغى والظلم فاجتمع اليه حكماء أهل زمانه وقالوا ان صلاح هذا العالم فى اقامة ملك يورد الامور ويصدرها كما ان صلاح الجسد بالقلب وان العالم الصغير من جنس العالم الكبير لا تستقيم أموره الا برئيس يدبره على ما تقتضيه قضايا العقول فساروا الى فارس بن كيومرث فقالوا أنت

بظاهر بيانه أيسر أحدكم ان يكون لسانه كلسان عبده أولسان أمته فلا يزال الدهر أسير كلمته (دخل) الاحنف بن قيس على معاوية وافد الاهل البصرة ودخل معه النمر بن قطبة وعلى النمر عباءة قطوانية وعلى الاحنف مدرعة صوف وشملة فلما مثلا بين يدى معاوية اقتحمتهما عيناه فقال النمر يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك انما يكلمك من فيها فأومأ اليه فجلس (وحكى) المسعودى فى شرح المقامات أن المهدى لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية وهو صبى وخلفه أربعمائة من العلماء وأصحاب الطيالسة واياس يقدمهم فقال المهدى أف لهذه العثانين أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ثم ان المهدى التفت اليه وقال كم سنك يافتى قال سنى أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد بن حارثة لما ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشا فيهم أبو بكر وعمر فقال له تقدم بارك الله فيك (قلت) كذا ذكره المسعودى والصحيح ما قرأته على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبى فى تاريخه الكبير ان اياسا قاضى البصرة توفى فى زمن بنى أمية سنة مائة وتسع عشرة ولم يلحق دولة بنى العباس ويقال سنه اذذاك سبع عشرة سنة وكان معروفا بالذكاء والفطنة والفراسة وولاه قضاء البصرة عمر بن عبد العزيز وحسبك عن يختاره مثل عمر لهذا المنصب (وذكر) الخطيب فى تاريخ بغداد أن يحيى بن أكثم ولى قضاء البصرة وسنه عشرون سنة أونحوها فاستصغروه فقالوا كم سن القاضى فقال أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذى وجهه النبى صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذى وجهه النبى صلى الله عليه وسلم قاضيا على أهل اليمن وأنا أكبر من كعب بن سوار الذى وجهه عمر ابن الخطاب قاضيا على البصرة فجعل جوابه احتجاجا وقد جمع بعضهم مجلدا فى ذكاء اياس بن معاوية ويقال انه نظر الى نسوة ثلاث فزعن من شئ فقال هذه حامل وهذه مرضع وهذه بكر فسئلن فكان الامر على ماذكر فقيل له من أين لك ذلك قال لما فزعن وضعت احداهن يدها على بطنها والاخرى على ثديها والاخرى على فرجها (ونظر) يوما الى رجل غريب لم يره قط فقال هذا رجل غريب واسطى معلم كتاب هرب له غلام فسئل فوجد الامر كما ذكر فقيل له من أين لك ذلك قال رأيته يمشى ويتلفت فعلمت انه غريب ورأيت على ثوبه حمرة تراب واسط ورأيته يمر بالصبيان ويسلم عليهم ويدع الرجال واذا مر بذى هيئة لم يلتفت اليه واذا مر باسود ذى أسمال يتأمله وأين هذه من فراسة أبى الحرث جمير وقد أنشد بين يديه قول العباس بن الاحنف

قلبى الى ماضرنى داعى * يكثر أسقامى وأوجاعى
كيف احتراسى من عدوى اذا * كان عدوى بين أضلاعى
ان دام لى هجرك مع كل ذا * يوشك أن ينعانى الناعى

فبكى وقال هذا رجل جائع يصف جارية طباخة مليحة فقيل له من أين لك هذا فقال لانه بدأ فقال قلبى الى ماضرنى داعى وكذلك الانسان تدعوه شهوته وقلبه الى ما يضره من الطعام والشراب فيأكل فتكثر عليه أوجاعه وهذا تعريض ثم صرح فقال كيف احتراسى البيت وليس للانسان عدو بين اضلاعه الا معدته فهى تتلف ماله وهى سبب أسقامه ومفتاح كل بلاء عليه ثم قال ان دام لى هجرك البيت فعلمت ان الطباخة كانت صديقته وهجرته ففقدها

أفضلنا وبقية أبينا آدم عليه السلام ولابد من تقديمك علينا وتفويض أمورنا اليك فاخذ عليهم العهود والمواثيق على السمع والطاعة ووضع التاج على رأسه تمييزا له وهو أول من لبسه ثم خطب بالسريانية وهو لسان آدم عليه السلام ويقال لو ترك كل أحد من بنى آدم لتكلم بالسريانية بالطبع فتكلم بكلام معناه الشكر والدعاء والمعونة والهداية وأقام مدة طويلة يدبر الملك وتوفى وملك بعده أوشهنج وملوك الفرس تنسب اليه وللفرس مبالغات عظيمة فى وصف كيومرث ومنهم من يزعم أنه آدم نفسه وانه خلق من الريباس وعاش ألف سنة *وكسرى يقال بفتح الكاف وكسرها وجمع جمعين على غير قياس الاكاسرة والكسور وذلك أن حد الافاعلة أن يكون جمع الافعال مثل اسكاف وأساكفة وأما الكسور فانه جمع بتقدير طرح الالف مثل جذع وجذوع قال الاعشى
انه كان أبا الكسور
والمراد ههنا كسرى أنوشروان فانه أشهر ملوك الفرس وأحسنهم سيرة وأخبارا وهو كسرى أنوشروان ابن قباذ بن فيروز وفى أيامه ولد النبى صلى الله عليه وسلم وقال ولدت فى زمن الملك

وفقد الطعام ولو دام عليه لمات جوعا وتعبا (أخبرني) الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري قال أخبرني الحكيم علم الدين عبد الرحيم بن أبي خليفة رئيس الاطباء عن والده الحكيم الرشيد أبي خليفة رئيس الاطباء بعصر زمن الملك الكامل انه أتت اليه امرأة من الريف ومعها ولدها وهو مصفر ناحل فوضع يده في نبضه وقال لغلامه ناولني الفرجية فتغير النبض تحت يده في الحال فقال لها هذا الغلام عاشق واحدة اسمها فرجية فقالت اي والله يا مولاي وقد عجزت في عذله فعجب الحاضرون من ذلك (أقول) ان الحكيم الرشيد انما اهتدى الى ذلك من كلام الشيخ أبي علي بن سينا في القانون حيث ذكر العشق فانه قال ومما يتوصل به الى معرفة المعشوق اذا كتمه العاشق ان يضع يده على نبض العاشق زمانا ويذكر أسماء وصنائع فتى اختلف النبض اختلافا شديدا او اضطرب دفعة عند ذكر واحد منها فهو المعشوق ولو قال الشيخ بدل قوله وصنائع وصفات لكان أجمل والمعنى حاصل (يقال) أصدق الناس فراسة ثلاثة العزيز في قوله لامرأته عن يوسف عليه السلام أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا وابنة شعيب التي قالت لابيها يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وأبو بكر في الوصية بالخلافة لعمر (رجع القول الى ذكر حلية الفضل) قال الشريف الرضي

ان يبل ثوبي فاني اكتسي حسبي * أو تردخي لي فاني راكب مني
لقد تقدم بي فضلي بلا قدم * أعظم بامر على ذي السن قدمني

وتولى قضاء المعرة القاضي أبو علي عبد الباقي بن أبي حصين وهو ابن خمس وعشرين سنة وأقام في الحكم خمس سنين فقال

وليت الحكم خمسا وهي خمس * لعمري والصبا في العنفوان
فلم تضع الاعادي قدر شاني * ولا قالوا فلان قد رشاني

ولقاضي القضاة ابن حجة

يا أيها السلطان لا تستمع * في حق قاضيك كلام الوشاه
والله لم يسمع بان امرأ * أهدى له شيأ ولا قد رشاه

(وقال بعضهم)

قد قال قوم أعطه لقديمه * جهلوا ولكن أعطني لتقدمي
فانا ابن نفسي لا ابن عرض أحتذي * بالفضل لا برفات تلك الاعظم

(وقال آخر)

ان الامير هو الذي * يضحى أميرا يوم عزله
ان زال سلطان الولا * ية لم يزل سلطان فضله

أنشدني لنفسه اجازة القاضي زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردي

خلعت ثوب القضاء عمدا * ولم أكن فيه بالظلوم
ان زال جاه القضاء عني * كان لي الجاه بالعلوم

لما تولى الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن علي الزملكاني قضاء حلب عامل أهلها بالتشديد فقال له نائب السلطنة الامير علاء الدين ٣ لطفا يا قاضي لاي شيء لم تعاملنا كما كان

العادل يعني كسرى وكان ملكا جليلا محببا للرعايا تام التدبير فتح الامصار العظيمة في الشرق وأطاعته الملوك وتزوج ابنة خاقان ملك الترك وقتل مردك وأصحابه وذلك ان أباه قباذ قد بايع رجلا زنديقا يسمى مردك أحدث مقالات في اباحة الفروج والاموال وقال انما الناس فيها سواء وكان لا يسفك الدم ولا يأكل اللحم وانه دخل يوما على قباذ وعنده زوجته أم كسرى وكانت من أحسن النساء وعليها حلي عظيم فأعجبته فقال لقباذ اني أريد أن أنكحها الان في صلبي نبيا يكون منها فأطاعه قباذ لقوله عقالته فلما هم مردك بها وكان كسرى صغيرا قبل قدميه وتضرع له في أن لا يفعل فوهبها له فاول ما ولي كسرى بعد موت أبيه قتل مردك وأصحابه فعظم في عين الفرس وأحبوه وسلك سيرة أردشير وتوطدت مملكته وبنى المباني المشهورة منها السور العظيم الباقي الذكر على جبل الفتح عند باب الابواب وأقام الحرس وحسم المادة من فساد من خلفه ومنها المدينة التي سماها باسم رومية ومنها الايوان العظيم الباقي الذكر وليس هو المبتدي لبنيانه وانما المبتدي له سابور وهو الذي

القاضي زين الدين بعاملنا فقال ذاك كان يخاف على منصبه ليتكثر به وأنا لو عزلتموني اليوم لاصبح على بابي من الطلبة والتلاميذ والمستفيدين مثل ما على بابي اليوم في الحكم فقال له صدقت وكذا كان رحمه الله يعملون عليه ويعزلونه من الوظائف والرياسة العلمية فيه لا تزول وفي بيت الطغرائي من البديع نوعان وهما الموازنة في صالتي وزانتي وفيهما الترصيع والنوع الثاني لزوم ما لا يلزم فانه التزم الطاء في الخطل والعطل

(مجدي أخيرا ومجدي أولا شرع * والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل)

(اللغة) المجد لغة الكرم والمجيد الكريم وقد مجد بالضم فهو مجيد وماجد قال ابن السكيت الشرف والمجد انما يكونان بالآباء يقال رجل شريف ماجد له آباء متقدمون في الشرف قال والحسب والكرم يكونان في الرجل وان لم يكن لآبائه شرف اهـ قلت قول امرئ القيس

ولو ان ما أسعى لادنى معيشة * كفاني ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل * وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

يؤيد ما ذهب اليه ابن السكيت لان المجد المؤثل هو الموروث ويحتمل ان يكون المجد ما يكتسبه الرجل بنفسه بدليل قوله أسعى والسعي انما يكون لتحصيل ما لم يكن للانسان والوراثة لا يسعى لها لانها حاصلة هذا ان قلنا ان اللام هنا للتعليل وان قلنا انها شبه الملك فيترجح قول ابن السكيت وقد ذهب كثير من النحاة الى ان قوله كفاني ولم أطلب قليل من المال من باب التنازع في العمل منهم أبو علي الفارسي على جلالة قدره وليس منه قال ابن الحاجب رحمه الله لان أطلب منفي بلم والنفي في سياق لو اثبات لانه حرف امتناع والامتناع نفي ونفي النفي اثبات فاذا امتنع النفي صار ثبوتا واذا كان كذلك فيكون طلب القليل ثابتا وطلب القليل هو السعي لادنى معيشة فيكون قد أثبت بلو غير ما نفى بلم لان قوله ولم أطلب معطوف على كفاني وهو جواب والمعطوف في حكم المعطوف عليه واذا تقرر ذلك تعين ان قوله قليل لم يتوجه له من العاملين غير كفاني وانتفى ان يتوجه اليه اطلب ولو توجه اليه لفسد المعنى لتوارد النفي والاثبات على شيء واحد وان كان الطلب ثابتا تعين أن يكون مفعوله غير القليل لان امرأ القيس انما طلب الملك وقد ذكره في البيت الثاني قال ابن اياز في المطارحة قال الجرمي أراد كفاني قليل من المال ولم أطلب ولو اعمل لم أطلب في قليل لاستحال المعنى (أخيرا) أي آخرا والآخر ضد الاول (شرع) أي سواء يحرك ويسكن ويستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع ومنه قولهم الناس في هذا الامر شرع أي سواء (رأد الضحى) الضحى شروق الشمس بعد طلوعها والرأد ارتفاعها وقد قسمت العرب ساعات النهار باسماء فالاولى الذرور ثم البزوغ ثم الضحى ثم الغزالة ثم الهاجرة ثم الزوال ثم الدلوك ثم العصر ثم الاصيل ثم الصبوب ثم الحدور ثم الغروب ويقال فيها أيضا البكور ثم الشروق ثم الاشراق ثم الرأد ثم الضحى ثم المتوع ثم الزوال ثم الهاجرة ثم الاصيل ثم العصر ثم الطفل ثم الغروب (الطفل) بتحريك الفاء بعد العصر اذا طفلت الشمس للغروب فعلى هذا الطفل آخر النهار والرأد أوله فهما طرفا النهار تقول أتيته طفلا (الاعراب) مجدي مبتدأ وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الدال لان الياء لا يكون ما قبلها الا من جنسها أي مكسورا والياء في موضع جر بالاضافة لانه ضمير المتكلم والضمائر كلها مبنية وسيأتي الكلام على ذلك (أخيرا)

رفعه وأتمه وأتقنه حتى صار من عجائب الدنيا وكان انشقاق مثله من المعجزات النبوية والخصائص المحمدية يروى أن الرشيد هرون أراد هدمه فاستشار يحيى بن خالد البرمكي فنهاه وقال في بقائه معجزة باقية فقال الرشيد بل أبيت الا تعصبا لآبائك يعني الفرس فأمر بهدمه فصرف على هدم شرافة واحدة مالا كثيرا فكف عنه فقال يحيى أرى الآن أن تهدمه لئلا يتحدث عنك أنك عجزت عن هدم ما بناه غيرك فتغافل عن قوله وتركه (وحكى) عن بعض رسل الملوك انه دخل على كسرى فرأى في الايوان اعوجاجا فسأله عنه فقيل له انه بيت لعجوز فقيرة سألها الملك بيعه فامتنعت فارغبها في مال كثير فلم تفعل فتركها وبنى الايوان على ما هو عليه فقال الرسول هذا الاعوجاج أحسن من الاستواء ويروى أن العجوز بعد بناء الايوان نزلت للملك عن البيت وقالت انما أردت بامتناعي أولا أن يتحدث الناس بعد ذلك وتكون لك هذه المأثرة الظاهرة ثم صنع كسرى في الايوان سلسلة عظيمة ذات أجراس وجعل لها طرفا خارجا عن القبة وأمر مناديه من

منصوب على انه ظرف زمان وكذلك قوله أولا و الظرف ينتصب بالمعنى فالعامل فيه معنى الاستقرار ومجدى الثانى معطوف على الاول وشرع خبرعنهما كقولك زيد وعمرو كريمان فكريمان خبرعن المبتدا ين (والشمس) هذه الواو هى واو الابتداء والشمس مبتدا (رأد الضحى) منصوب على انه ظرف زمان والضحى مضاف اليه علامة جره كسرة مقدرة على الالف لانه مقصور والالف حرف هوائى أى مما لا يقبل الحركة (كالشمس) الكاف تجىء فى الكلام لمعان منها ان تكون للتعليل كقوله تعالى واذكروه كما هداكم وزائدة كقوله تعالى ليس كمثله شئ لانه يلزم من عدم زيادتها اثبات المثل لله تعالى الله عن ذلك هكذا أعربها الجمهور من النحاة قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله فى التعليقة على المقرب قال أكثر الناس هى زائدة للتوكيد والمعنى والله أعلم ليس مثله شئ وقال جماعة من المحققين ليست بزائدة وانما هى على بابها ومعنى الكلام والله أعلم نفى مثل المثل ويلزم من ذلك نفى المثل ضرورة وجوده سبحانه فان قيل لم توصل الى نفى المثل بنفى مثل المثل وهلا نفى المثل من أول وهلة فالجواب ان نفى المثل بنفى مثل المثل أبلغ وأفخم من قولنا أنت لا تفعل هذا لانه نفى الشئ بذكر دليله فهو أبلغ من نفى الشئ بغير ذكر دليله اه (قلت) وقد قال بعضهم انها ليست بزائدة ولم يعوّل على هذا الدليل بل قال مثل ومثل سا كنا ومتحركا سواء فى اللغة كشبه وشبه فتمثل ههنا بمعنى مثل قال الله تعالى ولله المثل الاعلى ويكون المعنى ليس مثل مثله شئ وهو صحيح ومن أمثلة زيادتها قول رؤبة بن العجاج * لواحق الاقراب فيها كالمقق * وهو الطول وما أحلى قول ابن قلاقس يمدح الحافظ السلفى

كالبحر والكاف ان أنصفت زائدة * فيه فلا تحسبنها كاف تشبيه

وقد أخذه من أبى الطيب حيث قال

كفاتك ودخول الكاف منقصة * كالشمس قلت وما للشمس أمثال

وتخرج الكاف من الحرفية الى الاسمية فتكون فاعلا كقول الشاعر

أتنتهون ولن ينهى ذوى شطط * كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وتكون مبتدا كقول الشاعر

أبدا كالفراء فوق ذراها * حين يطوى المسامع الطرر

وتكون مجرورة كقوله * وصاليات ككما يؤثفين * وقوله * يضحكن عن كالبرد المنهم (المعنى) مجدى فى الاول ومجدى فى الآخر سواء لا تفاضل فيه كما ان الشمس استوت حالتاها فى أول النهار وآخره ومن الكلم النوابغ التاج مجده فى كيسه والعالم مجده فى كراريسه ومنها أيضا من أخطأته المناقب لم تنفعه المناسب وفى خبر شمر بن عبس الحميرى أحد ملوك اليمن فى خبر طويل انه سأل أولاده قبل الوفاة فقال ما المجد فقالوا ابتناء المكارم وحمل المغارم والاضطلاع بالعظائم وكف النفس عن ركوب المظالم ويحتمل بيت الطغرائى أنه أراد مجد أسلافى ومجدى واحد أى انى ورثت المجد عن آبائى الكرام وسدت كما سادوا وقد أخذ الطغرائى هذا المعنى من قول أبى العلاء المعرى حيث قال

وافقتهم فى اختلاف من زمانكم * والبدر فى الوهن مثل البدر فى السحر

كان مظلوما فليحرك السلسلة ليعلم به الملك فيزيل ظلامته قال العسكرى وهذا هو الاصل فى قول الناس حرك فلان على فلان السلسلة اذا وشى به (وحكى) انه كان جالسا بالايوان واذا بحية قد دنت من عش حمامة فى بعض شقوق الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم أو بندقة فقتلها فقال هكذا نفعل بعدو من استجار بنا فلما كان بعد أيام جاءت الحمامة بحب فى منقارها فالقته اليه فاخذه وقال ازرعوه فزرعوه فنبت ريحانا لم يكن يعرفونه فقال نعم ما كافأتنا به الحمامة نسأل الله الذى ألهمها أن يلهمنا الاحسان الى رعيته والشكر على نعمه وخص كسرى بأشياء لم تكن لغيره من الملوك على ما ذكره كثير من الرواة منها الفيل الابيض لركوبه طوله اثنا عشر ذراعا وقطعة الياقوت المسمى لسان الثور تضىء بالليل أكثر من السراج والفلهيد المغنى واضع العود الخراسانى على اثنى عشر وترا كل من ضرب به خرج الاهواء وكان يعمل له كل يوم مع طعامه مهر من الخيل وعناق زرقاء مغذاة بلبان النعاج يذبحان بسكين من ذهب ويسجر التنور بالعود ويسمط بالخمر المغلى ويطلى بالمسك والملح ويعلق

فهذا هذا خلا أن ذاك في الشمس وهذا في القمر ولكن قول المعري ألطف عبارة وأحسن اشارة لان الطغرائي أغرب في لفظتي رأدوا الطفل وعذوبة الالفاظ أمرهم في البلاغة وكلا المعنيين يشبه قول الحريري

وطالما أصلى الياقوت جمر غضا * ثم انطفا الجمر والياقوت ياقوت

كتب نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي الى الامام الناصر يعرض بالوزير القمي وكان يدعى انه شريف علوى

خليلي قولا للخليفة أحمد * توق وقيت الشر ما أنت صانع
وزيرك هذا بين أمرين فيهما * صنيعك يا خير البرية ضائع
فان كان حقا من سلالة أحمد * فهذا وزير في الخلافة طامع
وان كان فيما يدعى غير صادق * فاضيع ما كانت لديه الصنائع

فلما وقف الناصر عليها كانت سبب تغييره عليه وأمر فخرج اليه مملوكان مسرعين فهجما على الوزير في داره وضرباه بدواته على رأسه وجلاه الى المطبق فكتب الى الخليفة

ألقني في لظى فان غيرتني * فتيقن أن لست بالياقوت
عرف النسج كل من حاك لكن * ليس داود فيه كالعنكبوت

فكتب اليه الخليفة الجواب

نسج داود لم يفد صاحب الغا * ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السمند في لهب النا * ر مزيل فضيلة الياقوت

اختبرناك فصرفناك واختبرناك فصرفناك والسلام ومن هنا أخذ المعنى ناصر الدين حسن ابن النقيب

ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه في كل شي
فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي

وعلى ذكر العنكبوت ودود القز ذكرت قول محمد بن أبي الحسن المعروف بالاردخل

أقول اذا قالوا ترك مقطبا * اذا ما ادعى دين الهوى غير أهله
يحق لدود القز يقتل نفسه * اذا جاء بيت العنكبوت بمثله

وقول الآخر وهو أبو محمد بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطي شارح المقامات

حق دود القز يبني * فوقه ثم يموت
بعد ما سدى وقد صا * ر يسدي العنكبوت

قال صاحب الصحاح والسرفة دويبة تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقاق العيدان تضم بعضها الى بعض بلعابها على مثل الناووس ثم تدخل فيه فتموت يقال في المثل أصنع من سرفة اه ماقاله صاحب الصحاح (قلت) هي بضم السين المهملة وبعدها راء ساكنة ثم فاء مفتوحة وآخرها هاء على وزن غرفة واختلفوا في نعتها فقال اليزيدي هي دويبة صغيرة تنقب الشجر وتبني فيه بيتا وقال أبو عمرو بن العلاء هي دويبة مثل نصف عدسة تنقب الشجر ثم تبني فيه بيتا من عيدان تجمعها مثل غزل العنكبوت منخرطا من أسفله الى أعلاه كأن زواياه قومت على خط وله في احدى صفاتحه باب مربع قد الزمت أطراف عيدانه من كل صفيحة أطراف

في سفود من ذهب ونارجين من ذهب فاذا برد جعل فوضع على خوان من ذهب فيقدم اليه فيأكل أكثره ويتحف بالبقية من أحب من ندمائه ويكسر التنور ويجدد كل يوم مثله واجتمع على بابه سبعون ملكا وله حكايات حسنة مذكورة في سيره * فمنها أن عاملا له على ناحية كتب اليه يعلمه بجودة الريع ويستأذنه في الزيادة على الرسم فامسك عن اجابته فعاوده العامل في ذلك فكتب اليه قد كان في ترك اجابتك عن كتابك ما حسبتك تزجر به عن تكلف مالم تؤمر به فاذ قد أبيت الا تماديا في سوء الادب فاقطع احدى أذنيك واكفف عما ليس من شأنك فقطع العامل أذنه وسكت عن ذلك الامر * ومنها أن رجلا على عهده كان يقول من يشتري ثلاث كلمات بألف دينار فتطاير منه الناس الى أن وصل الى كسرى فأحضره وسأله عنها فقال ليس في الناس كلهم خير فقال كسرى هذا صحيح ثم ماذا قال ولابد منهم قال صدقت ثم ماذا قال فالبسهم على قدر ذلك فقال كسرى قد استوجبت المال فخذه قال لا حاجة لي به وانما أردت أن أدري من يشتري الحكمة بالمال * ويروى انه

عيدان الصفحة الاخرى كانها مغروزة وقال محمد بن حبيب هى دويبة تنسج على نفسها بيتا فهو ناووسها حقا والدليل على ذلك انه اذا نقض هذا البيت لم توجد الدودة فيه حية أصلا وزاد بعض رواة الاخبار على ابن حبيب زيادة فزعم ان الناس فى أول الدهر حين كانوا يتعلمون الحيل من أفعال البهائم تعلموا من السرفة احداث بناء الناووس على موتاهم وانه فى خرط وشكل بيت السرفة ويقال وادسرف وأرض مسرفة وسرفت الشجرة اذا أصابتها السرفة ومن هذه المادة قول القائل

اذا شوركت فى أمر بدون * فلا يلحقك عار أو نفور
ففى الحيوان يشترك اضطرارا * ارسطاليس والكلب العقور

قلت هذا معنى قول أرباب المنطق فى كل نوع حصة من جنسه يعنون بذلك أن كل فرد فرد من أشخاص الجسم النامى المتحرك بالارادة من الناطق والصاهل والمفترس والسابح والنابح وغير ذلك فيه حصة من الحيوانية التى هى جنسه وهى الجسمية والنمو والتحرك بالارادة والنوعية هى التى امتاز بها كل نوع عن غيره وهى الفصل مثل الناطقية أو الافتراسية أو السابحية أو النابحية وقد رأيت الشيخ الامام الفاضل ركن الدين محمد بن القريع غير مرة ينكر على من يضرب كلبا أو بهيمة ويقول له يحنق لأى شئ تفعل به هذا وهو شريكك فى الحيوانية وما أحسن قول القائل

وللزنبور والبازى جميعا * لدى الطيران أجنحة وخفق
ولكن بين ما يصطاد باز * وما يصطاده الزنبور فرق

والياقوت هو سيد الاحجار التى لا تذوب ولا تتكلس بالنار زعموا انه يتكون فى كهوف الجبال وخلال الرمال ويتم نضجه فى عشر سنين وعلة تكونه ان مياه الامطار التى ترسخ فى المغارات والكهوف متى لم يخالطها شئ من الترابية والطينية وطال وقوفها هنالك ازدادت صفاء وثقلا وغلظا بتسلط حرارة المعدن على تجفيفها وطبخها فانعقدت وصارت حجارة صلبة شفافة وتكون ألوانها وخفتها وثقلها بحسب أنوار الكواكب المستولية على ذلك الجنس من الجواهر وعلى تلك البقاع على مازعم أصحاب الكلام فى أحكام النجوم فانهم يقولون السواد لزحل والحمرة للمريخ والخضرة للمشترى والصفرة للشمس والزرقة للزهرة والملون لعطارد والبياض للقمر وأصحاب الكلام فى الطبائع يقولون سبب اختلاف الالوان اختلاف بقاع الارض التى يتكون فيها ذلك لان الماء اذا وقع عليها وغاض فيها ودام تغير بما تحلل فيه من يبس الارض واسخان الشمس له فعلى قدر حرارته يتكون فان اشتدت حرارته وأفرطت واستولى عليها اليبس عرض له السواد وظهر على أعلاه وبطنت الحمرة التى هى من الحرارة المعتدلة فى باطنه وربما طرحت الحمرة نورها الى خارج مع ظهور السواد فقام بينهما اللون الاسمانجونى وان كانت الحرارة معتدلة انعقد أحمر وهو أجود الياقوت وان قصرت الحرارة بغالبة الرطوبة لها انعقد أصفر وان أفرطت الرطوبة واستولت على الحرارة انعقد أبيض صافيا والاسمانجونى والاصفر اذا وضعا على النار أبيضا ولا يتغيران عن البياض فهذه الالوان الاربعة يشملها جنس الياقوت والاحمر منها ينقسم الى أربعة أصناف البهرمانى وهو أشدها حمرة وأكثرها صفاء ويوجد منه ما وزنه اثنا عشر مثقالا الاثم الوردى وهو وارد أنواع الاحمر ويوجد منه ما وزنه

اول من جعل لندمائه أمارة ينصرفون بها من مجلسه اذا أرادوا نصرافهم وذلك انه كان يمد رجله فيعرفون انه يريد قيامهم فينصرفون وتبعه الملوك وكان فيروز الاصغر كذلك يعرك عينه وكان بهرام يرفع رأسه الى السماء وكان فى الاسلام معاوية يقول العزة لله وعبد الملك بن مروان يلقى المخصرة من يده وعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يدعو وحدث بهذا الحديث عند بعض البخلاء وسئل ما أمارته قال اذا قلت يا غلام هات الطعام * ومن كلام كسرى القلوب تحتاج الى أقواتها من الحكمة كما تحتاج الابدان الى أقواتها من الغذاء ووقع فى قصة مرافع ان الملوك اذا دمرت مالكها عمال رعيتها كانت بمنزلة من يعمر سطح بيته بما ينقضه من أساسه وكتب باللؤلؤ على مائدة من الذهب ليهنه طعام من أكله من حله وعاد على ذوى الحاجات من فضله ما أكلته وأنت مشتهيه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك وقيل ما أعظم الكنوز قدرا وأنفعها عند الحاجة اليها فقال معروف أودعته عند الاحرار وعلم أورثته الاعقاب وقال احذروا صولة الكريم

ثلاثون مثقالا ثم الجمري وأردؤه ما قرب الى البياض ثم الاحمر العصفري وأردؤه ما قرب من لون الورس وأما الاصفر فمنه الرقيق الكثير الماء ثم الخلوقي وهو أشبع صفرة من الاول ثم الجلناري وهو أشبع صفرة من الثاني وأشد شعاعا وأكثر ماء وهو أكثر أنواع الاصفر ويوجد من هذه الاصناف ما وزنه أربعون مثقالا وأما الاسمانجوني فمنه الازرق واللازوردي والنيلي والكحلي ويسمى الزيتي وهو أردؤها ويوجد منه ما وزنه أربعون مثقالا وأما الابيض فمنه المهاوي وهو أشدها بياضا وأكثرها ماء وأقواها شعاعا ومنه الذكر وهو أردأ أصناف الياقوت * قرأت على العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري كتابه الذي وضعه ووسمه بنخب الذخائر في أحوال الجواهر قال في ذكر الياقوت فالرماني أعلاها وهو الشبيه بحب الرمان الغض الخالص الحمرة الشديد الصبغ الكثير الماء ويؤخذ لونه بان يقطر على صفيحة فضة مجلوة قطرة دم قرمزي أعني من عرق ضارب فلون تلألؤ القطرة على تلك الصفيحة هو الرماني ثم قال فيما بعد وذكر القدماء ان قيمة المثقال الفائق من الياقوت الاحمر ثلاثة آلاف دينار وأما في الدولة العباسية فان الغالب من قيمته أن الجيد منه اذا كان وزن طسوج يساوي خمسة دنانير ووضعه فه عشرين دينارا وسدس مثقال ثلاثين دينارا وثلث مثقال مائة وعشرين دينارا ونصف مثقال أربعمائة دينار والمثقال بألف دينار والمثقال ونصف بألفي دينار هذا ما تقرر في زمن المأمون مع كثرة الجواهر في ذلك الزمان والمثقال من البهرماني بثمانمائة دينار ومن الارجواني بخمسمائة دينار ومن الجلناري بمائتي دينار ومن اللحمي بمائة دينار والبنفسجي يقاربه والوردي دون ذلك وكان في خزانة الامير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب وزنها اثنا عشر مثقالا قومت بعشرين ألف دينار وكان للمعتصم فص يسمى ورقة الآس لانه كان على شكلها ووزنه مثقالان الا شعيرتين اشتراه بستين ألف درهم ثم قال قال ابن سينا ان خاصية الياقوت التفريح وتقوية القلب ومقاومة السموم وقال ابن زهر شرب سحيقه ينفع الجذام والتختم به يدفع حدوث الصرع انتهى (قلت) ومن خواص الياقوت انه يقطع جميع الحجارة الا الالماس فانه يقطعه لصلابته وقلة مائه وشدة الشعاع والثقل والملاسة والصبر على النار وهو لا يجلى الا على صفيحة نحاس بتكلس الجزع اليماني وهو ان يحرق حتى يصير كالنورة ثم يسحق بالماء حتى يعود كالغراء ثم يجلى به الياقوت لانه يخرج من معدنه وظاهره مظلم فيحتاج الى الجلاء وربما وجد في باطن الحجر بعد جلائه طين أو ماء قصرت عنه حرارة المعدن في الطبخ فيطين ويجفف بعد ان يثقب بالالماس ثم يلقى في النار ويوقد عليه بالحطب الجزل بقدر معلوم فانه ينقى فان كان لونه اسمانجونيا أو أصفر لم يدخل النار الا ان كان في الاسمانجوني صفرة فيدخل قليلا بقدر ما تغسل عنه فان زيد في حميه انسلخت لونيته وابيض وصار كالبلور وما أحسن قول البلخي رحمه الله تعالى

أقت لي قيمة مذ صرت تلحظني * شمس الكفاءة تغنيني عن النظر
كذا اليواقيت فيما قد سمعت به * من حسن تأثير عين الشمس في الحجر

قال بعضهم في مليح اسمه ياقوت

ياقوت ياقوت قلب المستهام به * من المروءة أن لا يمنع القوت
سكنت قلبي وما تخشى تلهبه * وكيف يخشى لهيب النار ياقوت

اذا جاع واللئيم اذا شبع

(وقيصر رعى ماشيتك)

(قيصر) اسم لملوك الروم وسموا الروم لانهم ينتسبون الى روم بن العيص بن اسحق عليه السلام وقيل انهم ينتسبون الى رومية والصحيح الاول لان رومية بنيت بعد ظهورهم بكثير وكان يقال لها رماس فلما سكنوها نسبت اليهم وقال ابن الكلبي ولد لاسحق ثلاثون ولدا منهم الروم وكان أصفر اللون فقيل لولده بنو الاصفر وقيل أغارت عليهم الحبشة فولدهم بنات أخذن من بياض الروم وسواد الحبشة فكن صفرا لعسا فنسبوا اليهن وأول من سمي منهم قيصر قيصر بن انطرطس وسمي قيصر لان أمه كانت حاملا به فتعسرت ولادتها فشق بطنها فخرج وكان يفتخر على الناس بأن النساء لم تلده وانما خرج كرها وسمي قيسر ثم قيل قيصر وصار هذا اللقب سمة لملوك الروم بعده وكان جبارا عاتيا وهو أول من جمع مملكة الروم واليونان وذلك أن أباه انطرطس لما بلغه أن ملوك اليونان قد انقرضوا ولم يبق منهم غير امرأة وهي قبلابطره أرسل اليها يخطبها وكان قد ملك طرفا من أطراف بلادهم حين انقرضوا يقول قصدي أن تصير

وأما السمندفاخبرني العلامة شمس الدين أبو عبدالله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري قال أخبرني عز الدين بن عبد العزيز الحلبي المعروف بالكوبزي أن السمندشئ يشبه غبار القطن ونسج العنكبوت يتكون في شقوق من سقفان تعلو أنهارا عذبة بارض الهندوانه قليل جدا لا يظفر منه الا باليسير انتهى (وأخبرني) الشيخ الامام العلامة صلاح الدين محمد بن البرهان من لفظه ان البادزهر يوجد في بعضه تجويف وفيه شئ يشبه الصوف اذا وضع في النار لم يحترق منه شئ البتة (وأخبرني) الشيخ شمس الدين أيضا انه عاين عند الامير علاء الدين علي بن البزواناه بالديار المصرية منشفة طولها قدر أربعة أشبار وعرضها دون ذلك يمسح بها الوجه واليدان فاذا تدنست تلقى في النار فتنقى وذكروا انها من السمندولم يذكر أهو حيوان أو غيره وحكى لي وله انسان يظن به الصدق انه رأى عند شخص يعمل النشاب بين القصرين بالقاهرة ريشة بيضاء شككت أنا في طولها قال ذراع أو أقل وأنها يوضع عليها الزيت وتلقى في النار الى ان تفنى مادة الزيت ثم يخرج بها وهي سليمة بيضاء نقية (وأخبرني) الشيخ شمس الدين أيضا انه رأى عند شرف الدين بن زنبور وشخصا مغربيا يعرف بزيد الصائغ دهن لحيته بدهن كان معه ووضع السراج فيها فاشتعلت ذقنه الى ان نفدت مادة الدهن فضرب بيده ذقنه فطفئت ولم يحترق منها شئ قلت أنا ولعل الريشة التي ذكرها الناذلك الرجل تدهن بذلك الدهن وهو معروف عند أصحاب الملح فالخصوصية للدهن لا للريشة والله أعلم بالصواب وان كانت هذه الريشة من طائر وله هذه الخصوصية فاقول هذا يؤيد دعوة الاشاعرة في دعواهم ان الله يخلق الاحراق في النار عند قربها من الاجسام وليس الاحراق لنفس النار ويخلق الشبع عند تناول الخبز وليس الشبع بالخبز ويخلق الري عقيب شرب الماء وليس الري لنفس الماء فقد رأينا من يفرط في أكل الخبز ولم يشبع وفي شرب الماء ولم يرو وما ورد في الاخبار الصحيحة من بقاء الحيات والعقارب وعظم مقاديرهن في نار جهنم وهي حيوانات وليس هذا ممتنع على الفاعل المختار سبحانه وتعالى وهذا الطائر يمكن أن يتولد في النار كما يتولد في كور الزجاجين الحيوان المسمى بالسرفوت وهو أشبه شئ بسام أبرص لا يزال حيا مادام في النار وهي مضطرمة فاذا طفئت وبرد المكان مات وقال ارسطو لا يبعد أن يكون في كل عنصر حيوان يتولد فيه كما يحكى أن في بلاد الترك براة بيضا اذا حصل لها مرض معروف عندهم حلقت في الهواء ونزلت ومعها حية بيضاء قدر شبر فقتلها فتبرأ مما تشكوه ثم ذكر ارسطو أيضا السرفوت المذكور تأييدا لما ادعاه (أخبرني) العالم مفتي المسلمين شرف الدين أبو عبدالله محمد ابن الشيخ فتح الدين بن أبي الحسن علي بن ابراهيم الانصاري القمي من لفظه بثغر الاسكندرية قال أخبرني الشيخ نجيب الدين عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحراني أخبرنا أبو حامد وعبد الله بن مسلم بن جوالق قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا منصور بن أبي غالب القزاز أخبرنا الحافظ أبو بكر احمد بن علي الخطيب أخبرنا الحسن بن أبي بكر بن شاذان حدثنا أبو الحسين عبد الرحمن بن نصر المصري الشاعر املاء من حفظه حدثنا أبو عمر الانسي بمصر قال حدثنا دينار مولى أنس بن مالك قال صنع أنس لاصحابه طعاما فلما طعموا قال يا جارية هاتي المنديل فجاءت بمنديل درم فقال اسجري التنور واطرحيه فيه ففعلت فابيض فسألناه عنه فقال ان هذا كان للنبي صلى الله عليه وسلم وان النار لا تحرق شيأ كان للنبي صلى الله عليه وسلم أو مسته يد الانبياء دينار بن

الملكتان واحدة وأقرب منك لفضلك وعقلك فعلمت أنها مغلوبة معه فأجابته وقالت تقيم في مكانك الى يوم عينته فقامت وأفكرت في حيلة تحتال بها عليه فرأت انها تهلك نفسها وتهلكه معها ولا يتمكن منها فعمدت الى حية تكون في الرمل تضرب الانسان فيهلك في لحظة فجعلتها في اناء من زجاج وزينت قصرها وفرشت مجلسها بالرياحين ولبست تاجها وجلست على سريرها واستدعت به فلما وصل الى باب القصر أخرجت الحية فضربتها فماتت وانسابت الحية في رياحين حولها فدخل انطرطس الى السرير ولم يشك أنها في عافية فجلس الى جانبها فعبث في الرياحين فضربته الحية فمات وكان ابنه مع جيشه فسمع بموتهما فاستولى على بلاد الروم واليونان وكان اذا أراد أن يستشير أحدا من عقلاء دولته أرسل اليه نفقة سنته ليتوفر ذهنه على ما يشير به ومن بعده اختلفت الروم فتقاسموا البلدان والاطراف الى ظهور الاسلام وقيصر هذا أعظم ملوكهم ومن كلامه ما الحيلة فيما أعيا الا الكف عنه ولا الرأي فيما لا ينال الا اليأس منه

عبد الله ضعيف واه قاله أبو أحمد بن عدى (رجع القول الى بيت الطغرائى) والمتعنت أن يقول ليس كون الشمس فى أول النهار مثل كونها فى آخره لان حالة الاقبال حالة ابتداء وتمكن وحالة الادبار حالة انتهاء وزوال ولهذا قال المنجمون ان السعى فى الحوائج قبل الزوال انجح منه فيما بعد الزوال ويكرهون الحركة آخر النهار وقال الشاعر

بكرا صاحبى قبل الهجير * ان ذاك النجاح فى التبكير

وأول النهار شباب وقوة وآخره مشيب وهرم فجواب المتعنت انه ما أراد الاذات الشمس من حيث هى من غير نظر الى ما يطرأ عليها من حركة فلكها الان هذه الحالة فى الابكار والعشى انما هى خير وشر بالنسبة الينا الان فلك الشمس لا يزال دائرا وحركة الفلك واحدة لا تتغير أبدا اذ الكرة لا فوق لها ولا تحت فالشمس فى جرمها واحدة لم تتغير أبدا وهى هى أبدا ما زالت ولا طرأ عليها شئ نعم كان هذا يرد أن لو كان كل يوم له شمس تخصه كما ذهب اليه بعضهم وليس بشئ ولهذا قال المعرى رحمه الله تعالى

وما البدر الا واحد غير أنه * يغيب ويأتى بالضياء المجدد
فلا تحسب الاقمار خلقا كثيرة * فجملتها من نير متردد

اذا ثبت ذلك فالشمس من حيث هى هى واحدة فى ذاتها لا تتغير فى نورها وعظمها وعلوها وهبوطها لم يزدها ولم ينقصها شيأ قال ابراهيم الغزى

أما ترى البدر يكسوناظريك سنى * فيستوى فيه اقبال وادبار

وقد بالغ الطغرائى وضرب لفخره ومجده مثلا حسنا بالشمس فانه مثل بما لا يخفى على ذى عقل فضله ولا يسعه انكاره

وليس يصح فى الاذهان شئ * اذا احتاج النهار الى دليل

ومن أحسن ما حضرنى فى الافتخار قول بشار بن برد رحمه الله

اذا ما غضبنا غضبة مضرية * هتكنا حجاب الشمس أو تقطر الدما
اذا ما أعرنا سيدا من قبيلة * ذرى منبر صلى علينا وسلما

وقول عبد المطلب

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة * ولو تسلت أسلناها على الاسل
لا ينزل المجد الا فى منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

(وقول الآخر)

حلت بروج المجد منى كوكبا * لا يهتدى الا بسناه السارى
وعلى الرياح أزمتى وأعنتى * ومن النجوم أسنتى وشفارى

وقول الشريف أبى الحسن العقيلى

نحن الذين غدت رحى أحسابهم * ولها على قطب الفخار مدار
قوم لغصن نداهم من رفدهم * ورق ومن معروفهم أثمار
من كل وضاح الجبين كأنه * روض خلائقه له أزهار

وقول الشريف الرضى يخاطب الطائع

مهلا أمير المؤمنين فاننا * فى دوحة العلياء لا نتفرق

(والاسكندر قتل دارا فى طاعتك)
هو الاسكندر بن فيليش اليونانى واختلف فى أصل اليونان فقال ابن الكلبى هو يونان بن يقية ونسبه الى اسحق وقال يعقوب الكندى يونان أخو قحطان من العرب من ولد عابر خرج من اليمن ونزل ديار المغرب وأقام فيها واستعجم لسانه وتكلم بلغة من هناك من الروم وقال الرقاشى وهو الاشهر ان يونان بن يافث بن نوح وليس من العرب ولا من الروم وانما جاور الروم على ساحل البحر الرومى وكان وسيما حسن العقل كبير الهمة فأقام هناك حتى كثر ولده فخرج يطلب مكانا يسكنه فانتهى الى مدينة بالمغرب يقال لها اقفينة فبنى بها قصورا وأقام وكثر نسله ولما احتضر أوصى الى ولده الاكبر وصية حسنة ثم مات فاستولى ولده على بلاد المغرب من ناحية افريقية والصقالبة ومن جاورهم ولما ظهر بختنصر على مصر دخل المغرب ووصل الى بلاد اليونان وقرر عليهم أن يؤدوا الخراج الى ملوك فارس واستقر ذلك الى أيام الاسكندر * وأما الاسكندر فاختلف فى نسبه فقيل انه الاسكندر بن فيليش من ولد يونان وهو الاصح

مابيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا فى السيادة معرق
الا الخلافة ميزتك فاننى * أنا عاطل منها وأنت مطوّق

قيل ان الخليفة لما بلغه ذلك قال على رغم أنف الرضى وقيل انه كان يوما عنده وهو يعبث بلحيته ويرفعها الى أنفه فقال له الطائع أظنك تشم منها رائحة الخلافة قال بل رائحة النبوّة وقول الرضى أيضا

رمت المعالى فامتنعن ولم يزل * أبدا يمانع عاشقا معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل * ضجرا دواء الفارك التطليق

وقول اسحق بن ابراهيم الموصلى

اذا مضر الحمراء كانت أرومتى * وقام بنصرى حازم وابن حازم
عطست بأنف شامخ وتناولت * يداى الثريا قاعدا غير قائم

انما ذكر حازما لانه مولى خزيمة بن حازم التميمى وانما نزل أبوه الموصل فنسب اليه وخزيمة هو الذى يقول فيه أبو نواس

خزيمة خير بنى حازم * وحازم خير بنى دارم
ودارم خير تميم وما * مثل تميم فى بنى آدم

(وقال الآخر)

قريش خيار بنى آدم * وخير قريش بنو هاشم
وخير بنى هاشم أحمد * رسول الاله الى العالم

ومن رسالة ابن عرسية

لله مما قد برى صفوة * وصفوة الخلق بنو هاشم
وصفوة الصفوة من بينهم * محمد النور أبو القاسم

أنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى

محمد خير بنى هاشم * فمن تميم وبنو دارم
وهاشم خير قريش وما * مثل قريش فى بنى آدم

ومن الاول أخذ مسلم بن الوليد قوله

فاخر فما لك فى شيبان من مثل * كذاك ما لبنى شيبان من مثل

وذكر صاحب الاغانى ان مروان بن أبى حفصة دخل يوما على ابراهيم الموصلى فجعلا يتحادثان الى أن أنشد اسحق بن ابراهيم قوله اذا مضر الحمراء البيتين قال وجعل ابراهيم يحدث مروان وهو ساه عنه مشغول فقال مالك لا تجيبنى قال انك لا تدرى ما أفرغ ابنك فى أذنى ومن الافتخار قول أبى تمام الطائى رحمه الله تعالى

أنا ابن الذين استرضع الجد فيهم * وسمى منهم وهو كهل ويافع
مضوا وكأن المكرمات لديهم * لكثرة ما وصوا بهن شرائع
فأى يد فى المجد مدت ولم يكن * لها راحة من مجدهم وأصابع
هم استودعوا المعروف محفوظ مالنا * فضاع وما ضاعت لدينا الودائع

وقيل هو الاسكندر بن الصعب كان أبوه نساطا واسم أمه هيلانة وكان يتيما فى حجر وسمعت أمه ببيت الصنائع وهو بيت وضعته اليونان فى القسطنطينية وصوّرت فيه الصنائع لتعرض على الصبيان فمن تاقت نفسه لصنعة اشتغل بها فحملته أمه فشاهد صور الاشياء فوضع يده على تاج الملك فنهته أمه مرارا فلم ينته فنظر اليها متولى بيت الصنائع وقال أنت هيلانة قالت نعم قال وهذا ابنك قالت نعم فقال له أبشر فانت الملك الذى يسحب ذيله فى البلاد وهذا قول مردود لبعد ما بين حمير واليونان ولان القسطنطينية بنيت بعد رفع عيسى عليه السلام بزمان وانما انقرضت دولة اليونان عند ظهور عيسى والصحيح أنه الاسكندر ابن فيلبش وسمى ذا القرنين تشبيها بذى القرنين المذكور فى الكتاب العزيز لبلوغ ملكه قرنى الشمس من المشرق والمغرب وهو صاحب ارسطاطاليس الحكيم كان أبوه أسلمه اليه فأقام عنده خمس سنين يتعلم منه الحكمة والادب فنال منه ما لم ينل أحد من تلامذته ومرض أبوه فخاف على الملك فاسترده وعهد اليه * وأما دارا فهو دارا الاصغر

وقوله أيضا رحمه الله

جرى حاتم في حلبة منه لو جرى * بها القطر قال الناس أيهما القطر
فتى ذخر الدنيا أناس ولم يزل * لها باذلا فانظر لمن بقي الذكر
فمن شاء فليفخر بما شاء من ندى * فليس لحي غيرنا ذلك الفخر
جمعنا العلا بالجود بعد افتراقها * الينا كما الايام يجمعها الشهر

وعند أكثر الناس ان أبا تمام كان أبوه نصرانيا يقال له سدوس العطار من جاسم قرية من قرى حوران بالشام فغير اسم أبيه واندس في بني طيئ (وذكر) صاحب الاغاني أن رجلا قال لجرير من أشعر الناس قال قم حتى أعرفك الجواب فأخذ بيده وجاء الى أبيه عطية وقد أخذ عنزا له فاعتقلها وجعل يمص ضرعها فصاح به اخرج يا أبت فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على لحيته فقال ترى هذا قال نعم قال أو تعرفه قال لا قال هذا أبي افتدري لم كان يشرب من ضرع العنز قال لا قال مخافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه ثم قال أشعر الناس من فاخر بهذا الاب ثمانين شاعرا وقارعهم فغلبهم جميعا (قلت) ماهذه الاوقاحة عظيمة من جرير في مفاخرته أولئك الشعراء وهذا أبوه لكنه تغتفر له هذه الوقاحة باعترافه لذلك الرجل واظهاره بخل أبيه (وعكس) هذه القضية هجاء دعبل الخزاعي للمأمون حيث يقول فيه

اني من القوم الذين سيوفهم * قتلت أخاك وشرفتك بمقعد
شادوا الذكرك بعد طول خموله * واستنقذوك من الحضيض الاوهد

يشير دعبل الى واقعة طاهر بن الحسين الخزاعي مع الامين يقال ان المأمون كان اذا أنشد هذين البيتين قال قبح الله دعبلا ما أوقحه كيف يقول عني هذا وقد ولدت في حجر الخلافة ورضعت ثديها وربيت في مهدها (سمع) المأمون يوما بعض الكناسين يقول وهو مار في موكبه لقد سقط هذا من عيني من حين غدر بأخيه فقال من يشفع لي الى هذا الرئيس لارتفع الى عينه بعد سقوطي (نقلت) من بعض مجاميع القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان قال أنشدني بعض الادباء بيتا في الجمال أبي الحسين الجزار وما عرفت قائله ولا بقية الابيات المضافة اليه فقلت لابي الحسين ذلك وقلت ان كنت تعرف ذلك فانشدني اياه وعرفني قائله فقال وما البيت فانشدته

فليس يرجوه غير كلب * وليس يخشاه غير تيس

فاستحسن ذلك وجاء في ثاني يوم فقال قد عملت في ذلك المعنى أبياتا وأنشد

ألا قل للذي يسأ * ل عن قومي وعن أهلي
لقد تسأل عن قوم * كرام الفرع والاصل
يريقون دم الانعا * م في حزن وفي سهل
وما زالوا لما يبدو * ن من بأس ومن بذل
يرجيهم بنو كلب * ويخشاهم بنو عجل

انتهى ما نقلت قلت وهذه الابيات تنظر الى قول الآخر في الحكاية المشهورة قال بعضهم كنت ليلة جالسا عند بعض ولاة الطوف وقد جاءه غلمانه برجلين فقال لاحدهما من أبوك

ابن دارا الاكبر بن أردشير أحد ملوك الفرس العظماء المشهورين كانت له قطيعة على أبي الاسكندر في كل سنة ألف بيضة من الذهب في كل بيضة ألف مثقال على عادة آبائهم فلما ملك الاسكندر أخر ارسال القطيعة فكتب اليه دارا يتهدده ويتوعده حيث أخر الاتاوة وبعث اليه بكرة وصولجان وخرقة فيها سمسم وقال أنت صبي فالعب بهذه الكرة فان أديت الاتاوة والا بعثت اليك بجنود عدد هذا السمسم وأتيت بك في الاوثاق فكتب اليه الاسكندر أما بعد فقد تيمنت بالكرة والصولجان فان الدنيا مثل الكرة وسألعب بها وأضيف ملكك الى ملكي وأما السمسم فقد تيمنت أيضا به لانه بعيد عن الحرافة والمرارة وأما الدجاجة التي كانت تبيض ذلك البيض فقد ذبحتها وأكلت لحمها فغضب دارا وسار اليه بجموعه وسار الاسكندر بجموعه والتقيا على نصيبين الجزيرة فلما هم دارا بالقتال بعث اليه الاسكندر يقول له أيها الملك لا تفعل فان دماء الملوك لا تجوز اراقتها وهدم البيوت القديمة غير محمود والبغي ذميم العقبى والحرب غير مأمون

فقال أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا على باب داره * فمنهم قيام حولها وقعود

فقال الوالى ما كان أبو هذا الا كريما ثم قال للآخر من أبوك فقال

أنا ابن من ذلت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها
خاضعة أذعنت لطاعته * يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالى ما كان أبو هذا الا شجاعا وأطلقهما فلما انصرفا قلت للوالى أما الاول فكان أبوه يبيع الباقلاء المصلوقة وأما الثانى فكان أبوه حجاما فقال الوالى عند ذلك

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مضمونه عن النسب
ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

انتهى (والاصل فى هذا) قول عتبة الاعور يهجو أبا اسحق بن ابراهيم بن شبابة الثقفى مولاهم الكوفى كاتب المهدى وكان أبوه حجاما

أبوك أوهى النجاد عاتقه * كم من كمى أودى ومن بطل
يأخذ من ماله ومن دمه * لم يمس من ثاره على وجل
له رقاب الملوك خاضعة * من بين حاف وبين منتعل

وهذا من التهكم فى غاية الحسن (وقال) بعضهم وجدت على قبر مكتوبا أنا ابن من كانت الريح طوع أمره يحبسها اذا شاء ويطلقها اذا شاء قال فعظم فى عينى مصرعه ثم التفت الى قبر آخر قبالته وعليه مكتوب لا يغتر أحد بقوله فما كان أبوه الا من بعض الحدادين يحبس الريح فى كيره ويتصرف فيها قال فعجبت منهما يتسابان ميتين (قلت) وقبل البيت الذى أورده ابن خلكان فى أبى الحسين الجزار

ان تاه جزاركم عليكم * بفطنة فى الورى وكيس

وهما لمجاهد الخياط وله فيه عدة مقاطيع يهجوه بها وقد عبث الناس بأبى الحسين الجزار وهجاه من أهل عصره خلق كثير بالشعر والازجال وما كان فيمن هجاه من يقاربه فى رتبة النظم ولابى الحسين الجزار وهو فى غاية الحسن

انى لمن معشر سفك الدماء لهم * دأب وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضىء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

(عاد الكلام الى الفخر بالجد دون الهزل) فأقول أبيات الحماسة التى للسموءل ابن عاديا اليهودى فى غاية الحسن وهى مشهورة فلهذا لم أثبتها (جرى) بين عبد الله بن الزبير وبين معاوية كلام فيه طول لكن فى آخره فقال ابن الزبير ما مثلى يهارش به ولكن عندك من قريش والانصار ومن ساكنى الحجون والآطام من اذا سألته جلك على محجة أبين من ظهر الخفين قال ومن ذلك قال هذا يعنى أبا الجهم بن حذيفة فقال معاوية تكلم يا أبا الجهم فقال اعفنى فقال عزمت عليك لتقولن قال نعم قال قل قال أمك هند وأمه أسماء بنت أبى بكر الصديق وأسماء خير من هند وأبوك أبو سفيان وأبوه الزبير ومعاذ الله ان يكون أبو سفيان مثل الزبير وأما الدنيا فلك وأما الآخرة فله ان شاء الله تعالى (ومثل) هذا ما حكى ان معاوية كان عنده عمرو بن العاص وجماعة من الاشراف فقال معاوية من أكرم الناس أبا وأما وجدا وجدة وعما وعمة وخالا وخالة

العاقبة وأصحابك قد ملوك وكرهوك لسوء سيرتك فارجع فانك تحمد قولى فلم يلتفت اليه دارا وأقاما يتحاربان مدة ثم ان الاسكندر دبر حيلة وهو انه لما وقع الملل بين الفريقين برز ونادى الاسكندر فقال يا معشر الفرس قد علمتم ما كان من مكاتبتكم لنا ومكاتبتنا لكم من الامان وقد طال القتال فمن كان منكم على غير قتال فليعتزل وله الوفاء بالعهد فاتهمت الفرس بعضها بعضا واضطربوا فكان من أسباب خذلان دارا ثم وثب على دارا رجلان من أصحابه فطعناه من خلفه فوقع وكان الاسكندر نادى من ظفر بدارا فلا يقتله فجاء به الرجلان الى الاسكندر فقالا قد قتلنا دارا فجاء فنزل عن فرسه وقعد عند رأسه وبه رمق فقال والله ما هممت بقتلك ولقد نهيت عنه ولقد يعز على مصابك فاسألنى حوائجك فقال تقتل فلانا وفلانا اللذين قتلانى فانى كنت محسنا لهما وتتزوج ابنتى روشنك فقال سمعا وطاعة وأحضر الرجلين فقتلهما وقال هذا جزاء من يتجرأ على ملكه وتفرق ملك فارس ثم سار الاسكندر الى بابل وجلس على سرير دارا واستولى على خزائنه

فقال النعمان بن عجلان الزرقي بعد ما أخذ بيد الحسن هذا أبوه علي بن أبي طالب وامه فاطمة وجده رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدته خديجة وعمه جعفر وعمته ام هانئ ابنة ابى طالب وخاله القاسم وخالته زينب (وكان) لخالد بن يزيد بن معاوية أخ لخاه يوما فقال ان الوليد ابن عبد الملك يعبث بي ويحتقرني فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال يا أمير المؤمنين ان الوليد قد احتقر ابن عمه عبد الله واستصغره وعبد الملك مطرق فرفع رأسه وقال ان الملوك اذا دخلوا قرية الآية فقال خالد واذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا الآية فقال عبد الملك أفي عبد الله تكلمني وقد دخل علي فما أقام لسانه لحنا فقال خالد أفعلى الوليد تعوّل فقال عبد الملك ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان فقال خالد وان كان عبد الله يلحن فان أخاه خالد فقال له الوليد اسكت يا خالد فوالله ما تعد في العير ولا في النفير فقال خالد اسمع يا أمير المؤمنين والتفت الى الوليد وقال ويحك ومن يعد في العير والنفير غيري جدي أبو سفيان صاحب العير وجدي عتبة بن ربيعة صاحب النفير فهذا المثل نحن أصله ولكن لو قلت غنيمات وجبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا صدقت (قلت) يريد بالعير عير قريش التي أقبل بها أبو سفيان من الشام وخرج اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغنمها فبلغ الخبر أهل مكة فنفر عتبة بن ربيعة بأهل مكة وكان مقدم القوم فلما وصلوا الى المسلمين كانت وقعة بدر وأما الغنيمات والجبيلات والطائف فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نفى الحكم بن أبي العاص الى الطائف وهو جد عبد الملك لم يزل هناك يرعى أغناما له حتى ولي الخلافة عثمان فرده وكان الحكم عمه واحتج عثمان في رده بأنه كان قد أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم في رده متى ولي الامر (وحكى) أبو حاتم عن العتبي عن أبيه قال ابتنى معاوية بالابطح مجلسا فجلس فيه وابنه قرظة معه فاذا هو بجماعة على رحال لهم واذا شاب منهم قد رفع عقيرته يتغنى

من يساجلني يساجل ماجدا * أخضر الجلدة في بيت العرب

قال من هذا قالوا عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال خلوا له الطريق فليذهب فاذا هو بجماعة فيهم غلام يتغنى

بينما يذكرنني أبصرنني * دون قيد الميل يعدو بي الاغر
قلن تعرفن الفتى قلن نعم * قد عرفناه وهل يخفى القمر

قال من هذا قالوا عمر بن أبي ربيعة قال خلوا له الطريق فليذهب فاذا هو بجماعة وفيهم رجل يسئل يقال له رميت قبل ان أحلق وحلقت قبل ان أرمي لاشياء أشكلت عليهم من مناسك الحج فقال من هذا قالوا عبد الله بن عمر فالتفت الى ابنه قرظة وقال هذا وأبيك الشرف في الدنيا والآخرة (وروى) أنه قال هذا الشرف لا ما نحن فيه وروى انه قال كاد العلماء أن يكونوا أربابا (ويعجبني) قول الشيخ أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أولغ الفارابي رحمه الله تعالى

أخي خل حيز ذي باطل * وكن بالحقائق في حيز
فما الدار دار مقام لنا * ولا المرء في الارض بالمعجز
ينافس هذا لهذا على * أقل من الكلم الموجز
وهل نحن الا خطوط وقعن * على نقطة وقع مستوفز

وجواهره وسلاحه وتزوج ابنته روشنك وقيل انها كانت زوجة دارا وهي ابنته ولم يكن في زمانها أحسن منها وقيل ان الاسكندر لم يجتمع بها وقال أخشى أن أكون غلبت دارا فتغلبني روشنك ولما استولى على ملك فارس عرض جيشه وجيش الفرس فكانوا ألف ألف وقيل أكثر وشرع في هدم بيوت النيران وقتل الموابذة وكتب الى أرسطاطاليس يستشيره فيمن بقي من عظماء الفرس بهذا الكتاب أما بعد فان دوائر الاسباب ومواقع الفلك وان كانت أسعدتنا بالامور التي أصبح لنا بها الناس دائنين فانا مضطرون الى حكمتك وغير جاحدين لفضلك والاجتباء لرأيك لما بلونا من جدا ذلك علينا وذقنا من جنى منفعته حتى صار ذلك بنجوعه فينا وترشيحه لعقولنا كالغذاء لنا فما ننفك نعوّل عليه ونستمد منه استمداد الجداول من البحار وقوة الاشكال بالاشكال وقد كان مما سيق الينا من النصر وبلغناه من النكاية في العدو ما يعجز القول عن وصفه والشكر على الانعام به وكان من ذلك أنا جاوزنا أرض الجزيرة وبابل الى أرض فارس فلما نزلنا

محيط العوالم أولى بنا * فما ذا التزاحم فى المركز

هكذا فلتسكن الهمة والى هذه الغاية فليجر من أمسك لواء الفخر وبهذه الحال فليتقمص من ارتدى المجد ولكن كيف وأنى يظفر بالحقيقة من أفنى الليالى سهرا ولم يحصل له الطيف أنشدنى العالم الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس اجازة وفى غالب الظن سماعا قال أنشدنى لنفسه الشيخ الامام العلامة القدوة تقى الدين أبو الفتح محمد ابن الامام مجد الدين أبى الحسن على بن وهب بن مطيع بن أبى الطاعة القشيرى المعروف بابن دقيق العيد رحمه الله تعالى

أتعبت نفسك بين ذلة كادح * طالب الحياة وبين حرص مؤمل
وأضعت عمرك لا خلاعة ماجن * حصلت فيه ولا وقار مبجل
وتركت حظ النفس فى الدنيا وفى الأخرى ورحت عن الجميع بمعزل

وأنشدنى بالسند المذكور اجازة له دوبيت

الجسم تذيبه حقوق الخدمه * والنفس هلاكها علو الهمه
والعمر بذاك ينقضى فى تعب * والراحة ماتت فعليها الرحمه

واذا كان مثل الشيخ تقى الدين يقول هذا فما ظنك بغيره من أهل اللعب (أخبرنى) مولانا قاضى القضاة تقى الدين أبو الحسن على بن عبد الكافى السبكى الشافعى عن الشيخ تقى الدين السنباطى قال ان الشيخ تقى الدين قال لى عشرون سنة ما أعرف أن كاتب الشمال كتب على فيها شيأ قال فسألته عن هذا فقال أظن ذلك أو كما قال (قال) الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى فى تاريخه الكبير وقد رويته عنه بقراءتى له عليه جميع المغازى ومن أول الترجمة النبوية الى آخر أيام الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه متواليا وجميع الحوادث الى آخر سنة سبعمائة فى ترجمة ابن سريج فى سنة ست وثلثمائة قال الحاكم سمعت حسان بن محمد الفقيه يقول كنا فى مجلس ابن سريج فى سنة ثلاث وثلثمائة فقام شيخ من أهل العلم فقال ابشر أيها القاضى فان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد للامة دينها وان الله بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز وعلى رأس المائتين الشافعى ثم قال

اثنان قد مضيا فبورك فيهما * عمر الخليفة ثم حلف السودد
الشافعى الالمعى محمد * ارث النبوة وابن عم محمد
أبشر أبا العباس انك ثالث * من بعدهم سقيا لتربة أحمد

فصاح ابن سريج وبكى وقال لقد نعى الى نفسى قال الشيخ شمس الدين الذهبى وكان على رأس الاربعمائة أبو حامد الاسفراينى وعلى رأس الخمسمائة الغزالى وعلى رأس الستمائة الحافظ عبد الغنى وعلى رأس السبعمائة شيخنا ابن دقيق العيد نسأل الله التوفيق للرشاد والاستعداد ليوم المعاد (رجع) واذا رجعت الى الصحيح فيم يفخر الانسان ولم يطلق فى التفاضل عنان اللسان وعلام يمرح فى الكبر مرح الجياد فى الميدان والكميت فى الارسان وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله عز وجل الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنيهما ادخلته النار وقال صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر ثوبه خيلاء قال الفقيه منصور المصرى

بأهلها لم يكن الا ريثما تلقانا نفران منهم بقتل ملكهم طلبا للحظوة عندنا فأمرنا بصلبهما لتجريهما وقلة وفائهما ثم أمرنا بجمع من هنالك من أبناء ملوكهم وذوى الشرف منهم فرأينا رجالا عظيمة أجسامهم وأحلامهم يدل ما ظهر من رؤيتهم على أن وراءه من قوة بأسهم ما لم يكن معه سبيل الى غلبتهم لولا أن القضاء أدالنا منهم ولم نر بعيدا من الراى أن نستأصل شأفتهم ونلحقهم بمن مضى من أسلافهم لتسكن بذلك القلوب الى الامن من جرائرهم ورأينا أن لا نعجل ببادرة الراى فى قتلهم دون الاستظهار بمشورتك فيهم فارفع الينا رأيك فيما استشرناك بعد صحته عندك وتقليبه على نظرك على عادة آرائك المسعفة والسلام على أهل السلام فليكن عليك وعلينا فكتب اليه ارسطاطاليس الى الاسكندر المؤيد المهدى له الظفر من أصغر خوله ارسطاطاليس أما بعد فقد تقرر عندى من مقدمات فضل الملك وبين تقيته وبره وزشاوه وما أدى الى حاسة بصرى صورة شخصه ووقع فى فكرى على تعقب رأيه أيام كنت أؤدى اليه من تعليمى اياه ما أصبحت قاضيا على نفسى بالحاجة الى تعلمه

قلت للمعجب لما * قال مثلي لا يراجع
يا قريب العهد بالمخـ * ـرج لم لا تتواضع

وقال أيضا

تتيه وجسمك من نطفة * وأنت وعاء لما تعلم

أخذه من الكلام المنسوب الى الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ابن آدم أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة (نظر) مطرف بن عبد الله بن الشخير الى يزيد بن المهلب وهو يمشي في حلة يسحبها فقال له ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله فقال يزيد أما تعرفني فقال بلى أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وأنت بين ذلك حامل العذرة وقد نظمه الشاعر فقال

عجبت من معجب بصورته * وكان من قبل نطفة مذره
وفي غد بعد حسن صورته * يصير في الارض جيفة قذره
وهو على عجبه ونخوته * ما بين جنبيه يحمل العذره

(وقال) آخر أظنه ابراهيم الحصري

أرى أولاد آدم أبطرتهم * حظوظهم من الدنيا الدنيه
فلم بطروا وأولهم مني * اذا افتخروا وآخرهم منيه

(وقال) الارجاني رحمه الله تعالى

ملأت لنا الاسماع داعية الردى * وكأنما أنا صخرة صماء
ومساحب الاذيال أجداث لنا * فسلوا اذا ما هذه الخيلاء

(وقال) بعض الحكماء كيف يستقر الكبر فيمن خلق من تراب وطوى على القذر وجرى مجرى البول (وقال) أبو مسلم ما تاه الا وضيع ولا فاخر الا سقيط ولا تعصب الا دخيل (قال) مدني لرجل من أنت فقال من قريش والحمد لله فقال بأبي ان التحميد ههنا ريبة

*(فيم الاقامة بالزوراء لا سكني * بها ولا ناقتي فيها ولا جملي)*

(اللغة) فيم أصله فيما وسيأتي الكلام عليه في الاعراب (الاقامة) مصدر أقام اقامة اذا لازم مكانا لا يفارقه (الزوراء) بغداد سميت بذلك لانحراف قبلتها وفي بغداد لغات بغداذ بذال معجمة أخيرة وبذالين معجمتين وبدالين مهملتين وبغدان بنون بدل الدال الاخيرة ومن أسمائها دار السلام وفي تسميتها بذلك قولان أحدهما ان السلام اسم لدجلة والآخر انه يسلم فيها على الخلفاء ويقال ان اسمها بك داد ومعنى بك بالتركية الرب وداد العادل فكأنهم قالوا الله العادل ويقال غير ذلك وهي بلدة أحدثها المنصور من بني العباس سنة أربعين ومائة ونزلها في سنة ست وأربعين وفي سنة تسع وأربعين تم جميع بنائها وهي بغداد القديمة التي بالجانب الغربي على دجلة وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث وبغداد الثانية هي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء وبغداد عبارة عن سبع محلات لا تفتقر محلة منها الى غيرها على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي فالاولى الرصافة بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة احدى وخمسين وهي مدينة مسورة والثانية مشهد أبي حنيفة مسورة والثالثة جامع السلطان غير مسورة

منه وقد ورد كتاب الملك بما رسم لي فيه وأنا فيما أشير به على الملك حد الطاقة معه كالعدم مع الوجود ولكن غير ممتنع من اجابته فأقول ان لكل تربة لامحالة قسما من كل فضيلة وان لفارس قسمتها من النجدة والقوة وانك ان تقتل أشرافهم تخلف الوضعاء منهم وترث سفلتهم منازل عليتهم وتغلب أدنياؤهم على مراتب ذوي أخطارهم ولم تبتل الملوك قط ببلاء هو أعظم عليهم من غلبة السفلة وذل الوجوه واحذر الحذر كله أن تمكن تلك الطبقة من العلية فان نجم منهم ناجم على جندك وأهل بلادك وهمهم ما لا روية فيه ولا منفعة معه فانصرف عن هذا الرأي الى غيره واعمد الى من قبلك من العظماء والاحرار فوزع بينهم مملكتهم وألزم اسم الملك كل من وليته منهم ناحية واعقد التاج على رأسه وان صغر ملكه فان التسمي بالملك لازم لاسمه والمنعقد له بالتاج لا يخضع لغيره ولا يلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم وبين صاحبه تدابرا وتغالبا على الملك وتفاخرا بالمال حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك ويعود بذلك حربهم لك حربا بينهم ثم لا يزدادوا في ذلك

والرابعة مدينة المنصور في الجانب الغربي وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون ألف مسجد وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر مسوّرة والسادسة الكرخ مسوّرة والسابعة دار القز مسوّرة يقال ان المنصور سأل راهبا كان في صومعة في مكان بغداد عندما أراد أن يختطها أريد أن أبني ههنا مدينة فقال انما يبنيها ملك يقال له أبو الدوانيق فضحك وقال أنا هو وقيل انما قال له يبنيها ملك يقال له مقلاص فقال له انا كنت أدعى بذلك فاختطها وكان المنصور على جلالته يحاسب على الدوانق فسمي الدوانيقي (قرأت) على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي بدمشق في ترجمة سنة ست وأربعين ومائة من تاريخه الكبير قال قال المدائني حدثني الفضل بن الربيع أن المنصور لما فرغ من بناء قصره بالمدينة طاف به فاعجبه لكنه استكثر النفقة فقال لي أحضر لنا بناء فارها فاحضرت فقال كيف عملت لنا في هذا القصر وكم أخذت لكل ألف آجرة فبقي البناء لا يقدر أن يرد عليه مخافة من الذي كان على العمل فقال مالك ساكتا قال لا علم لي قال ويحك قل وأنت آمن فقال والله لا أقف عليه ولا أدريه فاخذ بيده وقال تعال لا علمك الله خيرا وأدخله الحجرة التي استحسنها وقال ابن لي طاقا يكون شبيها بالبيت لا يدخل فيه الخشب قال نعم فاقبل على البناء وأخذ يحصي جميع ما يدخل في الطاق من الآجر والجص ففرغ له في يومين ودعا المستعمر الذي كان على العمل وقال ادفع له الاجرة على حساب ما عمل معك فدفع له خمسة دراهم فاستكثر ذلك المنصور وقال لا أرضى بذلك ولم يزل حتى نقصه درهما ثم انه آخذ الوكلاء والمستعمر بحساب ما أنفقوا على نسبة ذلك حتى فضل ستة آلاف درهم (السكن) ما يسكن اليه الانسان من زوج وغيره وبقية البيت مثل من أمثال العرب والاصل فيه ان الصدوف العدوية كانت تحت زيد بن الاخنس العدوي وله بنت من غيرها تسمى الفارعة كانت تسكن بمعزل عنها في خباء آخر فغاب زيد عنها غيبة فلهج بالفارعة رجل عذري يسمى شبيبا وطاوعته فكانت تركب كل عشية جملا لابيها وتنطلق معه الى ثنية بيتان فيها ورجع زيد من وجهته فعرج على كاهنة اسمها طريفة فاخبرته بريبة في أهله فاقبل سائرا لا يلوي على احد وانما تخوف على امرأته حتى دخل عليها فلما رأته عرفت الشر في وجهه فقالت لا تعجل واقف الاثر * لا ناقة لي في هذا ولا جمل * فصار ذلك مثلا يضرب في التبري عن الشيء قال الراعي

وما هجرتك حتى قلت معلنة * لا ناقة لي في هذا ولا جمل

(الاعراب) فيم اصله فيما حذفوا الالف منها لوجوه الاول قال الجرجاني اذا وصلوا ما في الاستفهام حذفوا ألفها تفرقة بينها وبين ان تكون حرفا الثاني أنهم حذفوا الالف لاتصالها بحرف الجر حتى صارت كأنها جزء منه لتنبئ عن شدة الاتصال الثالث طلبا للتخفيف في هذا الحرف اعني ما لانه يقع كثيرا في الكلام وابقوا الفتحة لتدل على ان المحذوف من جنسها كما فعلوا في علام والام وحتام وعم وبم والاصل على ماذا والى متى وحتى متى وعماذا تسأل وبماذا تعتذر وهذه اللغة الفصحى أعني الحذف هي لغة القرآن قال الله تعالى عم يتساءلون وقرأ عكرمة في الشاذ عما يتساءلون باثبات الالف رجوعا الى الاصل قال ابن جني في المحتسب رويناعن قطرب لحسان رضي الله عنه

على ماقام يشتمني لئيم * كخنزير تمرغ في دمان

بصيرة الأحدوثة هنالك استقامة بك فان دنوت منهم كانوا لك وان نأيت عنهم تعززوا بك حتى يثب كل منهم على جاره باسمك وفي ذلك شاغل لهم عنك وأمان لاحداثهم بعدك ولا أمان للدهر وقد أديت للملك ما رأيته حظا وعلي حقا والملك ابعد روية وأعلى عينا فيما استعان بي عليه والسلام الابدي فليكن على الملك * قال المؤلف ولما ورد كتاب ارسطاطاليس على الاسكندر تأمله وعرف الحق وفرق القوم في الممالك كما ذكر فسموا ملوك الطوائف وسار الاسكندر الى الشرق فدانت له الملوك وبنى مدينة أصبهان وهراة وسمرقند ولما وصل الى الهند خرج اليه ملكها في ألف فيل عليها المقاتلة وفي خراطيمها السيوف الهندية فلم تثبت خيل الاسكندر فصنع الاسكندر فيلة من نحاس مجوفة وربط خيله فيها حتى ألفتها وملأها نفطا وكبريتا وألبسها السلاح وجرها على العجل الى ناحية العدو وبينها الرجال فلما شبت الحرب أمر باشعال النار في أجوافها فلما اشتعلت تنحى الرجال عنها وغشيها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها فأحرقت الرجال

(قيل) ان بعض العوام سأل بعض الفضلاء فقال له عمّا توصيني فقال بتقوى الله واسقاط الالف من ما فأصل فيم فيما في حرف جر وما اسم استفهام وموضعه رفع على انه خبر مقدم والمبتدا هو قوله الاقامة وانما تقدم الخبر لان الاستفهام له صدر الكلام تقول أين زيد وكيف هو ومتى نصر الله كأنه قال الاقامة بالزوراء فيماذا (بالزوراء) الباء تكون للظرفية في الزمان كقوله تعالى وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل وللظرفية في المكان كهذه ومجيئها للمكان أكثر منها في الزمان وتكون للسببية كقوله تعالى فبظلم من الذين هادوا وللاستعانة نحو كتبت بالقلم وذبحت بالسكين وللتعدية كقوله تعالى ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم وللالصاق نحو مررت بزيد وللصاحبة نحو بعتك الدار بأثاثها ومنه قوله تعالى ونحن نسبح بحمدك وبمعنى من التي للتبعيض كقول الشاعر

فلثمت فاها آخذا بقرونها * شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

ذكر ذلك الفارسي في تذكرته وحكى مثله عن الاصمعي في قول الشاعر

شربن بماء البحر ثم ترفعت * متى لجج خضر لهن نئيج

هذا كلام الشيخ بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك وفيه تأييد لمذهب الشافعي في مسح بعض الرأس وخالفه مالك رحمه الله تعالى وجماعة من أهل العربية وأنكروا ذلك منهم محب الدين أبو البقاء العكبري فانه قال في قوله تعالى برؤسكم الباء زائدة وقال من لاخبرة له بالعربية ان الباء في مثل هذا للتبعيض وليس بشئ يعرفه أهل العلم ووجه دخولها انها تدل على الصاق المسح بالرأس ذكر ذلك في اعرابه (قلت) قال الشيخ شهاب الدين القرافي اذا قلت مسحت بالمنديل وكتبت بالقلم وطفت بالبيت فمن المعلوم انك ما مسحت بكل المنديل ولا كتبت بكل القلم ولا طفت بكل البيت علوا وسفلا وباطنا وظاهرا وانما مسحت ببعض ذا وكتبت ببعض ذا وطفت بظاهر ذا * وقال الامام فخر الدين الرازي في تفسيره قال الشافعي في مسح الرأس الواجب فيه أقل شئ يسمى مسحا للرأس وقال مالك يجب مسح الكل وقال أبو حنيفة يجب مسح قدر ربع الرأس وحجة الشافعي انه لو قال مسحت بالمنديل فهذا لا يصدق الا عند مسحه بكله اما لو قال مسحت يدي بالمنديل فهذا يكفي في مسح اليد بجزء من أجزاء ذلك المنديل اذا ثبت هذا فنقول قوله تعالى وامسحوا برؤسكم يكفي في العمل به مسح اليد بجزء من أجزاء الرأس ثم ذلك الجزء غير مقدر في الآية فان أوجبنا تقديره بمقدار معين لم يكن ذلك القدر الا بدليل مغاير لهذه الآية فيلزمكم ضرورة ان تقولوا ان الآية مجملة وهو خلاف الاصل فان قلنا انه يكفي في ايقاع المسح على أي جزء كان من أجزاء الرأس كانت الآية مبينة مقيدة ومعلوم أن حمل الآية على محمل تبقى الآية معه مقيدة أولى من حمله على محمل تبقى الآية معه غير مقيدة فكان المصير الى ما قلناه أولى وهذا الاستنباط حسن من الآية انتهى (قلت) هذا بحث مع مالك رضي الله عنه في ايجابه مسح كل الرأس ومع أبي حنيفة رضي الله عنه في تقدير الربع وأما منع من قال بزيادتها فقد قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله تعالى لا تزاد الباء بالقياس الا في الخبر المنصوب مع ما وليس وكان اذا وليت النفي وفي فاعل كفى وفي فاعل التعجب نحو أحسن بزيد على رأي البصريين وما عدا ذلك فليس بقياس بل هو مسموع كزيادتها في المبتدا نحو بحسبك أن تفعل لا غير ومع الفاعل نحو قول امرئ القيس

واحترقت فمن سلم ولى هاربا فكانت الدائرة على ملك الهند ولما وصل الاسكندر الى الماتكير وهو من ملوك الصين خرج اليه الملك وارسل اليه يقول علام تفنى العالم ابرز الى فان قتلتني كنت أنت الملك وان قتلتك كنت أنا الملك فتيمن الاسكندر بكونه بدأ بنفسه في ذكر القتل فبرز اليه فقتله الاسكندر ثم توغل في بلاد الصين الى مقر ملكها الاكبر وجرت لهما اخبار طويلة اصطلحا فيها على مهادنات ومهاداة فبينما هو في بعض الليالي جالس نصف الليل اذا بالحاجب قد دخل فقال رسول من ملك الصين بالباب فأذن له فدخل فقال له قل فقال الامر الذي جئت فيه لا يحتمل الا الخلوة فأمر بتفتيشه فلم يجد معه حديدا فأخلى المجلس وبقي هو واياه فقال له قل فقال أنا ملك الصين قال وما الذي أمنك مني قال ليس بيني وبينك عداوة ولا ذحل وبلغني انك رجل حكيم عاقل حليم ولو قتلتني لم تظفر بطائل مني فانهم يقيمون غيري وتنسب الى الغدر فاخبرني ما الذي تريد مني قال ارتفاع مملكتك ثلاث سنين آجلا ونصف ارتفاعها عاجلا قال لقد أجحفت فما زال ينقصه حتى اقتصر

ألاهل أتاها والحوادث جمة * بأن امرأ القيس بن تملك بيقرا

أى أقام بالحضر وترك البادية وما كان مثله ومع المفعول نحو قرأت بالسورة وألقى بيده ونحو ذلك ومع خبر المبتدا فى الاثبات عند الاخفش وأعرب عليه قوله تعالى جزاء سيئة بمثلها وانما قال ابن عصفور فى قوله تعالى أليس ذلك بقادر انه نادر وان كان فى خبر ليس لأن ليس هناك بدخول الهمزة عليها لم يبق معناها النفى وصار الكلام تقريرا ويعنى بقوله نادر أى فى صحة القياس لا فى الاستعمال وعلى هذا يخرج كل ما جاء فى الكتاب العزيز (رجع القول الى تقسيم الباء) وتأتى بمعنى عن كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام (بالزوراء) موضعه نصب على انه ظرف للاقامة (لاسكنى) هذه لا التى لنفى الجنس وسيأتى الكلام عليها عند قوله * فلا صديق اليه مشتكى حزنى * وسكنى منصوب والاصل سكنا لى وانما نصب لانه اسم لا وأضيف الى ياء المتكلم والفتحة مقدرة على النون (بها) الباء للظرفية وها ضمير يرجع الى الزوراء وعلامة الجر لا تظهر لان المضمرات مبنيات (ولا) الواو عاطفة ولا هى التى لنفى الجنس (ناقتى) اسم لا وقد أضيف الى ياء المتكلم والفتحة مقدرة على التاء (فيها) فى هنا ظرفية والضمير راجع الى الزوراء (ولا جملى) اعرابه كما تقدم (المعنى) اقامتى فى بغداد لاى شئ ولا سكن لى بها ولا علاقة لى فيها بدليل ما ضربه من المثل فى قوله ولا ناقتى فيها ولا جملى فقد تبرم من المقام فيها كل التبرم لما استفهم استفهام منكر على نفسه وموبخ لها على المقام فيها واذا كان كذلك فرحيله عنها متعين

وان صريح الحزم والرأى لامرئ * اذا بلغته الشمس ان يتحولا

وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة شرفها الله تعالى وهى أحب البقاع اليه وهاجر الى طيبة لما نبا المقام به وكان من أمره ما كان وعاد اليها بعد مدة وفتحها الله عليه وهو فى عشرة آلاف بعد ما خرج منها هو وأبو بكر منفردين ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها قال اللهم انك أخرجتنى من أحب البقاع الى فأسكنى فى أحب البقاع اليك وبهذا تمسك من فضل المدينة على مكة شرفها الله تعالى وأما البقعة التى احتوت على جسده الكريم ولمت أجزاء جسمه الجسيم فلا خلاف فى انها أشرف بقاع الارض وقد قال صلى الله عليه وسلم ان المدينة لتنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد وبه تمسك مالك فى تقديم اجماع فقهاء المدينة على الحديث ولم يركب مالك فى المدينة ظهر دابة قط وكان يقول أستحى ان أطأ بحافر دابة أرضا فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما أشرف أبو الفضل الجوهرى على المدينة نزل عن راحلته وأنشد قول أبى الطيب

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا * فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا

نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لمن بان عنه أن نلم به ركبا

هدم فيه موضعين الاول وكيف عرفنا والثانى لمن بان عنه لانه لو تركهما لا اقفا المقام وينهدم معنى بان أيضا لانه فى الاصل من البين وهو الفراق وفى حالة الاستشهاد يكون من البيان وهو الظهور وهذا يجرى أيضا فى قول أبى الطيب

روح تردد فى مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

فيحتمل المعنيين لم يبن من الظهور أى لم يظهر ولم يبن من الفراق أى لم يتخلف عن الطيران من

على سدس الارتفاع ثم قام مسرعا فخرج وبات الاسكندر ليلته يفكر فى أمره فلما طلع الصباح اذا ملك الصين قد أقبل فى جيش طبق الارض وعليه تاجه وبين يديه الامم فركب الاسكندر واستعد للقتال ثم ناداه يا ملك الصين أغدرا فانفرد عن أصحابه وقال لا ولكن أردت ان أعرفك انى لم أطعك عن قلة وضعف وما غاب عنك من جنودى أكثر ولكن رأيت العالم الاكبر مقبلا عليك ممكنا لك ممن هو أقوى منك وأكثر عددا ومن حارب العالم الكبير غلب ثم ترجل وقبل الارض فنزل الاسكندر عن فرسه وجلسا على سرير فقال له الاسكندر ليس مثلك من يؤخذ منه خراج وقد أعفيتك فقال الملك أما اذ قد فعلت فلا بد من حسن المكافأة ثم بعث اليه بضعف ما قرره عليه وعاد الاسكندر وقد دانت له الملوك ودوخ له البلاد فأقام بشهرزور أياما واحتضر بها وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة واختلف فى عمره فقيل ست وثلاثون سنة وقيل أكثر وبين وفاته وبين الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ستمائة سنة وقيل غير ذلك ومن أراد تحرير التاريخ فليأخذه من المختصر فى تاريخ

السقم بل يلزم الثوب ولم يبن عنه وهـذا الثانى أدق معنى وألطف من الاول قال ابن خفاجة الاندلسى لو قال أبو الطيب

نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * لاهلـه ان نمشى رسومهـم ركبا

لجاء البيت أتم جزالة لكن أبا الطيب انما كان يتمثل بالمعانى ولا يبالى بالالفاظ وربما قال قائل لفظة بان عنـه تعطى معنى الرسوم لان المنزل اذا بان عنـه سا كنه أقوى فاللفظان متساويان فيقال له هذا أصرح من ذلك وأنت تجد قولك لقيت من ضرب زيدا قد نزل عن قولك الذى ضرب زيد او كان ذلك انما ينزل فى النفس عن مرتبـة الجلالة فى اللفظ لا فى المعنى وقال ابن خفاجة عقب ذلك

وتلذذت نحو الحمى بى نظارة * عذرية ثنت العنان الى الحمى

فلويت أعناق المطى معرجا * ونزلت أعتنق الاثر المسلما

فى منزل ما أوطأته حافـرا * عرب الجيـاد ولا المطايا منسما

قلت الذى أورده ابن خفاجة حسن ولكنه أتى بمعنى أبى الطيب فى ثلاثة أبيات وقد لمحت أنا الى قول ابن خفاجة فنظمته وزدت فيه مع الاستعارة حسن التعليل وهو

أضحى نسيم دمشق حياها الحيا * يمشى الهوينى فى ظـلال حماها

فكأنه من مائها وهضابها * ماداس الا أعينـا وجبـاها

وقال ابن بسام فى الذخـيرة أول من بكى الربع واستبكى ووقف واستوقف الملك الضليل حيث يقول * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * ثم جاء أبو الطيب فنزل وترجـل ومشى فى آثار الديار حيث يقـول * نزلنا عن الاكوار نمشى كرامة * البيت وما قبـله ثم جاء المعرى أبو العلاء فلم يقنع بهذه الكرامة حتى خشع وسجد حيث يقول

تحيـة كسرى فى الثناء وتبع * لربعك لا أرضى تحية أربـع

وما أحسن قول ابن الساعاتى بهاء الدين على من أبيات يصف المطر

سرى راكبا ظهـر الغـمام كرامة * فلما تراءى هضب نجـد ترجـلا

انظر الى هذا المعنى فانه رحمه الله من كلام أبى الطيب ولكن نقله نقلا حسنا قرأت على الشيخ الامام الاديب الـكاتب القاضى شهاب الدين أبى الثناء محمود بن زين الدين سليمان بن فهد الحلبى بدمشق مجلدة من نظمه فى مدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمها بأسنى المنائح فى أهنى المدائح من ذلك فى أثناء قصيدة

ألا حبذا مسرى الركاب وقد رأت * لهـا معلما عنـد الثنيـة معلـما

وقد نزل الركبان عنها وعفروا * سحيرا على الارض الوجوه لتـكرما

ولاح الحمى والصبح فى طرة الدجا * فلم يدر ماشـق الحنـادس منهـما

وقد أشرقت تلك القباب وأشرقت * وجوه زهـاها الحسـن ان تتلثما

ومن شعره أيضا فى الـكتاب المذكور

كأنى بكم والبيد تطوى لديكم * وقـد فزتم دون المتيم باللقـا

ولاحت لـكم بين النخيل أشعة * أضاءت لهـا الاكوان غربا ومشرقا

وقـد عفتم الاكوار لما علمتم * بها أن تلك الارض أشرف مرتقى

الشمرة ألف مولانا السلطان الملك المـؤيد ولما حضرت الاسكندر الوفاة كتب الى أمه كتابا يسالها فيه أن تصنع وليمة وتدعـو نساء أهـل المملـكة ولا تاذن الا لمـن لم تصب بفقد عزيز من أهلها ففعلت ذلك فلم يرد عليها أحد فعلمت انه مات وان ذلك تعزية لهـا ثم أوصى أن يوضع فى تابوت من ذهب ويطـلى بالاطليـة الممسكة ويحمل الى أمـه بالاسكندرية فلما فعل ذلك جمع ارسطاطاليس الحـكماء وأمرهم بكلام يكون للخاصة معزيا وللعامة واعظا كما فعـل بالاسكنـدر الاول وكانوا عشرة فقال الاول أصبح مستأسر الاسرى أسيرا وقال الثانى هذا الاسكندر طوى الارض العريضة وهو اليوم يطوى منها فى ذراعين وقال الثالث العجب أن القـوى قـد غلب والضعفاء لاهون وقال الرابـع ما سافر الاسكندر سفرا طويلا بلا آلة سوى سفره هـذا وقال الخامس سيلحق بك من سره مـوتك كما لحقت بمن سرك موته وقال السادس كان يحكم على الرعية فصارت الرعيـة تحـكم عليـه وقال السابع كنت تامرنا بالحركة فما بالك ساكنا وقال الثامن رب حريص على سـكوتك وهو اليوم حريص على كلامك وقال التاسع كم أمات من فى

وسابقتم أقدامكم بوجوهكم * ليشرف خد ظل بالترب ملصقا

وما أحسن قوله سابقتم أقدامكم بوجوهكم وأما عجز البيت الرابع من القطعة الاولى فهو مضمن من قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي

فلما توافينا وسلمت أشرقت * وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

كانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله لا تستر وجهها بشئ فلما دخل بها مصعب بن الزبير كلمها في ذلك فقالت ان الله عز وجل قد وسمني بوسم جمال فأحببت ان يراه الناس والله ما في وصمة استتر لها (ذكرت) بخروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة قول جمال الدين بن مطروح

لا تنكرن لاهل مكة قسوة * والبيت فيهم والحطيم وزمزم

آذوا رسول الله وهو نبيهم * حتى حمته أهل طيبة منهم

رأف الاله على الذي قد جاءه * سلبا فلا يأتيه الا محرم

(رجع القول الى طلب خروج الطغرائي من بغداد) وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم العباد عباد الله والبلاد بلاد الله فأينما وجدت الخير فأقم واتق الله قال المتنبي

وكل أمر يولي الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

والمقادير عجائب وفوائد قوم عند قوم مصائب هذا يقول في بغداد هذه المقالة والعكوك يقول لما كره عنها ارتحاله

لهفي على بغداد من بلدة * كانت من الاسقام لي جنه

كأنني عند فراقي لها * آدم لما فارق الجنه

وأبو العلاء المعري يقول

بت الزمان حبالي من حبالكم * أعزز علي بكون الوصل مبتوتا

ذم الوليد ولم أذمم جواركم * فقال ما أنصفت بغداد حوشيتا

يشير الى قول البحتري رحمه الله

ما أنصفت بغداد حين توحشت * لنزيلها وهي المحل الآنس

وابن الرومي قال يتشوق الى بغداد

بلد صحبت بها الشبيبة والصبا * ولبست ثوب العيش وهو جديد

فاذا تمثل في الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

وأما الشريف الرضي فانه قال فيها

مالي لا أرغب عن بلدة * يكثر فيها الدهر حسادي

ما الرزق في الكرخ مقيما ولا * طوق العلا في جيد بغداد

(وقال)

أبغداد مالي فيك نهلة شارب * من العيش الا والخطوب مزاجها

لما نبت بغداد بالقاضي عبد الوهاب المالكي خرج منها طالبا مصر فشيعه من أكابر أهلها وفضلائها جماعة موفورة فقال لهم لما ودعهم لو وجدت بين ظهرانيكم كل غداة وعشية رغيفين ما فارقتها ومن شعره فيها

بغداد دار لاهل المال طيبة * وللمفاليس دار الضنك والضيق

هذا الصندوق ثلاث موت فات وقال العاشر كان الاسكندر يعظنا بنطقه وهو اليوم يعظنا بسكوته وقالت أمه ما يسلي عنه المعرفة باللحوق به وقالت روشنك ما كنت أظن ان غالب دارا يغلب * قلت ومن كلام الاسكندر السعيد من لا يعرفنا ولا نعرفه فانا اذا عرفناه اطلنا يومه وأطرنا نومه وقيل له انك عظمت معلمك أكثر من تعظيم والدك فقال لان أبي سبب حياتي الفانية ومعلمي سبب حياتي الباقية وقال سلطان العقل على باطن العاقل أشد من سلطان السيف على ظاهر الاحمق وقال النظر في المرآة يرى رسم الوجه وفي أقاويل الحكماء يرى رسم النفس وقيل له ان فلانا يثلبك فلو عاقبته فقال هو بعد العقاب أعذر وتحاكم اليه اثنان فقال الحكم يرضى أحدكما ويسخط الآخر فاستعملا الحق ليرضيكما جميعا وأحضر بين يديه لص فأمر بصلبه فقال أيها الملك اني فعلت ما قد فعلت وأنا كاره فقال تصلب أيضا وأنت كاره وغضب على بعض شعرائه فأقصاه وفرق ماله في أصحابه فقيل له في ذلك فقال اما اقصائي له فلجرمه وأما تفريقي ماله في أصحابه فلئلا يشفعوا فيه وجلس يوما

أقمت فيها مضاعا بين ساكنها * كأنني مصحف في بيت زنديق

وواقعة القاضي عبد الوهاب تشبه واقعة النضر بن شميل النحوي فانه لما ضاقت معيشته بالبصرة خرج يريد خراسان فشيعه من أهلها نحو ثلاثة آلاف رجل ما فيهم الا محدث أو نحوي أو عروضي أو اخباري أو لغوي فلما صار بالمربد قال يا أهل البصرة يعز على فراقكم والله لو وجدت كل يوم كيلجة باقلاء ما فارقتكم فلم يكن فيهم من يتكلف له ذلك ذكر ذلك أبو عبيدة في مثالب أهل البصرة وقال ابراهيم الغزي

مالي وللمكث في الزوراء يجحف بي * من ألقح العزم لم يفرح بما نتجا
قلبي أظن هو المعدي مساكنها * بنار لوعته لما ارتقى درجا
فالدور محترقات والهجير بها * يساعد الهجر فيما يسبك المهجا

وقال التهامي

بعض التفرق أدنى للقاء وكم * رأيت شملا بشمل غير ملتئم
كيف المقام بأرض لا يخاف بها * ولا يرجى شبا رمحي ولا قلمي

وقال شرف الدين القيرواني

وصير الارض دارا والورى رجلا * حتى ترى مقبلا في الناس مقبولا

وهو مأخوذ من قوله *

شرق وغرب تجد من غادر بدلا * فالارض من تربة والناس من رجل

وقال أبو العرب مصعب الصقلي

اذا كان أصلي من تراب فكلها * بلادي وكل العالمين أقاربي

وقال أبو فراس

من كان مثلي فالدنيا له وطن * وكل قوم غدا فيهم عشائره
وما تمد له الاطناب في بلد * الا تضعضع باديه وحاضره

وقال مسلم بن الوليد

فان الفتى ما عاش رهن تقلب * مزال بصرفي دهره المتحول
وقد عجمت مني الخطوب ابن حرة * متى ما تريه منزل السوء يرحل

وقال أبو الطيب

اذا صديق نكرت جانبه * لم تعيني في فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب * وفي بلاد من أختها بدل

(وقال أيضا)

ولم أر مثل جيراني ومثلي * لمثلي عند مثلهم مقام
بأرض ما اشتهيت رأيت فيها * فليس يعوزها الا الكرام

وقال أبو تمام

وما ربع القطيعة لي بربع * ولا نادي الاذى مني بنادي

وقال ابن سناء الملك

لم لا أهين صغارهم * وكبارهم تيها وكبرا

مجلسا عاما فلم يسئل فيه حاجة فقال والله ما أعد هذا اليوم من ملكي قيل ولم أيها الملك قال لانه لا توجد لذة الملك الا باسعاف الراغبين واغاثة الملهوفين ومكافأة المحسنين وقال من انبعث فقد أسلفك حسن الظن بك وله حكم لا تحصى وأقوال لا تستقصى أضربت عن ذكرها خوف الاطالة

(وأردشير جاهد ملوك الطوائف بخروجهم عن جماعتك)

هو أردشير بن بابك من ولد بهمن الملك أبي دارا الاكبر وكان بهمن قد تزوج ابنته خماني على عادتهم فحملت منه بدارا الاكبر وسألته أن يعقد التاج على بطنها لولدها ففعل وكان له ولد يسمى ساسان من امرأة أخرى فلما مات بهمن تنسك ساسان وساح في الجبال وعهد الى بنيه أنه من ملك منهم فليقتل من قدر عليه من نسل دارا وكان أردشير هذا من ولد ساسان على ما ذكر بعض الرواة وهو أول الفرس الثانية ومعنى الثانية أن الاسكندر لما قتل دارا آخر ملوك الفرس وفرق من بقي منهم وسماهم ملوك الطوائف صارت المملكة لليونان فلما توفي الاسكندر وتقاصر ملك اليونان بعد

ما النيل من ماء الحيا ۞ ة ولا جميع الارض مصرا

هذا يشبه قول الشريف الرضى ما الرزق فى الكرخ البيتين وقد تقدما والاصل فيه قول ابن أخى أبى دلف العجلى

دعينى أجوب الارض فى طلب الغنى ۞ فما الكرخ الدنيا ولا الناس قاسم

يعنى عمه أبا دلف الذى قال فيه العكوك رحمة الله عليهما

انما الدنيا أبو دلف ۞ بين باديه ومحتضره

فاذا ولى أبو دلف ۞ ولت الدنيا على أثره

وقال الغزى

من ظن ان القوافى لا تشور لها ۞ فليذكر القاسم العجلى والكرخا

وما أحسن قول الجزار يمدح موسى بن يغمور

لما توالى حكمه قلنا له ۞ عمار أينا أنت موسى الكاظم

انى وان كنت حبيبا عنده ۞ فانه للرزق عندى قاسم

يريد بقوله حبيبا أبا تمام الطائى وبقوله قاسم أبا دلف العجلى لان أبا تمام له فيه مدائح كثيرة مشهورة ويعجبنى أبيات ابن حمديس الصقلى وهى

ذكرت صقلية والاسى ۞ يهيج للنفس تذكارها

فان كنت أخرجت من جنة ۞ فانى أحدث أخبارها

ولولا ملوحة ماء البكا ۞ حسبت دموعى أنهارها

وقال ابن اللبانة فى صاحب المرية

جناب ابن معن تجنبته ۞ فلم يرضنى بعده العالم

وكانت مدينته جنتى ۞ جنيت بما جاءه آدم

ومما اتفق لى نظمه بالرحبة

وبلدة قدمتنى ۞ بكل داء عنادا

ولو رجعت لاهلى ۞ كانت بلادى بلادا

وقلت فيها أيضا

بالرحبة انهد ركنى ۞ وذاب عظمى وجلدى

لصيفها حر جمر ۞ وللشتا برد برد

وقلت فيها أيضا

عدمت بالرحبة اكتسابى ۞ فلا قريض ولا قراضه

وكل طرفى بها وفكرى ۞ فلا رياض ولا رياضه

وقلت

تبا لها من بلدة لا أرى ۞ فيها مقامى واضح النهج

لانها فى وجه سكانها ۞ وأهلها تبصق بالثلج

وما أعرف أحدا ضمن هذا المثل أعنى لانا قة لى فى هذا ولا جمل أمكن ولا أحسن من قول الشهاب أبى الثناء محمود أنشدنى لنفسه اجازة من قصيدة

مدة تحرك أردشير وكان أحد أبناء ملوك الطوائف على اصطخر وخرج طالبا بالملك وأوهم انه يطالب بثار ابن عمه دارا وجمع الجموع وكاتب ملوك الطوائف بكتاب طويل أوله من أردشير بن بابك المستأثر دونه المغلوب على تراث آبائه الداعى الى الله المستنصر به فانه وعد المظلوم الظفر والعاقبة سلام عليكم بقدر ما تستوجبون من معرفة الحق وانكار الباطل ثم ذكر كلاما طويلا معناه الحث على المعاونة فنهم من أطاعه ومنهم من تأخر عنه فخرج بعساكره فقتل المتأخر ثم عطف على بقيتهم فقتلهم وقام بما عهد به جده ساسان الى بنيه ورزقه الله الظفر والنصر وقتل ملك الاردوان مبارزة ووطئ رأسه بقدميه وتسمى من ذلك اليوم شاهنشاه الاعظم ومعناه ملك الملوك ثم قام خطيبا فقال الحمد لله الذى خصنا بنعمه وخولنا من فضله ومهد لنا البلاد وها نحن شارعون فى اقامة العدل وادرار الفضل والاقبال على الرأفة والرحمة وانصاف الضعيف من القوى وستيرون فى أيامنا ما يصدق مقالنا بفعالنا ثم ساس الرعية ورتب الممالك وبه اقتدى الخلفاء والملوك بعده فانه رتب الناس على

استغفر

أستغفر الله أين الغيث منفصلا * من بره وهو طول الدهر متصل
من حاتم عدّ عنه واطرح فيه * في الجود لا بسواه يضرب المثل
أين الذي بره الآلاف يتبعها * كرائم الخيل من بره الابل
لو مثل الجود سرحا قال حاتمهم * لا ناقة لي في هذا ولا جمل

انظر الى قلقه في بيت الطغرائي لانه عطف الناقة والجمل على السكن ولو عطف ما يناسب ذلك من أهل وولد لكان أحسن وأوقع في النفس وانظر الى وروده في أبيات الشهاب محمود فانه جاء في مكانه منسجم التركيب ثابتا في معناه حتى كانه ما برز الى الوجود الا في هذا المكان ولا ظهر الا في هذا القالب ولست أنكر ان الناس قد ضمنوه كثيرا في أغراض مختلفة طلبا للتبرى مما ينتفى الانسان عنه ولكن كلما كان الكلام أكثر ارتباطا وتعلقا في أجزائه كان أحسن ألا ترى الى قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني ومن خطه نقلت

وعيون أمرضن جسمي وأضرمـ * ـن بقلبي لواعج البلبال
وخدود مثل الرياض زواه * ما لايام حسنها من زوال
لم أكن من جناتها علم الله * واني بجرها اليوم صالي

ما أحلاه وأرشقه وكيف خدمته لفظة جناتها فصارت من الجنى لا من الجناية وقد ضمن المتأخرون والمتقدمون هذا البيت وما رأيت عقده الفريد على أحسن من هذا الجيد وقوله أيضا رحمه الله

هذا الذي أنا قد سمحت بحبه * كرما بلؤلؤ دمعي المتنظم
لا تحرموني ضم أسمر قده * ليس الكريم على القنا بمحرم

كله حسن الا قوله المتنظم فان لؤلؤ الدمع منثور على ما هو المشهور وانظر الى قوله رحمه الله تعالى

أيسعدني يا طلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخديك نازل
نعم قد تناهى في الجفاء تطاولا * وعند التناهي يقصر المتطاول

والى قول الشهاب أحمد بن جلنك في أقطع

وأقطع قد أضحى بجود عباله * ومن فضله في الناس مار دسائل
تناهت يداه فاستطال عطاؤها * وعند التناهي يقصر المتطاول

فأي هذين يروق لقلبك ويليق بلبك اقدحر ابن جلنك ذيل الفخار عليه وتناهى الى رتبة مشت فيها المحاسن بين يديه ولم أورد هذين التضمينين واحدهما في الحسن كالقمر والآخر قد خوّب على الاول ماشاد وعمر الا ليبدو لك الفرق بين تمكين التضمين وقلقه وعلى ذكر الاقطع قال ابن دانيال رحمه الله

وأقطع قلت له * هل أنت لص أوحد
فقال هذى صنعة * لم يبق لى فيها يد

وما أحلى قول ابن قلاقس رحمه الله

كانت يدالك عند عبـ * ـد أنت وحدك سيده
فقطعتها ويعز عنـ * ـدى قولهم قطعت يده

طبقات فالطبقة الاولى الحكماء والفضلاء وكان مجلسهم عن يمينه وهم بطانته والطبقة الثانية الملوك وأبناؤهم وسماهم الخواص ومجلسهم عن يساره والطبقة الثالثة الاصبهبدية والمرازبة وهم بين يديه ولم يكن فيهم وضيع ولا دنىء الاصل ثم زادهم طبقات أخر من الوزراء والقضاة ورتب لكل ربع من أرباع الدنيا قوما ينفردون بتدبيره وتحريره ودانت له الدنيا وتمكن من الارض وكان من الشجعان المشهورين في الفرس يلقى وحده رجالا كثيرة ويشبه في قوته وشكله باردشير الاوّل الذي كان يدعى طويل الباع وفي أيامه بنيت المدن المشهورة كايلة واستراباذ وكرخ ميستان وغيرها ووضع له النرد تنبيها على انه لا حيلة للانسان مع القضاء والقدر وهو أوّل من لعب به فقيل نردشير وقيل انه هو الذي وضعه وشبه به تقلب الدنيا بأهلها فجعل بيوت النرد اثني عشر بيتا بعدد شهور السنة وعدد كلابها ثلاثين بعدد أيام الشهر وجعل الفصين مثالا للقضاء والقدر وتقلبهما بأهل الدنيا وأن الانسان يلعب به فيبلغ باسعاف القدر ما يريده وان اللاعب الفطن يتأتى له ما لا يتأتى لغيره اذا أسعده

(رجع) قول الطغرائي فيم الاقامة البيت هذا النوع تسميه أرباب البديع عتاب المرء نفسه وهو من ايراد ابن المعتز ولم ينشد فيه سوى بيتين وهما

عصاني قومي والرشاد الذي به * أمرت ومن يعص المجرب يندم
فصبرا بني بكر على الموت انني * أرى عارضا ينهل بالموت والدم

والشاهد في هذه التسمية قول القائل

فقدتك من نفس شعاعا وانني * نهيتك عن هذا وأنت جميع

ومن التضمين المليح قول زكي الدين بن أبي الاصبع لانه نقل الحماسة الى الغزل

له من ودادي ملء كفيه صافيا * ولي منه ما ضمت عليه الانامل
ومن قده الزاهي ونبت عذاره * صدور رماح أشرعت وسلاسل

ومن أجاد في التضمين وبلغ الغاية مجير الدين محمد بن تميم فانه قال

وطرف تخط الارض رجلاي فوقه * اذا ما مشى ضاقت على المنافس
وما أنا الا راجل فوق ظهره * ولكنني فيما ترى العين فارس

نقله من الفراسة الى الفروسية وقال

لو كنت في الحمام والحب على * أعطافه ولجسمه لألاء
لرأيت ماء سبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وكتب مع وردة أهداها

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

وقال في زهر اللوز

أزهر اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك في فم الدنيا ابتسام

رفع امام على انه خبر لانت وقال

اذا هجرتني الصهباء يوما * أرى للنار في كبدي اشتعالا
كأن الهم مشغوف بقلبي * فساعة هجرها يجد الوصالا

وقال

وجيران ألفتهم زمانا * فأبعدهم نوى الحدثان عني
أثاروا عيسهم فجرت دموعي * كأن العيس كانت فوق جفني

وقال

قيان ملاهينا بأسمائها * ويطربنا منهن عود ومزهر
وأكثر ما يدني لنا السكر بينها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر

وكتب مع قدح أهداه

أهديته قدحا فان أنصفته * أوسعته لجماله تقبيلا
نظمت به الصهباء در حبابها * حتى يصير لرأسه اكليلا

وقال يرثي قدحا

القدر فعارضتهم حكماء الهند بالشطرنج وأقام في الملك خمس عشرة سنة ثم فوضه الى ابنه سابور وانقطع في بيوت العبادات ثلاث سنين الى أن توفي بعد مولد المسيح عليه السلام * ومن كلامه الدين أساس والملك حارس ومالم يكن له أساس فمهدوم ومالم يكن له حارس فضائع * وقال لاشيء أضر على الملك أو على الرئيس من معاشرة وضيع أو مداناة سفيه وذلك أن النفس كما تصلح بمعاشرة الشريف فكذا تفسد بمخالطة السخيف حتى يقدح ذلك فيها كما ان الريح اذا مرت بالطيب حملت منه رائحة طيبة تنعش النفوس وتقوى بها الجوارح فكذا اذا مرت بالنتن فحملت منه الروائح الكريهة آلمت النفس وأضرت بها وكان الفساد اليها أسرع من الصلاح وقال ان للآذان مجة وللقلوب مللا ففرقوا بين الحكمتين يكون ذلك استجماما وكتب اليه جماعة من بطانته يشكون سوء حالهم فوقع ما أنصفكم من أحوجكم الى الشكوى يعني نفسه ثم فرق فيهم مالا وكتب اليه متنصح ان قوما اجتمعوا على سبك فوقع عليها ان كانوا انطقوا بألسنة شتى فقد جمعت ما قالوه في رقعتك

أياقدحاقد صدّع الدهر شمله * وأصبح بعد الراح قد جاور التربا
سأبكيك في وقت الصبوح وانني * سأكثر في وقت الغبوق لك الندبا
وان قطبت شمس المدام لفقدها * لانك كنت الشرق للشمس والغربا

وقال في مليح يشرب بفيه

أفدي الذي أهوى بفيه شاربا * من بركة طابت وراقت مشرعا
أبدت لعيني وجهه وخياله * فأرتني القمرين في وقت معا

وقال في مليح ينظر في مرآة

سقيا لمرآة الحبيب فانها * جليت بكف مثل غصن أينعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

(وقال رحمه الله)

عاينت في الحمام أسود دواتها * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فكأنما هو زورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

(وقال أيضا)

تعبت حتى جوادي لا حراك به * يكاد من همزه بالركض ينخذم
فلا يغرنك منه شبه غلطا * ان الجواد على علاته هرم

(وقال أيضا)

وأهيف مثل البدر غصن قوامه * عليه قلوب العاشقين تطير
يدور عذاراه لتقبيل وجنة * على مثلها كان الخصيب يدور

وعلى الجملة فمحاسنه في التضمين كثيرة الى الغاية وأكثر ما أجاد في التشبيه والتورية والتضمين وقال في كثرة تضمينه وكل ما أوردته له نقلته من خطه

أطالع كل ديوان أراه * ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمن كل بيت فيه معنى * فشعري نصفه من شعر غيري

ونقلت من خط سراج الدين عمر الوراق له

توارت من الواشي بليل ذوائب * له من جبين واضح تحته فجر
فدل عليها شعرها بظلامه * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ونقلت له منه في بخيل صفع

وباخل يشنأ الأضياف حل به * ضيف من الصفع نزال على القمم
سألته ما الذي تشكو فخاوبني * ضيف ألم برأسي غير محتشم

ونقلت منه له مما قاله في شخص غرابيلي

مالي وما للغرابيلي يبسط في * عرضي لسانا كثير اللغو والهذر
فهل توهم جهلا أن سيجمعنا * بيت من الشعر أو بيت من الشعر

ونقلت منه له أيضا

اذا ما جعلتم جفنة الصلح سكرا * فقد جئتم الامر الذي كان أصلحا
وأنتم أحق الناس أن تنشدوننا * لنا الجفنات الغرّ يلمعن في الضحى

فرحك أعجب وأسائك أكذب
(والضحاك استدعى مسالمتك)
اختلف في نسب الضحاك فقال قوم انه الضحاك بن الاهبوب بن عوج بن طهمورث ابن آدم وزمنه بعد الطوفان وهو ابن أخت جمشيد بن أوشهنج ملك الاقاليم وقال قوم هو الضحاك بن علوان أول الفراعنة وهو الذي ولى أخاه سنانا مصر على عهد ابراهيم الخليل عليه السلام وقال قوم هو من العرب من قحطان واليمانية تدعيه وفي ذلك يقول أبو نواس
وكان منا الضحاك يحذره الـ حبابل والوحش في مساربها
والقول الاول أكثر وكان من سيرته أن جمشيد ومعناه سيد الشعاع ملك الاقاليم السبعة وهو أول من عمل السلاح واستخرج الابريسم والقز وألزم أهل الفساد الاعمال الشاقة في قطع الصخور واستخراج المعادن وطال عمره وتجبر وادعى الربوبية فخرج عليه الضحاك هذا وتبعه خلق كثير لبغضهم في جمشيد فهرب جمشيد بين يديه فظفر به وأمر بنشره بمنشار وقال ان كنت الها فادفع عن نفسك ثم ملك الضحاك وطغى وتجبر وبخر ودان بدين البراهمة وهو أول من

وقلت منه له في العنقة

نشطت اسريتي فاتنني * متاعي من بعد ما قد عزم
فقلت تنام ولي مقلة * مسهدة من بهذا احكم
فقال أما قال بشار كم * فنبهها عمر اثم نم

وله ولم أره بخطه

وسقيم الجفون أودعه الله بذاك السقام سرا خفيا
غلبت مقلتاه قلبي عشقا * وضعيفان يغلبان قويا

أنشدني لنفسه المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي اجازة

ياضعيف الجفون أضعفت قلبا * كان قبل الهوى قويا مليا
لاتحارب بناظريك فؤادي * فضعيفان يغلبان قويا

(وأنشدني) من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ومليح قد أخجل الغصن والبد * ر قواما وطيبا ووجها جليا
غلب الصبر في لقا ناظريه * وضعيفان يغلبان قويا

(وأنشدني) من لفظه لنفسه الامير علاء الدين الطنبغا الجاولي

ردفه زاد في الثقالة حتى * أقعد الخصر والقوام السويا
نهض الخصر والقوام وقاما * وضعيفان يغلبان قويا

(وأنشدني) لنفسه المرحوم القاضي شهاب الدين ابو الثناء محمود اجازة

قل لي عن الحمام كيف دخلتها * ياما لكي لتسرني لا مشفقا
أدخلتها وأولئك الاقوام قد * شدوا المآزر فوق كثبان النقا

(ومما اتفق) لي نظمه

قل للرقيب ليستريح من رصدي * ما أصبح المعشوق عندي يشتهى
وارتد قلبي عن سيوف جفونه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

(وقلت) وقد عدت مليحا أرمد

أيقظته من كراه بعد ما رمدت * عيناه لا مسه من بعدها الم
قد زرته وسيوف الهند مغمدة * وقد نظرت اليه والسيوف دم

(وقلت) أيضا في بكاء المحبوب

بمقلة محبوبي دموع تحدرت * دلالا على صب غداوهو مغرم
فشبهت عينيه سيوفا وقد غدت * من التيه في أغمادها تتبسم

(وقلت) في الاتراك الذين يحلقون ذوائبهم

لقد زان أصداغ المماليك نبتها * وماشانهم في الحسن حلق الذوائب
فما بال من يهواهم عندما التقي * عضاض الافاعي نام فوق العقارب

(وقلت) في مليح أحب أسود

أيا من تكلف حب العبيد * كذلك في العقل لا يجمل
فلو تما عند قدريكما * لبت وأعلاكما الاسفل

غنى له وضرب الدنانير والدراهم ولبس التاج ووضع العشور وكان على كتفيه سلعتان يحركهما اذا شاء وادعى انهما حيتان يهول بهما على الضعفاء وذكر انهما يضربان عليه فلا يسكنان حتى يطليهما بدماغي انسانين يذبحان له في كل يوم وكان له وزير صالح فكان يستحيي أحدهما و يضع مكان دماغه دماغ كبش و يأمر الرجل باللحوق بالجبال وان لا يأوي الامصار فيقال ان الاكراد من تلك القوم اكردهم الى الجبال ثم كثر فساد الضحاك وطالت مدته فاجتمع الناس على افريدون ابن جمشيد وكان قد ترعرع فاستعد لقتال الضحاك وكان باصبهان رجل حداد يقال له كابي قتل له الضحاك ولدين فاجتمع عليه خلق كثير وكانت له قطعة جلد يتقي بها حر النار فرفعها على رمح وجعلها علما وسار الى الضحاك والناس معه فخرج اليه فلما رأى ذلك العلم ألقى الله تعالى في قلبه الرعب فانهزم وأراد الناس أن يملكوا كابي فأبى وقال لست من بيت الملك فملكوا افريدون بن جمشيد وصار كابي عونا له وقتل الضحاك وقيل مات منهزما وعظم علم كابي ورصعته الملوك بالدر

(وقلت) فيمن يتهم بحاله مع معشوقه

يقول له المعشوق وهو يلوطه * لعلك تحنى بعد ذاك تنام
فقال وهل فى العيش للناس لذة * اذا لم يكن تحت الكرام كرام

(وقلت) فى تفضيل بياض الشيب على سواد الشباب

أرى فضل المشيب على شبابى * يخالف فيه بعض الاغبياء
ومهما قلت هذا الصبح ليل * أيعمى العالمون عن الضياء

(وقلت أيضا)

قالوا حلا وصف العذار من الورى * فى كل ما نلقاه من أبياته
فأجبتهم لم لا يرى حلوا وقد * قطف الرجال القول عند نباته

(وقلت) فى تفضيل مملوك على خادم

يا من يرجح وجها كالظلام على * وجه كصبح تبدى فى بشائره
ان كان مملوك هذا مثل خادم ذا * فالانتفاع أخى الدنيا بناظره

(وقلت أيضا)

ظبيى من الاتراك يحمى خده الـ * ـحسن النقى من النبات المعتدى
قال الجمال لخده المبيض قد * خلت الديار فسدت غير مسود

(وقلت أيضا)

كلفت بوجه فيه بعض سماجة * رجاء بأن يحلو اذا هو عذرا
وغير بعيد أن يزان بلحية * فقد ينبت المرعى على دمن الثرى

(وقلت) مضمنا قول المعرى فى فرند السيف

ما كنت أحسب لولا نبت عارضه * أن ينبت الآس وسط الجمر فى النهر
ولا ظننت صغار النمل يمكنها * مشيا على اللج أو سعيا على السعر

(وقلت) فى شيب عذار الحبيب

قال الحبيب وقد وصفت مشيبه * والناس قد وصفوه لما عذرا
قطف الرجال القول عند نباته * وقطفت أنت القول لما نورا

(وقلت) أيضا مضمنا قول المعرى

وأشقر نبت عارضه تراه * كأن شعاع وجنته تلالا
ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعدما مسخت نمالا

(وقلت أيضا فى مقياس نيل مصر)

يقول لنا المقياس والنيل هابط * ليقطع أوصال المنى والمطامع
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

(وقلت أيضا)

ألا فاسقنى من ريقة لذ طعمها * بفيك ولا تبخل وقل لى هى الخمر
وحط لثاما حجب الثم عن فمى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

(وقلت أيضا)

واليواقيت وكانوا يقدمونه أمام الجيوش وقت الحرب فينصرون به وكان عندهم كالتابوت فى بنى اسرائيل و يعرف هذا العلم بدرفش كابيان ولم يزل فى خزائنهم يتوارثونه الى زمن يزدجرد بن شهريار فأخذه المسلمون فى وقعة القادسية وحمل الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقسم جواهره فى الناس * ومما اتفق من الحكايات المستظرفة فى أيام الضحاك انه لما طالت مدته وفساده اجتمع الناس على بابه وكابى الحداد معهم فلما دخل وكان جريا قال له اسلم عليك سلام من يملك الاقاليم كلها أم سلام من يملك هذا الاقليم قال بل سلام من يملك الاقاليم كلها فقال له اذا كنت تملك الاقاليم كلها فلم خصصت هذا الاقليم بنوائبك ومؤنتك وهلا انتقلت الى الاقاليم وساويت بينه و بينهم ثم عدد عليه أشياء فصدقه الضحاك ووعد الناس بما يحبون فانصرفوا وكانت له أم جبارة سمعت ماجرى فلما خرجوا أنكرت عليه وقالت لقد جرأتهم عليك هلا قتلتهم فقال لها مع عتوه وتجبره ان القوم بدهونى بالحق فلما هممت بالسطوة بهم وقف الحق

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها * بجامعها الزاهي البديع المشيد
جرى ليباهي حسنه كل جامع * وما قصبات السبق الا لمعبدي

(وقلت) في مليح أعور

أفديه أعور طرفه الشباقي يقول وما تعدى
قد غار من حسني أخي * وبقيت مثل السيف فردا

(وكتبت) على مجلد قديم قد رث

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد في دهره يتخلد
اذا عاينت كتبي الجديدة حاله * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

ذكرت هنا ما أخبرني به الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان من لفظه وأنا أقرأ عليه الاشعار السبعة عند قول طرفة وقوفا بها صحبي البيت قال ان بعض وزراء العرب ذكره لي ونسيته أنا أمر بضرب بعض العمال مائة سوط فقال اذا أهلك وكسر اللام فقال الوزير وأنت من أجل اهلك الحق بأهلك ومما يتعلق بهذا ما ذكره ابن وكيع في المنصف عن علي ابن بسام انه دعاه صديق له مع نحوي متشدق فثقل على علي بن بسام ثم دعى معه في يوم آخر فتخلف عنه فلقيه النحوي فعاتبه على تخلفه فقال له ما يمنعك من زيارتنا فقال يمنعني ما يمنعك يريد ثقل الاعراب في يمنعك

*(ناء عن الاهل صفر الكف منفرد * كالسيف عرى متناه عن الخلل)*

اللغة نأى ينأى نأيا فهو ناء اذا بعد (الاهل) أهل الرجل فهو اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل رهط وقوم ولا بأس بمعرفة الجمع واسم الجمع واسم الجنس فانه من المهمات وقد خبط الناس في ذلك قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك الاسم الدال على أكثر من اثنين بشهادة التأمل اما أن يكون موضوعا للآحاد المجتمعة دالا عليها دلالة تكرار الواحد بالعطف واما أن يكون موضوعا لمجموع الآحاد دالا عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مسماه واما أن يكون موضوعا للحقيقة ملغى فيه اعتبار الفردية الا أن الواحد ينتفي بنفيه فالموضوع للآحاد المجتمعة هو الجمع سواء كان من لفظه واحد مستعمل كرجال وأسود أولم يكن كأبابيل والموضوع لمجموع الآحاد هو اسم الجمع سواء كان له واحد من لفظه كركب وصحب أولم يكن كرهط وقوم والموضوع للحقيقة بالمعنى المذكور هو اسم الجنس وهو غالبا يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمرة وتمر وعكسه كمأة وكمء ومما يعرف به الجمع كونه على وزن لم تبن عليه الآحاد كأبابيل وغلبة التأنيث عليه ولذلك حكم على نحو تخم انه جمع تخمة مع أن نظيره من نحو رطب ورطبة محكوم عليه انه اسم جنس لان تخما غلب عليه التأنيث يقال هذه تخم ولا يقال هذا تخم فعلم انه في معنى جماعة وليس مسلوكا به طريق رطب ونحوه ومما يعرف به اسم الجمع كونه على وزن الآحاد وليس له واحد من لفظه كقوم ورهط وكونه مساويا للواحد في تذكيره والنسب اليه ولذلك حكم على نحو غزى انه اسم جمع لغاز وان كان نحو كليب جمعا لكلب لان غزيا مذكر وكليبا مؤنث وحكم أيضا على نحو ركاب انه اسم جمع ركوبة لانهم نسبوا اليه زيت ركابي والجموع لا ينسب اليها الا اذا غلبت كانصاري اه (صفر) الصفر الخالي يقال بيت صفر من المتاع ورجل صفر اليدين وفي الحديث ان أصفر البيوت من الخير البيت الصفر

بيني وبينهم كالجبل فقال بيني وبين ما أردت ثم كان من أمره بعد ذلك ما كان مع كاتبي كامر

(وجذيمة الابرش غني منادمتك)

هو جذيمة بن مالك بن عامر التنوخي وقيل الازدي أول من قاد العرب وملك على قضاعة وكانت منازله الحيرة والانبار وولايته من قبل اردشير بن بابك وكان أبرص فعدل عن هذا الاسم فقيل الابرش والوضاح وزعم بعضهم انه كان يأنف من اسم الابرص ولذلك كني عنه بالابرش وفي العرب من يفتخر بذلك قال الراجز يمدح أبرص

أبرص فياض اليدين أكاف
والبرص أدرى باللها وأعرف

وهو أول من صنع له الشمع وأدلج من الملوك وكان ذا رأي وهمة وتيه مفرط ويقال له نديم الفرقدين كان اذا شرب قدح صب لهما قدحين ولا ينادم غيرهما وكان سبب ذلك فيما زعموا انه كان تكهن واتخذ صنمين يقال لهما الغريان يستسقي بهما وينتصر على أعدائه وكانت اياد قد خرج قوم منهم من الحجاز وانتشروا فيما بين

من كتاب الله عز وجل وقد صفر الرجل بالكسر وأصفر فهو مصفر أي افتقر والصفاريت الفقراء والواحد صفريت قال ذو الرمة ولا خور صفاريت (الكاف) معروف وفي الانسان من أعضائه عشرة أول كل عضو منها كاف وهي الكف والكوع والكرسوع والكتف والكاهل والكبد والكتد والكلية والكمرة والكعب (يحكى) ان بعض أشياخ اللغة طلب منه عدها فعد تسعة أعضاء ونسي الكمرة فلما قام الى بيت الخلاء ذكرها وقد كان قبل قد ذكر الكرش فقيل له ليس للانسان كرش انما هي الاعفاج ويقال ان ابن خالويه وضع مسئلة سماها الانطاكية اشتملت على ثلثمائة عضو من أعضاء الانسان أول كل كلمة منها كاف وقد رأيت أنا مجلدا ولم أعرف اسم مصنفه قد جمع فيه أسماء أعضاء الرجال والنساء على حروف المعجم وهذا اطلاع كبير فرأيت فيه زيادة في حرف الكاف على ما ذكرته هنا الكذوب النفس والكعبرة عقدة مكيلة حائدة من الرأس والكشفة بفتح الكاف والشين دائرة من شعر تكون عند الناصية تنبت صعدا والكرشمة الوجه ولكن لا يقال الا في الشتم والكرد أصل العنق والكراديس ما شخص من عظام البدن كالمنكبين والمرفقين والكعاس عظام السلامي والكاثبة من الانسان والبهيمة ما بين الكتفين الى أصل العنق والكلكل الصدر والكشح الجنب وهو من لدن الورك الى الخصر والكفل العجز والكاذة لحم مؤخر الفخذ والكراع من الانسان ما دون الركبة والكوشلة الذكر والكظر ركب المرأة ٣ والكاثوم الكعثب وهو الفرج والكين لحم باطن الفرج والكراض حلق الرحم وأما الكس فليس بعربي على الصحيح واذكر أني وقفت على فصل فيه تسمية أعضاء الانسان بأسماء حروف المعجم من أولها الى آخرها * وأما تشبيه أعضاء الانسان بالحروف فقد أكثر الشعراء من ذلك فشبهوا الحاجب بالنون والعين بالعين والصدغ بالواو والفم بالميم والصاد والثنايا بالسين والقامة بالالف والطرة بالشين فمن ذلك قول بعضهم

لا تقولي لاف كتوب صلي * وجهك المشرق نورانهم
بحروف خلقت من قدرة * ما جرى قط عليها قلم
نونها الحاجب والعين بها * طرفك الفتان والميم الفم

وقلت أنا من أبيات

علقتها من بنات الترك قد غنيت * بدمع عاشقها عن منة الشنف
باللهو عينها عين وحاجبها * نون وتم العنا من قدها الالف

وقال محاسن الشواء

أرسل فرعا ولوى هاجري * صدغا فأعيا بهما واصفه
فخلت ذا من خلفه حية * تسعى وهذا عقربا واقفه
ذي ألف ليست لوصل وذي * واو ولكن ليست العاطفه

وقال جمال الدين يحيى بن مطروح

قالت لنا ألف العذار بخده * في ميم مبسمه شفاء الصادي

وقال الآخر

كأن عذاره المسكي لام * ومبسم ثغره الدري صاد

البصرة والكوفة وتمكنوا على ما يلي الحيرة وكثروا بعين اباغ فخرج جذيمة غازيا وكان في اياد رجل يقال له عدي بن نصر وكان له ظرف وجمال واليه تنسب الملوك من آل نصر فنزل جذيمة بساحتهم فبعث اياد قوما منهم الى صنمي جذيمة فسقوا اسدنتهما الخمر وسرقوهما فأصبحا في اياد فبعثت اياد الى جذيمة تقول ان صنميك قد أصبحا عندنا زهدا فيك ورغبة فينا فان عاهدتنا على أن لا تغزونا رددناهما اليك فقال جذيمة وتعطوني أيضا عدي بن نصر يكون عندي ففعلوا وانصرف عنهم وضم عديا الى نفسه وولاه شرابه وأمر مجلسه وكان لجذيمة أخت تسمى رقاش وهي بكر فأحبت عديا وأحبها فسألته أن يخطبها من جذيمة اذا سكر ففعل ذلك وزوجه بها وأشهد عليه من حضر فلما أصبح دخل عليه بثياب العرس وكان قد دخل بها تلك الليلة فقال جذيمة ما هذه الآثار يا عدي فقال آثار عرس رقاش فقال من زوجكها ويحك قال الملك فأكب على الارض مفكرا وهرب عدي فلم يعرف له أثر ولا خبر وأرسل جذيمة الى أخته يقول

ومسبل شعره ليل بهيم * فلا عجب اذا سرق الرقاد

وقال ابن نقادة

صنم الجمال فصاده من عينها * والنون حاجبها بالخال تنقط

والميم فوها فالحروف تألفت * مكتوبة والصبر عنها يكشط

وما أحسن قول القائل

ياسين طرتها وصاد عيونها * انى أعوذها بسورة طه

(وقال)

سين الثنايا جوتها ميم مبسمه * طوبى لمن ذاق منها كاس تسنيم

ومن عجائب وجدى أن بى سقما * ما برؤه غير تلك السين والميم

(وقال آخر)

تالله ما المعذبى فى حسنه * شبه فأى حشا عليه لم تهم

لام العذار وميم مبسمه على * ما أدعى من حسنه برهان لم

قلت البرهان اللمى عند أرباب المعقول أشرف من البرهان الانى لان اللمى يعطى العلة المستلزمة للوجود والانى يعطى الوجود فقط لانك اذا قلت الخشبة ممسوسة النار وكل ممسوس النار محترق فالخشبة محترقة لزم من هذا الاستدلال بالمؤثر على الاثر لان الحد الاوسط علة لثبوت الحد الاكبر للاصغر فعلة الاحتراق من مماسة النار فهذا هو البرهان اللمى وأما البرهان الانى فان الحد الاوسط فيه معلول الاكبر كقولك الخشبة محترقة وكل محترق ممسوس النار فالخشبة ممسوس النار فلزم من ذلك الاستدلال بالاثر الذى هو محترق على المؤثر الذى هو ممسوس النار وتنزيل ما قاله هذا الشاعر على هذه القاعدة وترتيبه أن يقال معذبى له عذار يشبه اللام وفم يشبه الميم وكل ذى عذار لامى وفم ميمى فهو حسن فمعذبى حسن فالبرهان على حسنه لمى والقضية الصغرى ثابتة بالمشاهدة والكبرى مشهورة فالنتيجة صادقة (كالسيف عرّى) أى جرد (متناه) المتن الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال وهما هنا جانبا السيف (الخال) جمع واحده خلة بالخاء المعجمة والخلل بطائن كانت تغشى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره (الاعراب) ناء اسم فاعل من نأى وأصله نائى مثل جائى فلما اجتمع همزتان فى الكلمة الواحدة قلبوا الثانية ياء لانكسار ما قبلها فصار من باب قاض وأما قول الشاعر

يشجج رأسه بالفهر واجى أصله واجئ مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره أنا ناء ولم يظهر فيه الرفع لانه منقوص مثل قاض فلا يظهر فيه الا النصب فقط تقول هذا ناء ورأيت نائيا ومررت بناء فان قلت هلا رفعته على انه مبتدا قلت لا لانه اسم فاعل واسم الفاعل لا يكون مبتدأ حتى يعتمد على الاستفهام أو النفى أو معنى النفى لانهما يقربانه مما له صدر الكلام كقول الشاعر

أقاطن قوم سلمى أم نووا ظعنا * ان يظعنوا فعجيب عيش من قطنا

وكما فى قول الآخر

خليلى ما واف بعهدى أنتما * اذا لم تكونا لى على من أقاطع

ألا ترى أن قاطنا لما اعتمد على الاستفهام كان مبتدأ وأن وافيا لما اعتمد على النفى جاز الابتداء

خبرينى رقاش لا تكذبينى
أبحر زنيت أم بهجين
أم بعبد فأنت أهل لعبد
أم بدون فأنت أهل لدون
قالت بل أنت زوجتنى امرأ
عربيا ولم تشاورنى فى نفسى
فكف عنها وآلى أن لا
ينادم الا الفرقدين وحملت
رقاش فولدت غلاما وسمته
عمرا فلما ترعرع ألبسته
وعطرته ودخلت به على
خاله فلما رآه أحبه وجعله مع
ولده وخرج جذيمة متبديا
بأهله فى سنة خصبة فأقام فى
روضة ذات زهر ونهر فخرج
ولده وعمرو معهم يجتنون
الكماة فكانوا اذا أصابوا
كمأة جيدة أكلوها واذا
أصابها عمرو خبأها وانصرفوا
الى جذيمة يتعادون وعمرو
يقول هذا جناى وخياره فيه
وكل جان يده الى فيه فضمه
جذيمة الى صدره وسر بقوله
وحلاه بطوق من ذهب
فكان اول عربى لبس
الطوق ثم ان الجن استطارته
فطلبه جذيمة فى الآفاق زمانا
فلم يقدر عليه ثم أقبل رجلان
من قضاعة يقال لهما مالك
وعقيل ابنا فارج من الشام
يريدان جذيمة وأهديا له
طرفا فبينما هما يأكلان اذ
أقبل فتى عريان قد تلبد
شعره فسألاه عن نسبه
فعرفهما نفسه فنهضا وغسلا
رأسه وأصلحا أمره وألبساه

به وقولي أو معنى النفي ليدخل فيه قول الشاعر

غير مأسوف على زمن * ينقضي بالهم والحزن

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان هذا البيت سأل أبا الفتح بن جني ابنه عن اعرابه فارتبك فيه ولابي عمرو بن الحاجب فيه كلام طويل وخرجه ابن جني وتبعه ابن الحاجب على حذف المبتدا واقامة صفته مقامه وايقاع الظاهر موقع المضمر بحذف الظاهر المبتدا والتقدير زمان ينقضي بالهم والحزن غير مأسوف عليه وقال الشيخ بهاء الدين بن النحاس قولهم حسبك بزيد مبتدا لاخبر له على أحد الوجهين لكونه بمعنى اكتف وكذلك قول الشاعر غير مأسوف البيت ومثله قول الآخر

غير لاه عداك فاطرح اللهو ولا تغترر بعارض سلم

فغير في البيتين مبتدأ لاخبر له على أحد الوجهين لانه محمول على ما كأنه قيل ما يؤسف على زمن كما في قولهم ما قائم اخواك اه (قلت) فغير مبتدأ وعلى زمن جار ومجرور في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله لمأسوف لانه صيغة اسم المفعول وقد سد الجار والمجرور مسد الخبر كقولك ما مضروب الرجلان فتقرر بهذا ان ثانيا لايجوز ان يكون مبتدأ لعدم اعتماده على شئ من المسوغات له (عن الاهل) عن تقدم الكلام على تقسيم مجيئها في الكلام وهي هنا للتجاوز والجار والمجرور في موضع النصب باسم الفاعل (صفر الكف منفرد) خبران ايضا مثل نادم فهي ثلاثة اخبار لمبتدا واحد قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك قد يتعدد الخبر فيكون للمبتدا الواحد خبران فصاعدا وذلك في الكلام على ثلاثة اضرب قسم يجب فيه العطف وقسم يجب فيه ترك العطف وقسم يستوي فيه الامران فالاول ما تعدد لتعدد ما هو له اما حقيقة نحو بنوك كاتب وشاعر وفقيه قال الشاعر

يداك يد خيرها يرتجى * واخرى لاعدائها غائظه

واما حكما كقوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد والثاني ما تعدد في اللفظ دون المعنى وضابطه ان لا يصدق الاخبار ببعضه عن المبتدا كقولك الرمان حلو حامض بمعنى مز وزيد اعسر يسر اي ضابط وقد اجاز ابو علي فيه العطف وجعل منه

لقيم بن لقمان من اخته * فكان ابن اخت له وابنما

وهو سهو والثالث ما تعدد لفظا ومعنى دون تعدد ما هو له فهذا يجوز فيه الوجهان نحو قوله تعالى وهو الغفور الودود الآية وقال الشاعر

ينام باحدى مقلتيه ويتقي * باخرى الاعادي فهو يقظان هاجع

ونحو قوله تعالى صم وبكم في الظلمات اه قلت قوله وهو سهو لان ابا علي توهم انه تعدد في اللفظ دون المعنى وليس كذلك لانه في اللفظ والمعنى متعدد وذلك ان لقمان بن عاد كانت له اخت محمقة فقالت لاحدى نساء اخيها هذه الليلة طهري وهي ليلتك فدعيني انام في مضجعك فان لقمان رجل منجب فعسى ان يقع علي فانجب فوقع على اخته فحملت منه بلقيم فلذلك قال النمر بن تولب

لقيم بن لقمان من اخته * فكان ابن اخت له وابنما

ثيابا وقالا ما كنا لنهدي جذيمة أنفس من ابن أخته وخرجا به الى جذيمة فسر به ورأى الطوق فقال شب عمرو عن الطوق فذهبت مثلا وقال لهما سلا حكمكما قالا منادمتك ما بقينا وبقيت فكانا منادميه من ذلك وهما نديما جذيمة اللذان يضرب بهما المثل واياهما عنى متمم بن نويرة بقوله في رثاء أخيه

وكنا كندماني جذيمة حقبة
من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

وقيل انهما الفرقدين * ويحكى أن جذيمة سكر مرة أخرى فقتلهما فلما أصبح ندم وبنى عليهما الغريين ونادم الفرقدين وقيل ان صاحب الغريين المنذر الاكبر ثم ان جذيمة أرسل يخطب الزباء ملكة الحضر الحاجز بين الفرس والروم وكان لها وتر عنده فأجابته واستدعته اليها فاستشار أصحابه فأشاروا عليه بالمضي خلا الفهم قصير ابن سعد وكان لبيبا وقال ان النساء يهدين الى الازواج فعصاه وسار حتى اذا كان بمكان يدعى بقة استشارهم فأشاروا عليه لما يعلمون من رأيه فيها فقال قصير انصرف ودمك في وجهك فأبى وطعن جذيمة حتى اذا عاين الكتائب قد استقبلته قال لقصير ما الرأي قال تركت الرأي ببقة ثم ركب

ليالى حق فاستحضنت * اليه فغرّبها مظلما

فأحبلها رجل محكم * فجاءت به رجلا محكما

فعلى هذا اذا كان الانسان ابن اخت ابيه كان له معنيان هما أن اباه خاله وان خاله ابوه فهو ابن أبيه وابن خاله واذا صح هذا فهو متعدد فى اللفظ والمعنى وحينئذ يستوى فيه العطف وعدمه فلك أن تقول فكان ابن أخته وابنه وان تقول فكان ابن أخته ابنه واما قول حميد الهلالى ينام باحدى مقلتيه البيت فالعرب تزعم ان الذئب اذانام زاوج بين عينيه فيفتح احداهما لتكون حارسة له قال العسكرى وهذا محال لان النوم يأخذ جملة الحى قال ابن الجوزى والذى ارادوا بذلك انه يغمض عينا عند بداية النوم ويفتح عينا الى ان يغلبه النوم فيكون فى صورة الهاجع ويكون الكلام صحيحا (قلت) ماخلص ابن الجوزى من كلام العسكرى لان الشاعر قال فهو يقظان هاجع والحيوان لا يكون فى حالة النوم يقظان ويزعمون ان الارنب ينام وعيناه مفتوحتان قال ابو الطيب

ارانب غير أنهم ملوك * مفتحة عيونهم نيام

اه فعلى ماقرره الشيخ بدر الدين محمد بن مالك يكون ناءعن الاهل صفر الكف منفرد أخبارا تعددت فى اللفظ والمعنى دون المبتدا لانه واحد متصف بهذه الصفات فيجوزان تسرد الاخبار ههنا معطوفة وغير معطوفة كقوله تعالى وهو الغفور الودود (كالسيف) تقدم الكلام على تقسيم الكاف وهى هنا اسم بمعنى مثل وموضعها الرفع ان قدرت فأنا منفرد مثل السيف أو النصب على الحال أو على أنها صفة لمصدر محذوف تقديره منفرد انفرادا مثل انفراد السيف (عرّى متناه) عرّى فعل مغير لما لم يسم فاعله قالوا فى ضم أول الفعل المغير انه دلالة على ان المحذوف مرفوع ولا يرد هنا قيل وبيع وبابه فان الاصل قول وبيع بضم الاول فلما كان ثقيلا كسر لانه لا يكون قبل الياء الا ماهو من جنسها او كسر ماقبل آخره اعتناء بامره ليصوغوا له هيئة لا يشاركه فيها غيره من المفاعيل الخمسة وهذا تعليل عليل (ذكرت) هنا نادرة وهى ان أبا الصقر قبل وزارته دخل على صاعد بن مخلد وهو وزير وفى المجلس أبو العباس بن ثوابة فسال الوزير عن رجل فقال أبو الصقر أنفى فقال ابن ثوابة فى الخرا فتضاحك به أهل المجلس فقال أبو الصقر مثلك يحتاج أن يشد ويحد فقال وهذا من جهلك من يحد لا يشد فخرج أبو الصقر مغضبا (قلت) قد غلط أبو الصقر وابن ثوابة أيضا لان نفى لا يقال فيه أنفى لانه ثلاثى تقول نفيت الشئ والانف لا يكون الا بفتح الهمزة وانشد الكامل فى مثل هذا التنددير ما أنشد نيه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة سبعمائة وثمان وعشرين قال أنشدنى ابن المتيتى نائب دار العدل بمصر لنفسه يخاطب زين الدين خالدا الاشعرى

قلت للزين كيف لا تثبت البعث * وتنفى انكارهم للحشر

قال أثبت فقلت ذقنك فى استى * قال أنفى فقلت فى وسط جحرى

قلت الصحيح انهما للنور الاسعردى وهو ماخوذ من قول الآخر

جاء فلان الدين فى وجهه * أنف له كادواريه

قلت له ماذا القضا قال لى * ذا منخرى قلت أنا فيه

ومثل

قصير فرسا لجذيمة تسمى العصا فنجا وأخذ جذيمة فلما أدخل على الزباء أمرت برواهشه فقطعت والرواهش عروق اليد واستنزفته حتى مات فى خبر طويل مشهور وكانت مدة ملكه ستين سنة وله أشعار حسنة مشهورة فمنها

أضحى جذيمة فى يبرين منزله قد حازما جمعت من قبله عاد مستعمل الخير لا تفنى زيادته فى كل يوم وأهل الخير تزداد

(وشيرين قد نافست بوران فيك)

هى شيرين زوجة أبرويز بن هرمز من ولد كسرى أنوشروان وكانت يتيمة فى حجر رجل من أشراف المدائن وكان أبرويز صغيرا يدخل منزل ذلك الرجل فيلاعب شيرين وتلاعبه فأخذت من قلبه موضعا فنهاها عنه ذلك الرجل فلم تنته فرآها وقد أخذت فى بعض الايام من أبرويز خاتما فقال لبعض خواصه اذهب بها الى الدجلة فغرّقها فأخذها ومضى فقالت له وما الذى ينفعك من تغريقى فقال قد حلفت لمولاى فقالت اقذفنى فى مكان رقيق فان نجوت لم أظهر وبرت يمينك ففعل وتوارت فى الماء حتى غاب وصعدت الى دير فترهبت فيه وأحسن اليها الرهبان

ومثل هذا ما نقلته من خط علاء الدين علي بن مظفر الكندي المعروف بالوداعي لنفسه

وذي دلال أهيف أحور * أصبح في عقد الهوى شرطي
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقي قلت في وسطي

(رجع القول الى الاعراب) متناه مرفوع لانه مفعول ما لم يسم فاعله وهو عري وعلامة رفعه الالف لانه مثنى تثنية متن وحذفت نون التثنية لاضافته الى الضمير والموجب لحذف الفاعل أمور منها الجهل به أو عكسه أو الحقارة أو عكسها أو ايثار غرض السامع لذلك أو للابهام عليه أو للاختصار أو للتفعيل كما في قول الشاعر

ان التي زعمت فؤادك ملها * خلقت هواك كما خلقت هوى لها

فلو قال خلقها الله لم يصح التفعيل في تقطيع البيت أو للتوافق كقوله

وما المال والاهلون الا ودائع * ولا بد يوما أن ترد الودائع

فلو ذكر الفاعل لنصب الودائع والقصيدة مرفوعة أو للتقارب في السجع كقوله كثر النضال وقتل الرجال فلو ذكر الفاعل طالت القرينة ولأرباب المعاني في التسعة الموجبة المذكورة كلام طويل على كل منها اضربت عنه خوفا من التطويل فحذف الفاعل هنا يحتمل ان يكون طلبا للتفعيل لانه لو ذكر لم يصح التفعيل في تقطيع البيت ويحتمل ان يكون طلبا للابهام على السامع ويحتمل ان يكون للجهل به لان الذي عرى السيف لا يعلم ويحتمل غير ذلك وانما أعطى المفعول في مثل هذا الرفع اهتماما بامره لان الرفع هو العمدة في الكلام فاخذ منه النصب وهو دونه وأعطى الرفع وهو خير منه ولان الفاعل الذي عدم لم يعرف ووجد المفعول قد قام به الفعل فكانه الذي أوجده كما تقول مات زيد وانهدم الحائط وهما لم يفعلا ذلك من ذاتيهما وانما قام بهما الفعل فنسبا الى الفاعلية والفعل لا يوجد الا بوجود الفاعل وهو في غنية عن المفعول في اكثر المواطن ويحتمل ان يذكر للمناسبة ووجوه أخر غير هذه (من الخلل) سوف يأتي الكلام على من وتقسيمها وهي هنا لبيان الجنس لانه يحتمل ان يعرى من الخلل التي تغشى بها الجفون وان يعرى من الجفون وان يعرى من الصقل والرونق والمضاء وغير ذلك فنص على ان السيف عرى من الخلل لا من غيرها وهذه الجملة أعني عرى وما بعدها في موضع الجر على الصفة للسيف ومن الخلل متعلق بعرى (المعنى) هذا البيت متعلق بما قبله كانه قال لاي شئ أقيم في بغداد وأنا لا سكن لي بها ولا ناقة لي فيها ولا جمل وانا ناء عن الاهل فقير لا أملك شيئا من المال في كني منفرد عن الناس كالسيف الذي جرد من حليته فما تنظره العيون وهو المطلوب في نفسه عند الحاجة لا الاجفان ولا الحمائل ولا الحلية والسيف عند الشجاع غير مراد منه هذه الاشياء وانما المراد مضاؤه وفريه ونفوذه في الضرب اذ الغاية المطلوبة منه هي هذه وأما الجفن والحلية والحمائل فلا اعتبار بوجودها ولا عدمها وما الحلي الا حيلة من نقيصة * وما أحسن ما كشف المعري هذا المعنى بقوله

وان كان في لبس الفتى شرف له * فما السيف الا غمده والحمائل

وقال البحتري يعزي بولد

تعز فان السيف يمضي وان وهت * حمائله عنه وخلاه قائمه

وقال النمر بن تولب

فلما تقرر الملك لابرويز بعد أبيه هرمز بذلك الدير رسل قيصر الى أبرويز فدفعت الخاتم الى رئيسهم وقالت ابعث به الى أبرويز لتحظى عنده فأرسله وعرفه مكان شيرين فسر سرورا عظيما فأرسل اليها فأحضرها وكانت من أجمل النساء وأظرفهن ففوض اليها أمره وهجر نساءه وجواريه وعاهدها أن لا تمكن منها أحدا بعده وبنى لها القصر المعروف بقصر شيرين بالعراق فلما قتل شيرويه أباه أبرويز راودها عن نفسها فامتنعت فضيق عليها واستاصلها ورماها بالزنى وتهددها بالقتل ان لم تفعل فقالت أفعل على ثلاث شرائط قال ماهي قالت تسلم الي قتلة زوجي أقتلهم وتصعد المنبر وتبرئني مما قذفتني به وتفتح لي ناووس أبيك فان له عندي وديعة عاهدني ان تزوجت بعده رددتها اليه فدفع اليها قتلة أبيه فقتلتهم وبرأها كما قال وفتح لها ناووس أبيه وبعث الخادم معها فجاءت الى أبرويز فعانقته ومصت فصا سم ما كان معها فماتت من وقتها وأبطأت على الخدم فصاحوا فلم تكلمهم فدخلوا فوجدوها معانقة لابرويز ميتة * وأما بوران فهي ابنة أبرويز المذكور كانت أحسن من

فان تك أثوابى تمزقن عن فتى * فانى كنصل السيف فى خلق الغمد

وقال لبيد بن ربيعة

فأصبحت مثل السيف أخلق غمده * تقادم عهد القين والنصل قاطع

فلهذا قال الطغرائى ما قاله يعنى انى فى بغداد بهذه الحالة من الفقر واجتناب الناس لخلو ذات يدى وأنا من الفضل والعلم والادوات بمحل أسنى ومع ذلك لا يعبأ بى ولا ينظر الى ذاتى من حيث هى كالسيف المعرى من الحلية وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه اذ هما ذاتان والمال عرض زائل قال الشاعر

تسل عن كل شئ بالحياة فقد * يهون عند بقاء الجوهر العرض

وقال أبو الطيب فى معنى عدم الالتفات الى غير الانسانية

وما الحسن فى وجه الفتى شرف له * اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وقال الشريف الرضى

لا تجعلن دليل المرء صورته * كم مخبر سمج فى منظر حسن

ولغيره

ان الصفائح لا يغررك باطنها * نقش الطوابع موسوم على الطين

وقال التهامى

حسن الرجال بحسناهم وفخرهم * بطولهم فى المعالى لا بطولهم

وقال الغزى

لا يحطن رتبتى سوء حالى * آية الحسن فى الجفون السقام
انا كالنار أطفأ القطر منها * ولها بعد أن نفخت احتدام

وما أحسن قول ابن حمديس

أصبحت مثل السيف أبلى غمده * طول اعتلاق نجاده بالمنكب
ان يعله صدأ فكم من صفحة * مصقولة بالماء تحت الطحلب

وقال ابن قلاقس الاسكندرى

ولئن رادتنى الخطوب بعرها * فالرمح يزلق عن ثنايا منهج
أو رحت فى سمل الثياب فاننى * كالعضب يفرى وهو رث المنسج

وقال أيضا فى عكس المعنى

قالوا الثواب عن الاثواب قلت لهم * خذوا ثوابى وردوا لى أثوابى
واضيعة العضب لا جفن يصان به * وأى جفن لماضى الحد قرطاب

وقال أبو الطيب فى عكس هذا المعنى

لا يعجبن مضيما حسن بزته * وهل يروق دفينا جودة الكفن

ومن قول أبى العلاء المعرى فى معنى قول الطغرائى

وأنت السيف ان يعدم حليا * فلم يعدم فرندك والغرار
وليس يزيد فى جرى المذاكى * ركاب فوقه ذهب معار
ورب مطوق بالتبر يكبو * بفارسه وللرهج اعتبار

نشأ بين الترك والفرس ومن النساء وملكت الناس بعد شهريار بن أبرويز وأصلحت القناطر والجسور ولما جلست على السرير قالت ليس ببطش الرجال تدوخ البلاد ولا بمكايدهم ينال الظفر وانما ذلك بعون الله وقدرته وأقامت سبعة أشهر ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم أمرها قال لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة ويقال ان فيروز بن رستم صاحب خراسان خطبها فقالت لا ينبغى للملكة أن تتزوج علانية وواعدته أن يقدم عليها سرا فى ليلة عينتها له فجاءها فى تلك الليلة فقتلته فسار اليها أبوه رستم فقتلها وقيل ان هذه الواقعة مع أزرمى دخت

(و بلقيس غارت الزباء عليك)

بلقيس ابنة الحرث بن سبا ويلقب أبوها بالهدهاد وقيل بنت الشيصبان ملكت بلاد سبا المذكورة فى الكتاب العزيز وعن ابن عباس انه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبا أرجل هو أم امرأة أم أرض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو رجل ولد عشرة سكن منهم اليمن ستة والشام أربعة فاليمانيون مذحج وكندة والانمار والازد والاشعريون وحمير وأما الشام فلخم وجذام

وزند عاطل يزهي بمدح * ويحرمه الذي فيه السوار

ويعجبني قول القائل

ليس الخمول بعار * على امرئ ذي جلال
فليلة القدر تخفى * وتلك خير الليالي

(قلت) الحكمة في اخفاء ليلة القدر لهاوجهات منها ان يحصل الاجتهاد في الظفر بها فكل شخص يجتهد في أمرها فيحصل له الاجر في اجتهاده لان من اجتهد وأصاب فله اجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد تفضلا من الله ورحمة لئلا يحرم العامل أجرا (مسئلة) كل مجتهد مصيب في الفروع لا في الاصول هذا هو الصحيح ومن قال ان كل مجتهد مصيب مطلقا فلا حجة معه بدليل قوله كل مجتهد مصيب وهذا البحث فيه دقة لانه يأخذ حجة خصمه فيجعلها دليلا على مطلوبه فيقول بعين ما قلت يلزمك ما أقول اذ أنت أثبت ان كل من اجتهد أصاب وأنا قد اجتهدت فأدى اجتهادي الى ان كل مجتهد لم يصب اللهم الا في الفروع وما أحلى قول شمس الدين محمد بن التلمساني ومن خطه نقلت

قضاة الحسن ما صنعي بطرف * عني مثله الرشا الربيب
رمى فاصاب قلبي باجتهاد * صدقتم كل مجتهد مصيب

(رجع ما انقطع) وقد تعبدنا الله عز وجل بأشياء لا ندري معناها وأخفاها علينا لمضاعفة الاجور ولنافي الايمان بها والاجتهاد في معرفتها ومثل ليلة القدر الساعة التي في يوم الجمعة التي يجاب فيها الدعاء * قال ابن حزم في مراتب الاجماع واجمعوا على ان ليلة القدر حق وهي في السنة ليلة واحدة اه ومنهم من قال هي في مجموع رمضان ومنهم من قال هي في أفراد العشر الاواخر ومنهم من قال في السابع والعشرين وهو قول ابن عباس لان قوله تعالى ليلة القدر هي تمام سبع وعشرين لفظة من السورة وليلة القدر تسعة أحرف وهي مذكورة ثلاث مرات فتكون سبعة وعشرين حرفا ومنهم من قال هي في مجموع السنة لا يختص بها رمضان ولا غيره روي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال من يقم الحول يصبها ومنهم من قال رفعت بعد النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان فضلها لنزول القرآن فالذين قالوا انها في مجموع رمضان اختلفوا في تعيينها على ثمانية أقوال قال ابن رزين هي الليلة الاولى وقال الحسن البصري هي السابعة عشر وعن أنس مرفوعا انها التاسعة عشر وقال محمد بن اسحق هي الحادية والعشرون وقال ابن عباس الثالثة والعشرون وقال ابن مسعود الرابعة والعشرون وقال أبو ذر الغفاري الخامسة والعشرون وقال أبي بن كعب وجماعة من الصحابة السابعة والعشرون ومن قال انها لا تختص رمضان يلزمه اذا قال لزوجته أنت طالق ليلة القدر أنها لا تطلق حتى يحول عليها الحول لانها تكون قد مرت بيقين لان النكاح أمر متيقن لا يزول الا بمثله وكونها في رمضان أمر مظنون وفي هذا التفقه نظر لان الاحاديث الصحيحة دلت على أنها في العشر الاواخر من رمضان ووقوع الطلاق حكم شرعي والحكم الشرعي يثبت بخبر الآحاد لان خبر الآحاد يوجب العمل ولا يفيد العلم قال الرافعي لو قال لزوجته أنت طالق ليلة القدر قال أصحابنا ان قاله قبل رمضان أو فيه قبل مضي أول ليالي العشر طلقت بانقضاء ليالي العشر وان قاله بعد مضي ليالي ها لم تطلق الى مضي سنة كاملة قال الشيخ محيي الدين النووي قوله طلقت بانقضاء ليالي العشر فيه تجوز تابع فيه

وعاملة وغسان وكانت بلقيس من أحسن نساء العالمين ويقال ان أحد ابويها كان جنيا وقال ابن الكلبي كان أبوها من عظماء الملوك وولده ملوك اليمن كلها وكان يقول ليس في ملوك اليمن من يدانيني فتزوج امرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقيس وتسمى بلقة ويقال ان مؤخر قدميها كان مثل حافر الدابة ولذلك اتخذ سليمان عليه السلام الصرح الممرد من القوارير وكان بيتا من زجاج يخيل للرائي أنه ماء يضطرب فلما رأته كشفت عن ساقيها فلم ير غير شعر خفيف ولذلك أمر باحضار عرشها ليختبر عقلها ثم أسلمت وعزم سليمان على تزوجها فأمر الشياطين فاتخذوا الحمام والنورة وهو أول من اتخذ ذلك وطلوا بالنورة ساقيها فصارت كالفضة فتزوجها وأرادت منه ردها الى ملكها ففعل ذلك وأمر الشياطين فبنوا لها باليمن الحصون التي لم ير مثلها وهي غمدان وبينون وغيرهما وأبقاها على ملكها وكان يزورها في كل شهر مرة من الشام على البساط والريح وبقي ملكها الى أن توفي فزال بموته * وأما الزباء فهي ابنة مليح بن البراء كان أبوها ملكا على الحضر وهو

صاحب المهذب وغيره وحقيقته طلقت في أول الليلة الاخيرة من العشر وكذا قوله ان قال بعد مضي لياليها لم تطلق الى مضي سنة فيه تجوز وذلك انه قد يقول لها في آخر اليوم الحادي والعشرين فلا يقف وقوع الطلاق على مضي سنة كاملة بل يقع في أول ليلة الحادي والعشرين (قلت) وهذا التحقيق من الشيخ محيي الدين وعجيب من الرافعي كيف غفل عن هذا * وقيل في تسميتها بليلة القدر وجوه أحدها انها ليلة تقدير الامور والاحكام قال عطاء عن ابن عباس ان الله تعالى قدر ما يكون في تلك السنة فيها من رزق واحياء واماتة الى مثل هذه الليلة وقيل القدر الضيق لان الارض تضيق على الملائكة فيها وقيل القدر للفاعل متى أتى فيها بالطاعة كان ذا قدر وشرف وقيل نزل فيها كتاب ذو قدر وشرف عظيم وقيل غير ذلك * واعلم ان الله لا يحدث تقديره في هذه الليلة لانه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والارض في الازل ولكن المراد اظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة لتكتبها في اللوح المحفوظ وهذا الذي ينبغي أن يعتقد في قول ابن عباس رضي الله عنهما (رجع القول الى معنى قول الشاعر وتلك خير الليالي) يعجبني قول القائل

" وليس قبح المكان مما * يقدح في منصبي وديني
فالشمس علوية ومع ذا * تغرب في حمأة وطين

(قلت) يشير الى قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة الآية وهذه الآية الكريمة ظاهرها مشكل وهو مغمز للزنادقة لانهم يقولون ان البرهان قد ثبت في المجسطي ان الشمس قدر الارض مائة وستين مرة وكسورا فكيف تدخل مع هذا القدر العظيم في عين من عيونها والجواب ان في هنا ليست ظرفية وأنها على ما ذهب اليه ابن قتيبة بمعنى عند لانها قد ترد بمعنى عند وبمعنى مع قال الشاعر * حتى اذا ألقت يدا في كافر * معناه عند كافر (وقال الشاعر)

وفي الشر نجاة حين لا ينجيك احسان

معناه ومع الشر وقد تكون في الآية بمعنى على كقوله تعالى ولأصلبنكم في جذوع النخل أي على جذوع النخل وقال عنترة * بطل كأن ثيابه في سرحة * أي على سرحة وكما ان في تقع موقع على كذلك تعكس القضية كقول الشاعر * ولقد سريت على الظلام بمغشم * أي في الظلام هذا اذا لم نفتح باب تأويل المعنى ونقول ان الخطاب جاء على حكم الحس في رأي العين لان من وقف على شاطئ البحر المحيط أو قريبا من جبل عال رأى الشمس عند الغروب كأنها تدلت في نفس البحر أو خلف الجبل قال الله تعالى حتى توارت بالحجاب أي وراء الجبل ولولا ان اللفظ جاء على حكم الحس في الظاهر لما قال الله تعالى وجد عندها قوما ومن المعلوم عقلا ان القوم لا يجلسون في قرن الشمس ولاهم عندها ولكن لما كان ذو القرنين قد توغل في جوب الارض حتى انتهى الى البحر المحيط من جهة الغرب كان الناظر يخيل اليه أن الشمس تغرب هناك (فان قلت) ما معنى قوله تعالى تغرب في عين حمئة (قلت) قد قرئ حامية بثبوت الالف وهي قراءة ابن عامر وحمزة والكسائي وأبي بكر بن عاصم فعلى هذا أقصى البحر الغربي يكون كثير السخونة حاميا ومن قرأ حمئة أراد بها كثيرة السواد من الحمأة وهو الطين فعلى هذا الخطاب ورد على حكم الحس في الظاهر والحس قد يكذب فيرى الصغير كبيرا وعكسه ويرى النقطة خطا ودائرة كما في القطرة الممتدة من السماء الى الارض والنقطة على الرحى

الذي ذكره عدي بن زيد بقوله

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ
ـلة تجبى اليه والخابور

فقتله جذيمة الابرش وطرد الزباء الى الشام فلحقت بالروم وكانت عربية اللسان كبيرة الهمة قال ابن الكلبي وما رؤي في نساء زمانها أجمل منها وكان اسمها فارعة وكان لها شعر اذا مشت سحبته وراءها واذا نشرته جللها فسميت الزباء والازب الكثير الشعر وبلغ من همتها أن جمعت الرجال وبذلت الاموال وعادت الى ديار أبيها ومملكته فأزالت جذيمة عنها وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين وجعلت بينهما أنفاقا تحت الارض وتحصنت وكانت قد اعتزلت عن الرجال فهي عذراء بتول وهادنت جذيمة مدة ثم خطبها فاستدعته وقتلته كما تقدم في ترجمته فاما مقتلها فان قصير المافارق جذيمة وعاد الى بلاده تحيل على قتلها فجدع أنفه وضرب جسده ورحل اليها زاعما أن عمرو بن عدي ابن أخت جذيمة صنع به ذلك وانه لجأ اليها هاربا منه واستجار بها ولم يزل يتلطف لها بطريق التجارة وكسب الاموال الى أن وثقت به وعلم خفايا قصرها وأنفاقه ثم وضع رجالا من

التى تدور سريعا وكما اذا غمز الانسان عينيه ونظر الى القمر فيراه اثنين ولا بأس بتعليل هذا فأقول زعموا انه اذا احدث التواء الحدقة بسبب ارتخاء عضلها أو تحويل الرطوبة الجلادية عن وضعها فى احدى الجهتين دون الاخرى تبقى الجهة التى قد تحوّل وضعها تنطبع الصورة المنتقلة من رطوبتها الجلادية لا فى الفصل المشترك بل فى موضع آخر بسبب الغمز الذى حدث منه التحويل كما اذا أشرقت الشمس على ماء فى البيت فانه يشرق منه نور فى السقف فلو تغير موضع الماء تغير موضع انطباعه فى السقف كذلك تغير وضع الحدقة يوجب انتقال موضع انطباع ما فى الجلادية فتبقى الصورة صورتين فيرى الواحد اثنين (حكى) أن بعضهم ادعى هذه الدعوى وقال ان كل أحول يرى الشئ شيئين وكان له ابن أحول فقال يا أبت ليس هذا بصحيح لانه يلزم من هذا انى كنت أرى القمر بن أربعة * قال الامام فخر الدين الرازى فى المباحث المشرقية واعلم ان أصحاب الاشباح يذكرون أسبابا انومنها حركة الروح الباصر وتموجه يمنة ويسرة فيرتسم الشبح فى بعض الاجزاء قبل تقاطع المخروطين فيرى شبحين وهو مثل الشبح المرتسم فى الماء الساكن مرة واحدة والمرتسم فى الماء المتحرك المتموج مرارا كثيرة ومنها حركة الروح الذى وراء تقاطع العصبتين الى قدام وحده حتى يكون لها حركتان متضادتان واحدة الى الحس المشترك والاخرى الى ملتقى العصبتين فيتأدى اليهما صورة المحسوس قبل ان ينمحى ما تأدى الى الحس المشترك مثلا لو ارتسمت فى الروح المؤدى صورة نقلها الى الحس المشترك والكل مرتسم زمان ثابت قبل ان ينمحى فلما زال القابل الاول عن موضعه خلفه جزء آخر فقبل تلك الصورة بعينها قبل انمحائها فحينئذ يحصل فى كل واحدة صورة مرئية وذكر قبل ذلك تعاليل أخر * قال الشيخ الامام العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى قولهم ان الاحول يرى الشئ شيئين ليس على اطلاقه بل انما يرى الشئ شيئين اذا كان حوله انما هو اختلاف احدى الحدقتين بالارتفاع والانخفاض ولم يستقر زمانا يألف به المرئيات أما ان كان الحول بسبب اختلاف المقلتين يمنة ويسرة أو بسبب الارتفاع والانخفاض ودام وألف فلا ومما يؤيد ذلك أن الانسان اذا غمز احدى حدقتيه حتى تخالف الاخرى يمنة أو يسرة فانه يرى الشئ شيئين ويوجد فى الناس غير واحد ممن حوله بالارتفاع والانخفاض قد ألف تلك الحالة فلا يرى الشئ شيئين والحق ان الذى يغمز احدى عينيه حتى ترتفع أو تنخفض عن أختها انما يرى الشئ شيئين لانه يرى الشئ المرئى باحدى العينين قبل الاخرى فيصل الى التقاطع الصليبى شبح تلو هذا الشبح فيرى الواحد اثنين فقط ولولا ذلك لرأى هذا الرائى الشئ الواحد متكثرا الى غير نهاية على نسبة زوج الزوج كما فى تضعيف رقعة الشطرنج اه كلامه املاء على من فمه وقد لهج الشعراء بذكر الحول فقال ابن الحلاوى فى مشرف مطبخ وهو أحول

يجىء الينا بالقليل يظنه * كثيرا وليس الذنب الا لعينيه
ومن سوء حظى أن رزقى مقدر * براحة شخص يبصر الشئ مثليه

وقال النور الاسعردى فى أحول لائط

يا ناظرا يكاد يقطر من عطـ * ـفيه ماء اللواط فى كل وادى
عش هنيئا فان عينيك يغنى * حول فيهما عن القوّاد

أنشدنى الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بمصر سنة سبعمائة وثمان

قوم عمرو بن عدى فى غرائر وعليهم السلاح وحملهم على الابل على انها قافلة متجر الى أن دخل مدينتها فخلوا الغرائر وأحاطوا بقصرها وقتلها قبل أن تصل الى نفقها فى حكاية مشهورة وذلك بعد مبعث المسيح عليه السلام

(وان مالك بن نويرة انما أردف لك)

هو مالك بن نويرة بن شداد اليربوعى التميمى فارس ذى الخمار وذو الخمار فرسه ويلقب بالجفول لكثرة شعره وكان من فرسان العرب وشجعانهم وذوى الردافة فى الجاهلية وكانت لبنى يربوع أيام آل المنذر ومعنى الردف أن يجلس الملك ويجلس الردف عن يمينه فاذا شرب الملك شرب الردف بعده واذا غاب جلس الردف مكانه وللردف اتاوة تؤخذ مع اتاوة الملك وفى ذلك يقول الراجز

ومن ينافر آل يربوع يخب
المجلس الايمن والردف النجب

وأدرك مالك بن نويرة الاسلام وأسلم وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات قومه من بنى يربوع فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخر الصدقة وقيل ارتد وبعث أبو بكر رضى الله عنه خالد ابن الوليد رضى الله عنه لقتال أهل الردة فكان اذا صبح

ومشرين قال أنشدني لنفسه محمد بن أحمد بن حسن بن عامر التجيبي في مليح له رقيب أحول

يأبى رشا يحوي مع الاحسان * ملكية موضوعها انساني
أحوى الجفون له رقيب أحول * الشئ في ادراكه شيئان
باليته ترك الذي أنا مبصر * وهو المخير في الغزال الثاني

(وما أحلى) قول نجم الدين بن اسرائيل دوبيت

قد بالغ في حديثه بالمين * من قال رأيت مثله بالعين
ما يبصر مثله سوى ذي حول * من حيث يرى الواحد كالاثنين

(وقال) بعض الشعراء

وأحول العين تعشقته * ما فيه من عيب ولا شين
يشكر ما أوليه من فاقتي * حتى يرى لي الشئ شيئين

(وقال الآخر) وهو مشهور

نظرت اليها والرقيب يظنني * نظرت اليه فاسترحت من العذر
شكرت الهي اذ بلاني بحبها * على حول أغنى عن النظر الشزر

(وقال الآخر) في مليح أحول

قالوا اشغفت بأحول فأجبتهم * قد زدتم والله في أوصافه
لا تحسبوا حولا به لكنه * من زهوه يرنو الى أعطافه

(وقال الشيخ) صدر الدين محمد بن الوكيل

يقولون لي لم ذا كلفت بأحول * يقلب بالزوجين قلت لهم عذرا
رأت كل عين حسن أوصاف أختها * فعادت طوال الدهر تنظرها شزرا

(وقال) العلوي البصري فأحسن

ونظرة عين تعللتها * خلاسا كما نظر الأحول
تقسمها بين وجه الحبيب * وبين الرقيب متى يغفل

(وتبعه الآخر فقال)

أرى مستقيم الطرف ما دمت عندكم * فان زال طرفي عنكم فهو أحول

(رجع القول الى كذب الحس وغلطه) وقد يرى القمر السائر تحت السحاب متحركا الى غير جهته التي يتحرك اليها بالذات وترى النار البعيدة كبيرة وهي صغيرة والجبال وغيرها في السراب طوالا ويرى الخاتم اذا وضعه على عينه وحلقته كالسوار ويرى الشمس عند الشروق والغروب أكبر مما هي عند الزوال ويرى العنبة في الماء كالاجاصة فأما رؤية القمر متحركا الى غير جهته فعلى رأي القائلين بالشعاع ان المتحرك انما هو الشعاع وفيه كلام طويل فعلى رأي القائلين بالانطباع والشعاع اما ان المنطبع تكيف بكيفية المنطبع فيه واما لان الشعاع حين خالط الاجسام الرطبة غلظ فانعكس من ذلك المرئي غليظا فرأى ذلك المرئي غليظا وأما الشمس فسببها ان ناحيتي المشرق والمغرب فيهما رطوبات كثيرة تصاعد من الارض فتنعقد شفقا على ما هو مشاهد بالحس فلهذا ترى الشمس كبيرة بسبب الرطوبات وغلط الحس كثير أتيت منه بهذا القدر (وما أحسن) قول أبي العلاء المعري

قوما تسمع الاذان فان سمعه كف عنهم وان لم يسمعه قاتلهم الى ان مر بالبطاح وبه مالك وأصحابه فقيل انهم لم يسمعوا أذانا فقاتلهم وأتي بمالك بن نويرة أسيرا فأمر خالد ضرار بن الازور بقتله فقتله واحتج قوم لخالد في قتله وطعن عليه آخرون فأما من احتج فيزعم أن مالكا قتل مرتدا وانه لما وقف بين يدي خالد كان يقول في مخاطبته قال صاحبك وتوفي صاحبك يعني النبي صلى الله عليه وسلم فقال له خالد أو ليس هو بصاحبك أيضا يا عدو الله ثم قتله ويحتجون أيضا بقول أخيه متمم وذلك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع متمما ينشد رثاء أخيه مالك قال وددت لو رثيت أخي زيدا بمثل ما رثيت به أخاك قال والله لو علمت ان أخي صار الى ما صار اليه أخوك لم أرثه ولم أحزن عليه وأما الطاعنون فقد ذكروا ان خالدا لما احتج على مالك بارتداده أنكر مالك ذلك وقال أنا على الاسلام والله ما غيرت ولا بدلت وشهد قتادة وعبد الله بن عمر ثم ان خالدا أمر بقتله فجاءت امرأته ليلى بنت سنان كاشفة وجهها وكانت من الحسان فألقت نفسها عليه فقال لها أنت قتلتني يعني انها أعجبت

والنجم تستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

(وقال) الخفاجي الحلبي

ولا ينال كسوف الشمس طلعتها * وانما هو فيما يزعم البصر

وعلم المناظر علم ظريف الى الغاية ولابن الهيثم فيه كتاب جليل رأيته فى سبع مجلدات ولشهاب الدين العراقى كراريس أودعها خمسين مسئلة من المناظر سماها الاستبصار فيما تدركه الابصار قرأتها بعدما كتبتها على الشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى (ومما) ينخرط فى غلط الحس ماقرأته على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله الذهبى فى المغازى التى له قال ابن وهب حدثنى أسامة بن زيد الليثى قال حدثنى نافع قال كانت لابن رواحة امرأة وكان يتقيها وكانت له جارية فوقع عليها فقالت له أظنك قد فعلت وفرقت أن يكون قد فعل فقال سبحان الله فقالت اقرأ على اذا شيأ من القرآن فقال

شهدت باذن الله أن محمدا * رسول الذى فوق السموات من عل

وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما * له عمل من ربه متقبل

وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن سليمان بن الهادى ان امرأة عبد الله بن رواحة رأته على جارية له فجحدها فقالت له اقرأ فقال

شهدت بان وعد الله حق * وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش رب العالمينا

وتحمله ملائكة كرام * ملائكة الاله مقربينا

فقالت آمنت بالله وكذبت البصر فحدث ابن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فضحك (جاء) بعضهم الى قاض فاشتكى ابنه وقال أيها القاضى ان ابنى لا يصلى فقال له القاضى ماتقول فيما يقول والدك فقال كذب فانى أصلى فقال أبوه أيها القاضى ان كان صادقا فمره أن يقرأ شيأ من القرآن فقال له القاضى اقرأ فقال

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا

ان دين الله حق * لا أرى فيه ارتيابا

فنهرهما القاضى وقال ويحكما تقرآن القرآن ولا تعملان به (ومما يتعلق) بكذب الحس أن بعض النساء الفواجر كان لها ميل الى رجل تحبه غير زوجها فاقترح عليها يوما ان يكون فعله أمام زوجها فقالت له اذا كان الغد فامض الى البستان الفلانى وكن بين الشجر فلما أصبحا أخذت زوجها وتوجهت به الى ذلك المنتزه الذى عينته ودخلا اليه فلما اطمأن بهما الجلوس صعدت الى شجرة هنالك على انها تلتقط من ثمرها فلما صارت بأعلاها جعلت تصيح باعلى صوتها ويلك ألك أن تفعل مثل هذا بحضرتى وتأتى بهذه القبيحة الى هنا وتجامعها وأنا أنظر وأخذت فى مثل هذا زمانا ثم انها نزلت بناء على انها تمضى الى الحاكم فتشكوه فاخذ يتبرم من هذا الفعل ويتبرأ وهى لا تنفك ولا تبرح فقال لها عسى ان يكون هذا من خاصية هذه الشجرة حتى ارتك عيناك مالا حقيقة له دعينى أطلع أنا اليها وأبصر حقيقة ذلك فلما صعد الشجرة دعت عشيقها وأخذ فى العمل فلما رآها الزوج قال لها لو أننى قليل العقل مثلك لكنت أقول ان رجلا قد علاك وهو يفعل كيت وكيت (رجع القول الى قول الشاعر وليس قبح

خالد او انه يريد قتله ويتزوجها وقام ضرار بن الازور فضرب عنقه وجعل رأسه أثفية للقدر ووجهه مما يلى النار فنظرته امرأة من قومه وهو على تلك الحال فقالت اصرفوا وجهه مالك عن النار فانه والله كان غضيض الطرف عن الجارات حديد النظر فى الغارات لا يشبع ليلة يضاف ولا ينام ليلة يخاف ثم بلغ عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ماصنع خالد فحرض عليه أبا بكر رضى الله عنه وقال انه قتل مسلما وزنى فارجمه ووافقه على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال أبو بكر انه تأول فأخطأ وما كنت لاشيم سيفا سله رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى أغمده ومازال عمر حاقدا على خالد بهذه الواقعة حتى عزله عن جيش الاسلام وقال والله لا ولى عاملا فى أيامى وكان متمم بن نويرة منقطعا الى مالك مكفى المؤنة فلما قتل حزن عليه حزنا شديدا ورثاه بقصائد مشهورة وحضر حين بلغه ذلك الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى الصبح خلف أبى بكر فلما فرغ من صلاته وانفتل قام متمم فاتكأ على قوسه وهو واقف مع الناس ثم أنشد يقول

المكان البيتين) قال أبو بكر الخالدى

يا هذه ان رحت فى * سمل فما فى ذاك عار
هذى المدام هى الحيا * ة قميصها خزف وقار

وعلى ذكر اللباس فما فى ذكر أبيات أبى الحسين الجزار من باس وهى

لى نصفية تعد من العمـ * ـر سنينا غسلتها الف غسله
لا تسلنى عن مشتراها ففيها * منذ فصلتها نشاء بجمله
نسف الريح صدرها بالازارب فباتت تشكو هواء ونزله
كل يوم تكابد العصر والدق مرارا وما تقصر بعمله
قال لى الناس حين أطنبت فيها * بس أكثرت حملها وهى بغله

فى هذه الابيات عدة توريات لا يخفى حسن موقعها من السمع وقال أيضا

أشكر مولانا وتصفيتى * تشكره أكثر من شكرى
أرواحها جددواه من كل ما * تشكوه من دق ومن عصر
كم مرة كادت مع الماء اذ * يغسلها غسالها تجرى
تموت فى الماء ولولا النشا * يبعثها فى ساعة النشر

ونقلت من خط السراج الوراق له

هذا وجوختى الزرقاء تحسبها * من نسج داود فى سرد واتقان
قلبتها فغدت اذ ذاك قائلة * سبحان ربى بلاقلبى وأبلانى
ان النفاق لشئ لست أعرفه * فكيف يطلب منى اليوم وجهان
لو أن صاحبنا الجزار أبصرها * على أبصر لبدا فوق جربان

وهذه من أبيات فى الجوخة طويلة عدتها ستة وعشرون بيتا كلها بديعة ولكن اقتصرت منها على هذا القدر خوف التطويل * وعلى ذكر التعرى فما ألطف قول شمس الدين محمد بن دانيال

ما عاينت عيناى فى عطلتى * أقل من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وحمارى وقد * أصبحت لا فوقى ولا تحتى

وان كان قد أخذه من قول مجير الدين محمد بن تميم حيث قال

أتتنى الجبرة الشهباء تزهو * بحسن جل عن وصفى ونعتى
وأرجو أن رسم الصوم يأتى * لسعد منهما حظى وبختى
فألبسه وأركبها جميعا * فيصبح جودكم فوقى وتحتى

(وقال آخر) ولعله السابق

قالوا اغلام القوصى وبغلته * راحا جميعا منه على بغته
قلت لقد بوح الزمان به * لم يبق لا فوقه ولا تحته

(ونقلت) من خط السراج الوراق له

بعت خفى فى أرض كم من حراف * حفت بى أو أصارنى للتحفى
ثم أتبعته ندامة نفس * أحوجتنى لا كل خفى وكفى

وقال أبو الحسين الجزار

ثم القتيل اذا الرياح تناوحت
خلف البيوت قتلت يا ابن
الازور
ثم أوما الى أبى بكر رضى الله
عنه فقال
أدعوته بالله ثم غدرته
لو هو دعاك بذمة لم يغدر
فقال أبو بكر رضى الله عنه
والله ما دعوته ولا غدرته
فأنشد بقية أبياته المشهورة
وانحط على قوسه وكان أعور
فما زال يبكى حتى دمعت
عينه العوراء فقام اليه عمر بن
الخطاب رضى الله عنه
فقال وددت لو رثيت أخى
زيدا فأجابه بما تقدم ثم رثى
زيدا فلم يجد فسئل عن ذلك
فقال والله انه ليحركنى لاخى
ما لا يحركنى لزيد وسأله عمر
عن حزنه فقال والله انى لا
أنام الليل وما رأيت نارا رفعت
بليل الا ظننت أن نفسى
ستخرج أذكر بها نار أخى انه
كان يأمر بالنار فتوقد حتى
يصبح مخافة أن يبيت ضيفه
قريبا منه فمتى رأى النار يأتى
الى الرحل وهو يأتى بالضيف
فحتهدا أسر من القوم بقدم
عليهم القادم من السفر
البعيد فقال عمر رضى الله
عنه أكرم به * وقال له عمر يوما
حدثنا عن أخيك فقال
أسرت مرة فى حى عظيم من
أحياء العرب فاقبل أخى
فما هو الا أن طلع على الحاضر
فما كان أحد قاعدا الا قام

بت وأثوابي كـكثـب مزقتها الارضه
فعورتي مكشوفـة * وسـيرتي مقرّضه

وأما معنى الفقر ففيه لأبي العلاء المعري

وان الغنى والفقر في مذهب الفتى * لسيان بل أغنى من الثروة العدم
وما نلت مالاقـط الاومال بي * ولادرهما الاودر به الهـم

أنشدني الامام الحافظ أبو حيان قال أنشدني لنفسه ناصر الدين حسن بن النقيب الفقيسي

ومابين كفي والدراهم عامر * ولست لها دون الورى بخليل
وما استوطنتها قط يوما وانما * تمر عليها عابرات سبيل

وأنشدني الشيخ الامام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس قال أنشدني لنفسه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد

أهل المراتب في الدنيا ورفعتها * أهل الفضائل مرذولون عندهم
فالهم من توقي ضرنا نظر * ولا لهم في ترقي قدرنا هم
قد أنزلونا لأنا غير جنسهم * منازل الوحش في الاهمال بينهم
فليتنا لو قدرنا أن نعرّفهم * مقدارهم عندنا أولودروه هم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى * وعندنا المتعبان العلم والعدم

(قلت) هذه القطعة ساقطة النظم من طبقة الشيخ تقي الدين وانما أثبتها طلبا لبركته

(وأنشدني) لنفسه اجازة الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردي رحمه الله

ما الاغنياء الاغبياء * يكفيك أن القوم جهال
رضيت مايقسمه ربنا * لنا علوم ولهم مال

وأنشدني جمال الدين أبو بكر محمد بن نباتة قال أنشدني لنفسه اجازة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد

لعمري لقد قاسيت بالفقر شدة * وقعت بها في حيرة وشتات
فان بحت بالشكوى هتكت مروءتي * وان لم أبح بالضر خفت مماتي
فاعظم به من نازل بملمة * يزيل حيائي أو يزيل حياتي

وقول الطغرائي رحمه الله مأخوذ من قول مسلم بن الوليد

وبا ينت حتى صرت للبين راكبا * قوي العزم فردا مثل ما انفرد النصل

(وما أحسن قول ابن الساعاتي

اهتز في هذا الخمول الى العلا * مثل اهتزاز المشرفي القاضب

(وقال) أبو بكر بن اللبانة من قصيدة

حليف نوى لا يستقر وان نوى * اقامة ردا الطرف أزعجه الخطب
نحيل معرّى أشعث الفرع صارم * مضى حليه مع غمده وبقي الغرب

(وقال ابن سنا الملك) يرثي جماعة من أبيات

تلك قبور بنيت بهدمي * لم تبن الا بدمي ولحمي
مناظر كما رأيت نعمى * وعشت من بعدهم برغمي

ولا بقيت مرأة حتى تطلعت
من خلال البيوت فما نزل
عن جمله حتى تلقوه بي في ذمتي
فاني فقال عمران هذا هو
الشرف ثم قال له يوما يا متمم
انك لجزل فكيف كان
منك أخوك فقال كان والله
أخي في الليلة الباردة ذات
الازيز والصرير يركب الجمل
الثقال ويجنب الفرس
الجرون وفي يده الرمح الثقيل
وعليه الشملة الفلوت وهو
بين المزادتين حتى يصبح
وهو يتبسم * ومن جيد مراثي
متمم له قوله من أبيات
وقالوا أتبكي كل قبر أتيته
لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك
فقلت لهم ان الاسى يبعث الاسى
دعوني فهذا كله قبر مالك
ومن جيد شعر مالك قوله
ولقد علمت ولا محالة أنني
للحادثات فهل تريني أجزع
أفنين عادا ثم آل محرّق
تركتهم بددا وما قد جمعوا
وعددت آبائي الى عرق الثرى
فدعوتهم وعلمت أن لم يسمعوا
ذهبوا فلم أدركهم ودهتهم
غول الليالي والطريق المهيع
وقوله أيضا
وقالوا الى استأسر فانك آمن
فقلت ان استأسرت اني لخائن
علام تركت المشرفي مضاجعي
ومطرد افيه المنايا كوامن
فان تقتلوني بعد ذا لكأنني
أموت بعقد ار وتبقى الضغائن

كالسيف في الوحدة لا كالسهم * في فقر صوفي وذل ذمي

*(ولا صديق اليه مشتكى حزني * ولا أنيس اليه منتهى جذلي)*

(اللغة) الصديق هو الصادق في المودة والمخالة فالرجل صديق والمرأة صديقة والجمع أصدقاء وقد يقال للواحد والجمع والمؤنث صديق قال الشاعر

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا * باعين أعداء وهن صديق

ومن هنا اختلس أبو نواس معناه في قوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو في ثياب صديق

قال هرون الرشيد لو وصفت الدنيا نفسها بشئ لما عدت عن قول أبي نواس اذا امتحن الدنيا لبيب البيت وأخذه أبو الوليد أحمد بن زيدون فقال من قصيدته البائية

أضنينة دعوى البراءة شانها * أنت العدو فلم دعيت حبيبا

وأخذه الآخر (فقال)

أحبابه لم تفعلون بقلبه * ماليس يفعله به اعداؤه

(وقال الآخر)

يطالبني قلبي بكم كل ساعة * اذا أفلس المديون لج المطالب
ويشتاقكم شوق الذي مسه الظما * وقد منعت ظلما عليه المشارب
اذا رمتم قتلي وأنتم أحبة * اذا فالأعادي واحد والحبائب

(وقال الارجاني)

أأحبابنا كم تجرحون بهجركم * فؤادا يبيت الدهر بالهم مكمدا
اذا رمتم قتلي وأنتم أحبة * فماذا الذي أخشى اذا كنتم عدا

ولفظة عدو وحبيب وصديق كلها يخبر بها عن الواحد والجمع والمؤنث تقول هم عدو قال الله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو وقال تعالى فانهم عدو لي وهم صديق وحبيب (مشتكى) مصدر اشتكى (حزني) الحزن بالتحريك والسكون خلاف السرور وحزن الرجل بالكسر فهو حزن وحزين (أنيس) فعيل من الانس وهو المجالس الذي يوجد منه الانس ويركن اليه ولا يستوحش منه (منتهى) مصدر انتهى الشئ اذا بلغ الغاية قال الله تعالى وأن الى ربك المنتهى وقال ابن دريد * وكل شئ بلغ الحد انتهى * (جذلي) الجذل بالجيم والذال المعجمة ضد الحزن ورأيت بعض الناس كتب ذلك بالدال وصحح وهو خطأ وانما هو بالذال المعجمة ليقابل الحزن بضده وهو الفرح (الاعراب) فلا صديق الفاء للصاحبة ولا هذه هي التي لنفي الجنس قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك الاصل في لا النافية أن لا تعمل لانها غير مختصة بالاسماء (قلت) انما القاعدة عند أهل العربية ان الحرف اذا كان مختصا عمل كحروف الجر لما اختصت بالاسماء ومثل كان وأخواتها وان وأخواتها وظن وأخواتها ومثل لم وعوامل الجزم وعوامل النصب في الافعال مثل أن وبابها لما اختصت بالافعال عملت فيها واذا كان الحرف غير مختص كحروف الاستفهام والنفي والعطف لم يعمل شيئا لاشتراكه في الدخول على الاسماء والافعال وفي قول الشيخ جمال الدين بن مالك في الخلاصة

*سواهما الحرف كهل وفي ولم * نكتة لطيفة وهي انه قدم هل لاشتراكها في الدخول على الاسم

(وعروة بن جعفر انما رحل اليك)

هو عروة بن عتبة بن جعفر من بني عامر بن صعصعة وأهل بيته ينتسبون الى جعفر فيقال الجعفريون ولذلك قال ابن زيدون عروة بن جعفر ولم يقل ابن عتبة وكان يعرف بعروة الرحال لرحلته الى الملوك وكان من ذوي العقل والشهامة وهو من أرداف الملوك وللعرب مبالغة في وصفه فيزعمون أنه رحل الى معاوية بن الجون الكندي فغزا معاوية بني حنظلة قومه من بني عامر واستصحبه معه فلما كان بواردات قال لمعاوية ان لي حق صحبة ورحلة وأريد أن أنذر قومي من ههنا وبينه وبينهم مسيرة ليلة فعجب معاوية منه فاذن له فصاح ياصباحاه ثلاث مرات فسمعه قومه من الشعب فاستعدوا وبسبب مقتله قامت حرب الفجار وذلك أن النعمان كان يبعث لسوق عكاظ في كل عام لطيمة في جوار رجل شريف من أشراف العرب يجيزها له من أحياء العرب حتى يبيعها هنالك ويشترى له بثمنها من أدم الطائف وغيره مما يحتاج اليه وكان سوق عكاظ يقوم في كل يوم من ذي القعدة الحرام فيتسوقون الى حضور

والفعل ثم ذكر في لانها تدخل على الاسم ثم ذكر لم لانها تدخل على الفعل اه قال الشيخ بدر الدين وقد أخرجوا من هذا الا فاعملوها في النكرات عمل ليس تارة وعمل ان أخرى فاذا قصد بالنكرة بعدها استغراق الجنس صح فيها أن تحمل على ان في العمل لانها لتوكيد النفي وان لتوكيد الايجاب فهي ضدها والشئ يحمل على ضده كما يحمل على نظيره لان الوهم ينزل الضد منزلة النظيرين ولذلك تجد الضد أقرب حضورا في البال مع الضد قال الشيخ شهاب الدين بن النحاس هذا الذي تقوله النحاة هنا وعندي ان أحسن من هذه العبارة ماقاله شيخنا ابن عمرون وابن الخشاب وهو أن للاثبات كما قيل ولا للنفي والنفي والاثبات طرفان فاشتركا في الطرفية فحملت لا على ان لاشتراكهما فيما ذكرناه اه (قلت) هذا تعليل حسن لانهما يعودان من باب واحد وهناك يكونان متضادين والحمل على الاشتراك أولى وبعد ففيه تطريط له من رأس قال الشيخ بدر الدين فاما اعمالها عمل ان فمشروط بان تكون نافية للجنس واسمها نكرة متصلة سواء كانت موحدة نحو لا غلام رجل ظريف أو مكررة نحو لا حول ولا قوة الا بالله فلو كانت منفصلة وجب الالغاء كقوله تعالى لا فيها غول ويجوز الغاؤها مع الاتصال وذلك اذا كررت شبهوها اذ ذاك بحالها مع المعرفة نحو لا حول ولا قوة ثم اسم لا اما أن يكون مضافا أو شبيها به أو مفردا وهو ما عداهما فان كان مضافا نصب نحو لا صاحب بر ممقوت وكذلك ان كان شبيها بالمضاف وهو ما بعده شئ هو من تمام معناه نحو لا قبيحا فعله محبوب ولا خيرا من زيد فيها ولا ثلاثة وثلاثين لك وأما المفرد فيبني لتركيبه مع لا تركيب خمسة عشر ولتضمنه معنى من الجنسية بدليل ظهورها في قول الشاعر

فقام يذود الناس عنها بسيفه * وقال ألا لا من سبيل الى هند

فيلزم الفتح بلا تنوين ان لم يكن مثنى أو جمع تصحيح وذلك نحو قوله لا بخيل محمود ولا حول ولا قوة الا بالله اه (قلت) ولهم في اعراب لا حول ولا قوة الا بالله واعراب أشباه ذلك خمسة أوجه (الاول) فتحهما تقول لا حول ولا قوة مثل لا لغو فيها ولا تأثيم (الثاني) نصب الثاني تقول لا حول ولا قوة مثل * لا نسب اليوم ولا خلة * (الثالث) رفع الثاني تقول لا حول ولا قوة مثل لا أم لي ان كان ذاك ولا أب * (الرابع) رفعهما تقول لا حول ولا قوة مثل لا بيع ولا خلة (الخامس) رفع الاول وفتح الثاني تقول لا حول ولا قوة مثل * فلا لغو ولا تأثيم فيها * وقد اضربت عن التعليل لهذه الاوجه خوفا من التطويل (ذكرت) بلا حول ولا قوة قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

أرى القوة قد حالت * فلا حول ولا قوه
اذا وقع الفتى في الشيب فهو بذاك في هوه

(وحكى) لي من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق المحروسة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة قال أنشدت فلانا سماه لي وهو بعض مشايخ أهل عصرنا ولم أذكره أنا فانه من العلم بمحل لم يشركه فيه غيره قولي في مرثية في ابن له توفي وعمره دون سنة وهو

يا راحلا عني وكانت به * مخايل للفضل مرجوه
لم تكتمل حولا وأورثتني * ضعفا فلا حول ولا قوه

فأعجباه وكتبهما بخطه وكتب الثاني فلا حول ولا قوة الا بالله فقلت يا مولانا ان كنت أردت

الحج ثم يحجون وكانت الاشهر الحرم أربعة أشهر ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب وكانت العرب من ذي القعدة يتهيؤن للحج ويأمن بعضهم بعضا فجهز النعمان عير اللطيمة ثم قال من يجيزها فقال البراض بن قيس أنا أجيزها على بني كنانة فقال النعمان ما أريد الا من يجيزها على أهل نجد وتهامة فقال عروة الرحال وهو يومئذ رحل هوزان أهذا الكلب يجيزها لك أنا أجيزها على أهل الشيح والقيصوم من أهل نجد وتهامة فقال البراض أعلى بني كنانة تجيزها يا عروة فقال وعلى الناس كلهم فدفعها النعمان الى عروة فخرج بها وتبعه البراض وكان فاتكا عيارا وعروة لا يحس منه شيأ لانه كان بين ظهراني قومه من غطفان فنزل بأرض يقال لها أوارة فشرب الخمر وغنته قينة ونام فجاء اليه البراض فدخل عليه وأيقظه فناشده عروة وقال كانت مني زلة فقتله وخرج وهو يرتجز

قد كانت الفعلة مني ضله
هلا على غيري جعلت الزله

وهرب فضربت العرب المثل بقتلة البراض له وقامت حروب عظيمة بسببه ومن شعر عروة أتحسب مني أم حسان اذ رأت نهارا وليلا يبليانني فأسرعا

بقولك الا بالله البركة فكنت أعممت ذلك بالعلى العظيم وان كان غير ذلك فقد فسد المعنى والوزن على (قلت) وهذان البيتان فى غاية الحسن (رجع القول الى لا التى لنفى الجنس) تقرر ان عملها فى اسمها وانه يبنى معها على الفتح وهنا سؤال وهو ان العامل فى اسمها هو لا وقلتم انه تركب معها وهما بمنزلة الكلمة الواحدة فحينئذ لا جزء منها والجزء لا يعمل فى الجزء الآخر شيأ والجواب نعم الجزء يعمل فى جزئه ألا ترى قولك أعجبنى أن تقوم فان تقوم جملة وقعت موقع المفرد تقديره قيامك وقد عملت أن فى تقوم النصب وأن جزء على هذا التقدير اه وترفع الخبر تقول لا رجل ظريف قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك يجب ذكر خبر لا اذا لم يعلم كقول حاتم

وردّ جازرهم حرفا مصرمة * ولا كريم من الولدان مصبوح

وان علم التزم حذفه عند بنى تميم والطائيين وأجاز حذفه واثباته الحجازيون ومما جاء محذوفا قوله تعالى قالوا لا ضير ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وقد رحذف الاسم وابقاء الخبر كقولهم لا عليك أى لا جناح عليك أو لا باس اه (قلت) ومن حذف الخبر قولك لا اله الا الله فاله اسمها والخبر محذوف قدره النحاة فى الوجود أو لنا هكذا أعربوه وأورد الامام فخر الدين الرازى فى المحرر اشكالا على هذا الاعراب فقال هذا النفى عام مستغرق وتقييده بالوجود تخصيص له ولنا أكثر تخصيصا واذا كان كذلك لم يبق النفى عاما وحينئذ لا يكون هذا القول اقرارا بالوحدانية على الاطلاق والجواب انا لا نسلم أن تقييده بالوجود اذا كان تخصيصا لا يبقى على العموم المراد من النفى لان المراد نفى الآلهة فى الخارج الا الله تعالى على معنى أن نفى وجودها مستلزم لنفى ذاتها حتى كانه قال لا اله يوجد الا الله وعلى هذا يبقى النفى عاما بالمعنى المراد منه (رجع الى اعراب البيت) قوله لا هى هنا لنفى الجنس وصديق اسمها وهو مبنى على الفتح معها والخبر محذوف تقديره فيها أى فى بغداد أو تقديره لى وأنا أختار أن يكون صديق ههنا مبنيا على الفتح ورأيت جماعة من الفضلاء كتبوا القصيدة بخطهم ورفعوا صديقا ونونوه وعلى هذا تكون لا بمعنى ليس والفرق بين لا و بين ليس أن ليس تنفى الواحد ولا تنفى الجنس لانك اذا قلت لا رجل فى الدار بالفتح فمعناه ليس فى هذه الدار هذا الجنس فلا يكون فيها واحد ولا اثنان ولا أكثر واذا قلت لا رجل بالضم والتنوين كان معناه نفى الرجل الواحد وقد يكون فيها اثنان وثلاثة وأكثر واذا تقرر هذا فمن رفع كان المعنى أن الطغرائى ما كان له صديق واحد وقد يكون له أكثر وهذا يناقض قوله لانه فى مقام تهويل وتعظيم من أنه منفرد عن الاهل والوطن والاصحاب وكلما كان أبلغ فى الشدة والانفراد كان الكلام أبلغ وأشعر وأكثر أخذا بمجامع القلوب فى التوجع له والتعطف عليه اه (اليه) جار ومجرور وسياق الكلام على الى وتقسيمها والجار والمجرور فى موضع الخبر المقدم (مشتكى) هذه الصيغة يشترك فيها أربعة أشياء المصدر واسم المفعول واسم الزمان واسم المكان لان الاربع صيغ لا تختلف فى مثل هذا وهذه الصيغة هنا للمصدر خاصة وهو فى موضع رفع على الابتداء ولم يظهر الاعراب فيه لانه مقصور (حزنى) الحزن مضاف الى الياء وهو ضمير المتكلم فى موضع جر ومشتكى مضاف الى الحزن والجملة من المبتدا والخبر فى موضع نصب على أنها صفة لاسم لا كأن التقدير فلا صديق سامعا شكوى حزنى اليه موجود والنصف الثانى اعرابه كاعراب الاول (المعنى) ما أجد

صديقا

وقد صار اخوانى كأن عليهم
ثياب المنايا والثغام المنزعا

من أبيات وقد قيل انها لعروة الرجال بالجيم وهو رجل من بنى أسد

(وكليب بن ربيعة اذ حمى المرعى بعزتك وجساسا انما قتله بأنفتك)

كليب من ربيعة بن الحرث الوائلى الذى يضرب به المثل فيقال أعز من حمى كليب فانه رئيس الحيين من بكر وتغلب ابنى وائل وقاد معدا كلها يوم خزاز وفض جموع القوم فاجتمعت عليه معد وجعلوا له قسم الملك وتاجه وطاعته فعبر بذلك حينا ثم دخله زهو شديد وبغى على قومه بما هو فيه من عزة وانقادا بانقياد معدله حتى بلغ من بغيه وعتوه انه كان يحمى مواقع السحاب فلا يرعى حماه ويقول وحش كذا وكذا فى جوارى فلا تهاج ولا يورد أحد مع ابله ولا توقد نار مع ناره ولا يحتبى فى مجلسه ولا يتكلم الا باذنه وفى ذلك يقول أخوه بعد قتله

نبئت ان النار بعدك أوقدت
واستب بعدك يا كليب المجلس
وتكلموا فى أمر كل عظيمة
لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا

وقيل انه كان اذا مر بمرعى قذف فيه جروا فيعوى فلا يرعى احد من ذلك الكلا ولذلك قيل حمى كليب وائل

صديقا يكون اليه مشتكى حزنى ولا أرى أنيسا يكون اليه منتهى فرحى وهذه حالة تشق على من تلبس بها ألا ترى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة ماخرج الا وأبو بكر رضى الله عنه معه ليكون له انيسا فى الوحدة ورفيقا فى الغربة يركن اليه فى المشورة ويأنس به اذا خلا وقد علمت ما كان عليه معه فى الغار من الذب عنه وحراسته من الافعى وتلقى الاذى عنه وموسى صلوات الله عليه لما أمره الله تعالى بالرسالة الى فرعون ليدعوه الى الايمان سال الله تعالى ان يكون أخوه هرون معه قال الله تعالى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى وقال النبى صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بالملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان نوى خيرا أعانه وان أراد شرا كفه عنه وكان أنوشروان يقول لا يستغنى أجود السيوف عن الصقل ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعلم الملوك عن الوزير (قلت) ولو لم يكن فى الوزير والصاحب الا المشورة لكان كافيا قال تعالى فيما أدب به رسوله صلى الله عليه وسلم وشاورهم فى الامر وما أحسن قول الشاعر

اذا عن أمر فاستشر لك صاحبا * وان كنت ذا رأى تشير على الصحب
فانى رأيت العين تجهل نفسها * وتدرك ما قد حل فى موضع الشهب

وقلت أنا فى المشورة

لا تسع فى امر ولا تعمل به * مالم يزنه لديك عقل ثانى
فالشعر معتدل بوزن عروضه * وكذا اعتدال الشمس بالميزان

(وقال الارجانى)

شاور سواك اذا نابتك نائبة * يوما وان كنت من أهل المشورات
فالعين تلقى كفاحا ما دنا ونأى * ولا ترى نفسها الا بمرآة

(وقال ايضا)

اقرن برأيك رأى غيرك واستشر * فالحق لا يخفى على اثنين
فالمرء مرآة تريه وجهه * ويرى قفاه بجمع مرآتين

قال أصحاب علم المناظر يمكن ان الانسان يرى قفاه بطريق وهو ان يجعل مرآة بين يديه ومرآة خلفه تقابلها بحيث ان تكون احداهما كبرى لو كان فيهما انسان رأى الصغيرة واما الصغيرتان اللتان تحجب كل منهما الاخرى فلا يتأتى معهما مطلوب فاذا نظر الى التى بين يديه اتصل شعاع بصره بها ثم انعكس طالبا الجهة التى جاء منها لان المرآة فى القبالة فتتصل بالوجه وبما وراءه فيجد وراءه مرآة أخرى فينطبع فيها ما انطبع فى الاولى لان الصورة تجرى فى الشعاع كما تقدم فينطبع فيها وجهه فيكون له وجهان أحدهما فى التى هى أمام والآخر فى التى هى وراء يجد شعاع هذه المرآة التى فى وجهه خلف لانها صقيلة لا يمكنه الثبوت عليها فيرجع الى الجهة التى تقابله فيجد القفا فيتعلق به كما يتعلق بالوجه من التى هى امامه فيؤل الامر الى ان طرف الشعاع متصل بقفاه فتجرى صورته فى الشعاع حتى ينطبع فى المرآة التى هى وراءه وتؤدى المرآة التى فيها الى التى تقابلها فينطبع القفا فى التى هى امامه فيرى لنفسه وجهين ويرى قفاه (رجع القول) الى طلب الصاحب وهذا امر مقصود عند العقلاء لانه لا بد من خل تسكن اليه فتشكو اليه حزنك وتنتصر به على من ظلمك وتتخذه عونا على ما ربك وتتوصل

يعنون الكلب ويضيفونه الى وائل وهو اسم الملك ثم غلب هذا القول حتى ظنوه اسمه ومر يوما بمرعى فيه حمرة وهى طائر صغير وقيل قبرة وقد باضت فلما رأته صرصرت وخفقت بجناحيها فقال أمن روعك أنت فى ذمتى ثم أنشد

يالك من قبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضى واصفرى
ونقرى ماشئت أن تنقرى

فاجسر صاحب بعير يدخل ذلك المرعى * وأما جساس فهو ابن مرة بن ذهل كانت أخته تحت كليب وكان بنو جشم وشيبان فى دار واحدة قبيلتى كليب وجساس وكانت لجساس خالة من بنى سعد تسمى البسوس جاورت بنى مرة فنزلت على ابن أختها جساس ومعها ابن لها ولها ناقة خوارة من نعم بنى سعد ولها فصيل فندت الناقة ذات يوم فدخلت فى ابل كليب ترعى فى حماه فنظر اليها فانكرها فرماها بسهم فى ضرعها فولت حتى بركت بفناء صاحبتها وضرعها يشخب دما ولبنا فلما نظرت اليها برزت صارخة ويدها على رأسها وهى تصيح واذلاه فلما سمع جساس قولها سكتها وقال والله ليقتلن غدا جمل هو أعظم عقرا من ناقتك يعنى كليبا ثم انتجع الحى فرووا

به الى ماشق عليك بلوغه بغير دلك كان الكندى يقول الصديق انسان هو أنت الا أنه غيرك وكان يقول الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه أبدا وطبقة كالدواء يحتاج اليه حينا دون حين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا قيل لعبد الحميد الكاتب أيما أحب اليك أخوك أم صديقك قال انما أحب أخى اذا كان صديقى وفى المثل رب أخ لم تلده أمك (وقال) أكثم بن صيفى القرابة تحتاج الى مودة والمودة لا تحتاج الى قرابة (ومما) أنشده الوزير عون الدين بن هبيرة من شعر أمير المؤمنين المستنجد بالله

كن عدوا امبرزا صفحته * أو فسالمى اذا لم تك قرنى
فى اشتباه الناس ودبيهم * ومساواة اليها سو ضغن
كم عدو لى من ظهر رأبى * وصديق أمه ما ولدتنى

(قلت) الاول من قول القائل

فاما أن تكون أخى بصدق * فأعرف منك غثى من سمينى
والا فاطرحنى واتخذنى * عدوا أتقيك وتتقينى

(وقال بعضهم)

أخ لا يذقنى الله فقدان مثله * وأين له مثل وأين المقارب
تجاوزت القربى المودة بيننا * فأصبح أدنى ما تعد المناسب

(وما أحسن) قول من قال

كانت مودة سلمان له رحما * ولم يكن بين نوح وابنه رحم

(وقال) بعض الحكماء ينبغى للعاقل أن يتخذ صديقا ينبهه على عيوبه فان الانسان لا يرى عيب نفسه (رأيت) فى بعض المجاميع الادبية ان السلطان صلاح الدين قال يوما للقاضى الفاضل لنا مدة لم نر فيها العماد الكاتب فلعله ضعيف امض اليه وتفقد أحواله فلما دخل القاضى الفاضل الى دار العماد وجد أشياء أنكرها فى نفسه مثل آثار مجلس أنس وطيبه ورائحة خمر وآلات طرب (فأنشده)

ما ناصحتك خبايا الود من رجل * ما لم ينلك بمكروه من العذل
محبتى فيك تأبى أن تسامحنى * بأن أراك على شئ من الزلل

فلما قام من عنده خرج العماد عن كل ما كان فيه ولم يعد الى ذلك البتة (قلت) واقل الاصدقاء حالة من تشكو اليه ولم يكن عنده غير سماع الشكوى والاصغاء اليها الا ان سماع الشكوى وبثها فيه تخفيف عن المكروب والنفس تستروح اليه ولهذا قال الشاعر

ولا بد من شكوى الى ذى مروءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع

لان المشكو اليه اما أن يواسيك فى هملك وهذه الرتبة العليا وهو الصديق الكريم ذو المروءة واما أن يسليك وهى الرتبة الوسطى وهو الصديق الحكيم المهذب ذو التجارب الذى حلب أشطر الدهر واما أن يتوجع وهذه الرتبة السفلى وهو الصديق العاجز فان خلا الصديق من احدى هذه الرتب كان وجوده وعدمه سواء بل عدمه خير من وجوده (قال الشاعر)

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو دين فنرجوك للدين
ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * عملنا مثالا مثل شخصك من طين

على نهر يقال له شبيث فنهاهم كليب عنه وقال لا تردن منه قطرة ثم مروا على نهر آخر يقال له الاحص فنهاهم عنه فمضوا حتى أتوا الذنائب ونزلوا فمر جساس بكليب وهو واقف على غدير الذنائب منفردا فقال طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشا فقال كليب ما منعناهم من ماء الا ونحن له شاغلون فقال له جساس هذا كفعلك بناقة خالتى فقال وقد ذكرتها أما انى لو وجدتها فى غير ابلى مرة أخرى لاستحللت تلك الابل فعطف عليه جساس بفرسه فطعنه بالرمح فأرداه ووجد الموت فقال يا جساس اسقنى فقال هيهات تجاوزت الاحص وشبيثا ثم عطف المزدلف فاجهز عليه ثم ان جساسا لما فرغ من قتل كليب أمال يده بالفرس حتى انتهى الى أهله فقالت أخته لابيها ان لجساس شأنا قد جاءنا خارجا ركبتيه ٣ قال والله ما خرجت ركبتاه الا لامر عظيم يعنى انه كان بركبتيه وضح لا يظهره فلما جاء قال ماوراءك يا بنى قال ورائى

٣ قوله خار خار كبتيه هكذا فى النسخ ولعل الصواب خارجا ركبتاه بدليل ما بعده فليتأمل ويحرر اه من هامش الاصل

(قلت) لو كان لى فى هذين البيتين حكم لهدمت القافية وقلت

اذا كنت لا علم لديك تفيدنا * ولا أنت ذو جود فنرجوك للقرى
ولا أنت ممن يرتجى لكريهة * عملنا مثالا مثل شخصك من خرا

فانى لا أرى أن أضيع الطين فى تمثاله وما أحلى قول الغزى يهجو رجلا اسمه أبو طالب

ابليس قام عمل من الخرا قالب * ثم انفسد جامنو أبو طالب

(قلت) ما ألطف هذا وأظرفه اذ جعل ابليس الصانع أخزاه الله تعالى والمادة والصورة مع ما فى قوله ثم انفسد من التكميل * ثلاثة كلها تجرى على نسق * ومن شواهد العربية قول الشاعر

اذا كنت لم تنفع فضر فانما * يرجى الفتى كيما يضر وينفع

كفت ما كى عن عمل النصب ومن هنا اختلس المعنى محمد بن شرف القيروانى فقال

أغنى باطماع كذوب على النوى * اذا لم تقاتل يا جبان فشجع

(رجع القول الى قوله ولا بد من شكوى البيت) رأيت بخط السراج الوراق رحمه الله تعالى بيتا قد زاده على هذا البيت وجعله ثانيا له حيث قال

وان كان من وصف المروءة خاليا * يراثيك أو يبكيك أو ليس يسمع

(قلت) ليس فى هذا زيادة لانه اذا رآه فقد واساه فى الظاهر واذا بكاه فقد توجع واذا لم يسمع فلا حاجة اليه وقد توهم انه أتى بزيادة على الاول وما زاد شيئا نعم أكد ما قاله الاول وأتى بذلك المعنى من غير زيادة ولكن غير الالفاظ فان الرياء من المواساة والبكاء من التوجع وعدم السماع من عدم المروءة فهو هو مع نقص فيه وما أحلى قول القائل

كأننا والماء من حولنا * قوم جلوس حولهم ماء

(وقال ابن خاقان فى الحمام)

لله قوم بحمام نعمت بها * والماء من حوضها ما بيننا جارى
كأنه فوق شفات الرخام ضحى * أوائل الماء فى أثواب قصار

(وقال ابن الرومى)

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له * فكاد يحرقه من فرط اذكاء
أقام يجهد أياما قريحته * وفسر الماء بعد الجهد بالماء

ذكرت هنا ما أنشدنيه لنفسه شهاب الدين الحاجبى بالقاهرة من أهل العصر

اقول شبه لنا جسم الرشا ترفا * يا مدعى الفضل فى وصف وانشاء
فراح يفكر فيما قلته زمنا * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

وقول الشاعر ولا بد من شكوى هذا البيت وأمثاله يسميه أرباب البديع صحة التقسيم وأوردوا فيه قول البحترى

قف مشوقا ومسعدا أو حزينا * أو معينا أو عاذرا أو عذولا

قال ابن الاثير الجزرى فى المثل السائر هذا من فساد التقسيم فان المشوق قد يكون حزينا والمسعد قد يكون معينا وكذلك قد يكون المسعد عاذرا (قلت) فيما ادعاه ابن الاثير نظر اذ ليس كل مشوق حزينا لان المحزون قد يكون غير مشتاق لانه قد يكون الحبيب عنده غير

أنى طعنت طعنة لتشتغلن بها شيوخ وائل زمنا قال أقتلت كليبا قال نعم قال وددت أنك وأخوتك متم قبل هذا ما بى الا أن تسأمنى أبناء وائل ثم نظر جساس الى أخته نضلة فقال

وانى قد جنيت عليك حربا * تغص الشيخ بالماء القراح
مذكرة متى ما يصح منها * فتى شبت لآخر غير صاحى

فأجابته نضلة تطيب نفسه

وان تك قد جنيت على حربا * فلا واه ولا رث السلاح

ثم هرب جساس ووقعت بين الحيين حرب البسوس المشهورة قيل أقامت أربعين سنة * واختلف فى قتل جساس فقيل ان أبا النويرة قتله هاربا على طريق الشام بعد حين وقيل ان ابن أخته هجرس ابن كليب كان عند أمه وأخواله بعد الفتن فلما بلغ مبلغ الرجال وعرف أن خاله جساسا قاتل أبيه ركب فرسه وأخذ رمحه وأتى نادى قومه وجساس خاله فى النادى مع جماعة فقال ورمحى ونصليه وسيفى وزريه وفرسى وأذنيه لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ولحق بعمومته

(ومهلهلا انما طلب ثاره بهمتك) هو مهلهل بن ربيعة بن الحرث أخو كليب المقدم ذكره واسمه عدى ولقب مهلهلا بقوله

غائب عن عيانه ولكنه معرض عنه غير ملتفت اليه فهنا الحزن موجود من غير شوق ولا يرد هنا قول القائل

وكدت وهو ضجيعي أن أقول له * من شدة الشوق قد أبعدت فاقترب

فان هذا من المبالغة في الحب الذي لا يشفيه قرب ولا يبل غليله دنو وأبلغ من هذا قول الآخر وهو في غاية الرقة

سريت اليه والظلام كأنه * صريع كرى والنجم في الافق شاهد
فلو أن روحي مازجت ثم روحه * لقلت ادن مني أيها المتباعد

ومن هذه المادة قول ابن سنا الملك

لو جدت لي بالنفس منك لقلت من * شره المحبة انه لبخيل

والكل من ابن الرومي أخذوا ومن أغراضه نفذوا فانه قال فاطاب وان أطال

أعانقه والنفس بعد مشوقة * اليه وهل بعد العناق تداني
وألثم فاه كي تزول حرارتي * فيشتد ما ألقى من الهيمان
ولم يك مقدار الذي بي من الجوى * ليشفيه ما ترشف الشفتان
كأن فؤادي ليس يشفي غليله * سوى أن يرى الروحين يمتزجان

(رجع) ولا كل مسعد عاذراً فان الانسان قد يساعد صاحب البلية وهو غير عاذر له وانما يفعل ذلك رحمة وشفقة ورقة فبطل ما اعترض به ابن الاثير على البحتري الفعل واما صحة التقسيم فيحكى عن ابن عمر رضي الله عنهما انه لما سمع قول زهير

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفار أو جلاء

قال لو أدركت زهيراً لوليته القضاء ومن أبيات هذا النوع المسمى بصحة التقسيم قول أبي الطيب

للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

(وما أحسن) قول أبي الحسين الجزار

وزير ما تقلد قط وزرا * ولا داناه في مثوى أثام
وجل فعاله صادات بر * صلات أو صلاة أو صيام

(وقال) شيخ الشيوخ بحماة شرف الدين عبد العزيز رحمه الله

لنا ملك واحد ما اشتهى * ولكنه لم يجد مثله
ملاذي به ومثولي لديه * وميلي اليه ومدحي له

(وقال الآخر)

كتبت وشينات حالي غابن * الى سيد جل عن مشبه
فشوقي اليه وشكري له * وشعري فيه وشغلي به

(وكتبت أنا) الى بعض الاصحاب

كتبت لمولى نأت داره * وسينات حالي وقف لديه
فسعيي اليه سموي به * سؤالي عنه سلامي عليه

(وقلت أيضا)

لما توغل في الكراع هجينهم * هلهلت أثأر مالكا أو صنبلا

يعني قاربت وقيل لقب مهلهلا لانه أول من هلهل نسج الشعر أي أرقه وهو أول من قصد القصائد وقال فيها الغزل وغنى بالتشبيب من شعره وهو خال امرئ القيس بن حجر ومنه ورث اجادة الشعر وكان أيضا كثير المحادثة للنساء حتى كان أخوه كليب يسميه زير النساء ولذلك يقول بعد قتل كليب وطلب ثاره

فلو نبش المقابر عن كليب * ليعلم بالذنائب أي زير

وكان من خبره في هذه الواقعة وطلب الثار والثار بالثاء المثلثة طلب الدم وأصله الهمز أن جساسا لما قتل كليبا وفر هاربا كان همام بن مرة أخو جساس ينادم مهلهل بن ربيعة أخا كليب وكان قد صادقه وآخاه وعاهده أن لا يكتم عنه شيأ فجاءت اليه أمه فاسرت اليه قتل جساس كليبا فقال له مهلهل ما قالت لك فلم يخبره فذكره العهد فقال أخبرت ان أخي قتل أخاك فقال لاست أخيك أضيق من ذلك فسكت همام وأقبلا على شرابهما فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الخائف فلم تلبث الخمرة أن

كنت وذالات حالى كما * تراها الى سيد لم أخنه
دعائى ودمعى ودأبى دوائى * له وعليه وفيه ومنه

(وقلت فى المجون)

ملكت غلاما جيعى له * وخذ خبرى فيه أخبرك عنه
فدنى عليه ودأبى له * ودخلى فيه وخرجى منه

(رجع) الى قوله ولابد من شكوى البيت والعاقل من كتم أمره ولم يشك الى أحد عملا بقول القائل

لاتظهرن لعاذر أو عاذل * حاليك فى السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارة * فى القلب مثل شماتة الأعداء

فقد يكون بعض الاصحاب مثل ما قال الارجانى

أعيالك اسعافى فصرت معنفى * ليت الذى عدم الجميل تجملا
مالى شكوت اليك نار جوانحى * لتكون مطفئها فكنت المشعلا

(وقال) أبو بكر عبادة بن ماء السماء الأندلسى

لاتشكون اذا عثر * ت الى خليط سوء حالك
فيريك ألوانا من الاذلال لم تخطر ببالك

والعلم المشهور فى هذا قول أبى الطيب

لاتشكون الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وأما الانفراد فنقلت من خط السراج الوراق له

أفردتنى الايام عن كل خل * وأنيس وصاحب وصديق
فلوانى مشيت فى شهر آب * لأبى الظل ان يكون رفيقى

(ونقلت) من خطه له أيضا

أفردتنى الايام عن كل خدن * وأنيس وصاحب وخليل
فتراانى فى شمس آب ولاظل لشخصى مع الضحى والاصيل

(وقلت) أنا فى الوحدة

لزمت بيتى كلزوم البنا * فى الفعل والحرف على الاصل
واستوحشت نفسى حتى لقد * نفرت لو أمكن من ظلى

(وقلت أيضا)

وجدت فى عشرة صحبى أذى * لما لزمت البيت فى الوقت زال
ياعجبا من أشعرى غدا * يحمد رأى الناس فى الاعتزال

(وقلت أيضا)

كففت عن الانام فمى وكفى * كأنى بت فى خرس ورعشه
وكنت متيما فى كل شخص * فعندى من خيالى اليوم وحشه

(رجع القول) الى بيت الطغرائى لعمرى اذا كان الانسان فى بلد بهذه المثابة لا المثوبة فحقه أن يفارقها ولهذا قال أبو الطيب

صرعت مهلهل فانسل همام وأتى قومه وقد قوضوا الخيم وجمعوا الخيل والنعم ورحلوا فرحل معهم فظهر أمر قتل كليب وأفاق مهلهل فصح الخبر واجتمعت اليه وجوه قومه فقالوا لاتعجلوا على قومكم حتى تعذروا بينكم وبينهم فانطلق رهط من أشرافهم حتى أتوا مرة بن ذهل فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا اخترمنا خصالا اما ان تدفع الينا جساسا فنقتله بصاحبنا فلم يظلم من قتل قاتله واما أن تدفع الينا هماما فنقتله واما ان تقيدنا من نفسك فسكت وقد حضرته وجوه بكر فقالوا تكلم غير مخذول فقال أما جساس فانه غلام حدث السن ركب رأسه فهرب حين خاف ولا علم لى به وأما أخوه همام فأخو عشرة وأبو عشرة ولو دفعته لكم ليصيح بنوه فى وجهى وقالوا دفعت أبانا ليقتل عن ثار غيره وأما أنا فلا أتعجل الموت وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ولكن هل لكم فى غير ذلك هؤلاء بنى فدونكم فخذوا أحدهم فشدوا نسعه فى رقبته فاقتلوه وان شئتم فلكم ألف ناقة فغضبوا وقالوا انا لم نأتك لتبذل لنا بنيك أو لتسومنا اللبن فتفرقوا

شر البلاد بلاد لا أنيس بها * وشر ما يكسب الانسان ما يصم

وأين هذه البلدة التي وصفها الطغرائي من البلدة التي وصفها الحريري في قوله

وجدت بها ما يملأ العين قرة * ويسلي عن الاوطان كل غريب

وأين هؤلاء القوم الذين عاصرهم الطغرائي وعاشرهم من آل المهلب الذين وصفهم الشاعر (فقال)

نزلت على آل المهلب شاتيا * غريبا عن الاوطان في زمن المحل

فما زال بي احسانهم وجميلهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلي

وزاد عليه القاضي الرشيد بن الزبير فقال

ولما نزلنا في ظلال بيوتهم * أمنا ونلنا الخصب في زمن المحل

ولو لم يزد احسانهم وجميلهم * على البر من أهلي حسبتهم أهلي

*(طال اغترابي حتى حن راحلتي * ورحلها وقرى العسالة الذبل)*

(اللغة) الاغتراب افتعال من الغربة تغرب واغترب بمعنى فهو غريب ومغترب وغرب بضم الغين والراء أيضا والجمع غرباء والغرباء الاباعد واغترب اذا تزوج غير أقاربه وفي الحديث اغتربوا لا تضووا ومعناه تزوجوا الاباعد دون الاقارب لئلا يحصل الحياء من القرابة فيجيء الولد ضئيلا نحيفا لعدم التمكن من الزوجة (حن) حنين الناقة صوتها في نزاعها الى ولدها والحنين من الآدمي الشوق (راحلتي) الراحلة الناقة التي تصلح لان ترحل أي يوضع عليها الرحل (ورحلها) الرحل رحل البعير وهو أصغر من القتب والجمع رحال وثلاثة أرحل (وقرى) القارية من السنان أعلاه (العسالة) الرماح واحدها عسال وعسل الرمح اهتز واضطرب وعسل الذئب يعسل عسلا وعسلانا اذا أعنق وأسرع وكذلك الانسان وفي الحديث عليك بالعسل أي عليك بسرعة المشي (وما أحلى) قول القائل في رمح

عجبت منه الى المران نسبته * جذلان ينعت في الهيجا بعسال

(الذبل) جمع ذابل وهو من صفات الرمح كأنه يصف الرماح بالخفة والدقة وقد عيب على أبي الطيب في قوله

ان تريني أدمت بعد بياض * فحميد من القناة الذبول

قالوا ما الآخر منطبق على الاول وكان ينبغي أن يقول فحميد من القناة السمرة لان الادمة هي الحمرة بسواد وهو يقول ان تريني حصل لي أدمة من الاسفار ومقابلة الشمس بعد بياضي فمن الواجب أن يقول فحميد من القناة السمرة وهو أراد متوجه وقد أجاب ابن جني عنه بأشياء طوّل فيها وليست بطائلة (قلت) ويمكن أن يجاب عنه بأن الذبول يعطي السمرة لان الانسان اذا هزل اسمر واذا سمن ابيض (الاعراب) طال فعل ماض اغترابي فاعله ولم يظهر الرفع لانه مضاف الى الياء التي هي ضمير المتكلم فالرفع بضمة مقدرة على الباء الموحدة (حتى) أداة حتى قال الشيخ بدر الدين بن مالك دلالة حتى والى على انتهاء الغاية كثير بخلاف اللام الا أن الى أمكن في ذلك وما أطال الكلام في حتى فعدلت الى كلام غيره قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس اعلم ان حتى في الكلام على أربعة اضرب تكون لانتهاء الغاية فتجر الاسماء على معنى الى وتكون عاطفة كالواو ويبتدأ بعدها الكلام وتضمر بعدها أن

فقام مهلهل وشمر للحرب وبدا القتل واستمر بين الفريقين الى أن كان يوم واردات وقد عظم القتل في بكر فاجتمعوا الى الحرث بن عباد بن مالك وكان قد اعتزل الحرب وقال لا ناقة لي فيها ولا جمل فذهبت مثلا فقالوا له قد فني قومك فأرسل ابنه بجيرا وقيل ابن أخته الى مهلهل وقال له قل له أبو بجير يقرؤك السلام ويقول لك قد علمت أني قد اعتزلت قومي لانهم ظلموك وخليتك واياهم وقد أدركت ثارك وقتلت قومك فأتى بجير مهلهلا وهو في قومه فقال له خالي يقرؤك السلام فقال له من خالك يا غلام ونزا نحوه بالرمح فقال له امرؤ القيس ابن أبان التغلبي مهلا يا مهلهل فان أهل بيت هذا قد اعتزلوا حربنا والله لئن قتلته ليقتلن به رجل لا يسأل عن خاله فلم يلتفت مهلهل الى قوله وشد عليه فقتله وقال بؤ بشسع نعل كليب فقال الغلام ان رضيت بهذا بنو تغلب رضيت فلما بلغ الحرث بن عباد قتله قال نعم الغلام أصلح بين ابني وائل وباء بكليب فلما سمعوا قول الحرث قالوا ان مهلهلا قال له بؤ بشسع نعل كليب فغضب الحرث ونهض للقتال واستمرت الحروب بين الحيين دهرا

فتنصب

فتنصب أما ان كانت عاطفة فشرطها أن يكون ما بعدها آخر جزء مما قبلها نحو أكلت السمكة حتى رأسها أو يكون فيه معنى التعظيم كقولك مات الناس حتى الانبياء أو التحقير كاجتر أعلى السفلة حتى الزبالون (قلت) ينبغي ان يزاد هنا أو التعجب ليدخل فيه مثل قول أبي الطيب * وياقلب حتى أنت ممن أفارق * (رجع) الى كلام بهاء الدين قال وان كانت جارة فلابد أيضا أن يكون ما بعدها آخر جزء مما قبلها نحو أكلت السمكة حتى رأسها أو ملاقي آخر جزء كنمت البارحة حتى الصباح وان كانت حرف ابتداء بمعنى انه تقع بعدها الجمل الاسمية أو الفعلية كما تقع في ابتداء الكلام نحو قول الشاعر

سريت بهم حتى تكل مطيهم * وحتى الجياد ما يقدن بارسان

فلابد أن يكون ما بعدها داخلا في حكم ما قبلها في جميع الاحوال الا ان دلت قرينة على خروجه نحو صمت الايام حتى يوم الفطر (قلت) حملت حتى على الواو لان الاصل في حتى أن تكون غائية واذا كانت غائية كان ما بعدها داخلا فيما قبلها تقول جاء القوم حتى زيد فزيد داخل في الذين جاؤا وهذا معنى الواو تقول جاء القوم وزيد لكنها تفارق الواو في أن الواو لا يجب أن يكون ما بعدها من جنس ما قبلها الا ان حتى للغاية والدلالة على آخر طرف في الشئ فلا يتصور في طرف الشئ أن يكون من غيره فلو قلت جاء الرجال حتى النساء لكان النساء غاية للرجال وهو محال (مسئلة) تقول أكلت السمكة حتى رأسها برفع السين ونصبها وجرها فالرفع على ان تجعل حتى حرف ابتداء والخبر محذوف دل عليه أكلت تقديره ورأسها مأكول والنصب على أن تكون حتى عاطفة فالرأس مأكول أيضا وذكر لحقارته والجر على ان حتى جارة فالرأس غير مأكول ومثله قول الشاعر

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله * والزاد حتى نعله ألقاها

كان الفراء يقول أموت وفي قلبي من حتى لانها ترفع وتنصب وتجر (رجع) الى اعراب البيت حتى هنا بمعنى الى فهي هنا دخلت على جملة فعلية (حنّ) فعل ماض أصله حنن فاجتمع مثلان سكن أحدهما وأدغم في الآخر وحذف تاء التانيث ضرورة كما قال الشاعر

فلا مزنة ودقت ودقها * ولا أرض أبقل ابقالها

كان ينبغي أن يقول أبقلت لان الارض مؤنثة ولكن اضطره الوزن الى ذلك فعنى بالارض المكان وهو مذكر وكذلك الطغرائي عنى بالراحلة الجمل وهو مذكر (راحلتي) فاعل حنّ والضمة مقدرة على التاء لاتصالها بضمير المتكلم والياء في موضع جر على الاضافة (ورحلها) الواو حرف عطف وقد تقدم الكلام على الواو وتقسيمها في أول القصيدة رحلها معطوف على راحلتي ولهذا ضمت اللام والهاء والالف ضمير يعود على الراحلة وهو في موضع جر بالاضافة (وقرى) الواو عاطفة قرى معطوف على ما قبله فهو مرفوع ولكن لم يظهر الرفع لانه مقصور وسمي مقصورا لانه محبوس عن الحركات الثلاث (العسالة) مجرور على اضافته الى قرى (الذبل) مجرور على أنه صفة للمجرور وهو العسالة والصفة لها شروط وهي أن يكون فيها أربعة من عشرة وهي الافراد والتثنية والجمع والتذكير والتانيث والتعريف والتنكير والرفع والنصب والجر فالذبل فيها أربعة من هذه العشرة وهي الجمع لانه جمع ذابل والتعريف والتأنيث والجر وانما قلنا التانيث لانه جمع وكل جمع مؤنث وما أحلى قول

طويلا وفني معظمهم وقتل همام وغيره الى أن قام في الصلح الحرث بن عوف المري كما سيأتي عند قوله وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك وآل أمر مهلهل الى أن رحل الى أخواله من بني يشكر فريدا وحيدا وأقام بين أظهرهم الى أن مات وقيل قتل وكان سبب قتله كما ذكر ابن الكلبي انه أسن وخرف وكان له عبدان يخدمانه فملا منه وخرج بهما يريد سفرا فاناخا به في بعض الفلوات وعزما على قتله فلما عرف ذلك كتب بسكين على رحل ناقته هذا البيت وقيل في بعض الروايات انه أوصاهما أن يقولا لولديه

من مبلغ الحيين أن مهلهلا
لله دركما ودر أبيكما

ثم قتلاه ورجعا الى قومه فقالا مات وأنشداهما قوله ففكر بعض ولده وقال ان مهلهلا لا يقول هذا الشعر الذي لا معنى له وانما أراد أن يقول

من مبلغ الحيين أن مهلهلا
أمسى قتيلا في الفلاة مجندلا
لله دركما ودر أبيكما
لا يبرح العبدان حتى يقتلا

فضربوا العبدين فأقرا بقتله فقتلا به وشعر مهلهل من أعلى طبقات المتقدمين ومن ذلك قوله

القائل

قلت لما اجتمعوا * وبقتلي تحدثوا
لا أبالي بجمعهم * كل جمع مؤنث

وحن فعل يتعدى الى المفعول بحرف الجر تقول حننت الى كذا وانما حذف هنا النوع من البلاغة يعرفه أرباب المعاني لانه لو قال حن راحلتي الى الفها وذكر المفعول وقفت نفس السامع عند الغاية المذكورة ولما حذف ذلك تشعبت الظنون وتفرقت في كل وجهة وظن بكل ما يوجد الحنين اليه وهذا انما يعطف عليه القلوب ويزيد في توجعها له (المعنى) طال اغترابي وامتد سفري الى ان حننت راحلتي وحن رحلها وحنت أعالي رماحي الى الدعة والسكون والاستقرار بدلا من الاضطراب والحركة والتنقل وقد حثت السنة على العود الى الوطن ووصفت الاسفار بالمشقة قال صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب فاذا قضى أحدكم نهمته فليعجل الرجوع الى أهله قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر زاد بعضهم في هذا الحديث السفر قطعة من العذاب فاقطعوه بالدلجة ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما موت الغريب شهادة (أقول) هذا مما يؤكد مشقة الغربة لان النبي صلى الله عليه وسلم أدخله في مشقة الشهداء كالقتيل في سبيل الله عز وجل والمبطون والمطعون والغريق والميت عشقا والميتة في الطلق والمراد بتسمية هؤلاء المذكورين خلا المقتول في سبيل الله أن لكل منهم أجر شهيد وليس يجري عليه أحكام الشهيد في أنه لا يغسل ولا يصلى عليه وانما هذا في حق من مات بقتال من الكفار قبل انقضاء الحرب سواء قتله كافر أم أصابه سلاح مسلم خطأ أو عاد اليه سلاحه أو سقط عن فرسه متقطرا أو رمحته دابة فمات أو وجد قتيلا عند انكشاف الحرب ولم يعلم سبب موته سواء كان عليه أثر دم أم لا وسواء كان جنبا أم لا أما اذا مات حتف أنفه أو باغتيال أو بقتال الكفرة بعده أو البغاة فقولان في مذهب الشافعي فان جرح في الحرب وبقيت فيه بعد انقضاء الحرب حياة مستقرة فقولان أظهرهما أنه ليس بشهيد وقيل ان مات عن قريب فقولان وان بقي أياما فليس بشهيد قطعا أما اذا انقضت الحرب وليس فيه الا حركة مذبوح فشهيد بلا خلاف وان انقضت وهو متوقع البقاء فليس بشهيد وحكمه أن لا يغسل لقوله صلى الله عليه وسلم زملوهم في ثيابهم الحديث ولا يصلى عليه لانه مقطوع له بالجنة والصلاة انما هي شفاعة بالدعاء من المؤمنين له بالمغفرة ودخول الجنة ولقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية وفيه نظر لان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم مقطوع لهم بالجنة وقد صلي على النبي صلى الله عليه وسلم وصلى هو صلى الله عليه وسلم على حمزة عمه رضي الله عنه يوم أحد سبعين مرة كلما قدموا ميتا صلى عليه معه (وما أحسن) قول ابن عنين في موسوس

وبارد النية عاينته * يكرر الرعدة والهزه
مكبرا سبعين في مرة * كأنما صلى على حمزه

وبه قالت الحنفية مستشهدين بالصلاة على حمزة وخالفوا الشافعية في الصغير الذي يقتل في المعركة فقالوا يغسل لانه لم يجب عليه فرض القتال وخالفوهم أيضا في الصلاة على الباغي المقتول فقالوا يمنع الصلاة عليه لان عليا رضي الله عنه أوجب محاربتهم والصحيح الذي قاله

بكره قلوبنا يا آل بكر
نغاديكم بمرهفة النصال
لها لون من الهامات جون
وان كانت تغادي بالصقال
ونبكي حين نذكركم عليكم
ونقتلكم كأنا لا نبالي
وهذه الابيات هي أصل ما اعتمدت عليه الشعراء في هذا المعنى وأميرهم البحتري في قصيدته العينية * ومن ذلك قوله أعني مهلهلا
أليلتنا بذي حسم أنيري
اذا أنت انقضيت فلا تحوري
فان يك بالذنائب طال ليلي
فقد أبكي من الليل القصير
وأنقذني بياض الصبح منها
لقد أنقذت من شر كثير
كأن كواكب الجوزاء عود
معطفة على ربع كسير
كأن الفرقدين يدا بغيض
ألح على افاضته قميري
فلو نبش المقابر عن كليب
لخبر بالذنائب أي زير
واني قد تركت بواردات
بجيرا في دم مثل العبير
هتكت به بيوت بني عباد
وبعض الغشم أشفى للصدور
على أن ليس عدلا من كليب
اذا ما ضيم جيران المجير
على أن ليس عدلا من كليب
اذا برزت مخبأة الخدور
ومنها بعد أن كرر قوله على أن ليس عدلا من كليب في أبيات كثيرة على عادة العرب في تكرار القول في الامور العظيمة وتقريرها وبهذه

الاشاعرة ان القاتل والمقتول فى حرب على كرم الله وجهه ومعاوية من أهل الجنة لان كلا منهم اجتهد ولكن أصحاب على رضى الله عنه أصابوا وأصحاب معاوية أخطؤوا وخالفوهم أيضا فى غسل الجنب الشهيد قائلين ان القتال لا يزيل الجنابة وقال الشافعية انما الغسل لاداء الفرائض ولا فرض فالشهيد بالشروط المذكورة هو أعلى رتب الشهادة وبعض الفقهاء اشترط فى الميت عشقا الكتمان والعفاف لقوله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد ورأيت الشيخ النووى فى الروضة قد أطلق ولم يشترط شيأ بل قال والميت عشقا والميتة طلقا وهذا عجيب منه كيف تساهل فى هذا الموضع وما هى طريقته وقد جزم بتحريم النظر الى الامرد بشهوة وغير شهوة وما أظن للفقهاء دليلا فى أن الميت عشقا شهيد غير حديث من عشق فعف وقد رواه الدارمى فى جزئه وفى طريقه سويد بن سعيد الحدثانى وهو من شيوخ مسلم الا أن يحيى بن معين ضعفه وقال فيه كلاما معناه لو ملكت فرسا ورمحا لقاتلته بسبب هذا الحديث قال شيخنا شمس الدين الذهبى هذا الرجل ممن لم يتورع ابن معين فى تضعيفه اه (قلت) جاء انه قال فيه حلال الدم وقد روى عن سويد المذكور مسلم وابن ماجه وتوفى فى حدود الاربعين والمائتين وقد روى هذا الحديث أيضا الدارقطنى عن المنجنيقى فتابع سويدا ورأيت بعضهم يقول انما سمى نور الدين الشهيد شهيدا لانه أحب مملوكا وعف عنه فاكده الحب فقتله وهذا ليس بشئ فى سبب موته فانه مات بعلة الخوانيق وأشار عليه الاطباء بالفصد فامتنع وكان مهيبا فما روجع فمات بقلعة دمشق فان كان مقصده بتركه الفصد العمل بقول النبى صلى الله عليه وسلم سبعون ألفا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يستطبون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقد تصدق عليه هذه التسمية وما أظنها الا غلبت عليه كقول الناس فى سلاطينهم فلان الشهيد وان كان قد مات على فراشه تفاؤلا فى حقهم فان قلت فكيف بقى هذا الاسم عليه ولم يبق على غيره قلت لانه ليس كغيره من الملوك لفتوحاته وغزواته وأوقافه وورعه وزهده وسائر أوصافه المحمودة وما تسمى غازان ملك التتار بمحمود الا تشبها به زاعما انه يسلك طريقه فى العدل قال الشاعر

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما * بأن قتيل الغانيات شهيد

(وما أحلى) قول ابن رواحة الحموى

لاموا عليك وما دروا * أن الهوى سبب السعاده
ان كان وصل فالمنى * أو كان هجر فالشهاده

وعكسه أيضا فقال

يا قلب دع عنك الهوى قسرا * ما أنت منه بحامد أمرا
أضعت دنياك بهجرانه * ان نلت وصلا ضاعت الاخرى

ومن هذه المادة قول ابن التعاويذى

أفنيت شطر العمر فى مدحكم * ظنا بكم أنكم أهله
وعدت أفنيه هجاء لكم * فضاع عمرى فيكم كله

(وقال أيضا)

ولقد مدحتكم على جهل بكم * فظننت فيكم للصنيعة موضعا

الابيات استشهد بعض المفسرين لقوله تعالى فى سورة الرحمن فبأى آلاء ربكما تكذبان وتكرير هذه الآية الشريفة

كأنا غدوة وبنى أبينا
بجنب عنيزة رحيا مدير
كأن رماحنا أشطان بئر
بعيد بين جاليها جرور
تظل الخيل عاكفة عليهم
كأن الخيل تنهض فى غدير
فلولا الريح أسمع من بحجر
صليل البيض تقرع بالذكور

يقال ان هذا أول كذب ورد فى الشعر وأبلغه فان بين الذنائب وحجر سبع ليال ومن ذلك قوله

قتلوا كليبا ثم قالوا الاتب
كلا ورب البيت ذى الاحرام
حتى يعض الشيخ بعد حميمه
مما يرى جزعا على الابهام
وتجول ربات الخدور حواسرا
يمسحن عرض ذوائب الايتام

وقوله

طفلة شثنة الخلخل بيضا
ء لعوب لذيذة فى العناق
ضربت صدرها الى وقالت
يا عدى لقد وقتك الاواقى

ومنها يرثى كليبا

ان تحت الاحجار حزما وعزما
وخصيما ألد ذا مغلاق
حية فى الوجار أربد لا ينـ
ـفع منه السليم نفثة راقى

قوله ذا مغلاق يروى بالعين وهو الرجل الكثير الخصومة الشديد كأنه يعلق بخصمه ويروى بالغين كأنه يغلق على

وجعت بعد الاختبار أذمكم * فأضعت في الحالين عمري أجمعا

(نرجع الى الغربة) نقل عن أبي اسحق ابراهيم الغزي الشاعر أنه لما مرض ببلاد خراسان وأشرف على الموت قال أرجو أن الله يغفر لي لثلاثة أشياء لكوني من بلاد الامام الشافعي وكوني شيخا كبيرا وكوني غريبا وقد استعار الطغرائي الحنين للرحل كما استعاره لصدور الأسنة من الزماح طلبا للمبالغة لانه اذا كانت الاشياء التي لا تعقل ولا تدرك حصل لها الحنين فالعاقل المدرك بطريق الاولى وهذه فائدة الاستعارة وقال الشاعر في التغرب

تتقاذف الاهوال بي فكأنني * وليت أمر مساحة الآفاق

(وقال أبو الطيب)

يخيل لي أن البلاد مسامع * وأني فيها ما تقول العواذل

معناه ان العاذل ماله كلمة مستقرة في الاذن عند المحب والكلمة اذا دفت موقعا من الخاطر قبلها السامع وثبتت في الذهن فالسامع لها دائما يتذكرها ويستحضرها كأنها رسخت واستقرت في سمعه وهذا من تشبيهاته الحسنة وقال الآخر

ولي سنة لم أدر ما سنة الكرى * كأن جفوني مسمعي والكرى العذل

يعني أن الكرى ما دخل عينيه كالعذل الذي لم يجر في مسمعه وهذا أبلغ من قول أبي الطيب أوّلا وما أحسن قول ابن سهل المغربي فيما أظن

كأن القلب والسلوان ذهن * يحوم عليه معنى مستحيل

وهو مأخوذ من قول أبي تمام الطائي

وكنت أعز عزا من قنوع * تعوضه صفوح عن جهول

فصرت أذل من معنى دقيق * به فقر الى فهم جليل

وقال أبو الطيب في الغربة

غني عن الاوطان لا يستفزني * الى بلد سافرت عنه اياب

(وقال أيضا)

أخو همم رحالة لا تزال في * نوى تقطع البيداء أو تقطع العمرا

ومن كان عزمي بين جنبيه حثه * وخيل طول الارض في عينه شبرا

(قلت) ما زال أبو الطيب يقطع البيد حتى انقطع منه الوريد فان فاتك بن أبي جهل الاسدي تتبعه الى دير عاقول وقتله هنالك وقتل ابنه محسدا وغلامه مفلحا وقال في كثرة الاسفار

كريشة بمهب الريح ساقطة * لا تستقر على حال من القلق

(وقال) القاضي عبد الوهاب

أطال بين الديار ترحالي * قصور مالي وطول آمالي

ان بت في بلدة مشيت الى * أخرى فما تستقر أجمالي

كأنني فكرة الموسوس ما * تبقى مدى ساعة على حال

(وقال أبو تمام)

بالشأم قومي وبغداد الهوى وأنا * بالرقتين وبالفسطاط جيراني

وما أظن النوى ترضى بما صنعت * حتى تبلغ بي أقصى خراسان

خصمه القول وجميع شعره في هذه الغاية من التمكن والقوة

(والسموأل اذ وافى عن عهدك) هو السموأل بن عادياء من يهود يثرب الذي يضرب به المثل في الوفاء فيقال أوفى من السموأل وسبب ذلك أن امرأ القيس بن حجر الكندي لما قتل أبوه وكان ملكا في كندة خرج يستنجد ملك الروم كما سيأتي ذكره فلما مر على تيماء وبها حصن السموأل المسمى بالابلق المذكور في شعره أودع السموأل مائة درع وسلاحا ومضى فسمع الحرث ابن ظالم وقيل الحرث بن أبي شمر الغساني بها فجاء ليأخذها منه فأبى السموأل وتحصن بحصنه فأخذ الحرث ابنا للسموأل وناداه وقال له ان لم تسلم الادراع والاقتلت ابنك فأبى أن يسلم له الادراع فضرب وسط الغلام بسيف فقطعه وأبوه يراه وطرحه وانصرف فقال السموأل في ذلك قصيدته المشهورة أولها

أعاذلتي الالا تعذليني
فكم من أمر عاذلة عصيت
وفيت بأدرع الكندي اني
اذا ما ذم أقوام وفيت
وأوصى عاديا يوما بأن لا
تهدم يا سموأل ما بنيت

(وقال)

(وقال) النور الاسعردى

أقول لقلبى حين جد به الأسى * لك الله من قلب صبور على الوجد
أفى حلب جسمى وقلبى بجلق * وصحبى ببغداد وأهلى باسعرد

يقال انه ما رأى أحد قبور اخوة أكثر تباعدا من قبور بنى العباس رضى الله عنهم قبر عبد الله بالطائف وقبر عبيد الله بالمدينة وقبر قثم بسمر قند وقبر عبد الرحمن بالشام وقبره معبد بافريقية

(اتفاق عجيب لا بأس بذكره) كان يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة واليا على أفريقية وأخوه روح واليا على السند فلما توفى يزيد بافريقية قال الناس ما أبعد ما يكون ما بين قبرى هذين الاخوين فاتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وجهزه واليا مكان أخيه فدخل افريقية ولم يزل واليا الى أن مات بها ودفن مع أخيه فى قبر واحد رحمهما الله تعالى

وقال الارجانى

وأخو الليالى ما يزال مراوحا * ما بين أدهم خيلها والاشهب
فالارض لى كرة أواصل ضربها * وصوالجى أيدى المطايا اللغب

(وقال الآخر)

ومشتت العزمات لا يأوى الى * سكن ولا أهل ولا جيران
ألف النوى حتى كأن رحيله * للبين رحلته الى الاوطان

(وقال) ابن عنين

فالى متى أنا بالسفار مضيع الايام بين الشد والايضاع
بينا أصبح بالسلام محلة * حتى أمسى أهلها بوداع

(وما أحسن قوله)

وحتام لا أنفك فى ظهر سبسب * أهجر أو فى بطن دوية فقفر
أشقق قلب الشرق حتى كأننى * افتش فى سودائه عن سنى الفجر

(وقال) ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

أشتاق قومى بدمشق وفى * بغداد حظ القلب والعين
ففى لقائى ذا فراقى لذا * قل لى متى أخلو من البين

(وقال) أبو الحسين الجزار

والارض قد ثقلت عليها وطأتى * اذ عمها الادبار والاقبال
حتام أمسحها فلولا أن لى * عينين قال الناس ذا الدجال

(وقال ابن اللبانة)

كأنما الارض عنى غير راضية * فليس لى وطن فيها ولا وطر

وبالغ شهاب الدين أحمد المناوى فى قوله

ان عشت عشت بلا أهل ولا وطن * وان قضيت فلا قبر ولا كفن
أظن قبرى بطون الوحش ترحل بى * بعد الممات ففى الحالين لى ظعن

(أنشدنى) من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

دعينى وارشدى ان كنت أغوى
ولا تغوى زعمت كما غويت
ومات امرؤ القيس قبل أن يعود الى تيماء ومنع السموأل الادراع الى أن مات هو أيضا فضرب به المثل وفى ذلك يقول الأعشى
كن كالسموأل اذ طاف الهمام به
فى جحفل كسواد الليل جرار
فقال غدر وثكل أنت بينهما
فاختر وما فيهما حظ لمختار
فشك غير طويل ثم قال له
اقتل أسيرك انى مانع جارى
والسموأل هذا من شعراء الجاهلية المجيدين وله فى الحماسة اللامية المشهورة عند أرباب البديع أولها يقول
اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثنا سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا
فقلت لها ان الكرام قليل
فما ضرنا أنا قليل وجارنا
عزيز وجار الاكثرين ذليل
وله أيضا
انى اذا ما المرء بين شكه
وبدت عواقبه لمن يتأمل
وتبرأ الضعفاء من اخوانهم
وألح من حر الصميم الكلكل

ليت شعري الى متى أتشكى * سفراماله ولومت آخر
بطن ساري الوحوش قبري فما أبـ * ـرح في الموت والحياة مسافر

والمناوى أخذ المعنى من قول أبي بكر بن العطار اليابسي حيث قال في القتلى

وقد عوضتهم من قبور حواصلا * فيامن رأى ميتا يطير به القبر

ومن هذا المعنى قول أبي العلاء المعري

لعل اناء منه يعمل مرة * فيأكل فيه من يشاء ويشرب
وينقل من أرض لأخرى وما درى * فيا عجبا بعد البلى يتغرب

وهما من لزومياته وقوله

رب لحد قد صار لحدا مرارا * ضاحكا من تزاحم الاضداد

(وقال) أبو الحسين ابن الامام الغرناطي

ياليت شعري والاماني كلها * برق يغرك أو سراب يلمع
هل ترتمن ركائبي في بلدة * أم هكذا خلقت تخب وتوضع
في كل يوم منزل وأحبة * كالظل يلبس للقيل ويخلع

(وقال) سيف الدين بن قزل المشد

ان الذين عهدتهم سكنوا الحمى * رحلوا وما عطفوا عليك وودعوا
جدوا المسير فلا الحداة لظعنهم * تجفو السهاد ولا المطايا تهجع
لا تستقر بهم عراص خيامهم * ما قيل تضرب أو تراها تقلع
أقوت ربوعهم فشأن بيوتهم * بيتان ينصب ذا وهذا يرفع

(وقال) أبو الحسن علي بن زريق البغدادي من قصيدته المشهورة

يكفيك من روعة التفنيد أن له * من النوى كل يوم ما يروعه
ما آب من سفر الا وأزعجه * رأى الى سفر بالرغم يزمعه
تأبى المطالب الا أن تجشمه * للرزق كدحا وكم ممن يودعه
كأنما هو من حل ومرتحل * موكل بفضاء الارض يذرعه
اذا الزماع أراه في الرحيل غنى * ولو الى السند أضحى وهو مربعه
وما مجاهدة الانسان موصلة * رزقا ولادعة الانسان تقطعه
قد وزع الله بين الناس رزقهم * لم يخلق الله من خلق يضيعه
لكنهم كلفوا رزقا فلست ترى * مسترزقا وسوى الغايات تقنعه
والحرص في الرزق والارزاق قد قسمت * بغى ألا ان بغي المرء يصرعه
والدهر يعطي الفتى من حيث يمنعه * اربا ويمنعه من حيث يطمعه

قال الحافظ أبو عبد الله الحميدي من تختم بالعقيق وقرأ لابي عمرو وتفقه للشافعي وحفظ قصيدة ابن زريق فقد استكمل الظرف قاله أبو محمد علي بن أحمد بن حزم (قلت) وبعضهم قال ولبس البياض وروى قصيدة ابن زيدون بدلا من قصيدة ابن زريق وما أرق قول العباس ابن الاحنف

كان رحيلي من أرضكم عجبا * أو حادثا من حوادث الزمن

أدع التي هي أرفق الحالات في
عند الحفيظة فالتي هي أجمل

وله أيضا

ياليت شعري حين أندب هالكا
ماذا تؤبنني به أنواحي
أيقلن لا تبعد فرب كريهة
فرجتها بشجاعة وسماح
ولقد أخذت الحق غير مخاصم
ولقد بذلت الحق غير ملاحي

(والاحنف انما احتبى في بردتك) هو الاحنف المضروب به المثل في الحلم والسيادة واسمه الضحاك وقيل صخر بن قيس ابن معاوية بن حصين السعدي ويكنى أبا بحر أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره ودعا له حدث الاحنف قال بينما أنا أطوف بالبيت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ لقيني رجل أعرفه فاخذ بيدي فقال ألا أبشرك قلت بلى قال أما تذكر اذ بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قومك في بني سعد أدعوهم الى الاسلام فجعلت أدعوهم وأعرض عليهم فقلت أنت انه يدعوكم الى خير ولا أسمع الا حسنا فاني رجعت الى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته بمقالتك فقال اللهم اغفر للاحنف فما شيء أرجى لي منها وسمي الاحنف لان أمه كانت ترقصه وهو طفل وتقول

والله لولا حنف في رجله

من

من قبل أن أعرض الفراق على * قلبي وأن أستعد للعزن

(وأحسن) ما قيل في بغتة الرحيل قول محمد بن وهيب وقيل مالك بن أسماء بن خارجة

بيناهم سكن لجارهم * ذكروا الفراق فأصبحوا سفرا
فظللت ذا وله يعاتبني * من لا يرى أمرى له أمرا

يقال ان أبا السائب لما سمع الاول قال ما أسرع هذا وأبغته أما قد موا ركابا أما أوكفوا سقاء أما ودعوا صديقا وقال الزبير بن بكار رحم الله أبا السائب فكيف به لو سمع قول العباس ابن الاحنف

سألونا عن حالنا كيف أنتم * فقرنا وداعهم بالسؤال
ما حللنا حتى ارتحلنا فما يفـ * ـرق بين النزول والترحال

ومن هنا أخذ ابن الساعاتي قوله

ماضحكنا للقرب حتى بكينا * للبعاد الرسوم والآثارا

(وقال) ابن عنين في مرثية على لسان الناصر في أخيه وقد توفي صغيرا من أبيات

خانتني الايام فيك فقربت * يوم الردى من ليلة الميلاد

وأحسن ما في هذا الباب قول شهاب الدين العزازي

عجبا لمولود قضى من قبل أن * يقضي لايام الصبا ميقاتا
هجر الحياة وطلق الدنيا وقد * وافت بزخرفها اليه بتاتا
فكانه من نسكه وصلاحه * وهب الحياة لوالديه وماتا

وقريب منه قول ابن النبيه

الناس للموت كخيل الطراد * فالسابق السابق منها الجواد
والموت نقاد على كفه * جواهر يختار منها الجياد
والله لا يدعو الى داره * الا الذي استصلح من ذى العباد

(وما أحسن) قول التهامي في ولده

يا كوكبا ما كان أقصر عمره * وكذا تكون كواكب الاسحار

والمشهور في البغتة قول العكوك

رصد الخلوة حتى أمكنت * ورعى السامر حتى هجعا
كابد الاهوال في زورته * ثم ما سلم حتى ودعا

(وقال) الحسين بن الضحاك

بأبي زور تلفت له * فتنفست عليه الصعدا
بينما أضحك مسروراته * اذ تقطعت عليه كمدا

وقريب من هذه المعاني ما روى أن اعرابيا لقيه رجل لم يكن يعرفه قبل ذلك فقال له كيف كنت بعدى فقال له الاعرابي ما بعد ما لا قبل له وأما قول شرف الدين بن الفارض

حديثي قديم في هواها وماله * كما علمت بعد وليس له قبل

فامر خارج عن العقل لان العقل لا يمكن أن يتصور شيئا لا قبل له ولا بعد الا واجب الوجود ولكن الصوفية يحيلون مثل هذه الاشياء على الذوق ويقولون في مثل هذه الامور انها من وراء

ما كان في فتيانه كم من مثله تقول تخالف الرجل في مشيته وهو أن تقبل الرجل بالابهام على الاخرى * وقال عبد الملك بن عمير وفد علينا الاحنف مع مصعب بن الزبير الكوفة فما رأيت منظرا يذم الا رأيته فيه كان ضئيلا أصلع الرأس متراكب الاسنان باخق العينين وكان اذا تكلم جلا عن نفسه وقال الشعبي أوفد أبو موسى الاشعري وفد البصرة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيهم الاحنف بن قيس فلما قدموا على عمر تكلم كل رجل منهم في حاجة نفسه وكان الاحنف في آخر القوم فحمد الله تعالى وصلى على نبيه ثم قال أما بعد يا أمير المؤمنين فان أهل مصر نزلوا منازل فرعون وأصحابه وأهل الشام نزلوا منازل قيصر وأهل الكوفة نزلوا منازل كسرى ومصانعه في الانهار العذبة والجنان المخصبة وفي مثل عين البعير وكالحوار في السلى تأتيهم ثمارهم قبل أن تتغير وان أهل البصرة نزلوا في أرض سبخة زعقة نشاشة طرفها في ملح أجاج والطرف الآخر في الفلاة لا يأتيها الجالب الا في مثل حلقوم النعامة فارفع خسيستنا وانعش وكيسنا واعدل لنا قفيزنا ودرهمنا ومر لنا بنهر

العدل (أخبرني) الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري قال حضر يوما الشيخ كريم الدين عبد الكريم الايكي شيخ خانقاه سعيد السعداء عند الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله وأخذ يتكلم في طريقهم وأحوالهم ويتحدث على العرفان زمانا والشيخ تقي الدين ساكت لا يفوه بكلمة فلما قام من عندهم قال الشيخ تقي الدين للحاضرين هل فيكم من فهم تراكيب كلامه فاني ما فهمت غير مفرداته اه (قلت) وهؤلاء القوم يسلم لهم حالهم فانهم قد جاء منهم علماء كبار مثل الشيخ محيي الدين بن عربي وقطب الدين بن معين وفي كلامهم من هذا النوع كثير وأما قول شرف الدين بن الفارض

شربنا على ذكر الحبيب مدامة * سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

فيمكن فهم معناه بالتاويل (أنشدني) من لفظه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري قال أنشدني من لفظه لنفسه خالي فخر الدين حسن بن علي ابن مكزون السنجاري قصيدة تائية طويلة في وزن تائية ابن الفارض حط فيها عليه منها

ولست كمن أمسى على الحب كاذبا * مضلا لارباب العقول السخيفة
يمن على الجهال من عصبة الهوى * بنسبته في الحب من غير نسبة
فيزعم طورا أنه عين عينها * ويزعم طورا أنها فيه حلت
ويجمع ما بين النقيضين قوله * وذلك محال في العقول السليمة

وما أحسن قول أمين الدين الحوباني في تهتكه

مت في عشقي ومعشوقي أنا * ففؤادي من فراقي في عنا
غبت عني فتي أجمعني * أنا من وجدي مني في فنا
أيها السامع تدري ما الذي * قلته والله لا أدري أنا

وقد بالغ الشعراء في وصف الخمرة بالقدم من ذلك قول ابن سناء الملك

عمرها وهاطينا وآدم طين * سبحة في حشا الزمان جنين
قبل أن تغرس الكروم وتلتف عليها الاوراق والزرجون
وثريا السماء ماهي عنقو * د ولا آية الدجاء رجون

ومثل هذه المعاني من الشعراء تحمل على المبالغة مجازا في القدم لانهم يزعمون ان الخمرة كلما قدم زمانها كان تأثيرها في الاسكار أكثر فاما كلام الصوفية فامر آخر وراء هذا كله ومبالغات الشعراء والكتاب لا مدخل لها في هذا الباب وما ألطف ما أنشدنيه الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس من جملة قصيدة مدح بها النبي صلى الله عليه وسلم

محبة ما عرفت الدهر سلوتها * تسري الى النفس أو تجري مع النفس
ومالها آخر لكن أولها * تعارف سابق في حضرة القدس
في عالم الذر نادى البشير بها * أهلا لغنتها طهرا من الدنس
أشهى الى القلب من أمن على وجل * ومن مجال الكرى في أعين النعس

وعلى ذكر الصوفية حضرت يوما في صفد سنة ست وعشرين وسبعمائة مجلس الشيخ الامام أبي الحسن علي بن الصياد الفاسي وقد عمل درسا عاما تكلم فيه على سورة والضحى واستطرد الكلام الى قوله صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه

نستعذب منه الماء فقال عمر رضي الله عنه أعجزتم أن تكونوا مثل هذا السيد هذا والله السيد فما زلت أسمعها منه ثم حبسه عنده سنة ثم قال يا أحنف اني بلوتك فاعجبتني وانما حبستك لاعلم علمك فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول احذروا المنافق العالم واشفقت عليك منه فوجدتك بريا مما تخوفت عليك وسرحه وأحسن جائزته ولم يزل يشرف حتى مات وساد بعقله وحلمه حتى يكاد يجرد لامره مائة ألف سيف وكان أمراء الانصار يلتجئون اليه في المهمات وكان اذا أراد حربا قال الناس قد غضبت زبراء فصار مثلا وزبراء جارية كان مطيعا لها فكانوا يكنون عن غضبه في الحرب بغضبها * وكان يقول كنا نختلف الى قيس ابن عاصم نتعلم منه الحلم كما نختلف الى العالم نتعلم منه العلم * وحكي خالد بن صفوان قال كنت بالرصافة عند هشام بن عبد الملك فقدم عليه العباس بن الوليد فغشيته الناس قد خلت عليه فقال حدثني عن تسويد كم الاحنف وانقياد كم له فقلت ان شئت حدثتك عنه بواحدة تسود وان شئت باثنتين وان شئت بثلاث

براك فقال ذهب بعض الصوفية الى أن معنى فان لم تكن تراه ان غبت عن وجودك ولم تكن رأيته وحسن ذلك واستحسنه من حضر فقلت انا هذا حسن لو ساعد الاعراب عليه فان هذا شرط وجوابه وهما مجزومان ويكون اللفظ الصحيح فان لم تكن تره حتى يصح المعنى فاعترف بذلك ووقفت على كلام ابن أبي جمرة في شرح الاحاديث التي انتقاها من البخاري وقد تكلم على الاستواء فقال ذهب بعض الصوفية في معنى هذا اللفظ الى شئ وهو حسن لولا ما فيه من جهة العربية فقال الرحمن على ووقف هنا ثم قال العرش استوى اه (قلت) هذا حسن ولكن لا يوافقه رسم المصحف على ذلك فانه اذا وقف على علا ينبغي أن يكون من علا يعلو ولا يكتب علا من العلو الا بالالف لانه من علوت ولم يكتب على هنا في المصحف الا بالياء لانها حرف جر ومما يكاد يلحق بكلام الصوفية وليس منه ما ذكره الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي رحمه الله في أنوار البروق قال أنشدني بعض الفضلاء

ما يقول الفقيه أيده الله ولا زال عنده الاحسان
في فتى علق الطلاق بشهر * قبل ما بعد قبله رمضان

ثم انه بعد ذلك ذكر قريبا من كراسة من كلام شيخنا جمال الدين بن الحاجب ومن كلام نفسه وقال ان البيت الثاني ينشد على ثمانية أوجه بالتقديم والتأخير والتغيير مع استعمال اللفظ في الحقائق دون المجاز وصحة الوزن وكل بيت منها يشتمل على مسئلة من الفقه في التعاليق الشرعية والالفاظ اللغوية وتلك المسئلة تشتمل على سبعمائة وعشرين مسئلة من المسائل الفقهية والتعاليق اللغوية بشرط التزام المجاز في الالفاظ وطرح الحقائق وعدم الوزن ثم ذكر من كلام ابن الحاجب كيفية انشاد البيت الثاني على ثمانية أوجه بأن ما بعد ما قد يكون قبلين أو بعدين أو مختلفين فهذه أربعة أوجه كل منها قد يكون قبله قبل وقد يكون قبله بعد فصارت ثمانية أوجه وذكر قاعدة يبنى عليها تفسير الجميع وهي انه كلما كان قبل وبعد فألغهما لان كل شهر حاصل قبل ما هو بعده وحاصل بعد ما هو قبله فلا يبقى حينئذ الا بعده رمضان فيكون شعبان أو قبله رمضان فيكون شوالا فلم يبق الا ما جميعه قبل أو جميعه بعد والاول هو الشهر الرابع من رمضان وهو ذو الحجة والثاني هو الرابع ولكن على العكس وذلك جمادى الآخرة اه ما لخصته من أنوار البروق (قلت) وقد أطال الكلام في تقسيم ذلك وتقريره فاذا نظر الواقف عليه في ذلك تشعب ذهنه من كثرة التقسيم وتردده وقد وضعت أنا لذلك شجرة لان الاشياء اذا برزت الى الخارج زاد وضوحها وزال غموضها وصورة تلك الشجرة في الصحيفة التي تلي هذه فتدبرها مع مراعاة القاعدة التي ذكرها الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى يظهر لك صحة ذلك ومثل البيتين المتقدمين فيما ذكر قول بعضهم

وعدت في الخميس وصلا ولكن * شاهدت حولنا العدا كالخميس
أخلفت وعدها وجاءت الينا * قبل ما بعد قبل يوم الخميس

وان شئت خذ ثلث عشيتك حتى تنقضي ولم تشعر بصومك وكان صائما يوم خميس فقال هات الاولى فقلت كان أعظم من رأينا أوسعنا سلطانا على نفسه فيما أراد حملها عليه ودفعها عنه ثم أدركني ذهني فقلت غير الخلفاء فقال لقد ذكرتها خلاء كافية فهات الثانية قلت قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه ولا يكون بصيرا بالمحاسن والمساوي ولا نسمع باحد أبصر منه بالمجالس في المساوي والمحاسن فلا يحمل السلطنة الاعلى حسن ولا يكفها الا عن قبيح فقال قد حنثت بصلة الاولى لا تصلح الا بها فهات الثالثة قلت قد يكون الرجل عظيم السلطان على نفسه بصيرا بالمحاسن والمساوي ولا يكون حظيظا ولا ينشر له ذكر وكان الاحنف عند الناس مشهورا فقال وأبيك لقد وصلت الاثنتين فما بقية ما يقطع عني الصوم قلت أيامه السالفة مثل فتح خراسان اجتمعت عليه الاعاجم بمرو الروذ فجاءه ما لا قبل له به وهو في مثل مضيعة وقد بلغه الاخر فصلى العشاء الآخرة ودعا وتضرع الى الله تعالى أن يوفقه ثم خرج يمشي في العسكر مثل المكروب متنكرا يسمع ما يقول الناس قربعد

يحن وهو يقول لصاحب
له العجب لأمير نابقيم بالمسلمين
في منزل مضيعة وقد اطاف
بهم العدو من نواحيهم
واتخذوهم غرضا وله تقول
فعل الاحنف يقول اللهم
وفق اللهم سدد فقال العبد
للعبد فالحيلة قال أن ينادى
الساعة بالرحيل وانما بينه
وبين الغيضة فرسخ فيجعلها
خلف ظهره فيمنعه الله بها
فاذا امتنع ظهره بها بعث
بجنبتيه العنى واليسرى
فيمنع الله تعالى بهما ناحيته
ويلقى عدوه في جانب واحد
فسجد الاحنف ثم نادى
بالرحيل من مكانه حتى أتى
الغيضة فنزل في قبلها
فاصبح فاتاه العدو فلم يجدوا
سبيلا الا من وجه واحد
وهو لوا بطبول أربعة وركب
الاحنف وأخذ اللواء وحمل
بنفسه على طبل فشقه وقتل
صاحبه وهو يقول
ان على كل رئيس حقا
أن يخضب الصعدة أو يندقا
وشق بقية الطبول فلما فقد
الاعاجم أصوات طبولهم
انهزموا وركب المسلمون
أكتافهم وكان الفتح ثم عدد
حاله بقية ايامه الى أن انقضى
النهار * وللاحنف حكايات
حسنة وألفاظ محكمة
ومؤاخذات معدودة عليه
* فمن حكاياته ماحدث بعض
غلمانه قال كان الاحنف يكثر

ما يقول الفقيه أيده الله ولا زال عنده الاحسان في فتى علق الطلاق بشهر

قبل ما قبل قبله رمضان (ذو الحجة)
قبل ما قبل بعده رمضان (شوال)
قبل ما بعد بعده رمضان (شعبان)
قبل ما بعد قبله رمضان (شوال)

بعد ما قبل بعده رمضان (شعبان)
بعد ما قبل قبله رمضان (شوال)
بعد ما بعد قبله رمضان (شعبان)
بعد ما بعد بعده رمضان (جمادى الآخرة)

ومن

ومن المسائل العجيبة فى بيت يتفرع الى ألوف من الصور فى تقديم ألفاظه وتأخيرها ما حكاه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى انه سئل أول قدومه الى القاهرة عن نهاية ما يمكن فى البيت الواحد من وجوه العدد بتقديم الاجزاء وتأخيرها بعضها عن بعض فأجاب بان هذا انما يتأتى فى بحرين من العروض خاصة وهما المتقارب والمتدارك لان ما عدا هذين البحرين اما أن تكون تفاعيله متفقة فتكون سباعية كالكامل والرجز ونحوهما وهذا لا يتأتى نظمه من كلمات سباعية واما ان تكون تفاعيله مختلفة من سباعية وخماسية كالطويل والبسيط ونحوهما فلا يحفظ نظامه فى تبديل الاجزاء لاختلاف مقاديرها فتعين أحد البحرين المذكورين لان كل واحد منهما مركب من أجزاء خماسية يمكن أن تكون كلمات لا يختلف وزن البيت بتقديمها وتأخيرها ولاجل هذا المعنى يمكن أن تكون من الصفات الواردة فى الغزل والمديح ونحوهما ولما كان البيت من الشعر العربى لا يتجاوزه قدار ثمانية أجزاء فنهاية ما يمكن التعدد فى صورة البيت الواحد على شريطة أن لا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يختلف عروضه ولا ضربه أربعون ألفا وثلثمائة وعشرون بيان ذلك ان البيت المفروض انما يفرض على صورة ما فاذا جعل الجزء الاول ثانيا والثانى أولا حدثت صورة ثانية فاذا أمد لنا الجزء الثالث تارة باول وتارة بثان على الصورة الاولى حدث فى كل من الصورتين ثلاث صور فيكون المجموع الحاصل بتبديل الجزء الثالث وما قبله ست صور وعلى هذا القياس تضرب هذه الست صور فى أربعة فيحصل أربعة وعشرون أخرى بتبديل الجزء الرابع ثم تضرب هذا العدد فى خمسة فيبلغ مائة وعشرين عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء الخامس وما قبله ثم تضرب هذا العدد فى ستة فيبلغ سبعمائة وعشرين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء السادس وما قبله ثم تضرب هذا العدد فى سبعة فيبلغ خمسة آلاف وأربعين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء السابع وما قبله ثم تضرب هذا العدد فى ثمانية فيبلغ أربعين ألفا وثلثمائة وعشرين وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء الثامن وما قبله أعنى جميع أجزاء البيت فأخبره السائل ان الشيخ شهاب الدين القرافى رحمه الله ذكر بيتا من بحر المتقارب من العروض وهو

حبيب بقلبى مليح جميل * بديع ظريف رشيق عزيز

وذكر انه يتفرع منه هذا العدد ولم يذكر كيفية تفريعه ولا ذكر المتدارك اه

*(وضج من لغب نضوى وعج لما * ألقى ركابى ولج الركب فى عذلى)*

(اللغة) (وضج) صاح والضجيج الصياح والضجوج من النوق هى التى تضج اذا حلبت (لغب) اللغب بالغين المعجمة هو اللغوب وهو الاعياء والتعب وفى القرآن الكريم ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب قال بعض المفسرين هذا رد على اليهود لانهم قالوا بدأ الله خلق العالم يوم الاحد وفرغ منه فى ستة أيام آخرها يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على عرشه فقال تعالى وما مسنا من لغوب ردا عليهم فى انه استراح من التعب والاعياء اه وهذا من اليهود تحريف فى المعنى وذلك أن الاحد والاثنين أزمنة متميز بعضها عن بعض وهى أعراض لمقادير حركات الافلاك فلو كان خلق السموات والارض وما بينهما ابتدئ يوم الاحد لكان الزمان قبل الفلك والزمان لا ينفك عن الاجسام فيكون قبل

الصلاة بالليل وكان يجىء الى المصباح فيضع أصبعه فيه ثم يقول حس ويقول ما حملك على أن صنعت كذا فى يوم كذا * وشكا اليه رجل وجع ضرسه فقال لقد ذهبت نور عينى منذ ثلاثين سنة فما علم بذلك أحد * وقال له عمر رضى الله تعالى عنه أى الطعام أحب اليك قال الزبد والكمأة قال عمر ما هما بأحب الطعام اليه ولكنه يحب الخصب للمسلمين يعنى أن الزبد والكمأة لا يكونان الا فى الخصب * وخلا به رجل فسبه سبا قبيحا فقام الاحنف وهو يتبعه فلما وصل الى قومه وقف وقال يا أخى ان كان قد بقى من قولك فضلة فقل الآن والا سمعك قومى فتؤذى * وقال له رجل بم سدت قومك ولست بأشرفهم فقال بتركى من أمرك ما لا يعنينى كما لم تترك من أمرى ما لا يعنيك * وقال له رجل لاشتمنك شتما يدخل معك قبرك فقال فى قبرك يدخل والله لا فى قبرى * وقيل له بم سدت قال لو أن الناس كرهوا الماء ما شربته * وقال يوما ما سرنى اذا نزلت بدار مجزة أنى ابتنيت فأسمنت قيل له يا أبا بحر وما راد من دار الحرم غير هذا فقال انى أكره سوء العادة ووفد على معاوية مع أهل العراق فقال آذنه ان أمير

خلق الاجسام أجسام أخر فلزم القول بقدم العالم قال الامام فخر الدين الرازى ومن العجب ان بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف لان الفلسفى لا يثبت لله تعالى صفة أصلا ويقول انه تعالى لا يقبل صفة بل واحد من جميع الوجوه بعلمه وقدرته وصفاته باسرها هى حقيقته وذاته والمشبهى يثبت لله تعالى صفات الاجسام من الحركة والسكون والاستواء والجلوس والهبوط والصعود وهذا غاية المنافاة ثم ان اليهودى فى هذا الكلام جمع بين المتنافيين وأخذ بمذهب الفيلسوفى فى المسئلة التى هى أخص المسائل بهم وهى القدم لانهم أثبتوا قبل خلق الاجسام أجساما معدودة وأزمنة محدودة وأخذ بمذهب المشبهة فى المسئلة التى هى أخص المسائل بهم وهى الاستواء على العرش فأخطؤا وضلوا فى الزمان والمكان جميعا اهـ (قلت) وتفسير هذه الآية ان ذلك اشارة الى ستة أطوار لا المفهوم من اليوم اللغوى لانه عبارة عن بقاء الشمس على وجه الارض من الشروق الى الغروب ولا شمس هنالك ولا قمر ولكن اليوم يطلق ويراد به الوقت تقول أصوم يوم قدومك وأسير يوم يأتيك ولذلك وقد يقدم ليلا ويأتيه ولده ليلا فلا يخرج هذا عن مرادك لانك أردت مجرد الوقت والحين فنزه الله تعالى ذاته المقدسة عن لواحق الاجسام اهـ (نضوى) النضو البعير المهزول والناقة نضوة (وعج) العجيج رفع الصوت وفى الحديث أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية والنحر (ركابى) الركاب الابل التى يسار عليها وقد تقدم الكلام على الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس (ولج) اللجاج واللجاجة مصدر لججت بالكسر تلج بالفتح وهو لجوج ولججت بالفتح تلج بالكسر لغة وهو الحث (الركب) أصحاب الابل فى السفر دون الدواب وهم العشرة فما فوقها واحدهم راكب وليس بتكسير لانه يصغر فيقال ركيب والجمع أركب (عذلى) العذل بالتحريك هو الاسم وبالسكون هو المصدر وهو الملامة ورجل معذل أى يعذل لافراطه (الاعراب) (ضج) فعل ماض أصله ضجج فاجتمع المثلان فسكن الاول وأدغم فى الثانى (من لغب) جار ومجرور فى موضع النصب على انه مفعول لاجله قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب فى مقدمته المفعول له هو ما فعل لاجله فعل مذكور ثم قال وشرط نصبه تقدير اللام وانما يجوز حذفها اذا كان فعلا لفاعل الفعل المعلل اهـ (قلت) وقد نقضوه بمثل قعدت عن الحرب جبنا فان الجبن ليس فعلا لفاعل الفعل والجواب ان المراد بالفعل هنا أعم من ان يكون بالحواس الباطنة أو الظاهرة والجبن من فعل الحواس الباطنة ونقضوه أيضا بقوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا أجمعوا على انه منصوب بكونه مفعولا لاجله وليس فعلا لفاعل الفعل اذ الخوف والطمع مستحيلان فى حق الله عز وجل والجواب انه محمول على باب حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كانه قال تعالى هو الذى يريكم البرق لارادة خوفكم وطمعكم والمفعول لاجله الاصل فيه أن يقدر بلام العلة كقولك ارتحلت طالب العلم أصله لطلب العلم وجئتك رغبة فيك وأسلمت طمعا فى الجنة وقد يقوم مقام اللام من وفى كقوله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم وقوله تعالى الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف وقوله صلى الله عليه وسلم ان امرأة دخلت النار فى هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض والمفعول لاجله هو الباعث على ايجاد الفعل فاللغب هنا هو الباعث على الصحيح (نضوى) فاعل ضج وقد تقدم المفعول له عليه وهو جائز ولم يظهر الرفع فى الفاعل لاضافته الى ضمير المتكلم

المؤمنين يقسم عليكم أن لا يكلم أحد منكم الا نفسه فدخلوا فقال الاحنف لولا حرمة أمير المؤمنين لاخبرته ان نازلة نزلت ونائبة نابت وكلهم به فاقة الى رفد أمير المؤمنين فقال حسبك يا أبا بحر فقد كفيت من غاب ومن شهد * وذكره معاوية يوما بصحبته لعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وأيام صفين فقال يا أمير المؤمنين القلوب التى أبغضناك بها بين جنوبنا والسيوف التى قاتلناك بها على عواتقنا وان شئت استصفيت كدرنا بحلمك فقال أجل * ومما عيب به وأخذ عليه أمر الزبير بن العوام رضى الله عنه وذلك انه لما ترك القتال يوم الجمل ورجع عن الحرب مر ببنى تميم ذاهبا الى دياره فأتى رجل الاحنف فقال هذا الزبير قدم آنفا فقال ما أصنع به جمع بين غارين يقتل بعضهم بعضا ويريد أن ينجو الى أهله فتبعه ابن جرموز فقتله غدرا فقال الناس انما قتله الاحنف بكلامه ذلك وان ابن جرموز انما فعل عن رأيه * وحين أتاه كتاب الحسن بن على رضى الله تعالى عنهما يستنصره فقال قد بلونا حسنا وآل حسن فلم نجد عندهم ايالة الملك ولا صيانة المال ولا مكيدة الحرب ولم يجبه * وقوله للعباب بن المنذر

(وعج) فعل ماض مثل ضج (لما) جار ومجرور الجار اللام وما مجرور وهو اسم ناقص بمعنى الذى لا يتم الا بصلة وعائد ولم يظهر الجر فيه لانه مبنى لشبهه بالحرف فى الافتقار لان الحرف لا يدل على معنى فى نفسه لكن فى غيره وكذا الاسماء الموصولة لا تستقل بالدلالة على معنى بنفسها حتى يؤتى بالصلة والعائد فاشبهت الحروف من حيث الافتقار وسموا الموصول بأنه ما افتقر الى الوصل بجملة معهودة مشتملة على ضمير لائق بالمعنى فلا يقال جاء فى الذى أكرمته الا والاكرام معهود عند المخاطب والا فالجملة التى وصل بها غير معهودة ولا يقال جاءنى الذى أكرمتهما الا ان العائد غير لائق بالمعنى فان التثنية لا تطابق الافراد وقد أورد بعضهم على هذا قوله تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى وغشيهم من اليم ما غشيهم واقض ما أنت قاض وهو كثير لانه لا عهد للمخاطب بهذه الصلة (قلت) الجواب عن هذا أن الاتيان بالصلات فى هذه المواطن غير معهودة من أعلى طبقات البلاغة لانها اذا أوردت هكذا أخذ الذهن يسلك فى كل مسلك ويسرى فى كل مسرى فلو قال تعالى فغشيهم من اليم ما أغرقهم لكان الذهن قد وقف على ذلك من أول وهلة ولم يهبط واديا من الهول ولم يرتفع رابية من الجزع وكذا فأوحى الى عبده ما أوحى لو قال تعالى فأوحى الى عبده ما أقر به عينه أو أفرح به قلبه أو ما يسره به من ان لا أحد من الانبياء يدخل الجنة قبله ولا أمة من الامم تدخل الجنة قبل أمته لما كان له فى القلب هذا الموقع فان الذى يظن بعموم هذا اللفظ لا يتناهى فظهرت الفائدة فى مجىء الصلة مبهمة غير معهودة ماهى وقد اختلف المفسرون فى الضمير فى عبده من هو فمن قائل انه النبى عليه الصلاة والسلام ومن قائل انه جبريل ويكون التقدير فاوحى الى عبده جبريل ما أوحى الى النبى صلى الله عليه وسلم * وعلى ذكر الصلة والعائد فما ألطف قول شرف الدين بن عنين لما كتب وهو ضعيف الى الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل رحمهم الله

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى
أنا كالذى أحتاج ما يحتاجه * فاغنم ثوابى والثناء الوافى

فحضر اليه الملك المعظم بنفسه ومعه صرة فيها ثلثمائة دينار وقال أنت الذى وأنا العائد وهذه الصلة ولقد استخدم ابن عنين العائد والصلة استخداما حسنا وفهم الملك المعظم أحسن منه (ومن نوادر النحاة) أن رجلا قرع الباب على نحوى فقال من أنت قال الذى اشتريتم الآجر فقال أله قال لا قال أمنه قال لا قال اذهب فالآن فى صلة الذى شئ ويشبه هذه النادرة ما حكى أن بعض النحاة مر من تحت مئذنة والمؤذن يقول أشهد أن محمدا رسول الله بنصب رسول فجعل النحوى يقول ماله ماله ما أتيت الى الآن بالخبر ومن هنا أخذ ابن سنا الملك قوله فى مدح الملك العادل

مكمل وسواه ناقص أبدا * كانه ان قد جاءت بلا خبر

وأما قول ابن عنين فيما تقدم فمثله قول الامير أمين الدين على بن عثمان السليمانى

وانى الذى أضنيته وهجرته * فهل صلة أو عائد منك للذى

(وقول الآخر)

لا تهجروا من لا تعود هجركم * وهو الذى بلبان وصلكم غذى

اسكت يا آدر وكان الحباب آدر *وطاعته لجاريته زبراء حتى سئل عن ذلك فقال كيف لا أطيع من لى اليه كل يوم حاجة * وأتاه رجل فلطمه فقال لم لطمتنى قال جعل لى جعل على ان ألطم سيد بنى تميم قال لست بسيدهم وانما سيدهم حارثة بن قدامة فمضى الرجل اليه فلطمه فقطع يده فقال الناس انما قطع يده الاحنف * وأرسل اليه عمرو ابن الاهتم رجلا يكايده فقال ما كان مال أبيك ففطن له الاحنف فقال صرمة يقرى منها ضيفه ويكفى عياله ولم يكن أهتم سلاحا فهذا ما حفظ من سقطاته * وقريب منها انه خاط عند رجل ثوبا ثم تقاضاه دهرا فلما ضجر أخذ بيد ولده وجاء الى الخياط فقال اذا مت فادفع الثوب الى هذا ومن كلامه لا خير فى لذة تعقب ندما لن يفتقر من زهد اقبلوا عذر من اعتذر ما أقبح القطيعة بعد الصلة أنصف من نفسك قبل ان ينتصف منك لا تكونن على الاساءة أقوى منك على الاحسان اعلم أن لك من دنياك ما أصلحت به مثواك أنفق فى حق ولا تكونن خازنا لغيرك لا راحة لحسود ولا مروءة لكذوب عجبت لمن يتكبر وقد خرج من مخرج البول مرتين * وقال يوما

ورفعتم ومقداره بالابتدا * حاشا كم أن تقطعوا صلة الذى
ومن كلام أبى العلاء المعرى * فقرى اليك كفقر الذى الى الصلة وبيت الشعر الى القافية المتصلة (رجع) الى اعراب البيت تقرر أن ما اسم ناقص فى موضع جر (ألقى) فعل مضارع مرفوع لانه عارعن الناصب والجازم ولم يظهر الرفع فيه لانه معتل الطرف بالالف فالضمة مقدرة فى آخره وهو الصلة للاسم الناقص وهو ما والعائد محذوف تقديره ألقاه وهو فى موضع النصب لانه مفعول وهذه الجملة من الجار والمجرور والصلة والعائد فى موضع نصب على انها مفعول لاجله (ولج) فعل ماض كما تقدم فى نظيره و (الركب) فاعله و (فى عذلى) جار ومجرور فى موضع النصب لتعلقه بلج كأنه قال أسرع الركب فى عذلى أى أعجلوا (المعنى) هذا البيت كالذى تقدم قبله أخذ يعدد مشاقه ويكرر أصناف نكده حتى ان النوق تضج من تحته والابل ترفع أصواتها والرفاق يلومونه ويعذلونه على مواصلة الاسفار ومحاولة الاخطار وفى قوله وضج من لغب نضوى غنية عن أن يقول فيما بعده وعج لما ألقى ركابى لان المعنى واحد فكل منهما يغنى عن ذكر الآخر فان ضجيج النوق هو عج الركاب وقد عيب على أبى الطيب المتنبى فى قوله

وأنت بالامس كنت محتلما * شيخ معد وأنت أمردها

قال ابن وكيع فى اخباره أنه كان محتلما ما يغنى عن قوله وأنت أمردها أو يكتفى بقوله وأنت أمردها عن ذكر محتلم وليس هذا من الحشو الحسن بل هو كقول أبى الغيات الهذلى

ذكرت أخى فعاودنى * صداع الرأس والوصب

فذكر الرأس بعد الصداع حشو يستغنى عنه وكذلك قول ديك الجن

فتنفست فى البيت اذ مزجت * بالماء واستلت سنى اللهب
كتنفس الريحان خالطه * من ورد جور ناضر الشعب

فذكر الماء بعد المزج فضل يستغنى عنه والبيتان يكفى عنهما قول أبى نواس بلا حشو

فتنفست فى البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان فى الانف

اه كلامه (قلت) ومن تكرار الالفاظ الثقيلة قول أبى الطيب أيضا

ولم أر مثل جيرانى ومثلى * لمثلى عند مثلهم مقام

وكذا قوله

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا * قلاقل هم كلهن قلاقل

وكذا قوله

عظمت فلما لم تكلم مهابة * تواضعت وهو العظم عظما على عظم

ولو سمى هذا البيت جبانة لكان لائقا به كما قال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وقد ذكرت عنده قصيدة ابن الرومى التى أولها

أجنت لك الوجد أغصان وكثبان * فيهن نوعان تفاح ورمان

فقال هذه دار البطيخ فاقرؤا نسيبها تعلموا ذلك (قلت) وقد بالغ ابن الرومى فى غزلها وأكثر من ذكر العناب والبان والنرجس وما شاكل ذلك وكذا قول أبى الطيب أيضا

أسد فرائسها الاسود يقودها * أسد تصير له الاسود ثعالبا

ما رددت عن حاجة قط فقيل له ولم قال لانى لا أطلب المحال * وقال ما نازعنى أحد الا وأخذت فى أمره بثلاث ان كان فوقى عرفت له فضله وان كان دونى رفعت قدرى عنه وان كان مثلى تفضلت عليه * وقال له رجل دلنى على المروءة فقال عليك بالخلق الفسيح والكف عن القبيح ثم قال الا أدلك على أدوا الداء قال بلى قال اكتساب الذم بلا منفعة * وقال يوما كانت المودة محضا فليتها اليوم مذقا * ومن كلامه فى النظم وشعره قوله

ولو مد سروى بمال كثير
لجدت وكنت له باذلا
فان المروءة لا تستطاع
اذا لم يكن مالها فاضلا

وكان يجالسه رجل كثير الصمت فأعجب به الاحنف ثم تكلم يوما فقال يا أبا بحر تقدر تمشى على شرف المسجد فقال يا أخى انى كبرت ولا أقدر على ذلك ثم أنشد يقول

وكائن ترى من صامت لك معجب
زيادته أو نقصه فى التكلم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم

فرواها قوم له وقيل تمثل بها وهى لغيره فانها أرفع طبقة من شعره * ومات بالكوفة سنة تسع وستين .

قال ابن رشيق ما أدرى كيف تخاص من هذه الغابة المملوءة أسودا وقال الاصمعى لمن أنشده

فالنوى جذ النوى قطع النوى * كذاك النوى قطاعة لوصال

لوسلط الله على هذا البيت شاة لا كلت هذا النوى كله وأما قول أبى نواس

أقنا بها يوما ويوما وثالثا * ويوما له يوم الترحل خامس

فقال ابن الاثير فى المثل السائر مراده من ذلك انهم أقاموا أربعة أيام ويا عجبا له يأتى بمثل هذا البيت السخيف على الى الفاحش (قلت) أبو نواس أجل قدرا من ان يأتى بهذه العبارة لغير معنى طائل وهوله فى مثل هذا مقاصد جليلة يراعيها ومذاهب يسلكها ألا ترى الى ما حكى عنه من انه ذكر عند الرشيد قوله

فاسقنى البكر التى اعتجرت * بخمار الشيب فى الرحم

فقال الرشيد لمن حضر ما معناه فقال أحدهم ان الخمر اذا كانت فى دنها كان عليها شئ مثل الزبد فهو الشيب الذى أراده وكان الاصمعى حاضرا فقال يا أمير المؤمنين ان أبا على أجل خطرا وان معانيه لخفية فاسألوه عن ذلك فأحضر وسئل فقال ان الكرم أول ما يخرج العنقود فى الزرجون يكون عليه شئ يشبه القطن فقال الاصمعى ألم أقل لكم ان أبا نواس أدق نظرا مما قلتم اه وأما معنى البيت الاول فان المفهوم منه ان المقام سبعة أيام لانه قال وثالثا ويوما أى آخره اليوم الذى رحلنا فيه خامس وابن الاثير لو امعن الفكر فى هذا ربما كان يظهر له وأما قول أبى الطيب

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابـ * ـن العارض الهتن ابن العارض الهتن

فقد عده بعضهم من التكرار الذى لا فائدة فيه وليس كذلك بل هو من باب قوله صلى الله عليه وسلم ذلك الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم وأما ابن الاثير فانه عاب ألفاظ البيت من حيث هى واستثقل لفظ العارض والهتن قال ولو قال بدل العارض السحاب أو ما يجرى مجراها لكان أرشق (قلت) ليس ذلك بشئ ولفظ العارض والهتن فصيح عذب فى السمع وأما ابن وكيع فانه قال لولا انتهاء القافية لمضى فى العارض الهتن الى آدم عليه السلام وبانتهاء القافية أعلمنا ان نهاية عدد آبائه المستحقين للمدح ثلاثة ثم يقف هذا الامر قال وأحسن من هذا قول البحترى

الفاعلون اذا الذنا بجودهم * ما يفعل الغيث فى شؤبوبه الهتن

فجاء بالمعنى عاما بغير عدد يتردد ولا لفظ مستبرد فهو أرجح كلاما وأحسن نظاما قال وما أشبه برد بيت أبى الطيب ببيت قاله امرؤ القيس

ألا اننى بال على جمل بالى * يقود بنا بال ويتبعنا بالى

اه كلام ابن وكيع (قلت) كذا ذكره فى التنصيف وقد أخطأ فى هذا الكلام من عدة وجوه أولها انه قال لولا انتهاء القافية لمضى الى آدم ولو قال لولا انتهاء الوزن لكان أكثر تحقيقا لان القافية حصلت فى ربع البيت من أول ذكر الهتن وهذا كلام سبقه اليه عبد الملك بن مروان وقد أنشد قول دريد بن الصمة

قتلنا بعبد الله خير لداته * ذئاب بن أسماء بن زيد بن قارب

وقال لولا القافية لوصل به الى آدم وثانيها انه قال أعلمنا ان عدد آبائه الممدوحين ثلاثة كذا

وخرج مصعب بن الزبير فى جنازته ماشيا بغير ازار وهو أول أمير فعل ذلك فى جنازة كبير ولما وضع فى قبره قامت امرأته فقالت لله درك من مدرج فى كفن نسأل الله الذى ابتلانا بفقدك ان يوسع لحدك ويكون لك يوم حشرك أما والذى كنت من أمره الى مدة لقد عشت حميدا مودودا ومت شهيدا مفقودا ولقد كنت من الناس قريبا وفى الناس غريبا رحمنا الله واياك فى الدنيا والآخرة وتوفانا بعدك مسلمين

(وحاتم اغا جاد بوفرك ولقى الاضياف ببشرك)

هو حاتم بن عبد الله بن سعد الطائى وكنيته أبو سفانة وأبو عدى * وأجواد العرب فى الجاهلية ثلاثة حاتم الطائى وهرم بن سنان وكعب بن مامة وحاتم أشهرهم ذكرا أدرك مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومات قبل مبعثه * وحكى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال يوما سبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس فى خير عجبا لرجل يجيئه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا فلو كان لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا لكان ينبغى له أن يسارع الى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح فقام اليه رجل فقال

قال والبيت يشتمل على أربعة اعداد ضرورة الوزن وأيضا فلا يلزم في المديح أن يؤتى بجميع
الآباء في الذكر ويكفي من مدح أصيلا ان يقول أنت كريم وو الدك وو الده وقد مدح الشعراء
بالنسب القصير قال أبو العلاء المعري يرثي الشريف الطاهر الموسوي أبا الشريف الرضي

أنتم ذوو النسب القصير فطولكم * باد على الكبراء والاشراف
والراح ان قيل ابنة العنب اكتفت * بأب عن الاسماء والاوصاف

أراد بهذا ما حكاه الفرزدق قال خرجت من البصرة أريد العمرة فرأيت عسكرا في البرية فقلت
عسكر من هذا قالوا عسكر الحسين بن علي قال فقلت لاقضين حق رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيه فأتيته فسلمت عليه فقال من الرجل فقلت الفرزدق بن غالب فقال هذا نسب قصير
فقلت أنت أقصر مني نسبا أنت ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أحسن قول الامير
حظي الدولة أبي المناقب عبد الباقي

لا تعذلنه بآباء له كرموا * وأحرزوا الامد الاقصى أبا فأبا
فالراح قد أكثر المداح وصفهم * لها ولم يذكروا مع وصفها العنبا

وثالثها انه مثل بيت البحتري وليس من الباب الذي حاوله ولفظة الفاعلون وشؤبوبه ثقيلتان
على السمع ورابعها انه شبهه ببرد بيت أمرئ القيس وليس منه وانما الجامع بينهما التكرار ولم
يكن بيت أبي الطيب في برد ذلك وقد تبع ابن النبيه أبا الطيب فقال

الطاهر النسب ابن الطاهر النسب ابـ * ـن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب

ومما يتعلق ببيت أبي الطيب ان الالف تثبت في ابن في سائر البيت لانه لم يقع بين علمين وقد
تعنت الناس على الشعراء وشاحوهم كثيرا في الالفاظ والمعاني الا ترى الى قول الحاجري

وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

لما سمعه الناصر بن العزيز قال عسى ان هذا الخد كان مسلخا وقال علي بن ظافر في قول أبي عامر
ابن شهيد في قصيدته

طاردتهن بفتية * صبر على حرب المسالم
فكأنني فيهم لقيـ * ـط قاد من آساد دارم

غفل عن نفسه اذ شبهها بولد زنا قواد وان كان قصد لقيط بن زرارة الدارمي وقود الفرسان وقال
في قول ابن شهيد أيضا من هذه القصيدة

ذكر على ذكر يصو * ل وصارم يسطو بصارم

قد غفل أبو عامر عن نفسه غفلة شديدة في قوله على ذكر وأساء من حيث ظن انه أحسن ولا زلنا
نستحسن الحكاية المروية عن المخنث الذي أنشد أبو بكر الخالدي بحضرته قصيدته في سيف
الدولة وقد تأنق في معانيها ورونق ألفاظها ومكن قوافيها فكان من جملتها قوله

وأنكرت شيبة في الرأس واحدة * فعاد يسخطها ما كان يرضيها

فقال له المخنث أما تستحي تخاطب الامير بان تقول له في الرأس واحدة فخجل الخالدي
والحاضرون تعجبا فقال له الخالدي فما أقول قال قل لا لحية أو واضحة وكذا لم أزل أعجب من
قول مهيار الديلمي على جلالة قدره واتقاد خاطره وحسن تخيله

وانك مذخور لاحياء دولة * اذا هي ماتت كان في يدك النشر

وكيف

يا أمير المؤمنين أسمعته من
النبي صلى الله عليه وسلم قال
نعم لما أتي بسبايا طيئ وقفت
جارية عيطاء لعساء فلما رأيتها
أعجبت بها وقلت لاطلبنها
من النبي صلى الله عليه وسلم
فلما تكلمت أنسيت جمالها
بفصاحتها فقالت يا محمد ان
رأيت أن تخلي عني ولا تشمت
بي أحياء العرب فاني ابنة
سيد قومي وان أبي كان يفك
العاني ويشبع الجائع ويكسو
العاري ولم يرد طالب حاجة
قط أنا ابنة حاتم الطائي فقال
النبي صلى الله عليه وسلم
يا جارية هذه صفة المؤمن ولو
كان أبوك مسلما لترحمنا
عليه خلوا عنها فان أباها كان
يحب مكارم الاخلاق * وقال
عدي بن حاتم قلت للنبي صلى
الله عليه وسلم ان أبي كان
يطعم المساكين ويعتق الرقاب
ويصل الرحم فهل له في ذلك
أجر قال ان أباك رام أمرا فأدركه
يعني الذكر * وأول ما ظهر من
جود حاتم أن أباه خلفه في
ابله وهو غلام فمر به جماعة
من الشعراء فيهم عبيد بن
الابرص وبشر بن أبي حازم
والنابغة الذبياني يريدون
النعمان فقالوا لحاتم هل من
قرى ولم يعرفهم فقال تسألوني
القرى وقد رأيتم الابل والغنم
انزلوا فنزلوا فنحر لكل واحد
منهم وسألهم عن أسمائهم
فأخبروه ففرق فيهم الابل

وكيف يتفاءل لممدوحه بان تنشر يده وكذلك قوله يتغزل

في صدرها حجر وتحت صدارها * ماء يشف وبانة تتعطف

فقوله في صدرها حجر من أبشع لفظ لما فيه من ايهام الدعاء وقد لحنه أبو القاسم الصيرفي في قوله النشر وقال انه استعمله مكان الانشار الذي هو الاحياء وهو خطأ من أبي القاسم فقد ورد النشر بمعنى الانشار وورد الفعل ثلاثيا ورباعيا نشر الميت وأنشره وقد قرئ في السبع أيضا وانظر الى العظام كيف ننشرها وكذلك أعجب من أبي الفتوح بن قلاقس على أنه في الفضل شمس علاء وعطارد ذكاء في قوله

بطاقة أبدت بصفحة وجهه * وضح الصباح لمن له عينان

فيقال له كيف تجعل في وجه ممدوحك وضحا وهذا الباب انما يقع فيه كثيرا من وثق بذهنه وكبر مقدار علمه عند نفسه واعتمد على ما ينتجه خاطره من بنات فكره ويقرب من هذا وان كان دونه ما جرى لجرير لما أنشد عبد الملك بن مروان قوله * أتصحو أم فؤادك غير صاح * فقال عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة كانه استثقل هذه المواجهة وكذلك لما أنشده ذو الرمة * ما بال عينيك منها الماء ينسكب * وكان بعين عبد الملك مرض لا تزال عينه تدمع منه فقال له وما سؤالك عن هذا يا جاهل وأمر باخراجه وكذلك فعل ابنه هشام بابي النجم لما أنشده

صفراء قد كادت ولما تفعل * كانها في الافق عين الاحول

وكان هشام يعرف بالاحول فظن أنه انما عرض به فامر باخراجه وطرده وكذلك ما وقع لابي نواس لما هنأ جعفر بن يحيى بانتقاله الى قصر جديد بناه بقصيدة أولها

أربع البلى ان الخشوع لبادي * عليك واني لم أخنك ودادي

وختمها بقوله

سلام على الدنيا اذا ما فقدتم * بني برمك من رائحين وغادي

فتطير يحيى واشمأز وقال نعيت الينا أنفسنا وبعد أيام أوقع بهم الرشيد وقد قيل ان أبا نواس قصد التشاؤم لهم وكان في نفسه من جعفر وأنشد أبو تمام أبا دلف قصيدته التي أولها * على مثلها من أربع وملاعب * وفي المجلس رجل يشنؤه فقال لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وكانت في أبي تمام حبسة شديدة فانقطع خجلا وأنشد ابن مقاتل أحد شعراء الجبل الداعي الى الحق العلوي الثائر بطبرستان أبياتا في يوم المهرجان أولها

لا تقل بشرى ولكن بشريان * غرة الداعي ويوم المهرجان

فنفر منه وتطير به وقال غيره وأبدله بقولك * ان تقل بشرى فهذي بشريان * ولما أنشد الصاحب أبو القاسم بن عباد عضد الدولة قصيدته الملقبة باللاكنية لكثرة ما كرر فيها لكن وأولها

أشذب لكن بالمعالي أشذب * وأنسب لكن بالمفاخر أنسب

ولي صبوة لكن الى حضرة العلا * وبي ظما لكن من العز أشرب

فلما بلغ الى قوله منها

ضممت على أبناء تغلب تاءها * فتغلب ما كر الجديدان تغلب

قال عضد الدولة يكفي بالله تطيرا من قوله تغلب وروي ان شاعرا أنشد الشريف فخر الدولة

والغنم وجاء أبوه فقال ما فعلت قال طوقتك مجد الدهر تطويق الحمامة وعرفه فقال أبوه اذا لا أبالي * وحكي عن زوجته النوار قالت أصابتنا سنة اقشعرت لها الارض وضنت المراضع على أولادها فوالله اني لفي ليلة صنبرة بعيدة ما بين الطرفين اذ تضاغى أولادنا عبد الله وعدي وسفانة فقام الى الصبيين وقمت الى الصبية فوالله ما سكتوا الا بعد هدأة من الليل ثم ناموا ونمت أنا واياه فأقبل علي يعللني بالحديث فعرفت ما يريد فتناومت وما يأتيني نوم فقال ما لها انامت فسكت ثم تهورت النجوم اذا شيء قد رفع كسر البيت فقال ما هذا قالت جارتك فلانة قال ما لك قالت الشر أتيتك من عند صبية يتعاوون عوي الذئاب من الجوع قال أعجليهم فهببت اليه فقلت ماذا صنعت فوالله لقد تضاغى صبيتك من الجوع فما أصبت ما يعللهم فقال اسكتي وأقبلت المرأة تحمل اثنين ويمشي بجانبيها أربعة كانها نعامة حولها رئالها فقام الى فرسه جلاب فنحره وكشطا عن جلده ودفع المدية الى المرأة ثم قال ابعثي صبيانك فبعثتهم فاجتمعنا فقال تأكلون دون أهل الصوم ثم جعل يأتي بيتا بيتا ويقول دونكم النار

ابن أبي الحسن نقيب الطالبيين قصيدة يهنيه فيها بشهر رمضان وكان الشريف يتاذى بالصوم لمرض يجده فكان أولها * أيا منا بك كلها رمضان * فقال الشريف طوال والله مشؤمة مكروهة عندي منغصة على وحرمه ولم يعطه شيئا وروى أبو على حسن بن سعيد الكاتب المعروف بالسكر بل قال أنشد نى أبو المناقب عيدية فى الملك الافضل وأولها
* نهنيك كلا بل نهنى بك الدهرا * فقلت له الا بتداء هكذا مما يتطير به وذكرت له خبر ابن مقاتل فوافقني على ما قلته وغير الابتداء * فقال نهنيك والاولى نهنى بك الدهرا * ثم قال ابن ظافر أما أنا فانى صنعت بالشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة قصيدة فى الملك الافضل أبى الحسن على ابن الملك الناصر نور الله ضريحه أولها

دعها ولا تحبس زمام المقود * تطوى بايديها بساط الفدفد

وانشدتها لمن كان بالعسكر من اصحابنا المنتسبين الى الادب فامنهم الامن بذل جهده فى نقدها ورمى بافلاذ كبده فيها فكرته ثم جلتها الى حضرته فصادفت قبولا واتفق بعد ذلك ان أنشدتها الابن الاجل التكريتى فلما انشدته البيت الاول قال لى ما كان يؤمنك اذا اخذ مدرجها فى يده وفتحه فوجد أول ما فيها دعها أن يلقيها ويقول قد فعلت ألست كنت تفتضح قلت بلى والله ولكن قد وقى الله وهذا من غريب الانتقاد (قلت) قد نقلت كلام ابن ظافر من أوله الى آخره من خطه ولا تستطل أيها الواقف على هذا الفصل ما ذكرته فانه من فقه الادب ومثل هذه الاشياء ينبه طرف المتادب ويلتفت الى ما يجاوزه فى حالة غفلته اه (رجع القول الى بيت الطغرائى) أقول قد أخذ بيت الشريف الرضى برمته من قوله

واقد مررت على منازلهم * وديارهم بيد البلى نهب
ووقفت حتى ضج من لغب * نضوى ولج بعذلى الركب
وتلفتت عينى فذخفيت * عنى الطلول تلفت القلب

وما لاحد أحسن من هذه الاستعارة فى تلفت القلب ولا أرشق ولا أعذب وما أحسن قول أبى العلاء المعرى

الى كم تشكانى الى ركائبى * وتكثر عتبى خفية وجهارا
أسير بها تحت المنايا وفوقها * فتسقط فى شخص الحمام عثارا

وقول أبى تمام الطائى

يقول فى قومس قومى وقد أخذت * منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الجود

والناس يستحسنون هذا ويعدونه من النادر الجيد لابى تمام وقد أخذه بلفظه من مسلم بن الوليد واجترأ عليه اجتراء السادة على العبيد لان مسلما هو البادى وأبا تمام هو العادى قال مسلم بن الوليد

يقول صحبى وقد جدوا على عجل * والخيل تستن بالركبان فى اللجم
أمطلع الشمس تبغى ان تؤم بنا * فقلت كلا ولكن مطلع الكرم

وهذا فى غاية الحسن التى تكبو الفحول دون بلوغها ويعجز الشعراء عن الظفر بصوغها والتحلى بصوغها فان عين السها تطيل النظر الى رفعتها وتتأمل ومطايا التخيل تكل عن

فاجتمعوا فالتفع بثوبه ناحية ينظر اليهما فوالله ما ذاق منهما مزعة وانه لاحوجهم وأصبحنا وما على الارض الاعظم او حافر * وحكى ابن الاعرابى قال أسر حاتم فى عنزة فقالت له امرأة قم فافصد لنا هذه الناقة وكان الفصد عندهم ان يقطع عرق من عروق الناقة ثم يجمع الدم فيشوى ويؤكل فقام حاتم الى الناقة فعقرها فلطمته المرأة فقال لو غير ذات سوار لطمتنى فذهبت مثلا ثم قال له النسوة انما قلنا افصدها قال هذا فزدى يعنى انه فصدى وهى لغة طيئ * وحكى المدائنى قال أقبل ركب من بنى أسد ومن قيس يريدون النعمان فلقوا حاتما فقالوا تركنا قومنا يثنون عليك خيرا وقد أرسلوا اليك رسالة قال وما هى فانشده الاسديون شعر النابغة فيه فلما أنشدوه قالوا انا نستحيى أن نسألك شيأ وان لنا لحاجة قال وما هى قالوا صاحب لنا قد رحل يعنى فقد راحلته فقال حاتم خذوا فرسى هذه فاحملوه عليها فاخذوها وربطت الجارية فلوها بثوبها فأفلت يتبع أمه واتبعته الجارية فصاح حاتم ما تبعكم فهو لكم فذهبوا بالفرس والفلو والجارية * ولحاتم أخبار كثيرة وشهرة زائدة

النوص بعيثها فتحمل وما تحمل وقد أخذه أبو اسحق الغزى وسبكه فقال

تقول اذا احتششناها وظلت * تناجينا بألسنة الكلال
الى أفق الهلال مسير كي * فقلنا بل الى أفق النوال

(قلت) فأين معانى الشمس ممن يحاول وأين الثريا من يد المتناول ولكن هذه الاشياء تتفق فلا تعارض ولا تقارض (أخبرنى) الشيخ الامام الاديب الكامل القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود قال قلت للشيخ نجم الدين بن اسرائيل لأى شئ قصر قولك

لكدت تشبه برقا من ثغورهم * يا درد معى لولا الظلم والشنب

عن قول شهاب الدين بن الخيمى

يا بارقا بأعالى الرقتين بدا * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

فقال لانه شاعر جيد تناول المعنى بكرا فأجاد فيه ولم يدع فضلة لغيره ثم قال شهاب الدين محمود ما من شاعر فى الغالب الا وقد عارض الشريف الرضى فى قصيدته التى أولها

يا ظبية البان ترعى فى خمائله * ليهنك اليوم أن القلب مرعاك

ومنهم من رزق سعادته اه (قلت) والذين رزقوا السعادة فى أشياء لم يأت بعدهم من نالها جماعة كثيرة لا بأس بسردهم هنا وهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى النسب فانه كان فرد زمانه على بن أبى طالب رضى الله عنه فى القضاء أبو عبيدة رضى الله عنه فى الامانة أبو ذر رضى الله عنه فى صدق اللهجة أبى بن كعب رضى الله عنه فى القرآن زيد بن ثابت رضى الله عنه فى الفرائض ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير القرآن الحسن البصرى فى التذكير وهب بن منبه فى القصص ابن سيرين فى التعبير نافع فى القراءة أبو حنيفة فى الفقه قياسا ابن اسحق فى المغازى مقاتل فى التأويل الكلبى فى قصص القرآن ابن الكلبى الصغير فى النسب أبو الحسن المدائنى فى الاخبار أبو عبيدة فى الشعوبية محمد بن جرير الطبرى فى علوم الاثر الخليل فى العروض فضيل بن عياض فى العبادة مالك بن أنس فى العلم الشافعى فى فقه الحديث ابو عبيد فى الغريب على بن المدائنى فى علل الحديث يحيى بن معين فى الرجال أحمد بن حنبل فى السنة البخارى فى نقد الصحيح الجنيد فى التصوف محمد بن نصر المروزى فى الاختلاف الجبائى فى الاعتزال الاشعرى فى الكلام أبو القاسم الطبرانى فى العوالى عبد الرزاق فى ارتحال الناس اليه ابن منده فى سعة الرحلة أبو بكر الخطيب فى سرعة القراءة ابن حزم فى الظاهرية سيبويه فى النحو أبو الحسن البكرى فى الصدق اياس فى التفرس عبد الحميد فى الكتابة والرقا أبو مسلم الخراسانى فى علو الهمة والحزم الموصلى النديم فى الغناء أبو الفرج الاصبهانى فى حسن المحاضرة أبو معشر فى النجوم محمد بن زكريا الرازى فى الطب عمارة بن حمزة فى التيه الفضل بن يحيى فى الجود جعفر بن يحيى فى التوقيع ابن زيدون فى سعة العبارة ابن القرية فى البلاغة الجاحظ فى الادب والبيان الحريرى فى المقامات البديع الهمدانى فى الحفظ أبو نواس فى المجون والخلاعة ابن حجاج فى سخف الالفاظ المتنبى فى الحكم والامثال الزمخشرى فى تعاطى العربية النسفى فى الجدل جرير فى الهجاء الخبيث حماد الراوية فى شعر العرب معاوية فى الحلم المأمون فى حب العفو عمرو بن العاص فى الدهاء عطاء السلمى فى الخوف من الله

وكانت أمه أم عتب بنت عفيف امرأة موسرة لا تمسك شيأ وكان اخوتها ينهونها فتأبى فحجروا عليها سنة يطعمونها قوتها لعلها تكف عما تصنع ثم مكنوها من صرمة من ابلها وقالوا استمتعى بها فأتتها امرأة من هوازن فسألتها فقالت دونك الصرمة فقد والله ذقت من الفقر ما آليت أن لا أمنع سائلا شيأ * وحاتم من فحول الشعراء ومن محاسن شعره قوله رحمه الله ان شاء بكرمه

أعاذل ان المال غير مخلد
وان الغنى عارية فتزود
وكم من جواد يفسد اليوم جوده
وساوس قد ذكرنه الفقر فى غد
وكم ليم آبائى فما كف جودهم
ملام ومن أيديهم خلقت يدى

وقوله يخاطب امرأته

أماوى ان المال غاد ورائح
ويبقى من المال الاحاديث والذكر
أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى
اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر
أماوى ان يصبح صداى بقفرة
من الارض لا ماء لدى ولا خمر
ترى أن ما أهلكت لم يك ضرنى
وأن يدى مما بخلت به صفر

تعالى الوليد في شرب الخمر أبو موسى الاشعري في سلامة الباطن ابن البواب في الكتابة والخط القاضي الفاضل في الترسل العماد الكاتب في الجناس ابن الجوزي في الوعظ أشعب في الطمع أبو نصر الفارابي في نقل كلام القدماء ومعرفته وتفسيره حنين بن اسحق في ترجمة اليوناني الى العربي ثابت بن قرة الصابي في تهذيب مانقل من الرياضي الى العربي ابن سينا في الفلسفة وعلوم الاوائل الفخر الرازي في الاطلاع على العلوم السيف الآمدي في التحقيق والاصول النصير الطوسي في المجسطي ابن الهيثم في العلم الرياضي نجم الدين الكاتب في المنطق أبو العلاء المعري في الاطلاع على اللغة أبو العيناء في الاجوبة المسكتة مزيد في البخل القاضي أحمد بن أبي دواد في المروءة وحسن التقاضي ابن المعتز في التشبيه ابن الرومي في التطير الصولي في الشطرنج أبو حامد الغزالي في الجمع بين المعقول والمنقول ابن رشد في تلخيص كتب الاقدمين الفلسفية والطبية محيي الدين بن عربي في التصوف اهـ أقول وقصيدة ابن الخيمي البائية التي أولها

* يامطلبا ليس لي في غيره ارب * رويتها بقراءتي على الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس عن شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن الخيمي قال اجازة وفي غالب الظن سماعا منه (قلت) وقصته مع نجم الدين بن اسرائيل مشهورة وأنشدني لنفسه الشيخ شهاب الدين أبو الثناء محمود قصيدة بائية عارض بها ابن الخيمي وهي في غاية الحسن جاء منها في ذلك المعنى قوله

يابارق الثغر لولاحت ثغورهم * وشمت بارقها مافاتك الشنب

وقد جمعت ما اتفق لابن الخيمي وابن اسرائيل والشهاب محمود والعفيف التلمساني وصدر الدين بن الوكيل ولي أنا في معارضة هذه القصيدة وأودعته الجزء الاول من التذكرة التي جمعتها وجاء لي في معنى البيت المذكور قولي

يابرق لاتبتسم من ثغره عجبا * قدفات معناك منه الظلم والشنب

ولقائل ان يقول لنا أجمعين * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب * ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

ان تاه ثغر الاقاحي في تشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب

فقل له عندما تلقاه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(عاد القول الى ماينخرط في سلك بيت الطغرائي) وقد أحسن أبو العلاء المعري كل الاحسان حيث قال

مواصلة بها رحلي كأني * من الدنيا أريد بها انفصالا

سألن فقلت مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير لهن فالا

هذا مما يطالب لحاقه فتحمل الجواد قوائمه ويسبي له من كل حسن كرائمه ويفتح له في البديع نور والقلوب كمائمه ويحلي الاسماع من الدر بسمط لم يثقبه ناظمه وقد استعمل المعري الفال في شعره أيضا فقال

بدت حية قصري فقلت لصاحبي * حياة وشر بتسما زعم الفال

انما قال ذلك لان الحية موصوفة بالشر وطول العمر ولهذا سميت حية وقيل انها لاتموت حتف انفها مالم يعرض لها ما شدخ رأسها أو قطعه وقال الآخر

وقد علم الاقوام لو أن حاتما
أراد ثراء المال كان له وفر
واني لا آلو بمالي صنيعة
فاوله زاد وآخره ذخر
غنينا زمانا بالتصعلك والغنى
وكلا سقاناه بكاسيهما الدهر
فما زادنا بغيا على ذي قرابة
غنانا ولا أزرى باحسابنا الفقر
وقوله يصف طارقا
عراآ يساشبه الجنون ومابه
جنون ولكن كيد أمر يحاوله
فاثقبت ناري ثم أبرزت ضوءها
وأخرجت كلبي وهو في البيت داخله
وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا
رشدت ولم أقعد اليه أسائله
وقمت الى البزل الهجان أعدها
لوجبة حق نازل أنا فاعله
وقوله أيضا
حننت الى الاجبال أجبال طيئ
وحنت قلوصي أن رأت سوط أحمرا
واني لزجاء المطي على الوجي
وما أنا من خلانك ابنة عفزرا
فلا تسأليني واسألي أي فارس
اذا الخيل جالت في قنا قد تكسرا
فلا تسأليني واسألي بي صحابتي
اذا ما المطي في الفلاة تضورا
رأتني كاشلاء اللجام وان ترى
أخا الحرب الاساهم الوجه أغبرا

فهو كالاصل من بنات الافاعي * كلما طال عمره زاد شرا

ويعجبني قول ابن خفاجة الاندلسي من قصيدة يصف فيها الحية

وأزب يردمن حشاه مكرّع * خصر يسح وتلعة مخضال
ما بين خطى جدول لين كانما * بسطت يمين منهما وشمال
مثل الحباب بمخناه ذؤابة * خفاقة حيث الرياء كفال
ينساب ثاني معطفيه كانه * هيمان نشوان هناك مذال
أو ظل أسمر باللوى متأطر * عطفت جنوب متنه وشمال
لم أدر هل يزهو فيخطر نخوة * أم لاعبت اعطافه الجريال
فاذا استطار به النجاء فنيزك * واذا تهادى فالهلال هلال
زرت عليه حبيرة موشية * بقيت له أخت لها أسمال
حزق كما ينقد في يوم الوغى * عن لبتي مستلئم سربال
ألقى به منها هناك درعه * بطل وجود وشيه مختال
بيد الهجيرة منه سوط خافق * وبساق ليلة صرصر خلخال

وما أحسن قول القاضي محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر من جملة كتاب تروع للراعي والمراعي وتسمع منها السهام المنية فعاقبها كيش الافاعي من كل صل يفترس افتراس الضيغم وينملس انملاس الجدول المفعم تنقض انقضاض السهام وتروع رائيها في المنام ومن حتها يحم الحمام واذا انقبضت كانت للمنية عروة واذا انبسطت فهي للرزية حزام ما نابها بنوائبه ناب ولا لعابها في جده بالاتيان على النفوس بلعاب ذوات ألوان كالدنيا تروق وتروع وذات معاطف كالليالي والايام منذرة كالفخ للوقوع قد غدت للخيام أطنابا عوضا عن الاطناب ونابت عن العمد فيها شر مناب فلوشاهدها بقراط لم ير أن غيرها الموت من العلل الخبائث والاسباب كم تصبحت الاعين منها بأسود سالخ وكم غدا مهري بسمها مهريا من الحريق فهو في كوره لي لغة العوام نافخ ومن عجب انها تمشي على بطنها ولا تأكل من نهشته بنابها النائب عن سنها تحترس وتفترس وترى لعينها في الظلام نارا لا يجد عليها هدى طرف المقتبس كم غدت لبعير عقالا وكم اعتقل الموت منها للطاعنة رماحا طوالا وأرسل نبالا وفي كلام العوام مما يتحاجون به قولهم حية ميتة وقاعدة قائمة وجارية واقفة وبيضاء جراء ومسلم شماس وكثيرة قليلة ونقلت من خط السراج الوراق له في استعمال الفال

ومسائل عني يقو * ل وقد كفاه سوء حالي
كيف الزمان عليك قلـ * ـت على هذا منك فالي

ونقلت من خطه له أيضا يتقاضى عسلا من ابن العسال

قبل يد الشرف التي هي قبلة * أبدا لها تتوجه الآمال
واذكر له شوقا اليه يهزني * فكأنني متأود عسال
ولعل ذا فال جرى نطقي به * وأبوك يصدق في نداه الفال

وعلى ذكر الفال فقد حكي ان طاهر بن الحسين خرج لقتال عيسى بن ماهان وفي كمه دراهم يفرقها على الضعفاء ثم انه سها واسبل كمه فتبددت فتطير من ذلك فقام اليه شاعر وقال

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها
وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقوله أيضا

وعاذلتين هبتا بعد هجعة
تلومان متلافا مفيدا ملوما
لحا الله صعلوكا مناه وهمه
من العيش أن يلقى لبوسا ومطعما
ولله صعلوك يساور همه
ويمضي على الاحداث والهول مقدما
اذا ما رأى يوما مكارم اعرضت
تيمم كبراهن ثمت صمما

(وزيد بن مهلهل انمار كب بفخذيك)

هو زيد بن مهلهل بن زيد ان الطائي فارس مظفر بعيد الصيت أدرك الاسلام وأسلم وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير وهو شاعر مفلق معدود من الشعراء والفرسان وانما سمي زيد الخيل لكثرة خيله فانه لم يكن لكثير من العرب غير الفرس والفرسين وكانت له خيل كثيرة منها المسماة المعروفة التي ذكرها في شعره مثل الهطال والكامل ودول ولاحق وكان زيد الخيل عظيم الخلقة طويلا جدا ويسمى مقبل الظعن لانه كان يقبل المرأة من الارض وهي في الهودج وكذلك أبو زيد الطائي وابن جذل الطعان كما ذكره

هذا ابتدا جمعهم لاغيره * وذهابه منا ذهاب الهمم
شئ يكون الهم نصف حروفه * لاخير في امساكه في الكم

يقال ان ملوك مصر العبيديين قالوا في أول دولتهم لبعض العلماء بمصر اكتب لنا في ورقة ألقابا تصلح للخلفاء حتى اذا تولى منا أحد لقبناه بلقب منها فكتب لهم ألقابا كثيرة آخرها العاضد فاتفق ان آخر من ملك منهم العاضد وزالت في أيامه دولتهم على يد السلطان صلاح الدين * قال بعضهم حضرت مجلس كافور الاخشيدي وقد دخل رجل فدعا له وقال في دعائه أدام الله أيام مولانا وكسر الميم من أيام فتحدث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه فقام رجل من وسط الناس وأنشد مرتجلا

لاغروان لحن الداعي لسيدنا * أوغص من دهش بالريق أو بهر
فتلك هيبته حالت جلالتها * بين الاديب وبين الفتح بالحصر
وان يكن خفض الايام من غلط * في موضع النصب لاعن قلة النظر
فقد تفاءلت من هذا لسيدنا * والفال نؤثره عن سيد البشر
بأن أيامه خفض بلا نصب * وأن أوقاته صفو بلا كدر

يقال انه أقبل رجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال ما اسمك قال شهاب بن حرقة قال ممن قال من أهل حرة النار قال وأين مسكنك قال بذات لظى فقال أدرك أهلك فقد احترقوا رواه مالك في الموطأ فكان كما قال عمر رضي الله عنه ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نزل برجل من الانصار فنادى الرجل بغلمانه ياسالم يايسار فقال صلى الله عليه وسلم سلمت لنا الدار في يسر (وحكي) ان بعض العرب مر على قوم فقال لاحدهم ما اسمك قال منيع وسأل آخر فقال شديد وسأل آخر فقال وثيق وسأل آخر فقال ثابت فقال ما أظن الاقفال وضعت الا من أسمائكم (وسأل) بعض العرب رجلا عن اسمه فقال بحر فقال ابن من قال ابن فياض قال فكنيتك قال أبو الندى فقال لا ينبغي لاحد أن يلقاك الا في فلك أو سفينة وجاء اثنان الى بعض الشهود ليكتب لهما حجة بدين على احدهما فقال له ما اسمك قال رحال قال ابن من قال ابن سابق قال ابن من قال ابن مسافر فقال له يا أخي بالله لا تعامل هذا في شئ فما أظنه الا يطير اذا فارقك ولا تظفر به وقال أبو العلاء المعري

وقد سماه سيده عليا * وذلك من علو القدر فال

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب

في رتبة حجب الورى عن نيلها * وعلا فسموه على الحاجب

(وقال) ابن الرومي

كأن أباه حين سماه صاعدا * رأى كيف يرقى للمعالي ويصعد

لما سمع البحتري هذا قال أخذه من قولي

سماه أسرته العلاء وانما * قصدوا بذلك أن يتم علاه

(وقال آخر)

شم الانوف لذاك قد سموا بها * ومن المسمى تؤخذ الاسماء

وقال ابن سوار في القاضي ابن حمدان

من

الرواة (وحكي) أبو عمرو الشيباني قال وفد زيد الخيل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زر بن سدوس وغيره من طيئ فاناخوا ركابهم بباب المسجد ودخلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس فلما رآهم قال اني خير لكم من العزى وعما حازت مناع من كل ضار غير نفاع ومن الجمل الاسود الذي تعبدونه من دون الله فقام زيد الخيل وكان من أتم الرجال يركب الفرس ورجلاه تخط في الارض كأنه على حمار فقال أشهد أن لا اله الا الله واشهد أنك رسول الله فقال ومن أنت قال زيد الخيل بن المهلهل قال بل أنت زيد الخير ثم قال الحمد لله الذي جاء بك من سهلك وجبلك ورقق قلبك على الاسلام يا زيد ما وصف لي رجل فرأيته الا كان دون ما وصف الا أنت فانك فوق ما قيل فيك وفي رواية أخرى ان فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله الاناة والحلم فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أي رجل ان سلم من آطام المدينة فاخذته الحمى فمكث سبعا ثم اشتدت به الحمى فخرج وقال لاصحابه جنبوني بلاد قيس فقد كانت بيننا حماسات في الجاهلية ولا والله لا أقاتل مسلما حتى

من معشر جدوا فأجد سعيهم * ولذاك قد سعوا بنى حمدان

وقال البحترى

سماه سعد التفاؤل باسمه * حقا لقد ألفاه سعد الذابحا

كان شهاب الدين القوصى يوما عند الملك الاشرف وقد دخل اليه سعد الدين الحكيم وكانت بينهما وحشة فقال الاشرف ما تقول يا شهاب الدين فى سعد الدين فقال يا خوند اذا كان عندك فهو سعد السعود وعلى السماط سعد بلع وفى الخيام عن الضيوف سعد الاخبية وعند المرضى سعد الذابح * حدثنى الشيخ المولى القاضى علاء الدين على بن غانم قال عتبنى يوما القاضى شهاب الدين محمود وقال قد بلغنى أن جماعة ديوان الانشاء يذموننى وأنت حاضر ما تردغيبتى فكتبت اليه

ومن قال ان القوم ذموك كاذب * وما منك الا الفضل والجود والجود

وما أحد الا لفضلك حامد * وهل عيب بين الناس أو ذم محمود

فكتب الى أبياتا منها

علمت بانى لم أذم بمجلس * وفيه كريم القوم مثلك موجود

ولست أزكى النفس اذ ليس نافعى * اذا ذم منى الفعل والاسم محمود

وما يكره الانسان من أكل لحمه * وقد آن أن يبلى ويأكله الدود

فلم يبق بعد ذلك الا أيا ما قلائل وتوفى رحمه الله وأكله الدود (رجع القول) الى بيتى المعرى اللذين فيهما * فكان اسم الامير لحن فالا * أخذ هذا المخلص من قول أبى تمام الطائى

اذا بعثت على أمل بعيد * فقد قربت من الامل البعيد

أبين فايزرن سوى كريم * وحسبك أن يزرن أبا سعيد

ومن حسن التخلص قول أبى الطيب

نودعهم والبين فينا كأنه * قنا ابن أبى الهيجاء فى قلب فيلق

وقال على بن الجهم

وليلة كحلت بالنقس مقلتها * ألقت قناع الدجى فى كل اخدود

قد كاد يغرقنى أمواج ظلمتها * لولا اقتباسى سنى من وجه داود

وقال يذكر سحابة

أتتنا بها ريح الصبا فكأنها * فتاة تزجيها عجوز تقودها

فما برحت بغداد حتى تفجرت * بأودية ما تستفيق مدودها

فلما قضت حق العراق وأهله * أتاها من الريح الشمال بريدها

فمرت تفوت الطرف سعيا كأنها * جنود عبيد الله ولت بنودها

يريد انصراف عبيد الله بن خاقان عن الجعفرى الى سر من رأى عند قتل المتوكل وقال ديك الجن

وعزيز يقضى بحكمين فى الرا * ح بجور وفى الهوى بمحال

للنقا ردفه وللخوط ما حمل لينا وجيده للغزال

فعلت مقلتاه بالصب ما تفعـ * ـل جدوى يديك بالاموال

ألقى الله عز وجل فنزل بماء لجرم يقال له فردة واشتدت به الحمى فقال

أمرتحل صحبى المشارق غدوة * وأترك فى بيت بفردة منجد

فليت اللواتى عدننى لم يعدننى * وليت اللواتى غبن عنى عودى

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب معه لبنى نبهان كتابا بفدك فمكث زيد الخيل بفردة سبعا ثم مات فاقام عليه قبيصة بن الاسود النياحة سبعا ثم بعث راحلته ورحله وفيه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظرت امرأته وكانت على الشرك الى الراحلة وليس عليها زيد ضربتها بالنار فاحترق الكتاب فيما احترق فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربها الراحلة بالنار واحتراق الكتاب قال ويل لبنى نبهان (وحكى) الشيبانى عن شيخ من بنى عامر قال أصابتنا سنة ذهبت بالاموال فخرج رجل من القوم بعياله حتى أنزلهم الحيرة فقال لهم كونوا قريبا من الملك ليصيبكم من خيره حتى أرجع اليكم وآلى ألية لا يرجع حتى يكسبهم خيرا فتزود زادا ثم مشى سبعة أيام حتى انتهى الى عطن ابل مع تطفل الشمس فاذا خباء عظيم وفيه قبة من أدم قال فقلت فى نفسى ما لهذا

وقال البحتري

كأن سناها بالعشي وصبحها * تبسم عيسى حين يلفظ بالوعد

وقال محمد بن هانئ المغربي

كأن لواء الشمس غرة جعفر * رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا

وقال ابن الساعاتي

كم وقفنا فيها مع الغيث مثليـ * ـن جفونا وكافة وغماما
أتحفتـه ظبا البروق جراحا * منهرات سالت عليه ركاما
فكأن الغمام نقع وقد جرد فيه الملك العزيز حساما

وقال أيضا

منعت ظباء المنحنى بأسوده * وأشد ما أشكوه فتك ظبائه
فعلت بنا وهي الصديق لحاظها * كظبا صلاح الدين في أعدائه

وقال أيضا

أبكي العقيق بمثله وتهب أنـ * ـفاس الغضا بضرامه المتسعر
وجدي وان كنت الذليل بمثله * وجد العزيز بكل لدن أسمر

وقال ابن سناء الملك

لا يرجع الكلف الذليل عن الهوى * أو يرجع الملك العزيز عن الندى

والاول أكمل وأحسن وقال أيضا

فالوجد لي وحدي دون الورى * والملك لله وللظاهر

وما أحسن قول أبي الحسين الجزار يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة

وكم ليلة قد بتها معسرا ولي * بزخرف آمالي كنوز من اليسر
أقول لقلبي كلما اشتقت للغنى * اذا جاء نصر الله تبت يد الفقر

قلت انظر الى هذا الشاعر كيف تخلص ووثب الى المديح وما تربص وصدق نظمه في الحسن وما تخرص فاحذ على مثاله ان كنت تحذو واغتذ بلبان بيانه ان كنت تغذو (وقال) أيضا يمدح جمال الدين موسى بن يغمور

جسرت على لثم الشقيق بخدها * ورشف رضاب لم أزل منه في سكر
ولست أخاف السحر من لحظاتها * لاني بموسى قد أمنت من السحر

(وقال) النفيس القطرسي يمدح شجاع الدين جلدك

يا قلب من لانت معا * طفه علينا ما أشدك
أتظنني جلد الهوى * أو أن لي عزمات جلدك

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماة يمدح سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

غصن نقا حل عقد صبري * بلين خصر يكاد يعقد
فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

قلت انظر الى حسن هذا التخلص ولطفه وجني البيان وقطفه مع ما فيه من التورية الحسنة والبلاغة التي تبيت لها الجفون وسنة أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن

الخباء يدمن أهل وما لهذا العطن يدمن ابل فنظرت في الخباء فاذا شيخ قد اختلفت ترقوتاه كأنه نسر فجلست خلفه مختفيا فلما وجبت الشمس اذا بفارس قد أقبل لم أر قط فارسا أعظم منه ولا أجسم على فرس مشرف ومعه عبدان يمشيان جنبيه واذا مائة من الابل مع فحلها فبرك الفحل وبركن معه وحوله فقال لاحد عبديه احلب فلانة ثم اسق الشيخ فحلب في عس حتى ملأه ثم وضعه بين يدي الشيخ وتنحى فكرع الشيخ منه مرة أو مرتين ثم نزع فثرت اليه مختفيا فشربته فرجع العبد فقال يا مولاي قد أتى على آخر العس ففرح وقال له احلب فلانة فحلبها ثم وضع العس بين يدي الشيخ فكرع منه واحدة ثم نزع فثرت اليه فشربت نصفه وكرهت أن آتي على آخره فجاء العبد فأخذه ثم أمر مولاه بشاة فذبحها وشوى للشيخ منها ثم أكل هو وعبداه فأمهلت حتى اذا ناموا وسمعت الغطيط ثرت الى الفحل فحللت عقاله فاندفع وتبعته الابل فهمست ليلتي حتى الصباح فلما علا النهار اذا أنا بفارس قد أقبل واذا هو صاحبي فعقلت الفحل ونثلت كنانتي

نباتة رحمه الله يمدح الملك المؤيد صاحب حماة

كيف الخلاص لمطوى على شجن * وقد تمالت عليه أعين سحره
تغزو لواحظه فى المسلمين كما * تغزو سيوف عماد الدين فى الكفره

وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ أبو الفتح محمد بن سيد الناس قال أنشدنى لنفسه الشيخ العلامة تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى

كم ليلة فيك وصلنا السرى * لا نعرف الغمض ولا نستريح
واختلف الاصحاب ماذا الذى * يزيل من شكواهم أو يريح
فقيل لى تعريسهم ساعة * وقلت بل ذكراك وهو الصحيح

قلت انظر الى هذا النظم ما ألطف تركيب ألفاظه وأحلاه وكونه استعمل طريق الفقهاء فى البحث فى ذكر اختلاف الاصحاب وأنه قيل كذا وقيل كذا وقلت كذا وهو الصحيح كانه امام الحرمين وقد ألقى درسا فى مسئلة فيها خلاف بين الاصحاب وقد رجح ما رآه هو وعنده من الدليل وما رأيت أحسن من هذا بينما هو يصف أحوالهم فى السرى ومشاقهم فى التعب وتشاورهم فيما بينهم وما أشار به كل منهم فى ازالة ما حصل لهم من العناء اذا به قد برز من بينهم برأى أدخل فيه ذكر الممدوح ونص على تصحيحه فكانه فى حلقة الدرس وقد شرع فى مسئلة خلافية ويحرم هذا النظم على غير الشيخ تقى الدين

فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

وما أحقه لو أنشد قول الارجانى

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع * فى العصر لا بل أفقه الشعراء

وليس هو كما قال الآخر فى بعض الناس

هو فى الفقه شاعر لا يبارى * وهو فى الشعر أوحد الفقهاء
لا الى هؤلاء ان طلبوه * وجدوه ولا الى هؤلاء

والارجانى فيما تقدم أخذ قوله من قولهم كلام الملوك ملوك الكلام وأنشدنى لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود اجازة ما كتبه لصاحب اليمن جوابا عن هدية وردت منه قرين كتاب

أتانى كتابك والمكرمات * تسير لديه مسير السحب
لئن جاء فى موكب من نداك * فكتب الملوك ملوك الكتب

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

وليلة بتها من ثغر حبى * ومن كاسى الى فلق الصباح
أقبل أقحوانا من شقيق * وأشربها شقيقا من أقاح

ومن كلام الناس كتب الاحباب أحباب الكتب والعلم المشهور فى هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم جار الدار أحق بدار الجار ولما قصد أبو تمام عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان وامتدحه بقصيدة أولها * أهن عوادى يوسف أم صواحبه * أنكر عليه أبو سعيد الضرير وأبو العميثل هذا الابتداء وقالا له لم لا تقول ما يفهم فقال لهما لم لا تفهمان ما يقال فاستحسن منه هذا الجواب على الفور (يقال) انه عرض على القاضى الفاضل رقعة باسم مؤذنين

ووقفت بينها وبين الابل فوقف بعيدا وقال احلل عقاله فقلت كلا لقد تركت نسيات بالحيرة وآليت أن لا أرجع اليهن حتى أفيدهن خيرا أو أموت قال فانك ميت حل عقاله لا أبالك فقلت هو ما أقول لك انك لمغرور ثم قال انصب لى خطامه وفيه ثلاث عجر ففعلت فقال أين تحب أن أضع سهمى فقلت فى هذا الموضع فكأنما وضعه بيده ثم رمى الثلاثة صائبا فرددت نبلى ووقفت مستسلما فدنا منى فأخذ السيف والقوس ثم قال اركب وعرف أنى الذى شربت اللبن عنده فقال كيف ظنك بى قلت أحسن ظن قال وكيف قلت لما لقيت من تعب ليلتك وقد أظفرك الله بى فقال أترانى كنت أهيجك وقد بت تنادم مهلهلا قلت أزيد الخيل أنت قال نعم فقلت كن خير آخذ قال لا بأس عليك ومضى بى الى موضعه ثم قال أما لو كانت هذه الابل لى لسلمتها لك ولكنها لابنة مهلهل فأقم على فانى على شرف غارة فأقمت أياما ثم غار على بنى نمير بالملح فأصاب ابلا فأعطانيها وبعث معى خفيرا من ماء الى ماء حتى وردت الحيرة (وحكى) الاصمعى قال أسر

يستخدمان اسم أحدهما مرتضى والآخر زيادة فوقع على رأسها أما زيادة فرتضى وأما مرتضى فزيادة فاستخدم زيادة وصرف مرتضى وهذا في غاية الحسن وهو من لطف القاضي الفاضل وما أحسن قول شمس الدين محمد بن التلمساني ومن خطه نقلت

يا بأبي معاطف وأعين * يصول منها رامح ونابل
فهذه ذوابل نواضر * وهذه نواظر ذوابل

هذا من أعلى طبقات هذا النوع لانه رد العجز على الصدر بالفاظه مع اختلاف المعنى وقلت أنا في مثل هذا النوع

اضاع نسكي عذار مسكي * فكيف تركي لحاظ تركي
قد شك قلبي برمح قد * قد فؤادي بغير شك

وقلت في النوع الاول أيضا

قد فاق غصن النقا حبيبي * واخجل البدر في التمام
ذاك قوام بلا محيا * وذا محيا بلا قوام

وكان نجم الدين بن اسرائيل يقول أنا شاعر الفقراء بل وفقير الشعراء (وقال) بعضهم في صاحب الشذور هو اما شاعر الحكماء أو حكيم الشعراء (وقال آخر) من رد الاعجاز على الصدور قبور الاحياء أحياء القبور (رجع القول) الى أبيات الشيخ تقي الدين رحمه الله وقد أخذ الشيخ كلامه من قول ذي الرمة

ونشوان من طول النعاس كأنه * بحبلين من مشطونة يترجج
اذا مات فوق الرحل أحييت روحه * بذكرك والعيس المراسيل جنح

ولكنه أخذه جسدا فاو غاذ اده روحا وأوحى الى الاسماع أطيب ما يوحى ولابي نواس شئ من هذا المذهب في الشعر يذكر البحث والجدل في قوله

فاخرت كل شراب فسمت * رتبة ليس يضاهيها شراب
لا تماريك على تحريمها * ان نقل ما حرمت طال الخطاب
حرمت ما حرمت بل حرمت * جاء في التنزيل نهي واجتناب
قال هل أنتم فقلنا نحن لا * وسكتنا كلنا واستدباب

كان يقال أبو نواس فقيه غلب عليه الشعر والشافعي شاعر غلب عليه الفقه والشافعي والخليل ابن أحمد وأبو بكر بن دريد معدودون من العلماء الشعراء ومن شعر الشيخ تقي الدين ما أنشدنيه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين بن سيد الناس قال أنشدني شيخنا تقي الدين لنفسه

قالوا فلان عالم فاضل * فأكرموه مثل ما يرتضى
فقلت لما لم يكن ذا تقى * تعارض المانع والمقتضى

وكل من عانى النظم وغلب عليه فن من الفنون مال به الى ذلك الفن وغلبت عليه قواعده واستعملها في مقاصده الشعرية وتخيلات معانيه وظهر على ما يرومه اصطلاح ذلك الفن وأحكامه ألا ترى الى أبي الفتح البستي ومقاطيعه المشهورة في الآداب والحكم كيف يغلب عليها ألفاظ المنجمين (حكي) أن بعض الاطباء كان في خدمة بعض الملوك في غزوة لم يكن معه وقت النصرة كاتب ترسل فأمر الطبيب أن يكتب للوزير يعلمه بذلك فكتب أما بعد فانا قد

زيد الخيل الحطيئة الشاعر وكعب بن زهير في حرب فاما كعب ففداه قومه وأما الحطيئة الشاعر فشكا الحاجة فقال زيد

أقول لعبدي جرول اذ أسرته
أثبني ولا يغررك أنك شاعر

فقال الحطيئة

ان لا يكن مالي بآت فانني
سيأتي ثنائي زيد بن مهلهل
فما نلتنا غدرا ولكن لقيتنا
غداة التقينا في المضيق بأخيل
تفادى حماة الخيل من وقع رمحه
تفادي ضعاف الطير من وقع اجدل

فرضي عليه زيد ومن عليه فلما رجع الحطيئة الى قومه قام شاكرا لزيد ذاكرا لنعمته فلما أسرت طيئ بني بدر طلبت فزارة الى شعراء العرب أن تهجو بني لام وزيدا فتحامتهم الشعراء فصاروا الى الحطيئة فأبى عليهم فقالوا نجعل لك مائة من الابل فقال لو جعلتموها ألفا ما فعلت ثم قال

كيف الهجاء وما تنفك صالحة
من آل لام بظهر الغيب تأتيني

ومن شعر زيد الخيل قوله

كنامع العدو فى حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت مبضعا لما وقع الا على قيفال فلم يكن الا كنبضة أو نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم فهلك الجميع بسعادتك يا معتدل المزاج (قلت) ما رأيت أحسن من هذا ولا أوجز ولا أبلغ ولا أحسن ضرب مثل ولا أحسن تشبيها وهو فى غاية الفصاحة ولما أنكر على القرش النقاش بسبب لوح البريد الذى نقشه لعز الدولة وطلب طلبا مزعجا اختفى مدة ثم كتب الى القاضى علاء الدين بن عبد الظاهر رقعة فيها يقبل الارض وينهى ان له ثلث سنة محقق وهو مختف فى حواشى البيت خوفا من الاشعار فان المملوك يخشى الرقاع من صاحب الطومار والمملوك يسأل نسخ هذه القضية بحيث لا يقع عليه غبار فانه والله ما يحمل عود ريحان فأعجبه ذلك ولم يزل يتلطف له عند سلار والجاشنكير الى أن خمدت قضيته وسكنت (قلت) الكل مناسب الا قوله الاشعار فانه فى الاصل بفتح الهمزة لانه الذى يكتب الاشعار والقرش رحمه الله استعمله مكسور الهمزة مصدر أشعر به اشعارا ولكنه لحن خفى خفيف على القلب والسمع ※ وقريب من هذا قول من كان يعرف الرياضى حين احتضر اللهم يا من يعلم قطر الدائرة ونهاية العدد والجذر الاصم اقبضنى اليك على زاوية قائمة واحشرنى على خط مستقيم قلت لا بأس بالكلام على ما يتعلق بهذا (قطر الدائرة) هو الخط الذى يمر بالمركز ويقطع الدائرة بنصفين وقيل هو أطول خط فى الدائرة والخط قال أوقليدس فى رسمه الخط طول لا عرض له قالوا فى هذه العبارة تجوز لان الطول انما هو صفة الخط والخط هو المقدار المتصف بالطول فقط فالعبارة السديدة فى ذلك أن يقال الخط هو ما له طول فقط لان الخط من مقولة الكم والطول من مقولة الكيف ويتصور وجود الخط فى الحس اذا كان فصلا مشتركا بين لونين كالفصل المشترك بين الماء والزيت فأنت ترى طولا بلا عرض وهذا أحرى الامثلة له فى الخارج والدائرة رسمها أوقليدس فقال كل شكل مسطح محيط به خط واحد فى داخله نقطة كل الخطوط المستقيمة الخارجة منها الى الخط المحيط متساوية وتسمى تلك النقطة مركز الدائرة قالوا أشار الى معنى ليس بموجود لانه ليس يوجد فى الحس شكل على هذه الصفة أى على غاية الاستدارة وفى وسطه نقطة كل الخطوط الخارجة منها كما قال متساوية على غاية التساوى فالصفة مفهومة والعنقاء غير موجودة لان الحس كثير الغلط فما يوجد بالحس لا يوثق به ولأن الاشياء المحسوسة مستحيلة كائنة فاسدة ليست ثابتة على صفة واحدة ولا آن واحد والجواب أنها متحققة فى الذهن فهى معقولة فهى ثابتة الوجود هذا كلام الكركرى وكأنه حاول اثبات الدائرة فى الخارج فعجز عن ذلك فوقف عند اثباتها فى الذهن وذهل عن الفلك أنه موجود فى الخارج وهو كرة صحيح الاستدارة بالاجماع من الرياضيين والطبيعيين حسبما تقتضيه البراهين من الفريقين ومتى وجدت الكرة وجدت الدائرة أقل ذلك منطقة الكرة فانها محيط دائرة بلا شك فعلى هذا قطر الدائرة خط مستقيم ومحيطها خط مستدير وهما متباينان بالنوع فلا نسبة بينهما فتى كان محيط الدائرة معلوما كان القطر مجهولا ضرورة وانما قربه ارشميدوس بأن جعل القطر سبعة من اثنين وعشرين بأقرب تقريب فعلى هذا لا يعلم نسبة قطر الدائرة من محيطها تحقيقا الا الله تعالى وكذلك نهاية العدد لا يعلمها الا الله تعالى لان كل عدد نفرضه تمكن الزيادة عليه دائما فلا نقدر على تحصيل النهاية وكذلك الجذر الاصم لا يعلمه الا الله تعالى لان الجذر مقدار اذا

بنى عامر هل تعرفون اذا غدا
أبو مكنف قد شد عقد الدوائر
بجيش تظل البلق فى حجراته
ترى الاكم منه سجدا للحوافر
أبت عادة للورد أن تكره القنا
وحاجة رمحى فى نمير وعامر
وقوله وقد غزا غزوة فظلع فرس من خيله فلم يتبع الخيل فاخذه بنو الصيداء
يا بنى الصيداء ردوا فرسى
انما يصنع هذا بالذليل
لاتذيلوه فانى لم أكن
يا بنى الصيدا لمهرى بالمذيل
عودوه بالذى عودته
دلج الليل وايطاء القتيل
وقوله أيضا
حلبنا الخيل من أجا وسلمى
تخب نزايعا خبب الذئاب
ضربن بغمرة فخرجن منها
خروج الودق من خلل السحاب
وقد علموا بنو عبس وبدر
ومرة أننى شقب عقابى
(والسليك بن السلكة اغنام عدا على رجليك)
هو السليك بن عمرو بن يثربى أحد بنى مقاعس وأمه السلكة جاهلى قديم وهو أحد صعاليك العرب ولصوصهم العدائين الذين كانوا لا يلحقون ولا تتعلق بهم الخيل (حكى) ابن شهاب قال كان السليك السعدى اذا

ضرب في نفسه قام منه العدد وجذر الواحد مساوله لانه واحد وجذر العدد الصحيح أقل منه كالتسعة جذرها ثلاثة وجذر الكسر أكثر منه لان الربع جذره نصف والاعداد منها ماله جذر ويسمى المفتوح كالواحد والاربعة والتسعة والستة عشر وغير ذلك ومنها مالا جذر له معلوم وان كان لابد له من جذر في نفس الامر كالعشرة ويسمى الاصم فانه أى كسر أضفناه الى الثلاثة وضربنا المجموع في نفسه لابد ان يزيد عن العشرة أو ينقص عنها فلا نعلمه على التحقيق بوجه ولهذا يحكى عن فلاسفة الهند انهم يقولون سبحان العالم بمخارج الجذور الصم واما الزاوية القائمة فكل خط يقوم على خط قياما معتدلا لاميل فيه الى احدى الجهتين يسمى عمودا فان الزاويتين اللتين عن جنبتي العمود متساويتان فهما قائمتان وهذه صورته لانك اذا أقمت على خط اب عمود جد فالزاويتان اللتان عن جنبتي العمود متساويتان فهما قائمتان فلو كان العمود القائم على خط اب مائلا كانت زاوية اجد منفرجة وكانت زاوية دجب حادة فقوله اقبض على زاوية قائمة أراد بذلك أنها أعدل الزوايا وانه لاميل لواحد من خطيها على الآخر ولا عنه ولذلك ينسب اليها سائر الزوايا الحادة والمنفرجة كما تقول زاوية المثلث ثلثا زاوية قائمة وزاوية المسدس قائمة وثلث وكذلك الجميع وأما الخط المستقيم فقد رسمه أوقليدس بأن قال انه الموضوع على مقابلة أى النقط كانت عليه بعضها البعض ومراده بذلك أن تكون النقط كلها متقابلة في سمت واحد أعنى أن لا يكون بعضها أرفع وبعضها أخفض كالقوس مثلا فانا اذا اعتبرناها من جهة المحدودب كانت النقط المتوسطة أرفع من المتطرفات وان اعتبرناها من جهة المقعر كان الامر بالعكس بخلاف الخط المستقيم ورسمه ارشميدوس بأنه أقصر خط يصل بين نقطتين وهذا يرد عليه أنه غير شامل لانه انما حد من الخط المستقيم ماهو متناه بين نقطتين والمستقيم أعم من ذلك ورسمه أبو على بن الهيثم بأنه الذى اذا ثبت طرفاه وأدير دورة تامة لم يحدث من دورانه سطح ويرد عليه ما يرد على ارشميدوس وانه استعمل في رسمه الحركة وليست من موضوعات الهندسة وكأن القائل لمح من هذا الصراط المستقيم (رجع الى قوله كل من قال الشعر غلب على معانيه ما يعانيه من الفنون) هذا الشيخ صدر الدين بن الوكيل لما كان الفقه يغلب على فنونه تجد كلامه في الغالب اذا خلا من القواعد الفقهية يحط عن رتبة الحسن ألا ترى ما أحسن قوله في القصيدة البائية

ما الكاس عندي بأطراف الانامل بل * بالخمس تقبض لا يحلو لها الهرب
شججت بالماء منها الرأس موضحة * فخذ من أعقلها بالخمس لا عجب

لا يخفى ما في هذا الثاني من المحاسن التى تقف الافهام دون غايتها وتؤمن الاسماع بآيتها وتمتد كف الثريا الى رفع رايتها ولولا خوف الاطالة لاعطيت هذا المقام ما يستحقه ونبهت على ما تضمنه من أنواع البديع الذى يملك القلب الغليظ ويسترقه وان كان قد أخذه من قول عكاشة الصوفي في أصل المعنى

حمراء مثل دم الغزال وتارة * بعد المزاج تخالها زريابا
واذا المزاج علا فشج جبينها * نفثت بألسنة المزاج حبابا

ولكنه أخذه ذهبا فجعله يتوقد لهبا وتناوله قبسا فاطلعه في أفق البلاغة شهبا وزاده من

كان الشتاء استودع بيض النعام ماء السماء ثم دفنه فاذا كان الصيف وانقطعت اغارة الخيل أغار وكان أدل من قطاة فيجيء حتى يقف على البيضة وكان لا يغير على مضر بل على اليمن فاذا لم يمكنه أغار على ربيعة وكان يقول اللهم انك تهيء ما شئت لمن شئت اللهم انى لو كنت ضعيفا لكنت عبدا ولو كنت امرأة كنت أمة اللهم انى أعوذ بك من الخيبة فاما الهيبة فلا هيبة فذكروا انه أملق حتى لم يبق له شيء فخرج على رجليه رجاء أن يصيب غرة من بعض من يمر به فيذهب بابله حتى أمسى في ليلة من ليالى الشتاء مقمرة فاشتمل الصماء ثم نام فبينما هو نائم اذ جثم عليه رجل فقعد على جنبه فقال له استاسر فرفع السليك رأسه وقال الليل طويل وأنت مقمر فذهبت مثلا فجعل الرجل يلهزه ويقول ياخبيث استأسر فلما آذاه أخرج السليك يده وضم الرجل ضمة ضرط منها وهو فوقه فقال السليك أضرطا وأنت الاعلى فذهبت مثلا ثم قال السليك من أنت قال رجل افتقرت فقلت لأخرجن فلا أعود الى أهلى حتى أستغنى قال فانطلق معى فانطلقا فوجدا رجلا قصته مثل قصتهما فاصطحبوا

الفقه زيادة رقصت بها الاعطاف طربا وهزت الرؤس عجبا ومن تأمله وجد التورية قد مدت فيه على المجرة طنبا وأخذت محاسن النيرين سلبا (قال صاحب الاغانى) ان المهدى لما سمع الابيات قال لعكاشة لقد وصفت الخمر فاحسنت فى وصفها احسان من شربها وقد استحققت الحد فقال أيؤمننى أمير المؤمنين حتى أتكلم بحجتى قال قد أمنتك فقال وما يدريك يا أمير المؤمنين أنى قد أجدت وصفها ان كنت لا تعرفها فقال له المهدى اعزب قبحك الله وما أحسن قول الشيخ صدر الدين أيضا

لم يصلب الراووق الاعندما * قطع الطريق على الهموم وعاقها

وقوله أيضا

ارقت دم الراووق حلالا نى * رأيت صليبا فوقه فهو مشرك

وزوجت بنت الكرم بابن غمامة * فصح على التعليق والشرط أملك

هذا الآخر من نمط الاول فى استعماله قواعد الفقهاء والتورية بالتعليق مع تضمين المثل والاول أخذه من قول سيف الدين بن المشد فى مليح نصرانى

يصبو الحباب الى تقبيل مبسمه * وتكتسى الراح من خديه أنوارا

من أجل ذا أصبح الراووق منعكفا * على الصليب وشد الكاس زنارا

واستعمله صدر الدين أيضا فقال

ياغاية منيتى ويامعشوقى * من بعدك لا أصبو الى مخلوق

ياخير نديم كان لى يؤنسنى * من بعدك صليت على الراووق

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن دانيال فيما ينقش على مشراط حجام وضمنه المثل الذى أتى به صدر الدين

أنا لا أكلم واصبا * الا باذن منه يملك

شرطى شفاء لما يكن من الاذى والشرط أملك

لا يخفى حسن التورية فى أكلم والشرط أملك (رجع الى حسن التخلص) ومن أحسن ما فيه قول القائد أبى عبد الله السنبسى يمدح سيف الدين صدقة بن منصور بن دبيس

ونرجس خضل تحكى أزاهره * أحداق تبر على أجفان كافور

كأنما نشره فى كل باكرة * مسك تضوع أو ذكر ابن منصور

وأما ابن حجاج فاشق غباره فى حسن التخلص الى المديح ولا سابقه برق فضلا عن الريح بيناهو يهذر سخفا اذا به قد رفع الى المديح سجفا يتصل مديحه بمجونه اتصال الزهر بغصونه والحديث بشجونه ويخدمه الجد بالهزل اتحاد الذل بالعزل والجدب بالازل فمن ذلك قوله من قصيدة

النيك من قدام فى * هذا الزمان قد ترك

قد ورثت لى فقحة * مثل اللجين المنسبك

فقلت ياسيدتى * أحسنت لا بخعت بك

أحسنت يا أوسع من * فتوح مولانا الملك

وقال أيضا من أبيات

جميعا حتى أتوا الجوف وهو جوف مراد فلما أشرفوا عليه اذ فيه نعم كثيرة فهابوا أن يغزوا فيطردوا بعضها فيلحقهم الطلب فقال لهم السليك كونوا قريبا حتى آتى الرعاة فأعلم لكم علم الحى أقريب أم بعيد فان كان قريبا رجعت اليكم وان كان بعيدا قلت لكم قولا أومئ اليكم به فاغزوا فانطلق حتى أتى الرعاة فلم يزل يستنطقهم حتى أخبروه بمكان الحى فاذا هو بعيد ان طلبوا لم يدركوا فقال السليك للرعاة الا أغنيكم قالوا بلى فرفع صوته وغنى

ياصاحبى الا لاحى بالوادى الاعبيد قيام بين اذواد

هل تنظران قليلا ريث غفلتهم أم تعدوان فان الرابح الغادى

فلما سمعا ذلك أتيا السليك فطردا الابل فذهبوا بها كرا بأكثرها ولم يبلغ الصريخ الحى حتى فاتوهم (وحكى) أبو عبيدة قال بلغنى أن السليك رأى طلائع لبكر بن وائل وكانوا منجردين ليغزوا على بنى تميم ولا يعلم بهم فقالوا ان علم السليك أنذر بنا قومه فبعثوا اليه فارسين على جوادين فلما هايجاه خرج يحضر كأنه ظبى وطارداه عامة يومهما ثم قالا اذا كان الليل أعيا ثم سقط وأقصر عن العدو فنأخذه فلما

وقد بادلتها فبا لها لى * عشورة استهاولها قذالى
كالابن العميد جميع مدحى * ودنيا ابن العميد جميعها لى

ومن حسن التخلص قول ابن المعتز

والله لا كلمتها ولو انها * كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفى

وقد أشار ابن سناء الملك الى هذا فى قوله

ومليحة بالحسن يسخر وجهها * بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف
لا أرتضى بالشمس تشبيها لها * والبدر بل لا أكتفى بالمكتفى

وتعنت عليه ابن جبارة فى تعليقته التى أملاها على شعر ابن سناء الملك وقال عنده هذا البيت هذا نوع من الجنون والاختلاط وذلك ان هذا الشاعر كثيرا ما يسمع الشعر ويختلط فيه ذهنه فيأتى به على غير ما يقتضيه فان ابن المعتز أنشد البيت وأراد كونها فى الحسن كالشمس التى هى آية النهار أو كالبدر الذى هو آية الليل أو كالمكتفى الذى هو خليفة الارض فى عظم الشان وكبر السلطان فنقله هذا الشاعر الى الحسن ومن أين للمكتفى صفة الحسن والذى دلت عليه التواريخ انه كان أسمر أعين قصيرا وليست هذه من صفات الحسن وانما ظن أن ابن المعتز وصفه بالحسن فمشى على ظنه وأخذ فى مديح فنه وليس كما ظنه واعتقد ولا قصد ما قصد وأحسن ابن أبى السحناء فى قوله

الشعر كالروض ذا ظام وذا خضل * أو كالصوارم ذا ناب وذا خذم
مثل العرانين هذا حظه خنس * يزرى عليه وهذا حظه شمم

(قلت) ليس ابن سناء الملك ممن يخفى عليه هذا الذى ذكره وانما ذكر ابن المعتز المكتفى خروجا الى المديح بعلاقة الحسن وما زال الشعراء يصفون الممدوح بالحسن والصباحة والطلاقة ويشبهونه بالشمس والبدر والصبح وذلك مشهور ولا يحتاج الى شاهد يؤيده وانما قول ابن المعتز قد شاع وذاع وملأ الاسماع وسار وطار فى الاقطار بالاشتهار فلما ذكر ابن سناء الملك حسن محبوبته وذكر الشمس والقمر والقافية فائية كان المكتفى جالسا فى طريقها وكان فى ذكره اشارة الى قول ابن المعتز مع زيادة الجناس فقال بل لا أكتفى بالمكتفى الذى جعله ابن المعتز غاية فى الحسن عنده لانه انتقل من أدنى الى أعلى الا ترى ان قول ابن سناء الملك فيه بل التى هى للاضراب وهذا من الادب غاية فى حسن النظم والتلعب بالكلام وما ينكر هذا الا من ليس له ذوق بالادب فانه قد جاء من هذا النوع كثير فى كلام المتأخرين أنشدنى لنفسه بالباب وبراعة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة المولى صفى الدين الحلى

يقبل الارض عبد من عبيدكمو * عليكمو بعد فضل الله يعتمد
ما دار ميه من أسنى مطالبه * يوما وأنتم له العلياء فالسند

وقال ابن سناء الملك أيضا

ودمية من أهواه فى الحسن دمية * وصدق قولى أنها لم تكلم

(وقال أيضا)

اذا قيل لا تهلك أسى فجهالة * لقائل هذا قوله وتجمل

(وما أحسن) ما أشار ابن حجاج الى قول ابن نباتة السعدى فى فرس أغر محجل

أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فقتبرا عنها وندرت قوسه فانحطمت فوجدا قصدة منها قد أثرت بالارض فقالا ياله أخزاه الله وهما بالرجوع ثم قالا لعل هذا كان من أول الليل ثم فتر فتبعاه فاذا أثره متفضحا قد بال فرغا فى الارض وخدها فقالا ياله قاتله الله فما رأينا أشد منه لا تتبعه أبدا فانصرفا ووصل الى قومه فأنذرهم فكذبوه لبعد الغاية فأنشد يقول

يكذبنى العمران عمرو بن جندب
وعمرو بن سعد والمكذب أكذب
ثكلتهما ان لم أكن قد رأيتها
كراديس يهديها الى الحرب موكب

وجاء الجيش فأغاروا (وحكى) الاصمعى أن السليك لقى رجلا من خثعم ومعه امرأة فأخذه فقال له الخثعمى أنا أفدى نفسى منك فقال له السليك ذلك لك على أن لا تخيس بى ولا تطلع على أحد من خثعم فحالفه وخلف عنده امرأته رهينة ورجع الى قومه فنكحها السليك وجعلت تقول له احذر خثعم فانى أخافهم عليك فقال

غضبت صباح وقد رأتني قابضا * أيري فقلت لها مقالة فاجر
بالله الا ما لطمت جبينه * حتى يحقق فيك قول الشاعر

اشارة الى قوله

فكأنما لطم الصباح جبينه * واقتص منه بخاض في أحشائه

وهذا من المرتضى وليس بعد هذا مزيد ولا غاية في الحسن وراءه وما أحسن ما قال ابن سناء الملك رحمه الله في موضع آخر من شعره

بأبي وأمي من يكون المكتفي * بجماله لجماله كالمقتدي

هنا لم يرد بالمكتفي الخليفة ولكنه هنا اسم فاعل من اكتفي ولما وصل الى المقتدي ترشح المكتفي للتورية لان المكتفي والمقتدي خليفتان من بني العباس وقولي كان المكتفي جالسا في طريق القافية ذكرت به ما اتفق لبشار بن برد مع تسنيم فان بشارا عرض له يوما نظم بيت فقال

ما ان تحرك ايرفا متلا شبقا * الا تحرك عرق في است

ثم قيل له في است من فربه تسنيم بن الحواري فسلم عليه فقال بشار في است تسنيم فقال له ايش والك قال له لا تسل قال سمعت ما أكره فاذكر لي سببه فانشده البيت فقال ما جاءك على هذا قال سلامك علي قال لا سلم الله عليك ولا علي ان سلمت بعدها عليك (رجع) وقد ذم بعض المتأخرين التخلص في بيت واحد ولكنه حسن ما قبح فقال

بينا ذوائب من يحب بكفه * حتى تعلق لحية الممدوح

وقد جاء التخلص في القرآن الكريم في قوله تعالى واتل عليهم نبأ ابراهيم اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون الآيات الى قوله تعالى فلو أن لنا كرة فنكون من المؤمنين فهذا تخلص من قصة ابراهيم وقومه الى قولهم وتمني الكفار في الدار الآخرة الرجوع الى الدنيا ليؤمنوا بالرسل وهذا تخلص خلافا لابي العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي فانه أنكر وقوع التخلص في الكلام وفي القرآن كثير منه والله تعالى أعلم

*(أريد بسطة كف أستعين بها * على قضاء حقوق للعلا قبلي)*

(اللغة) الارادة المشيئة وأصله الواو لقولك راوده الا أن الواو سكنت فنقلت حركتها الى ما قبلها فانقلبت في الماضي ألفا وفي المستقبل ياء وسقطت في المصدر لمجاورتها الالف الساكنة وعوض منها الهاء في الآخر تقول راودته على كذا مراودة ورواد أي أردته (البسطة) السعة والانبساط الشيء على الارض ومنه قوله تعالى وزاده بسطة في العلم (الكف) تقدم الكلام عليه في قوله نأى عن الاهل (أستعين) أصله أستعون ويأتي الكلام على ذلك في الاعراب ومعناه أطلب الاعانة (القضاء) الحكم قال الله تعالى وقضى ربك أي حكم وقد يكون بمعنى الفراغ من قضيت حاجتي وقد يكون بمعنى الاداء والانهاء تقول قضيت ديني وهذا المعنى هو المراد هنا (الحقوق) جمع حق وهو خلاف الباطل والمراد به هنا ما يلزم ذمة الانسان من المروءة في الجود وما أشبهه (العلا) هو الرفعة والشان والشرف والجمع المعالي فاذا فتحت العين مددت فقلت العلاء واذا ضممت قلت العلا بالقصر (القبل) الطاقة تقول مالي به قبل أي طاقة فهو وكأنه احتمال الذي يلتزم بالقيام بما في ذمته (الاعراب) أريد فعل مضارع ماضيه

وما خشع الاثام أذلة * الى الذل والاسحاق تنمى وتنتمي
وبلغ خبره شبل بن قلادة وأنس بن مدرك الخثعمي فخالفا الى السليك فلم يشعر الا وقد طرقاه بالخيل فانشأ يقول

من مبلغ قومي أني مقتول * يا رب قرن قد تركت مجدول
ورب زوج قد نكحت عطبول * ورب عان قد فككت مكبول

ثم عطفا عليه وليس له طريق للعدو فقتلاه * ومن شعره وقد أغار بقوم فانصرفوا عنه خوفا من العطش وبقي معه رجل يسمى صردا فبكى فقال السليك منشدا

بكى صرد لما رأى الحي أعرضت * مهامه رمل دونه وسهوب
فقلت له لا تبك عينك انها * قضية ما يقضى لنا فنؤوب
سيكفيك ضرب القوم لحم معرض * وماء قدور في القصاع مشوب

أقول الصرب اللبن الحامض وماء القدور المرق كأنه يقول ستستغني وتأكل اللحم بعد اللبن وقوله

ألا عتبت على فصارمتني * وأعجبها ذوو اللمم الطوال
أشاب الرأس أني كل يوم * أرى لي خالة وسط الرجال

أرادوا القاعدة في حرف المضارعة أنه اذا دخل على رباعي كان مضموما تقول تريد تحسن تقم لان الماضي أراد أحسن أقام وان كان الفعل ثلاثيا مثل ضرب وذهب أو خماسيا مثل انطلق واقتتل أو سداسيا مثل استخرج واحرنجم فان حرف المضارعة يكون مفتوحا في ذلك كله تقول يضرب ويذهب وينطلق ويقتتل ويستخرج ويحرنجم وانما اعرب الفعل المضارع دون الامر والماضي لان المضارع شابه الاسم بجواز شبه ما وجب له قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك في شرح التسهيل لذلك ينبغي أن يعلم أن المعاني التي تعرض للكلم على ضربين أحدهما مايعرض قبل التركيب كالتصغير والجمع والمبالغة والمفاعلة والمطاوعة والطلب فهذا الضرب بازاء كل معنى من معانيه صيغة تخصه فلا حاجة الى الاعراب بالنسبة اليه والثاني من الضربين مايعرض مع التركيب كالفاعلية والمفعولية والاضافة وكون الفعل المضارع مأمورا به أو علة أو معطوفا أو مستأنفا فهذا الضرب تتعاقب معانيه على صيغة واحدة فيفتقر الى اعراب يميز بعضها عن بعض والاسم والفعل المضارع شريكان في قبول ذلك مع التركيب فاشتركا في الاعراب لكن الاسم عند التباس بعض مايعرض له ببعض ليس له مايغنيه عن الاعراب لان معانيه مقصورة عليه بخلاف قبوله لها واجبا لان الواجب لا محيص عنه والفعل وان كان قابلا بالتركيب لمعان يخاف التباس بعضها ببعض فقد يغنيه عن الاعراب تقدير اسم مكانه مثل لا تعن بالجفاء وتمدح عمرا فانه يحتمل أن يكون نهيا عن الفعلين مطلقا وعن الجمع بينهما وعن الجفاء وحده مع استئناف الثاني فالجزم دليل على الاول والنصب دليل على الثاني والرفع دليل على الثالث ويغني عن ذلك وضع اسم موضع كل واحد من المجزوم والمنصوب والمرفوع تقول لا تعن بالجفاء ومدح عمرو ولا تعن بالجفاء مادحا عمرا ولا تعن بالجفاء ولك مدح عمرو فقد ظهر بهذا تفاوت مابين سببي اعراب الاسم واعراب الفعل في القوة والضعف فلذلك جعل الاسم أصلا والفعل فرعا والجمع بينهما بما ذكرته أولى من الجمع بينهما بالابهام والتخصيص ولام الابتداء ومجاراة الفعل المضارع لاسم الفاعل في الحركة والسكون لان المشابهة بهذه الامور بمعزل عما جيء بالاعراب لاجله بخلاف المشابهة التي اعتبرتها الان في الفعل الماضي من مشابهة الاسم مايقابل المشابهة المعزوة للمضارع ولعله يكمل فمن ذلك ان الماضي اذا ورد مجردا من قد كان مبهما في بعد المضي وقربه واذا اقترن بقد تخلص للقرب فهذا شبيه بابهام المضارع عند تجرده من القرائن وتخلصه للاستقبال بحرف التنفيس وأما لام الابتداء وان كان للمضارع بها مزيد شبه بالاسم لكونها لاتدخل الا عليهما فتقاومها اللام الواقعة بعد لو فانها تصحب الاسم والفعل الماضي خاصة كقوله تعالى ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة ولو أسمعهم لتولوا وليس اعتبار تلك أولى من اعتبار هذه ولو لم نظفر بهذه لقاوم تلك تاء التأنيث فانها تتصل بآخر الفعل الماضي كما تتصل بآخر الاسم فحصل للماضي بذلك من مشابهة الاسم مثل ماحصل للمضارع بلام الابتداء ويقاوم لام الابتداء مباشرة مذ ومنذ فان الماضي يشارك الاسم فيها دون المضارع وأما مجاراة المضارع اسم الفاعل في الحركة والسكون فالماضي غير الثلاثي شريكه فيها وانما يختص بها المضارع اذا كان الماضي على فعل مطلقا أو على فعل متعديا وللماضي مايقاوم الغائب من اتحاد وزنه ووزن الصفة والمصدر وتقاربهما فالاتحاد نحو طلب طلبا وجلب جلبا وغلب غلبا وفرح وأشر

يشق على أن يلقين ضيما
ويقصر عن تخلصهن مالي

(وعامر بن مالك انما لاعب الاسنة بيديك)

هو عامر بن مالك بن جعفر من بني صعصعة المعروف بلاعب الاسنة ويكنى أبا براء وأمه أم البنين أنجب امرأة في العرب وذلك أنها ولدت من مالك بن جعفر خمسة أبا براء والطفيل أبا عامر بن الطفيل وربيعة أبا لبيد ونزارا ومعاوية ويسمى معود الحكماء وقد افتخر بها لبيد عند النعمان فقال

نحن بني أم البنين الاربعه

وانما قال الاربعة لضرورة الشعر ونصب بني على المدح وأبو براء هو رجل من فرسان العرب المشهورين وكبارهم وانما لقب ملاعب الاسنة لقول أوس بن حجر فيه

يلاعب أطراف الاسنة عامر
فراح له حظ الكتائب أجمع

وقيل لقول آخر وقد فر عنه أخوه في حرب

فررت وأسلمت ابن أمك عامرا
يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

وقيل لقول حسان بن غمير وقد رآه بين فرسان أطافوا به يقاتلهم ماهذا الا ملاعب الاسنة ووفد عامر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسلم وزعم بنو جعفر انه

وبطر فهو فرح وأشر وبطر والمقاربة نحو تعب تعبا وحسب حسبا وكذب كذبا ولا ريب ان هذا التوازن في هذا الضرب أكمل منه في يضرب فهو ضارب فبان بما ذكرناه تفصيل ما اعتبرناه (قلت) انما أثبت هذا الفصل بطوله من كلام الشيخ جمال الدين لما فيه من الفوائد وقد خالف الاقدمين في تعليل اعراب المضارع ومال الى هذا الرأي الذي استنبطه و قد خالفه ولده الشيخ بدر الدين ومال الى مذهب المتقدمين ولكن جمال الدين اجتهد في الاستقراء ولطف القياس * ومثل لا تعن بالجفاء وتمدح عمر امثال النحاة في قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن يجوز في تشرب الرفع والنصب والجزم أما اذا نصبت فيكون النهي عن أكل السمك في حال شرب اللبن كأنك قلت لا تأكل السمك شاربا اللبن واذا رفعت يكون النهي عن أكل السمك والاباحة في شرب اللبن كأنك قلت لا تأكل السمك ولك شرب اللبن وأما اذا جزمت فيكون النهي عن الجمع بينهما قيل ان الجاحظ ناظر يوحنا بن ماسويه في هذه المسئلة فقال الجاحظ لا يخلو الجمع بين السمك واللبن اما أن يكونا جميعا متساويين أو متضادين فان تساويا كان الجمع بينهما بمثابة استعمال الكثير من احدهما وان تضادا كان كل واحد منهما يقوم بدفع ضرر الآخر فلا فائدة في منع الجمع بينهما فقال ابن ماسويه هذا البحث ما أعرفه ولكن متى جمعت بينهما انفلجت (قلت) فات تقسيم الجاحظ قسم آخر وهو أن يكونا متخالفين كالحموضة والبياض فانها ليست ضد البياض ولا مشابهة له بل مخالفته وأما العلة في الفالج وغيره من الآفات اللاحقة للجمع بين السمك واللبن دون انفرادهما وان تضاعف مقدار كل واحد منهما على الانفراد فهو أن المزاج يحدث للممتزج صورة لم تكن لكل واحد من البسائط كما ان السكنجبين اليسير منه يقمع الصفراء ويكسر عاديتها على الفور ولا يفعل ذلك السكر ولا الخل عند انفرادهما واعتبر ذلك بالحبر فان كل واحد من العفص والزاج ليس باسود والماء المستخرج فيه قوة كل واحد منهما يقرب من الصفرة فاذا امتزجا حدث السواد الحالك وعجائب المركبات انما تتبع الصور اللاحقة للمزاج ألا ترى أن الماء المعبر عنه بلبن العذراء كيف تختلف ألوانه بحسب السبق في الاختلاط وصورته ان يدق المرتك ويعمل عليه أربعة أمثاله خل و يغلى ويصفى بالمعقة ويعزل ماؤه في اناء ويدق القلي ويعمل عليه أربعة أمثاله ماء قراح ويغلى ويصفى بالملعقة ويعزل ماؤه في اناء ثان فهذان الماآن اذا جمع بينهما في اناء ثالث ظهر بلون غير لونيهما أسود أو أبيض فاذا جمع بينهما في اناء رابع وخولف بين الصب من أحدهما على الآخر على ما تقدم جاء لون آخر ضد اللون الاول وهلم جرا تبارك الله الذي أوجد عجائب هذا العالم في مخلوقاته لا اله الا هو الفعال لما يريد (رجع الى اعراب البيت) أريد فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم (فان قلت) هذه علة عدمية والعدم لا يكون علة للوجود (قلت) معنى خلوه عن الناصب والجازم وجوده على أول حالاته قبل طريان الجازم والناصب واستعمال الكلمة على أول حالاتها ليس بأمر عدمي وانما اخترت هذه العبارة وان كانت رأي الكوفيين لانها أقوى حجة من مذهب البصريين فانهم قالوا أعرب بالرفع لوقوعه موقع الاسم وهو باطل لانهم اما أن يريدوا موقعا هو للاسم بالاصالة سواء جاز وقوع الاسم فيه كما في نحو يقوم زيد أو امتنع منه كما في نحو جعل زيد يفعل واما موقعا هو للاسم مطلقا فان أرادوا الاول فهو باطل برفع المضارع بعد لو وحرف التحضيض لانه ليس للاسم بالاصالة وان أرادوا الثاني فهو باطل أيضا

مات مسلما حيث حدث خالد بن عبد الله قال قدم عامر ابن مالك أبو براء ملاعب الاسنة وأهدى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له فرسين وراحلتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قبلت هدية مشرك لقبلت هديتك وعرض عليه الاسلام فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد اني أرى أمرك هذا حسنا شريفا وقومي خلفي فلو أنك بعثت نفرا من أصحابك لرجوت أن يجيبوا دعوتك ويتبعوا أمرك فان تبعوك فما أعز أمرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني أخاف عليهم أهل نجد فقال عامر لا تخف اني جار لهم ان تعرض لهم أحد من أهل نجد فبعث معه أربعين رجلا من الانصار وقيل سبعين وأمر عليهم المنذر بن عمرو فلما نزلوا ماء من مياه بني سليم يقال له بئر معونة عسكروا وسرحوا ظهورهم وبعثوا مع سرحهم الحرث بن الصمة وعمرو بن امية وقدموا حرام بن ملحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل في رجال من بني عامر فلما انتهى حرام لم يقرؤا الكتاب ووثب عامر بن الطفيل على حرام فقتله واستصرخ عليهم بني عامر فأبوا وقد كان عامر

لعدم رفع المضارع بعد ان الشرطية لانه موضع صالح للاسم في الجملة كقوله تعالى وان أحد من
المشركين استجارك فاجره (بسطة) مفعول به فلهذا نصبه وفي المفعول به كلام طويل وبحث
حسن ادخرتهما لغير هذا المكان (كف) مضاف اليه فلهذا جر (أستعين) فعل مضارع مرفوع
لخلوه من الناصب والجازم كما تقدم وأصله أستعون من العون فاستثقلت الكسرة على الواو
فنقلت الى العين ثم قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها وموضعه النصب على ثلاثة أوجه اما
على انه مفعول لاجله أي أريد بسطة كف للاعانة على قضاء الحقوق أو على أنه حال أي أريد
بسطة كف مستعينا على كذا أو على الصفة لبسطة أي بسطة كف معينة لي (بها) جار ومجرور
ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية لشبهها بالحروف في الوضع وسيأتي الكلام على الضمائر
(على قضاء) على حرف جر وسيأتي الكلام على تقسيمها قضاء مجرور بعلى (حقوق) مجرور
بالاضافة الى قضاء (للعلا) جار ومجرور ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور واللام تكون للملك نحو
المال لزيد ولشبه الملك نحو الباب للدار وللتعدية نحو قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا وللتعليل
نحو جئتك لاكرامك وزائدة لتقوية عامل ضعف بالتأخير أو بكونه فرعا عن غيره فالاول نحو
قوله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون وقوله تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون والثاني
نحو قوله تعالى مصدق لما معهم وقوله تعالى فعال لما يريد فاللام في بيت الطغرائي معناها
شبه الملك وقد رأيت مصنفا لابي القاسم الزجاجي قد قسم اللام فيه الى أحد وثلاثين قسما
وفصلها وذكر على كل قسم شواهده ولا باس بسردها هنا من غير تمثيل وهي لام التعريف ولام
الملك ولام الاستحقاق ولام كي ولام الجحود ولام ان ولام الابتداء ولام التعجب ولام تدخل على
المقسم به ولام جواب القسم ولام المستغاث به ولام المستغاث من أجله ولام الامر ولام المضمر
ولام تدخل في النفي بين المضاف والمضاف اليه ولام تدخل في النداء بين المضاف والمضاف
اليه ولام تدخل في الفعل المستقبل لازمة في القسم لا يجوز حذفها ولام تلزم ان المكسورة اذا
خففت من الثقيلة ولام العاقبة وسماها الكوفيون لام الصيرورة ولام التبيين ولام لو ولام لولا
ولام التكثير ولام تكون بمعنى عند ولام ترادف لعل ولام ايضاح المفعول من أجله ولام
تعاقب حروفا وتعاقبها ولام البين ولام تكون بمعنى الى ولام الشرط ولام توصل الافعال
الى مفعولين (قبلي) منصوب بنزع الخافض على انه ظرف مكان معنى كانه قال على قضاء حقوق
للعلا في طوقي ووسعي وما أقدر على الاتيان به والعامل فيه متعلق الجار والمجرور في العلا تقديره
حقوق استقرت للعلا في قبلي (المعنى) أحاول من الزمان بسطة كف من المال المتسع لاجل
الاعانة على وفاء حقوق استقرت في ذمتي للعلا وكنى عن الغنى ببسطة الكف لان الغني يبسط
كفه بالنفقة وكل غني منفق باسط كفه وما زال الانفاق يسمى بسطا والامساك قبضا قال الله
تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف
يشاء وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وفي الآية الاولى
اشكالان في الظاهر تمسك بهما الملاحدة أحدهما أن اليهود مطبقون على أنهم لم يقولوا هذا
الكلام في حق الله تعالى فكيف يخبر الله تعالى عنهم بما لا يقولونه ولا يعتقدونه * والجواب
من وجوه الاول وهو مذهب الحسن رضي الله عنه أن المراد بهذا الكلام قولهم أن الله
لا يعذبنا الا على قدر الايام التي عبدنا فيها العجل الا أنهم عبروا عن هذا المعنى بهذه العبارة

ابن مالك خرج قبل القوم
الى ناحية نجد وأخبرهم انه
جار أصحاب محمد فلا تعرضوا
لهم فقالوا لن نخفر جوار أبي
براء وأبوا أن ينفروا مع ابن
الطفيل فاستصرخ قبائل
من بني سليم فنفروا معه
ورأسوه عليهم فقال ابن
الطفيل أقسم بالله ما أقبل
هذا وحده فاتبعوا أثره حتى
وجدوا القوم فقاتلوا القوم
حتى قتل أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبقي المنذر
ابن عمرو فقالوا له ان شئت
أمناك فقال لن أقبل منكم
أمانا حتى آتي مقتل حرام
فأمنوه حتى أتى مصرعه ثم
برئوا من أمانه فقاتلهم حتى
قتل وأقبل الحرث بن الصمة
وعمرو بن أمية بالسرح وقد
ارتابا بعكوف الطير قريبا من
منزلهم فجعلا يقولان قتل
والله أصحابنا ثم أوفيا على
نشز من الارض فاذا أصحابهما
مقتولون والخيل واقفة فقال
الحرث لعمرو ما ترى قال
أرى أن نلحق برسول الله
صلى الله عليه وسلم فنخبره
الخبر فقال الحرث ما كنت
لاتأخر عن موطن قتل فيه
المنذر فاقبل فلقي القوم
فقاتلهم الحرث حتى قتل منهم
اثنين ثم أخذوه فاسروه
وأسروا عمرو بن أمية وقالوا
للحرث ما تحب أن نصنع بك
فانا لا نحب قتلك فقال أبلغوا

الفاسدة * الثاني قال المفسرون ان اليهود كانوا أكثر الناس أموالا وثروة ولما بعث صلى الله
عليه وسلم ضاقت عليهم معايشهم ومنعوا من التكسب لاشتغالهم بأمره ومحاربته والجاهل
اذا وقع في البلاء والشدة يقول مثل هذه المقالة * الثالث انهم لما رأوا أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم في غاية الفقر والحاجة قالوا على وجه السخرية والاستهزاء ان اله محمد فقير مغلول اليد
لا ينفق عليهم شيأ * الرابع لعله كان فيهم من يرى رأي الفلاسفة ويقول انه يوجب بالذات
لا يحدث الحوادث الا على نهج واحد وسنن واحد ولا يتعدى ذلك والفاعل المختار يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد فهو كما قال تعالى كل يوم هو في شان أي لا يزال في ابداع شؤن فعبر الفلسفي من
اليهود عن هذا المعنى بهذه العبارة * الخامس لعل هذا الكلام صدر منهم على هذا النظام في
ذلك العصر وان لم يكن الآن فيهم من يعتقده كما نسبوا الى عبادة العجل وقولهم عزير ابن الله وان
لم يكن الآن فيهم من يعتقده * والاشكال الثاني في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان قالوا تقرر
بالدليل القطعي والبرهان العقلي أن الله تعالى ليس بجسم وهذه الآية تشعر بالجسمية
والجواب ان اليد في اللغة تطلق على معان منها الجارحة ومنها النعمة تقول له على يد أي نعمة
ومنها القوة تقول مالي بهذا الامر يد أي قوة تدفع قال الله تعالى أولى الأيدي والابصار فسروه
بذوي القوى والعقول ومنها الملك تقول هذه الضيعة في يدي قال الله تعالى الذي بيده عقدة
النكاح أي يملك ذلك فالاولى يمتنع اثباتها في حق الله تعالى ولا يمتنع في حقه تعالى اثبات
البواقي * بقي سؤال آخر ما الفائدة في تثنية اليد ههنا الجواب ان فسرنا اليد بالنعمة فالمراد نعمة
الدنيا ونعمة الدين أو الباطنة والظاهرة أو ما يتعلق بالدنيا والآخرة وان أردنا القوة فالمراد
الاقتدار على الموت والحياة أو الخذلان والنصر أو الغنى والفقر وما أشبه ذلك وان أردنا الملك
فالمراد ملك الدنيا والآخرة أو الايمان والكفر أو السعادة والشقاوة وما أشبه ذلك فعلى كل
تقدير من التفسير يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء أي متمكن من اعطاء الدنيا والدين أو
الاماتة والاحياء أو الاسعاد والاشقاء ردا عليهم فيما زعموه (حكي) أن بعضهم كان من
المسرفين على نفسه فلما توفي رآه بعض من كان يعلم حال باطنه فقال له ما فعل الله بك قال غفر لي
قال بماذا قال كنت اذا تلوت هذه الآية قلت غلت أيديهم وأطلت التشديد في اللام كالمتشفي
بهم اه ولم أطل الكلام هنا الا لأن لفظ اليد يقع في القرآن والحديث كثيرا وفي هذا
ما يزيل تلك الشكوك وكتاب تاسيس التقديس للامام فخر الدين في هذا الباب جيد نافع
للغاية ولقد رأيت بعضهم بالغ في اثبات اليد واستشهد على ذلك بقوله تعالى والسماء بنيناها
بأيد وانا لموسعون فسقطت من كلامه مقهقها وتقهقرت متهددها وقلت له الايد هنا القوة
كالآد والتأييد ومنه المؤيد ولو كان المراد به جمع يد لأثبت الياء في آخره ٣ فقال بأيدي لان
هذه أصلية لا يجوز حذفها لان أصل يد يدي والجمع يرد الاشياء الى أصولها فلم يحر جوابا
(رجع) الى معنى البيت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعط كل منفق خلفا وكل
ممسك تلفا وما ظلم الطغرائي في طلب المال لانفاقه فيما يكتسب به المحامد ويغنم به الاجور
قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح مع الرجل الصالح وقال الحسن رضي الله عنه اذا
أردت أن تعرف من أين أصاب الرجل ماله فانظر فيما ينفقه فان الخبيث ينفق في السرف
وقال أبو ذر أموال الناس تشبه الناس وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأمر

٣ قوله لأثبت الياء الى آخره هذا سهو لان الياء لا تثبت فيه رفعا وجرا اه

في مصرع المنذر وبرئت
ذمتكم فبلغوا به مصرع الرجل
ثم أطلقوه فقاتلهم وقتل
منهم اثنين فشرعوا اليه الرماح
حتى نظموه فيها قتلا وقال
عامر بن الطفيل لعمرو بن أمية
وهو أسير في أيديهم لم يقاتل
انه كانت على أمي نسمة
فأنت حر عنها وجز ناصيته
فلما جاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم خبر بئر معونة
جعل يقول هذا عمل أبي براء
قد كنت لهذا كارها ودعا
على من قتلهم بعد الصبح في
الركعة الثانية من صبح تلك
الليلة التي جاءه فيها الخبر
فلما قال سمع الله لمن حمده
قال اللهم اشدد وطأتك على
مضر اللهم عليك ببني ذكوان
وعصية فانهم عصوا الله ورسوله
قال ذلك خمس عشرة ليلة حتى
نزلت الآية ليس لك من الامر
شيء ثم أقبل أبو براء سائرا وهو
شيخ كبير هرم فأخبر بما فعل ابن
الطفيل فشق ذلك عليه
ولا حركة به من الضعف
وقال أخفرني ابن أخي مرتين
وسار حتى لحق ابن الطفيل
فطعنه بالرمح فأخطأ مقتله
وقيل كان الطاعن ربيعة
ولده فتصايح الناس فقال
ابن الطفيل انها لم تضرني
وقد وهبتها العمى وانصرف
عنه ونزل عامر بن مالك
بقومه فدعاهم الى الارتحال
الى النبي صلى الله عليه وسلم

الاغنياء باتخاذ الغنم ويامر الفقراء باتخاذ الدجاج وفى المثل مال المرء موئله وقوته قوته وقال بعضهم اثنان لا أدرى أيهما أمر موت الغنى أم حياة الفقير قال بعض الشعراء

وما رفع النفس الدنيئة كالغنى * ولا وضع النفس الشريفة كالفقر

وقال ابن المعتز

اذا كنت ذا ثروة فى الورى * فأنت المسوّد فى العالم

وحسبك من نسب صورة * تخبر أنك من آدم

(ولما) توجه المعز أبو تميم معد بن منصور العبيدى الى الديار المصرية بعد ما وصل غلامه القائد جوهر وملك مصر واختط له القاهرة وكان العبيديون ينتسبون الى فاطمة رضى الله عنها خرج الناس الى لقائه ولما قرب من مصر واجتمع به الاشراف قال له من بينهم أبو محمد عبد الله بن طباطبا العلوى الى من ينتسب مولانا فقال له المعز سنعقد لكم مجلسا ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس فى مجلس عام وجلس لهم وقال هل بقى من رؤسائكم أحد فقالوا لم يبق معتبر فسل عند ذلك سيفه وقال هذا نسبى ونثر عليهم ذهبا كثيرا وقال هذا حسبى فقالوا جميعا سمعنا وأطعنا وما زال هؤلاء الخلفاء بمصر يدعون الشرف ويقولون نحن من ولد فاطمة يريدون بذلك التبجح على بنى العباس خلفاء بغداد فيقولون أبونا على بن أبى طالب وأمنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم الحاكم وكان فى كل جمعة يقول مثل هذا على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر فى أشغال الناس فرفعت اليه رقعة فيها

انا سمعنا نسبا منكرا * يتلى على المنبر فى الجامع

ان كنت فيما قلته صادقا * فانسب لنا نفسك كالطائع

أو كان حقا كل ما تدعى * فاعدد لنا بعد الاب السابع

أو فدع الانساب مستورة * وادخل بنا فى النسب الواسع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد والقيمون بعلم الانساب والتواريخ لا يثبتون لهم هذه النسبة (قلت) كذا رأيت جماعة من الفضلاء يروون هذه الواقعة للحاكم وليس بشئ لان الحاكم توفى سنة احدى عشرة وأربعمائة وكان الخليفة ببغداد اذ ذاك القادر بالله لانه توفى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة والطائع لله تقلد الامر سنة ثلاث وستين وثلثمائة وخلع من الخلافة سنة احدى وثمانين وثلثمائة وتوفى مخلوعا سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة والذى كان خليفة بمصر فى أيامه انما هو العزيز أبو منصور نزار بن المعز لانه ولى الامر سنة خمس وستين وثلثمائة ومات سنة ست وثمانين وثلثمائة واذا كان كذلك فصاحب الواقعة انما هو العزيز وهو والد الحاكم بل الذى اتفق للحاكم انه كان يدعى علم الغيب فيقول فلان قال فى بيته كذا وكذا وفعل كذا وكذا وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللاتى يدخلن بيوت الناس ويتجسسن أخبارهم فرفعت اليه رقعة مكتوب فيها

بالظلم والجور قد رضينا * وليس بالكذب والحماقه

ان كنت أوتيت علم غيب * بين لنا كاتب البطاقه

فسكت بعد ذلك عن الكلام فى المغيبات وقيل ان ذلك اتفق للعزيز أيضا (رجع) وما يبعد

أن

وطلب ثأر القتلى الذين كانوا فى جواره فقتلوا عليه وقال له بعض بنى أخيه انهم يقولون انه حدث لك عارض فى عقلك فدعا ابن أخيه لبيدا وقينة له فشرب وقال لهما غنى ثم قال يا لبيد لو حدث بعملك حدث ما كنت قائلا فان قومك يزعمون ان عقله ذهب والموت خير من ذهاب العقل وبعضهم يرويها من عزوب العقل وقال يا لبيد اسمع

قوما تنوحان مع الانواح

فأبنا ملاعب الرماح

أبا براء مدره الشياح

كان غياث المرمل الممتاح

وهى من أبيات ثم شرب أبو براء الخمر صرفا حتى مات وهو يقول لا خير فى العيش وقد عصتنى بنو عامر وبنو جعفر يزعمون انه مات مسلما وكان شريفا بيته يزعمون انه لما تنافر ابن أخيه عامر بن الطفيل مع علقمة بن علاثة سأل عمه الاعانة فأعطاه نعليه وقال استعن بهما فى مفاخرتك فانى ربعت فيهما أربعين مربعا مع انه كان كارها للمنافرة وفى ذلك يقول

أؤمر أن أسب بنى شريح

ولا والله افعل ما حييت

ومن احسن ما سمعت من شعره قوله

أن الطغرائي كان ذا نفس شريفة سخية وهمة عالية يؤثر المال لينفقه في مصارفه ومن شعره رحمه الله وقد تقدم ذكره في المقدمة

سأحجب عني أسرتي عند عسرتي * وأبرز فيهم ان أصبت ثراء
ولي أسوة بالبدر ينفق نوره * فيخفى الى أن يستجد ضياء

وهذه نفوس الاشراف تظهر عند الثروة طلبا للانفاق وتخفى عند الفقر طلبا لكتمان حالها فلا تكلف الناس سؤالا وما أحسن قول القائل

اسقني خمرة كرقة ديني * أو كعقلي ولا أقول كحالي
خيفة من توهم الناس أني * قلت هذا في معرض لسؤالي

ولقائل أن يقول على كل حال تعرض للسؤال كما قالوا في حق الغزالي لما أنشد قوله

خلت الديار فسدت غير مسود * ومن العناء تفردي بالسودد

قالوا أراد بهذا التواضع وهو قد ترفع لانه ادعى انفراده بالسودد ومن قول الاول قول الآخر ولكنه زاد في تعداد المتصف بالرقة حيث قال

ولم أدر اذ رق النسيم وعيشنا * وصوت مغنينا وصهباء قرقف
أعيشي أم صوت المغني أم الصبا * أم الكاس أم ديني أرق وأضعف

وقد ظرف في تأخير ذكر دينه لانه اخرما في السمع قبل ذكر الرقة والضعف وأما الاول فان ذكر دينه افدح وطال عهد السامع به وهذا من أنواع البلاغة وقلت أنا

أقول لهم قد رق عيشي والصبا * وعقلي وكاساتي وصوت الذي غني
فقال الذي أهوى وخصري نسيته * فقلت له والله قد جئت في المعنى

وقول الطغرائي * وأبرز فيهم ان أصبت ثراء * من قول الآخر

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

(حكي) ان الامير بدر الدين بيليك الخازندار أحضره الى القاهرة تاجر كان يحسن اليه وهو في رقه فلما باعه تنقلت به الايام الى ما صار اليه وافتقر التاجر فيما بعد فحضر اليه بالديار المصرية وكتب له رقعة فيها هذان البيتان

كنا جميعا في بؤس نكابده * والقلب والطرف منا في أذى وقذى
والآن أقبلت الدنيا عليك بما * تهوى فلا تنسني ان الكرام اذا

اشارة الى البيت المتقدم فأعطاه عشرة آلاف درهم (قلت) وهذا عندي أشرف من التضمين الكامل وأطرب للفهم وأعذب للسمع وفيه من البلاغة حسن التضمين مع ما في ذلك من الاختصار الذي هو من أشرف أنواع البلاغة لانه يرفع عن المخاطب مؤنة الاصغاء وقرع السمع بما هو محفوظ مقرر في الذهن (أنشدني) من لفظه لنفسه المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي بالباب وبزاعة سنة احدى وثلاثين وسبعمائة من أبيات

لا ترك مالي ترك * مادين حبي شرك
حواجب وعيون * لها بقلبي فتك
كالقوس يصمي وهذي * تشكي المحب وتشكو

(وقال آخر)

لحا الله أنا نا عن الضيف بالقرى
والأمنا عن عرض والده ذبا
وأدخلنا للبيت من قبل استه
اذا القور ابدى من جوانبه ركبا

القور الاكم والجبال الصغار يعني ان البخيل اذا كان جالسا بفنائه فرأى راكبا قد لاح من القور زحف بظهره داخلا الى بيته فرارا وخشية من الضيف كيلا يراه فيطرقه

(وقيس بن زهير اذا استعان بدهاء ثالث)

هو قيس بن زهير بن جذيمة العبسي صاحب الحروب بين عبس وذبيان بسبب الفرسين داحس والغبراء كما سيأتي ذكر ذلك في موضعه كان فارسا شاعرا داهية يضرب به المثل فيقال أدهى من قيس (حكي) المدائني ان رجلا يرمى الاحوص فلما دنا من القوم حيث يرونه نزل عن راحلته فأتى شجرة فعلق عليها وطبا من لبن ووضع في بعض أغصانها حنظلة ووضع صرة من تراب وصرة من شوك ثم أتى راحلته فاستوى عليها وذهب فنظر الاحوص والقوم في أمره فعيي به فقال أرسلوا الى قيس بن زهير فجاء فقال له الاحوص ألم تخبرني انه لا يرد عليك أمر الاعرفت مأتاه مالم

يتبادلان فينصفا * ن وليس بينهما ارتياب
فيصيب هذا ماءذا * كالبحر يمطره السحاب

(وقال) ابن سناء الملك

وظبي حكى ريم الفلا في نفاره * فما باله لم يحكه في التلفت
يدافعني عن وصله بتهدم * فياليته لو كان يدفع بالتي

(وقال أيضا)

والجد مر طعمه * لاتحسبن المجد تمرا

(وقال) شرف الدين شيخ الشيوخ بحماة

راموا فطامي عن هوى * غذيته طفلا وكهلا
فوضعت في جيبي يدي * وقلت خلوني والا

أنشدني من لفظه لنفسه المولى شهاب الدين الحسيني ابن قاضي العسكر كاتب الدرج السلطاني بالقاهرة سنة سبع وعشرين وسبعمائة من جملة قصيدة طويلة

ولما وقفنا بالمطايا عشية * على الطلل البالي وقلنا له ألا
أذنا الاخلاف الدموع فاخلفت * وفاضت الى ان أنبت العشب والكلا

الاشارة في البيت الاول وقلت أنا

علقتها من بنات الترك قد غنيت * بدمع عاشقها عن منة الشنف
يلقى المتيم من تثقيف قامتها * مالا يلاقيه كوفي من الثقفي
اني لاعجب للعذال كيف رأوا * شخصي وقد درحت ذا روح ترددفي

(وقلت أيضا)

رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لي صبر
وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

(وقلت أيضا)

فلك من هجا الك شعرا * أوشانه بزحاف
وقل لمن لام فيه * على تحت القوافي

وقال ابن القيسراني ومن خطه نقلت

أهيم الى العذب من ريقه * اذا هيم العاشقين العذيب
شهدت عليه وما ذقته * يقينا ولكن من الغيب غيب

قيل ان المبرد بعث غلامه الى غلام يحبه وقال له بحضرة الناس امض اليه فان رأيته فلا تقل له وان لم تره فقل له فذهب الغلام ورجع فقال لم أره فقلت له فجاء فلم يجئ فسئل الغلام عن معنى ذلك فقال أنفذني الى غلام يهواه فقال ان رأيت مولاه فلا تقل له شيأ وان لم تر مولاه فادعه فذهبت فلم أر مولاه فقلت له فجاء مولاه فلم يجئ الغلام (رجع) الى ذكر الامير بدر الدين بيليك الخازندار حكى أن الملك الظاهر لما استعرضه ليشتريه قال له التاجر يا خوند انه يحسن الكتابة والقراءة فأحضرت له دواة وقلم وقدما اليه ليكتب شيأ يراه فكتب

لولا الضرورات ما فارقتكم أبدا * ولا تنقلت من ناس الى ناس

ترنو اصي الخيل قال فالخبر فاعلموه فقال وضح الصبح لذي عينين فصار مثلا يضرب في وضوح الشئ ثم قال هذا رجل أسره جيش قاصد لكم ثم أطلق بعد أن أخذت عليه العهود والمواثيق أن لا ينذركم فعرّض لكم بما فعل أما الصرة من التراب فانه يزعم انه قد أتاكم عدد كثير وأما الحنظلة فانه يخبر أن بني حنظلة غزتكم وأما الشوك فانه يخبر أن لهم شوكة وأما اللبن فهو دليل على قرب القوم أو بعدهم ان كان حلوا أو حامضا فاستبعد الاحوص وورد الجيش كما ذكر (وحكى) أن النعمان بن المنذر ارسل الى أبيه زهير يخطب ابنته وسأله أن يبعث اليه ببعض بنيه فأرسل اليه ولده شاسا فلما قدم عليه اكرمه وأحسن جائزته ورده الى أبيه وعرض عليه ان يتبعه قوما يخفرونه فقال لاشئ أمنع لي من نسبتي الى أبي وخرج وحده فربما من مياه بني غني فأكل وشرب ونزل الى الماء يغتسل وكان رياح بن الاشل الغنوي نازلا في بيته على الماء ومعه امرأته فرآها تحد النظر الى جسد شاس وقد شمت منه رائحة المسك فاخذته غيرة ففوّق اليه سهما فقتله وغيب أثره وأخذ ما معه وكان معه عيبة

فأعجب الملك الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك في مشتراه (وحكى) ان انسانا رفع قصة الى الصاحب كمال الدين بن العديم فأعجبه خطها فامسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها الى فقال على به فلما حضر وجده مملوكه الذي يحمل مداسه وكان عنده في حال غير مرضية فقال هذا خطك قال نعم قال هذه طريقتي من هو الذي أوقفك عليها فقال يامولانا كنت اذا وقعت لاحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة على حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة فامره ان يكتب بين يديه ليراه فكتب

وما تنفع الآداب والعلم والحجى * وصاحبها عند الكمال يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد أكثر من الخط ورفع منزلته عنده حينئذ وقد عرّض بعض أهل العصر بذكر الشيخين صدر الدين وكمال الدين فقال

مولاى صدر الدين ان زرته * أسعده الله على كل حال
رأيت حظى عنده وافرا * فصح ان النقص عند الكمال

(رجع الى قوله أريد بسطة كف) أما حب المال وطلبه للانفاق فما زال الشعراء يتداولون معناه قال أبو اسحق الغزى

لو تملك الدنيا يدى لأرحت من * يمسى ويصبح طالبا حثاثا
وقسمتها بيني وبين أصادقى * وعداى غير مميز أثلاثا

وقال بعض أهل الاندلس وهو مشهور

لحا الله دهرا خصني بخصاصة * وأقعدني عما سعى فيه أمثالى
تنوب صديقى نائبات زمانه * فيقعدنى عن رفده قلة المال
فوا أسفا من مكرمات أرومها * فينهضنى عزمى ويقعدنى حالى

وأشهر منه قول الآخر

والهف نفسى على مال أفرقه * على المقلين من أهل المروآت
ان اعتذارى الى من جاء يسألنى * ماليس عندى من احدى المصيبات

(وقال آخر)

النفس ملأى من المعالى * والكيس صفر الجنان خالى
فليت مالى كمثل فضلى * وليت فضلى كمثل مالى

وقال أبو الحسين الجزار

لقد رضى الرحمن عن كل منفق * فما بالنا نلقى رضا الله بالسخط
معيب على الانسان يعطيه ربه * بغير حساب وهو يحسب ما يعطى

وقال صالح بن صالح الشنتريني

أحب لذى قربى وصل ذا وسيلة * وقم بالحقوق الواجبات اللوازم
أما انني لو نلت أيسر يسرة * لكانت لكفى بسطة في المكارم
فآها لعصر مثل أهليه جاهل * ودهر لابناء المروءة ظالم

(وقال آخر)

يعز على أن أرى ذا مروءة * من الناس لا أستطيع تغيير حاله

مملوءة مسكا وعطرا من عطر النعمان وحلالا من ثيابه وأبطأ خبر شاس عن زهير فاخبر بما انصرف به من عند النعمان ولم يدر من قتله فقلق لذلك فقال قيس ياأبت أنا أكشف لك خبر أخى ثم دعا بامرأة حازمة من نساء قومه وكانت لسنة شديدة فامرها ان تأخذ لحما سمينا فتقدده وتخرج به الى بنى عامر وغنى وتعرض ذلك عليهم وتقول انى قد زوجت ابنتى وأنا أبتغى لها طيبا وثيابا ففعلت الى ان وقعت على امرأة الغنوى فقالت لها ان كتمت على أعطيتك حاجتك وأخبرتها بامر شاس وأعطتها مسكا وثيابا وباعتها ذلك بما معها من الشحم واللحم وخرجت العبسية حتى أتت قيسا فأخبرته فاخبر أباه فركب في قوم من بنى عبس وأغار على غنى فقتلهم وفرقهم (وحكى) انه في بعض حروبه لبنى ذبيان وهو يوم الشعب المشهور صعد بالجيش والنعم الى الجبل وعقل الابل عشرة أيام لا تشرب والماء كثير تحت الجبل فلما همت بنو ذبيان بالصعود الى الجبل حل عقال الابل وأمسك بذنب كل بعير رجل معه سلاحه فرّت الابل طالبة الماء لا تمر بشئ الا طحنته والرجال في

ولو كان لى مال اصادف مالكا * يجود يبذل المال قبل سؤاله

وقال مسلم بن الوليد

عند الحوادث من أخيك عزيمة * حصداء مبرمة وعقل فاضل
عرف الحقوق وقصرت أمواله * عنها وضاق بها الغنى الباخل

(وقال آخر)

أرى نفسى تتوق الى أمور * يقصر دون مبلغهن مالى
فلا نفسى تطاوعنى ببخل * ولا مالى يبلغنى فعالى

(وقال آخر)

رزقت لبا ولم أرزق مروءته * وما المروءة الا كثرة المال
اذا أردت مساماة تقاعد بى * عما أحاول منها رقة الحال

(وقال آخر)

الناس صنفان فى زمانك ذا * لو تبتغى غير ذين لم تجد
هذا بخيل وعنده سعة * وذا جواد بغير ذات يد

زعمت الرواة انها لم تسمع للاحنف بن قيس الا هذين البيتين وهما

فلو مد دهرى بمال كثير * لجدت وكنت له باذلا
فان المروءة لا تستطاع * اذا لم يكن مالها فاضلا

وما أحسن قول ابن نباتة السعدى

مثل خلعت على الزمان رداءه * عدم الدراهم آفة الأجواد

وقال الوزير سهل بن هرون

ولكنما أبكى بعين سخينة * على حدث تبكى له عين أمثالى
وما الفضل الا أن تجود بنائل * والا القاء الخل ذى الخلق الغالى
فواحربى حتى متى أنا موجع * بفقد خليل أو تعذر افضالى
فراق خليل لا يقوم به الاسى * وخلة حر لا يقوم بها مالى

وقال ابن سناء الملك

ثقل الزمان على حتى خف بين النحاس وزنى
ألقى الصديق بلا ثرا * ء والعدو بلا مجن

ومما نظمته أنا

وقائلة فيم اجتهادك للغنى * وقد رقدت للحظ منك عيون
فقلت لها والله مالى حاجة * لتحصيل دنيا فالامور تهون
ولكن حقوق للعلا قد ترتبت * على ذمتى مفروضة وديون
فلو وجدت كفى لبرأت ساحتى * وكنت أريك الجود كيف يكون

ومما قلت أيضا

أنا ان لم أجد فى كسب مال * هات قل لى بالله كيف أجود
واذا لم أسد خلة حر * هات قل لى بالله كيف أسود

أعقابها تضرب من مرت به فكانت الهزيمة على بنى ذبيان (وحكى) انه لما تطاولت الحروب بينه وبين حذيفة وجمل ابنى بدر الذبيانيين جمع جمعا عظيما وبلغ بنى عبس انهم قد ساروا اليهم فقال قيس أطيعونى فوالله لئن لم تفعلوا الاتكئن على سيفى الى أن يخرج من ظهرى قالوا فانا نطيعك فأمرهم فسرحوا السوام والضعاف بليل وهم يريدون أن يظعنوا من منزلهم ذلك ثم ارتحلوا فى الصبح وأصبحوا على ظهر العقبة وقد مضى سوامهم وضعفاؤهم فلما أصبحوا اطلعت عليهم الخيل من الثنايا فقال قيس خذوا غير طريق المال فلا حاجة للقوم أن يقعوا فى شوكتكم ولا يريدون غير ذهاب أموالكم فأخذوا غير طريق المال فلما أدرك حذيفة الاثر ورآه قال أبعدهم الله وما خيرهم بعد ذهاب أموالهم وسارت ظعن عبس والمقاتلة من ورائهم وتبع حذيفة وبنو ذبيان المال فلما أدركوه ردوا أوله على آخره ولم يفلت منهم شئ وجعل الرجل يطرد ما قدر عليه من الابل فيذهب بها وينفردوا اشتد الحر فقال قيس يا قوم ان القوم قد فرق بينهم المغنم واشتغلوا فاعطفوا الخيل فى آثارهم

وما يطلب المال الا للانفاق وبلوغ المقاصد وابلاغ القاصد كما ان السيف للذب والردع والمدية للقط والقطع وما أحسن قول أبي العتاهية في عبدالله بن معن من أبيات

فصغ ما كنت حليت * به سيفك خلخالا

فما تصنع بالسيف * اذا لم تك قتالا

يقال ان عبدالله قال ما انبست سيفي قط فرأيت انسانا يلمحني الا ظننته يحفظ قول أبي العتاهية في ومثل هذا ما قاله ابن نفيل في عبد الملك بن عمير القاضي

اذا كلمته ذات دل لحاجة * فهم بأن يقضي تنحنح أوسعل

قال عبد الملك تركني والله وان السعلة لتعرض لي في الخلاء فاذكر قوله فأهاب أن أسعل ومدح عبدالله بن الزبير الاسدي أسماء بن خارجة الفزاري فقال * تراه اذا ما جئته متهللا * البيتين فأثابه ثوابا لم يرضه فغضب عبدالله وقال يهجوه

فوالله لولا رهن هند بظرها * لعد أبوها في اللئام المفالس

بنت لكم هند بتلديغ بظرها * دكاكين جص عاليات المجالس

فركب اليه أسماء وأرضاه وكان يقول بعد ذلك والله ما رأيت جصا في بناء ولا غيره الا ذكرت بظر أختكم هند يقال ان الهادي كان بنو العباس يسمونه موسى أطبق لانه كان يفتح فاه كثيرا فرتب المهدي في خدمته خادما يلاحظه أبدا فتي سهاعن نفسه وفتح فاه قال له موسى أطبق (رجع) عن أبي ذر رضي الله عنه انما مالك لك أو للعاجة أو للوراثة فلا تكن أعجز الثلاثة وقال سعيد بن المسيب لا خير فيمن لا يكسب المال ليكف به وجهه ويؤدي به أمانته ويصل به رحمه وما أحسن ما عبر به ابن الجهم عن جمع المال طلبا للانفاق في قوله

وما تجمع الاموال الا لبذلها * كما لا يساق الهدي الا الى النحر

ومثله قول مسلم بن الوليد

تاتي البدور فتفنيها اصطنائعه * وما تدنس منها كف منتقد

لا يعرف المال الا عند نافلة * ويوم يجمعه للنهب والبدد

وقال النضر بن جؤبة

قالت طريفة ما تبقى دراهمنا * وما بنا سرف فيها ولا خرق

انا اذا اجتمعت يوما دراهمنا * ظلت الى طرق المعروف تستبق

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا * لكن يمر عليها وهو منطلق

وبالغ أبو الطيب في قوله

وكلما لقي الدينار صاحبه * في ملكه افترقا من قبل يصطحبا

مال كأن غراب البين يرقبه * فكلما قيل هذا مجتد نعبا

هذا البيت الاول من معاني ابي الطيب التي يناقض آخرها أولها لانه قرر أولا أن الدينار يلقى صاحبه ثم قال يفترقان قبل اصطحابهما وهذا تناقض وكذا قوله

أعدى الزمان سخاؤه فسخا به * ولقد يكون به الزمان بخيلا

فقرر ان سخاءه أعدى الزمان فهذا دليل على وجوده ثم قال فسخا الزمان به أي أوجده والشئ لا يتقدم على وجود نفسه ولكن هذا النوع من المبالغات التي تخرج الى حد الاستحالة فتفيد

فلم يشعر بنو ذبيان الا بالخيل فلم يقاتلهم كثيرا أحد وانما كان هم الرجل في غنيمته أن يحوزها ويمضي فوضعت بنو عبس فيهم السلاح حتى ناشدتهم بنو ذبيان البقية ولم يكن لهم همم غير حذيفة فارسلوا الخيل تقص أثرهم وكان حذيفة قد استرخى حزام فرسه فنزل عنه ووضع رجله على حجر مخافة أن يقص أثره ثم شد الحزام فعرفوا حنف فرسه والحنف أن تميل احدى اليدين على الاخرى فتبعوه ومضى حتى استغاث بجفر الهباءة وهو موضع عباءة الهباءة وقد اشتد الحر وقد رمى بنفسه ومعه حمل بن بدر أخوه وورقاء بن بلال وقد نزعوا سلاحهم وطرحوا سروجهم ودوابهم تمعك وجعل ربيئتهم يتطلع فاذا لم ير شيأ رجع فنظر نظرة فقال اني رأيت شخصا كالنعامة فلم يكترثوا بقوله وبينما هم يتكلمون اذ دهمهم شداد ابن معاوية فحال بينهم وبين الخيل ثم جاء قرواش وقيس حتى تتاموا خمسة فحمل بعضهم على خيلهم فطردها وحمل البقية على من في الجفر فقال حذيفة يا بني عبس فأين العقول والاحلام فضربه أخوه حمل بين كتفيه وقال اتق مأثور القول فذهبت مثلا يعني انك تقول قولا

المعنى قوة لم تمكن في غيره وقال أبو الحسين الجزار في الحث على الانفاق

اذا كان لي مال علام أصونه * وما ساد في الدنيا من البخل دينه
ومن كان يوما ذا يسار فانه * خليق لعمري أن تجود يمينه

وقلت أنا وفيه نكتة نحوية

لا تجمع الدينار واسمح به * ولا تقل كن في حمى كني
ما الدهر نحوي فنحوا الهدى * ويمنع الجمع من الصرف

لان جمع دينار دنانير وهذا الوزن أحد الاوزان الثلاثة التي جاءت على صيغة منتهى الجموع وهي مساجد ومصابيح وشواب والكل ممنوع من الصرف وأردت بالصرف في الظاهر ما تريده النحاة وفي الباطن ما هو من حوادث الدهر ويخدم أيضا في مصارفة الدينار بالدراهم فتأمله يظهر لك والمال قد يطلب لذاته وهذا مذموم نطق القرآن بالتوعد عليه فيمن يكنز الذهب والفضة ولا ينفقهما وأي أرب في جمع المال وعدم انفاقه وأي فرق بين أن يكون ما في الصندوق ذهبا وفضة وجواهر وبين أن يكون حجارة وترابا وبين أن يكون خاليا قال أبو الطيب

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

وهذا البيت مضطرب الصنعة لانه كان ينبغي له ان يقول سرور محب أو حزن عدو وهذا مما يقع له كثيرا وسيأتي من كلامه نظائر لهذا البيت وقول الطغرائي في هذا البيت والذي بعده يشبه قول أبي الطيب

وأتعب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهي النفس وجده
فلا مجد في الدنيا لمن قل ماله * ولا مال في الدنيا لمن قل مجده
وفي الناس من يرضى بميسور عيشه * ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبي ماله * مدى ينتهي بي في مراد أحده

والدنيا كل أمورها غريبة وكلها عجائب وعلى الحقيقة ما فيها عجيبة هذا الطغرائي منشي السلطان محمد كما تقدم وصاحب ديوان الطغرا وله يد في الكيميا وحل رموزها ومع هذا يقول * أريد بسطة كف أستعين بها * ولكن الزمان حرب الفضل وسلم الجهل والظاهر من أمره أنه كان يعرف الكيميا علما لا عملا أو علما وعملا ولكن الايام ما ساعدته على التمكن من عملها حتى يبرزها من القوة الى الفعل لانه قال

ومن أعجب الاشياء أني واقف * على الكنز من يظفر به فهو مبخوت
وأن كنوز الارض شرقا ومغربا * مفاتيحها عندي ويعجزني القوت
ولولا ملوك الجور في الارض أصبحت * وحصباؤها در لدي وياقوت

ذكرت بهذه الابيات قول المعتمد لما ترقت حال الموفق أحمد بن المتوكل الى غاية لم يبلغها الخليفة المعتمد وغلب الموفق على أمره

أليس من العجائب أن مثلي * يرى ما هان ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا * وما من ذاك شئ في يديه

*(والدهر يعكس آمالي ويقنعني * من الغنيمة بعد الكد بالقفل)*

تخضع فيه وتقتل ويشتهر عنك وقتل حذيفة وحمل ومن معه وتفرقت بنو ذبيان وأسرف قيس في النكاية والقتل ثم ندم على ذلك ورثى حمل بن بدر بالابيات المشهورة في الحماسة وهو أول من رثى مقتوله ولما أطال الحروب وملّ أشار على قومه بالرجوع الى قومهم ومصالحهم فقالوا سر نسر معك فقال لا والله لا نظرت في وجه ذبيانية قتلت أباها أو أخاها أو زوجها أو ولدها ثم خرج على وجهه حتى لحق بالنمر بن قاسط فقال يا معشر النمر انا قيس بن زهير غريب حرب فانظروا لي امرأة قد أدبها الغنى وأذلها الفقر فزوجوه امرأة منهم ثم قال اني لا اقيم فيكم حتى اخبركم باخلاقي اني امرؤ غيور فخور انف ولست افخر حتى أبتلى ولا اغار حتى ارى ولا آنف حتى اظلم فرضوا باخلاقه فاقام فيهم زمانا ثم اراد التحول عنهم فقال يا معشر النمر اني ارى لكم علي حقا بمصاهرتي لكم ومقامي بين اظهركم واني آمركم بخصال وانهاكم عن خصال عليكم بالاناة فبها تدرك الحاجة وتسويد من لا تعابون بتسويده والوفاء فبه تعايشون واعطاء من تريدون اعطاءه قبل المسألة ومنع من تريدون منعه قبل الالحاح

(اللغة) الدهر الزمان قال الشاعر

ان دهرا يلف شملي بليلي * لزمان يهم بالاحسان

ويجمع على دهور ويقال الدهر الابد وقولهم دهر داهر كقولهم أبدا آبد وقولهم دهر دهارير أي شديد كقولهم ليلة ليلاء ونهار أنهر ويوم أيوم وساعة سوعاء وفي الحديث لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر لانهم كانوا يضيفون النوازل اليه فقيل لهم لا تسبوا فاعل ذلك بكم فان ذلك الفاعل هو الله تعالى والدهري بفتح الدال هو الملحد وبضمها المسن وقال ثعلب هما جميعا منسوبان الى الدهر والدهري هو الذي يعتقد عدم الصانع وينكر البعث والنشور والمجازاة (العكس) ردك آخر الشئ الى أوله ومنه عكس البلية عند القبر لانهم يربطونها معكوسة الرأس الى ما يلي كلكلها وبطنها ويقال الى مؤخرها مما يلي ظهرها ويتركونها على تلك الحال حتى تموت (الآمال) جمع أمل وهو الرجاء تقول أملت خيره آمله بالضم أملا وكذا التأميل وقولهم ما أطول املته بكسر الهمزة أي أمله فهو كالجلسة والركبة (القناعة) الرضا بالقسم وقد قنع بالكسر يقنع قناعة فهو قنع وقنوع وأقنعه الشئ اذا أرضاه (الغنيمة) واحدة الغنائم وهي ما تظفر به من ملك غيرك ولم يكن لك (الكد) الشدة في العمل وطلب الكسب والتعب (القفل) الرجوع من السفر وقد قفل يقفل بالضم ومنه القفل والقافلة الرفقة الراجعة من السفر فلا يقال لمن خرج من بلدة يريد مكانا آخر قافل الى أن يرجع وتسمى الرفاق قافلة قبل العود تفاؤلا لهم بالرجوع كما تسمى المهلكة مفازة واللديغ سليما وأول من نطق بهذا المثل امرؤ القيس فقال

وقد طوفت في الآفاق حتى * رضيت من الغنيمة بالاياب

وقال عبيد بن الابرص

ولولاقيت علباء بن عمرو * رضيت من الغنيمة بالاياب

(الاعراب) (والدهر) الواو للابتداء الدهر مرفوع على انه مبتدأ (يعكس) فعل مضارع رفع لتجرده من الناصب والجازم وقد تقدم الكلام عليه وهو ثلاثي فلهذا فتح حرف المضارعة منه على ما تقدم (آمالي) جمع أمل وهو منصوب بيعكس ولم يظهر النصب فيه لانه مضاف الى ياء المتكلم والمفعول به قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب هو ما وقع عليه فعل الفاعل قال النيلي في الشرح يريد بالوقوع التعلق لا المباشرة والا لخرج مثل أردت الطلاق لعدم المباشرة واحترز بقوله عليه من الظرف لان الفعل يقع فيه لا عليه ومن المفعول له فان الفعل يقع لاجله ومن المفعول معه لانه يقع معه لا عليه ومن المفعول المطلق لانه نفس الفعل الواقع من الفاعل وقيل المفعول به هو المقول في جواب من سأل عن تعلق هذا الفعل فيقول المجيب بزيد فلتقييده في السؤال والجواب بالباء سمي المفعول به (قلت) كيفما حاول النحاة رسم المفعول به لا يخلصون من ايراد عبد القاهر الجرجاني في اعراب خلق الله العالم لانه قال العالم هنا مصدر لا مفعول به لان المفعول به هو الذي كان موجودا وأثر فيه الفاعل شيأ آخر بفعله والمصدر هو الذي لم يكن موجودا بل كان عدما محضا والفاعل موجده ومخرجه من العدم الى الوجود بفعله والعالم في قولنا خلق الله العالم كذلك فكان مصدرا واعترض عليه بأنه لو كان مصدرا لكان نفس الخلق ولا يجوز أن يكون ذلك لوجهين أحدهما أنا نعلم العالم مع الشك في

وخلط الضيف بالازام واياكم والرهان فبه ثكلت مالكا أخي والبغي فانه صرع زهيرا أبي وحملا والسرف في الدماء فان قتل أهل الهباءة أورثني العار ولا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق ثم رحل الى عمان فأقام بها حتى مات وقيل انه خرج هو وصاحب له من بني أسد عليهما المسوح يسيحان في الارض ويتقوتان مما تنبت الى أن دفعا في ليلة قرة الى أخبية لقوم من العرب وقد اشتد بهما الجوع فوجدا رائحة القتار فسعيا يريدانه فلما قاربا أدركت قيسا شهامة النفس والانفة فرجع وقال لصاحبه دونك وما تريد فان لي لبثا على هذه الاجارع أترقب داهية القرون الماضية فمضى صاحبه ورجع من الغد فوجده قد لجأ الى شجرة باسفل واد فنال من ورقها شيأ ثم مات وفي ذلك يقول الحطيئة من أبيات

ان قيسا كان ميتته
أنفا والحر منطلق
في دريس لا يغيبه
رب حر ثوبه خلق

ومن شعر قيس بن زهير يرثي حمل بن بدر يقول

تعلم ان خير الناس ميت
على جفر الهباءة لا يريم
ولولا ظلمه مازلت أبكي
عليه الدهر ما بدت النجوم

بغى والبغى مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومى
وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسونى
فمعوج على ومستقيم
وقوله أيضا
تعرفن من ذبيان من لو لقيته
بيوم حفاظ طار فى اللهوات
ولو أن سافى الريح يحملكم قذى
لاعميتنا ما كنتم بقذاة
وقوله أيضا
اذا أنت أقررت الظلامة لامرئ
رمالك باخرى شعبها متفاقم
فلا تبد للاعداء الاخشونة
فمالك منهم ان تمكن راحم
(واياس بن معاوية انما استضاء بمصباح ذكائك)
هو اياس بن معاوية بن قرة المزنى قاضى البصرة وكنيته أبو واثلة صاحب الفراسة والاجوبة البديعة يضرب به المثل فيقال أزكن من اياس والزكن التفرس بالشئ بالظن الصائب قال الشاعر
زكنت منهم على مثل الذى زكنوا
وبعض الناس يقول اذكى من اياس وهو الذى أراده أبو تمام فى قوله
فى حلم أحنف فى ذكاء اياس
(حكى) ابن عائشة قال اول ما عرف من ذكاء اياس انه دخل الشام وهو صغير فقدم

كونه مخلوقا لله تعالى الى أن نعلم ذلك بدليل منفصل فالعلم على هذا معلوم وكونه مخلوقا لله تعالى غير معلوم لتوقفه على الدليل والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم فكان الخالق غير العالم الثانى ان الله تعالى يوصف بالخلق فلو كان الخالق العالم لكان الله موصوفا بالعالم وهو لا يجوز لانه يلزم من ذلك وصف القديم بالحادث أو قدم العالم (قلت) الجواب عن الايراد الذى أورده الامام عبد القاهر هو أن الكلام انما هو فى اصطلاح النحاة وهذا المصطلح انما هو فيما يعرض لاواخر الكلم من الرفع والنصب والجر لاتصاف الكلمة تارة بالفاعلية وتارة بالمفعولية وتارة بالاضافة الى غير ذلك فاذا قلنا خلق الله السموات والارض قلنا هذه الكلمات المركبة المسموعة نسميها فى اصطلاحنا فعلا وفاعلا ومفعولا فرفعنا اسم الله تعالى على أنه فاعل ونصبنا السموات والارض على المفعولية لوقوع فعل الفاعل عليهما ولا يلزمنا من هذه العبارة التى أوقعناها على هذه الالفاظ أن يكون المعنى فى الاصل قد وقع وتجدد لان الالفاظ أدلة على المعانى والدليل غير المدلول ولان الاسم غير المسمى والالزم احتراق فم من تلفظ بالنار ولزم اذا قلنا أعدم الله العالم وأقام القيامة وأمات زيدا أن يكون هذا كله قد وقع الآن وتجدد ونحن نجد هذا باطلا على أنى أعتقد أن الامام رحمه الله كان يعتقد بطلان هذا الايراد وانما أورده مغالطة واظهار صناعة فى البحث لا غير (رجع) واختلف فى ناصب المفعول به فذهب سيبويه انه الفعل ولذلك تعددت المفاعيل بحسب اقتضاء الفعل لها لان الفعل ان اقتضى مفعولا نصبه أو اثنين نصبهما أو ثلاثة نصبها ومذهب ابن هشام أنه الفاعل لانه الذى أثر فيه فى المعنى فيؤثر فيه فى اللفظ (قلت) وهذا ليس بشئ لان الفاعل يضمر والمضمر لا يعمل فى المظهر ولانهم قسموا الفعل الى لازم ومتعد فدل على أن العمل له ومذهب الفراء انه الفعل والفاعل قياسا على الابتداء والمبتدا فى الخبر والشرط وحرف الشرط فى الجزاء على قول من يراه ومذهب الاخفش أن العامل فيه هو الفاعلية وليس بشئ والصحيح مذهب سيبويه وقد أشبعت القول على ما يتعلق بهذا فى التعليقة على الحاجبية (ويقنعنى) الواو عطفت الفعل على الفعل يقنعنى فعل مضارع مرفوع لانه معطوف على مرفوع ورفعه ضم العين والنون نون الوقاية والياء ضمير المتكلم وموضعها النصب بالمفعولية ليقنع والفاعل ضمير مستتر فيه يرجع الى الدهر كما استتر فى يعكس (من الغنيمة) جار ومجرور ومن هنا للتبعيض وهو أحد معانيها وسيأتى الكلام عليها فى غير هذا الموضع ان شاء الله تعالى (بعد الكد) ظرف ومخفوض به فبعد ظرف زمان ولهذا نصب والعامل يقنع والكد جر باضافته الى الظرف (بالقفل) جار ومجرور والباء هنا للتعدية وتقدم الكلام على تقسيم الباء فالدهر فى البيت مبتدأ وخبره يعكس كانه قال والدهر عاكس آمالى ويقنعنى موضعه الرفع عطفا على الخبر والباء فيه مفعول أول وبالقفل مفعول ثان له ومن الغنيمة متعلق بيقنع فالجملة كلها من يقنعنى الى آخر البيت فى موضع رفع على أنها خبر معطوف على خبر المبتدا والبيت كله من أوله الى آخره فى موضع نصب على أنه حال من فاعل أريد بسطة كف كانه قال أريد بسطة فى حال أن الدهر عاكس آمالى وقال الجوهرى فى صحاحه أقنعه الشئ اذا أرضاه فعلى هذا لا يتعدى الى مفعول ثان الا ان يشدد تقول قنعته بالقليل من الرزق (المعنى) والدهر يعكس ما أؤمله وأرجوه من البسطة والرفعة حتى أقنع من الغنيمة بالرجوع بعد التعب والمشقة وهذا

المثل

المثل يضرب لمن خفق مسعاه وطال سفره وتمنى العود الى بلده نعوذ بالله من هذا الحال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من طمع في غير مطمع ومن طمع يعود الى طبع وكان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد والدهر ما زال يعكس المقاصد ويراقب الخيبة ويراصد ويكمن المنايا في الاماني ويثني غصون الامل ذاوية بعد أن كانت عذبة المجاني خلقا ألفه الناس في سجاياه وطبعا رمى الخلق به من سهام جناياه

فقد تدنو المقاصد والاماني * فتعترض الحوادث والمنون

والشعراء ما زالوا يكثرون في هذه المعاني قال أبو الطيب

أريد من زمني ذا أن يبلغني * ما ليس يبلغه في نفسه الزمن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

(وقال أيضا)

أهم بشئ والليالي كأنما * تطاردني عن كونه وأطارد

وقال المعتمد بن عباد يرثي ولديه المأمون والراضي بأبيات منها

بكيت فتحا فاذ ذا نبت سلوته * أودى يزيد فزاد القلب أشجانا
فكنت كالمبتغي ما يتخيله * حتى انتهى فرأى الغدران نيرانا

(وقال) ابن القيسراني ومن خطه نقلت

الى كم أسوم الدهر غير طباعه * وأصدقه عن شيمتي وهو حانث
وأسمو مجدا في العلا وتحطني * خطوب كأن الدهر فيهن عابث

وقال مسلم بن الوليد

ما قصر السعي ولا علات * عن مطلب نفسي أمانيها
بل خانها الدهر وأزرى بها * عثرة جد لا تواتيها

ومن أصوات ابن جامع في الاغاني

لئن فاتني في مصر ما كنت ارتجي * وأخلفني منها الذي كنت آمل
فما كل ما يخشى الفتى نازل به * ولا كل ما يرجو الفتى هو نائل
ووالله ما فرطت في وجه حيلة * ولكنه ما قدر الله نازل
وقد يسلم الانسان من حيث يتقي * ويؤتى الفتى من أمنه وهو غافل

(وقال) أبو فراس بن حارث الحمداني

قد كنت عدتي التي أسطو بها * ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي
فرميت منك بغير ما أملته * والمرء يشرق بالزلال البارد

(حكى) الخالديان في اختيار شعر مسلم بن الوليد انه كان في بعض أطراف البصرة رجل يخيف السبيل فأعيا أمره السلطان ثم ظفر به فأمر بقتله وصلبه فلما قدم لذلك قال للموكل به ان رأيت أن تتوقف عني قليلا وتدنيني الى الجذع وتأمر لي بدواة وقرطاس أكتب شيئا في قلبي فاذا فرغت من ذلك فشأنك وما أمرت به فأجابه الى ما سأل وقربه من الجذع فكتب ثم قال للموكل بقتله افعل ما بدا لك فنظر الى ما كتب فاذا هو

خصومه الى شيخا الى قاضي عبد الملك بن مروان وكان القاضي يعرف الخصم فقال لاياس اما تستحيي تقدم شيخا كبيرا فقال اياس الحق أكبر منه فقال له اسكت قال فمن ينطق بحجتي اذا سكت قال ما أحسبك تقول حقا حتى تقوم قال أشهد أن لا اله الا الله فقام القاضي فدخل على عبد الملك فاخبره الخبر فقال اقض حاجته واصرفه عن الشام لئلا يفسد علينا الناس (وحكى) غيره قال أول ما عرف من ذكاء اياس أنه كان صبيا في المكتب فاجتمع قوم من النصارى يضحكون من المسلمين وقالوا ان المسلمين يزعمون انه لا يكون في الجنة ثفل الطعام يعنون الغائط فقال اياس لمعلمه يا معلم أليس تزعم أن أكثر الطعام يذهب في البدن قال نعم قال فما ينكر أن يكون الباقي يذهبه الله في البدن فسكت النصارى وأعجب به المعلم وحكى انه دخل الى الشام مرة ثانية وأراد الحج فقال للمكاري انظر لي انسانا غريبا فاني أريد أن أخرج سرا يعني عديله فاكراهما فلبثا في المحمل ثلاثا لا يسأل هذا هذا شيأ فقال اياس يا عبد الله بعد ثلاث لا أصبر من أنت قال غيلان فقال غيلان العذري قال نعم فمن أنت قال اياس

قالت سليمى كم تمنينا * وعدك وعد ليس يأتينا
يا قانعا بالدون من عيشه * حتى متى تصبح محزونا
فحركت أشرس ذامرة * من بعد ثنتين وخمسينا
ان كنت قصرت ولم أجتهد * فى طلب الرزق فلومينا
وأى باب يرتجى فتحه * وماقرعناه بايدينا
ماقصر السعى ولكنها * مقادر جارية فينا

فرفع خبره الى من أمر بقتله فصفح عنه وأمر باطلاقه

(وقال آخر)

أسمو الى الامل الاقصى فلقتنى * جد عثور ودهر مهتر خرف
لا الحظ يسعدنى فيما أحاوله * من العلو ولا لى عنه منصرف

خرج الوزير نظام الملك أبو الحسن على الى الصلاة فجلس قليلا ثم التفت الى الحاضرين وقال هنا بيت شعر أريد له أولا وهو

فكأننى وكأنه وكأنها * أمل ونيل حال بينهما القضا

وكان فى الجماعة أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندى الشافعى فقال

أفدى حبيبا زارنى متنكرا * فبدا الوشاة له فولى معرضا

ذكرت هنا ما أنشدنيه لنفسه من لفظه المولى جمال الدين يوسف الصوفى بدمشق سنة سبعمائة وعشرين

كأنما البدر وقد أشرقت * أنواره بين غضون الغصون
وجه حبيب زار عشاقه * فاعترضت من دونه الكاشحون

وقلت أنا فى هذا التشبيه

كأنما الاغصان لما انثنت * أمام بدر التم فى غيهبه
بنت مليك خلف شباكها * تفرجت منه على موكبه

(وقلت أيضا)

كأنما الاشجار فى روضها * والبدر فى غيهبه مسفر
بنت مليك خلف شباكها * قامت الى موكبه تنظر

(وقلت أيضا)

وكأنما الاغصان تثنيها الصبا * والبدر من خلل يلوح ويحجب
حسناء قد عامت وأرخت شعرها * فى لجة والموج فيه يلعب

(رجع) أنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى بالديار المصرية سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قال أنشدنى لنفسه الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

الحمد لله كم أسمو بعزمى فى * نيل العلا وقضاء الله ينكسه
كأننى البدر يبغى الشرق والفلك الأ * على يعارض مسراه فيعكسه

قلت أخذه الشيخ تقى الدين من ناصح الدين الارجانى حيث قال

قال أبو واثلة قال نعم ان شئت سألتنى وان شئت سألتك فقال له غيلان تكلم فقال ان شئت أخبرتك بخبر أهل الجنة والنار والملائكة والشيطان والعرب والعجم فقال غيلان أخبرنى بها قال قال أهل الجنة حين دخلوها الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وقال أهل النار حين دخلوها ربنا غلبت علينا شقوتنا وقالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا وقال الشيطان رب بما أغويتنى وقالت العرب

ولا يمنعنك الطير شيأ أردته
فقد خط بالاقلام ما كنت لاقيا

وقالت العجم هرجه بايدبان بود همان از بيش

* وكان سبب ولايته القضاء أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أرسل رجلا من أهل الشام وأمره ان يجمع بين اياس والقاسم بن ربيعة ويولى القضاء أنفذهما فجمع بينهما فكان كل منهما يمتنع من الولاية فقال اياس للشامى سل عنى وعن القاسم فقيهى المصر الحسن البصرى وابن سيرين فعلم القاسم أنه ان سأل عنهما أشارا به فقال للشامى لا تسأل عنه فوالله الذى لا اله الا هو ان اياسا الافضل منى وأعلم بالقضاء فان كنت ممن

سعي اليكم في الحقيقة والذي * تجدون عنكم فهو سعي الدهر بي
أنحو كم ويرد عزمي القهقري * دهري فسيري مثل سير الكوكب
فالقصد نحو المشرق الاقصى له * والسير رأي العين نحو المغرب

لكن الشيخ تقي الدين أتى بالمعنى كاملا في بيت واحد والارجاني أتى بما يحتاج فيه الثالث الى الثاني فكان ذلك أكمل (قلت) لا بأس بايضاح هذا المعنى وذلك أن كل كوكب من الكواكب السيارة في فلك يخصه وهو مرصع في فلكه كالفص في الخاتم والافلاك السبعة دائرة من المغرب الى المشرق بدليل أن الهلال يرى في الليلة الاولى في مكان وفي الثانية ينتقل الى مكان آخر آخذا الى جهة الشرق وفي الثالثة والرابعة كذلك الى آخر الشهر حتى يتكمل لفلكه الدورة وهو أن يعود الى النقطة التي كان عليها أولا وهذه الحركة للفلك لا للكوكب وهي الحركة الذاتية المختصة بكل فلك وهذه الافلاك السبعة وفلك البروج وهو فلك الثوابت يحيط بها فلك تاسع يسمى الاطلس لانه لم يظهر للعين فيه شيء من الكواكب ولعل فيه كواكب لا ترى للبعد المفرط وهذا الفلك الاطلس يدور بما في باطنه من الافلاك الثمانية في كل يوم وليلة من المشرق الى المغرب دورة كاملة فحينئذ لكل فلك من الثمانية دورتان ذاتية وهي التي من المغرب الى المشرق وقسرية وهي التي من المشرق الى المغرب وقربوا تفهيم ذلك بنملة ماشية الى اليسار على رحى دائرة الى اليمين فالنملة في هذه الحالة حركتان ذاتية وقسرية وانما سميت هذه الحركة العظمى قسرية لانها تقسر الافلاك وتدورها الى غير جهة حركتها الذاتية فتعكس دورانها وهذه الحركة هي التي بها ترى الشمس كل يوم في شروق وغروب والافلاك الشمس لا يدور الدورة الكاملة الا بعد مضي سنة شمسية وذكر ابن أبي جمرة في مسئلة الرحمن على العرش استوى أنه يقال علا القوم زيد أي ارتفع ومعلوم أنه لم يستقر عليهم قاعدا وكما يقال علت الشمس في كبد السماء أي ارتفعت وهي لم تستقر ويشهد لذلك قول جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم حين سأله هل زالت الشمس فقال جبريل عليه السلام لا نعم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم قلت لا ثم قلت نعم فقال بينما قلت لك لا ونعم جرت الشمس مسيرة خمسمائة عام وقد نص عز وجل على ذلك في كتابه فقال والشمس تجري لا مستقر لها على قراءة من قرأ بالنفي اهـ (قلت) الذي قرأ ذلك هو ابن عباس وابن مسعود وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وأبو جعفر محمد بن علي وأبو عبد الله جعفر ابن محمد وعلي بن حسين نص على ذلك ابن جني في المحتسب وهذه الحركة التي ذكرها جبريل عليه السلام هي حركة الشمس القسرية لا الذاتية وهي حركة الفلك الاعظم قال الامام فخر الدين رحمه الله انه بقدر ما يرفع الفرس سنبكه من الارض ويضعه وهو في أقوى جريه يتحرك الفلك الاطلس كذا كذا ألف ميل أو كما قال فسبحان الله العظيم ذي القدرة والجلال والعظمة لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون سبحان من أبدع هذا العالم وأوجده على غير مثال وقدر حركات الافلاك * يقال ان الامام فخر الدين كان يقول وهو على المنبر سبحان خالق تدوير فلك كرة المريخ قال العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم ابن ساعد الانصاري انما خص الامام تدوير فلك المريخ دون غيره من الافلاك لانه أعظم تداوير الافلاك حتى انه أعظم من الفلك الممثل للشمس الذي يحيط بالافلاك السفلية وفلك

يصدق فينبغي لك أن تصدق قولي وان كنت كاذبا فما يحل لك أن توليني القضاء وأنا كذاب فقال اياس للشامي انك جئت برجل فأقمته على شفير جهنم فافتدى نفسه من النار بيمين كاذبة يستغفر الله عز وجل منها وينجو من النار فقال الشامي أما اذ فطنت لها فاني أوليك فاستقضاه فلم يزل على القضاء مدة ثم هرب ولما ولي القضاء دخل عليه الحسن البصري فبكى اياس وقال يا أبا سعيد بلغني أن القضاة ثلاثة رجل مال به الهوى فهو في النار ورجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة فقال الحسن ان فيما قص الله تعالى في النبي داود ما يرد قول مولاي ثم قرأ قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فحمد سليمان ولم يذم داود (وحكى) المدائني قال أودع رجل آخر كيسا فيه دنانير وغاب مدة طويلة فلما طال الامر فتق الرجل الكيس وأخذ الدنانير ووضع عوضها دراهم والخيط والخاتم على حاله ثم قدم صاحب المال فطلب ماله فدفع له الكيس بخاتمه فلم يقبله وقال هذه دراهم ومالي دنانير فقال هذا كيسك وخاتمك فرفعه لابن هبيرة

القمر والعناصر والمولدات ويتفرع على ذلك أنه يكون حين مقارنته للشمس أبعد منها مما يكون عند المقابلة وذلك أن الكواكب العلوية انما تقارن الشمس في ذرى تداويرها وانما تقابلها في الحضيضات فعلى هذا اذا قارن المريخ الشمس كان بينها وبينه قطر تدويره واذا قابلها كان بينه وبينها قطر ممثلها وقطر تدوير المريخ أعظم من قطر ممثل الشمس اه أقول اذا كانت الكواكب العلوية النيرة تعاكس في السير فما عسى أن يكون حال من هو في هذا العالم الارضي وهو عالم الكون والفساد (رأيت) في بعض المجاميع لبعض المغاربة

لست وجيها لدى الهي * هذا مدى دهري اعتقادي
لو كنت وجها لما براني * في عالم الكون والفساد

وقد خطر لي عند تعليق هذا الفصل ان أرد على الطغرائي في قوله والدهر يعكس آمالي البيت بحيث يكون ذلك نظما في وزنه ورويه فقلت

تقول يعكس آمالي وأنت كما * علمت في عالم في الترب مستفل
أما ترى الشمس تلقى عكس مقصدها * في كل يوم ولولا ذاك لم تفل

وكنت نظمت قبل هذا

لا يعجب المرء لعكس المنى * ما فكره في مثل ذا نافع
فالانجم السبع العلا ما نجت * من عكسها بالفلك التاسع

وليس عكس المقاصد عند الدهر مطردا بل هو ومع الاذى جار وعلى نهج الردى سار فان تمنى الانسان شرا قربه وان تمنى خيرا قلبه قال أبو الطيب الذي جربه

وأحسب أني لو هويت فراقكم * لفارقتكم والدهر أخبث صاحب
فيا ليت ما بيني وبين أحبتي * من البعد ما بيني وبين المصائب

يقال من نكد الوجود أن الانسان يرى في منامه أنه وجد مالا أو أصاب جوهرا أو ظفر بخير فاذا انتبه لم ير من ذلك شيئا وربما يرى أنه قد أحدث فاذا انتبه وجد ذلك يقينا قال الشاعر

أرى في منامي كل شئ يسوءني * ورؤياي بعد النوم أدهى وأقبح
فان كان خيرا فهو أضغاث حالم * وان كان شرا جاءني قبل أصبح

وقال أبو العلاء المعري

الى الله أشكو أنني كل ليلة * اذا نمت لم أعدم خواطر أوهام
فان كان شرا فهو لابد واقع * وان كان خيرا فهو أضغاث أحلام

وقال الاحنف العكبري

وأحلم في المنام بكل خير * فاصبح لا أراه ولا يراني
ولو أبصرت شرا في منامي * لقيت الشر من قبل الأذان

وما أرق قول القائل

وزارني طيف من أهوى على حذر * من الوشاة وداعي الصبح قد هتفا
فكدت أوقظ من حولي به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا
ثم انتبهت وآمالي تخيل لي * نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا

وقال ابن المعتز

أبصرته

فقال لاياس انظر بينهما فقال اياس منذ كم أودعك قال منذ عشرة أعوام فقال فضوا الخاتم ففضوه ونثروا الدراهم فوجدوا فيها ضرب خمس سنين وست سنين وأقل وأكثر فقال اياس قد أقررت انه عندك منذ عشر سنين وفي الكيس ضرب خمس سنين فاقر بالدنانير وألزمه اياها ونظر اياس يوما الى رجل لم يره قط فقال هذا غريب واسطي معلم صبيان هرب له غلام فوجدوا الامر كذلك فسئل عن ذلك فقال رأيته يمشي ويلتفت فعلمت انه غريب وأيضا رأيت على ثوبه حمرة تراب واسط فعلمت انه من أهلها ورأيته يمر بالصبيان ويسلم عليهم ولا يسلم على الرجال فعلمت انه معلم ورأيته اذا مر بذي هيئة لم يلتفت اليه واذا مر باسود ذي أسمال تأمله فعلمت انه يطلب آبقا * ووجده يوما الحكم بن أيوب عامل البلد فسبه وقال انك خارجي منافق فائتني بكفيل فقال أنت أيها الامير تكفلني ولا أعلم أحدا أعرف منك بي فقال وما علمي بك وأنا من أهل الشام وأنت من أهل العراق فقال اياس ففيم الشهادة منذ اليوم * وتبصر الناس هلال شهر رمضان فلم يره أحد غير أنس بن مالك

أبصرته فى المنام معتذرا * الى مما جناه يقظانا
ولان حتى اذا هممت به انتبهت عند الصباح لا كانا

وما ألطف قوله وان لم يكن من هذه المادة

ألم الخيال بلا جده * وأدنى الوصل من صده
وكم نومة لى قوادة * أتت بالحبيب على بعده

وهذا يشبه قول الآخر

تركت هجاء ابليس ثم مدحته * وذلك لامر عز عندى سلوكه
يقرب من أهوى الى فان أبى * حكاه خيالا فى الكرى فانيكه

وما أشبه هذا بقول أبى حفص الشطرنجى

قل لمن شئت انني بك مغرى * ثم دعه بروضه ابليس

أنشدنى لنفسه بالديار المصرية من لا أوثر ذكره هنا

لو أن طيفك فى المنام أنيسى * ما بت أشكو وحشتى لجليسى
قمر أدار على خمرة ريقه * ومحاطه وحديثه المأنوس
ما عمدتى فى قربه وحضوره * ووفاقه الا على ابليس

ومارمى ابليس بحجر من بنى آدم أدمغ له من قول أبى نواس

عجبت من ابليس فى تيهه * وخبث ما أضمر فى نيته
تاه على آدم فى سجدة * وصار قوادا لذريته

وهذا المعنى الذى تخيله فى غاية الحسن وهو الذى فتح على ابليس هذا الباب ودخله الناس أفواجا قال بعضهم

علام تتيه أبا مرة * وتزهى كثيرا على آدم
وانك فى الخزى من بعده * تقود على جلة العالم

وأما على ذكر الخيال فما ولع به أحد ولوع البحترى ولا أبدع فيه مثل ابداعه حتى صار لاشتهاره بذلك مثلا يقال خيال البحترى فن ذلك قوله

بلى وخيال من أثيلة كلما * تأوهت من وجد تعرض يطمع
ترى مقلتى مالا ترى من لقائه * وتسمع أذنى رجع ما ليس يسمع
ويكفيك من حق تخيل باطل * ترديه نفس اللهيف وترجع

(وقوله أيضا)

اذا ما الكرى أهدى الى خياله * شفى قربه التبريح أو نقع الصدى
ولم أر مثلينا ولا مثل شأننا * نعذب أيقاظا وننعم هجدا

(وقوله أيضا)

قد كان منى الوجد غب تذكر * اذ كان منك الصد غب تناسى
تجرى دموعى حين دمعك جامد * ويلين قلبى حين قلبك قاسى
ماقلت للطيف المسلم لا تعد * نفسى ولا نهضت حامل كاسى

وما أحسن قول أمين الدولة ابن التلميذ

وقد قارب المائة سنة من العمر فشهد عند اياس فقال اياس أشر لنا الى موضعه فجعل يشير ولا يرونه فتأمل اياس واذا بشعرة بيضاء من حاجب أنس قد انثنت وصارت على عينيه فمسحها اياس وسواها ثم قال يا أبا حمزة أرنا موضع الهلال فنظر فقال ما أرى شيأ * وقيل لاياس يوما ان فيك عيوبا دمامة الشكل واعجابك بما تقول وعجلة بالحكم فقال أما الدمامة فليس أمرها الى وأما الاعجاب بالقول أفليس يعجبكم ما أقول قالوا نعم قال فانا أحق بالاعجاب بقولى وأما العجلة بالحكم فكم هذه ومد أصابع يده فقالوا خمس فقال أعجلتم بالجواب ولم تعدوها أصبعا أصبعا فقالوا كيف نعد ما نعلمه فقال وأنا كيف أؤخر حكم ما أعلمه * ودخل الى واسط فقال يوم قدمت بلد كم عرفت خيار كم من شرار كم من غير أن أكشف عنهم قالوا كيف قال معنا قوم خيار ألفوا منكم قوما وقوم شرار ألفوا قوما فعلمت أن خيار كم من ألفه خيارنا وكذلك شرار كم * وكان يقول عرفت الزكن من أمى وكانت خراسانية وأهل بيتها يزكنون أى يتفرسون ولاياس أخبار كثيرة من

عاتبت اذلم يزرخيالك والنوم بشوقي اليك مسلوب
فزارني منعما وعاتبني * كما يقال المنام مقلوب
دخل ابن القطان الشاعر البغدادي يوما على الوزير الزيني وعنده الحيص بيص فقال قد عملت بيتين لا يمكن أن يعمل لهما ثالث لانني قد استوفيت المعنى فيهما فقال الوزير وما هما فأنشده
زار الخيال بخيلا مثل مرسله * فما شفاني منه الضم والقبل
ما زارني قط الا كي يوافقني * على الرقاد فينفيه ويرتحل
فقال الوزير للحيص بيص ما تقول في دعواه فقال ان أعادهما سمع لهما ثالثا فاعادهما فقال الحيص بيص
وما درى ان نومي حيلة نصبت * لطيفه حين أعيا اليقظة الحيل
يقال اول من طرد الخيال طرفة بن العبد فانه قال
فقل لخيال الحنظلية ينقلب * اليها فاني واصل حبل من وصل
وتبعه جرير فقال
طرقتك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجعي بسلام
(وقلت أنا)
يا خجلة لجرير من * قول كفانا الله عاره
طرقتك صائدة القلو * ب وليس ذا وقت الزياره
هل كان يلقى ان أتا * ه خيال من يهوى خساره
أو كان قلب قد حوا * ه من حديد أو حجاره
وأين قول جرير وطرفة من قول الآخر يعنف من عتب على الخيال حيث قال
الطيف أعشق منك اذ * يأتي اليك وأنت راقد
وفضل التهامي الخيال على الحقيقة فقال
وصل الخيال ووصل الخود ان بخلت * سيان ما أشبه الوجدان بالعدم
الطيف أحسن وصلا ان لذته * تخلو من الاثم والتنغيص والندم
واعتذر كشاجم عن تأخر الخيال على لسان الحبيب فقال
لقد بخلت حتى بطيف مسلم * على وقالت رحمة لحبيبي
أخاف على طيفي اذا جاء طارقا * وسادك أن يلقاه طيف رقيبي
نقلت من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر له
ان يكن يضحك في الطيف حديثي ومقالي
كيف لا يضحك مما * قص منه في الخيال
ومما قلته في الخيال
لم يرني الطيف اذ أتاني * لذوب جسمي بك انتحالا
وعند ماله أنني * بت كما لا أرى خيالا
(وقلت أيضا)

هذا الباب مجموعة في كتاب يسمى زكن اياس * ومات رحمه الله سنة احدى وعشرين ومائة وهو ابن ست وتسعين سنة وقال في العام الذي مات فيه رأيت في المنام كاني وأبي على فرسين جريا جميعا فلم أسبقه ولم يسبقني وكان أبوه أيضا قد مات وهو ابن ست وتسعين سنة
(وسحبان انما تكلم بلسانك)
هو سحبان بن زفر بن اياس الوائلي وائل باهلة خطيب مفصح يضرب به المثل في البيان أدرك الاسلام وأسلم ومات سنة أربع وخمسين (وحكى) الاصمعي قال كان اذا خطب يسيل عرقا ولا يعيد كلمة ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ * وقدم على معاوية وفد من خراسان فيهم سعيد بن عثمان فطلب سحبان فلم يوجد في منزله فاقتضب من ناحية اقتضابا وأدخل عليه فقال تكلم فقال انظروا الي عصا تقوم من أودي قالوا وما تصنع بها وانت بحضرة امير المؤمنين قال ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه وعصاه في يده فضحك معاوية وقال هاتوا عصا فجاؤا بها اليه فركلها برجله ولم يرضها وقال هاتوا عصاي فاتوا بها

ضممت خيالك لما أتى * وقبلته قبلة المغرم
وقت ومن فرحتي باللقا * حلاوة ذاك اللمى في فمي

ومن كلام القاضي الفاضل رحمه الله هذا على ان الطيف لا أعتد له بمنة وان ركب المجاهل وقطع المراحل وتخطى الى أغصان القنا وخاض جداول الظبا ووطئ شوك النصال وعثر بحبال الخبال وحل وأعين الشهب اليه حول روان ودنا وأطراف القسي دوان وكيف أعتد له بمنة والفكر يدنيه وأنا يقظان و يمثل مالم يكن من قربه كما مثلت العين منه ما كان ويخليني منه ورب أحباب خلون به دوني ويوجدنيه وأنا رهن شوق لو طلبوني عنده ما وجدوني ذكرت بقوله والفكر يدنيه وأنا يقظان ما أنشدنيه لنفسه شهاب الدين أبو الثناء محمود

سرى والدجى شوق اليه وتذكار * خيال أضاءت من ضلوعي له نار
أموّه بالتوهيم سر قدومه * اذا ما استزارته شجون وأفكار

كتب شرف الدين بن عنين من اليمن الى أخيه

سامحت كتبك في القطيعة عالما * ان الصحيفة أعوزت من حامل
وعذرت طيفك في الجفاء لانه * يسري فيصبح دوننا بمراحل

الثاني لابي العلاء المعري وهذا مبالغة في البعد بكون الخيال يعجز عن قطع مسافته ومن المعلوم ان الخيال يجتاب آفاق الارض في طرفة عين *سئل بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم من رآني في منامه فقد رآني حقا فقال السائل في الليلة الواحدة بل الساعة الواحدة يراه جماعة في أماكن شتى من أطراف الارض فقال نعم هو

كالشمس في كبد السماء وضوءها * يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

البيت لابي الطيب وهو مأخوذ من قول ابن الرومي

كالشمس في كبد السماء محلها * وشعاعها في سائر الآفاق

وأخذه هذا من قول البحتري

عطاء كضوء الشمس عم فمغرب * يكون سواء في سناها ومشرق

ومثل هذا السؤال ما سئل عنه أبو الفرج بن الجوزي قيل له يا امام قتل الحسين رضي الله عنه بكربلاء ويزيد في دمشق فكيف ينسب قتله اليه فقال

سهم أصاب وراميه بذي سلم * من بالعراق لقد أبعدت مرماك

البيت للشريف الرضي وقد أخذه ابن سناء الملك فقال

رميت من مصر قلبا بالشآم فما * أسراك سهما الى أحشاء أسراك

وقد تكلم الفقهاء فيمن رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وأمره بأمر هل يلزمه العمل به أولا قالوا ان أمره بأمر يوافق أمره يقظة ففيه خلاف وان أمره بما يخالف أمره يقظة فان قلنا ان من رآه صلى الله عليه وسلم على الوجه المنقول من صفته فرؤياه حق فهذا من قبيل تعارض الدليلين والعمل بأرجحهما وما ثبت باليقظة أرجح فلا يلزمه العمل بأمره فيما يخالف أمره يقظة اهـ *أورد ابن الاثير في المثل السائر قول بعضهم

وقد أشق الحجاب الصعب بادية * دوني وتأبى ولو جافيه ان طرقا
كالطيف يأبى دخول الجفن منفتحا * وليس يدخله الا اذا انطبقا

فأخذها ثم قام وتكلم منذ صلاة الظهر الى ان قامت صلاة العصر ما تنحنح ولا سعل ولا توقف ولا ابتدأ في معنى فخرج منه وقد بقي عليه منه شئ فما زالت تلك حاله حتى اشار معاوية بيده فاشار اليه سحبان ان لا تقطع على كلامي فقال معاوية الصلاة قال هي أمامك ونحن في صلاة وتحميد ووعد ووعيد فقال معاوية انت أخطب العرب فقال سحبان والعجم والجن والانس *ومما روى عنه في بعض خطبه البليغة يقول ان الدنيا دار بلاغ والآخرة دار قرار أيها الناس خذوا من دار ممركم لدار مقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم وأخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل ان يخرج منها أبدانكم ففيها حييتم ولغيرها خلقتم ان الرجل اذا هلك قال الناس ما ترك وقالت الملائكة ما قدم لله قدموا بعضا يكون لكم ولا تخلفوا كلا يكون عليكم *ومن شعره يمدح طلحة الطلحات وهو طلحة بن عبد الله الخزاعي

يا طلح أكرم من بها
حسبا وأعطاهم لتالد
منك العطاء فأعطني
وعلى مدحك في المشاهد

فيقال ان طلحة قال له احتكم

ثم قال ورأيت ابن حمدون البغدادي صاحب التذكرة قد أورد هذين البيتين في كتابه وقال قد أغرب هذا الشاعر ولكنه خلط وجرى على عادة الشعراء لان الطيف لا يدخل الجفن وانما تخيله النفس قلت وهذا كلام من لم يطعم من شجرة الفصاحة والبلاغة وليس يسائله عندي الا ما يحكى عن ملك الروم اذ أنشد عنده بيت المتنبي وهو

كأن العيس كانت فوق جفني * مناخات فلما ثرن سالا

فسأل عن المعنى ففسر له فقال ما سمعت با كذب من هذا الشاعر أرأيت من أناخ الجمل على عينه الا يهلكه اهـ (قلت) القوة المخيلة لا يختص فعلها باليقظة دون النوم بل تفعل في النوم أقوى لانها لا تحتاج الى تحريك أعضاء البدن وانما تستعمل عين الروح النفساني المتكون في البطن المقدم من الدماغ وهو لا يخالل بالاستعمال فلهذا القوة المخيلة قادرة على أفعالها في جميع الاحوال الا انها لا تتصور الاشياء باختيارها لانها ليست قوة ارادية وانما في اليقظة كانت القوة الارادية تصرفها على حسب اختيارها فاذا أتى النوم أتى أمر آخر فاضطرها الى أفعالها وذلك الامر لا يخلو من أحد امور أربعة الاول ارتسام صور المحسوسات التي أدركتها الحواس في ذلك اليوم في الخيال فاذا نام الانسان تصرفت القوة المخيلة في رسوم الصور لقرب عهدها بها ويسمى هذا اتصال الحس بالخيال وعكسه اتصال الخيال بالحس كالاحلام وكمن يرى انه يأكل شيئا في النوم فيستيقظ وطعمه في فيه والثاني أن تنظر القوة الفكرية في أمر من الامور مثل سفر أو ملاقاة صديق أو رجاء أو خوف واستخدم الخيال في احضار صورها وبقيت تلك الصور في النوم فتصرفت القوة فيها وفي معانيها ويسمى حديث النفس وعده بعضهم ضربا من الوسواس والثالث ان يتغير المزاج من الروح الذي هو محل القوة فتختلف أفعالها بحسب تغييره فان غلب على مزاجها الحرارة رأت الحمام والشمس والنيران وما أشبه ذلك وهي طبيعة الصفراء وان غلب على مزاجها البرودة رأت الامطار والسيول والبحار والثلوج وما أشبه ذلك وهي طبيعة البلغم وان غلب على مزاجها الحرارة المعتدلة رأت المطاعم الحلوة والالوان المصبغة والملاهي والمجامعة والقصد وما أشبه ذلك وهي طبيعة الدم وان غلب على مزاجها البرودة اليابسة رأت المخاوف والظلمات والسواد وما أشبه ذلك وهي طبيعة السوداء وان غلب على مزاجها الخفة رأت الطيران والطفرة والعدو وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها الثقل رأت الاحمال الثقيلة والانحصار والانضغاط وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها عفونة الاخلاط رأت الاماكن القذرة والرائحة المنتنة وما أشبه ذلك وان غلب على مزاجها الاعتدال في الاخلاط رأت الرياض والرائحة الطيبة وما أشبه ذلك (وعلى الجملة) فاذا خرج مزاج الروح الحامل للقوة المخيلة عن الاعتدال رأت المنامات المضطربة بغير نظام لان المزاج لا يثبت على حالة واحدة وهذه هي أضغاث الاحلام فما تعلق من الرؤيا بهذه الاضغاث لم يكن له تعبير وقل أن تصدق رؤيا الشعراء لانهم يستعملون قوتهم المخيلة في اليقظة كثيرا لما يحاولونه في معاني التشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك (والرابع) ما يفيضه واهب الصور على القوة المخيلة حال النوم بمثال تدركه النفس وعلم تعبير الرؤيا هو معرفة تطبيق ذلك المثال على ما قصد به وربما ألقاه صريحا بغير مثال فيستغني عن التأويل ويسمى رؤية المثل بالمثل (فمن ذلك) المرائي التي ذكرها جالينوس في كتاب حيلة البرء ومنامات الشيخ محيي

قال فرسك الورد وقصرك بكذا فقال طلحة أف لك لو سألتني على قدري أعطيتك كل فرس لي وكل قصر ولكن أبيت الا باهليتك

(وعمرو بن الاهتم انما سحر ببيانك)

هو عمرو بن سنان الاهتم بن سمي التميمي المنقري وانما لقب سنان بالاهتم لانه هتمت ثنيته يوم الكلاب وعمرو من أكابر سادات بني تميم وشعرائهم وخطبائهم في الجاهلية والاسلام وهو بليغ القول طلق العبارة وكان يدعى المكحل لجماله وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو والزبرقان بن بدر فأسلما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمهما فسأل يوما عمرا عن الزبرقان بحضوره فقال مطاع في ناديه شديد العارضة في قومه مانع لما وراء ظهره فقال الزبرقان يا رسول الله انه ليعلم مني أكثر مما قال ولكنه حسدني فقال عمرو أما والله لئن علمت ما قد علمت فانه زمن المروءة أحمق الاب لئيم الخال ضيق العطن حديث الغنى فرأى تغير النبي صلى الله عليه وسلم لما اختلف قوله فقال يا رسول الله لا تغضب لما رضيت قلت أحسن ما علمت ولما غضبت قلت أقبح ما علمت فوالله

الدين بن عربي قدس سره التي ذكرها ضمن كتابه المسمى بالفتوحات المكية وناهيك به من كتاب وما أحسن قول القائل

له آمر بالرشد في يقظاته * وفي النوم يهديه لخير الطرائق
فان قام لم يدأب بغير فضيلة * وان نام لم يحلم بغير الحقائق

وما أليق هذا بجناب النبي صلى الله عليه وسلم فانه كان في مبدا الامر قبل النبوّة لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح واعلم أن القوة المخيلة لا تستقل بنفسها في رؤية المنام بل تفتقر الى قوة الرؤية المفكرة والحافظة وسائر القوى العقلية فمن رأى كأن أسدا تخطى اليه وتمطى ليفترسه فالقوة المفكرة تدرك ماهية سبع ضار والذاكرة تدرك افتراسه وبطشه والحافظة تدرك حركاته وحياته والخيالية هي التي ارتسم فيها ذلك جميعه وتخيلته * واعلم أن المنامات التي تحتاج الى التعبير هي الرؤيا التي تكون من الله تعالى اما بشارة أو نذارة لطفا من الله تعالى لينبه الانسان على ما يحدث له في المستقبل ولهذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يبق من الوحي الا الرؤيا الصادقة وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وفسر ذلك القاضي عياض بأن قال ما معناه ان مدة ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبد بغار حراء قبل النبوة تكون قدر جزء من ستة وأربعين جزأ من مدة النبوة وهي احدى وعشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون سنة (قلت) قالوا أصح الاقوال أنه عاش صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين سنة وأنه نبئ على رأس الاربعين سنة فمدة النبوة ثلاث وعشرون سنة وثبت أنه كان يوحى اليه مناما قبل البعثة ستة أشهر وهي نصف سنة فاذا نسبنا ستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة كان جزأ من ستة وأربعين وهو كما جاء في أشهر الاقوال * واعلم أن السبب في تأخير تحقيق المنامات السارة وسرعة تحقيق المنامات الضارة هو أن القوة الالهية المظهرة لهذه المنامات تعجل البشارة بالخيرات الكائنة قبل أوانها بعدة طويلة لتكون مدة الفرح والسرور أطول فتكون النفس منبسطة بالبشارة مرتاحة بتوقع وصولها قبل حصولها وفي الجهة الاخرى تظهر الانذار بالشرور الكائنة في زمان يقرب من حصولها ليقصر زمان الهم والغم وكثيرا ما لا يشعر بالهم ولا ينذر به اذا لم يكن للانسان منه اشفاقا عليه لئلا ينضاف الى ذلك الشر الهم الحاصل من الشعور بحصوله وليس حصول الشر سريعا وحصول الخير بطيئا من القواعد المطردة قيل لجعفر الصادق رضي الله عنه كم تتأخر الرؤيا فقال رأى النبي صلى الله عليه وسلم كلبا أبقع يلغ في دمه فكان شمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين وكان أبرص وكان تأخير الرؤيا خمسين سنة وقال بعضهم تتأخر الرؤيا الى عشرين سنة فان يوسف عليه السلام انما رأى تأويل رؤياه بعد عشرين سنة قال الرئيس أبو علي بن سينا في الشفاء في كتاب الحيوان والصبي لا يحلم حلما يعتد به الى أربع سنين ومن الناس من لم يحلم الى أن يسن ومنهم من لم يحلم البتة ثم قال في اثناء الكتاب ويضحك الصبي بعد أربعين يوما وذلك أول ما تفعل النفس الناطقة في بدنه ويرى المنامات بعد شهرين فيما يظن به وينساها لانه في مثل ذلك الوقت بالتقريب تختلف عنده المحسوسات ويميز بينها وترتسم في خياله وقال أيضا كل حيوان دموي مشاء فانه ينام ويستيقظ وكل ذي جفن فانه يطبقه عند النوم وقد يحلم غير الانسان من ذوات الاربع يظهر ذلك من شمائلها وحركاتها وأصواتها اهـ ومن نوادر الخيال ما حكي أن بعضهم

ما كذبت في الاولى ولقد صدقت في الثانية فقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا واختلف في معنى الحديث ان من البيان لسحرا فقال قوم أريد به المدح فان البيان الفهم وانما سمي سحرا لحدة عمله وسرعة قبول القلب له والتعجب منه كما يتعجب من السحر وقد اتفق الناس على أن تصوير الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق من أعلى درجات البلاغة وقال قوم أريد به الذم لان السحر تمويه والبيان كثرة الكلام والنفاق واحتجوا بقوله عليه السلام الحياء والعي شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق والاول أصح وانما سمي البيان هنا نفاقا اذ كان من البذاء (وحكى) العتبي قال وفد الاحنف وعمرو بن الاهتم على عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فاراد أن يقرع بينهما في الرياسة فلما اجتمعت بنو تميم قال الاحنف وهي من سقطاته

ثوى قدح عن قومه طول ما ثوى

فلما أتاهم قال قوموا فافخروا فقال عمرو انا كنا نحن وأنتم في دار جاهلية وكان الفضل فيها لمن جهل فسفكنا دماءكم وسبينا نساءكم

كتب الى امرأة كان يهواها مري خيالك أن يلم بي فكتبت اليه ابعث الي بدينارين حتى أجيء اليك بنفسي في اليقظة ومثل هذا ما حكي أن بعض البخلاء كتب الى غلام يهواه وضعت على الثرى خدي لترضى فكتب اليه الغلام ابعث الي بدينار وحتى أدعك تضع خدك على خدي وقيل ان بعض المغفلين تعب في تحصيل من كان يهواه مدة طويلة فلما حصل عنده وضع العاشق رأسه ونام فقال له لاي شيء تفعل هذا قال من عشقي فيك أنام لعلي أرى خيالك في المنام وما أحسن قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

فسر لي عابر منا ما * فصل في قوله واجمل
وقال لابد من طلوع * فكان ذاك الطلوع دمل

أنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قال أنشدني لنفسه الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال الموصلي

كم قيل لي اذ دعيت شمسا * لابد للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء * يرقى الى السطح من ضلوعي

وقال الشيخ تقي الدين السروجي

بي طلوع أنا به في نزول * وطلوع بلا ارتفاع نزول
قيل لابد أن يزول سريعا * قلت أخشى أزول قبل يزول

وذكرت بما أوردته مما قاله ابن الاثير من البيتين اللذين أولهما وقد أشق الحجاب الصعب ما نقلته من خط ناصر الدين حسن بن النقيب

نصبت جفوني للخيال حبائلا * لعل خيالا في الكرى منه يسنح
وكيف اذا أغمضتهن أصيده * ومن عادة الاشراك للصيد تفتح

وهو مأخوذ من قول ابن سناء الملك

سرى طيفه لابل سرى بي سرابه * وقد طار من وكر الظلام غرابه
وما كان يدري الطيف قبل طروقه * بان انفتاح الجفن مني حجابه

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

كفى حزنا أن لا أراقب لمحة * ولا أشهد اللذات الا تخيلا
ولا استزير الطيف خوف فراقه * لما ذقت من طعم التفرق أولا
وأقسم لو جاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

(رجع) ذكرت بقول الطغرائي ويقنعني من الغنيمة بعد الكد بالقفل ما نظمته أنا وهو

قنعت بالعود الى منزلي * وذلك دأب المرء في خيبته
كالحجر الملقى الى صاعد * ليس له هم سوى عودته

اختلف أهل النظر في هذا الموضع فقال قوم ان السهم أو الحجر أو غيرهما اذا رمي به صعدا وتناهى صعوده كانت له في آخر صعوده لبثة ما ثم ينصوب منحدرا وقال آخرون لا لبث هنالك وانما أول وقت حدوره عقيب آخر صعوده قال ابن جني وهذا القول أشبه بسياق هذا الكلام على قول أبي الطيب

وما أنا غير سهم في هواء * يعود فلم يجد فيه امتساكا

واليوم في دار الاسلام والفضل فيها لمن حلم فغفر الله لنا ولك فغلب يومئذ عمرو على الاحنف ووقعت القرعة لآل الاهتم فقال عمرو

ولما دعتني للرياسة معشر لدى مجلس أضحى به النجم باديا
شددت لها ازري وقد كنت قبلها لامثالها قدما أشد ازاريا

وتوفي في سنة سبع وخمسين * وكان يقول أشجع الناس من رد جهله بحلمه * وكان يقول أف للخمر وكان ممن حرمها في الجاهلية وقال لو كان شيء يشترى ما كان شيء أنفس منه يعني العقل فالعجب لمن يشتري الحمق بماله فيدخله في رأسه فيقيء في جيبه ويسلح في ذيله * ومن شعره وهو في أعلى الطبقات قوله

ومستنبح بعد الهدو دعوته وقد حان من ساري الشتاء طروق
يعالج عرنينا من الليل باردا تلف رياح ثوبه وبروق
أضفت فلم أفحش عليه ولم أقل لاحرمه ان المكان مضيق
وقلت له أهلا وسهلا ومرحبا فهذا مبيت صالح وغبوق
وقمت الى البرك الهواجد فاتقت مقاصيد كوم كالمجادل روق

(قلت) القول الاول ذهب اليه الرئيس أبو علي بن سينا لانه يقول اما ان يحصل بين الحركة الصاعدة والحركة الهابطة زمان أولا والثاني محال والالزم تتالي الآنات فيلزم من ذلك تركب الحركة الصاعدة والحركة الهابطة من أجزاء لا تتجزأ هذا خلف فتعين الاول فالجسم ساكن في ذلك الزمان هذا ملخص ماحكاه أثير الدين الابهري في كشف الحقائق ثم قال وفيه نظر لان الآن لا وجود له في الاعيان والالكان في الحركة جزء لا يتجزأ فيكون في الجسم جزء لا يتجزأ وهو محال (قلت) هذا مبني على اثبات الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ وهي مسئلة عظيمة تدور عليها قواعد كثيرة في علم الكلام واثباته يشق على من ناظر الفيلسوف قال الذي منع ثبوته كل جزء تفرضه فان يمينه يتميز عن يساره ومتى كان كذلك قبل القسمة وقال المتكلمون لابد أن ينتهي القول الى اثبات جزء فاصل بين كل يمين ويسار فرضا في قسمة الاجزاء وهو المطلوب (مسئلة فرضية فيها اثبات الجوهر الفرد) وهي أختان اشترتا أمهما ثم أن أمهما وأجنبيا اشتريا أباهما يعني أبا الاختين فماتت احدى الاختين ولم تخلف الا أختا والاجنبي فلها النصف بالاخوة والباقي لمعتقي الاب وهما الام والاجنبي والام ميتة فنصيبها وهو الربع للاختين لانهما معتقاها واحداهما ماتت فنصيبها وهو الثمن لمعتقي الاب وهما الام والاجنبي والام ميتة فنصيبها وهو نصف الثمن للاختين وواحدة ميتة فنصيبها وهو ربع الثمن للام والاجنبي والام ميتة فنصيبها وهو ثمن الثمن للاختين وهكذا الى مالا نهاية له ويبقى شئ لا ينقسم على هذا النمط فتأمله يثبت لك الجوهر الفرد والله أعلم واحتال الفرضيون على قسمة هذا الميراث فقالوا نحن رأينا هذا الثمن الدائر ثلثاه للاجنبي وثلثه للبنت الموجودة اذ لها نصف بالاخوة وثمن بالجر وثلث الثمن الدائر أيضا بما قررناه وللاجنبي ربع وثلثا الدائر فيكون للبنت الثلثان فتجعل من ستة ثلاثة للبنت بالاخوة والباقي ثلاثة سهمان منها للاجنبي وسهم واحد للبنت بالولاء الذي انجر اليها من المعتق فيكون للبنت أربعة أسهم وللاجنبي سهمان والله أعلم وبالغ أبو اسحق النظام من المعتزلة في القول بعدم اثبات الجوهر الفرد وما أحلى قول ابن سناء الملك

ولو عاين النظام جوهر ثغرها ※ لما شك فيه أنه الجوهر الفرد

(وقوله أيضا)

وقد حرر النظام جوهر ثغره ※ ألست تراه قد تقسم بالفلج

وما أحسن قول المعتضد بن عباد يضمن قول أبي الطيب

وما كنت بعد البين الا موطنا ※ لنفسي على أن لا يكون اياب

ولكنك الدنيا الي حبيبة ※ فما عنك لي الا اليك ذهاب

ومثل الاول قول ولده المعتمد

ماسرت قط الى القتا ※ ل فكان من أملي الرجوع

شيم الالى أنا منهم ※ والاصل تتبعه الفروع

والاصل فيه قول قيس بن الخطيم

فاني في الحرب الضروس موكل ※ بتقديم نفس لا أريد بقاءها

قال أبو دلامة كنت في عسكر مروان بن محمد أيام زحف الى طبرستان فخرج رجل منهم ينادي

بأدماء مرتاع النتاج كأنها
اذا عرضت دون العشار فنيق
فقام اليها الجازران فأعملا
بطيران عنها الجلد وهي تفوق
بجزر الينا ضرعها وسنامها
وأزهر يحبو للقيام عتيق
وبات لنا منها وللضيف موهنا
عشاء سمين آهن ووشيق
وكل كريم يتقي الذم بالقرى
وللخير بين الصالحين طريق
لعمرك ما ضاقت بلاد باهلها
ولكن أخلاق الرجال تضيق
نمتني عروق من زرارة للعلا
ومن فدك والاسد عز عروق
مضاريب يجعلن الفتى في أرومة
يفاع وبعض الوالدين رقيق
وقوله أيضا من أبيات
وذي لوثة منهى الرقاد بعينه
بغام رخيم الصوت ألوث فاتر
فقلت له كش ثيابك وارتحل
والا يكايدك السرى والهواجر
اذا ما نجوم الليل صارت كأنها
هجائن يطلعن الفلاة صوادر
شآمية الا سهيلا كأنه
فنيق غدا عن شولة وهو جافر
وقوله وهو أحسن ما للمتقدمين في هذا المعنى
تطاوحني يوم جديد وليلة
هما أبليا جسمي وكل فتى بالي

اذا ماسلخت الشهر أهللت بعده
كفى قاتلا سلخى الشهور واهلالى
(وأن الصلح بين بكر وتغلب تم برسالتك)
بكر وتغلب هم بنو وائل الذين قامت بينهم حرب البسوس كما تقدم فى ذكر جساس ومهلهل واستمرت أعواما كثيرة الى أن تفانى الحيان وقتل عظماؤهم فخرج مهلهل الى أخواله ضجرا من الحرب وتطاول المدة ومال من بقى من القوم الى صلح بعضهم بعضا وراسلهم الحرث بن عمرو بن معاوية الكندى ملك كندة وهو جد امرئ القيس الشاعر فى الصلح بينهم والتملك عليهم وقد كانوا قالوا ان سفهاءنا قد غلبوا على أمرنا وأكل القوى الضعيف والرأى أن نملك علينا ملكا نعطيه البعير والشاة فيأخذ من القوى ويرد المظالم ولا يمكن أن يكون من بعض قبائلنا فيأباه الآخرون فلا تنقطع الحروب فأجابوا الحرث ابن عمرو الى ما أراد فقدم عليهم وتلافى بقيتهم وأصلح أمرهم وشغلهم بغزو اللخميين من بنى غسان ملوك الشام وكان الحرث ملكا جليلا رفيع الهمة ويسمى آكل المرار وانما سمى بذلك لان

البراز فما خرج اليه أحد الا أعجله فجعل مروان يندب الناس على خمسمائة درهم فقتل أصحاب الخمسمائة فندبهم على ألف ولم يزل الى خمسة آلاف فلما سمعت الخمسة آلاف اقتحمت الصف فلما نظر الخارجى الى برزوهو يقول

وخارج أخرجه حب الطمع * فرمن الموت وفى الموت وقع
* من كان ينوى أهله فلا رجع *

قال فلما وقعت فى أذنى وليت هاربا ودخلت فى غمار الناس وكان أبو دلامة مع أبى مسلم فى بعض حروبه فدعا رجل الى البراز فقال أبو مسلم لابى دلامة اخرج اليه فقال

ألا لا تلمنى ان هربت فاننى * أخاف على فخارتى ان تحطما
فلو اننى أبتاع فى السوق مثلها * وجدك ما باليت أن أتقدما

ولما خرج أبو دلامة مع روح المهلبى لقتال الشراة وأمره بالمبارزة قال

انى أعوذ بروح أن يقدمنى * الى القتال فتخزى بى بنو أسد
ان البراز الى الاقران أعلمه * مما يفرق بين الروح والجسد
قد حالفتك المنايا اذ صمدت لها * وأصبحت لجميع الخلق بالرصد
ان المهلب حب الموت أورثكم * ولم ارث أنا حب الموت عن أحد
لو ان لى مهجة أخرى لجدت بها * لكنها خلقت فردا فلم أجد

وقال ابن أبى قيس

قامت تشجعنى ضلا بتضليل * وللشجاعة قلب غير مجهول
هاتى شجاعا بغير القتل ميتته * أريك ألف جبان غير مقتول
لما رأيت سيوف القتل مصلتة * منى تحيرت فى عرضى وفى طولى
الله سلمنى منهم وخلصنى * مصفر الوجه مخضوب السراويل
والله لو أن جبريلا تضمن لى * نفسى لما وثقت نفسى بجبريل

(قيل) ان بعض الجبناء ولى هاربا عند التقاء الصفين فقيل له ان الامير يغضب عليك اذ فرارك فقال غضبه على وأنا حى خير لى من رضاه على وأنا ميت

(وذى شطاط كصدر الرمح معتقل * بمثله غير هياب ولا وكل)

(اللغة) ذى بمعنى صاحب (الشطاط) بالفتح والكسر اعتدال القامة يقال جارية شاطة بينة الشطاط (الاعتقال) هو أن يضع الفارس رمحه بين ساقه وركابه واعتقلت الشاة اذا وضعت رجليها بين فخذيك (هياب) رجل هيوبة وهيابة وهياب وهيبان بتشديد الياء أى جبان وكذلك الهيوب وفى الحديث الايمان هيوب أى صاحبه يهاب المعاصى (الوكل) رجل وكل بالتحريك ووكلة مثل همزة أى عاجز يكل أمره الى غيره ويتكل عليه وموكل مثل موحد وهو شاذ (الاعراب) الواو واو رب قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك رب حرف تقليل وتستعمل فى التكثير كما قال الشاعر

رب رفد هرقته ذلك اليو * م وأسرى من معشر أقيال

وقال تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فرب ههنا معناها التكثير كما جاء فى كلامهم وهو كثير مثل رب ساع لقاعد ورب غافل ينتظره الموت اه ثم قال بدر الدين وتختص

بالنكرات نحو رب رجل لقيته قلت لان النكرة تدل على الشيوع فيجوز فيها التقليل لقبولها التقليل والتكثير واما المعرفة فمعلومة المقدار فلا تحتمل تقليلا ولا تكثيرا اه ثم قال بدر الدين وقد تدخل فى السعة على المضمر كما تدخل على المظهر مثل دخول الكاف فى الضرورة كقول العجاج

خلى الزنابات شمالا كثبا * وام اوعال كها أو أقربا

الا ان الضمير بعد رب يلزم الافراد والتذكير والتفسير بتمييز بعده نحو ربه رجلا عرفته وربه امرأة لقيتها أنشد أحمد بن يحيى * وربه عطبا انقذت من عطبه * قلت قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس اختلف فى الضمير العائد الى النكرة هل هو معرفة أو نكرة فان قلنا بان ضمير النكرة نكرة وبه قال السيرافى والزمخشرى وجماعة فلا اشكال فى دخول رب على الضمير وان قلنا بان ضمير النكرة معرفة وبه قال أكثر النحاة وهو الصحيح فانما جاز دخول رب على الضمير لانه لما أبهم من جهة تقديمه على المفسر ومن جهة وقوعه للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد وشاع من جهة تفسيره بالنكرة صار فيه من الابهام والشيوع ما قارب به النكرة فجاز دخول رب عليه قال بدر الدين وتجرى رب مع افادتها التقليل مجرى اللام المقوية للتعدية فى دخولها على المفعول به وتختص بوجوب تصديرها ونعت مجرورها ومضى معداها وهو ما بعد النعت من فعل مفرع ٣ ظاهر أو مقدر مثال الظاهر رب رجل كريم عرفت ومثال المقدر رب رجل عرفته أى عرفت وكذلك قولك رب رجل رأيت ورب رجل كريم رأيته (قلت) قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس لا بد للمخفوض بها أو بما ناب منابها من الصفة وفى هذه المسئلة خلاف وهو هل المجرور برب لازم الصفة أولا فمن الناس من قال بعدم اللزوم ومنهم من قال باللزوم كابى على والزمخشرى وابن عصفور ومن تبعهم واحتجوا لذلك بان الصفة فى النكرة للتخصيص فهى تفيد الموصوف تقليلا فيوافق المعنى المقصود فى ان رب للتقليل وقال الشيخ بهاء الدين أيضا انما جاز رب رجل وأخيه ولم يجز رب أخيه لان الثوانى يجوز فيها ما لا يجوز فى الاوائل بدليل قولهم كل شاة وسخلتها بدرهم ومررت برجل قائم أبواه لا قاعدين ولو قلت كل سخلتها ومررت برجل لا قاعدين أبواه لم يجز وانما جاز فى الثوانى ما لم يجز فى الاوائل من قبل انه اذا كان ثانيا يكون ما قبله قد وفى الموضع حقه فيما يقتضيه فجاز التوسع فى ثانى الامر بخلاف ما لو أتينا بالتوسع فى أول الامر فانا حينئذ لا نعطى الموضع شيأ مما يستحقه هذا اذا لم نقل ان المضاف الى ضمير النكرة نكرة فان قلنا انه نكرة كان الجواز أسوغ قال ولا يكون العامل فيها الا بمعنى المضى كقولك رب رجل جواد لقيته أو انا لاق أو هو ملق ولا تقول رب رجل جواد سألقى أو لالقين لان التقليل فى الماضى شائع ولا كذلك فى المستقبل لانه لم يعلم فيتحقق تقليله قال وتلزم ابدا الصدر لشبهها بحرف النفى من جهة مقاربة التقليل للنفى لان النفى اعدام الشئ وتقليله تقريب من اعدامه ولان العرب استعملوا التقليل فى موضع النفى قال الشاعر

قلما يبرح المطيع هواه * كلفا ذا صبابة وجنون

معناه ما يبرح المطيع هواه كلفا قال وتدخل عليها ما فتكون ما حينئذ كافة ويسميها بعضهم مهيئة لانها هيأت رب للدخول على الفعل الذى لم تكن تدخل عليه (قلت) وتحذف رب ويبقى عملها وهو بعد الفاء وبل قليل وبعد الواو كثير فمن حذفها بعد الفاء قول امرئ القيس

٣ قوله من فعل مفرع الى آخر العبارة هكذا بالاصل وليحرر اه

زياد بن الهبولة أحد ملوك الشام غزا أرضه والقوم خلوف بالبحرين فاصاب سبيا وغنائم وسبى هند بنت ظالم زوجة الحرث بن عمرو فبلغ الحرث الخبر فخرج للقاء ابن الهبولة وأرسل سدوس ابن سنان وخليع بن وهب يتحسسان له الخبر فى عسكر ابن الهبولة فخرجا حتى هجما على العسكر ليلا وقد أمن الطالب وقسم النهب وأخذ الرباع وأوقد نارا عظيمة ونادى مناديه من جاء بحزمة حطب فله قدره من تمر فاخذ كل منهما حزمة من الحطب وألقاها عند النار وأخذا التمر فاما خليع فقال يكفى هذه آية وانصرف وأما سدوس فقال لا أبرح حتى آتيه بامر جلى فلما دخل ابن الهبولة قبته قرب سدوس منها بحيث يسمع كلامه وأقبل ناس يحرسون القبة فضرب سدوس يده الى جليس له مخافة أن يستنكره فقال من أنت فقال فلان ودنا ابن الهبولة من هند امرأة الحرث فقبلها وداعبها وقال ما ظنك الآن بالحرث قالت ما هو الظن بل هو اليقين انه ان يدع طلبك حتى يعاين القصور الحمر يعنى الشام وكانى أنظر اليه فى فوارس من شيبان يذمرهم ويذمرونه وهو شديد الكلب كانه بعير

فذاك حبلى قد طرقت ومرضع ومن حذفها بعد بل قول رؤبة بن العجاج
بل بلد مثل الفجاج قتمه وحذفها بعد الواو كثير لا يحتاج الى شاهد واما حذفها مع
عدم الواو والفاء وبل فنادر كقول الشاعر

رسم دار وقفت فى طلله * كدت أقضى الحياة من جلله

وفى رب تسع لغات رب ورب ورب وربت وربت وربت ورب ورب ورب (رجع) ذى أصله ذوو
واعما جر بالياء لانه أحد الاسماء الستة المعتلة المضافة التى تعرب بالواو رفعا وبالالف نصبا وبالياء
جرا وذو هذه أطلق المتقدمون لفظها فى هذه الاسماء الستة ولم يحترزوا من ذو التى بمعنى الذى
فى لغة طيئ فانها مبنية لا دخول للاعراب فيها ولهذا أوردوا على الشيخ جمال الدين بن
الحاجب فى قوله وذو مال فى مقدمته قالوا كان ينبغى ان يقول وذو التى بمعنى صاحب احترازا
من ذو الطائية كقول الحماسى

فان الماء ماء أبى وجدى * وبئرى ذو حفرت وذو طويت

يريد الذى حفرت والذى طويت وكما قال أبو زبيد الطائى فى صفة الاسد لعثمان رضى الله عنه
فلا وذو بيته فى السماء ولذلك قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك
من ذاك ذو ان صحبة أبانا * وأجيب عن جمال الدين بن الحاجب بانه قال وذو مال فاستغنى
بالمثال عن الاحتراز لانها فى المثال بمعنى صاحب فتعين ان لفظة ذى فى بيت الطغرائى بمعنى
صاحب وهى مجرورة برب مضمرة وعلامة جرها الياء (شطاط) مضاف الى ذى وسيأتى
الكلام على الاضافة فيما بعد (كصدر) الكاف بمعنى مثل وهى فى موضع جر لانها صفة
لذى المجرورة برب وصدر مجرور بالاضافة (الرمح) مجرور بالاضافة الى صدر (معتقل) مجرور
على انه صفة بعد صفة لذى (بمثله) جار ومجرور والهاء فى موضع جر بالاضافة وهى ترجع الى الرمح
والجار والمجرور فى موضع نصب مفعول لاسم الفاعل وهو معتقل كأنه قال معتقل مثله (غير
هياب) غير مجرور على انها صفة لمعتقل (فان قلت)٣ معتقل نكرة وغير هياب معرفة
فكيف توصف النكرة بالمعرفة (قلت) غير لا تتعرف بالاضافة الا اذا وقعت بين متضادين
وكانا معرفتين كما تقول عجبت من قيامك غير قعودك أو عجبت من الحركة غير السكون
وهياب لم يضاد معتقلا فغير نكرة هنا مع وجود الاضافة ومن خواص غير أن لا تدخلها
الالف واللام (ولا وكل) الواو عاطفة ولا حرف نفى وغير للنفى فعطفت النفى على النفى ووكل
مجرور بالعطف على هياب (المعنى) وصاحب قامة معتدلة مثل صدر الرمح معتقل برمح غير
جبان ولا عاجز أخذ يصف صاحبه ويعدد ما هو عليه من كمال الخلق والخلق والصفات التى
تطلب من رفاق السفر فى الليل من الشجاعة والاقدام وغير ذلك فقد التفت الى هذا
فاقتضب مما كان يشرحه ويوضحه من حاله ومقامه فى بغداد وغربته وفقره وعدم أصحابه
وعكس مقاصده ووصف هذا الرفيق والالتفات عادة البلغاء فيلتفتون من فن الى فن ومن
أسلوب الى أسلوب على عادة العرب فى كلامهم وأرى الاقتضاب نوعا من الالتفات كقول
أبى نواس فى قصيدته النونية بينا هو يصف الخمر ويقول من ذلك

ما استقرت فى فؤاد فتى * فدرى ما لوعة الحزن

اذا اقتضب ذلك وقال بعده

أكل مرارا فسمى آكل المرار والمرار نبت فيه مرارة اذا أكلت منه الابل قلصت مشافرها وقيل بل سمعها سدوس يعنى هند اتقول لابن الهبولة وقد سألها عن حجر الحرث فقالت والله ما أبغضت نسمة قط بغضى له وما رأيت أحزم منه نائما ومستيقظا وكان اذا أراد النوم أمرنى أن أجعل عنده عسا من لبن فبينما هو نائم يوما وأنا قريب أنظر اليه اذ أقبل ساخ الى العس فشرب منه ثم مج فيه فقلت يستيقظ فيشربه فيموت فاستريح منه فانتبه من نومه فقال على بالاناء فناولته اياه فشمه ثم ألقاه فهريق ثم قال أين ذهب الاسود فقلت ما رأيته فقال كذبت فلما سمع سدوس هذه المقالة أمهل حتى نام الحرس وخرج يسرى ليلته حتى صبح الحرث فدخل عليه وهو ينشد

أتاك المرجفون برجم ظن
على دهش وجئتك باليقين

ثم قص عليه ما سمع وكان الحرث جالسا فى موضع فيه شئ كثير من نبت المرار فجعل يسمع الحديث ويعبث بالمرار ويأكل منه غضبا وأسفا وهو لا يعلم انه يأكله

٣ (قوله فان قلت الخ) فى هذا نظر ظاهر فليتأمل اه

تضحك الدنيا الى ملك * قام بالآثار والسنن

وكذلك الطغرائى بيناهو فى ذكر حاله وما هو عليه من شكوى الزمان اذا اقتضب ذلك وأخذ فى وصف الصاحب الذى ذكره فهذا التفات من نوع الى نوع وقول ابن الأثير فى المعانى المبتدعة وتغلطه الناس فى الالتفات ومشاحة من أدخل فى الالتفات ماليس من شرطه وهو ان الالتفات الرجوع من الخطاب الى الغيبة أو بالعكس تحكم منه وانما الالتفات هو الخروج من نوع الى نوع وسلوك سبيل بعد سبيل حتى ان التخلصات هى نوع من الالتفات ولكن خروجها متصل بمناسبة بين الغزل والوصف أو غير ذلك وبين المدح وأرباب البلاغة يسمون الالتفات شجاعة العربية وهو ينقسم ثلاثة أقسام الاول الرجوع من الغيبة الى الخطاب وبالعكس فالاول كقوله تعالى الحمد لله رب العالمين الآيات ثم قال اياك نعبد واياك نستعين انتقل من الغيبة الى الخطاب والثانى كقوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم انتقل من الخطاب الى الغيبة (وأقول) انما عدل فى الاول من الغيبة الى الخطاب لان الحمد دون العبادة الا تراك تحمد نظيرك ولا تعبده فكأن القارئ توسل الى الاعلى بالادنى والى الخطاب بالغيبة على سبيل التدريج الى الغاية ولم يخاطب الله من أول وهلة

قدم يدا من قبل أن تدنى يدا * ومبرة من قبل ان تدنى فما

فكأنه أثنى أولا ثم خاطبه ثانيا وفى الثانى انما عدل عن الخطاب الى الغيبة لان المقام مقام سؤال وتعطف وطلب هداية ورحمة من الله تعالى فلو قال غير الذين غضبت عليهم لكان قد نسب الغضب اليه تعالى وكان بمنزلة من يقول أنت تنعم وتنتقم وتعفو وتؤاخذ وفى هذا من المواجهة لمن يطلب احسانه ورحمته وهدايته مافيه لانك تذكره بما له عليك أما اذا قلت أنت المنعم الذى لا يغضب والعفو الذى لا يؤاخذ كنت قد أتيت بما زاده عطفا عليك وأغراه بالعفو عنك وما أحسن قول القائل

جنى عليك اذا خلوت كثيرة * واذا حضرت فاننى مخصوم

لا أستطيع أقول أنت ظلمتنى * والله يعلم أننى مظلوم

والثانى من أقسام الالتفات الرجوع عن الفعل المستقبل الى الامر وعن الماضى الى الامر فالاول كقوله تعالى ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهدوا أنى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى انتقل من الاستقبال الى الامر والثانى كقوله تعالى قل أمر ربى بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين أقول انما عدل فى الآية الاولى عن المستقبل الى الامر لئلا يساوى بين شهادة الله تعالى وشهادتهم فلم يقل أشهد الله وأشهدكم وانما عدل فى الآية الثانية عن الماضى الى الامر لان لفظ الامر فيه العناية بما أمر به فاذا قلت أمرتك بالقيام وصل لله تعالى كان أبلغ من قولك أمرتك بالقيام والصلاة والثالث الاخبار عن الفعل الماضى بالمستقبل وبالعكس فالاول كقوله تعالى الله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا الآية انتقل من المضى الى الاستقبال والثانى كقوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم وقوله تعالى ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السموات الآية انتقل من الاستقبال الى المضى وأقول انما عدل فى الاول عن الماضى الى

من شدة الغيظ الى أن فرغ الحديث ووجد طعمه فيمى آكل المرار ثم لحق ابن الهبولة فقاتله وظفر عليه ولم يزل ملكا على بنى وائل الى أن مات ومن شعره يقول

وربهم جشمته فى هواكم
وبعير تركته محسور
وغلام كلفته دلج الليل فاضحى كانه مخمور
ان من غره النساء بشئ
بعد هند لجاهل مغرور
حلوة العين واللسان ومر
كل شئ يجن منها الضمير
كل أنثى وان بدا لك منها
آية الحب حبها خيتعور

(والجمالات بين عبس وذبيان أسندت الى كفالتك)
(الجمالات) جمع حمالة وهو ما يتحمله الرجل عن القوم من دية أو غرامة وأصل الحرب بين بنى عبس وذبيان أن قيس بن زهير المقدم ذكره كان قد اشترى من مكة درعا حسنة تسمى ذات الفضول وورد بها الى قومه فرآها معه الربيع بن زياد وكان سيد بنى عبس فأخذها منه غصبا فانتقل عنه قيس بن زهير باهله وماله ونزل على بنى ذبيان وسيدهم حمل بن بدر بن حصين وأخوه حذيفة فأكرموه وأحسنوا جواره وكانت لقيس خيل كريمة من جملتها داحس والغبراء

الاستقبال طلبا للاستحضار حال تلك الصورة البديعة فان المستقبل في الانتظار والتوقع فيطلب بذلك التهيؤ والتطلع لوقوع الحال بخلاف الماضي فانه أمر فرغ منه وليس للنفوس اليه تطلع وفي الثاني انما عدل عن الاستقبال الى الماضي لان الماضي أمر وقع وصح وثبت وتحقق كونه ولما كان الحشر وفزع أهل السموات والارض أمرا مطلوبا ثبوته وتحققه أخبر عنه بالماضي الذي وقع وجزم العقل به بخلاف الاستقبال فانه أمر مظنون يحتمل وقوعه وعدمه فانظر الى ما أعطى الالتفات في هذه المواضع من المعاني وأفادها من الحكم فتبارك الله الذي أنزل القرآن وجعله معجزا انأت غايته عن البشر وبعدت مرامي معانيه وحكمه عن المعارضة والاتيان بمثله أو بسورة منه تنزيل من حكيم حميد * قال الزمخشري والالتفات من أسلوب الى أسلوب تطرية لنشاط السامع وطلب للاصغاء اليه قلت ألا ترى أن الطغرائي لما أخذ في وصف حاله وما هو فيه من النكد وضيق الحال كأنه أطال على المخاطب في ذلك وأحس منه بالملل فالتفت الى وصف هذا الصاحب الذي وافقه فأنشأ للسامع معنى غير الاول بعث له نشاطا جديدا واستأنف له اصغاء آخر وجدد له تطلعا يتشوف معه الى الوقوف على هذا الخبر الثاني وهذا غير خاف وصدر بيت الطغرائي هو بعينه صدر بيت الحريري في مقامته الرابعة والاربعين من قصيدته البائية لانه قال

وذي شطاط كصدر الرمح قامته * صادفته بني يشكو من الجدب

ومثل هذا لا يعد سرقة لان المعنى ليس ببديع ولا لفظه بفظيع ولا الطغرائي بعاجز عن الاتيان بمثله بل جرى على لسانه ونسي أن هذا لغيره لعدم الاحتفال بأمره اذ هو ليس بأمر كبير وهذا كثير الوقوع للناس لا يكاد يسلم الفحول منه ولهذا قال أشياخ الادب ما حفظ المقامات أحد ونسيها الا نظم ونثر وقوله كصدر الرمح معتقل بمثله من الايجاز والاختصار لانه استغنى بمثله عن ان يقول برمح طويل قويم معتدل وما أحسن المثل المشهور يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق وقال البحتري

والشعر لمح كفت اشارته * وليس بالهذر طوّلت خطبه

وأحسن ما ورد في الايجاز قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين وقد تكلم أرباب البلاغة في هذه الآية وأكثروا قال ابن أبي الاصبع وما رأيت فيما استقريت من الكلام كآية استخرجت منها احدا وعشرين ضربا من المحاسن وذكرها ثم فسر ذلك وشرحه والكلام عليها يطول ههنا وهذه الآية مشهورة بين أرباب البلاغة بالابداع وأعظم ما فيها شرح شأن نوح عليه السلام في الطوفان من أوله الى آخره في هذه الالفاظ القلائل ومن جملة اعجاز القرآن ايجازه وهو مشحون بذلك ومثل قول الطغرائي بمثله في كلام الشعراء كثير كقول أبي تمام الطائي

وركب كأطراف الاسنة عرسوا * على مثلها والليل تسطو غياهبه

فاستغنى بقوله على مثلها عن أن يقول على نوق كأطراف الاسنة وما أحلى قول ابن الساعاتي

يا لقومي وقد أقام فريق * ليلة النصف واستقل فريق
كل قد ومثله لكن الذا * بل قد والناضر المشوق

داحسا لانه كان لرجل من بني يربوع يقال له قرواش وكان له فرس تسمى جلوى ولرجل منهم يقال له حوط فرس يقال له ذو العقال وكان لا يطرقه شيأ وانهم توجهوا في نجعة والفحل مع ابنتين لحوط يقودانه فمرت به جلوى وديقا فلما استنشاها ودى فضحك شباب منهم فاستحيت الفتاتان فأرسلتاه فقوده فوثب على جلوى ثم جاء حوط وكان سيئ الخلق فرأى عين فرسه فقال ثار والله فأخبر بالخبر فنادى بني يربوع فاجتمعوا فقالوا والله ما كرهناه قال أريد ماء فرسي فقالوا دونك فأوثقها حوط ثم جعل في يده ترابا وسطا عليها فادخل يده في فرجها وأخرجها فاشتملت الرحم على ما فيها فنتجها قرواش مهرا فسماه داحسا لسطوة حوط عليه ودحسه اليد اليها وخرج داحس كأنه أبوه * ثم ان قيس بن زهير أغار على بني يربوع فغنم وسبى وركب داحسا فتيان من بني دريم فجروا وقطعا الخيل فلما رآه قيس أعجب به فدعا الى أن يجعل فداء السبي ففعلوا وصار لقيس فتراهن رجلان من بني ذبيان عليه وعلى فرس لحذيفة تسمى الغبراء أيهما

وقالت

وقلت أنا في هذا النوع

يا قومي من سطوة الترك سلوا * بيض أجفانهم لجز النحور
كل لحظ ومثله لكن النصـ * ـر تراه في الحرب للمكسور

وقلت أيضا

رب يوم تقابل الورد فيه * بين روض وبين خد تضرج
كل شئ ومثله لكن الأحـ * ـسن ما كان بالعذار مسيج

وقلت أيضا

يقابل بدر التم منه بطلعة * هي البدر لكن حسنها منه أشهر
وفي خده ورد وفي الروض مثله * ولكن ما تحت النواظر أنضر

وقريب من هذه المادة أعني قول الطغرائي وغيره قول أبي العتاهية فيما أظن

حلقت لحية موسى باسمه * وبهرون اذا ما قلبا

قوله باسمه أوقع في النفس من ان يقول حلقت لحية موسى بموسى لان خفاء التنديرأحسن من وضوحه وعلى ذكر موسى فما أحلى قول مجد الدين بن الظاهير الاربلي في القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان وولده موسى

وكيف يؤتى رشده حاكم * حكم في لحيته موسى

كتب الشيخ جمال الدين الموقاني الى جمال الدين موسى بن يغمور وقد أهدى له موسى

وأهديت موسى نحو موسى وان يكن * قد اشتركا في الاسم ما أخطأ العبد
فهذا له حد ولا فضل عنده * وهذا له فضل وليس له حد

وقد اختلس قول أبي العتاهية المتقدم أبو الحسن علي بن عبد الغني الضرير الحصري وهو ابن أخت أبي اسحق ابراهيم صاحب زهر الآداب فقال

يا حرفة الشعراء آنك منهم * حيث ابتغوا رزقا لبالمرصاد
لوحل بالوادي المقدس ركبهم * لشفاء غلتهم لجف الوادي
ولوا بتغوا حلق الرؤس بمكة * حضر الرشيد بها وغاب الهادي

يريد اسم الرشيد وهو هرون واسم أخيه الهادي وهو موسى ومثل هذا قول أبي بكر محمد بن عمار وقد دخل حماما بحصن شقورة فالتمس نورة يطلى بها عورته فلم يجد فاستعمل الموسى بدلا منها فقال

شقورة شر دار * وشرها زاد بوسا
عدمت هرون فيها * فظلت أطلب موسى

وقول ابن عمار والحصري فيه شئ يؤاخذان به وهو انما أراد بهرون قلب حروفه ليعود نورة وليس في اللفظين ما يدل على القلب وان كان يمكن التأويل للحصري بانه ما أراد الاغيبة موسى الهادي وحضور الرشيد هرون لاغير ولكن المتبادر الى الذهن ذاك فعلى كل حال قول أبي العتاهية أكمل وقلت أنا ملغزا في الموسى

وماشيء له حد وخد * يكلم من يلامسه بحقه
وكل حلقه من تحت رأس * وهذا الرأس يصبح تحت حلقه

السابق على عشر قلائص وقد قيل ان داحسا والغبراء فرسا قيس والخطار والحنفاء فرسا حذيفة وانهم أجروا الجميع وقيل تراهنا على فرسي قيس أيهما اسبق وللرواة في ذكر هذا السباق أخبار مختلفة مطولة جدا تشتمل على أمثال وأشعار اختصرتها لكثرة ما فيها من الموضوعات ثم ان الرجلين أجبرا حذيفة بن بدر بالرهان على فرسه وفرس قيس فرضي به وأرضاه فاتيا قيسا فقالا انا راهنا على فرسك فقال راهنا من شئتما وجنبا في بني بدر فانهم قوم يظلمون فقالا قد أوجبنا الرهان مع حذيفة فقال والله ليشتعلن علينا شرا ثم جاء قيس الى حذيفة فقال انما جئتك لاواضعك الرهان عن صاحبي فقال لا والله حتى تاتي بالعشر قلائص فأحفظ ذلك قيسا فغضب وتزايدا حتى بلغا مائة قلوص ووضعا الرهان على يد رجل من بني ثعلبة وجعلا الغاية مائة غلوة ثم قادا الفرسين الى الغاية وركبهما فتيان منهما وكان حمل بن بدر قد جعل شجعا ثالثا ووضعه في شعب من شعاب هضب القليب على طريق الفرسين وأكمن فيه فتيانا وأمرهم ان جاء داحس سابقا أن يردوا

أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق المحروسة سنة تسع وعشرين وسبعمائة

رأيت في حلق غزالا * تحار في حسنه العيون
فقلت ما الاسم قال موسى * قلت هنا تحلق الذقون

وهذا النوع يسميه أرباب البديع القول بالموجب وهو ان يقع في كلام المتكلم شئ يعني به نفسه فيثبته المتكلم لغيره من غير تصريح بثبوته له ولا بنفيه وقد جاء في القرآن العظيم منه قوله تعالى حكاية عن المنافقين يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل الآية فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن المؤمنين فأثبت الله عز وجل صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج بصفة العزة ولا لنفيه وهذا نوع عزيز الوقوع لا يطيع من برومه لتوعر مسلكه ولا باس بايراد ما حضرني منه قرأت على الشيخ الامام الكاتب أبي الثناء محمود كتابه الذي وسمه بحسن التوسل الى صناعة الترسل وأورد فيه لنفسه قوله

رأتني وقد نال مني النحول * وفاضت دموعي على الخد فيضا
فقالت بعيني هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

ثم قال ومن أحسن ما سمعت فيه قول محاسن الشواء

ولما أتاني العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا للعمى قارض
وقد بهتوا لما رأوني شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

قلت ومن هنا أخذ ناصر الدين بن النقيب قوله

ومالي سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلي بالعيون وغرتي
وقالوا به في الحب عين ونظرة * لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

وأصل هذا المعنى قول الاول

وجاؤا اليه بالتعاويذ والرقى * وصبوا عليه الماء من ألم النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة * ولو صدقوا قالوا به نظرة الانس

وأورد في حسن التوسل قول الارجاني

غالطتني اذ كست جسمي الضنا * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

قلت أخذه ابن نقادة أخذا قبيحا واستحق به اللوم صريحا لانه قال

غالطتني حين حاكى خصرها * جسمي المرض وجدا وغراما
ثم قالت أنت عندي ناظري * ولعمري صدقت لكن سقاما

وأخذه آخر فقال

شكوت صبابتي يوما اليها * وما قاسيت من ألم الغرام
فقالت أنت عندي مثل عيني * لقد صدقت ولكن في السقام

وأورد في حسن التوسل قول القائل

قلت ثقلت اذ أتيت مرارا * قال ثقلت كاهلي بالايادي

وجهه الى أن تسبقه الغبراء فسبق داحس فأشار اليه من كان في الشعب فردوا وجهه وجاءت الغبراء وعلم قيس والذي على يده الرهان بذلك فقال قيس لحذيفة أعطني سبقي وقال الذي على يده الرهان يا حذيفة أعطوه سبقه فقد سبق داحس فاعطاه السبق ثم ان جماعة من قوم حذيفة ندموه على دفعه السبق الى قيس ونهاه آخرون عن الشر وقالوا ان قيسا لم يسبق الى كرمه وانما سبق دابة دابة فابى وبعث ابنه ندبة بن حذيفة الى قيس يطلب منه السبق فقال هذا سبقي فكيف أعطيكم اياه فتناول ابن حذيفة من عرض قيس وشتمه وأغلظ له وكان الى جانب قيس رمح فطعنه فدق صلبه واجتمع الحيان وأدوا دية المقتول وأخذها حذيفة دفعا للشر ثم ان قومه ندموه فعاد الشر بينهم فتحمل قيس بمن معه من قومه ورحل وجمع الفرسان وقامت الفتن بين الحيين الى أن قتل مالك بن زهير أخو قيس وكان الربيع ابن زياد عمهما معتزل الحرب فلما سمع بمقتل ابن أخيه مالك شق ذلك عليه وقاتل بني ذبيان وأنشد

قلت طوّلت قال لا بل تطوّلـ * ـت وأبرمت قال حبل ودادى

انتهى ما أورده فى الكتاب المذكور وما ألطف قول صدر الدين بن الوكيل

وبى من قسا قلبا ولان معاطفا * اذا قلت أدنانى يضاعف تبعيدى
أقـــر برق اذ أقول أناله * وكم قالها أيضا ولكن لتهديدى

ونقلت من خط السراج الوراق له

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحى * لهموم نفس ليت لا جملتها
قد كان عندك يا فلان صريمة * فأجبتهم بعت الحمار وبعتها

ونقلت منه له

وسائل يسأل منى وقد * أنشدت شعرا يشبه الشعرى
يقول لى اذ كنت لدى معشر * قد عبدوا البيضاء والصفرا
ماحصـلت دائرة بينهم * قلت نعم بطيخة خضرا

ونقلت منه له

متمارض جعل التغا * شى من خبائثه سبب
ويقول ما أنا طيب * صدق اللعين وما كذب

ونقلت منه له

لقنته العذر عن تر * ك حاجتى لو تصوّر
فقلت أنسيتها والنسيان أمر مقـدر
فقال لست بناس * فقلت مولاى أخبر

ونقلت منه له

أطعموا العلقة شيخا * ذقنه كالثلج بيضا
ثم قالوا خذ دواء * يستغيض الداء غيضا
يحلق السوداء حلقا * قلت والبيضاء أيضا

ونقلت منه له

قلت صدّق فيك مدحى * وثناء فاض فيضا
قال ما صدّقت عمرى * لا ولا صليت أيضا

ونقلت منه له

لقنته الاعذار عن * وعد ثناه عنه افك
وصرفت للنسيان ذا * ك وقلت لم يك منك ترك
فأجاب بل أنا غيرنا * س قلت ما فى ذاك شك

ونقلت منه له

كانت لابنى بنات أربع * والتى جاءت تمام الخاتمه
قلت قد سميتها رابعة * قال اياك وأخرى طارمه

ونقلت منه له

وقائل قال لى لما رأى قلقى * اطول وعد وآمال تعنينا

من كان مسرورا بمقتل مالك
فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه
بالصبح قبل تبلج الاسحار
أفبعد مقتل مالك بن زهير
يرجو النساء عواقب الاطهار
يعنى انه أخذ ثار مالك فندبته النساء وكذلك عادة العرب لا تندب القتيل حتى يؤخذ ثاره ولبعض الادباء اعتراض فى قوله
بالصبح قبل تبلج الاسحار
فان الصبح لا يكون الا بعد تبلج الاسحار وأجيب بأقوال منها ان الصبح ههنا الحق الواضح من وصف القتيل الذى هو كالصبح كأن النساء ندبنه بخلاله الحسان الواضحة والبيت الثالث
٣ يستشهد به العروضيون على دخول الحذف فى عروض الطويل كما يدخل فى ضربه وهو زوال السبب من

٣ قوله يستشهد به العروضيون الخ فيه أن البيت المذكور من الكامل لا من الطويل فلم يصادف الاستشهاد به على ما ذكره محلا لان أواخر تفاعيل الكامل أوتاد لا أسباب كما لا يخفى هذا ولم يتعرض أبو الفداء فى تاريخه لهذا البيت الثالث فليحرر اه مصححه الاول

عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخربنا

ونقلت منه له

قالت جمعت لفاقة كسلا * فانهض وقم واداب لهم العائله
فأجبت هل تدرين لى سببا * قالت ولا وتداو هذى الفاصله

وقال ابن سناء الملك

لهفى على عشاقك الطرش * العمى فى عشقك لا العمش
عاشقك القش ولا غرو أن * تلتهب النيران فى القش
قالوا لقد أحدث من بعدنا * ما لا يرى قلت على الفرش

ونقلت من خط الشيخ محمد التلمسانى

اسم حبيبى وما يعانى * قد شغلا خاطرى ولبى
قالوا على فقلت قدرا * قالوا كوانى فقلت قلبى

وقال النور الاسعردى

سالت الوزير أتهوى النسا * أم المرد جار واعلى مهجتك
فقال وأبدى الخلاعات لى * كذا وكذا قلت من زوجتك

وقال أيضا عند ما عمى فى آخر عمره

سالت الله يختم لى بخير * فعجل لى ولكن فى عيونى

وقال أيضا فى مملوك باعه

سمحت ببيع المملوك بما نعنى * ولو أراد رضائى ما تعدانى
قالوا أينسب للعلان قلت لهم * ما كنت بائعه لو كان علانى

أنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

مبقل الخد أدار الطلا * فقال لى فى حبها عاتبى
عن أحمر المشروب ما تنتهى * قلت ولا عن أخضر الشارب

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى شمس الدين محمد بن الصائغ

عارضنى العذال فى عارض * قالوا بلطف بعد ما أطنبوا
ما آن بالعارض أن تنتهى * قلت ولا بالشيب لا تتعبوا

وقلت أيضا

وصاحب لما أتاه الغنى * تاه ونفس المرء طماحه
وقيل هل أبصرت منه يدا * تشكرها قلت ولا راحه

وقلت أنا

ولقد أتيت لصاحب وسألته * فى قرض دينار لامر كانا
فاجابنى والله دارى ماحوت * عينا فقلت له ولا انسانا

وقلت أيضا

يقولون لما زارنا وانثنى * وقد أخجل الغصن والجؤذرا
أتشتاق من طرفه أبيضا * فقلت ومن قده أسمرا

مفاعلان المقبوضة وهو قليل ولا يستعمل * ثم توالت أيام الحروب بينهم وكان أعظمها يوم الهباءة كما تقدم وسئم قيس من القتال فذهب الى أخواله كما ذكر فى ترجمته وكان الربيع قدمات وأكل بعض القوم بعضا فقام فى الصلح الحرث بن عوف وهرم بن سنان المريان وحملا الحمالات واجتهدا فى اصلاح ذات البين وفى ذلك يقول زهير بن أبى سلمى الشاعر

تداركتما عبسا وذبيان بعدما * تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

وكانت اليد الطولى للحرث ابن عوف أولا وآخرا والسبب فى ذلك أن الحرث قال يوما لخارجة بن سنان أترانى أخطب الى أحد فيردنى قال نعم قال ومن ذلك قال أوس بن حارثة بن لام الطائى فقال الحرث لغلامه ارحل فركبنا حتى لقينا أوس بن حارثة فى بلاده فوجدناه فى فناء منزله فلما رأى الحرث ابن عوف قال مرحبا بك ياحرث قال وبك قال وما حاجتك قال جئتك خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه ودخل أوس الى امرأته مغضبا وكانت من عبس فقالت من الرجل الذى وقف عليك قال ذلك سيد العرب الحرث بن عوف

وقلت أيضا

يقول لي العذال لما عشقته * وبعض جواب الصب فيه لطائف
أيسبيك منه يا أخا الوجد ناظر * مهنده ماض فقلت وسالف

وقلت أيضا

قد سألت النسيم وهو خبير * بسؤالي اذ غاب وجهك عني
قلت قل لي هل ورد خديه غض * قال قد ضاع نشره قلت مني

وقلت أيضا

بدا في الخد عارضه فاضحى * عليه معنفي باللوم يغرى
وحاول أن يرى مني سلوا * فقال القد تعذر قلت صبري

وقلت أيضا

سألت نسيم أرضك حين وافى * فقلت صف القوام ولا تحاشي
فقال يلين قلت لكل صد * وقال يميل قلت لكل واشي

وقلت أيضا

صدق خلي نسمات الصبا * فيما روت عنك وما شكا
وقال لا أخبر منها بما * جاءت به قلت ولا أذكى

وقلت أيضا

يقول صحبي اذا اتى منكم * مشرف بالغت في شكره
هل يلتقي أكرم من طيه * قلت ولا أطيب من نشره

ولا باس بقول من قال مواليا

عبر على حبيبي قلت كلمني * فقال بحبك لحسنى قلت تقبلني
فقال لي بشماز أو تجاوبني * ضحكت لو قال بارد قلت سبلني

وبعضهم أراد ان يشتري جارية عرضت عليه فقال لها كم دفعوا فيك فقالت وما يعلم جنود ربك الا هو وقيل ان رجلا رمى عصفورا فاخطاه فقال له آخر أحسنت فغضب وقال أتهزأ بي قال انما قلت أحسنت الى العصفور ذكر أبو الحسن المدائني ان رجلا من أهل الحجاز قال لابن شبرمة العلم من عندنا خرج فقال صدقت الا انه لم يرجع اليكم لقي شيخ شيخا آخر مثله فقال له ماذا يصنع الشيخ الحسن اليوم فقال له يشتمني وقال بعضهم لولده والله لا أفلحت فقال له والله يا أبي ولا أنا حكى ان الصاحب جمال الدين بن مطروح قال يوما لشهاب الدين القوصي يا شهاب الدين أنت عندنا مثل الوالد فقال لاجرم أني مطروح وقال له بعض الرؤساء أنت عندنا مثل الأب وشدد الباء فقال لاجرم انكم تأكلوني (أقول) لا يخفى ما في هذا التنذير من اللطف لان الأب مشدد الباء هو المرعى وقال بعضهم هو للدواب بمنزلة الخبز للاناسي ومن يشدد الباء من الاب الذي هو الوالد لا يكون الا دابة وقيل ان أبا الفرج بن الجوزي كان له ولد يدعى عليا فدخل يوما الى البيت فرأى تحت سجادة الشيخ أربعة دنانير فأخذها فلما أحس بمجيء الشيخ نام فطلب الشيخ الدنانير فلم يجدها فعرف أنه أخذها فحركه وقال ويلك أكانت الدنانير نجسا قال لا والله الا حيا دافضحك الشيخ وقال خذها لا جعل الله لك فيها بركة

قالت فما لك لم تستنزله قال انه استحمق قالت وكيف قال جاءني خاطبا قالت أفتريد أن تزوج بناتك قال نعم قالت فاذا لم تزوج سيد العرب فمن قال قد كان ذلك قالت فتدارك ما كان منك قال بماذا قالت بان تلحقه فترده قال وكيف وقد فرط مني ما فرط اليه قالت تقول انك لقيتني وأنا مغضب بامر لم تقدم فيه قولا فانصرف ولك عندي ما تحب فانه سيفعل فركب أوس بن حارثة في أثره قال خارجة فوالله انا لنسير اذ حانت مني التفاتة فرأيته فاقبلت على الحرث وما يكلمني غما فقلت له هذا أوس بن حارثة فقال وما نصنع به امض فلما رآنا لا نلتفت صاح يا حرث اربع على فوقف له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا فبلغني أن أوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي لي فلانة لا كبر بناته فاتته فقال يا بنية هذا الحرث بن عوف سيد من سادات العرب وقد جاءني خاطبا وقد أردت أن ازوجك منه فما تقولين قالت لا تفعل قال ولم قالت لاني امرأة في وجهي ردة وفي خلقي بعض العهدة ولست بابنة عمه فيرعى رحمي وليس بجارك في البلد فيستحيي منك ولا آمن أن يرى مني

(حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بشدة البأس منه رقة الغزل)

(اللغة) الحلو نقيض المر يقال حلا يحلو حلاوة واحلولى افعوعل وقد عداه حميد بن ثور في قوله

فلما اتى عامان بعد انفصاله * عن الضرع واحلولى دمانا يرودها

ولم يجئ افعوعل متعديا الا هذا وحرف آخر وهو اعروريت الفرس والطعوم تسعة وهي الحلو والمر والحامض والمز والمالح والحريف والعفص والدسم والتفه لان الجسم اما ان يكون كثيفا او لطيفا او معتدلا والفاعل فيه اما الحرارة او البرودة او الاعتدال بينهما فيعمل الحار في الكثيف مرارة وفي اللطيف حرافة وفي المعتدل ملوحة وتعمل البرودة في الكثيف عفوصة وفي اللطيف حموضة وفي المعتدل قبضا ويعمل الاعتدال في الكثيف حلاوة وفي اللطيف دسومة وفي المعتدل تفاهة وقد يجتمع طعمان كالمرارة والقبض في الحضض ويسمى البشاعة والمرارة والملوحة في السبخة ويسمى الزعوقة وبعضهم زعم أن أصول الطعوم أربعة الحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة وما عداها مركب منها أنشدني لنفسه المولى صفي الدين أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا الحلي اجازة

يا قابض المال الذي لم يزل * طرفي الى بهجته يطمح
ومن اذا جرحني لحظه * غدا بلحظي خده يجرح
تالله لا انفك مستهزأ * فيك بأشعاري ولا أبرح
يعذب لي الاحماض في قابض * حلو اذا ما مر يستملح

وما أرشق قول البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي أنشدنيه الحاج لاجين الذهبي قال أنشدني البدر يوسف لنفسه

يا عاذلي في هواه * اذا بدا كيف أسلو
يمر بي كل وقت * وكلما مر يحلو

(فائدة) قولهم فلان يحب الحموضة معناه انه يأتي الدبر لان الاحماض في اللغة الانتقال من شئ الى شئ لان الابل اذا ملت الخلة اشتهت الحمض فتحول اليه وفي حديث الزهري الاذن مجاجة وللنفس حمضة أي شهوة للانتقال فكأن اللائط انتقل من الامر الطبيعي المعتاد الى غيره (الفكاهة) بالضم المزاح وبالفتح مصدر فكه فهو فكه وفكاهة اذا كان طيب النفس مزاحا (الجد) نقيض الهزل وهو الاجتهاد في الامور تقول جد في الامر يجد بالكسر والضم وأجد في الامر مثله قال الاصمعي ان فلانا لجاد مجد باللغتين (المزج) الخلط يقال مزجت الشراب اذا خلطته بغيره ورسم المزاج عند الحكماء بانه حصول كيفية متشابهة عن تفاعل كيفيات متضادة موجودة في عناصر متصغرة الاجزاء متلاقية باكثرها اذ اوقف فعلها عند حد وقيل عليه ان هذا التفاعل ان كان في آن واحد كيف يمكن ان يكون الكاسر مكسورا وان كان على التعاقب كيف يصير المنكسر كاسرا بعد انكساره ولا بد من انكسار سورة كل واحد منهما لتحصل الكيفية المتشابهة متوسطة بينهما (والجواب) ان الحكماء بينوا أن الجسم مركب من جزءين قابل ومقبول ويسمى القابل منهما الهيولى والمادة ويسمى المقبول الصورة فالفاعل في حال المزاج انما هو الصورة بواسطة الكيفيات والمنفعل انما هو المادة فيكون التفاعل في آن واحد ويقع انكسار السورات ولا يلزم كون الفاعل منفعلا وتقريب ذلك ان النار تفعل بواسطة كيفيتها التي هي

ما يكره فيطلقني فتكون على وصمة فقال قومي بارك الله فيك ثم دعا الوسطى فاجابته بمثل ذلك أو بقريب منه ثم دعا الصغيرة فقال لها كما قال لاختيها فقالت أنت وذاك فقال اني عرضت ذلك على أختيك فأبتاه فقالت لكني الجميلة وجها الصناع يدا الحسيبة أبا فان طلقني فلا أخلف الله عليه قال بارك الله عليك ثم خرج الينا فقال قد زوجتك بهيسة بنت أوس قال قد قبلت فأمر أمها أن تهيئها وتصلح من شأنها ثم أمر ببيت فضرب له وأنزله اياه فلما أدخلت اليه لبث هنيهة ثم خرج الي فقلت له أفرغت من شانك قال لا والله لما مددت يدي اليها قالت مه أعندي أبي واخوتي هذا لا يكون قال فامر بالرحلة فارتحلنا بها فسرنا ما شاء الله ثم قال لي تقدم فتقدمت فعدل بها عن الطريق فما لبث أن لحقني فقلت أفرغت قال لا والله قالت لي كما يفعل بالامة الجليبة والسبية الاخيذة لا والله حتى تنحر الجزر وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل لمثلي قلت والله لأرى هيئة عقل واني لارجو أن تكون المرأة النجيبة ثم سرنا الى أن دخلنا بلادنا فاحضرنا الابل والغنم ثم دخل اليها وخرج فقلت

الحـرارة فى مادة الماء والماء يفعل بواسطة كيفيته التى هى البرودة فى مادة النار (رجع)
(الشدة) ضد اللين (البأس) الشجاعة (الرقة) ضد الغلظ (الغزل) مغازلة النساء وهى محادثتهن
ومراودتهن وتغزل اذا تكلف الغزل وزعم بعض الادباء ان الغزل فى الذكور والتشبيب فى
الاناث (الاعراب) حلو صفة لذى فى البيت الذى تقدم (الفكاهة) مجرور بالاضافة والاضافة
تنقسم الى قسمين معنوية ولفظية فالمعنوية هى التى لا ينوى بها الانفصال وتحدث بين المضاف
والمضاف اليه تعلقا لم يكن قبلها وتفيد الاول تعريفا كغلام زيد وتخصيصا كغلام رجل
واللفظية هى التى فى تقدير الانفصال ويكون بين المضاف والمضاف اليه تعلق من غير جهة
الاضافة ولا تفيد تخصيصا ولا تعريفا ولكن فائدتها التخفيف والذى عمل فى الثانى الجر تقدير
حرف الجر وهو امامن التى لبيان الجنس مثل خاتم فضة واما اللام التى للملك او الاختصاص
بطريق الحقيقة او المجاز فان كان المضاف بعض ما أضيف اليه وصح الحمل عليه كما فى خاتم
فضة وثوب خز وباب ساج وخمسة دراهم فالاضافة بمعنى من وان لم يكن كذلك كما فى غلام زيد
ولجام فرس وبعض القوم ورأس الشاة فالاضافة بمعنى اللام ومن النحاة من ذهب الى انها
تكون بمعنى فى كقوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر وقوله تعالى ياصاحبى
السجن وقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهذا اختيار الشيخ جمال الدين محمد بن مالك قال ولده
بدر الدين فى شرح الخلاصة يعنى أن الاضافة على ثلاثة أنواع والضابط فيها أن تعين تقديرها
بمن لكون المضاف اليه اسما للجنس الذى منه المضاف فهى بمعنى من أو تقديرها بفى لكون
المضاف اليه ظرفا وقع فيه المضاف فهى بمعنى فى وان لم يتعين تقديرها بهما فهى بمعنى اللام ثم
قال بدر الدين والذى عليه سيبويه وأكثر المحققين ان الاضافة لا تعدو أن تكون بمعنى اللام أو
بمعنى من وموهم الاضافة بمعنى فى محمول على انها فيه بمعنى اللام على المجاز ثم أخذ يستدل على
ذلك بأمور فيها طول اضربت عن اثباتها خوف الاطالة وعلى ذكر الاضافة أنشدنى من لفظه
لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة

يامالكا يجبر قصاده * جبرا له الله مكاف عليه
شكرا لهذا الجود من نعمة * يبسط ضيف الباب فيها يديه
اذا أتته وهو فى محبسة * صار مضافا ومضافا اليه

وقال ابن سناء الملك

تجىء الملوك لابوابه * فيغمرهم جوده الشامل
ويخفضهم انه كالمضاف * ويرفعه انه الفاعل

وظرف الشهاب محاسن الشواء فى قوله

وكنا خمس عشرة فى التئام * على رغم الحسود بغير آفه
فقد أصبحت تنوينا وأضحى * حبيبى لا تفارقه الاضافه

قلت ويعجبنى قول ابن هانئ الاندلسى من أبيات

علمته باب المضاف تفاؤلا * ورقيبه يغريه بالتنوين

(رجع) الاضافة فى الفكاهة اضافة لفظية وليست بمعنى من لان من شرط ذلك أن يحسن
وصف الاول بالثانى لكونه بعضا له ولا بمعنى اللام التى للملك لا بطريق الحقيقة ولا المجاز الا

أفرغت قال لا والله قلت
ولم ذاك قال دخلت عليها
أريدها قلت قد أحضرنا من
المال ماترين قالت والله لقد
ذكرت لى من الشرف ما
لا أراه فيك قلت كيف قالت
أتتفرغ لنكاح النساء
والعرب يقتل بعضها بعضا
يعنى بنى عبس وذبيان
قلت فتريدين ماذا قالت اخرج
الى هؤلاء القوم فأصلح بينهم
ثم ارجع الى وانى لست فائتتك
قلت والله انى لارى عقلا
وهمة ولقد قالت قولا فاخرج
بنا فخرجنا حتى أتينا القوم
فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا
على أن يحسبوا القتلى من
الفريقين ثم يؤخذ الفضل
ممن هو عليه فحملنا عنهم
الديات وكانت ثلاثة آلاف
بعير وعاش الحرث الى أن
أدرك النبى صلى الله عليه
وسلم ووفد عليه وأسلم وبعث
معه رسول الله صلى الله
عليه وسلم رجلا من الانصار
فى جواره يدعو قومه الى
الاسلام فقتله رجل من بنى
ثعلبة فبلغ رسول الله صلى
الله عليه وسلم الخبر فقال
لحسان قل فيه فأنشد يقول
ياحار من يغدر بذمة جاره
فيكم فان محمدا لا يغدر
وأمانة المرى حيث لقيته
مثل الزجاجة صدعها لا يجبر
فتألم الحرث لهذا القول وأرسل
يعتذر وبعث اليه بدية

بتكلف أعني تقدير اللام ويحسن أن تكون بمعنى في ويكون التقدير حلو في الفكاهة (مر الجد) صفة أخرى والجد مضاف اليه والكلام فيه كالكلام فيما تقدم ولك في هذه الصفات التي تعددت كلها الرفع على أنها خبر مبتدا محذوف تقديره هو حلو الفكاهة والنصب على أن العامل أعني مضمرا والجر على الصفة للذي وهو أقواها وقد قرئ الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك برفعها ونصبها وجرها لان الصفات اذا تعددت جاز فيها ذلك وعليه اعرب قوله تعالى والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة وقول الخرنق

لا يبعدن قومي الذين هم * سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك * والطيبون معاقد الازر

فمن قوله معترك في البيت الاول الى قوله في الثاني مر الجد يجوز في الجميع الاعرابات الثلاثة الا قوله وكل فانه معطوف على هياب وهو مجرور فلا يجوز فيه الا الجر (فارق بين الصفة والوصف) قالوا الوصف ما يجوز انتقاله كحمرة الخجل وصفرة الوجل والصفة ما لا تتغير كالطول والقصر والسواد للزنجي والبياض للصقلي (قد مزجت) قد حرف يصحب الافعال ويقرب الماضي من الحال وهي هنا لتحقيق الفعل وسيأتي الكلام عليها في قوله نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت * (مزجت) فعل مغير لما لم يسم فاعله والتاء علامة تأنيث الفاعل (بشدة البأس) الباء حرف جر وشدة مجرور بالباء والبأس مضاف اليه والاضافة هنا بمعنى اللام (منه) جار ومجرور (رقة) مرفوع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله لمزجت وقد تقدم الكلام على مفعول ما لم يسم فاعله في قوله ناء عن الاهل البيت (الغزل) مضاف اليه والاضافة بمعنى اللام وفيه تقديم وتاخير تقديره قد مزجت رقة الغزل فيه بشدة البأس والجملة كلها في موضع الجر على أنها صفة للذي والتقدير ممزوجة فيه رقة الغزل (المعنى) انه صاحب حلو المزاح طيب الاخلاق كريه الجد وهذه صفة مدح لان الشدة في الاجتهاد محمودة فهو قد مزجت فيه الحلاوة من رقة الغزل بالمرارة من شدة الباس وما أحق هذا الصاحب بقول القائل

وكالسيف ان لاينته لان متنه * وحداه ان خاشنته خشنان

وقد كان صلى الله عليه وسلم يباسط أصحابه وجلساءه ويمزح ويلين جانبه لمن حضره ويؤنسه فاذا كانت الحرب واحتد الجد وحمي الوطيس وخارت القوى وذهلت الابطال تقدم أصحابه واتقى بنفسه صلى الله عليه وسلم ومن خصائصه انه كان صلى الله عليه وسلم اذا جرد سيفا لا يغمده حتى ينال به من عدوه ومنها تحريم الهزيمة عليه من العدو في الحرب ولا شك في لطفه ورأفته ورقة قلبه وحنوه على قومه وهم به كافرون يؤذونه ويكذبونه ويصدون عنه ويحاربونه وهو يحلم عليهم ويشق عليه عنادهم قال الله تعالى عزيز عليه ما عنتم وقال صلى الله عليه وسلم يوم كسر سنه اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون حتى وصفه الله تعالى في كتابه فقال وانك لعلى خلق عظيم ثناء على صفاته الحميدة وخلاله الجميلة وكان أشد حياء من العذراء في خدرها ولا شك في انه كان صلى الله عليه وسلم من النجدة والشدة والبأس والاقدام ولقاء العدو في الغاية التي تكبو دونها سوابق الابطال وتتبرقع الفرسان بغبارها فانه كان في حروب الكفار أقرب الناس الى العدو قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا الى العدو وأبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ترقوة أبي بن

خلف

الرجل سبعين بعيرا فقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات الحرث عقيب ذلك ومن شعره قوله

فان أكبر فاني في لداتي
وعاقبة الاصاغر أن يشيبوا
وما كثرت فائدتي بغدر
كفاني في الفوائد ما يطيب

ولو لم يكن للشاعر الا هذا القول لكفاه وقوله

بكم من يد لا أؤدي حق نعمتها
عندي لمختبط طار ومن منن
اذجاء يسعى الى رحلي لا أسعفه

أليس قد ظن بي خيرا ولم يرني

(وأن احتيال هرم لعلقمة وعامر حتى رضيا كان ذلك عن اشارتك)

هو هرم بن قطبة بن سنان الفزاري حكم من حكام العرب يقضي بين السادات فيرضون بقضائه ولا يرد قوله اذا فضل أحد المنافرين على الآخر ومعنى المنافرة المحاكمة في الحسب والفضل بين الرجلين يقال نافره اذا حاكمه ونفره اذا غلبه (وعلقمة) هذا هو علقمة ابن علاثة بن جعفر من بني عامر بن صعصعة (وعامر) هو ابن الطفيل بن مالك بن الاحوص وكل منهما سيد من سادات قومه فارس شاعر وسؤدد من أخبارهما

خاف من فرجة من سابغة الدرع والبيضة وهو يقول أين محمد لانجوت ان نجا فطعنه صلى الله عليه وسلم بحربته فوقع أبى عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم قال سعيد بن المسيب فكسر ضلعا من أضلاعه فمات منها ومع هذا فقد مزح صلى الله عليه وسلم ولم يقل الاحقا قرأت على الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى سيرة النبى صلى الله عليه وسلم التى أودعها تاريخه ومنها قال زيد بن أبى أوفى عن ابن لهيعة عن عمارة بن غزية عن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس تفرد به ابن لهيعة وضعفه معروف وجاء من طريق آخر لابن لهيعة كان النبى صلى الله عليه وسلم من أفكه الناس مع صبى انتهى وجاءته امرأة فقالت يارسول الله احملنى على جمل قال أحملك على ولد الناقة قالت لا يطيقنى قال الناس وهل الجمل الا ولد الناقة وجاءته امرأة فقالت يارسول الله ان زوجى مريض وهو يدعوك فقال لعل زوجك الذى فى عينيه بياض فرجعت وفتحت عين زوجها فقال مالك فقالت أخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فى عينيك بياضا فقال وهل أحد الا وفى عينيه بياض وقالت أخرى يارسول الله ادع الله أن يدخلنى الجنة قال ياأم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المرأة وهى تبكى فقال عليه السلام أخبروها انها لاتدخل وهى عجوز ان الله تعالى يقول انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا وبالجملة فصفاته وشمائله وما انطوى عليه أجل من أن يحيط بها وصف وأشرف من ان يضم جواهرها نظم أو رصف فلو جرى القلم الى أن يحفى وصر لسانه الى أن يحفت ويخفى ماجنى زهرا أنيقا حدائق تلك الحقائق ولا التقط درا ملأ حقائب هاتيك الخلائق ولا اجتلى من ذلك الافق الذى كله شموس وأقمار غير شهبه الخفية ولانال على ظمئه من ذلك البحر غير بقية وكل موارده عذبة شهية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

ان فى الموج للغريق لعذرا * واضحا ان يفوته تعداد

نعم قد دون الناس جملة من شمائله وصفاته ووضعوا كتبا كأنها رياض تتأرج بنسمات سماته وأودعوها كتبا بدورها فى التمام ورصعوها جواهر تروق فى التأليف والانتظام

فى بطن قرطاس رخيص ضمنت * احشاؤه درر الكلام الغالى

وبوبوا ورتبوا وهذبوا وذهبوا وذكروا ونصوا وخبروا وقصوا وحبروا ودبجوا وحكوا الصحيح وماروجوا

وعاجوا فأثنوا بالذى أنت أهله * ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

فما كتاب القاضى عياض الارياض ولا الشمائل الا خمائل ولا كتاب الدلائل الا فوائد جلائل ولا الشهاب الا مطفئ التهاب

أساميا لم تزده معرفة * وانما لذة ذكرناها

ويعجبنى أبيات العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه سمعت الشيخ الامام فتح الدين الحافظ محمد بن سيد الناس اليعمرى فى شهر رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة بالديار المصرية وهو يقرأ علينا من لفظه كتابه الذى وسمه بمنح المدح قال روينا من طريق الطبرانى حدثنا عبدان بن أحمد وأحمد بن عمرو البزار ومحمد بن موسى بن حماد اليزيدى قالوا حدثنا أبو السكن زكريا بن يحيى حدثنى عم أبى زحر بن حصن عن جده حميد بن منهب قال قال خزيمة بن أوس كنا

شيأ * فاما سبب منافرتهما كما حكى أبو عبيدة وغيره قال أول ماهاج النفار بين علقمة ابن علاثة وعامر بن الطفيل ان علقمة كان قاعدا ذات يوم يبول فنظر اليه عامر وقال لم أر كاليوم سوأة رجل أقبح فقال علقمة لانها لاتثب على جاراتها ولا تنازل الا كفاتها يعرض بعامر فقال عامر وما أنت والقدوم والله لفرس أبى المسمى حبوة أذكر من أبيك ولفحل أبى المسمى الغيهب أعظم ذكرا منك فقال علقمة أما فرسكم فعارة وأما فحلكم فغدرة وكانوا قد استعاروا هذا الفحل من رجل من كلب يستطرقونه فغلبوه عليه ولكن ان شئت نافرتك قال قد شئت فقال علقمة والله انى لبر وانك لفاجر وانى وفى وانك لغادر فيم تفاخرنى ياعامر فقال عامر والله انى لانزل منك للقفرة وأنحر للبكرة وأطعن للثغرة ثم تنافروا على مائة من الابل يعطيها الحكم أيهما نفر عليه صاحبه ثم خرج علقمة بمن معه من بنى خالد وخرج عامر بمن معه من بنى مالك وقد أتى عامر بن الطفيل عمه ملاعب الاسنة فقال ياعماه أعنى قال يا ابن أخى سبنى قال لا أسبك وأنت عمى قال دونك نعلى فانى ربعت فيهما أربعين مرباعا فاستعن بهما فى نفارك وجعيل منافرتهما

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عمه العباس يا رسول الله انى أريد ان أمتدحك فقال النبي صلى الله عليه وسلم قل لا يفضض الله فاك فانشأ يقول

من قبلها طبت فى الظلال وفى * مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر * أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد * ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم * اذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من * خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الافق
فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق

ونقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وهو من نظمه

يا أحمد المبعوث فينا القد * بلغك المجد الى منتهاه
كم رمت امداحك لو أن لى * لفظا يوافى ذا المثانى ثناه
انى لا أحصى ثناء على * ذى خلق أثنى عليه الاله

وما أحلى قوله

لقد قال كعب فى النبى قصيدة * وقلنا عسى فى مدحه نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

وله فى غالب الظن

يقولون لم لا تمدح سيد الورى * وتطنب فى تعظيمه وامتداحه
فقلت لهم جبريل جاء بمدحه * وليس مديحى ريشة فى جناحه

٣قلت جزم الناظم الحاء فى تمتدح وهى مرفوعة وهو لحن من توهم أن لم حرف جزم وانما هى لم التى يستفهم بها والقاعدة حينئذ حذف الالف منها * وقد جمع الشيخ فتح الدين المشار اليه كتابا فيمن مدح النبى صلى الله عليه وسلم من الصحابة رضى الله عنهم وسماه منح المدح وله قصائد على حروف المعجم سماها بشرى اللبيب بذكرى الحبيب كلها فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبت منها الجزء الاول وسمعته من مصنفه الى ترجمة ابن الزبعرى والباقى اجازة والثانى كتبته وقرأته غير مرة ولشهاب الدين محمود قصائد طنانة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم كتبتها وقرأتها عليه رغبة فى البركة وطلبا للدخول فى زمرة من دون مدحه وكتبه وقرأه صلى الله عليه وسلم (رجع) وممن جمع الشجاعة على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه قال صعصعة بن صوحان وغيره من شيعته وصحابته كان فينا كاحدنا لين الجانب كثير التواضع سهل القياد وكنا نهابه مهابة الاسير المربوط للسياف الواقف على رأسه وقال معاوية رضى الله عنه لقيس بن سعد رحم الله أبا الحسن فلقد كان هشا بشا ذا فكاهة فقال قيس نعم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح ويتبسم الى أصحابه وأراك تسر فى نفسك وتعيب أبا الحسن بذلك والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذى لبدتين قدمسه الطوى وتلك هى هيبة التقوى ليس كما يهابك طغام الشام ولما عزم عمر بن الخطاب رضى الله عنه على استخلافه قال له لله أبوك لولا دعابة فيك وشجاعته اشهر من أن تذكر وأغنى

الى أبى سفيان بن حرب فلم يقبل منهما وكره ذلك الامر لحالهما وحال عشيرتهما فانطلقا الى هرم بن قطبة حتى نزلا به فقال هرم لاحكمن بينكما ثم لافصلن ثم لست أثق بواحد منكما فاعطيانى موثقا أطمئن اليه أن ترضيا بما أقول وأمرهما بالانصراف ووعدهما ذلك اليوم من قابل فانصرفا حتى اذا بلغ الاجل خرجا اليه فخرج علقمة ببنى الاحوص معهم القباب والجزر والقدور ينحرون فى كل منزل ويطعمون وجمع عامر بنى مالك وخرجوا على الخيل عليهم السلاح فقال رجل من غنى يا عامر ما صنعت أخرجت بنى مالك تفاخر بنى الاحوص معهم القباب والجزر وليس معك شئ تطعم الناس ما أسوأ ما صنعت فقال عامر لرجلين من بنى عمه أحصيا كل شئ مع علقمة من قبة أو قدر أو لقحة ففعلا فقال عامر يا بنى مالك انها المقارعة عن أحسابكم فاشخصوا بمثل ما شخصوا ففعلوا فأتوا هرما فاقاموا عنده أياما وأرسل الى عامر فأتاه سرا لا يعلم به علقمة فقال يا عامر قد كنت

٣ قوله قلت جزم الناظم الخ الظاهر ان الجزم ضرورة فلا داعى الى الجزم باللحن اه

من ان تمدح أو تشكر ولما دعا الامام علي معاوية الى البراز قال له عمرو بن العاص لقد أنصفك فقال له معاوية رضي الله عنه ماغششتني منذ نصحتني الا اليوم أتأمرني بمبارزة أبي الحسن أراك طمعت في امارة الشام بعدي (عاد القول) الى معنى بيت الطغرائي هذه الصفات التي ذكرها قلما تجتمع في انسان الا من اختصه الله بهذه الموهبة لانها مع تضادها محمودة ولا يتفق ذلك الا من اعتدال المزاج وقد اختلف الحكماء في وجوده وعدمه قال الامام فخر الدين في الطب الكبير الذي ذكره الشيخ في الشفاء يعني الرئيس ابن سينا وساق كلاما يدل على ان المركب المعتدل قد يكون موجودا الا انه لا يستمر ولا يدوم ثم قال بعد كلام طويل وأما المعتدل الذي امتزج من العناصر على أكمل أحواله فقد قالوا لما كان الاعتدال الحقيقي ممتنعا وجب ان يكون كلما كان أقرب اليه أولى باسم الاعتدال اه قال الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري احتجوا على تعذر وجود المعتدل بامتناع مكان يستحقه لان مكان الجسم المركب هو مكان ما يغلب عليه من البسائط وهذا بسائطه متعادلة فيجب ان لا يستحق مكانا فيمتنع وجوده وأقول في هذه الحجة نظر وذلك ان عنينا بالمعتدل ما تكافأت فيه الكيفيات فهذا لا يجب ان لا تتكافأ فيه الكميات لان الجزء اليسير من النار يقاوم بحرارته كثيرا من جوهري الماء والارض فعلى هذا يجوز وجود المعتدل باعتبار الكيفيات دون الكميات ويكون مكانه الذي يستحقه هو مكان ما غلب عليه من العناصر بكميته لا بكيفيته لان الاعتبار في المزاج انما هو بالكيف فقط والاعتبار في الجزء انما هو بالكم والثقل والخفة فالحجة المذكورة غير موجهة والمزاج لا يخلو اما ان تتكافأ فيه الكيفيات الاربع الاول وهي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة أو لا فان كان الاول فهو المعتدل وان كان الثاني فلا يخلو اما ان تغلب فيه كيفية واحدة أو لا والاول هو الذي خروجه في كيفية بسيطة وأقسامه أربعة بعدد الكيفيات الاربع وهي الحار والبارد والرطب واليابس والثاني هو الذي خروجه في أكثر من كيفية واحدة فلا تجتمع فيه كيفيتان متضادتان غالبتان فبقي ان يكون احدى الفاعلتين أعني الحرارة والبرودة مع احدى الانفعالتين أعني الرطوبة واليبوسة فاقسامه أربعة الحار الرطب والحار اليابس والبارد الرطب والبارد اليابس فجملة أنواع المزاج تسعة واحد منها معتدل وثمانية خارجة عن الاعتدال انتهى * وقول الطغرائي رحمه الله تعالى يشبه قول أبي تمام الطائي وهو

الجد شيمته وفيه فكاهة * سمح ولا جد لمن لم يلعب
شرس ويتبع ذاك لين خليقة * لا خير في الصهباء ما لم تقطب

ما أحسن قوله لا خير في الصهباء ما لم تقطب لان الخمرة اذا كانت صرفا كانت حادة لا يمكن استعمالها فاذا مزجت بالماء وهو طبع بارد تولد عنهما كيفية أخرى تقارب الاعتدال فامكن استعمالها وقول أبي تمام أيضا

لا طائش تهفو خلائقه ولا * خشن الوقار كأنه في محفل
فكه يجد الجد أحيانا وقد * ينضى ويهزل عيش من لم يهزل

وقول أبي الحسين الجزار

أنت الكريم وجل من قد أنبأت * عمن مضى في كتبها الاخبار

أرى لك رأيا وفيك خيرا وما حسبتك هذه الايام الا لتنصرف عن صاحبك أتفاخر رجلا لا تفخر أنت ولا قومك الا بآبائه فما الذي أنت به خير منه فقال عامر ناشدتك الله والرحم أن لا تفضل على علقمة فوالله ان فعلت لا أفلح بعدها هذه ناصيتي جزها واحتكم في مالي فان كنت ولا بد فاعلا فسو بيني وبينه فقال انصرف فسوف أرى رأيا فخرج عامر وهو لا يشك انه ينفره عليه ثم أرسل هرم الى علقمة سرا لا يعلم به عامر فاتاه فقال يا علقمة والله ان كنت لاحسب فيك خيرا أتفاخر رجلا هو ابن عمك في النسب وأبوه أبوك وهو أعظم منك عناء وأحمد لقاء فما الذي أنت به خير منه فقال له علقمة نشدتك الله أن لا تنفر على عامر فأجابه بما أجاب به الآخر وانصرف ثم ان هرما أحضر بنيه وبني أبيه فقال اني قائل غدا بين هذين الرجلين مقالة فاذا فعلت ذلك فليطرد أحدكم عشرة جزائر فينحرها عن عامر ويطرد بعضكم عشرة جزائر وينحرها عن علقمة وفرقوا بين الناس لئلا يكون لهم جماعة وأصبح هرم فجلس في مجلسه وأقبل الناس وأقبل علقمة وعامر حتى جلسا فقام لبيد فقال

خلق كاين الماوق لشارب * طام وعزم فى التوقد نار

وقول القائل

ملك تقر المشركون بباسه * فتقر بالاقرار عين الدين

فعلى العداة بغلظة وتجهم * وعلى العفاة برقة ولين

وقول ابن أبى الحرب المغربى

من كل مشتمل بمنصل عزمه * ذى همة تطأ السماك همام

نشوان من خمر الكرى صاحى الندى * ريان من ماء المحامد ظامى

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ملك يقاس مجاريه بسودده * اذا يقايس عبير الدار بالفرس

مظفر الجد مشاء على جدد * من جمله اللدن أو من حربه الشرس

ومن أحسن ماحضرنى فى صاحب جمع الاخلاق التى يعز وجودها فى شخص واحد قول القائل

تلطفت الايام حتى تفضلت * على بندمان كريم الخلائق

له سمت عدل واستكانة عاشق * وهمة جبار ولطف الزنادق

وما أحسن قول أبى الفتح البستى فى عبد الملك الثعالبى صاحب اليتيمة وغيرها

أخ لى ذكى النفس والاصل والفرع * يحل محل العين منى والسمع

تمسكت منه اذ بلوت اخاءه * على حالتى وضع النوائب والرفع

بأوعظ من عقل وآنس من هوى * وأوفق من طبع وأنفع من شرع

ذكرت بتنسيق الصفات هنا ما أنشدنيه من لفظه لنفسه القاضى جمال الدين عبد القاهر التبريزى الحاكم بصفد سنة أربع وعشرين وسبعمائة يصف الشبابة وهو مليح

وناطقة بأفواه ثمان * تميل بعقل ذى اللب العفيف

لكل فم لسان مستعار * يخالف بين تقطيع الحروف

تخاطبنا بلفظ لا يعيه * سوى من كان ذا طبع لطيف

نصيحة عاشق ونديم راح * وعزة موكب ومدام صوفى

وقد أحسن أبو بكر الخوارزمى حيث قال فى الجمرة

وصفراء كالدينار بنت ثلاثة * شمال وأنهار ودهر محرم

بسرة محزون وعذر معربد * وكنز مجوسى وفتنة مسلم

ممات لأحيا محياة لميت * وعدم لمن أثرى ثراء لمعدم

وما أحسن قول شهاب الدين العزازى ملغزا فى الشبابة

وما صفراء شاحبة ولكن * يزينها النضارة والشباب

مكتبة وليس لها بنان * منقبة وليس لها نقاب

تصيح لها اذا قبلت فاها * أحاديثا تلذ وتستطاب

ويحلو المدح والتشبيب فيها * وما هى لاسعاد ولا الرباب

قوله تصيح عداه الى أحاديث وهو غير جائز الا على تأويل حمله على المعنى أى تسمع وهو ضعيف

يا هرم ابن الاكرمين منصبا
انك قد وليت حكما معجبا
فاحكم وصوب رأى من تصوبا

فقام هرم وقال يا بنى جعفر قد تحاكمتما عندى والله انكما كركبتى البعير الآدم يقعان معا على الارض وليس أحد منكما الا وفيه ما ليس فى صاحبه وكلاكما سيد كريم وعمد بنو هرم الى الجزر فنحروها وفرقوا الناس وكره أن يفضل بينهما وهما ابنا عمه فيوقع بذلك عداوة بين الحيين وخرجا من عنده راضيين وقد قيل انه قال لهما أنتما كغربى السيف فانه لو قال كركبتى البعير لقيل أيهما اليمين وقيل انه لم يقل شيأ من ذلك وانما كتما عما قال سرا وذهبا عنه وادعى الاعشى انه ما حكماه وحكم لعامر على علقمة وقال فى ذلك قصائد * ومات علقمة مسلما وله وفادتان احداهما على النبى صلى الله عليه وسلم أسلم فيها والثانية على عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وجرت له معه حكاية لطيفة كان علقمة صديقا لخالد بن الوليد رضى الله عنه وكان عمر يشبه بخالد فالتقاه فى الليل فقال يا خالدا عزلوك وهو يظن انه خالد وكان عمر قد عزل خالدا عن جيش الشام غيظا منه بسبب قتل مالك بن نويرة وتزوج زوجته كما تقدم

وأما التشبيب فهو مأخوذ من قول سيف الدين بن المشد

يامطربا أغنى النديم غناؤه * عن طيب مشموم وعن مشروب
شبب اذا غنيتني بحديثهم * ان الغناء يطيب بالتشبيب

وأخذه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر فنقله وقصره على الحسن وعقله فقال

كتمت لكم من أعين القصب التي * جرى في نواحيها بذكركم طرب
فان أطرب التشبيب فيها بذكركم * فكم أطرب التشبيب من أعين القصب

وأنشدني الشيخ الاديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدني من لفظه لنفسه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

وناطقة بالنفخ من روح ربها * تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاسمعت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

وقال محيي الدين بن قرناص في مليح مشبب

مشبب بجفاه راح يقتلنا * فان تداركنا بالنفخ أحيانا
هويت تشبيبه من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

وله فيه أيضا

علقته مشببا مهفهفا * أخضع في حبي له فيشمخ
لا غرو ان شب من تشبيبه * نار الهوى أما تراه ينفخ

وأنشد يوما بحضرة شرف الدين الحلاوي لغزوهو

وناطقة خرساء بادشحوبها * تكنفها عشر وعنهن تخبر
يلذ الى الاسماع رجع حديثها * اذا سد منها منخر جاش منخر

فأجاب في الحال

نهاني النهى والشيب عن وصل مثلها * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

ما أحلى هذا الجواب وأبدعه حيث أجاب التضمين بتضمين مثله حل به معناه ونقله الى الشبابة وكلاهما من أبيات الحماسة لتابط شرا ومثله قول زين الدين بن عبد الله

وناحلة صفراء تنطق عن هوى * فتعرب عما في الضمير وتخبر
براها الهوى والوجد حتى أعادها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر

وقول مجير الدين محمد بن تميم

قيان ملاهيها بالاسماعها * ويطربنا منهن عود ومزهر
وأكثر ما يشجى لنا السكر بينها * أنابيب في أجوافها الريح تصفر

وقوله أيضا

ولما حضرنا للسماع وضربنا الـ * ـملاهي وكل بالهوى يترنم
أصخنا الى تشبيبهم وغنائهم * فنحن سكوت والهوى يتكلم

وأنشدني القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود لشمس الدين عبد الوهاب

منقبة مهما خلت مع محبها * يزودها لثما وينظرها شزرا
وتحبيبها في كمامن شئت فلتقل * اذا شئت في اليمنى وان شئت في اليسرى

فقال عمر نعم فقال علقمة ما هو الا والله نفاسة عليك وحسد لك فقال عمر فما عندك معونة على ذلك فقال معاذ الله ان اعمر علينا سمعا وطاعة ولا نخرج عليه ولا نخالفه وانصرفا فلما أصبح دخل علقمة على عمر وعنده خالد فقال عمر رضي الله عنه له يا علقمة أنت القائل البارحة لخالد ما قلت فقال علقمة لخالد أفعلتها فقال والله ما لقيتك البارحة ولا رأيتك الا في هذه الساعة ففطن علقمة وعرف انه اغالق عمر وظنه خالدا فقال يا أمير المؤمنين ما سمعت الا خيرا قال أجل ثم ولاه حوران وخرج اليها فقصده الحطيئة مادحا له فمات علقمة قبل أن يصل اليه فقال

لعمري لنعم المرء من آل جعفر بحوران أمسى غيبته الجنادل
وما كان بيني لو لقيتك سالما وبين الغنى الا ليال قلائل

فلما وصل وجد علقمة قد أوصى له بسهم من ماله وأما عامر بن الطفيل فكان شجاعا مشهورا شاعرا مقدما قال أبو عبيدة اجتمع العكاظيون على أن فرسان العرب ثلاثة ففارس تميم عتيبة بن الحرث بن شهاب أحد بني ثعلبة صياد الفرسان وفارس ربيعة بسطام بن قيس وفارس قيس عامر بن

يعني أن الشبابة بالشين المعجمة تصحيفها سبابة بالمهملة وقال سيف الدين علي بن قزل المشد

ومطرب قد رأينا في أنامله * براعة لسرور النفس أهلها
كأنما عاشق وافت حبيبته * فضمها بيديه ثم قبلها

وقال أيضا

وعارية من كل عيب حبيبة * الى كل قلب ظل بالبين مجروحا
لها جسد ميت يعيش بنفخة * اذا دخلته الريح صارت به روحا
تعبد الذي يلقى عليها بلذة * تزيد فؤاد الصب وجدا وتبريحا
وتنطق بالسحر الحلال من الهوى * وتوحي الى الاسماع أطيب ما توحي

(قلت) غالب ما سقته من المقاطيع مأخوذ من قول سيف الدين بن قزل المشد حسبما تراه ذكرت هنا قول السراج المحار يهجو زامرة سوداء

ولرب زامرة تهيج بزمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت أعلاها على ضرباتها * وقبيح مبسمها الشنيع الابخر
بخنافس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

شبه ثلاثة بثلاثة فابدع وان كان قد لمحه من قول الاول يهجو زامرا أسود

كأنها في حالة العيان * خنافس دبت على ثعبان

وعلى قول السراج المحار يليق قول القائل أبصر الحامل والمحمول ودار الوكالة خنافس تسعى على خيار الشنبر الى الكنيف وقال آخر يمدح زامرا

وزامر يبعث في زمره * الى قلوب الناس أفراحا
كأن اسرافيل في نايه * ينفخ في الاموات أرواحا

وقلت أنا في ذمه

يقول في مجلسنا زامر * لم نلق ما الـقى باصغاء
ما عندكم ميل الى حاضر * قلنا ولا شوق الى ناء

(رجع) وفي بيت الطغرائي من حسن الصناعة ما يشهد لقائله بفوز قدحه في البلاغة فانه جمع فيه بين ثمانية أشياء الحلاوة والمرارة والفكاهة والمزح والقسوة والرقة والبأس والغزل وهي ثمانية لم تجتمع لغيره بهذا الانسجام والعذوبة وأرباب البديع يسمون هذا النوع المقابلة واستشهدوا عليه بقوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى الآيتين ففي كل آية ما يقابل الاخرى هكذا قرره الجميع وأقول انه فات فيه ذلك فان لفظة فسنيسره تكررت في الآيتين ولم يختلف معناها فما تمت المقابلة ويحتمل أن يكون فسنيسره في معنى فسنعسره لانه اذا تيسر تعسيره كان معسرا لكن ذلك غير صريح ومن أحسن ما استشهدوا به في هذا النوع من الشعر قول أبي الطيب

أزورهم وسواد الليل يشفع لي * وأنثني وبياض الصبح يغري بي

قالوا قابل فيه خمسة بخمسة * كنت عند الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود أقرأ عليه كتابه حسن التوسل فجاء هذا البيت في أثناء القراءة في مكانه وعنده جماعة من الطلبة وغيرهم فقال عدوا هذه الخمسة التي ذكرها أرباب البديع فكلهم قالوا

الطفيل وفد على النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أربد بن قيس مع قوم من بني عامر فقال يا محمد مالي ان أسلمت قال النبي صلى الله عليه وسلم لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم قال لا الا أن تجعل لي الامر من بعدك قال ليس ذلك لقومك قال فتجعل لي الوبر ولك المدر قال لا ولكن أجعل لك أعنة الخيل قال أو ليست لي ثم قال يا محمد والله لأملأنها عليك خيلا ورجلا ولأربطن بكل نخلة فرسا وولى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني عامرا وأربد واهد بني عامر وأغن الاسلام عن عامر ثم انصرفوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله تعالى على عامر بن الطفيل الطاعون في عنقه فاندلع لسانه من فيه كضرع الشاة فال الى بيت امرأة من سلول وجعل يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية ثم مات فواراه أصحابه وجعلوا على قبره أنصابا ميلا في ميل وجعلوه حمى فقيل ان بعض ولده رأى ذلك فيما بعد فقال لقد ضيقتم على أبي وأما أربد فأرسل الله تعالى عليه صاعقة فقتلته وفي ذلك يقول أخوه
أخشى على أربد الحتوف ولا أرهب نوء السماك والاسد

أزورهم يقابل أنثني وسواد يقابل بياض والليل يقابل الصبح ويشفع يقابل يغري ووقعوا فقال هذه أربعة لاربعة وبقي القسم الخامس فلم يتنبهوا له فقلت لفظة لي تقابل لفظة بي لان الشفاعة له تقابل الاغراء به كأنه قال ذلك لي وهذا على قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسر

ألا تراه قابل ما عليهم بما لهم لما في ذلك من الاساءة والسرور فأعجبه ذلك وقد أخذ بعضهم قول أبي الطيب أخذا مليحا فقال وقد أجاد

أقلي النهار اذا أضاء صباحه * وأظل انتظر الظلام الدامسا

فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكا * والليل يرثي لي فيدبر عابسا

وفيه مقابلة خمسة بخمسة * حكى لي الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمري قال كان شيخنا الامام العلامة تقي الدين بن دقيق العيد يقول قل لعلماء المعاني والبيان والبديع أتحسنون أن تقولوا مثل أزورهم البيت فاذا قالوا الاول لهم فأي فائدة فيما تصنعونه اه يريد بهذا أن العلم غير العمل والمباشرة دون الوصف والطعن في الهيجاء غير الطعن في الميدان وحكي ان بعض الوعاظ كان على منبره يتكلم في المحبة وأمور العشق وأحواله ومد أطناب الاطناب في ذلك فقام اليه بعض الجماعة وقال

بعيشك هل ضممت اليك ليلى * قبيل الصبح أو قبلت فاها

وهل زفت اليك فروع ليلى * زفيف الاقحوانة في نداها

فقال الواعظ لا والله فقال له فافشر ما شئت وما أحسن قول عبد الله بن سباط الكاتب القيرواني

قال الخلي الهوى محال * فقلت لو ذقته عرفته

فقال هل غير شغل قلب * ان أنت لم ترضه صرفته

وهل سوى زفرة ودمع * ان لم تردهما به كففته

فقلت من بعد كل وصف * لم تعرف الحب أذ وصفته

وقال علماء الادب ان معنى بيت أبي الطيب مسروق من قول ابن المعتز

لا تلق الا بليل من تواصله * فالشمس نمامة والليل قواد

ولبعضهم في المقابلة

عذيري من الايام مدت صروفها * الى وجه من أهوى يد النسخ والمحو

وأبدت بوجهي طالعات أرى بها * سهام أبي يحيى يسددها نحوي

فذاك سواد الخد ينهى عن الهوى * وهذا بياض الوخط يأمر بالصحو

أبو يحيى كناية عن الموت وفي المقابلة من هذه الابيات نظر وأحسن من هذا المعنى وأرشق قول الارجاني

شدت أنا والتحى حبيبي * حتى برغمي سلوت عنه

وابيض ذاك السواد مني * واسود ذاك البياض منه

ومن المقابلة قول أبي تمام الطائي

يا أمة كان قبح الجور يسخطها * دهرا فأصبح حسن العدل يرضيها

ولعامر بن الطفيل شعر جيد سري متمكن فن ذلك قصيدته الرائية التي ذكر فيها غور عينه وذلك ان مسهر بن يزيد كان فارسا شريفا فجنى جناية في قومه فلحق ببني عامر فشهد يوم فيف الريح مع عامر بن الطفيل وكان عامر يتعهد القوم يومئذ فيقول يا فلان ما رأيتك فعلت ويا فلان ما صنعت فيقول الرجل الذي قد أبلى انظر الى سيفي وما فيه ورمحي وما فيه وان مسهرا قد أقبل في تلك الهيئة فقال يا أبا علي يعني ابن الطفيل انظر الى ما صنعت اليوم انظر الى سنان رمحي حتى اذا أقبل عليه عامر وجاه بالرمح في وجهه ففلق الوجنة وانشقت عين عامر ففقأها وترك مسهر الرمح في عينه وضرب فرسه ولحق بقومه قالوا وانما دعا مسهرا الى الغدر بعامر أنه كان يراه يصنع بقومه هذا فقال هذا والله مبير قومه فأراد قتله واراحتهم منه فقال عامر

لقد علمت عليا هوازن أنني * انا الفارس الحامي حقيقة جعفر

وقد علم المزنوق أني اكره * على جمعهم كر المنيح المشهر

ألست ترى ارماحهم في شرعا * وأنت حصان ماجد العرق فاصبر

حكى الشيخ العلامة غرس الدين أبو بكر الاربلي صاحب كتاب الالفية في الالغاز المخفية ان الصاحب شرف الدين مستوفي اربل أنشده لغيره

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفي رجل حر قيد ذل يشينه

فقال غرس الدين المذكور بديها

تسر لئيما مكرمات تعزه * وتبكي كريما حادثات تهينه

قلت هذا أحسن في البديهة ولكنه ناقص عن الاول من وجهين الاول ان الاول قابل ستة بستة لا شك فيها وهو قابل أربعة بأربعة الثاني ان المقابلة في قوله تحتاج الى تأويل لان السرور يقابله الحزن فكان ينبغي أن يقول وتحزن لكن لما كان الغالب ان البكاء انما يكون من الحزن أطلق البكاء هنا على الحزن ولان المكرمات لا تقابل الحادثات الا بتأويل أن المكرمات تكون في الخير والحادثات تكون في الشر وأكثر ما عد الناس في المقابلة بيت أبي الطيب لانه قابل فيه بين خمسة وهذا قابل فيه بين ستة كما تراه فهذا أبلغ ما يمكن أن ينظم في هذا المعنى والله أعلم * وما أحلى قول القاضي الفاضل والقدوم على كريم ترتجى مبرته خير من المقام مع لئيم تخشى معرته وقال شرف الدين الحلاوي

وبدت نظائر ثغره في قرطه * فتشابها متخالفين فأشكلا

فرأيت تحت البدر سالفة الطلا * ورأيت فوق الدر مسكرة الطلا

قلت لو اتفق له أن يقول سلافة الطلا لكان أحسن ولكن هذا من الجناس المعنوي لانه أراد ذلك فلم يساعده الوزن فعدل الى ما رادف ذلك المعنى وهذا النوع استدركه المتأخرون وهو عندي باطل لان هذا الباب اذا فتحناه كان غالب الشعر جناسا معنويا وقد أشبعت القول على هذا في مكانه من كتابي المسمى جنان الجناس ولم تتفق المقابلة في قول الحلاوي صريحة الا في قوله تحت وفوق وأما البدر والدر فبتأويل بعيد أي ان ذلك في كبد السماء والدر أصله من قعر البحر وأما سالفة الطلا ومسكرة الطلا فليس من التقابل في شيء وأي تقابل بين سالفة الغزال والخمرة حكى السراج الوراق قال خرجنا الى الدير وصحبتنا جمال الدين أبو الحسين الجزار ومعنا غلام مليح زامر فلما اجتمعنا في مشرف الدير حضر عندنا صبي راهب مليح فشرب معنا وأطمعتنا أنفسنا فيه فأنكر الرهبان عليه وأخذوه منا وهرب الزامر فقلت

في فخنا لم يقع الطائر

فقال أبو الحسين الجزار

لا راهب الدير ولا الزامر

فقلت

فالقلب في اثرهما هائم

فقال أبو الحسين

والعقل من أجلهما حائر

فقلت

فسعدنا ليس له أول

فقال أبو الحسين

ونحسنا ليس له آخر

ويعجبني قول القائل

الشعر خطة خسف * لكل طالب عرف

وقول الآخر

للشيخ عيبة عيب * وللفتى ظرف ظرف

لعمري وما عمري على بهين
لقد شان حر الوجه طعنة مسهر
فبئس الفتى ان كنت اعور عاقرا
جبانا فما اغنى لدى كل محضر

ومن ذلك قوله

وكم مظهر بغضا النساود أننا
اذا ما التقينا كان اخفى الذى ابدى
مطاعيم في اللأوى مطاعين في الوغى
شمائلنا تبلى وأيمانا تندى

وقوله ايضا

وصاحب صدق قد أخذت بضبعه
وقلت له وازر أخاك فأزرا
ضروب بنصل السيف خلف محابه
اذا أغبر أولاد القاريف اسفرا

(وجوابه لعمر وقد سأله عن أيهما كان ينفر وقع من ارادتك)

يعني هرم بن قطبة المقدم ذكره وذلك انه كان أسلم وكان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يحبه فقال له يوما يا ابا عمرو ايهما كنت تنفر يعني علقمة وعامرا ومن كان عندك الافضل منهما فقال لو قلت الآن فيهما كلمة لعادت جذعة يعني الحرب بين الحيين فأعجب بهذا القول منه وقال بحق حكمتك

ذكرت هنا واقعة عبد الجليل بن وهبون المرسي مع خاله وان لم تكن من باب المقابلة قيل انه كان دون الحلم وهو الى جانب خاله وقدمه نعل له عريش فانكسرت دعائمها ثم رفعت على أخشاب الجوز فانكسرت فقال له خاله أجز

مال عليها العريش فانكسرت * فقال * كأنها من سلافة سكرت

لم ترعيني ولا وعت أذني * سلافة أسكرت وما عصرت

وكتاب بدائع البداءه لابن ظافر والدلائل عليه له في هذا الباب كتاب حسن يدل تأليفه على سعة باع مصنفه في الاطلاع ومن المقابلة قول القائل في مأبون

يأتي الى الاحرار يجلس فوقهم * وينام من تحت العبيد ويؤتى

ذكرت هنا قول الآخر

لنا عالم يؤتى فيأتي بحجة * على ذاك من أنباء علم وآيات

فقلنا له الاسلام يعلو ولم يكن * ليعلى فقال العلم يؤتى ولا يأتي

أنشدني لنفسه اجازة الشيخ الامام شهاب الدين أبو الثناء محمود

يا راكبا يفري جيوب الفلا * على أمون جسرة أو جواد

يسري فتبديه ظهور الربا * طورا وتخفيه بطون الوهاد

وهذا أرشق من قول عبد الصمد بن بابك

ألوح وأخفى والعيون رواصد * وشمس الضحى تنأى منالا وتقرب

فيضمرني جو من الارض غابر * ويطلعني حقف من الرمل أحدب

قلت كذا نقلته من خط ابن خروف النحوي ولو قال بدل جو وهد لكان أحسن لان الجو لا يقابل الحقف وانما يقابله وهد ولو قال بدل الارض والرمل السهل والحزن كان أبدع فانه لا تضاد بين الارض والرمل فاعرفه (وقلت أنا)

غني بشعر سمج فانثني * مشدب الجوقة يدعو لي

وقال ما مقطوعه داخل * لذاك يستخرج موصولي

أنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي

جاء وفي قده اعتدال * مهفهف ماله عديل

قد خففت عطفه شمال * وثقلت جفنه شمول

ثم انثنى راقصا بقد * تثني الى نحوه العقول

يجول ما بيننا بوجه * فيه مياه الحيا تجول

ورنح الرقص منه عطفا * حف به اللطف والدخول

فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

وعلى ذكر ثقالة الردف فما أحلى قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني وأرشقه

تلاعب الشعر على ردفه * أوقع قلبي في العريض الطويل

يا ردفه جرت على خصره * رفقا به ما أنت الا ثقيل

وأين هذا من قول الآخر

يا خصره كم جفاه * تبدي وأنت نحيل

العرب (وأن الحجاج تقلد ولاية العراق بجدك) (الجد) الحظ والجد الاجتهاد في الامور وكلا الوجهين يصلح ههنا * وهذا المذكور هو الحجاج بن يوسف ابن ابي عقيل الثقفي السفاك المشهور ولد سنة احدى واربعين ونشا بالطائف وزعم بعض الرواة انه كان اول امره معلم صبيان ويسمى كليبا وفيه يقول الشاعر

اينسى كليب زمان الهزال * وتعليمه سورة الكوثر

رغيف له فلك دائر * وآخر كالقمر الازهر

يشير الى خبز المعلمين فانه يختلف في الصغر والكبر على قدر بيوت الصبيان ثم صار دباغا ويستدل على ذلك بحكايته مع كعب الاسقري ايام ولايته وذلك ان المهلب ابن ابي صفرة لما طال قتال الازارقة في ولاية الحجاج كتب اليه يستبطئه في تأخير مناجزة الازارقة ويعجزه فقال المهلب لرسوله قل له ان الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وقام كعب الاسقري وكان من جند المهلب فانشد

ان ابن يوسف غره من غزوكم * خفض المقام بجانب الامصار

لو شاهد الصفين حين تلاقيا * ضاقت عليه رحيبة الاقطار

يا ردفه نح عني * ما أنت الا ثقل

قلت الاول أحسن وأرشق وأكمل من وجوه الاول ان المعنى كامل في بيت واحد وهنا في بيتين الثاني انه أتى بالمثل خاليا من ثقل الاعراب كما هو جار على ألسنة العوام ولم يأت به ملحونا الثالث أن في قوله نح عني ما لا يليق بالعشاق من الجفوة لانه يطلب بعد الردف عنه ألا تراهم عابوا على ابن نبق قوله في الابيات القافية

حتى اذا مالت به سنة الكرى * زحزحته شيأ وكان معانقي

أبعدته عن أضلع تشتاقه * كي لا ينام على وساد خافق

وفضلوا عليه قول الحكم بن عيال

ان كان لابد من رقاد * فأضلعي هالك عن وساد

ونم على خفقها هدوّا * كالطفل في نهنه المهاد

وقلت أنا رادا على ابن نبق في وزنه ورويه

أبعدت من زحزحته عن أضلع * ما أنت عند ذوي الغرام بعاشق

هذا بدل الناس منك على الجفا * اذ ليس هذا فعل صب وامق

ان شئت قل أبعدت عنه أضالعي * ليكون فعل المستهام الصادق

أو قل فبات على اضطراب جوانحي * كالطفل مضطجعا بمهد خافق

أنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين الحلي

مليح يغار الغصن عند اهتزازه * ويخجل بدر التم عند شروقه

فما فيه معنى ناقص غير خصره * وما فيه شيء بارد غير ريقه

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن التلمساني منقولا من خطه

فكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ثغره وهو بارد

وكم يدعي صونا وهذي جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد

قلت هذا هو السحر الحلال الذي يلعب بالعقول ويدع الاعجاب بحسنه يقوم ويقول أنشدني من لفظه لنفسه بالديار المصرية سنة تسع وعشرين وسبعمائة شرف الدين عيسى الناسخ

شكوت الى ذاك الجمال صبابة * تكلف جفني انه قط لا يغفو

فلانت لي الاعطاف والخصر رق لي * ولكن تجافى الشعر واثاقل الردف

قلت لا أعرف يغفوا غا هو غفي يغفي وان كان فهو لغة رديئة غير فصيحة لان غفا يغفو لم يرد في كلام فصيح والله أعلم

*(طردت سرح الكرى عن ورد مقلته * والليل أغرى سوام النوم بالمقل)*

(اللغة) الطرد الابعاد وكذا الطرد بالتحريك يقال طردته فذهب ولا يقال منه انفعل ولا افتعل الا في لغة رديئة والرجل مطرود وطريد (السرح) المال السائم تقول سرحت الماشية وأنه شتها وأرحتها وأسمتها وأهملتها وسرحتها سرحا هذه وحدها بلا الف ومنه قوله تعالى وحين تسرحون وسرحت هي بنفسها سروحا يتعدى ولا يتعدى تقول سرحت بالغداة وراحت بالعشي وسرحت فلانا الى مكان كذا اذا أرسلته (الكرى) النعاس تقول منه كرى الرجل بالكسر يكرى كرى فهو كر وامرأة كرية على فعلة بكسر الراء وفتحها قال الشاعر

ورأى معاودة الدباغ غنيمة أيام كان مخالف الاقتار فبلغت أبياته الحجاج فكتب الى المهلب يأمره باشخاص كعب فأعلم كعبا بذلك وأوفده من ليلته الى عبد الملك بن مروان وكتب اليه يستوهبه منه فقدم كعب برسالته من المهلب الى عبد الملك فاستنطقه واستنشده فأعجبه ما سمعه منه وكتب الى الحجاج يقسم عليه أن يعفو عنه فلما دخل كعب على الحجاج قال ايه يا كعب ورأى معاودة الدباغ غنيمة فقال أيها الامير والله لوددت في بعض ما شاهدته من تلك الحروب وما أوردناه المهلب من خطرها أن أنجو منها وأكون حجاما أو حائكا فقال الحجاج أولى لك لولا قسم أمير المؤمنين لما نفعك ما أسمع فالحق بصاحبك وبعض الرواة ينكر هذا القول ويقول هذه من أكاذيب الشعراء ويزعم ان الحجاج لم يزل في كنف أبيه وكان أبوه رجلا نبيلا جليل القدر الى أن اتصل يعني الحجاج بروح بن زنباع ثم بعبد الملك بن مروان ولم يزل يترقى الى أن ولي العراق والمشرق وطارد كره وعظم سلطانه وأول ما عرف من شهامته وجوده أن أباه خرج من مصر يريد عبد الملك

لا يستمل ولا يكرى مجالسها * ولا يمل من النجوى مناجيها

وأصبح فلان كريان الغداة أى ناعسا (الورد) خلاف الصدر وهو فعل القوم الذين يأتون الماء ليردوه (المقلة) شحمة العين التى تجمع البياض والسواد وتجمع على مقل والحدقة السواد الاعظم والناظر هو السواد الاصغر والانسان يكون فى الناظر لانه كالمرآة اذا استقبلتها رايت شخصك فيها قال أبو الطيب

جارية ما لها خلوت بها * تبصر فى ناظرى محياها

يصف شدة قربها منه والعامة تسمى الانسان النؤنؤ وذنابة العين مؤخرها واللحظ طرف العين مما يلى الصدغ والموق طرفها مما يلى الانف والحملاق باطن جفن العين وشفر العين طرف الجفن الذى ينبت عليه الشعر والحجاج العظم المشرف على العين * ذكرت بالشفر ما أنشدنيه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة

يقولون من وطء النساء خف العمى * فقلت دعوا قصدى فما فيه من شين
اذا كان شفر العين دون محلها * فعندى أن الشفر خير من العين

قلت هذا يشبه قولهم تصدقت يبصرى على ذكرى وقول نور الدين على الاسعردى

يا سائلى لما رأى حالتى * والطرف منى ليس بالمبصر
لست أحاشيك ولكننى * سمحت بالعينين للأعور

(رجع) الاغراء ضد التحذير (السوام) والسائمة بمعنى وهو المال الراعى يقال سامت الماشية تسوم سوما أى رعت فهى سائمة وجمع السائم والسائمة سوائم وأسمتها أنا أخرجتها الى الرعى قال الله تعالى فيه تسيمون (النوم) معروف وهو ضد اليقظة يقال نام ينام فهو نائم والجمع نيام وجمع نائمة نوم على الاصل ونيم على اللفظ وسيأتى الكلام على تصريف ذلك فى الاعراب (الاعراب) (طردت) طرد فعل ماض أدغمت الدال فى التاء لقرب المخرج والتاء ضمير الفاعل (سرح) مفعول به وتقدم الكلام عليه و(الكرى) مجرور بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور والاضافة هنا مقدرة باللام التى هى لشبه الملك (عن ورد) عن حرف جر وورد مجرور به وهو فى موضع نصب لانه مفعول ثان لطردت وعن هنا للتجاوز وقد تقدم الكلام على عن وتقسيمها (مقلته) مجرور بالاضافة وهى بمعنى اللام أيضا والهاء فى موضع جر بالاضافة وهى راجعة الى ذى الذى تقدم فى قوله وذى شطاط (والليل) الواو واو الحال وهى التى للابتداء والليل مرفوع على انه مبتدأ (أغرى) فعل ماض سد مسد الخبر للمبتدا والفاعل فيه ضمير مستتر يرجع الى الليل والخبر اذا كان فعلا وجب تأخيره لانه لو تقدم خرج عن باب المبتدا والخبر الى باب الفعل والفاعل ومن المواطن التى يجب فيها تقديم المبتدا وتاخير الخبر اذا كان المبتدأ يساوى الخبر فى المعرفة والنكرة وليس هناك قرينة تدل على المحكوم عليه ولا المحكوم به كقولك صديقى صديقك وأفضل منى أفضل منك فهنا استويا فى المعرفة والنكرة وليس ثم قرينة توضح المخبر به من المخبر عنه وأحدهما يمتاز عن الآخر بالتقديم لانه محكوم عليه فوجب حفظ المرتبة فقدم المبتدأ فأى الجزءين قدمت كان هو المبتدأ وهذا يطرد فى باب الفاعل والمفعول اذا لم يكن ثم قرينة لا عقلية ولا لفظية مثل ضرب موسى عيسى فالمقدم هو الفاعل لانه تراعى له المرتبة وتحفظ فى التقديم (مسئلة) قولهم أبو يوسف أبو حنيفة هذا مبتدأ وخبر وقد استويا

ابن مروان ومعه ابنه الحجاج فاقبل سليم بن عمرو القاضى وكان ممن أورع الناس وأتقاهم فقام اليه يوسف فسلم عليه وقال انى أريد أن آتى أمير المؤمنين فان كانت لك حاجة فأعلمنى قال نعم حاجتى ان تسأله أن يعزلنى عن القضاء فقال يوسف والله لوددت قضاة المسلمين كلهم مثلك فكيف أسأله هذا ثم انصرف فقال ابنه الحجاج من هذا الذى قمت اليه فقال يابنى هذا سليم بن عمرو قاضى أهل مصر وقاصهم فقال يغفر الله لك يا أبت أنت ابن أبى عقيل تقوم الى رجل من كندة أو تجيبه فقال والله يابنى انى أرى الناس مايرحمون الا بهذا وأشباهه فقال والله ما يفسد الناس على أمير المؤمنين الا هذا وأشباهه يقعدون ويقعد اليهم أحداث الناس ويذكرون سيرة أبى بكر وعمر فيخرجون على أمير المؤمنين والله لو صفا هذا الامر الى لسألت أمير المؤمنين أن يجعل لى السبيل فاقتل هذا وأشباهه فقال أبوه والله يابنى انى لاظن أن الله تعالى خلقك شقيا * وأول ما أعجب عبد الملك منه انه كان قد اتصل بروح بن زنباع وصار من جملة أصحاب شرطته وكان روح بمنزلة نائب عبد الملك ثم ان عبد الملك توجه الى الجزيرة لقتال زفر بن

فى التعريف ومع ذلك فلا تحفظ لهما المرتبة بل هما سواء تأخر أحدهما أو تقدم لان لنا قرينة عقلية تدل على أن أحدهما مخبر عنه والآخر مخبر به اذ الغرض تشبيه أبي يوسف بأبي حنيفة وأبو يوسف محكوم عليه وأبو حنيفة محكوم به عقلا فلا يضر التقديم والتأخير لفظا ومن هذا النوع قول الشاعر

تعيرنا أننا عالة * ونحن صعاليك أنتم ملوكا

هذا البيت سال على بن زيد الفصيحي أبا القاسم بن على الحريرى عن اعرابه فقال تقديره تعيرنا اننا عالة صعاليك ملوكا أنتم ونحن عالة جمع عائل صعاليك منصوب به وملوكا صفة لهم وأبطل هذا الجواب علم الدين السخاوى وقال الملوك لا تكون صفة للصعاليك وفى تقديره صعاليك ملوكا كأنتم ونحن لا معنى له والصواب ان عالة من عالنى الشئ بمعنى أثقلنى أى تعيرنا باننا عالة ملوكا فى حالة التصعلك فهو منصوب على الحال ونحن أنتم مبتدأ وخبره أى نحن مثلكم ومن المواطن التى يجب فيها تقديم المبتدا اذا كان الخبر محصورا كقولك انما زيد شاعر وما عمرو الا كاتب لمن يتوهم أن زيدا غير شاعر وعمرا غير كاتب فهنا يجب حفظ المرتبة لهما ومنها أن يكون الخبر مسندا الى مبتدا مقرون بلام الابتداء نحو لزيد قائم ومنها أن يكون له صدر الكلام كقولك من ابوك لان الاستفهام له صدر الكلام (سوام النوم) منصوب على انه مفعول به والنوم مضاف اليه والاضافة هنا بمعنى اللام التى هى لشبه الملك (بالمقل) جار ومجرور موضعه النصب متعلق باغرى والباء هنا للتعدية وقوله والليل أغرى سوام النوم بالمقل فى موضع النصب على الحال كأنه قال طردت الكرى عنه فى حالة اغراء الليل سوام النوم بالمقل (المعنى) منعته النوم بالمحادثة ونحن فى ليل قد أقبل بالنوم على العيون وحببه الى المقل واستعار الطرد للمنع كما استعار للكرى سرحا اذ هو من متعلق السرح ولذلك أكده بالاستعارة الثانية لانه ابدل السرح للنوم بالسوام وهما من باب واحد وحسن الاستعارة هنا أن السرح السائم اذا ورد الماء كانه يذهب بالشرب واذا سام فى النبات رعاه واذهب ما فيه من العشب وقد يكون فيه زهر يشبه العيون اليقظى فاذا ذهب بالرعى اشبه العين التى زال رونقها وغاب بياضها وسوادها بالنوم وكذلك الماء المورود للسرح يشبه العين اليقظى فاذا ذهب أشبه تغميضها وقصدنا كد الطغرائى هذا الرفيق ومنعه نومه فكان كناية قال لا ينام ولا يدع الناس ينامون ولو كفاه شره لسره فان الخلى لا يلزم بحال الشجى والوزير المغربى أنصف دونه اذ قال

لى كلما ابتسم النهار تعلة * بمحدث ما شان قلبي شانه
فاذا الدجى وافى وأقبل جنحه * فهناك يدرى الهم أين مكانه

وهو مأخوذ من قول مجنون بنى عامر

أقضى نهارى بالحديث وبالمنى * ويجمعنى والهم بالليل جامع
نهارى نهار الناس حتى اذا بدا * لى الليل هزتنى اليك المضاجع

ولمح المعنى فيه محمد بن يحيى بن حزم فقال

اذا طلعت شمس على بسلوة * أثار الهوى بين الضلوع غروبها

وقال المجنون أيضا

وشغلت

الحرث عند ما عصى عليه بقرقيساء فامر روح بن زنباع جماعة من أصحابه وأصحاب شرطته يحثون المتأخرين من أهل العسكر فى كل منزلة وكان الحجاج من جملتهم وكان يجتهد فى ذلك الى أن مر يوما بعد رحيل العسكر بجماعة من خواص غلمان روح فى خيمة يأكلون فأمرهم بالرحيل فسخروا منه ادلالا بعملهم ومحل سيدهم وقالوا له انزل كل واسكت فضرب بسيفه أطناب الخيمة فسقطت عليهم وأطلق فيها نارا فاحرقت أثاثهم عليهم فامسكوه وأتوا به الى روح وسمع عبد الملك الخبر فطلبه وقال من فعل هذا بغلمان روح فقال أنت يا أمير المؤمنين أمرتنا بالاجتهاد فيما وليتنا ففعلنا ما أمرت وبهذه الفعلة يرتدع من بقى من أهل العسكر وما على أمير المؤمنين ان يعوض عليهم ما ذهب وقد قامت الحرمة وتم المراد فاعجب عبد الملك فقال ان شرطيكم لجلد ثم أقره على ما هو عليه ولما طال القتال والحصار بينه وبين زفر بن الحرث أرسل عبد الملك رجاء بن حيوة وجماعة منهم الحجاج الى زفر بكتاب يدعوه الى الصلح فاتوه بالكتاب وقد حضرت الصلاة فقام رجاء فصلى مع زفر وصلى الحجاج وحده فسئل عن ذلك فقال لا أصلى مع

وشغلت عن فهم الحديث سوى * ماكان منك وحبكم شغلى
وأديم نحو محدثى نظرى * أن قد فهمت وعندكم عقلى

ومن هنا أخذ أمين الدين جوبان قوله دوبيت

لا أستمع الحديث من غيركم * من لذة فكرى واشتغالى بكم
ألوى نظرى كأنى أفهمه * من قائله وخاطرى عندكم

ولعمرى ان هذه الاستعارات التى فى كلام الطغرائى واقعة موقعها وهى فى غاية الحسن والاستعارة عند أرباب البيان هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البين لفظا أو تقديرا ألا ترى انه شبه الليل وايراده النوم على المقل بالراعى الذى يسوق الماشية الى المرعى وشبه منعه النوم صاحبه وشغله عنه بالطارد كالذى يطرد السرح عن ورود الماء ولا شك ان الاستعارة أبلغ من التشبيه وأوقع فى النفس وانظر الى قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا والى مافيه من الطلاوة بخلاف ما اذا قيل وشيب الرأس كالنار يشتعل فهو ادعى أن حقيقة الاشتعال فى الشيب دون النار ووجه المناسبة التى حسنت هذه الدعوى ان الشيب لما كان بياضا يأخذ فى الشعر الاسود شيأ فشيأ الى ان يقوى ذلك ويشتد حتى يأتى على السواد جميعه فيذهبه حسن ادعاء الحقيقة هنا كان النار تأخذ فى الفحم شيأ فشيأ وتدب دبيب الشيب فى الشعر حتى تاتى على الفحم ومن هنا عيب على القائل

والشيب ينهض فى الشباب كأنه * ليل يصيح بجانبيه نهار

فان الصياح هنا لا مناسبة له ولا معنى وقيل ان بعضهم لما سمع قول أبى تمام

لا تسقنى ماء الملام فاننى * صب قد استعذبت ماء بكائى

جهز له قدحا وقال له ابعث لى فى هذا قليلا من ماء الملام فقال أبو تمام حتى تبعث لى ريشة من جناح الذل وما ظلم من جهز له القدح فانه استعار قبيحا وليست استعارته كاستعارة جناح الذل فى الآية بل الاستعارة فى الآية فى غاية الحسن وما أحلى قول الحسن بن وهب شربت البارحة على وجه الجوزاء فلما انتبه الفجر نمت فما غفلت حتى لحقنى قيص الشمس وما أحلى قول البدر الذهبى

ما نظرت مقلتى عجيبا * كاللوز لما بدا نواره
اشتعل الراس منه شيبا * واخضر من بعد ذا عذاره

سأل رجل عمرو بن قيس عن الحصاة يجدها الرجل فى ثوبه أو فى خفه من حصى المسجد قال ارم بها فقال الرجل زعموا أنها تصيح حتى ترد الى المسجد فقال دعها تصيح حتى ينشق حلقها فقال الرجل سبحان الله أولها حلق قال فمن أين تصيح ومثل هذا ماحكاه أشعب الطماع قال جاءت لى جارية بدينار فقالت أودعه لى عندك فقلت ضعيه تحت المصلى فلما راحت وضعت الى جانبه درهما فلما كان بعد جمعة جاءت تطلبه وقالت أين الدينار قلت محله لكن انظرى لعله ولد فان كان ولد شيأ فخذيه فنظرت اليه فقالت نعم هنا درهم فقلت مادام هو تحت المصلى فهو يلد لك كل جمعة درهما فأخذت الدرهم وتركت الدينار وانصرفت وحضرت بعد جمعة وطلبت الدينار فلم تجده فسألت عنه فقلت لها مات فى النفاس فقالت ويلى كيف يموت فقلت يا بظراء

منافق خارج على أمير المؤمنين وعن طاعته فسمع عبد الملك بذلك فزاد عجبا بالحجاج ورفع قدره وولاه بلدا تسمى تبالة وهى أول ما ولى فخرج اليها فلما قرب سأل عنها فقيل انها وراء هذه الاكمة فقال أف لبلدة تسترها أكمة فرجع فقيل فى المثل أهون من تبالة على الحجاج ثم قدم على عبد الملك ملازما خدمته فلما فرغ عبد الملك من قتال مصعب ابن الزبير ورجع الى الشام قال من لابن الزبير يعنى عبد الله القائم بمكة والحجاز وندب الناس الى قتاله فقام الحجاج فقال يا أمير المؤمنين أنا له ابعثنى اليه فلقد رأيت فى المنام كأنى سلخته وجردته من جلده فبعثه اليه وجهز معه جيشا فقدم الى مكة ونصب المنجنيق على الكعبة وفعل ما فعل حتى قتل ابن الزبير وصفت الخلافة لعبد الملك فسر باجتهاده وأرسل اليه عهده على مكة والمدينة والطائف فاستخف أهل الحرمين وأهانهم ثم كتب الى عبد الملك يقول انى حزت الحجاز بشمالى وبقيت يمينى فارغة يعرض بالعراق فبعث اليه عهده على العراق وهذا أحد الاقوال فى سبب ولايته العراق * والقول الآخر انه وفد على عبد الملك ومعه ابراهيم ابن طلحة بن عبد الله التيمى

كيف تصدقين بولادته ولا تصدقين بموته في النفاس وما أحسن قول ابن خفاجة الاندلسي

وقد جال من جون الغمامة أدهم * له البرق سوط والشمال عنان
وضمخ درع الشمس نحر حديقة * عليه من الطل السقيط جمان
ونمت بأسرار الرياض خميلة * لها النور ثغر والنسيم لسان

وقوله من أبيات

في خصر غور بالاراك موشح * أو رأس طود بالغمام معمم
أو نحر نهر بالحباب مقلد * أو وجه مخرق بالضريب ملثم

وقول محيي الدين بن قرناص

قد أتينا الرياض حين تحلت * وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الاغصان

ذكرت بعمامة الغمامة هنا قول القاضي الفاضل ووصلنا حصن كوكب وهو نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة قلت ما أحسن هذا التخيل وألطف هذه الاستعارات وقد عاب ضياء الدين بن الاثير هذا الفصل في المثل السائر وأجبت عنه في كتابي المسمى بنصرة الثائر على المثل السائر ويعجبني قول ابن خفاجة

الا رب يوم حثت الكاس خطوه * فطار وأيام السرور قصار
عثرت بذيل السكر فيه عشية * وللريح في موج الخليج غبار
وقد فضض النوار كل رباوة * وسال عليها للاصيل نضار

قلت كل هذه الالفاظ في الابيات فصيحة الا قوله رباوة فانه غير مستعمل لان في ربوة أربع لغات تثليث الراء بالضم والفتح والكسر والضم أفصحها واللغة الرابعة رباوة ولكنها غير مستعملة الا فيما قل ولغة القرآن أفصح ولو قال

وقد فضضت جيد الروابي أزاهر * يسيل عليها للاصيل نضار

لكان أعذب وقعا في السمع من ذلك وقول أبي نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي

خرقنا بأطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب
لقوا نبلنا مرد العوارض وانثنوا * لاوجههم منها لحى وشوارب

وقول الشريف أبي الحسن علي العقيلي من أبيات

وفرق تيجان نواره * فلم ينس من غصن مفرقا

وقوله أيضا

اذا أبدى مؤامرة التجني * أقمت له وجوه الاحتمال

وقوله أيضا

لنا أخ يحسن ان يجسنا * رضاه للجانين عذب الجنى
قد عرفت روضة معروفه * بأنها تنبت زهر الغنى
اذا تبدى وجه احسانه * تنزهت فيه عيون المنى

وقوله أيضا

وكان من رجال قريش علما ونبلا وعملا وزهدا ومهابة وكان الحجاج مسخرا له لا يترك من اجلاله شيأ فلما قدما على عبد الملك أذن للحجاج في الدخول فلما دخل سلم ولم يبدأ بشيء الا أن قال يا أمير المؤمنين قدمت عليك برجل من أهل الحجاز ليس له نظير في كمال المروءة والديانة وحسن المذهب والطاعة مع القرابة ووجوب الحق قال ومن هو قال ابراهيم بن طلحة التيمي فليفعل أمير المؤمنين معه ما يفعله بأمثاله فقال عبد الملك ذكرتنا حقا واجبا ورحما قريبة ثم أذن له فلما دخل قربه وأدناه ثم قال له ان أبا محمد ذكر لنا ما لم نزل نعرفك به من الفضل وحسن المذهب فلا تدعن حاجة الا ذكرتها فقال ابراهيم ان أولى الامور أن يفتتح به الحوائج ما كان لله فيه رضا ولحق رسول الله صلى الله عليه وسلم أداء ولجماعة المسلمين نصيحة قال وما هو قال لا يمكن القول الا وأنا خال فأخلني قال أو دون أبي محمد قال نعم فأشار عبد الملك الى الحجاج فخرج وقال قل فقال يا أمير المؤمنين انك عهدت الى الحجاج مع تغطرسه وتجرفه وبعده عن الحق وركونه الى الباطل ولايته الحرمين وبهما من أولاد المهاجرين والانصار من قد

خلص بجاه الوصل قلب متيم * غمز الصد ودعا عليه أعوان الضنى

وقوله أيضا

كلما لاح وجهه بمكان * كثرت زحمة العيون عليه

وقوله أيضا

فلما تبدى لنا وجهه * نهبنا محاسنه بالعيون

وقوله أيضا

الغرب بالليل مسك * والشرق بالفجر ند
وروضة الجام فيها * من زهرة الراح ورد
فاشرب على وجه أرض * له من الماء خد
بخيد يومك فيه * من الملاحة عقد

وقوله أيضا

الى كم ذا ترد الغيث لا يروى من الغدر
أظن الغيث قد تمت * عليه حيلة العذر

وقوله أيضا

قد ضاقت الحيلة بي في رشا * لا يقبل الرشوة من ود
ماسرت بالشكوى الى سمعه * قط فاشرفت على وعد

وقوله أيضا

وأوحشت من رؤياك طرفي فلم يزل * تنزهه في ورد وجنتك الغض
فان كنت تخشى من لسان بكائه * فما الرأى الآن تبرطل بالغمض

وقول ابن الساعاتي

ولولا رواة بل وشاة تخرصوا * أحاديث ليست في سماع ولا نقل
لما ابتسمت ثغور النور من شنب الندى * خلال جبين النهر في طرر الظل

وقول ابن النبيه

تبسم ثغر الروض عن شنب القطر * ودب عذار الظل في وجنة النهر

وقوله أيضا

والنهر خد بالشعاع مورد * قد دب فيه عذار ظل البان
والماء في سوق الغصون خلاخل * من فضة والزهر كالتيجان

وقول محيي الدين بن قرناص

لقد عقد الربيع نطاق زهر * يضم لقضبه خصرا نحيلا
ودب مع العشي عذار ظل * على نهر حكى خدا أسيلا

وكلهم أخذ والوجه والعذار من ابن خفاجة حيث قال

وما الانس الا في مجاج زجاجة * ولا العيش الا في صرير سرير
واني وان جئت المشيب لمولع * بطرة ظل فوق وجه غدير

وقول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

علمت يسومهم الخسف ويقودهم بالحتف ويطؤهم بطغام أهل الشام ورعاع لا روية لهم في اقامة حق ولا في ازاحة باطل ثم تظن أن ذلك ينجيك من عذاب الله فكيف بك اذا جاثاك محمد صلى الله عليه وسلم غدا للخصومة بين يدي الله تعالى أما والله انك لن تنجو هنالك الا بحجة تضمن لك النجاة فأبق لنفسك أودع وكان عبد الملك متكئا فاستوى جالسا وقال كذبت ومنت فيما جئت به ولقد ظن بك الحجاج ظنا لم يجده فيك فانت المائن الحاسد قال فقمت والله ما أبصر شيئا فلما جاوزت الستر لحقني لاحق فقال للحاجب امنع هذا من الخروج وأذن للحجاج فدخل فلبث مليا ولا أشك انهما في أمري ثم خرج الاذن لي فدخلت فلما كشف الستر اذا أنا بالحجاج خارج فاعتنقني وقبل ما بين عيني وقال اذا جزى الله المتواخيين بفضل تواصلهما فجزاك الله أفضل الجزاء أما والله لئن بقيت لأرفعن ناظريك ولأتبعن الرجال غبار قدميك قال فقلت في نفسي انه ليسخر بي فلما وصلت الى عبد الملك أدنى مجلسي كما فعل في الأول ثم قال يا أبا طلحة هل أعلمت الحجاج بما جرى أو شاركك أحد في

وليلة بت أسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقول ابن قلاقس

جرت خيل النسيم على الغدير * ووردت تحت قسطال العبير
وغاب الصبح فى كف الثريا * وكان براحة القمر المنير

وما أحسن قول أمين الدين جوبان

أصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما منه بغير ملال
لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

ويعجبنى قول القائل وان كان مشهورا

مجرة جدول وسماء آس * وأنجم نرجس وشموس ورد
ورعد مثالث وسحاب كأس * وبرق مدامة وضباب ند

وقول ابن الساعاتى

وكم ركبت بهيم الليل فى غرض * وبدره غرة والصبح تحجيل
ووردة الفجر فى خدى مطالعه * كأنها أثر أبقاه تقبيل

وقول ابن قلاقس

سرى وجبين الجو بالطل يرشح * وثوب الغوادى بالبروق موشح
وفى طى أبراد النسيم خميلة * بأعطافها نور المسنى يتفتح
تضاحك فى مسرى المعاطف عارضا * مدامعه فى وجنة الروض تسفح
ويورى به كف الصبا زند بارق * شرارته فى فحمة الليل تقدح

وقال ابن رشيق

باكر الى اللذات واركب لها * نجائب اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح

وقال ابن سناء الملك

قد كان لى منديل كم سابغ * ماجاز مسح فيه فى مذهبى
فاعتضت منه بخد من أحببته * ومسحت فى منديل كم مذهب

وقال بعض المغاربة

زار وقد شمر فضل الازار * جنح ظلام جانح للفرار
وروضة الانجم قد صوحت * والفجر قد فجر نهر النهار

قرأت على الشيخ الامام الاديب الكاتب أبى الثناء محمود قصيدة له منها

يا راكب الوجناء يجذب فى السرى ذيل الزميل
يختال فى حبر الشرو * ق ضحى وفى حبك الاصيل
ويحوم من نهر المجر * ة كالنجوم على مسيل

وقرأت عليه من أخرى له

أيها السائر الذى فى المرامى * باكر السير بكرة وأصيلا

نصيحتك فقلت لا والله ولا أعلم أحدا أظهر يدا عندى من الحجاج ولو كنت محابيا أحدا بدينى لكان هو ولكنى آثرت الله ورسوله والمسلمين فقال قد علمت صدق مقالتك ولو آثرت الدنيا لكان لك فى الحجاج أمل وقد عزلته عن الحرمين لما كرهت ولايته عليهما وأخبرته انك الذى استنزلتنى له عنهما استصغارا للولاية ووليته العراق لما هنالك من الامور التى لا يدحضها الا مثله وانما قلت له ذلك ليؤدى ما يلزمه من ذمامك فاخرج معه فانك غير ذام لصحبته مع يدك عنده فخرجت مع الحجاج وأكرمنى أضعاف اكرامه واستدللت على مكارم عبد الملك وأخلاقه واعترافه بالحق وتلطفه فى الامور (وقيل) فى سبب ولاية الحجاج العراق قول آخر ثم دخل الحجاج الى العراق ودخل الكوفة وبدأ بالمسجد وخطب خطبته المشهورة التى يقول فيها يا أهل العراق والنفاق والله لاعصبنكم عصب السلمة ولانحونكم نحو العصا فطالما أوضعتم فى الضلالة وتماديتم فى الجهالة يا عبيد العصا أنا الغلام الثقفى لا أعد الا وفيت ولا أخلق الا فريت انما مثلكم كما قال الله تعالى

يكحل المقلتين من اثمد الليـ ـل فيغني القفار ميلا فميلا

وقرأت عليه من أخرى له

أعد حديث الحمى فالركب في طرب * وقص أنباء من بالجزع من عرب
كرر حديث الثنايا فهو أعذب لي * على الظما من رضاب الخرد العرب
اذا الكرى ذر في أجفاننا سنة * من النعاس نفضناها من الهدب

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

ولما جنى طرفي رياض جمالكم * جعلتم سهادي في عقوبته من جني
أأحبابنا ان عفتم السفح منزلا * وأخليتم من جانب الجزع موطنا
فقد حزتم دمعي عقيقا ومهجتي * غضى وسلكتم من ضلوعي منحنى

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

وقد دروت عن لينه واعتداله * صحاح العوالي مسندا بعد مسند
اذا قعدت أردافه قام عطفه * فياطول شجوي من مقيم ومقعد

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

لحا الله قلبا كلما جر طرفه * الى الحسن ألقى عروة المتماسك
تأبط شرا من أذى الوجد وانثنى * كثير الهوى شتى النوى والمسالك

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

هذي الحمائم في منابر أيكها * تملي الغنا والطل يكتب في الورق
والقضب تخفض للسلام رؤسها * والزهر يرفع زائريه على الحدق

وهذا أحسن من قول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

اني لأشهد للعمى بفضيلة * من أجلها أصبحت من عشاقه
مازاره أيام نرجسه فتى * الا وأجلسه على أحداقه

وقلت أنا من مقامة

وما حسدت نفسي سوى نفس الصبا * ولا سيما يوم قطعناه بالحمى
فكم ضم عطفا للغصون مرنحا * وعانق قدا للقضيب مقوما
وقبل خد الورد وهو مضرج * وثغر الاقاحي في الربا اذ تبسما
وكم بات يستجلي عذار بنفسج * سقته الغوادي صوبها فتنمنما

وقلت أيضا

قلت اذ قيل لي تسل فهذا * صدغه قد دجا وكان ينير
هي مرآة خده غاب منها * في غلاف العذار شئ يسير

وقلت أيضا

لقدها اذ ينثني صولة * معروفة ما بين عشاقها
قد قطعت ظهر غصون الربا * وجرت الورق بأطواقها

وقلت أيضا

وحقك لو حكاها غصن بان * لقطعت الخفاف على قذاله

وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون شاهت الوجوه فانكم أشباه ذلك فاستوثقوا واستقيموا واقسم بالله لتدعن الارجاف ولتقبلن على الانصاف ولتنزعن عن القيل والقال وكان وكان والهن وما الهن أو لاهبرنكم بالسيف هبرا يدع النساء أيامى والولدان يتامى والله لكأني أنظر الى الدماء تترقرق بين اللحى والغلاصم فلما سمع أهل الكوفة هذه الخطبة وكان بعضهم قد أخذ حصا اراد أن يحصب به الحجاج فتساقط من ايديهم حزنا ورعبا وثبتت مهابته في قلوبهم وتحكم حينئذ في رقابهم وكان القاسم بن سلام يقول قاتل الله اهل الكوفة اين قبائلهم وعشائرهم واهل الانفة منهم وأين تجبرهم قتلوا عليا وطعنوا الحسين وقاتلوا المختار وعجزوا عن قتل هذا الملعون الدميم الصورة وقد جاءهم في اثني عشر راكبا وهم مائة الف ولكن ظهر تصديق امير المؤمنين علي بن ابي طالب في قوله اللهم سلط عليهم الغلام الثقفي ثم أقام الحجاج بالعراق يرهب

ولم يفتح لعين الزهر جفنا * لينظر في الغدير الى خياله

وقلت أيضا وان كان فيه طول

لي غادة لم ترض بدر الدجى * يبيت في خدمتها يسرى
أذارنت أقسم من خوفها * هاروت لا عاد الى السحر
وفرقها الوضاح ينفي الدجى * ويسلخ الليل الى الفجر
والبرق لما ابتسمت كم غدا * وقلبه يخفق بالذعر
والظبي لما التفت جيدها * هج على الوجه الى القفر
فلو تثنت قطعت خفها * على قذال الغصن النضر
وأدخلته في حرام النقا * وما استحت من شيبة الزهر

وما أطرب لشيء كطربي لاستعارات القاضي الفاضل رحمه الله في مثل قوله وتلك الجبهة وان كانت عربية فانها مستودع الانوار وكنز دينار الشمس ومصب أنهار النهار* وقوله ونصبر حتى تنجلي هذه الغمرة وحتى تجف مناديل الجفون فانها كانت بالدموع عصرة وقوله أيضا من قصيدة مطوّلة

قد استخدمت بالافكار سرى * وما أطلقت لي بالوصل أجره
ولم أره على الايام الا * عقدت محبة وحللت صره
ولا استمطرت سحب العين الا * بقيت بأدمعي في الشمس عصره

وقوله في ليلة جدجرها وتجدجرها الى يوم تود البصلة لو ازدادت قبصا الى قبصها والشمس لو جرت النار الى قرصها* وقوله وأنتم يا بني أيوب لو ملكتم الدهر لامتطيتم لياليه أداهم وقلدتم أيامه صوارم وأفنيتم شموسه وأقماره في الهبات دنانير ودراهم وأيامكم أعراس ومأتم فيها على الاموال ما تم والجود في أيديكم خاتم ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم* ونقلت من خط مجير الدين عبد الله بن عبد الظاهر وما أحسن ما قال القاضي الفاضل رحمه الله وأما الجاحظ فما منا معاشر الكتاب الامن دخل من كتبه الحارة وشن الغارة وخرج وعلى الكتف منها كارة ولا يقول المملوك في فوائد المولى تاج الدين ذلك بل يقول ما منا الامن أدخله داره وساهمه بدره وابداره وأجلسه معه في الدارة وأخلى له سريره وخلى سراره ونزل من عنده وبين يديه من فوائده الكواكب السيارة بل يقول ما منا الامن استعار منه فاعاره واستكساه فحسن له الشارة واستجناه فاجناه ثماره وتركه وكل معنى مبتكر له كصاحب الجب وكل ذي استفادة منا يلتقطه كبعض السيارة* قلت كان ينبغي له ان يقدم القول الثاني على الاوّل* وقول القاضي الفاضل وحالي في التفرس الى هذه الغاية الارض من ذوات المحارم ما وطئتها برجلي ولا طرقها ضاحية ما كسوتها ظلي* وقوله وان رأى المجالس ان يكون الجواب في ظهر الكتاب لخزاء كل مفتخر أن يدفع في ظهره* وقوله أيضا والله يمن بطلوع نجمه نهارا وبقدوم وجهه الذي تسر أساريره أسرارا فينعم بكتابه فان الكتاب للقادر ديف وفيه نجدة للصبر على الشوق والشوق قوي والصبر ضعيف* وقوله وانما لسانه يبرز الابريز ولي لسان حبه القلب فهو في الدهليز* وقوله وعلى المتوفي ديون جليلة والدين عثرة الصراط والقبر على المطلوب سم الخياط* وقوله وكيفما كتبت يد سيدنا نثرت الدر الثمين

واستدعت

ويقتل حتى استوثقت له الامور ثم خرج عليه عبد الرحمن ابن الاشعث باهل العراق فامده عبد الملك باهل الشام فكانوا شيعته فاستمرت بينه وبين ابن الاشعث الوقائع حتى هزمه الحجاج بدير الجماجم بعد ثمانين وقعة في ستة أشهر وكان مع ابن الاشعث أكثر من مائتي ألف فلما اهزموا قال الحجاج لاصحابه اتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم ثم نادى مناديه من رجع فهو آمن ودخل الكوفة وجاء الناس من المنهزمين يبايعونه فكان يقول لمن جاء يبايعه اشهد على نفسك بالكفر وبخروجك عن الجماعة ثم تب فان شهد والاقتله فاتاه رجل من خثعم فقال اشهد على نفسك بالكفر فقال ان كنت عبدت ربي ثمانين سنة ثم أشهد على نفسي بالكفر لبئس العبد أنا والله ما بقي من عمري الاظمء حمار واني أنتظر الموت صباحا ومساء فأمر به فضرب عنقه وقدم بعده شيخ آخر فقال الحجاج ما أظن الشيخ يشهد على نفسه بالكفر فقال يا حجاج أتخادعني أنت عن نفسي أنا أعرف بها منك واني لأكفر من فرعون وهامان فضحك الحجاج وخلى سبيله* وكان في الحجاج خلال امتاز بها عن أبناء وقته الكرم

واستدعت سطوره مصافحة شفاه اللاثمين * وقوله فان الهم موت والوهم صريخ ماله صوت وقوله أيضا فلا أقرأله كتابا الا كنت سابحا فى بحر كله درر وقاطفا من روض كله ثمر وظللت منه بنهار كله غرر وبت بليل كله سمر مستمتعا بحديث كله سمر واردا منه موردا كله صفاء على رغم أنف زمان كله كدر * وقوله فطرقنا كلها أسواق والبرارى عليها من المهابة أغلاق وأيدى الولاة لأعناق المفسدين أطواق * وقوله أيضا ومايؤثر المملوك أن يفتح باب شكواه لدهره ولا يعزيه عن المصاب الذى لا يطيعه اللسان فى ذكره ولا أن يدل المولى على الامر الجامع بين ترويح سره وتحصيل أجره ولا أن يشير الى أن الحى غريب فى طريق عمره الى أن يحصل فى دار قبره * وقوله أيضا وأنا على دفع الايام وهى تدفعنى ولباس الليالى وهى تخلعنى وعتاب الدهر ولكن ما أظنه يسمعنى وقوله فيما أظن

نزلت بالله زولى * وانزلى غير لهاتى
واتركى حلقى بحقى * فهو دهليز حياتى

وقوله فى ممسحة القلم

ممسحة نهارها * يجن ليل الظلم
كأنها مذخلقت * منديل كم القلم

وقول نور الدين على بن سعد المغربى فيها

وممسحة لاحت كأفق تبددت * به قطع الظلماء والصبح طالع
ولما أطال الليل فيها وروده * حكته وسدت للصباح المطالع

وأنشدنى لنفسه اجازة المولى ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر

وممسحة تناهى الحسن فيها * فأضحت فى الملاحة لا تبارى
فلا تنكر على القلم الموافى * اذا فى وصلها خلع العذارا

(والركب ميل على الأكوار من طرب * صاح وآخر من خمر الكرى ثمل)

(اللغة) الركب تقدم الكلام عليه (ميل) جمع أميل وهو الذى لا يستوى على السرج قال جرير

لم يركبوا الخيل الا بعد أن هرموا * فهم ثقال على أكتافها ميل

(الاكوار) جمع كور وهو القتب (الطرب) خفة تلحق الانسان لشدة حزن أو سرور تقول طرب يطرب فهو طرب قال الشاعر

وتراني طربا فى اثرهم * طرب الواله أو كالمختبل

فطرب اسم فاعل وهو هنا يحتمل أن يكون من الفرح وأن يكون من الحزن ولكنه الى الحزن أقرب لانه فى بيت الطغرائى جاء فى سياق شدة السهر (صاح) صحا يصحو من سكره فهو صاح اذا زال ما كان يجده من النشوة (خمر) قال ابن الاعرابى انما سميت الخمرة خمرة لانها تركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها وقيل لمخامرتها العقل أى تغطيتها (الكرى) تقدم تفسيره (ثمل) تقول ثمل الرجل بالكسر ثملا اذا أخذ الشراب منه فهو ثمل أى نشوان (الاعراب) (والركب) الواو للابتداء والركب مرفوع على انه مبتدأ (ميل) مرفوع على انه خبر المبتدا وهو جمع أميل كما تقول أبيض وبيض وكان أصله ميل بضم الميم كما تقول أحمر وحمر ولكنهم استثقلوا الضمة قبل حرف العلة وهو الياء فقلبوا الضمة الى جنس ما بعدها فكانت كسرة كما

والفصاحة والدهاء والجود وحلم فى بعض الاوقات * فأما كرمه فحكى أنه لما دخل المدينة فرق فى أهلها عشرة آلاف دينار ثم قال أتيناكم وقد غاض الماء لكثرة النوائب فاعذرونا فقال رجل لا عذر الله من يعذرك وأنت أمير المصرين وأنت عظيم القريتين فقال صدقت واقترض أموالا من هنالك من التجار فكان شيأ عظيما ولما ولى العراق كان يطعم فى كل يوم على ألف مائدة يجتمع على كل مائدة عشرة أنفس ويطاف به فى محفة على أيدى الرجال يشرف على القوم ويقول يا أهل الشام اهشموا الخبز لئلا يعاد عليكم وقيل كان فعله هذا خصيصا بأهل الشام وكان يرسل الرسل الى الناس لحضور الطعام فكثر عليه ذلك فقال أيها الناس رسلى اليكم الشمس اذا طلعت فاحضروا للغداء واذا غربت فاحضروا للعشاء فكانوا يفعلون ذلك واستقل الناس يوما فقال ما بال الناس قد قلوا فقام رجل وقال يا أيها الامير انك أغنيت الناس فى بيوتهم عن الحضور الى مائدتك فأعجبه ذلك وقال اجلس بارك الله عليك * وأما دهاؤه فحكى عبد الله بن ظبيان قاتل مصعب بن الزبير قال كنت يوما واقفا على باب الحجاج

في بيع وقيل وكما في ميزان وميعاد فالاصل ضم أوائل هذه الاربعة ولكنهم فعلوا بها ماذكرته لك (على الاكوار) جار ومجرور ومتعلق بميل (من طربه) جار ومجرور وطرب بكسر الراء اسم فاعل هنا وليس هو مصدرا فتفتح الراء لانه لو كان مصدرا لفسد المعنى وكان الجار والمجرور مفعولا من اجله وكان قوله وآخر من نجر الكرى معطوفا على غير شئ ولم يتعلق بما يربطه وهذا الجار والمجرور في موضع الحال واذا كان الجار والمجرور حالا فلا بد له من التعلق بمحذوف هو العامل فيه وتقديره هنا والركب ماثلون منقسمين (صاح) مجرور على أنه صفة لطرب تبعه في افراده وتذكيره وتنكيره وجره (وآخر) الواو عاطفة عطفت آخر على طرب ولم ينجر لانه غير منصرف فعلامة الجر فيه فتحة وانما قلنا انه غير منصرف لان فيه علتين فرعيتين من العلل التسع وهما العدل والصفة والعدل فيه تحقيقي لان آخر من باب أفعل التفضيل وهذا الباب شرطه ان لا يستعمل الامضافا أو بالالف واللام أو بمن ولهذا لحنوا أبا نواس في قوله

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

لانه استعمل افعل التفضيل بغير شرطه وأجاب ابن أبي الحديد رادا هذا القول على ابن الاثير في المثل السائر بأن قال لا ينكر أن كثيرا من أئمة العربية طعن في هذا البيت ولكن انتصر له كثير منهم فقالوا وجدنا فعلى افعل في غير موضع واردة بغير لام ولا اضافة ولا من مثل دنيا في قول الراجز * في سعي دنيا طالما قد مدت * وقول الآخر * وان دعوت الى جلى ومكرمة * وقول الآخر * لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة * وقالوا طوبى لك وفي البيت وجه آخر وهو ان تكون من في قوله من فواقعها زائدة على مذهب أبي الحسن في زيادة من في الواجب فانه يذهب الى ذلك ويحتج بقوله تعالى فيها من برد أي فيها برد وهذا يرجح ان يكون كبرى وصغرى في البيت مضافتين وقد وقع الاتفاق على جوازه (قلت) قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس هذا عجيب من مثل هذا الرجل الفاضل أما ايراده دنيا واخواتها فكل وجوهها مذكورة في كتب النحاة بما يغني عن الاطالة بذكره بخلاف صغرى وكبرى وأما قوله بزيادة من فكأنه يظن ان من اذا كانت زائدة كان الجر بالاضافة أو كانت الاضافة باقية وهذا لا وجه له وانما الجر بحرف الجر لان حروف الجر لا تعلق وأما زيادة حرف الجر بين المضاف والمضاف اليه فلم يقل به الا في مثل لا أبا لك على شذوذ وليس هذا منه ولا يريد الاخفش بقوله ان من تزاد في الواجب ما أراده ابن أبي الحديد اه (قلت) قال النحاة وربما استعملوا هذه الصفات استعمال الاسماء فحذفوا الالف واللام نحو قولهم دنيا لانها وان كانت صفة فقد غلبت وصارت بمنزلة الاسماء غير الصفات ومثله جلى وأنشدوا الابيات التي أنشدها ابن أبي الحديد وأما من قرأ وقولوا للناس حسنى بغير تنوين ومن أنشد * ولا يجزون من حسنى بسوأى * فليستا بتأنيث أحسن وأسوأ بل هما مصدران كالرجعى والبشرى * وقد اختلف النحاة في الصرف ما هو فقال قوم التنوين وحده وقال آخرون الجر والتنوين واختار الاول جمال الدين محمد بن مالك والدليل على انه أقوى من أربعة أوجه الاول انه مطابق لاشتقاق اسم الصرف فانه مأخوذ من صريف ناب الابل والبكرة والقلم وهو الصوت الذي يسمع من هذه الاشياء قال الشاعر * له صريف صريف القعو بالمسد * يعني البكرة الثاني ان الاسم الذي لا ينصرف

فاذا به قد خرج وحده وكانت القائلة وما بالباب أحد فوقع في نفسي أن أقتله فنظر الي فقال هل لقيت يزيد بن أبي أسلم يعني كاتبه قلت لا قال اتقه فان عهدك على الري معه فطمعت وكففت عنه وتوجهت الى يزيد فلم يكن عنده عهد ولا شئ من ذلك وانما قال الحجاج ذلك حذرا وشغلا لي عما أردته به وبنى هو وعبد الملك في بعض المساجد بابين فوقعت صاعقة فاحرقت باب عبد الملك فداخله حسد للحجاج فكتب اليه انما مثل أمير المؤمنين ومثلي كمثل ابني آدم اذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ودخل يوما على عبد الملك فدعا بالشراب فقال يا أمير المؤمنين اعفني فاني أنهى أهل عملي عنه وأكره أن أخالف قول العبد الصالح وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه فقال عبد الملك انه نبيذ الرمان يشهي الطعام ويزيد في الباه فقال الحجاج أما كونه يشهي الطعام فوالله لوددت أن هذه الاكلة تكفيني حتى أموت وأما كونه يزيد في الباه فحسب الرجل أن يصرع في الشهر مرة وصعد يوما المنبر فأراد أن يختبر طاعة الناس له فقال الآن الحجاج كافر فلم يرد عليه أحد شيأ

بإدخاله

يدخله الجر مع الالف واللام والاضافة مع وجود مانع الصرف فيه الثالث ان الشاعر اذا اضطر الى التنوين فى المرفوع والمنصوب نون ويقال اضطر الى ذلك ولاجر الرابع انه اذا اضطر الى التنوين فى الجر جر ونون ولو كان الجر من الصرف لفتح ونون وانما كان باب مالا ينصرف ممنوعا من الجر والتنوين قياسا على الفعل اذ لا جر فيه ولا تنوين لسكون الفعل فرعا على الاسم على الصحيح والعلل المانعة من الصرف كلها تتفرع على ماسواها فاذا دخلت على الاسم ألحقته بالفرعية وخلصته من الاسمية الابقية فلهذا أعرب اعراب الفعل ومنع مامنع منه الفعل فاذا أضيف أو دخلته الالف واللام أو من قويت الاسمية فيه وتمحض فيها فدخل فيه الجر وانما قلت ان العلل المانعة من الصرف فروع لان العدل فرع على المعدول عنه سواء كان تقديريا أو تحقيقيا والصفة فرع على الموصوف والتأنيث فرع على التذكير والمعرفة فرع على النكرة والعجمة فرع على العربية والجمع فرع على المفرد والنون والالف الزائدتان فرعان على ماتزيدان عليه ووزن الفعل فرع على وزن الاسم فاذا حصل فى الاسم علتان من هذه شابه الفعل فى الفرعية فاعطى ما أعطى ومنع مامنع وانما تبع التنوين الجر لانه لو جر بغير تنوين لالتبس بالمضاف الى النفس و بالجملة ففى باب مالا ينصرف مباحث دقيقة استوفيتها فى التعليقة على الحاجبية من أول الباب الى آخره (رجع) * (من خمر الكرى) جار ومجرور ومضاف اليه ولم تظهر الكسرة فى المضاف لانه مقصور والاضافة بمعنى اللام التى للملك مجازا والجار والمجرور متعلق بتميل ومن هنا لبيان الجنس (ثمل) مجرور على انه صفة لآخر والبيت بمجموعه فى موضع النصب على الحال كانه قال طردت سرح الكرى عن ورد مقلته فى حالة اغراء النوم بالمقل وفى حالة ميل الركب على ظهور مطيهم (المعنى) نادمته وحادثته والرفاق قد مالوا على مطاياهم فهم مابين صاح من النوم ومابين ثمل من الكرى وهذا دليل على انهم كانوا فى أخريات الليل وفى ذلك الوقت يكون بعضهم قد صحا من خمر النوم والآخر فى نشوته يميل يمنة ويسرة قال ابن صردر

قلت وهم من نشوات الكرى * موائد كالسجد الركع
حثوا المطايا كم فكم غاية * قد فنيت بالاينق الظلع

وقال بديع الزمان الهمذانى

لك الله من ليل أجوب جيوبه * كانى فى أجفان عين الردى كحل
كأن الدجى نقع وفى الجو دومة * كواكبها جند طواثرها رسل
كأن مطايانا سماء كأننا * نجوم على أقتابها برجها الرحل
كأن السرى ساق كأن الكرى طلا * كأنا لها شرب كأن المنى نقل

أنشدنى اجازة الشيخ الامام الاديب الكاتب القاضى شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدنى لنفسه الشيخ الامام مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر المعروف بابن الظهيرى الاربلى الحنفى من أبيات

أما والمطايا فى الازمة تمرح * وقد شفها طول السرى فهى وزح
قسى عليها كالسهام سواهم الـ * ـوجوه كما أمسوا على السوق أصبحوا
يميل بهم سكر السهاد كانما * على كل كور غصن بان مرنح

فقال باللات والعزى وبالبغلة الشهباء ويوم الاربعاء ودخل عليه قاتل الحسين رضى الله عنه فقال له أنت قاتل الحسين قال نعم قال كيف قتلته قال دسرته بالرمح دسرا ثم هبرته بالسيف هبرا ووكلت أمر رأسه الى امير غير وكل فقال الحجاج اما والله لا يجتمعان فى الجنة وكان قصده رضا اهل العراق واهل الشام فخرج اهل العراق يقولون صدق الحجاج لا يجتمع والله ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتله فى الجنة وخرج اهل الشام يقولون صدق الامير لا يجتمع من شق عصا المسلمين وخالف امير المؤمنين هو وقاتله فى طاعة الله فى الجنة * واما جوره وسفكه الدماء فقد ذكر انه قتل اكثر من مائة الف صبرا آخرهم سعيد ابن جبيل بل جبير وهو الصحيح رضى الله عنه ومات فى حبسه اكثر من عشرين الفا لم يجب على احد منهم حد وكان حبسه بغير سقف ولا ظل صيفا وشتاء وليس فيه مستراح والناس بعضهم على بعض ومر يوما عليهم فاستغاثوا به فقال اخسؤا فيها ولا تكلمون * وقال أبو عمرو بن العلاء كنت اقرأ الامن اغترف غرفة بالفتح وبلغ الحجاج وكان يقرأ بالضم

وقرأت على القاضي أبي الثناء محمود قوله من قصيدة طويلة

كأن غصونا في الرمال يميلها * سحيرا على الانضاء مر صباها
نشاوى على الاكوار من خمرة السرى * وكاس الكرى قد أولعوا بطلاها

وقرأت عليه أيضا قوله

لا تردها على جواها ودعها الآن تهوي بين الوهاد هويا
ان بين الضلوع منها الى الري بعين الزرقاء داء دويا
ضمر كالقسي ترعى بشعب * فوقها كالسهام مرمى قصيا
بلبلتهم كاس السرى فتثنوا * نشوة ما سقوا بها البابليا

وقرأت عليه أيضا قوله

كرر حديث الثنايا فهو أعذب لي * على الظما من رضاب الخرد العرب
فقد سرت نفحة أنشأت نسمتها * فينا فملنا على الاكوار من طرب

وقرأت عليه أيضا

برانا الهوى حتى توهمنا الذي * برانا خيالا في الدجى قد سرى وهنا
كأنا على الاكوار أفنان دوحة * يميلها مر الصبا غصنا غصنا

وقال ابن قلاقس

ولرب خرق جبته بضوامر * لحق الاياطل قادها الاقدام
خوص كأمثال السهام نحافة * فاذا سما خطب فهن سهام
في فتية بيض الوجوه حديثهم * والليل داج صبوة وغرام
عبث الكرى برؤسهم فأمالها * فكأنهم سكرى وليس مدام

وقال أيضا

طرحنا العجز عن أعجاز عيس * نوشحها على الحزم الحزاما
وندفع بالسرى منها قسيا * فنقذف بالنوى منها سهاما

وقال ابن خفاجة

وقدما برتهم قسيا يد السرى * وفوق منها فوقها المجد أسهما

وقال ابن الساعاتي

ولكم رميت حشا الفلاة بأسهم * بعثت حنايا اينق وركائب
من كل منتصب وآخر ساجد * وسنا كما اختلفت أنامل حاسب

قلت هذا التشبيه في غاية الحسن لان أنامل الحاسب واحدة ترتفع وأخرى تنخفض وكذا الركب في وقت السرى اذا غلب عليهم النعاس ترى هذا قد هوى بعد ما ارتفع وهذا قد انتصب بعد ما هوى وقال الشريف الرضي

هن القسي من النحول فان سما * طلب فهن من النجاء الاسهم

قال الثعالبي هذا ما أراه سبق اليه لانه جمع بين القسي والاسهم اه ويعجبني قول ابن حمديس الصقلي

قلاص حناهن الهزال كأنها * حنيات نبع في أكف جواذب

فطلبني فهربت الى واد بصنعاء فأقمت زمانا فسمعت أعرابيا يقول لآخر قد مات الحجاج فقال الاعرابي

ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال

فلم أدر بأي شئ كنت أشد فرحا أبموت الحجاج أم بسماع البيت استشهد به على القراءة (وحكى) بعض القراء قال قرأ الحجاج في سورة هود انه عمل غير صالح فلم يدر أيقول عمل أم عمل فقال ائتوني بقارئ فأتي بي وقد قام من مجلسه فحبست ونسيني الحجاج حتى عرض السجن بعد ستة أشهر فلما انتهى الي قال فيم حبست فقلت في ابن نوح أصلح الله الامير فضحك وأطلقني وحكي أنه أراد سفرا فصعد المنبر فقال اني قد عزمت على السفر وخلفت عليكم ابني محمدا وأوصيته خلاف ما أوصى به العبد الصالح أن لا يتقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم الا واني أعلم انكم تقولون لا أحسن الله له الصحابة ألا واني معجل لكم الصواب بالجواب فاقول لا أحسن الله عليكم الخلافة * وحدث رجل قال هربت من الحجاج حتى مررت بقرية فاجد كلبا نائما في ظل حب فقلت في نفسي ليتني كنت الكلب وكنت

اذا أوردت من زرقة الماء أعينا * وقفن على ارجائها كالحواجب

أخذه الآخر فقال

وقفر شكا فيه جوادي من الظما * ولم ألق فيه منهلا غير ناضب
كأن الفيافي أقسمت لا تدله * على عين ماء أو ترى مثل حاجب

وقال التهامي

وعصابة مال الكرى برؤسهم * ميل الصبا بذوائب الاغصان

قلت ما أحلى قوله عصابة ورؤس وذوائب تكاد ترقص بهذا المعنى الالفاظ والسطور وتحلى بدرره الترائب من الغواني والحور وما أعلم مثله في بديع صناعته غير قول أبي الطيب

على سابح موج المنايا بنحره * غداة كأن النبل في صدره وبل

فانه ناسب فيه بين السابح والموج والوبل ثم ان سابحا هنا مثل قول التهامي وعصابة في أن كلا من اللفظين يخدم في معنيين اما عصابة فأحد معنييها في البيت الرفقة مع قطع النظر عن بقية البيت واذا لمح الرؤس والذوائب كان معناها الثاني ما يشد به الرأس وكذلك سابح أحد معنييه الفرس والثاني اسم فاعل من سبح ولقد تعجبت من هذين البيتين وحسنهما واتقان البديع فيهما وهما اللذان أمنا أن يعززا بثالث لا ما ادعاه الحريري فيما رواه عن الحارث والبيتان اللذان للحريري هما قوله

سم سمة تحمد آثارها * واشكر لمن أعطى ولو سمسمه
والمكر مهما اسطعت لا تأته * لتقتني السودد والمكرمه

ولقد رأيت عدة مقاطيع قد نظمها الشعراء في هذا النمط لما ادعى الحريري هذه الدعوى فيهما ومن أحسن ما علق بذهني من تلك المقاطيع قول القائل

ملأمة الوقعاء يوم الوغى * أحسن من حر أتى ملأمه
فه اذا استجديت عن قول لا * فالحر لا يملأ منه فمه

وقول الآخر

والمس لمهوى الضيف جزل القرى * واصفح عن المسلم والمسلمه
والمهر مهما اسطعت لا تعله * فانه مهما علا مهزمه

وللصاغاني مجالدة في معارضة البيتين رواها الشيخ شرف الدين الدمياطي عنه (رجع) وفي بيت الطغرائي من البديع الجمع مع التقسيم لانه جمعهم في ميل على الاكوار ثم قسمهم فقال منهم من مال من التعب ومنهم من مال من النعاس ومن أمثلة هذا النوع قول أبي الطيب

حتى أقام على أرباض خرشنة * تشقى به الروم والصلبان والبيع
للسبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

وأحسن من هذا قوله صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فابليت أو تصدقت فأمضيت وقيل فأبقيت * ووقف اعرابي على حلقة الحسن رضي الله عنه فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف أو آثر من قوت فقال الحسن ما ترك الرجل منكم أحدا حتى عمه بالمسئلة ومن المجون قول من قال

مستتر بها من خوف الحجاج ومررت ثم عدت من ساعتي فاجد الكلب مقتولا فسالت عنه فقيل جاء أمر الحجاج بقتل الكلاب فعجبت من عموم جوده * وأما حلمه فحكي عنه انه خرج يوما الى ظاهر الكوفة منفردا فرأى رجلا فقال ما تقول في أمير كم قال الحجاج قال نعم قال زعموا أنه من ثمود وكفى بسوء سيرته شرا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فقال الحجاج أتعرفني قال لا قال أنا الحجاج فقال الرجل أتعرفني أيها الامير قال لا قال أنا مولى بني عامر اجن في الشهر ثلاث مرات هذا اليوم أشد الصرع على فضحك من قوله وصفح عنه * وأتي بقوم من أصحاب ابن الاشعث فامر بضرب أعناقهم فقام رجل فقال أيها الامير ان لي عندك يدا قال وما هي قال شتمك رجل بحضرة ابن الاشعث فرددت عنك فقال من يشهد لك فاشار هذا وأشار بيده الى رجل منهم فقال صدق أيها الامير فقال ما منعك أن تفعل كما فعل قال بغضي لك فقال الحجاج أطلقوا هذا ليده عندنا وهذا لصدقه في مثل هذا الوقت * وقال يوما لاحد بن يونس فكرت في أمرك فوجدت دملك ومالك

وبديع الجمال معتدل القا * مة كالغصن حن قلبي اليه
أشتهي أن يكون عندي وفي بيتي وبعضي فيه وكلي عليه

وقرأت على القاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود رحمه الله قوله في كتابه حسن التوسل

واني في نظري نحوها * وقد ودعتني قبيل الفراق
ولا صبر لي فأطيق النوى * ولا طمع ان نأت في التلاق
ولا أمل يرتجى في الرجوع * ولا حكم في رد تلك النياق
كضني يودع روحا غدت * يراها على رغمه في السياق

وقال أبو تمام في الافشين لما أحرق

ناريساور جسمه من حرها * لهب كما عصفرت شق ازار
طارت له شعل يهدم لفحها * أركانه هدما بغير غبار
فصلن منه كل مجمع مفصل * وفعلن فاقرة بكل فقار
صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار
وكذاك أهل النار في الدنيا هم * يوم القيامة جل أهل النار

الشاهد في قوله صلى لها البيت قلت هذا الافشين كان أيام الخليفة المعتصم قائد الجيوش وله صولة عظيمة عند المعتصم ثم انه شق العصا وخرج عليه وعلى الاسلام وكان موصوفا بالنجدة والشجاعة والرأي والخبرة ولما قبض عليه وعلى مازيار وموبذان السغد أحضروا بين يدي الوزير ابن الزيات وأحضر رجلان عريانان فاذا جنوبهما عارية من اللحم وكان اسم الافشين خيذر والافشين لقب لكل من ملك أشروسنة فقال له الوزير ياخيذر أتعرف هذين قال نعم هذا مؤذن وهذا امام مسجد بنياه باشروسنة ضربت كلا منهما ألف سوط لانه كان بيني وبين ملوك السغد عهد أن أترك كل قوم على دينهم وكانا قد وثبا على بيت أصنام فأخرجاها منه وعملاه مسجدا فقال له الوزير فما الكتاب الذي عندك قد زخرفته ورصعته بالجواهر وجعلته في الديباج وفيه الكفر بالله قال هذا كتاب ورثته عن آبائي فيه آداب وحكم من نمط كليله ودمنه آخذ منه الآداب وأدع ماسواه فقال للموبذان ماتقول في هذا قال هذا يأكل المخنوقة ويأمرني بها ويقول لحمها أرطب من المذبوحة وقال اني قد دخلت لهؤلاء القوم في كل ما أكره حتى أكلت الزيت وركبت الجمل ولبست النعل غير أني الى هذا العام لم يسقط عني شعر يعني عانته ثم ان الموبذان بعد هذا أسلم على يد المتوكل ثم قال له الموبذان ياأفشين كيف يكتب اليك أهل مملكتك قال كما كانوا يكتبون الى أبي وجدي ما تفسيره بالعربية الى اله الآلهة من عبيده قال ابن الزيات ما أبقيت لفرعون قال خفت أن يفسدوا على بتغيير ماعهدوه وقدم مازيار فقالوا للافشين هل كاتبت هذا قال لا قال مازيار كتب الى أخوه على لسانه انه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيري وغيرك وغير بابك فاما بابك فقد قتل نفسه بحمقه فان خالفت لم يكن للخليفة من يقوم بحربك غيري ومعي الفرسان وأهل النجدة فان وجهت اليك لم يبق أحد يحاربنا الا ثلاثة العرب والمغاربة والاتراك أما العرب فكالكلب اطرح له كسرة ثم اضربه بالدبوس وأما المغاربة الذئاب فانهم أكلة رؤس غنم وأما الاتراك فانما هي ساعة حتى تنفد سهامهم ثم تجول عليهم جولة فتأتي على آخرهم ويعود الدين الى مالم يزل عليه أيام العجم فقال الافشين هذا يدعي على أخي ولو كنت

حلا فقال أيها الامير أشد ما في القضية أن هذا الرأي بعد الفكر فضحك وعفا عنه وكان عنده يوما بعض ندمائه وقد أدركته سنة فعطس النديم عطسة منكرة ففزع الحجاج وقام منكرا مغضبا وقال ما أردت بهذه العطسة الا أن تروعني فقال أيها الامير والله هذه عادتي فقال والله ان لم تأتني بشاهد على ذلك والا ضربت عنقك فخرج الرجل فوجد بعض أصحابه فقص عليه الامر فقال أنا أشهد لك فدخلا على الحجاج فقال لصاحبه بم تشهد فقال أيها الامير أشهد بانه عطس يوما عطسة وقع منها ضرسه فضحك الحجاج حتى استلقى فقال حسبك وأمر بهما فأخرجا وكان قليل الضحك الا أن يغلب عن نفسه

* وأما فصاحته وبلاغته فمنها خطبته المشهورة المطولة مثل يوم دير الجماجم وغيره وفصوله الموجزة في المكاتبات وعلى المنابر قال مالك بن دينار والله لربما رأيت الحجاج يتكلم على المنبر ويذكر حسن صنعه الى أهل العراق وسوء صنعهم له حتى يخيل لي أنه مظلوم وقال الحسن البصري لقد وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج يقول على هذه الاعواد ان امرأ ذهبت ساعة من عمره في

كنت اليه لم أنكره لأني اذا نصرت أمير المؤمنين بيدي كنت أنصره بالحيلة أحرى لآخذ برقبة هذا فزجره ابن أبي دواد وقال أمختون أنت قال لا قال ما منعك قال خفت التلف قال أنت تلقى الحروب وتخاف من قطع قلفتك قال تلك ضرورة أتصبر عليها وأما القلفة فلا ولا أخرج بها من الاسلام فقال القاضي قد بان لكم أمره فرد الى الحبس ومنع من الطعام والشراب الى أن مات وصلب وأحرق بالنار وهذا اللعين أخزاه الله تعالى أخذ بغتة بغير تعب ويليق به أن يدخل في قوله تعالى ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين بل هو أشد حالة من أصحاب سقر فانه ضرب من عمر مسجدا وأذن وصلى ألف سوط وشق عصا المسلمين وغدر بمن وثق به وخان العهود والايمان ونكث بمن خوله النعم وحكمه على البلاد والجيوش وأراد اطفاء نور الاسلام واظهار عبادة النار وخوطب بالالوهية

الرود راوزي لم تلومه * وما أتى في فعله يبدعه
هل نالك الآمه في دبرها * في الظهر من رمضان يوم الجمعه

لو اتفق لهذا الناظم أن يذكر أن وقوع الفعل كان في مكة شرفها الله تعالى لما كان فات ذلك شيء من الخزي * قيل ان بعضهم كان واقفا بعرفة فرأى انسانا يتضرع وينتحب ويبالغ في الدعاء ويقول بتحرق وتوجع اللهم اغفر لي فقال له يا أخي ان الله تعالى قد من على عباده في هذا اليوم وغفر لأهل عرفة فقال يا أخي دعني فان ذنبي عظيم فقال له هل قتلت أحدا والديك قال لا قال هل وطئت أحدا من محارمك قال لا قال فهل كفرت قال لا قال هل دللت على سرية من سرايا المسلمين قال لا وأخذ يعدد عليه كبائر الذنوب وهو يقول لا قال فما الذي أتيت قال نكحت خنزيرة قال الأمر سهل ان الله يغفر الذنوب جميعا ولكن أخبرني كيف وقفت لك حتى فعلت قال كانت ميتة قال فكيف قام عليك قال مصمصت لسانها فقال لا غفر الله لك ولا تجاوز عنك يا أنحس العالم وهذا الافشين كان المعتصم قد جهزه لمحاربة بابك الخرمي لانه أخاف الاسلام وتغلب على أذربيجان وأراد اظهار ملة المجوس وظهر في أيامه مازيار المذكور القائم بملة المجوس بطبرستان فعظم شأنه وكان المعتصم قد بعث اليه في أول سنة اثنتين وعشرين ومائتين القواد قائدا بعد قائد وفي كل ذلك يهزم بابك الجيوش ويقتل الابطال حتى بعث اليه بالافشين وأطلق يده في الولايات وعقد له لواء على أرمينية وما فتحه من البلاد فاختار الافشين من الجند ما أراد ولم يزل يدبر على بابك الحيلة ويطاوله حتى أمكنته الفرصة فهرب بابك وأخذ أخوه وقرابته وكان بابك قد اختفى بعد هروبه في غيضة ثم خرج منها فالتقى بسهل البطريق فجاء به عنده وبعث الى الافشين يخبره فجاء أصحابه اليه وأحدقوا به وأخذوه وكان المعتصم قد جعل لمن أحضره حيا ألفي ألف درهم ولمن أحضره ميتا ألف ألف درهم فأمر لسهل بألفي ألف درهم وحط عنه خراج عشرين سنة ولما أحضر ليلا ما أمكن المعتصم الصبر الى باكر النهار فاختفى في لباس غريب وتوجه اليه حتى أبصره وكان من شدة تطلعه الى أخباره قد رتب البريد في منازل قريبة حتى كانت تأتيه الاخبار من مسيرة شهر ونصف في يوم ونصف ثم ان المعتصم أمر سنة ثلاث بقتل بابك وأخيه وأحرقهما فأركبوا بابك فيلا مخضوبا بالحناء وألبسوه قباء ديباج وقلنسوة سمور مثل الشربوش وطافوا به ثم قطعت أربعته ثم رأسه ولما قطعت يده

غير ما خلق له لجدير أن تطول حسرته * وخطب يوما فقال أيها الناس اقدعوا هذه الانفس فانها أسأل شيء اذا أعطيت وأعطى شيء اذا سئلت فرحم الله امرأ جعل لنفسه خطاما وزماما فقادها بخطامها الى طاعة الله وعطفها بزمامها عن معصية الله فاني رأيت الصبر عن محارمه أيسر من الصبر على عذابه * وبلغه وفاة أخيه وابنه فصعد المنبر فقال محمدان في يوم أما والله ما كنت أحب أن يكونا معي في الدنيا بما أرجو لهما من ثواب الآخرة وايم الله فيوشكن الباقي منا ومنكم أن يفنى والجديد أن يبلى وسيدال الارض منا لتأكل من لحومنا وتشرب من دمائنا كما كنا من ثمارها وشربنا من أنهارها * وخطب يوما فقال ان الله أمرنا بالعمل وكفانا الرزق فليتنا لو أمرنا بالرزق وكفينا العمل * وقال أيها الناس والله ما أحب أن ما مضى من الدنيا بعمامتي هذه ولما بقي منها أشبه بما مضى من الماء بالماء * ولما قتل عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء فصعد الحجاج المنبر فقال الا ان ابن الزبير كان من أحبار هذه الامة حتى رغب في الخلافة ونازع فيها وخلع طاعة الله واستكن

دالشدمها وجهه فقيل له لاى شئ فعلت هذا قال حتى لا تروا وجهى مصفرا اذا نزف دمى فيظن انى خفت من الموت فقال المعتصم لولا أن جنايته لا توجب الصنيعة لكان أهلا للاستبقاء وقال له أخوه يا بابك فعلت مالم يفعله أحد فاصبر صبرا لم يصبره أحد فقال سوف ترى وفعل مافعل بهما ثم أحرقا فلم يتأوها قط قيل انه قتل مائة وخمسين ألفا * قلت رحم الله المعتصم فلقد كان ذا عزم ومروءة وعصبية لهذا الدين القيم بلغه وهو فى مجلس شرابه أن امرأة هاشمية عند بعض نصارى عمورية وأن نصرانيا من البطارقة لطمها على وجهها فقالت وامعتصماه فقال النصرانى مايجىء اليك الا على الابلق فبلغه فقال انه ختم الكاس التى كانت فى يده واقسم لا يشربها حتى يفك الهاشمية من الاسر ونادى فى عسكره ان يجتهدوا فى ركوب الخيل البلق فيقال انه توجه الى عمورية فى سبعين ألف أبلق ولم يزل بجده واجتهاده حتى فتح عمورية وطلب تلك الهاشمية بعينها فلما حضرت قال لها لبيك لبيك وطلب تلك الكاس المختومة وشربها وصار ركوب الأبلق مثلا * وما أحسن قول كمال الدين بن النبيه فى زجل يمدح به الاشرف موسى من جملته

هات ياساقى الحما * ان نجم الليل غرّب
من يكون البدر ساقيه * كيف لا يشرب ويطرب
أنت والاوتار والكاس * للهموم دوا مجرب
لا تخاف الصبح يهجم * دع يجى ويركب أبلق

ونقلت أنا هذا الى العذار فقلت من جملة زجل

يافؤادى لا تحول * عن هوى ذا الظبى الاحور
اياك أن يطغيك لائم * قال كنك بو تعذر
ماترى كافور خدو * وعليه الخال عنبر
لا تخف صولة عذارو * دع يجى ويركب أبلق

*(فقلت أدعوك للجلى لتنصرنى * وأنت تخذلنى فى الحادث الجلل)*

(اللغة) دعوت فلانا اذا صحت به (الجلى) الامر العظيم وجمعها جلل مثل كبرى وكبر قال جرير

وان دعوت الى جلى ومكرمة * يوما كراما من الاقوام فادعينا

(النصرة) ضد الخذلان فى الحروب وغيرها وهى الاعانة على ما أهم وفى الحديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما وسيأتى الكلام على ذلك خذلته أخذله خذلانا اذا تركت عونه ونصرته (الحادث) الجلل الواقع العظيم من الدهر قال الشاعر

ولئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمى

والجلل أيضا الهين فهو من الاضداد قال امرؤ القيس لما قتل أبوه الا كل شئ ماسواه جلل والمراد به هنا فى كلام الطغرائى الواقع العظيم * ومن الاضداد غابر للذاهب والآتى والجون للابيض والاسود والبين للبعد والقرب والصريم الليل والنهار والناصع الابيض والاسود والامم للعظيم واليسير والناهل للريان والظمآن ووراء بمعنى قدام وخلف وبعت الشئ اذا بعته من غيرك وبعته اشتريته وشعبت الشئ أصلحته وشققته والصارخ للمستغيث والمغيث والساجد للمصلى بالليل والنائم والوهدة الارتفاع والانحدار

بحرم الله ولو كان شيأ مانعا للعصاة لمنع آدم حرمة الجنة لان الله تعالى خلقه بيده وأسجد له ملائكته وأباحه جنته فلما عصاه أخرجه منها بخطيئته وآدم على الله أكرم من ابن الزبير والجنة أعظم حرمة من الكعبة * وخطب يوما فقال أيها الناس من ادعى داء فعندى دواؤه ومن ثقل عليه رأسه وضعت عنه ثقله ان للشيطان طيفا وللسلطان سيفا فمن وضعه ذنبه رفعه صلبه ومن لم تسعه العافية لم تضق عنه الهلكة وأرجف قوم بموته فخرج متحاملا حتى صعد المنبر فقال الان أهل العراق أهل النفاق نفخ الشيطان فى مناخرهم فقالوا مات الحجاج وان مت فمه والله مايرجى الخير الا بعد الموت وما رضى الله تعالى ذكره بالتخليد لاحد من خلقه الا لاخسهم وأهونهم عليه وهو ابليس لعنه الله ولقد سأل سليمان يوما ربه فقال رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى ففعل ثم اضمحل كأن لم يكن أستغفر الله لامير المؤمنين ولى وللمسلمين ثم نزل وكتب الى قتيبة بن مسلم انى نظرت

والتعزير للاكرام والاهانة والتقريظ للمدح والذم وترب للغنى والفقير والاهماد للسرعة في السير والاقامة ٣ والخناديد للخصيان والفحول وعسعس اذا أقبل واذا أدبر والقرء للحيض والطهر ومذهب الشافعي انه للطهر فقط روى ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة والفقهاء السبعة ومالك وربيعة وأحمد رضي الله عنهم وقال علي وعمر وابن مسعود وأبو حنيفة والثوري والاوزاعي وابن أبي ليلى وابن شبرمة واسحق رضي الله عنهم انه الحيض وثمرة معرفة هذا الخلاف ان مدة العدة عند الشافعي رضي الله عنه ومن تابعه أقصر وعند الباقين أطول حتى لو طلقها في حال الطهر حسبت بقية الطهر قرأ وان حاضت عقيبه في الحال فاذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدتها وان طلقها في حال الحيض فاذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدتها وعند أبي حنيفة ومن تابعه فالم تطهر من الحيضة الثالثة ومن الحيضة الرابعة ان كان الطلاق في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدتها ثم ان قالت طهرت لا كثر الحيض تنقضي عدتها قبل الغسل وان طهرت لاقل الحيض لم تنقض عدتها حتى تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء أو يمضي عليها وقت صلاة ومن حجج الشافعي على مذهبه أن الطلاق في زمن الحيض منهي عنه فوجب أن يكون زمان العدة غير زمان الحيض وقول عائشة رضي الله عنها أتدرون ما الاقراء الاقراء الاطهار ولان الاصل أن لا يكون لاحد على أحد منع من التصرفات فاذا جاء أمر بخلاف الاصل كان الزمن الاقل أولى من الاطول والاطهار أقل فالقول بان القرء هو الطهر أولى ومن حجج أبي حنيفة على مذهبه قوله صلى الله عليه وسلم دعي الصلاة أيام أقرائك وقوله صلى الله عليه وسلم طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان واجمعوا على أن عدة الامة نصف عدة الحرة فوجب أن الحرة تعتد بالحيضات والاجماع على أن استبراء الرحم في الجواري المشتريات بالحيضة فكذلك العدة للحرة لان شرع العدة لاستبراء الرحم وأهل اللغة مختلفون في القرء ما هو وقال أبو عبيدة قيل هو من الاضداد وقيل انه حقيقة فيهما كالشفق اسم للحمرة والبياض وقال قوم هو حقيقة في الحيض مجاز في الطهر وقال آخرون بالعكس وقال آخرون هو موضوع بحسب معنى واحد مشترك بين الحيض والطهر والقائلون بهذا القول اختلفوا على ثلاثة أقوال الاول أن القرء هو الاجتماع ثم في وقت الطهر يجتمع الدم في البدن وهو قول الاصمعي والاخفش والفراء والكسائي والقول الثاني قول أبي عبيدة انه عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة والثالث وهو قول أبي عمرو ابن العلاء ان القرء هو الوقت يقال اقرأت النجوم اذا طلعت واقرأت اذا افلت ويقال هذا قرء الرياح لوقت هبوبها فاذا ثبت ان القرء هو الوقت دخل فيه الحيض والطهر لان لكل واحد منهما وقتا معينا وما في ربع العبادات أصعب من مسائل باب الحيض والتيمم ولما اجتاز نجم الدين البادرائي بالموصل رسولا الى حلب سنة سبع واربعين وستمائة سأل الفقهاء الذين بها عن هذه المسألة نظما

أيا فقهاء العصر هل من مخبر * عن امرأة حلت لصاحبها عقدا
اذا طلقت بعد الدخول تربصت * ثلاثة أقراء حدد لها حدا
وان مات عنها زوجها فاعتدادها * بقرء من الاقراء تأتي به فردا

فأجاب عن ذلك تاج الدين بن يونس بقوله

في سني فاذا أنا قد بلغت خمسين سنة وأنت نحو مني في السن وان امرأ قد سار نحو خمسين حجة الى مورد لقمين أن يورده ولما حضرته الوفاة كان يقول اللهم اغفر لي فان الناس يزعمون انك لا تفعل ومات بواسط سنة خمس وتسعين وهي مدينته التي انشاها وكان يوم موته عرس العراق ولم يعلم بموته حتى أشرفت جارية من القصر وهي تبكي وتقول الا ان مطعم الطعام ومفلق الهام قد مات ثم دفن فسمع جر السلاسل من قبره فقال كاتبه رحمك الله أبا محمد ما تدع قراءة القرآن حيا ولا ميتا فضحك الناس من قوله ووقف رجل من أهل دمشق على قبره فقال اللهم لا تحرمنا شفاعة الحجاج وحلف رجل بالطلاق الثلاث من زوجته أن الحجاج من أهل النار فاستفتى طاوس فقال يغفر الله لمن يشاء وما أظنها الا طلقت ويقال انه استفتى الحسن البصري فقال اذهب الى زوجتك وكن معها فان لم يكن الحجاج في النار فما يضركما أنكما في متعة الحرام

وكنا عهدنا النجم يهدى بنوره * فبالك قد ابهم العلم الفردا
سألت نخذعنى فتلك اقيطة * اقرنت برق بعدان نكحت عمدا

(الاعراب) فقلت الفاء للتعقيب اى عقبت طرد الكرى عنه بقولى والمعنى فالتفت الى فقلت له أوفلم يلتفت الى فقلت له وما احسن الفاء التى تكررت فى قول الشنفرى

بعينى من امست فباتت فاصبحت * فقضت أمورا فاستقلت فولت

وابيات ابى ذؤيب الهذلى التى يصف فيها حمر الوحش والصائد على حرف العين المرفوعة ايضا فى هذا الباب مليحة الى الغاية ومن ألطف ماوجدته فى هذا الباب قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

للعاشقين بأحكام الغرام رضا * فلا تكن يافتى بالعذل معترضا
روحى الفداء لاحبابى وان نقضوا * عهد الوفى الذى للعهد مانقضا
قف واستمع راحما أخبار من قتلوا * فمات فى حبهم لم يبلغ الغرضا
رأى فحب فرام الوصل فامتنعوا * فسام صبرا فأعيا نيله فقضى

وظرف نور الدين الاسعردى فى قوله

وأغن كم فى جفنه من قاضب * وقوامه فى لينه كقضيب
لاقيته متبسما من بعدما * قد كنت لا ألقاه غير قطوب
أسقيته راحى فنام فنكته * والفاء فى الحالين للتعقيب

أورد ابن الاثير فى المثل السائر قوله تعالى فحملته فانتبذت به الآيتين وقال فى هاتين الآيتين دليل على أن حملها به ووضعها اياه كانا متقاربين لانه عطف الحمل والانتباذ الى المكان الذى مضت اليه والمخاض الذى هو الطلق بالفاء وهى للفور ولو كانت كغيرها من النساء لعطف بثم التى للتراخى والمهلة ألا ترى أنه قد جاء فى الآى الاخر قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره فلما كان بين تقديره فى البطن واخراجه منه مدة متراخية عطف ذلك بثم * قال ابن أبى الحديد فى الفلك الدائر الفاء ليست للفور بل هى للتعقيب على حسب مايصح اما عقلا أو عادة ولهذا صح ان يقال دخلت البصرة فبغداد وان كان بينهما زمان كثير لكن تعقب دخول هذه دخول تلك على مايمكن يعنى أنه لم يمكث بواسط مثلا سنة أومدة طويلة بل طوى المنازل بعد البصرة ولم يقم بواحدة منها اقامة يخرج بها عن حد السفر الى أن دخل بغداد وهذا الذى يقوله أهل اللغة وأهل الاصول وليست الفاء للفور الحقيقى الذى معناه حصول هذا بعد هذا بغير فصل ولا زمان كما توهمه هذا الرجل ألا ترى الى قوله تعالى لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب فان العذاب متراخ عن الافتراء فلا يدل قوله تعالى فى قصة مريم على ان الحمل والمخاض كانا فى يوم واحد اه (قلت) بحث ابن أبى الحديد متجه والذى قاله ابن الاثير ضعيف وقد اختلف المفسرون فى مدة حملها فقال ابن عباس رضى الله عنهما تسعة أشهر كما فى سائر النساء وقال عطاء وأبو العالية والضحاك سبعة أشهر وقال غيرهم ثمانية أشهر ولم يعش مولود يوضع لثمانية أشهر الا عيسى عليه السلام وقال آخرون ستة أشهر وقال آخرون ثلاث ساعات حملته فى ساعة وصور فى ساعة ووضعته فى ساعة وروى ابن عباس رضى الله عنهما أن مدة الحمل كانت ساعة قال الامام فخر الدين

الرازى

(وقتيبة فتح ماوراء النهر بسعدك)

هو قتيبة بن مسلم بن عمرو الباهلى وكنيته أبو صالح نشأ فى الدولة المروانية وترقى وولى الامارة وفتح الفتوحات العظيمة وعبر الى ماوراء النهر مرارا وابلى فى الكفار * وكان شجاعا جوادا دمث الاخلاق فطنا ولم يكن يعاب الا بانه باهلى وكان أصحابه يمازحونه بذلك ويحتمل ويحلم (حكى) أبو عبيدة قال قدم رجل من بنى سلول على قتيبة بن مسلم بكتاب عامله على الرى وهو المعلى المحاربى فرآه على الباب قدامة بن جعفر وكان صديقا لقتيبة كثير الادلال عليه فدخل على قتيبة فقال بيابك ألام العرب فقال ومن هو قال سلولى رسول محاربى الى باهلى فتبسم قتيبة تبسم غيظ والتفت الى مرداس الاسدى وقال أنشدنى شعر الاقيشر ففهم مرداس مراده فانشده شعر الاقيشر فيه تعريض بقدامة يقول

قلت قم صلى فصلى قاعدا
يتغشاه سمادير السكر

فتغير وجه قدامة فقال قتيبة هذه بتلك والبادى أظلم *ويروى أنه مازح اعرابيا جافيا فقال أيسرك ان تكون مثلى باهليا أميرا

الرازي ويمكن الاستدلال له بوجهين وذكر في الاول ما قاله ابن الاثير وذكر في الثاني أن الله تعالى قال في وصفه ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فثبت ان عيسى عليه السلام لما قال الله له كن كان وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل انما تعقل تلك المدة في حق من يتولد من النطفة اه وقال الامام فخر الدين في الطب الكبير قد عرفت أن الشهر السابع أول شهر يولد فيه الجنين الذى تكون خلقته قوية وزمان تكوينه سريعا وزمان طلبه للخروج سريعا وكثيرا ما يموت المولودون في هذه المدة لانهم يقاسون حركات شديدة في ضعف من الخلقة فان مثل هذا المولود وان كان قويا في الاصل لكنه قريب العهد بالتكون فاما المولود في الشهر الثامن فهو أكثر المولودين هلاكا وبقاؤه حيا نادر جدا فان كان أنثى فبقاؤها أندر فان كان في البلاد الحارة فاندر والسبب فيه أنه لا يخلو حالهم اما أن يكونوا تأخروا في تمام الخلق وطلب الانفصال الى هذا الوقت فهذا يدل على أن قوتهم ما كانت قوية في الاصل فلما جاء ولواحركة الانفصال في أول عهد الاستتمام وقبل كماله ضعفوا أكثر من ضعف من يحاول الانفصال في آخر عهد الاستتمام وكانت قوته قوية في الاصل كالمولودين في السابع فان لم يكونوا كذلك كانت خلقتهم قوية وحركتهم سريعة وطلبهم الانفصال من الام سريعا فيكون مثل هذا الجنين قد رام الانفصال في الشهر السابع وعجز عنه فحينئذ عرض له ما يعرض للضعيف الذى حاول الحركات المخلصة ثم عجز عنها من الاعياء والضعف فيمرض لا محالة وتضعف قوته وتنحل فاذا ولد في الشهر الثامن فقد توالى عليه سببان موجبان للضعف فلا جرم أنه يموت وأما اذا ولد في الشهر التاسع فقد تخلله بين هذين الزمانين زمان طويل زال عنه فيه أثر الضعف فلا جرم أنه يعيش واعلم أن كثيرا ممن يولد في العاشر يكون قد عرض له محاولة الانفصال في التاسع فلم يتيسر له وعرض له ما يعرض في الثامن وقلما لا ما يتفق طلب الانفصال في التاسع ثم يمتد الانتعاش الى العاشر وأما المنجمون فقالوا الجنين يكون في الشهر الاول في تدبير زحل وفي الثاني في تدبير المشترى وهكذا حتى يكون في السابع في تدبير القمر فان ولد فيه عاش لان خلقته قد تمت واستوفت طبائع الكواكب وقواها وأما الشهر الثامن فان زحل يتولاه ثانيا فيستولى عليه البرد والجمود والضعف فان ولد فيه مات وأما التاسع فيتولاه المشترى فيكسب المولود قوة وحرارة وصلاح حال فاذا ولد عاش وأما العاشر فيتولاه المريخ فلا جرم أن يكون الامر كما ذكرنا اه (قلت) كل من الطبيعيين والمنجمين عللوا عدم حياة المولود في الثامن بما ذكروه على ما هو جار على قواعدهم المقررة عندهم وأما كونه تحرك في هذا الوقت المخصوص دون غيره وطلب الانفصال فلم يعللوه ولكن هذا من الادلة على القول بان الفاعل المختار سبحانه وتعالى فعال لما يريد وفي قوله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق أنفسهم رد عظيم على الطبيعيين وأرباب الهيئة والمنجمين ومذهب الشافعية ان أكثر مدة الحمل أربع سنين وأقله ستة أشهر وقد ولد الضحاك بن مزاحم ستة عشر شهرا وشعبة ولد لسنتين وهرم بن سنان ولد لاربع سنين ولذلك سمى هرما ومالك ابن أنس حمل به أكثر من ثلاث سنين والحجاج بن يوسف ولد لثلاثين شهرا يقال انه كان يقول أذكر ليلة ميلادى ويقال ان عبد الملك بن مروان حمل به ستة أشهر والشافعي حمل به أربع سنين أو أقل والحنفية يقولون للشافعية في بسطهم ما جسر امامكم أن يظهر الى الوجود حتى توفى

فقال لا والله قال فتكون باهليا خليفة فقال لا والله ولو ان لى ما طلعت عليه الشمس قال فيسرك أن تكون باهليا وتكون في الجنة فاطرق ثم قال بشرط أن لا يعلم أهل الجنة أنى باهلى فضحك قتيبة من قوله *وكان قتيبة من أكبر الامراء المنتمين الى الحجاج وهو الذى كاتب عبد الملك ابن مروان في أمره حتى ولاه خراسان وذلك أن يزيد بن المهلب كان قد ولى خراسان بعد أبيه وظهرت مناقبه وعظمت آثاره فحسده الحجاج وعمل على عزله وتولية قتيبة وكان مما أكد أمر يزيد عنده ان الحجاج وفد على عبد الملك ثم عاد الى العراق فمر في طريقه بدير فيه راهب عالم بالكتب وعلوم الاول فسأله هل تجدون أمورنا في كتبكم قال نعم قال ما تقول في عبد الملك قال نجده في زماننا الذى نحن فيه قال ومن يقوم بعده قال رجل يسمى الوليد قال فهل تعلم ما الى قال نعم قال فمن يليه قال يزيد قال في حياتى أم بعد مماتى قال لا أعلم فوقع في نفس الحجاج انه يزيد بن المهلب ثم جلس يوما يفكر وعنده عبيد ابن يونس وهو ينكت في الارض فقال له ما الذى بك قال ان أهل الكتب يذكرون

اماما ويجيبهم الشافعية بقولهم بل امامكم ما ثبت لظهور امامنا * ويحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أتى اليه رجل وقال اني تزوجت جارية بكرا ولم أر بها ريبة ثم انها أتت بولد لستة أشهر فقال الولد لك قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال تعالى والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين وعن عمر رضي الله عنه أنه جيء له بامرأة وضعت لستة أشهر فشاور في رجمها فقال ابن عباس رضي الله عنهما ان خاصمتكم بكتاب الله خصمتكم ثم ذكر هاتين الآيتين فكأنما أيقظهم (رجع) والفاء أصل وضعها للترتيب المتصل والترتيب على ضربين ترتيب في المعنى وترتيب في الذكر والمراد بالترتيب في المعنى ان يكون المعطوف بها لاحقا متصلا بلا مهلة كقوله تعالى خلقك فسواك والأكثر كون المعطوف بها متسببا عما قبله كقولك أماته فسال وأقته فقام وأما الترتيب في الذكر فنوعان أحدهما عطف مفصل على مجمل هو هو في المعنى كقولك توضأ فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه ورجليه ومنه قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من أهلي الآية والثاني عطف لمجرد المشاركة في الحكم بحيث يحسن بالواو كقول امرئ القيس بين الدخول فحومل وتختص الفاء بعطف ما لا يصلح كونه صلة على ما هو صلة كقولك الذي يطير فيغضب زيد الذباب فلو جعلت موضع الفاء واوا أو غيرها فقلت الذي يطير ويغضب زيد أو ثم يغضب زيد الذباب لم تجز المسئلة لان يغضب زيد جملة لا عائد فيها على الذي فلا يصلح أن يعطف على الصلة لان شرط ما يعطف على الصلة أن يصلح وقوعه صلة فان كان العطف بالفاء لم يشترط ذلك لانها تجعل ما بعدها مع ما قبلها في حكم جملة واحدة لاشعارها بالسببية كأنما قلت الذي ان يطر يغضب زيد الذباب وقد تقع ثم موقع الفاء كقول الشاعر

كهز الرديني تحت العجاج * جرى في الأنابيب ثم اضطرب

وقد يعطف بالفاء متراخيا كقوله تعالى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى أما التقدير متصل قبله وأما لحمل الفاء على ثم اه كلام بدر الدين بن مالك قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس وقد أورد على كون الفاء للتعقيب والترتيب قوله تعالى وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا وقوله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وبهذه الآية أخذ داود الظاهري في كون الاستعاذة بعد الفراغ من القراءة ولا دليل في ذلك لان تقدير الكلام والله أعلم فاذا أردت القراءة فاستعذ بالله وأما الجواب عن الآية الاولى فيجوز ان تكون الارادة محذوفة فيها أيضا كما كانت محذوفة في الاخرى وتقديره والله أعلم وكم من قرية أردنا اهلاكها وقد أجيب بجواب آخر وهو ان معنى قوله فجاءها بأسنا حكم بمجيء البأس فالحكم متأخر عن الاهلاك فالفاء على بابها اه (قلت) قد تحذف الفاء مع المعطوف بها اذا أمن اللبس وكذلك الواو فمن حذف الفاء قوله تعالى فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم التقدير فامتثلتم فتاب عليكم وقوله تعالى فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر معناه فأفطر فعليه عدة ومن هذا الباب هذا البيت لانه يقدر طردت عنه الكرى فلم يلتفت الي فقلت له ادعوك وهذه الفاء العاطفة على الجواب المحذوف يسميها أرباب المعاني الفاء الفصيحة قال صاحب الكشاف في قوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله تقديره فعملا به وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله وقال صاحب المفتاح هو اخبار عما صنع بهما

أن ما تحت يدي يليه رجل يسمى يزيد واني نظرت في هذا الاسم فذكرت جماعة منهم يزيد بن أبي كبشة ويزيد ابن الحصين ويزيد بن دينار وليس فيهم من يصلح لهذا الامر وما ثم غير يزيد بن المهلب قال فأخلق به فلم يجد شيئا يعزله به فكتب الى عبد الملك بن مروان يذم من يزيد ويقول انه يميل الى آل الزبير فكتب اليه عبد الملك ان ذلك وفاء لآل الزبير من آل المهلب وان وفاءهم لاولئك يدعوهم الى الوفاء لنا فكتب اليه الحجاج يخوفه غدر يزيد وآل المهلب فكتب اليه عبد الملك قد أكثرت في يزيد فسم لي رجلا يصلح لخراسان فسمى له مجاعة بن مسعر ولم يكن يصلح وانما جعل ذلك دهاء منه حتى لا يعرف ميله الى قتيبة ويعلم أن عبد الملك لا يرضى بمجاعة ابن مسعر فكتب اليه عبد الملك يسفه رأيه في مجاعة لم يرض ابن مسعر فسمى له قتيبة بن مسلم فقال وله فولاه وكره أن يواجه ابن المهلب بالعزل فكتب اليه اقدم علي واستخلف أخاك ففعل وعند قدومه سار قتيبة الى خراسان فدخلها وصعد المنبر فسقطت العصا من يده فتطير الناس فأخذها وقال ليس كما ساء الصديق وسر العدو ولكن كما قال الشاعر

وعما قالاه كانه قيل نحن فعلنا الاثناء وهما فعلا الحمد وهذا الباب كثير فى القرآن وهو من جملة فصاحته ولهذا اسماها أرباب المعانى الفاء الفصيحة (رجع) قلت فعل ماض والتاء ضمير الفاعل (أدعوك) فعل مضارع والكاف ضمير المفعول وأصله أأدعوك فحذف همزة الاستفهام كقول الشاعر

فوالله ما أدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

تقديره أبسبع رمين أم بثمان فحذف الهمزة للضرورة والمحذوفة اما التى للاستفهام أو الاصلية على خلاف فى ذلك هربا من استثقال الجمع بين الهمزتين * يقال ان بعض النحاة قال للطبيب يا حكيم أفؤادى يوجعنى فقال له أبطل هذه الهمزة وقد عوفيت من هذا الالم فكيف لو قال له أأدعوك (للعلى) جار ومجرور واللام للتعدية وعلامة الجر كسرة مقدرة على الالف لانه مقصور وموضعه النصب على المفعولية (لتنصرنى) اللام لام كى فهى تنصب الفعل المضارع وتنصرنى فعل مضارع منصوب بلام كى والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وما أحلى قول شرف الدين بن الفارض

نصبا أكسبنى الشوق كما * تكسب الافعال نصبا لام كى

وأحسن منه قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى ومن خطه نقلت

ومستتر من سنى وجهه * بشمس لها ذلك الصدغ فى

كوى القلب منى بلام العذار * فعرفنى أنها لام كى

(وأنت) الواو واو الابتداء وأنت اسم مضمر فى موضع رفع بالابتداء والضمائر كلها مبنية لانها أشبهت الحرف فى الوضع لان الاصل فى الاسماء أن توضع على ثلاثة أحرف فما فوقها ولا يرد باب يد ودم وأخ وأب اذ الاصل يدى ودمو وأخو وأبو وان يكون الحرف الصنائعى على حرف كباء الجر ولامه هذا هو الاصل فى وضع الاسماء والحروف وقد يخرج الاسم عن هذا الاصل فيوضع على حرف واحد وهو الضمائر مثل الهاء والكاف والياء فاذا كان كذلك فقد شابه الاسم الحرف فى الوضع فيعطى حينئذ حكمه فيبنى (فان قلت) اذا قررت ما قررته فباقى الضمائر مثل أنا وفروعه وهو وفروعه على أزيد من حرف (قلت) كما ان الحرف خرج عن أصله فكان منه ما هو على حرفين مثل من وعن وفى وما هو على ثلاثة أحرف مثل على والى وما هو على أربعة أحرف مثل حتى ولكن العاطفة وما هو على خمسة أحرف مثل لكن من اخوات ان كذلك خرج الضمير عن وضعه فكان على حرفين مثل هو وبابه وعلى ثلاثة مثل أنا وأنت فلذا اعتبر الاصل فى وضع الحرف أولا ولا اعتبار بما طرأ عليه واعتبر الضمير فى أصله ولا اعتبار بما تجدد له (فان قلت) فمن أين لك ان الاصل فى الضمائر ان تكون على حرف واحد (قلت) لان الاصل فى وضع الضمائر طلب الاختصار وكونها على حرف واحد أخصر من غيره ولذلك لا يؤتى بالمنفصل مع امكان الاتيان بالمتصل فلا تقول أعطيتك اياه موضع اعطيتكه والضمائر كلها تسعون ضميرا تداخل منها تسعة وعشرون وبقى منها أحد وستون ضميرا أصلها خمسة وهى الياء للمتكلم فقط والتاء للمتكلم والمخاطب والكاف للمخاطب فقط والهاء للغائب والميم للجمع المذكرين وتخلفها النون للجمع المؤنث والدليل على انها تسعون أن الضمير اما مرفوع او منصوب أو مجرور فالاولان يكونان متصلين ومنفصلين والثالث لا يكون الا

فالقت عصاها واستقر بها النوى
كما قر عينا بالاياب المسافر

ثم وثب قتيبة ليغزو ما وراء النهر فجمع جيوشه فخطبهم خطبة بليغة فقطع النهر فتلقاه من الطالقان رسل الملوك وهداياهم وأولهم صاحب طخارستان وهو من ملوك الترك وأرسل اليه مفتاح بلده وغير ذلك من الهدايا فصالحه وأقام قتيبة على بلخ لان بعضها كان عاصيا عليه فقاتل أهلها وسباهم وكان فيمن سبى امرأة برمك جد البرامكة فصارت الى عبد الله بن مسلم أخى قتيبة فواقعها فيقال انها حملت منه بخالد وقيل كانت حاملا به * ثم غزا قتيبة بيكند وهى أدنى مدائن بخارى الى النهر ويقال لها مدينة التجار وهى على رأس المفازة من بخارى فلما نزل بهم استنصروا بالصغد واستمدوا من حولهم فأتوهم فى جمع كثير وأخذوا على قتيبة الطرق والمضايق فلم يصل اليه رسول ولا قدر على انفاذ رسول مدة شهر وأبطأ على الحجاج خبره فأشفق عليه وعلى من معه من المسلمين فأمر الناس بالدعاء وكتب بذلك الى الامصار وأقام قتيبة يقاتلهم كل يوم وكان لقتيبة عين فيهم يقال له بنذر

منصـلا فذلك خمسة تضرب فى ثلاثة تـكلم وخطاب وغيبة فتلك خمسـة عشر تضرب فى ثلاثة مفرد ومثنى ومجموع فتلك خمسة واربعون تضرب فى اثنين مذكر ومؤنث فتلك تسعون سمع المازنى قرقرة من بطن انسان فقال هذه ضرطة مضمرة (رجـع) تخذلنى فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم ورفعـه ضـمة اللام والنون نون الوقاية والياء ضـمير المفعول والجـلة فى موضع الخبر لانت (فى الحادث) جار ومجـرور فى موضع نصب لانه ظـرف لتخذلنى تقـديره تخذلنى وقت الحـادث (الجال) مجرور على انه صفة للحادث وقد تبعـه فى افراده وتذكيره وتعريفه وجره وقوله أدعوك الى آخر البيت فى موضع النصب بقلت (المعنى) فقلت له مستفهما أدعوك للامر العظـيم طالبا نصرتك وأنت تخذلنى فى مثل هذا الحادث العظـيم وهـذا استفهام ومعناه التوبيخ كقـوله تعـالى اذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس الآية لكن الاسـتفهام هنا للمسيح صـلوات الله عليه والتوبيخ للنصارى والاستفهام هنا من المسيح أبلغ من الاسـتفهام من النصارى لانه يحتـمل انهم يقولون نعم كذا قال فيرجع الى المسيح صلوات الله وسلامه عليه ويستفهم منه فابتدئ بالاستفهام منه فى أول الامر

يرى الامر يفضى الى آخر * فيجعل آخره أولا

وفى الاسـتفهام منه فائدة أخرى وهى أنه عليه الصلاة والسلام قال ما قلت لهم الا ما أمرتنى به فكان أبلغ فى توبيخهم فى الموقف بين العالمين وفى قوله ما قلت لهم الا ما أمرتنى به فائدة لانه لو قال لم أقل لهم ذلك لاحتيج أن يقال له فما الذى قلت لهـم فعـلم المقصود وأجاب عما يقال له فيما بعد ومثله قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن ماء البحر هو الطهور ماؤه الحل ميتته علما بانه صلى الله عليه وسلم يسـئل فيما بعد ذلك عن السمك وفى قوله الا ما أمرتنى به دون ما قلت لهم الا أن اعبـدوا الله دليل على اعترافه بالعبودية وانه مأمور فى أقواله وأفعاله لئلا يتوهم انه فعل ذلك وقاله تبرعا ويفهم هذا من قوله ربى وربكم فانه اعترف على نفسه لله تعالى بالربوبية قبلهم وفى قوله تعالى وأنت على كل شئ شهيد حكـمة أخرى ترفع وهم من يتوهـم أنه كان الشهيد عليهم لما كان بين ظهرانيهم دون الله تعالى وانه لما غاب عنهم تولى الله الشهادة عليهم فقال وأنت على كل شئ شـهيد أى فى الحالتين حالة وجودى بين ظهرانيهم وحال غيبتى عنـهم وبالجملة فهذه القصـة يحتـمل الكلام عليها مجلدا لطيفا فانها قد تضمنت من البلاغة والحكم ما يعجز المتكلمون عن استغراق ذلك واستخـراج جواهره واستنباط معانيه قل لو كان البحر مـدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثـله مددا فسبحان من أنزله هدى ورحمة (رجـع الى قول الطغرائى) أقول قد جبلت النفوس الابية على تحقيق الظنون بها وتصديق الامل فيها والرجاء فيـما يطلب منها من نصرة واعانة وازالة ضرورة وسـد خلة وانواء وذب وغير ذلك والنفوس اللئيـمة بخلاف ذلك تـكذب الظنون فيها وحسن الظن بالله أمر واجب قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم حاكيا عن ربه عز وجل أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى خيرا وقال صلى الله عليه وسـلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى ونقل عن أحـد اهل البيت رضى الله عنهم أنه لما احتضر قال لولده يا بنى اقرأ على الرخص لاموت وأنا أحسن الظن بالله تعالى وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه حسن الظن بالله أن لا ترجو الا الله تعالى ولا تخاف الا ذنبك * أنشـدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام الاديب الكاتب

أعجمى فـدفع اليـه أهل بخارى مالا على أن يدفع قتيبة عنهم فأباه فقال أخلنى فأخلى المجلس فقال قد عزل الحجاج عن العـراق وهـذا عامل جـديد يقـدم عليك فارجع بالناس الى مرو وكان عند قتيبة ضرار الضبى فقال قتيبة لغـلامه اقتـل بنـدر فضرب عنقـه فقـال لضرار والله ائن علم أحـد بهـذا الحـديث قبل ان يقضى حربنا لالحقنك به فان انتشار مثل هذا الحديث يفت فى أعضاد المسلمين ثم أصبح الناس على راياتهم وانكروا قتل بندر وقالوا كان ناصحا للمسلمين فقال قتيبة ظهر لى غشه فأخـذه الله بذنبـه ثم تقـدم فقـاتل وأنزل الله النصر على المسلمين فهزموهم وفتح قتيبة أكنافهم ووصل الى بيكند ففتحها عنوة وأصاب بها من الاموال والجواهر مالم يصـبه فى بلد آخر وكان بها صنم من ذهب فاذابوه فخرج منـه مائة ألف وخمسون ألف مثقال من الذهب وكتب الى الحجاج بالفتح ثم توجه الى سجستان فارسل اليه صاحبها فصالحه ثم توجه الى خوارزم وكان صاحبها قد راسله سرا خوفا من أخيه الخارج عليه فصالحه وسلم اليـه أخاه لانه كان شرط عليـه ذلك

القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود ومن خطه نقلت

قيل ما أعددت للعيش فقد جئت محله
قلت أعددت مع التو * حيد حسن الظن بالله

وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس

فقري لمعروف فلك المعروف يغنيني * يا من أرجيه والتقصير يرجيني
ان أوثقتني الخطايا عن مدى شرف * نجا بادراكه الناجون من دوني
أوغص من امل ماساء من عملي * فان لي حسن ظن فيك يكفيني

ويتعين على ذوي المروآت احتمال الاذى والضرر في تصديق أمل الآمل وتحقيق رجائه وايصاله الى مآربه وتبليغه مقاصده قال أبو الطيب المتنبي

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

قيل ان الصاحب جمال الدين بن مطروح كتب الى بعض الرؤساء رقعة على يد صديق له يشفع فيها عنده فكتب له ذلك الرئيس هذا الأمر على فيه مشقة فكتب ابن مطروح جوابه لولا المشقة فلما وقف عليها ذلك الرئيس فهم الاشارة الى قول المتنبي وقضى المصلحة*وسأل أبو الأسود الدؤلي معاوية في أمر فوضع معاوية يده على أنفه فضرب أبو الاسود يده وقال والله لا تسودفينا حتى تصبر على محادثة الشيوخ البخر*وفي معنى قول أبي الطيب قول مسلم بن الوليد

أبا سهل ان الجود خير مغبة * وأكرم ما يأتي به القول والفعل
وما الفضل والمعروف فيما هويته * ولكنه فيما كرهت هو الفضل

وقول مهيار الديلمي

وأكره كل معتذر المساعي * الى التقصير نال فما أنالا
اذا نشأت سحائبه بوعد * أهب قنوطه ريحا شمالا
وليس أخوك الامن تحط الامور به فيحملها ثقالا

ومن الكلم النوابغ محك المودة والاخاء حال الشدة لا الرخاء ولهذا قيل

دعوى الاخاء على الرخاء كثيرة * ومع الشدائد تعرف الاخوان

قيل ان يوسف عليه السلام كتب على باب السجن لما خرج منه هذا قبر الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ولله در يزيد بن المهلب من ذي مروءة وسخاء وتصديق أمل فانه كان في حبس الحجاج يعذب فدخل عليه يزيد بن الحكم وقد حل نجم مما كان عليه وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له

أصبح في قيدك السماحة والجود وفضل السلاح والحسب
لا بطر ان تتابعت نعم * وصابر في البلاء محتسب
أحرزت سبق الجياد في مهل * وقصرت دون سعيك العرب

فالتفت يزيد الى مولى له وقال له أعطه نجم هذا الاسبوع ونصبر على العذاب الى السبت الآخر وقد روى صاحب الاغاني هذه الابيات لحمزة بن بيض مع يزيد المذكور وقال فقال له يزيد والله يا حمزة لقد أسأت اذ نوهت باسمي في غير وقته ولا يترك لك ثم رفع مصلاه ورمى اليه

ثم توجه الى سمرقند فقاتل وثلم السور فصالحوا الصلح فصالحهم على ألفي ألف ومائتي ألف في كل سنة وعلى ان يعطوه ثلاثين ألف رأس ليس فيهم طفل ولا شيخ وعلى ان يخلوا المدينة لقتيبة ويخرجوا منها المقاتلة ويدخلها قتيبة ويبني بها مسجدا ويصلي فيه ويخطب ويتغدى ويخرج منها فاجابوه الى ذلك فقال ابعثوا الناما صالحنا كم عليه فبعثوا اليه بالمال والرؤس فقال قتيبة الآن ذلوا حين صار اولادهم واخوانهم في ايدينا ثم بنوا جامعا ونصبوا منبرا واخلوا المدينة وانتخب قتيبة من اراده من فرسانه ودخلها فاتى المسجد فصلى وخطب ثم تغدى وارسل الى اهلها لست بخارج منها فخذوا ما اعطيتمونا وكان قتيبة يعير بالغدر باهل سمرقند ثم حرق الاصنام وبيوت النيران ووجد جارية من بنات يزدجرد فقال قتيبة اترى ابن هذه يكون هجينا فقالت نعم من قبل ابيه فارسل بها الى الحجاج فبعث بها الى الوليد ابن عبد الملك فولدت له يزيد ثم غزا قتيبة الصين وكاشغر فبعث اليه ملك الصين ابعث لنا رجلا من قومك نساله عن دينكم فانتدب له

بخرقة مصرورة وعليه صاحب خبر واقف وقال خذ هذا الدينار والله ما أملك ذهبا غيره فأخذه حمزة وأراد أن يرده فقال له سر اخذه ولا تخدع فيه والله ما هو بدينار قال فخرجت فقال لى صاحب الخبر ما أعطاك يزيد فقلت أعطانى دينارا وأردت ان أرده عليه فاستحييت فلما صرت الى منزلى حللت الصرة فاذا فص ياقوت كأنه سقط زند فخرجت الى خراسان فبعته من رجل يهودى بثلاثين ألفا فلما بعته وقبضت المال وصار فى يدى قال والله لو ابيت الا بخمسين ألفا لأخذته ثم انه دفع الى مائة دينار زيادة على أن الانسان يتعين عليه التفرس أولا والتكهن ليختار لحاجته من ينهض بحملها ويقوم بكلها حتى تنزل من جانبه بالرحب ويتلقاها بالبشر ويكون بها كفيلا قال أبو الطيب

ولم أرج الا أهل ذاك ومن يرد * مواطر من غير السحائب يظلم

والا فيكون قد أخطأ فى التأميل قبل التأمل وأضاع الفراسة قبل الافتراس والناس يختلفون فى الهمم ويتفاوتون فى القيم قال أبو الطيب

ما كل من طلب المعالى نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا

وقال الآخر

أملتهم ثم تأملتهم * فلاح لى أن ليس فيهم فلاح

وقال ابن نباتة السعدى من أبيات

ولكنما سامرت أحلام نائم * وحاورت وسنانا ينام وأسهر
يفكر لما جئت مستصرخا به * ولا يصرخ المكروب من يتفكر

وقد أخذ المعنى فى الاصل من قول الحماسى

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا

وما يبعد قول الطغرائى من قول الارجانى

فان يك أعدائى على تناصروا * فما هو الا من تخاذل اخوانى
ولم أدع للعلى صديقا أجابنى * ولم أرض خلا للوداد فأرضانى

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الخياط

أعينا على وجدى فليس بنافع * اخاؤكما خلا اذا لم تعيناه
أما سببة أن تخذلا ذا صبابة * دعا وجده الشوق القديم فلباه

وقال الآخر

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * نعم صدقوا ولكن من ودادى
وقالوا قد سعينا كل سعى * لقد صدقوا ولكن فى فسادى

وقال ابن الرومى

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * سهام العدا عنى فكنتم نصالها
وقد كنت أرجو منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها
فان كنتم لم تحفظوا لمودتى * زماما فكونوا لا عليها ولا لها

دفوا

عشرة من اشراف القبائل لهم هيبة وجمال فدخلوا عليه وعليهم ثياب رقيقة فلم يكلمهم احد فنهضوا ثم دخلوا عليه فى اليوم الثانى وعليهم البيض والمغافر والسلاح كأنهم الجبال فسأل الملك أحدهم عن صنيعهم امس واليوم فقالوا ذاك لباسنا فى أهلنا وهذا فى حربنا فقال انصرفوا الى صاحبكم وقولوا له ينصرف فقد عرفت قلة أصحابه والا بعثت له من يهلكه ومن معه فقالوا كيف تقول هذا لمن أول خيله فى بلادك وآخرها فى منابت الزيتون يعنون الشام وقد غزاك فى بلادك ودوخها وقدسى وهو فى طلبك لا ترد له راية ولا غاية قال وما الذى يريد قال انه أقسم أن لا يرجع حتى يطأ أرضك ويختم على أعناق أولاد الملوك ويأخذ الجزية قال الملك ونحن نبر قسمه ثم دعا بصحاف من ذهب وجعل فيها من تراب قصره ودعا بأربعة من أولاد الملوك وبعث مالا كثيرا وقال ليطأ هذا التراب ويختم على هذه الغلمة ويأخذ منا المال ففعل قتيبة ذلك وقر عليهم مالا ومضى وقد أذعنت له عمال الشام وراء النهر واشتهرت فتوحاته حتى سمع معبد المغنى انه فتح سبعة حصون

قفوا وقفة المعذور عني بمعزل * وخلوا نبالى للعدا ونبالها

وقال آخر

وكنت أخي باخاء الزمان * فلما انقضى صرت حربا عوانا
وكنت أعدك للنائبات * فها أنا أطلب منك الامانا

وقال آخر

أيا مولاى صرت قذى لعيني * وستيرا بين جفني والمنام
وكنت من الحوادث لى عياذا * فصرت من المصيبات العظام

وقال الارجاني

ترجع الايام فيما وهبت * لؤم طبع ومتى كانت كراما
كم أناس خلتهم لى جنة * يوم روع فغدوا فى سهاما

كتب المعتمد بن عباد الى ابن عمار الاندلسى

وزهدنى فى الناس معرفتى بهم * وطول اختبارى صاحبا بعد صاحب
فلم ترنى الايام خلا تسرنى * مباديه الا ساءنى فى العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة * من الدهر الا كان احدى النوائب

فاجابه ابن عمار

فديتك لا تزهد فثم بقية * سترغب فيها عند وقع المصائب
فأبق على الخلصان ان لديهم * على البدء كرات بحسن العواقب
ولو لمعت لى من سمائك برقة * ركبت الى مغناك هوج السحائب
فقبلت من يمناك أعذب مورد * وقضيت من لقياك آكد واجب

ذكرت بقول المعتمد فلم ترنى الايام البيت قول بعض أهل العصر فى الشيخ صدر الدين بن الوكيل فانه كان يقبل أول الامر فى الصحبة ثم يستحيل فى الآخر

ودادا بن الوكيل له شبيه * بلباد بن خاق فى المسالك
فاوله حلى ثم طيب * وآخره زجاج مع لوالك

ويشبه هذا قول الآخر فى هجو شريف

يا مشبه الكشك أجداد مطهرة * ويستحيل الى داء وتخليط
ما أنت الا كبيس التمر أوله * عذب وآخره يدعى بقلوط

يقال ان جالينوس قال فى الكشك أبوان كريمان أنجبا لئيما وما أحسن قول الآخر يهجو من أبوه شريف

ان فاتنى بأبيه * فلم يفتنى بامه
أورام هجوى ظلما * سكت عن نصف شتمه

وهو مأخوذ من قول عنترة العبسى

انى امرؤ من خير عبس منصبا * نصفى وأحمى سائرى بالمنصل

وهذا البيت يؤيد قول من لحن الناس فى اطلاقهم سائرا على معنى الجميع وانما هو بمعنى الباقى فمن قال قدم سائر الحاج ويريد جميعهم فقد لحن وأنشد الحريرى فى درة الغواص

في المشرق لا يرتقى اليها فصنع سبعة أصوات صعبة المأخذ وسماها مدن معبد معارضة لقتيبة * وأقام قتيبة بالمشرق واليا عليه ثلاث عشرة سنة عظيم الرتبة مرهوب الجانب وكان شرف بيته ثم عمل على خلع سليمان بن عبد الملك لما سمع انه عازم على ولاية يزيد بن المهلب (حكى) الجاحظ قال لما بلغ قتيبة ان سليمان يريد عزله عن خراسان كتب اليه ثلاث صحائف وقال للرسول ادفع اليه هذه فان دفعها الى يزيد بن المهلب فادفع اليه هذه فان شتمنى فادفع اليه الثالثة فلما دفع له الكتاب الاول اذ فيه يا أمير المؤمنين ان بلائى فى طاعتك وطاعة أبيك كيت وكيت فدفعه الى يزيد فدفع اليه الرسول الكتاب الثانى وفيه يقول عجبا كيف تأمن ابن رجمة على أسرارك ولم يكن أبوه يأمنه على أمهات أولاده يعنى يزيد بن المهلب فشتم قتيبة فدفع اليه الثالث وفيه من قتيبة الى سليمان أما بعد والله لاوثقن لك اخية لا ينزعها المهر الارن فقال سليمان جددوا له عهدا على عمله ثم فسدت على قتيبة بطانته فقتلوه فى خلافة سليمان وقام العز الفى المشرق عليه وقال رجل من الاعاجم يا معشر العرب قتلتم قتيبة

شاهدا على هذه الدعوى قول الشاعر

ترى الثور فيها يدخل الظل رأسه * وسائره باد الى الشمس أجمع

وغالب الناس لا يكاد يسلم من هذا اللحن على أن صاحب الصحاح قال وسائر الناس جميعهم وتساب شريف هو وآخر فقال الشريف ما تقول فى وأنت لا تتم صلاتك الا بالصلاة على وعلى آبائى وأجدادى فقال له والله انى أسلك من بينهم كما تسل الشعرة من العجين لانى أقول اللهم صل على محمد وعلى آل محمد الطيبين الطاهرين (رجع) قال علقمة بن لبيد العطاردى لابنه يابنى ان نزعت بك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من ان صحبته زانك وان أصابتك خصاصة مانك وان قلت سدد قولك وان صلت شدد صولك وان مددت يدك بفضل مدها وان بدت منك ثلمة سدها وان رأى منك حسنة عدها وان سألته أعطاك وان سكت عنه ابتداك وان نزلت بك احدى الملمات واساك من لا تأتيك منه البوائق ولا تختلف عليك منه الطرائق ولا يخذلك عند الحقائق * ذكر صاحب الاغانى فى اخبار علوية أن من جملتها انه دخل على المأمون وعنده جماعة من المغنين وهو يرقص ويصفق ويغنى ويقول

عذيرى من الانسان لاان جفوته * صفا لى ولاان صرت طوع يديه

وانى لمشتاق الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

فسمع المغنون والمأمون منه ما لم يعرفوه واستظرفه المأمون وقال ادن يا علوية ورده فردده عليه سبع مرات فقال المأمون فى الآخرة يا علوية خذ الخلافة واعطنى هذا الصاحب (قلت) وما صاحب يبذل فيه الخلافة المامون فى سعة الملك وابهته وصفاء الوقت من الاكدار الا أعز من الكبريت الاحمر بل ما خلقه الله ولا أوجده (ذكرت) بوصية علقمة لولده قول الفضل بن عبد الرحمن لرقية بنت عتبة بن ابى لهب انظرى لى امرأة معروفة النسب كريمة الحسب فائقة الجمال مليحة الدلال اذ قعدت أشرفت وان قامت اضعفت وان مشت ترقرقت تروع من بعيد وتفتن من قريب تسر من عاشرت وتكرم من جاورت وتبذ من فاخرت ودودا ولودا لا تعرف اهلها ولا تسر الا بعلها فقالت له يا ابن العم اخطب هذه من ربك فى الآخرة فانك لا تجدها فى الدنيا * وقال ابو موسى المكفوف لنخاس اطلب لى حمارا ليس بالصغير المحتقر ولا بالكبير المشتهر ان خلا الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصدم بى السوارى ولا يدخلنى تحت البوارى اذا كثرت علفه شكر وان قللته صبر وان ركبته هام وان ركبه غيرى نام فقال له النخاس اصبر أعزك الله عسى ان يمسخ الله القاضى حمارا فتصيب حاجتك (رجع) وعلى الصحيح فالكمال معدوم الا فى الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا بد فى الانسان من لو ولولا ومن كانت ماهيته متضادة فالنقص فيه أولى والاعتدال بعيد من المركب وما سالك الصواب صديق الاوينكب فلا تغتر برأى الرجال المهذب

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

قال الحريرى

ولو انتقدت بنى الزما * ن وجدت اكثرهم سقط

قال بعضهم لو انصف الحريرى لقال كلهم فالبس أخاك على علاته واغتفر لبعض صوابه جل زلاته وقد هون الامر فى الصحبة مؤيد الدين الطغرائى فى قوله

والله لو كان فينا الجعل ناه فى تابوت واستنجنا به غزونا ولقتيبة أخبار وألفاظ تدل على غزارة علمه وعقله وفصاحته كتب اليه الحجاج انى قد طلقت بنت قطن الهلالية عن غير ريبة فتزوجها فكتب اليه ليس كل مطالع الامير أحب ان اطلع فقال الحجاج ويل ام قتيبة اعجابا بقوله وكتب عبد الملك بن مروان الى الحجاج أنت قدح ابن مقبل فلم يدر الحجاج ما أراد فسأل قتيبة وكان عالما برواية الشعر فقال قتيبة ان ابن مقبل نعت قدحا له فقال

غدا وهو مجدول فراح كأنه * من المس والتقليب بالكف أفطح

اذا امتحنته من معد قبيلة * غدا ربه قبل المفيضين يقدح

يصف هذا القدح وهو السهم الذى يستقسم به على عادة العرب فى الميسر وهو اصطلاح على نوع من أنواع القمار معروف فيقول ان هذا القدح لكثرة فوزه وخروجه دون اقداح الجماعة بكثرة تقليبه والتعجب منه يقدح صاحبه النار قبل خروجه ثقة بفوزه وقال قتيبة ان هذا القدح فاز سبعين مرة لم يخب مخاطرة واحدة حتى ضرب به المثل * ولما دخل قتيبة خراسان

اخالك اخالك فيه واجل ذخر * اذا نابتك نائبة الزمان
وان زادت اساءته فهبها * لما فيه من الشيم الحسان
تريد مهذبا لاعيب فيه * وهل عود يفوح بلا دخان

وقال ابضا وان لم يكن من الباب

غائظا صديقك تكشف عن ضمائره * وتهتك الستر عن محجوب أسرار
فالعود ينبيك عن مكنون باطنه * دخانه حين تلقيه على النار

وقلت انا في شرط الصحبة

صديقك مهما جئ غطه * ولا تخف شيأ اذا أحسنا
وكن كالظلام مع النار اذ * يوارى الدخان ويبدى السنا

وكانى بالطغرائى وقد جوهذا الصاحب فانجزم وطلب اقباله على النصرة له فانهزم وسامه الوقوع على المساعدة فتعلى ورام النجدة منه فقر أعبس وتولى* سأل أبو جعفر المنصور بعض الخوارج فقال أخبرني أي أصحابي كان أشد اقداما في مبارزتك فقال ما أعرف وجوههم ولكن أعرف أقفاءهم فقل لهم يدبروا أعرفك بهم* وأخذ ابن الرومي هذا المعنى وزاده وزنا فقال

قرن سليمان قد أضربه * شوق الى وجهه سيتلفه
كم يعد القرن باللقاء وكم * يكذب في وعده ويخلفه
لا يعرف القرن وجهه ويرى * قفاه من فرسخ فيعرفه

ذ كرت بالقفا قول أبي الفضل الميكالي

لنا صديق يجيد لقما * راحتنا في أذى قفاه
ماذاق من كسبه ولكن * أذى قفاه أذاق فاه

وذ كرت بالصفع هنا ما حكي عن شرف الدين بن الشيرجي وكان أحمى وشهاب الدين التلعفري من أنهما اجتمعا في ليلة أنس عند الناصر فاتفق أن قام شرف الدين الى الطهارة وعاد فامره الناصر بالاشارة ان يصفع التلعفري فلما صفعه امسك التلعفري بذقن شرف الدين وانشد ويده في ذقنه لم يفلتها

قد صفعنا في ذا المحل الشريف * وهو ان كنت ترتضي تشريفي
فارث للعبد من مصيف صقاع * يا ربيع الندى والاخريف ى في

قلت تأمل هذا النظم ما الطفه وما أحسن مقدمه ومصرفه وهذه التورية التي اتفقت له بديها وساعده اللطف الزائد فيها وكانى بذقن الشيرجي وهي في يد ذلك الحريف وقد ذكر الربيع والمصيف وختم بالخريف هذا وكونه قال في وسكت أحلى ما سمع من النكت ولو كمل ما بقي له هذه الحلاوة والاشارة أبلغ عند ذى اللب من العبارة لذى الغباوة فارعها السمع واضحك الى أن تشرق العين بالدمع فما كل من ندب ندر ولا كل من خبر خبر وقد رأيت البيتين في ديوان الاسعردي ومثل هذه الاشارة قول الآخر

أباجعفر لست بالمنصف * ومثلك من قال قولا يفي
فان أنت أنجزت لي موعدى * والا هجوت وادخلت في

قام اليه بعض الشعراء وأنشد يقول
شد العصاب على البرى وما جنى
حتى يكون لغيره تنكيلا
والجهل في بعض الامور وان غلا
مستخرج للجاهلين عقولا
فقال قتيبة قبحك الله من مشير والله لا أقمت معي في بلد ثم أخرجه من خراسان* ونظر في بعض مغازيه الى رجل من الازد معه ترس من جلد بعير قد تشعب من جميع نواحيه فقال يا أخا الازد ترس ابن أبي ربيعة خير من ترسك يريد قول عمر بن أبي ربيعة في قصيدته المشهورة
وقد تستر بنسوة من الحي
فكان مجني دون من كنت أتقي
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
فقال الرجل أيها الامير هذا المجن أوفى من ذلك المجن* ومن كلام قتيبة لا تستعن على من تطلب اليه حاجة بمن له عنده طمع فانه لا يؤثرك على نفسه ولا بكذاب فانه يقرب لك البعيد ويبعد القريب ولا بأحمق فانه ربما أراد نفعك فضرك *ومر يوما بكناسة فيها عظام وأقذار فقال ان الذى يبخل بما يصير آخره الى هذا لبخيل

(والمهلب أوهن شوكة الازارقة بيدك وفرق ذات بينهم بكيدك)

هو المهلب بن أبي صفرة واسمه ظالم بن سراق بن صبح الازدي العتكي البصري أمير كبير مشهور الذكر شجاع جواد نشأ في دولة آل أبي سفيان ثم أمره مصعب ابن الزبير على البصرة نيابة عنه في أيام أخيه عبد الله بن الزبير ثم ولاه عبد الله خراسان وقتل الخوارج واستمر على ذلك الى أن مات في زمن الحجاج في سنة ثلاث وثمانين من الهجرة وهو أول من اتخذ الركب الحديد وكانت قبل ذلك من الخشب * وكان يقال ساد الاحنف بحلمه ومالك ابن مسمع بمحبته للعشيرة وقتيبة بدهائه وساد المهلب بهذه الخلال جميعها وسيأتي في آخر الترجمة نبذ من أخباره وألفاظه * فاما الازارقة فهم الخوارج القائلون بمذهب نافع بن عبد الله بن الازرق الخارجي خرجوا معه من البصرة والاهواز وغيرها من بلاد فارس واتبعوه وعظمت شوكتهم وتملكوا الامصار وكانت له آراء ومذاهب دانوا بها معه منها انه كفر عليا كرم الله وجهه بسبب التحكيم المشهور وقال أنزل الله في حقه ومن الناس من يعجبك قوله

وقد علم الناس ما بعده * فغطا الحديث ولا تكشف

وقد ذكر بعضهم ايضا حال المجرور في هذا البيت

مكان أقت به تسعة * واخرجت منه بلطف خفي

وعلى ذكر الصفع قيل ان صبيا قال ليهودي قف يا عمي حتى أصفعك فقال له اليهودي انا مستعجل ولكن اصفع اخي عني * أنشدني لنفسه الشيخ ابراهيم بن علام النوري المعمار

سألته في صفعة قال لي * جناية الصفعة ما منه بد
صاع من التمر أحلي به * قلت نعم أعطيك صاعا ومد

وقال أيضا

ومفنن يهوى الصفا * ع ولم يكن اذذاك فني
سلمته عنق الدقيق * فراح يخله بجفن
ما ان اذنت له رضا * لكنه من خلف اذني
لولا يد سبقت له * لأمرته بالكف عني

وأنشدني أيضا لنفسه

وصاحب أنزل بي صفعة * فاغتظت اذضيع لي حرمتي
وقال في ظهرك جاءت يدي * فقلت لا والعهد في رقبتي

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

يحتاج ذا التاج من رصعه * بدرة تحت دالها كسره
فمن يرى عنقه الطويل ولا * ينزل فيه يموت بالحسره

وقال ابن دانيال في البرهان وقد صفع وهو أرمد

صفع البرهان ومارجا * فبكى من بعد الدمع دما
قد كان شكا رمدا صعبا * فازداد بذاك الصفع عمى
نزلوا سحرا في ساحله * فرأى الاصباح بهم ظلما
من كل فتى بالصفع بدا * مثل القصار اذا احتزما
فسقاه بها صرفا سبعا * وسقاه بها سبعين بما

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب أيضا

وما انساه في التنيروزلما * تأمر والامارة فيه تكفي
وقد داومت اليه كل كف * رات ذاك القذال بكل خف
فطرز عنقه بالصفع منا * وما انموذج التطريز يخفي

وما استعمل التطريز احد أحسن من هذا خصوصا وقد رشحه بقوله يخفي وقلت انا في ذلك

ورب صديق غاظه حين جاءه * من القوم صفع دائم الهطل بالنطل
فقلت له تأبى المروءة أننا * نخليك يا بستان فينا بلا نخل

كان بعصر شاعر يقال له أبو المكارم بن وزير بلغ ابن سناء الملك أنه هجاه فادبه وشتمه فكتب اليه ابن المنجم الشاعر يقول

قل للسعيد أدام الله دولته * صديقنا ابن وزير كيف تظلمه

صفعته اذغدا يحولك منتقما * منه ومن بعد هذا ظلت تشتمه
هجو بهجو وهذا الصفع فيه ربا * والشرع لا يقتضيه بل يحرمه
فان تقل ماالهجو عنده أثر * فالصفع والله أيضا ليس يؤلمه

وسمعت أنا امرأة تسأل من في رقبته دمل ماهذا فقال لها طلوع فقالت أشتهي والله أن انزل في هذا الطلوع وانشدني القاضي شهاب الدين محمود لنفسه اجازة فيمن صفع وقال لكمت ودفعت قوله

يامسمي الصفع لكما * ومعيد الدال عينا
قل لمن يختار ما اختر * ت فانا قد رأينا

وما اظرف قول القائل

حباها باكرام وقام مبادرا * الى وتد المقياد علق خفها
وكان اذا مارابه سوء فعلها * يبل قفاه ثم يصفع كفها

وقال ابن دانيال في السراج الحوراني

رأيت سراج الدين للصفع صالحا * ولكنه في علمه فاسد الذهن
أستره بالكف خوف انطفائه * وآفته من طفئه كثرة الدهن

وما أحسن قول القائل

أرى الصفع وردمنه القذالا * وأوسع في أخدعيه المجالا
وأسلاه عن حب ذات اللمى * وان هي فاقت وراقت جمالا
لئن كان قد حال ما بينه * وبين الحبيبة صفع توالى
فقد يحدث الظرف بين المضاف * وبين المضاف اليه انفصالا

ما أحسن ذكر الظرف ههنا ومن شواهد فصل المضاف من المضاف اليه قول الشاعر

كما خط الكتاب بكف يوما * يهودي يقارب أو يزيل

فكف مضاف الى يهودي ولكن الظرف فصل بينهما وهو يوما وما احسن قول ابن سكرة الهاشمي أو ابن حجاج

قال غلامي ومقلتاه تكف * وجسمه ظاهر السقام دنف
خدمتنا هذه التي كثرالا * رجاف في امرها فليس يقف
قد عزلونا عنها فقلت نعم * وصادفاء بين واو ونون الف

*(تنام عني وعين النجم ساهرة * وتستحيل وصبغ الليل لم يحل)*

(اللغة) النوم معروف وهو ضد اليقظة (العين) حاسة الابصار وهي مؤنثة والجمع اعين وعيون واعيان قال الشاعر كأعيان الجراد المنظم وتصغيرها عيينة ومنه قيل للجاسوس ذو العينين (النجم) الكوكب ومتى اطلق فالمراد به الثريا فان اخرجت منه الالف واللام تنكر (ساهرة) السهر ضد النوم وقد سهر بالكسر فهو سهران وساهر واسهره غيره (وتستحيل) الاستحالة التغير وحالت القوس واستحالت بمعنى اذا انقلبت عن حالها التي غمزت عليها وحصل فيها اعوجاج (الصبغ) اللون تقول صبغت الثوب اصبغه واصبغه صبغا بالفتح وبالكسر ما يصبغ به فعلى هذا اللفظ الصحيح في البيت صبغ بالفتح (الليل) ضد النهار وهو من لدن

الآية وأنزل في حق ابن ملجم ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله ومنها انه كفر من لم يقل برأيه واستحل دمه وكفر القعدة عن القتال وتبرأ ممن قعد عنه أو كان على دينه وحكم ان من ارتكب كبيرة خرج عن الاسلام وكان مخلدا في النار مع سائر الكفار واستدل بكفر ابليس وقال ما ارتكب الا كبيرة حيث أمر بالسجود فامتنع والا فهو عارف بوحدانية الله عز وجل الى غير ذلك من المذاهب التي أجمعت عليها الازارقة (وحكي) عن خالد ابن خداش قال لما تفرقت الازارقة وآراء الخوارج ومذاهبهم أقام نافع بن الازرق بسوق الاهواز يعترض الناس وكان متشككا في ذلك فقالت له امرأته ان كنت كفرت بعد ايمانك وشككت فدع كلتك ودعوتك وان كنت قد خرجت من الكفر الى الايمان فاقتل الكفار وحيث لقيتهم تعني المسلمين المخالفين لمذهبه واثخن في النساء والصبيان كما قال نوح عليه السلام رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فقبل قولها وبسط سيفه فقتل الرجال والنساء فاذا وطئ بلدا كان ذلك دأبه الى أن

غروب الشمس الى وقت طلوعها وهو الليل الطبيعي والليل الشرعي من لدن اقبال الظلام في الشرق الى وقت الفجر الثاني واما سليمان الاعمش فقال النهار الشرعي من اول بزوغ الشمس محتجا بقوله صلى الله عليه وسلم صلاة النهار عجماء اي لا يجهر فيها ولعمري ان ماقاله لجيد وان كان الصحيح خلافه فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر أن صلاة النهار عجماء فعلم من هذا ان صلاة الليل غير عجماء وهي المجهور فيها والله تعالى قال ان قرآن الفجر كان مشهودا أي مجهورا به ومايجهر فيه يكون حكمه داخلا في الليل ويقال انه قيل لابي حنيفة الاتمضي الى الاعمش تسلم عليه قال كيف أسلم على من لم يصم رمضان قط وقال وكيع سمعت الاعمش يقول لولا الشهرة لصليت الفجر ثم تسحرت قال الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي كان هذا مذهب الاعمش وهو على الذي روى النسائي من حديث عاصم عن زرعة عن حذيفة قال تسحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ضوء النهار الا ان الشمس لم تطلع ذكر ذلك في تاريخه الكبير الذي قرأته عليه حوادث واجازنيه تراجم (قلت) وأكد الامام فخر الدين مذهب الاعمش ونصره بحث قال منه لو بحثنا عن حقيقة الليل في قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل وجدناها عبارة عن زمان غيبة الشمس بدليل ان الله تعالى سمى مابعد المغرب ليلا مع بقاء الضوء فيه فثبت ان يكون الامر من الطرف الاول من النهار كذلك فيكون ماقبل طلوع الشمس ليلا وان لايوجد النهار الا عند طلوع القرص اه (قلت) الآية الكريمة قد بينت حرمة أكل الصائم في قوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر فقد أبانت غاية الاكل بحتى فهذا نص صريح في غاية مدة أكل الصائم في الليل والخيط الابيض هو الفجر الثاني الذي يستطيل في الافق من القبلة الى الشمال وليس الفجر الكاذب الذي يأخذ أولا من ذيل الأفق الى قريب من ثلثه طولا وهو المسمى بذنب السرحان وهذا الفجر الكاذب من الادلة القوية على الفاعل المختار لان تعليله يشق على الحكيم اذ لا سبب له غير الشمس لكونه أولا يبدأ آخذا الى فوق ثم يذهب ويأخذ بعد قليل في الافق عرضا من اليمين الى الشمال فان كان ذلك بواسطة الشمس فكان ينبغي ان يكون في الغرب مثله عند العشاء الاخيرة فاذا غاب الشفق يظهر بعد قليل بياض مستطيل شبيه بذنب السرحان وقد قال بعض الحمقى ان في جبل قاف طاقة اذا حاذتها الشمس خرج الضوء من تلك الطاقة فاذا بعدت المحاذاة بطل الضوء فاذا قاربت الشمس الظهر بدا الضوء الثاني فحصل الفجران وهذا من خرافات العقول وأكاذيب الاوهام وأباطيل الحدس وقد ذكر شهاب الدين أحمد بن ادريس المالكي القرافي في كتابه الاستبصار فيما تدرك به الابصار تعليل ذلك وفيه نظر (الاعراب) * (تنام) مضارع نام فهو نائم والجمع نيام وجمع نائمة نوم على الاصل ونيم على اللفظ وتقول نمت وأصله نومت بكسر الواو فلما سكنت سقطت لاجتماع الساكنين ونقلت حركتها الى ماقبلها وكان حق النون ان تضم لتدل على الواو الساقطة كما ضمت القاف من قلت الا أنهم كسروها للفرق بين المضموم والمفتوح وأما كلت فانما كسروها لتدل على الياء الساقطة وأما على مذهب الكسائي فالقياس يستمر لانه يقول أصل قال قول بضم الواو وأصل كال كيل بكسر الياء والامر منه نم بفتح النون وكذلك بناء

المستقبل

يجيبه أهلها فيضع عليهم الجباية والخراج واشتدت شوكته وفشا أعماله في السواد الاعظم فارتاع لذلك أهل البصرة فمشوا الى الاحنف ابن قيس وشكوا اليه أمرهم وقالوا ليس بيننا وبين القوم الا ليلتان فقال لهم الاحنف ان سيرتهم في مصركم ان ظفروا بكم مثل سيرتهم في سواكم فخذوا في جهاد عدوكم وقد حرضهم الاحنف فاجتمعوا اليه زهاء من عشرة آلاف في السلاح وأمر عليهم مسلم بن عنبس وكان شجاعا دينا وخرج بهم فلما صاروا بموضع يعرف بدولاب خرج اليه نافع بن الازرق على الشراة وكانوا ستمائة نفر فاقتتلوا قتالا شديدا حتى تكسرت الرماح وعقرت الخيل وتضاربوا بالعمد فقتل في المعركة ابن عنبس وهو أمير أهل البصرة وقتل نافع بن الازرق أيضا فعجب الناس من قتل الاثنين ثم ولي على أهل البصرة الربيع ابن عمرو وعلى الازارقة عبد الله بن الماحوز فقتل الربيع وتولى الحجاج بن رباب فقتل وتولى حارثة بن بدر ونادى في الناس بأن أثبتوا فاذا فتح الله عز وجل فللعرب زيادة فريضتين ثم وللموالي زيادة فريضة وثبت الناس فالتقوا وقد فشت

المستقبل لان الواو المنقلبة ألفا سقطت لاجتماع الساكنين وهنا أيضا حذفت الهمزة التى
للاستفهام لان أصله أتنام عنى وحذفها جائز فى ضرورة كما تقدم (عنى) جار ومجرور وأصله عن
الجارة ودخلت نون الوقاية على النون الاصلية فلهذا شددت فى اللفظ وكتبت بنون واحدة
والياء ضمير المتكلم فهو مجرور بعن ومن العرب من لا يدخل نون الوقاية على عن ولا على من
ويقول عنى ومنى بنون واحدة مخففة وعن هنا معناها التجاوز أى تتجاوز أمرى وتنام وتقدم
الكلام على تقسيم عن فى أول القصيدة (وعين النجم) الواو للابتداء وعين مرفوع على انه
مبتدأ والنجم مجرور بالاضافة والاضافة هنا معنوية وهى مقدرة باللام (ساهرة) مرفوع
على انه خبر المبتدا والاحسن ان تكون ساهرة منصوبة على الحال والخبر محذوف كما قرئ
ونحن عصبة بالنصب معناه ونحن نرى عصبة فكذا يقدر هنا وعين النجم ترى ساهرة اذ المعنى
أتنام عنى وهذه عين النجم ترى ساهرة لاجلى وتستحيل على وهذا اصبغ الليل يرى غير حائل
وفى تقديره هكذا توبيخ له لكونه من ذوى الحواس وقد نام عنه واستحال عليه وهذان غير
حاسين ومع ذلك فقد سهرت عين النجم ورثت فى حاله غير نائمة ولم يستحل صبغ الليل رحمة له
ووفاء واذا جعلت ساهرة خبر العين النجم وصبغ مبتدا ولم يحل الخبر وكانت الجملة فى
الموضعين فى تقدير الحال ذهب معنى التقريع والتوبيخ الذى تقرر ويعود المعنى أتنام عنى
والحال من النجم والليل كذا وكذا وان شئت قدرت عين النجم خبرا والمبتدا المحذوف تقديره
وهذه عين النجم ساهرة ويكون فيه معنى زائد فى التوبيخ لانك اذا قلت أيخفى عليك ما أردت
وهذا الطفل قد فهمه فيه معنى زائد على قولك أيخفى عليك ما أردت والطفل قد فهمه
(وتستحيل) الواو عاطفة الجملة الفعلية على مثلها وهما تستحيل وتنام تستحيل فعل مضارع
مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه كما فى تنام (وصبغ) الواو للابتداء
وصبغ مرفوع اما على انه مبتدا والخبر محذوف تقديره يرى أو على أنه خبر مبتدا محذوف
تقديره وهذا اصبغ الليل على ما تقدم (الليل) مجرور بالاضافة المعنوية وهى مقدرة باللام
(لم) حرف يجزم الفعل المضارع وهى من خصائصه وعملت فيه الجزم لانها دخلت عليه فنقلته
من الاستقبال الى المضى فاختصت به لهذا المعنى وكان عملها الجزم قياسا على ان الشرطية
لانها تدخل على الماضى فتنقله من المضى الى الاستقبال وهى مع ذلك تقتضى شرطا
وجزاء وهما جملتان فطال ما اقتضته وكان لابد من العمل فناسب أن يكون الجزم ليقابل
طول ما اقتضته بهذه الخفة (يحل) فعل مضارع مجزوم بلم وكان أصله يحول فاجتمع ساكنان
وهما الواو واللام آخر الفعل لدخول الجازم والاول حرف علة فحذف وبقى آخر الفعل ساكنا ثم
اضطر الشاعر الى حركة الساكن فكسره اذ القاعدة فى الساكن انه اذا حرك كسر لانهما
أخوان فى أن كل واحد منهما مختص بنوع من الكلام فالجر بالاسماء والجزم بالافعال وما
أحسن قول من قال دخول لم على المضارع كدخول الدواء المسهل على الجسد ان وجد فضلة
ازالها والا أضعف البدن وكذا ان كان المضارع فيه علة متوسطة أو متطرفة اذهبها وان
كان صحيحا أضعفه لانه ينقله من الحركة الى السكون ولو أن جالينوس كان يعلل نحو العرب
ما أتى بأحسن من هذه المناسبة وقد قيل انه كان يعرف النحو اليونانى * بقى فى البيت سؤال
وهو أن مفعول تستحيل ما هو ولان تستحيل من الاستحالة وهى استفعال من الاحالة تقول

بينهم الجراح وما تطأ الخيل
الاعلى القتلى فبينما هم
كذلك اذ أقبل من اليمامة
مدد عظيم للازارقة
فاجتمعوا وهم مريحون مع
أصحابهم وحملوا على الناس
فلما رأتهم الجيوش ورآهم
حارثة نكص برايته وانهزم
وقال لاصحابه

كرنبوا ودولبوا
وحيث شئتم فاذهبوا
أير الحمار فريضة لعبيدكم
والخصيتان فريضة الأعراب

فتتابع الناس على اثره
منهزمين وتبعهم الخوارج
فالقوا انفوسهم فى دجيل
فغرق منهم خلق أكثرهم
من الازد وفى ذلك يقول
شاعر الازارقة

يرى من جاء ينظر فى دجيل
شيوخ الازد طافية لحاها

وقلق أهل البصرة لذلك
ودخل قلوبهم الرعب من
الخوارج فبينما هم كذلك
اذ ورد المهلب بن أبى صفرة
متوجها الى خراسان وقد
كتب له عبدالله بن الزبير
عهده بها فامر بالبصرة قال
الاحنف لوجوه أهل البصرة
والله ما للخوارج غير المهلب
فكلموه فى ذلك فقال هذا
عهدى على خراسان
وما كنت لأدع أمر أمير
المؤمنين عبدالله بن الزبير
فاتفق أهل البصرة مع
الاحنف على أن يقتلوا

استحال زيد على عمرو فالجواب انه محذوف تقديره على وحسن حذفه كونه معلوما من السياق لانه اذ قال تنام عني علم ان معنى قوله وتستحيل أي على فهو جار ومجرور وموضعه النصب على المفعولية (المعنى) أتنام عني وهذه عين النجم تراها ساهرة لما أقاسيه وأكابده من الفكر وتستحيل على وصبغ الليل كما تراه لم يحل ولم يتغير وفي هذا الادماج لانه أدمج في هذه العبارة أن الليل طويل عليه لم ينسلخ من سواده الى الفجر وما أحسن قول ابن الساعاتي

نمتم عن سهاد جفني ولا * يعلم ماضر ساهرا من ينام
مارعيتم حق الجوار وان كا * ن بادني الجوار يرعى الزمام

وقال الارجاني

فلا تنكروا حق المشوق فانما * لناوعليكم أنجم الليل تشهد
أبيت نجي الهم في كل ليلة * كأن بها طرفي طراف مدد

وقال ابن المبارية

لقد ساهرتني عيون الدجى * وقد غفلت عني عيون الملاح
اذا ما شكا الليل هجر الصباح * شكوت الى الليل هجر الصباح

وقال ابن خفاجة

لا تسألوا عني الخيال فانه * ما زارني عنكم فيعلم مابي
واستخبروا الليل الذي رعيت نجومه * فنضا ولم ينصل دجاه خضابي
سهرت كواكبه معي ورقدتم * أنتم كواكبه وهن صحابي

وقلت أنا في هذه المادة

أشكو الى البدر ليالي الجفا * وليس يدري ما عضناك
فهو سميري أتسلى به * وانما البدر محياك

وما أحسن قول القائل في طول الليل

كأن الثريا راحة تشبر الدجى * لتعلم طال الليل أم قد تعرضا
فليل تراه بين شرق ومغرب * يقاس بشبر كيف يرجى له انقضا

وأخذه الشيخ صدر الدين بن الوكيل وزاده فقال

بكف الثريا وهي جذ ما تقاس لي * شقاق دجى مدت من الشرق للغرب
ولو ذرعوها بالذراع لما انقضت * فما تنقضي يا ليل أو ينقضي نحبي

وقال شرف الدين أحمد بن نصير بن كامل بن علي بن منقذ

ولرب ليل تاه فيه نجمه * قطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فأجابني * لو كان في قيد الحياة تنفسا

ومثله قول الآخر

مات الظلام بليل * احييته حين عسعس
لو كان لليل صبح * يعيش كان تنفس

وقال شرف الدين أحمد المذكور

لما رأيت النجم ساه طرفه * والقطب قد ألقى عليه سباتا

كتابا على ابن الزبير يأمره فيه بقتال الخوارج فكتبوه وفيه (أما بعد) فان الحسن ابن عبد الله كتب الي يخبرني أن الازارقة أصابوا جندا من المسلمين وأنهم قد أقبلوا نحو البصرة وكنت قد كنت عهدك على خراسان ووجهتك وقد رأيت أن تتصدى بقتال الخوارج فان الأجر فيه أعظم من سيرك الى خراسان فلما قرأ المهلب الكتاب قال والله ما أسير اليهم حتى تجعلوا لي ما غلبت عليه وتقووني من بيت المال وأنتخب من فرسانكم ورجالكم من شئت فأجابوه الا طائفة من بني مسمع فقدها عليهم المهلب وسار الى الخوارج فكان عليهم أشد من كل من قاتلهم وبلغ ابن الزبير ذلك فال الكتاب فلم يقل شيأ وأقره على ذلك ثم ان المهلب أخذ بالحزم في القتال واعمال الرأي والمطاولة فأذكى العيون وأقام الحرس وخندق ولم يزل الجند على مصافهم والناس على راياتهم وأخماسهم فكانت الازارقة اذا أرادوا اتيان المهلب وجدوا أمرا محكما ثم خرج المهلب يوما على تعبية حسنة وخرج الخوارج على مثل ذلك الا انهم أحسن

وبنات نعش فى الحداد سوافرا * أيقنت ان صباحه قد ماتا

وما أحسن اعتذار الارجاني من طول الليل

لا أدعي جور الزمان ولا أرى * ليلى يزيد على الليالى طولا

لكن مرآة الصباح تنفسي * للهم أصدأ وجهها المصقولا

وما أرشق قول خالد الكاتب

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

وانصف من قال

وما ليلنا الا سواء وانما * تفاوته أناس هو وناوغتم

وقال زكي الدين بن أبي الاصبع

وساق اذا ما ضاحك الكاس قابلت * فواقعها من ثغره اللؤلؤ الرطبا

خشيت وقد أمسى نديمي على الدجا * فاسدلت دون الصبح من شعره الحجبا

وقسمت شمس الطاس بالكاس أنجما * فيا طول ليل قسمت شمسه شهبا

أخذ الاصل من قول القائل

ترى الشمس قد صغت كوكبا * وقد طلعت فى عداد النجوم

(رجع) وأين صاحب الطغرائى من قول أبي الطيب

لا أستزيدك فيما فيك من كرم * أنا الذى نام اذ نبهت يقظانا

وهو مأخوذ من قول بشار بن برد

اذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عمرا ثم نم

وله عذر فى نومه واستحالته على الطغرائى لان هذا الصاحب سائر على مطايا الراحة والامن والطغرائى قد اقتعد فى ذروة القلق والجد والروع والطلب وهيهات بينهما فرق بعيد وبون وقد ضل من اعتقد أن الصاحب له فى الشدائد عون ويا ويل الشجي من الخلي وهان على الاملس ما لاقى الدبر ومن هذا قول ابن قلاقس الاسكندرى

يغيظني وهو على رسله * والمرء فى غيظ سواه حليم

يقال ان أبا أيوب المرزبانى وزير المنصور كان اذا دعاه المنصور يصفر لونه ويرعد فاذا خرج من عنده تراجع له لونه فقيل له أنا نراك مع كثرة دخولك الى أمير المؤمنين وأنسه بك تتغير اذا دخلت اليه فقال مثلي ومثلكم فى هذا مثل بازو ديك تناظرا فقال البازى للديك ما أعرف أقل وفاء منك لاصحابك قال وكيف ذلك قال تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد الا طرت من هنا الى هناك وصحت وان علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت الى غيرها وأما أنا فأوخذ من الجبال وقد كبرسني فتخاط عيني وأطعم الشئ اليسير وأساهر فامنع من النوم وأونس اليوم واليومين ثم أطلق على الصيد فاطير وحدي وآخذه وأجيء به الى صاحبي فقال له الديك ذهبت عنك الحجة أما لو رأيت بازين فى سفود ما عدت اليهم أبدا وأنا فى كل وقت أرى السفافيد مملوءة ديوكا فلا تكن حليما عند غضب غيرك وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرفه لكنتم أسوأ حالا مني عند طلبه لكم (قلت) وكأن أبا أيوب كان قد استشعر ايقاع المنصور به فانه أوقع

عدة وأكرم خيلا وأكثر سلاحا من أهل البصرة وذلك انهم أكلوا ما بين كرمان الى الاهواز فجاؤا فى المغافر والدروع يسحبونها فالتقى الناس واشتد القتال وصبر بعضهم على بعض عامة النهار ثم شدت الخوارج على الناس شدة منكرة فاجفل الناس فانصاعوا منهزمين وأسرع المهلب حتى سبقهم الى مكان يفاع ثم نادى الناس الى الى عباد الله فثاب اليه جماعة من قومه حتى اجتمع اليه نحو من ثلاثة آلاف فلما نظر الى من اجتمع اليه رضي جماعتهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فان الله يكل الجمع الكثير الى أنفسهم فيهزمون وينزل النصر على الجمع اليسير فيظهرون ولعمري انى الآن بجماعتكم لراض وأنتم والله أهل الصبر وفرسان المصر وما أحب ان أحدا ممن انهزم معكم ولو كانوا فيكم ما زادوكم الا خبالا عزمت على كل نفر منكم الا أخذ عشرة أحجار معه ثم امشوا بنا نحو عسكرهم فانهم الآن آمنون وقد خرجت خيولهم فى طلب اخوانكم فقبلوا منه ثم أقبل بهم زحفا فلا والله ما شعرت الخوارج الا بالمهلب يضاربهم فى جانب عسكرهم ثم استقبلوا

به فيما به ـدوعـدبه وأخذ أمواله وكانت أموالا عظيمة وما أفاده الدهن الذى ضرب به المثل شـيأفان فى أفواه العوام دهن أبى أيوب قيـل انه كان يدهن حاجبيه بدهن يسحر فيه المنصور اذا رآه فلا يتمكن منـه (رجـع) واسـتعارة العين للنجم فى بيت الطغرائى من أحسن ما يكون قال ابن نبـاتة السعدى

وخطة ضيم قد أبيت وليلة * سريت فكان المجد ما أنا صانع

هتكت دجاها والنجوم كانها * عيون لها نوب السماء براقع

وقال الارجانى

ثم خافت لما رأت أنجم الليـ * ـل شبيهات أعين الرقباء

وهو مأخوذ من قول ابن المعتز

ما راعنا تحت الدجى شئ سوى * شبه النجوم بأعين الرقباء

ومن الالغاز فى السماء والنجوم

وحسناء خرسـاء لاتنطق * يروقك ملبسها الازرق

وأحسن من كل مستحسن * عيون لها فى الدجى تبرق

وقال ابن طباطبا العلوى

وقد لاحت الشعرى العبور كانها * طرف تقلب بالدموع هموع

وقال أيضـا

وكأن النجوم لما تدانى الصبح أجفان مستهام كئيب

شاخصات الى السماء فما تطـ * ـرف أجفانهـا من التغريب

زاهرات كانهـا زمن الجـا * هل فى حندس كدهر الاديب

وما أحسن هذا الثالث والطف تخيله وقد استعمل أبو العلاء المعرى دهر الاديب أيضا فقال

خبرينى ماذا كرهت من الشيـب فلا علم لى بذنب المشيب

أضـيـاء النهار أم وضح اللؤ * لؤام كونه كثغر الحبيب

واذكرى لى فضل الشباب وما يجـ * ـمع من منظر يروق وطيب

غـدره بالخليـل أم حبـه للـ * ـغى أم أنه كدهـر الاديب

وهـذا هو تشبيه المعقول بالمحسوس وهو أعلى مراتب التشبيه طبقة لانه ينشاعن لطف ذوق وسلامـة فطرة وصحة تخيـل فهو صعب على من برومه متقاعس عمن جذب زمامه لان العلوم العـقلية تسـتفاد من الحواس فى المقادير والالوان والطعوم والرائحة وطيب النغم ونعومة الملمس وخشونته ولهـذا قالوا من فقد حاسـة فقـد علما واذا كان كذلك فالمحسوس أصـل والمعقول فرع وتشبيه المعقول بالمحسوس من باب رد الفرع أصلا والاصل فرعا وأحسن ما جاء فيه قول القائل

وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

وقول الآخر

كأن القلب والسلوان ذهن * يحوم عليه معنى مستحيل

وقول الآخر

كان

أميرهم عبد الله بن الماخور وأصحابه وعليهم الدروع والسلاح فحمل الرجل من أصحاب المهلب يتعرض وجه الرجل بالحجارة حتى يثخنه ثم يضربه بسيفه فلم يقاتلهم الا ساعة حتى قتل ابن الماخور وضرب الله وجوه أصحابه وأخذ المهلب معسكر القوم وما فيـه ومضى المنهـزمون الى كرمان واصبهان ثم ولى مصعب ابن الزبير العراق ورجع اليـه المهلب فقاتل معـه المختار بن أبى عبيد الى أن قتل ورجع الى الازارقة فلم يزل يغاديهـم القتال ويراوحهم وهو مع ذلك شديد الاحتراز عـلى عسكره والتحفظ واليقظة الى أن بلغ مـدة طويلة وبلغ الخوارج قتـل مصعب بن الزبير أمير العـراق واسـتيـلاء عبد الملك بن مروان قبـل أن يبلغ المهلب وأصحابه فناداهم الخوارج ما تقولون فى مصعب قالوا امام هدى وليناً فى الدنيا والآخرة قالوا فما تقولون فى عبد الملك قالوا ذاك ابن اللعين قالوا فانتم منه برآء فى الدنيا والآخرة قالوا نعم ونحن له أعـداء كعداوتنا لكم قالوا فان امامكم المصعب قـد قتله عبد الملك وانكم ستجعلون عبـد الملك غدا امامكم وأنتم اليوم تتبرؤن منه وتلعنون

كأن انتضاء البدر تحت غمامة * نجاة من الباساء بعد وقوع

وقول أبي طالب الرقي

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وقول جحظة البرمكي

ورق الجو حتى قيل هذا * عتاب بين جحظة والزمان

قرأت على الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبي الثناء محمود قوله في كتابه حسن التوسل يصف حصنا

كأنه وكان الجو يكنفه * وهم تمثله في طيها الفكر

وقول ابن المبارية

كم ليلة بت مطويا على حرق * اشكو الى النجم حتى كاد يشكوني

والصبح قد مطل الشرق العبور به * كأنه حاجة في نفس مسكين

وقول أبي القاسم سعد بن ابراهيم

تتنفس الصهباء في لهواته * كتنفس الريحان في الآصال

وكأنما الخيلان في وجناته * ساعات هجر في زمان وصال

وهو مأخوذ برمته من قول الآخر

اسفر ضوء الصبح من وجهه * فقام خال الخد فيه بلال

كأنما الخال على خده * ساعة هجر في زمان الوصال

وأخذه الشهاب بن المعمار فقال في خال قبيح على خد مليح

وجهك الزاهر نور * فيه خال غير حالي

ساعة من ليل هجر * في نهار من وصال

وكلاهما أخذ المعنى من المعتمد بن عباد حيث قال

أكثرت هجرك غير أنك ربما * عطفتك أحيانا على أمور

فكأنما زمن التهاجر بيننا * ليل وساعات الوصال بدور

وقول الآخر

ولي سنة لم أدر ما سنة الكرى * كأن جفوني مسمعي والكرى العذل

وما أحلى قول أبي حفص عمر بن علي المطوعي

قم هات دهقانية * وعليك بالكاس الدهاق

أو ما ترى نور الخلا * فكأنه نور الوفاق

وقوله أيضا

أو ما ترى نور الخلاف كأنه * لما بدا للعين نور وفاق

أو كف سنور ولكن نشره * يسعى بفار المسك في الآفاق

وعلى ذكر الفار حكي ان فخر القضاة ابن بصاقة امسك له فارة بيضاء فصنع لها قفصا وكتب عليه من نظمه

وفارة بيضاء لم تمتهن * يوما باطعام السنانير

أباه قالوا كذبتم يا أعداء الله فلما كان من الغد تبين لهم قتل مصعب فبايع المهلب الناس لعبد الملك فناداهم الازارقة يا أعداء الله بالامس تتبرؤن منه وتلعنون أباه واليوم تبايعونه بالخلافة وقد قتل امامكم الذي كنتم تتوالونه فأيهما المهدي وأيهما الضال قالوا رضينا بذلك ونرضى بهذا اذ ولي كل منهما أرواحنا وأمورنا فقالوا لا والله ولكنكم اخوان الشياطين وطلبة الدنيا ثم ولي عبد الملك وأمر الحجاج على العراق وأمره بامداد المهلب فشمر الحجاج لذلك وتتابع المدد الى أن قال المهلب لقد ولي العراق والذكر ثم ان الحجاج كتب الى المهلب يستبطئه في مناجزة الازارقة ويستعجزه فحبس المهلب رسول الحجاج أياما حتى رأى صنع الخوارج وجلدهم وثباتهم وكتب الى الحجاج يقول ان الشاهد يرى ما لا يراه الغائب فان كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم على أن أديرها كما أرى فان أمكنتني فرصة انتهزتها وان لم تمكني توقفت فانا أدبر ذلك بما يصلحه وان أردت مني أن أعمل وأنا حاضر برأيك وأنت غائب فان كان صوابا فلك وان كان خطأ فعلي فابعث من رأيت مكاني والسلام ولما طالت الحرب

اذ فأرة المسك سمعنا بها * وهذه فأرة كافور

ومما يستغرب انه وجد في ذخائر سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن بويه نملة في عنقها سلسلة تأكل كل يوم رطلي لحم بالبغدادي

*(فهل تعين على غي هممت به * والغي يزجر أحيانا عن الفشل)*

(اللغة) الاعانة المساعدة في الخير والشر (الغي) الضلال تقول غوى بالفتح يغوي غيا وغواية فهو غاو وغو وأغواه غيره فهو غوي على فعيل قال الاصمعي لا يقال غيره وأنشد قول المرقش

فمن يلق خيرا يحمد الناس أمره * ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

سأل بعض المغفلين انسانا فاضلا فقال له كيف تنسب الى اللغة فقال لغوي فقال أخطأت في ضم اللام انما الصحيح ما جاء في القرآن قال الله تعالى انك لغوي مبين (الزجر) المنع والنهي يقال زجره وازدجره فانزجر وازدجر (احيانا) الحين الوقت وجمعه أحيان (الفشل) الجبن يقال فشل بالكسر فشلا اذا جبن (الاعراب) فهل الفاء قد تقدم الكلام عليها وهل حرف استفهام وهي أخت الهمزة ولها صدر الكلام تقول أزيد قائم وأقام زيد وهل زيد قائم وهل قام زيد وانما كان الاستفهام له صدر الكلام لانه طلب الفهم وقيل لانه طريق الى الفهم وقيل لانه قسم من أقسام الكلام فوجب ان يتميز عن غيره من أول مرة وقيل لان أداة الاستفهام تنقل معنى الجملة من الخبر الى الاستخبار فاشبه النفي والتمني و غيرهما ولما كانت الهمزة وهل غير مختصتين كانتا غير عاملتين والهمزة أعم من هل لانك تقول أزيدا ضربت أم عمرا وهل لا تقع هنا لان أم المتصلة لا تقع بعد هل فحيث وجدت هل وجد الفصل أي الانقطاع وأيضا فان قولك أزيدا ضربت قد فصلت فيه بين همزة الاستفهام وبين الفعل بالمفعول ولا يجوز ذلك في هل فلا تقول هل زيدا ضربت وتقول أتضرب زيدا وهو أخوك ولا تقول هل تضرب زيدا وهو أخوك لانك في الهمزة تدعي ان الضرب واقع به وأنت توبخه وفي هل لا تدعي ذلك بل تستفهم عنه فقط وقد تجيء هل بمعنى قد كقوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم وقوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر وقد تجيء أيضا بمعنى ما كقوله تعالى هل ينظرون الا أن يأتيهم الله (تعين) فعل مضارع من اعان يعين اعانة مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنت (على غي) جار ومجرور وعلى تكون للاستعلاء حسا مثل ركبت على الفرس أو معنى نحو تكبر عليه وفلان علينا أمير وقوله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين وفيه لطيفة وذلك انه أتى بعلى للهدى وبفي للضلال لان صاحب الهدى والحق كانه مستعل على ما هو عليه كالجواد يركض به كيف شاء وصاحب الضلال والباطل كانه منغمس فيما هو فيه ورأسه منخفض لا يدري أين يتوجه وهذا من لطائف القرآن وغوامض معانيه ألا ترى الى لفظ الهدى كيف وقع بعلى في قوله تعالى على هدى من ربهم والى لفظ الضلال كيف وقع بفي في قوله تعالى انك لفي ضلالك القديم وقد تكون بمعنى في التي للظرفية نحو قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها وقد تكون بمعنى عن كقول الشاعر

اذا رضيت على بنو قشير * لعمر الله أعجبني رضاها

وقد تكون اسما وذلك اذا دخل عليها حرف الجر نحو نزلت من عليه أي من فوقه والقول فيها

بين المهلب وبينهم ورأى اتفاق أهوائهم وثباتهم علم انه لا يظفر الا بالاختلاف اذا وقع بينهم وكان في عسكرهم حداد يسمى ابزى يصنع نصالا مسمومة يرمي بها أصحاب المهلب فوجه المهلب رجلا من أصحابه بكتاب وألف درهم الى عسكر الخوارج وقال ألق الكتاب في العسكر واحذر على نفسك وكان في الكتاب الى الحداد أما بعد فان نصالك قد وصلت الينا وقد وجهت اليك بالف درهم فاقبضها وزدنا من هذه النصال فوقع الكتاب الى قطري فدعا ابزى وقال ما هذا الكتاب قال لا أدري قال فما هذه الدراهم قال لا أعلم علمها فامر به فقتل فجاءه عبد ربه الصغير وكان من كبار القوم فقال له قتلت رجلا على غير بينة ولا تبين أمره فقال فما هذه الدراهم قال يجوز أن يكون أمرها كذبا ويجوز ان يكون حقا فقال قطري قتل رجل في صلاح الناس غير منكر وللامام أن يحكم بما يراه صلاحا وليس للرعية أن تعترض عليه فتنكر له عبد ربه في جماعة معه فلم يفارقوه فبلغ ذلك المهلب فدس اليه رجلا نصرانيا فقال له اذا رأيت قطريا فاسجد له فاذا نهاك فقل له انما سجدت لك فقيل

بأنها

بانها اسم كالقول فى من وفى على لغات تقول جاء السيل من عـل ومن عـلو بضم الواو وفتحها وكسرها مع سكون اللام ومن على ومن عـلو ومن عـلا بكسر اللام مع الياء وضمها مع الواو وفتحها مع الالف ومن عال فهذه ثمان لغات وأما ما أنشده البغداديون لابن ثور وان من قوله

يارب يوم لى لا أظلـله * أرمض من تحت وأضحى من عله

فقال أبو على الهاء فيه مشكلة وأبطل أن تكون ضميرا وهاء سكت (رجع) هممت فعل ماض تقول هم يهم وانما يفك الادغام عند اتصال الفعل بضمير الرفع واما اذا دخل الجازم على المضارع من هذا المشدد فانت مخير بين الفك والادغام والفك لغة القرآن وهى للحجازيين قال الله تعالى ومن يرتدد منكم عن دينه ومن يحلل عليه غضبى ولا تمنن تستكثر واغضض من صوتك والادغام لغة بنى تميم وعليها قوله تعالى ومن يشاق الله ولك أن تقول حـل واحلل ومـد وامدد وغض واغضض والتاء ضمير الفاعل وهو المتكلم (به) جار ومجرور والباء هنا يحتمل أن تكون للالصاق وقد تقدم الكلام عليها وهممت وما بعده صفة لفتى فى موضع جر (والغى) الواو للابتداء والغى مرفوع على أنه مبتدأ (يزجر) فعل مضارع من زجر يزجر وارتفع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه يرجع الى المبتدا الذى هو الغى والجملة من الفعل والفاعل فى موضع رفع على انها خبر الغى (أحيانا) منصوب على انه ظرف زمان والعامل فيه يزجر (عن الفشل) جار ومجرور وعن هنا للمجاوزة ومفعول يزجر محذوف للعلم به لان التقدير يزجر الانسان عن الفشل وعن الفشل فى موضع نصب لتعلقه بالفعل وهو يزجر (المعنى) يقول لصاحبه أتنام عنى وتستحيل على فهل لك فى أن تعين صاحبك على غى هم به وسيأتى تفسير ذلك الغى فيما بعد فان الغى يمنع الانسان فى بعض الاوقات عن الجبن واعانة المرء صاحبه فى الحق أمر مندوب اليه قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وهذا فى الواجبات وقال صلى الله عليه وسلم والله فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه وهذا فى الامور المباحة فاما المحظورة فلا ومن فعل فقد شاركه وصار له كفل منه وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقيل له يا رسول الله أنصره مظلوما فكيف أنصره ظالما قال تحجبه عن الظلم فذلك نصرك اياه وحدث عمرو بن سعيد بن سالم الباهلى قال كنت من حرس المأمون بحلوان حين خرج من خراسان بعد قتل الامين واستيثاق الخلافة له فخرج لينظر الى العسكر فى بعض الليل فعرفته ولم يعرفنى فاغفلته وجاء من ورائى حتى وضع يده على كتفى فقال من أنت قلت أنا عمرو عمرك الله ابن سعيد أسعدك الله ابن سالم سلمك الله فقال أنت الذى كنت تكلؤنا فى هذه الليلة فقلت الله يكلؤك يا أمير المؤمنين فانشأ المأمون يقول

ان أخاك الحق من كان معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

ثم قال يا غلام أعطه لكل بيت ألف دينار فوددت ان تكون الابيات طالت فأجد الغنى فقلت يا أمير المؤمنين وأزيدك بيتا فقال لى هات فقلت * وان غدوت ظالما غدا معك * فقال يا غلام أعطه لهذا البيت ألف دينار فبرحت من موضعى حتى أخذت خمسة آلاف دينار (قلت) ما فهم المأمون من هذا البيت الاخير الا ما فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تمام حديثه المتقدم * وأما الجبن فامر مذموم قال صلى الله عليه وسلم لا تمنوا لقاء العدو واذا لقيتموهم

النصرانى ذلك فقال له قطرى انما السجود لله فقال ما سجدت الالك فقال له رجل من الخوارج قد عبدك من دون الله وتلا قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم فقال قطرى ان هؤلاء النصارى قد عبدوا عيسى بن مريم فما ضر عيسى شيأ فقام رجل من الخوارج الى النصرانى فقتله فانكر ذلك عليه وقال قتلت ذميا فاختلفت الكلمة فبعث اليهم المهلب رجلا يسألهم عن شئ تقدم به اليه فأتاهم الرجل فقال أرأيتم لو أن رجلين خرجا مهاجرين اليكم فمات أحدهما فى الطريق وبلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة ما تقولون فيهما فقال بعضهم أما الميت فهو من أهل الجنة وأما الذى لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها وقال قوم آخرون بل هما كافران حتى يجيزا المحنة فكثر الخلاف فخرج قطرى الى حدود اصطخر وأقام المهلب بن بقى منهم مع صالح بن مخراق وزحف الى البقية وخندق عليه ثم أقام أياما وأوقع بينهم الفتنة حتى وقع بين قطرى وعبد ربه فانحاز الى عبد ربه جماعة وولوه عليهم وذهب قطرى باصحابه وقاتل المهلب جيش عبد ربه فقتل عبد ربه بعد

فاصبروا وفي رواية فاثبتوا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف وفي كتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه الى خالد بن الوليد رضي الله عنه احرص على الموت توهب لك الحياة وقال عمر رضي الله عنه الجراءة والجبن من الغرائز التي يضعها الله حيث شاء فالجبان يفر عن أهله وولده والجرىء يقاتل عمن لا يؤب الى رحله * وقال خالد بن الوليد عند موته لقد لقيت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع قيس شبر الا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشي حتف أنفي فلا نامت عيون الجبناء * ووقع في أبي فراس الحرث بن حمدان نصل نشاب أقام في بدنه ثلاثين شهرا حتى خرج فقال فيه

فلا تصفن الحرب عندي فانها * طعامي مذ بعت الصبا وشرابي
وقد عرفت وقع المسامير مهجتي * وشقق عن زرق النصول اهابي
ولججت في حلو الزمان ومره * وأنفقت من عمري بغير حساب

وقال أبو الطيب

رماني الدهر بالأرزاء حتى * فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتني سهام * تكسرت النصال على النصال
وها أنا لا أبالي بالرزايا * لأني ما انتفعت بان أبالي

(رجع) ويدخل في قول الطغرائي اغراء المحبين من يألفونه ويحبونه بالاقدام على الزيارة وركوب الأخطار وتهوين الخطوب في الوصال ويتوصلون الى ذلك بأنواع من سحر الكلام والمغالط التي يستعملها البلغاء في الاغراء والتحذير ويسمي أرباب المعقول هذا النوع الخطابة ومن أحسن ما جاء في ذلك قول القائل

قم بنا تفديك نفسي * نجعل الشك يقينا
قال كم ياحبيبي * يأثم القائل فينا

وهو مأخوذ من قول الآخر

لا أنس لا أنس قولها بجنى * ويحك ان الوشاة قد علموا
وتم واش بنا فقلت لها * هل لك ياهند في الذي زعموا
قالت لماذا ترى فقلت لها * كي لا تضيع الظنون والتهم

(وقلت) انا كأني حاضر أسمع مخاطبتهما

هذا محب وما يخاصه * في دينه أن وشاته أثموا
فواضليه واصغى لمغالطة * يقبلها من طباعه الكرم
ياويح وصل أتى بحيلته * ان كنت لم ترع عندك الذمم

وانشدني من لفظه الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيان بالقاهرة سنة سبعمائة وثمان وعشرين قال أنشدني أبو عبد الله فتح الدين البكري قال أنشدني الجمال الكاتب محمد بن أبي العز المكرم لابيه

الناس قد أثموا فينا بظنهم * وصدقوا بالذي أدري وتدرينا
ماذا يضرك في تصديق ظنهم * بان نحقق ما فينا يظنونا
حملي وحملك ذنبا واحدا ثقة * بالعفو أجمل من اثم الورى فينا

ذكرت

وقائع طويلة وانفل جند الازارقة وتشتتوا في البلاد وتخطفهم الناس وكتب المهلب الى الحجاج بالفتح يقول الحمد لله الكافي بالاسلام فقد ماسواه بان حكم بان لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع الشكر من عباده أما بعد فقد كنا نحن وعدونا على حالين مختلفين يسرنا منهم أكثر مما يسوءنا ويسوءهم منا أكثر مما يسرهم على اشتداد شوكتهم فقد كان علن أمرهم حتى ارتاعت الفتاة وتوهم به الرضيع فانتهزت منهم الفرصة في وقت امكانها وادنيت السواد حتى تعارفت الوجوه فلم نزل كذلك حتى بلغ الكتاب أجله فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فكتب اليه الحجاج يشكره ويذكر بلاءه ويأمره بالقدوم عليه واستخلاف أحد بنيه فقدم على الحجاج فاجلسه على السرير الى جانبه وأظهر اكرامه وبره وقال يا أهل العراق أنتم عبيد عتقاء المهلب ثم قال أنت والله كما قال لقيط الايادي

وقلدوا أمركم لله دركم * رحب الذراع بأمر الحق مظلعا
لا يطعم النوم الا ريث يبعثه * هم يكاد حشاه يقصم الضلعا
حتى استمر على شزر مريرته * مستحكم الرأي لا قحما ولا ضرعا

فقام رجل وقال أصلح الله

ذكرت بالمغالطة هنا مغالط المنطق فمنها قولك الفول يغذو الحمام والحمام يغذو البازي يلزم من ذلك ان تكون النتيجة الفول يغذو البازي وهي كاذبة مع صدق المقدمتين وقد ذكرها الشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس القرافي في أنوار البروق من جملة عشر مغالط وهي أحسنها الاني امتحنت بها جماعة من الاذكياء الفضلاء فلم يتنبهوا لمكان الغلط في ذلك ووجهه ان الضرب الاول من الشكل الاول شرط انتاجه ان يكون الحد الاوسط محمولا في الصغرى موضوعا في الكبرى كقولك العالم متغير وكل متغير حادث فالنتيجة العالم حادث فلما كان هنا نفس محمول الصغرى موضوعا في الكبرى انتج صدقا بخلاف المسئلة الاولى لان المحمول في الصغرى انما هو لفظة يغذو وليس هو الموضوع في الكبرى وانما الموضوع فيها مفعول يغذو وهو الحمام فلم يتحد الحد الاوسط وهذا نظير قولك زيد مكرم عمرا وعمرو مكرم خالدا فانه لا ينتج صدقا أن زيدا مكرم خالدا نعم لو قلت ان زيدا مكرم عمرا ومكرم عمرو مكرم خالد أنتج ان زيدا مكرم خالدا فاعرف ذلك فانك تركب من هذه القاعدة مغالط كثيرة ✱ ومن مغالط شهاب الدين القرافي قولك الوتد في الحائط والحائط في الارض فيلزم منه انتاج الوتد في الارض وهو كاذب بخلاف قولك الدراهم في الكيس والكيس في الصندوق فالنتيجة الدراهم في الصندوق وهي صادقة وانما صدق الانتاج هنا وفي الاولى كذب لان الحائط في الاولى لم يغب بمجموعه في الارض كما غاب الكيس بمجموعه في الصندوق ومن مغالطه أيضا وهو مشهور بين أرباب المنطق في الاستدلال على ان السارية ذهب أو الجبل ذهب أو ما وقعت عينك عليه ذهب قولك مثلا هذا الجبل ذهب لان كل من قال انه ذهب قال انه جسم وكل من قال انه جسم صادق فينتج كل من قال انه ذهب صادق ووجه الغلط أن صحة المقدمات غير مسلمة لان منها انه قال انه ذهب وهذا كذب ومنها كل من قال انه ذهب قال انه جسم وبعض هذه المقدمة ممنوع واذا كذبت احدى المقدمتين أو بعض المقدمة تبعتها النتيجة في الكذب وما احسن ما أنشدته بحلب سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة لنجم الدين الوارسي وهو

لا تخطبن سوى كريمة معشر ✱ فالعرق دساس من الطرفين
أولست تنظر في النتيجة أنها ✱ تبع الاخس من المقدمتين

وهذا في غاية الحسن وهذه المغالطة عظيمة يمكن الذكي ان يرتب عليها أنواع المحالات ويستدل على سائر الاجسام انها ياقوت أو ذهب أو غير ذلك ✱ وأنشدني الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدني لنفسه الشيخ الامام مجد الدين بن الظهير الاربلي أبياتا كتبها من نظمه على الجزولية في النحو

مقدمة في النحو ذات نتيجة ✱ تناهت فاغنت عن مقدمة أخرى
حبانا بها بحر من العلم زاخر ✱ ولا عجب للبحر أن يقذف الدرا
وأوضحها بالشرح صدر زمانه ✱ ولم نر شرحا غيره يشرح الصدرا

✱(اني أريد طروق الحي من اضم ✱ وقد حماه رماة من بني ثعل)✱

(اللغة) الطروق هو المجيء بليل يقال أتانا فلان طروقا وقد طرق يطرق فهو طارق قال ابن الجواليقي في التكملة الصواب أن يقال طوارق الليل وجوارح النهار لان أبا زيد حكى عن

الامير والله لكاني أسمع قطريا وهو يقول المهلب كما قال لقيط ثم أنشد هذا الشعر فسر الحجاج حتى ظهر عليه وسئل المهلب ما أعجب ما رأيت من قتال الازارقة قال رأيت رجلا منهم يطعن الرجل فيمشي في الرمح الى طاعنه وينال منه وهو يقول وعجلت اليك رب لترضى وكانت مدة اقامة المهلب على قتال الخوارج ومصابرته لهم تسع عشرة سنة الى أن فتح الله على يديه وطهر منهم الارض ومات على فراشه ومن أخباره المستحسنة انه أقبل يوما من بعض غزواته فتلقته امرأة فقالت له أيها الامير اني نذرت ان أقبلت سالما أن أصوم شهرا وتهب لي جارية وألف درهم فضحك وقال قد وفينا نذرك فلا تعودي لمثله فليس كل أحد يفي لك به ✱ ووقف له رجل فقال أريد منك حويجة فقال اطلب لها رجيلا يعني أن مثلي لا يسئل الا حاجة عظيمة ومر يوما بالبصرة فسمع رجلا يقول هذا الاعور ساد الناس ولو خرج الى السوق لا يساوي أكثر من مائة درهم فبعث اليه بمائة درهم وقال لو زدتنا في الثمن زدناك في العطية ولما هزم قطري بن الفجاءة دخل عليه المغيرة وأنشده

أمسي العباد لعمري لا غياث لهم

العرب جرحته نهارا وطرقته ليلا قال الله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار
وقال الجوهرى جرح واجترح أى اكتسب وذكرت هنا أبياتا نظمها أحمد الامشاطى من أهل
العصر وذلك فى سنة ست وعشرين وسبعمائة وهى

وقائلك اللواحظ بعد هجر * حباك كرما وأنعم بالمزار
وظل نهاره يرمى بقلبى * سهاما من جفون كالشفار
وعند النوم قلت لمقلتيه * وحكم النوم فى الاجفان جارى
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ماجرحتم بالنهار

(الحى) واحد أحياء العرب وهم القوم النازلون بمكان (واضم) بكسر الهمزة جبل بأرض
المدينة قال الشاعر * شدت بأعلى عائذ من اضم * (حماه) منعه (رماة) جمع رام (ثعل) أبو حى
من طيئ وهو ثعل بن عمرو أخو نبهان وهم الذين عناهم امرؤ القيس بقوله

رب رام من بنى ثعل * مخرج كفيه من ستره

وبنو ثعل مشهورون باتقان الرمى وقد أكثر الشعراء من نسبة ذلك اليهم قال ابن قلاقس

وحى من كنانة قد رمونى * بما حوت الكنانة من سهام
اذا انتضلوا وما ثعل أبوهم * رموك بكل رامية ورامى

ومن هذه القبيلة عمرو بن المسبح الثعلى الذى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفود العرب
فاسلم وهو ابن مائة وخمسين سنة وكان أرمى العرب بالسهام واياه عنى امرؤ القيس بقوله رب رام
البيت وهذا من جملة ما استشهد به ابن قتيبة فى كتاب طبقات الشعراء على قرب زمن امرئ
القيس من زمن النبى صلى الله عليه وسلم وأنه كان قبله بمقدار أربعين سنة (الاعراب) انى ان
حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وانما عملت هذا العمل لانها واخواتها أشبهت الفعل ووجه
الشبه أن معنى ان أكدت وحققت وكأن شبهت ولكن استدركت وليت تمنيت ولعل
ترجيت ولانها مفتوحات الآخر كما انفتح آخر الفعل ولانها تدخلها نون الوقاية كالفعل
فاعطى هذا الباب أحسن حالات العمل وأقواها وهو تقدم المفعول على الفاعل فشبه اسمها
بالمفعول وخبرها بالفاعل (فان قلت) أحسن الحالات للفعل تقديم الفاعل (قلت) انما منع
ليكون للاصل مزية وتعلم فرعية ان وبابها فى العمل وقد أحسن محاسن الشواء حيث
قال فى جارية زرقاء العيون

وغادة قلت لها الا * رعيت فى الحب لنا الا
وطرفك الازرق ما باله * يحدث فينا لحظه القتلا
قالت ألا يقتل طرف حكى * لون سنان الرمح والشكلا
قد عملت ان على أنها * حرف وقد أشبهت الفعلا

وقيل انما قدم المنصوب على المرفوع ولم يعكس لان كان تقدمت هذا النوع وفازت بذلك
العمل وانما قلنا بتقديم كان واخواتها لانها مختلف فى حرفيتها فقوم قالوا انها افعال سلبت
الدلالة على مصادرها وقوم قالوا بحرفيتها فلما تقدمت كان واخواتها اختصت بذلك العمل
وجاءت هذه بعد فاختصت بهذا العمل فرقا بين العملين ومنهم من قال انها نصبت الاسم لاغير
والخبر مرفوع بما كان عليه أولا لان ان انما تدخل على المبتدا والخبر وليس بشئ لان المبتدا

الا المهلب بعد الله والمطر
هذا يجود ويحمى عن ديارهم
وذا يعيش به الأنعام والشجر
فقال هذا والله هو الشعر
وأمر له بعشرين ألفا * ومن
كلامه عجبت لمن يشترى
العبيد بماله ولا يشترى
الاحرار بافضاله * وكان يقول
لولده اذا غدا عليكم الرجل
وراح فكفى بذلك تقاضيا
* وتذاكروا عنده الثياب فقال
أحسن ثيابكم مارأيتموه على
غيركم * وكان كثيرا ما يامر
بصلة الرحم والمكيدة فى
الحرب (وحكى) أن عبد الرحمن
ابن الاشعث لما خرج على
الحجاج بالجيش الذى كان
بعثه معه الى قتال
زنبيل كاتب المهلب وهو
بخراسان يدعوه الى خلع
الحجاج فقال المهلب لا غدر
بعد سبعين سنة ثم كتب الى
الحجاج أما بعد فان أهل
العراق مع ابن الاشعث قد
أقبلوا اليك وهم مثل السيل
المنحط من أعلى الى أسفل
ليس يرده شئ حتى ينتهى
الى قراره ولاهل العراق
شدة فى أول حربهم وبهم
صبابة الى نسائهم وأبنائهم
فلا شئ يردهم دون أهليهم
فلا تستقبلهم وخل لهم السبيل
حتى يأتوا البصرة فيضاجعوا
نساءهم ويتشمموا أبناءهم
فيرق قلوبهم ويخلدوا الى
المقام فى منازلهم ويتفرقوا

أولى

أولى بأن يبقى على حاله والكلام فى هذا الباب متسع فلذا اقتصرت منه على ماذكروان تكسر فى مواطن ستة الاول أن تقع مبتدأة كقوله تعالى انا أعطيناك الكوثر الثانى أن تكون أول الصلة كقولك جاءنى الذى انه شجاع ومنه قوله تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة واحترزنا بأول الصلة من مثل جاءنى الذى عندك أنه كريم لانها تفتح الثالث أن يتلقى بها القسم كقوله تعالى حم والكتاب المبين انا أنزلناه الرابع أن تحكى بقول مجرد من معنى الظن كقوله تعالى قال انى عبد الله واحترز بمجرد من معنى الظن من نحو قولك أتقول أنك فاضل فهنا تفتح الخامس أن تحل محل الحال نحو زرت زيدا وانى ذو محبة فيه وكقوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون السادس أن تقع بعد فعل معلق باللام نحو قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله فهذه هى المواطن التى يجب الكسر فيها*ولها أماكن أخر تكسر فيها وأماكن أخر يجوز فيها الفتح والكسر منها أن تقع بعد اذا التى للمفاجأة كقولك خرجت فاذا انه واقف ومنها ان تقع بعد قسم وليس مع أحد معموليها اللام كقولك حلفت انك ذو تعب ومنها أن تقع بعد فاء الجزاء نحو من يأتنى فانى أكرمه ومنها أن تقع خبرا عن قول وفاعل القولين واحد نحو قولى انى أحمد الله وما عدا هذه المواضع فانها تكون فيها مفتوحة*وتدخل اللام على خبر المكسورة اذا قصد المبالغة فى التوكيد وانما أدخلوا اللام على الخبر دون الاسم كراهية الجمع بين أداتى التوكيد ودخولها على الخبر مشروط بان لا يتقدم معموله نحو ان زيدا طعامك آكل ولا يكون منفيا نحو ان زيدا لا يقوم ولا ماضيا متصرفا خاليا من قد نحو ان زيدا قام فتدخل على المفرد نحو ان زيدا القائم وعلى المجرور نحو وانك لعلى خلق عظيم وعلى الجملة الاسمية نحو ان زيدا لأبوه قائم وعلى الفعل المضارع نحو ان زيدا ليقوم وان زيدا لسوف يفعل وعلى الماضى الذى لم يتصرف نحو ان زيدا لعسى أن يفعل وعلى الماضى المتصرف المقرون بقد نحو ان زيدا لقد أتى وتدخل على معمول الخبر نحو ان زيدا لطعامك آكل وان عبد الله لفيك راغب وعلى ضمير الفصل كقوله تعالى ان هذا لهو القصص الحق وعلى اسم ان اذا تأخر عن الخبر الظرف نحو ان عندك لزيدا او الجار والمجرور نحو ان فى الدار لزيدا*ولها احكام أخر منها أنها اذا خففت يقل عملها وقد تعمل مع لزوم اللام فى خبرها ومنه قراءة ابن كثير وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم والاهمال أكثر نحو وان كل لما جميع لدينا محضرون واذا دخلت عليها ما كفتها عن العمل وقد تحذف نون الوقاية معها وهو الاكثر فيقال انى والاصل اننى وكذا باقى ادوات الباب تقول ليتنى وهو الكثير وتقول ليتى وهو القليل وتقول لكنى ولكننى وهما متساويان ولعلى ولعلنى وكانى (رجع) والياء فى انى فى موضع النصب على اسمية ان ولم يظهر الاعراب لان الضمائر مبنية (اريد) فعل مضارع ماضيه أراد رفع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله مستتر فيه تقديره أنا والجملة فى موضع رفع لانها خبر ان (طروق الحى) طروق منصوب على المفعولية لاريد والحى مضاف اليه والاضافة معنوية مقدرة باللام (من اضم) جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس (وقد حماه) الواو واو الحال وقد حرف تحقيق حماه فعل ماض والهاء فى موضع نصب على المفعولية وهى ترجع الى الحى (رماة) مرفوع على انه فاعل حماه (من بنى ثعل) من هنا لبيان الجنس وثعل اسم مجرور بالاضافة وهو ممنوع من الصرف لان فيه

عن ابن الاشعث فأوقع بمن حاربك منهم فان الله ناصرك عليهم فلما قرأ الحجاج كتابه قال ويلى على ابن المروى والله مالى نظر وانما نظر الى ابن عمه ولم يقبل منه ذلك وكان ذلك مراد المهلب وتلطف له فى طى هذه النصيحة البليغة*ومما روى من شعره

انا اذا أنشأت قوما النمائم
قالت لنا أنفس أزدية عودوا
لا يوجد الجود الا عند ذى كرم
والمال عند لئام الناس موجود

(وأن هرمس أعطى بلينوس ما أخذ منك)

هرمس هذا هو الذى تزعم قوم من الصابئة أنه نبى مرسل وأنه ادريس عليه السلام ويسندون اليه شرائعهم فى تعظيم الكواكب السبعة والبروج الاثنى عشر والتقرب اليها بالذبائح والدخن وما أشبه ذلك من مذاهبهم قال أبو معشر البلخى هو أول من تكلم فى الاشياء العلوية من الحركات النجومية وجده كيومرث وهو آدم عليه السلام علمه ساعات الليل والنهار وهو أول من بنى الهياكل ومجد الله فيها وأول من نظر فى الطب وتكلم فيه وصنف لأهل زمانه

العلمية والعدل التقديري أي قدر فيه أنه معدول عن فاعل (فان قلت) لاي شئ كان هو معدولا عن فاعل ولم يكن فاعل معدولا عنه (قلت) لان الاصل في صيغة اسم الفاعل هذا الوزن وذلك معدول عنها وانما صرف هنا للضرورة على قول أو للتناسب على قول وقوله وقد حماه الى آخر البيت في موضع النصب على الحال *وذكرت بالعدل والمعرفة هنا قول شرف الدين بن عنين

شكا ابن المؤيد من عزله * وذم الزمان وأبدى السفه
فقلت له لا تذم الزمان * فتظلم أيامه المنصفه
ولا تعجبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

وقول نور الدين الاسعردي في بعض مدرسي العجم

يقولون ان العجم بالقصف مولع * فقلت لهم ما اعتاد شيأ سوى القصف
فقالوا أساءاها وافطا بجاس * فلم منعوا عن صرفه راغم الانف
فقلت لتأنيث به ولعجمة * فقالوا وقد تلجى الضرورة للصرف
ولابد من تقطيعه عند دقبضه * فقد زاد بسط الكف في جهة الوقف

قلت لا يخفى ما في البيت الثالث من محاسن باب ما لا ينصرف. وما في الرابع من محاسن العروض *وما أحسن ما أنشدنيه من لفظه المولى القاضي شرف الدين أبو عبد الله الحسين ابن ريان

أتيت حانة خمار وصاحبها * محارف متقن للنحو ذو لسن
وحوله كل هيفاء منعمة * وكل علق رشيق أهيف حسن
فقال لي اذ رأى عيني قد انصرفت * الى النساء كلام الحاذق الفطن
أنث وركب وصف واعدل بمعرفة * واجمع وزد واستزح من عجمة وزن

وظرف من قال

وذي أدب بارع نكتبه * وأولجت فيه فقد اعنف
فقلت فديتك أعصر عليه * ففيه اللذاذة لو تعترف
فقال أجدت ولكن لحنت * لقولك أعصر بفتح الالف
فقلت لك الويل من أحمق * فقال وأحمق لا ينصرف

قيل ان بعض السؤال وقف على باب نحوي فقرعه فقال النحوي من بالباب فقال سائل فقال انصرف قال اسمي أحمد قال النحوي لغلامه أعط سيبويه كسرة *وحكي أن جماعة من النحاة اختلفوا في بناء سراويل وهل هو منصرف فدخل البرقي عليهم فقال فيم أنتم قالوا في بناء سراويل فما عندك فيه قال مثل ذراع البكر أو أشد *وقال رجل نحوي لبعض العوام اسمعيل ينصرف أو لا فقال اذا صلى العشاء فاقعدوه *ومدح شاعر طلحة صاحب البريد باصبهان فلم يثبه فقال

لو كنت أقنع من مدحي بلا صفد * لا كتلت من طلحة كرين من خبز

فقال له طلحة لحنت لانك صرفت طلحة فقال الشاعر انما طلحة الذي لا ينصرف هو طلحة الطلحات فأما أنت فانك تبلغ الصين بنفخة واحدة (المعنى) يقول لصاحبته الغي الذي طلبت

كتبا كثيرة بأشعار موزونة بلغتهم في معرفة الاشياء العلوية والارضية وأول من أنذر بالطوفان ورأى أن آفة سماوية تلحق الارض من الماء والنار *وكان مسكنه مصر فعند ذلك بنى الاهرام ومدائن التراب وخاف ذهاب العلم بالطوفان فبنى البرابي والجبل المعروف بيرباة اخميم وصور في ذلك الموضع الصناعات وصناعها نقشا وأشار الى صفات العلوم لمن بعده حرصا على تخليدها من بعده وتزعم الصابئة أن النبوة من بعده لاسقلبلينوس وكان اسمه بلينوس فزيد فيه تعظيما لاسمه وكذلك يقال في ارسطاطاليس فان اسمه ارسطو وكان كل من مهر في علومه زيد في اسمه *وكان بلينوس قد أخذ العلوم والاسرار عن هرمس هذا وهو هرمس الهرامسة وزعم آخرون أن هرمس صاحب بلينوس كان بعد الطوفان وهو غير هذا وقال الكندي وهو صاحب كتاب الحيوانات ذوات السموم وكان طبيبا فيلسوفا عالما بطبائع الادوية جوالا في الارض طوافا في البلاد عالما بنصبة المدائن وطبائعها وطبائع أهلها وأدويتها وهو صاحب الطلسمات الاندلسية مثل السودانية

اعانتك عليه هو أني أريد طروق الحي أي النزول على اضم ليلا وقد جاء رماة من بني ثعل وهم المقيمون في الحي فهل لك في الاعانة على المسير اليهم * وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن طروق الرجل أهله ليلا وفي النهي فوائد منها أن أهله لم يكن استعددن له كما هي عادة المرأة مع بعلها فيراها على حال يكرهها ومنها أن يحصل لهم في ذلك الوقت ازعاج بقدومه وهم في وقت يسكنون فيه ويجدون الدعة فيحصل منه استثقال ومنها أن يشوش على جيرانه بحركته في ذلك الوقت ومنها غير ذلك وهذه الحالة أعني كون الرماة يحمون الحي مما لا يهابه العشاق ولا يصدهم عن زيارة أحبابهم ولا يمنعهم عن الوصول اليهم لانه قيل

علامة الحب أن يستصغر الخطر * وان تزور نار الحرب تستعر

وما أحسن قول القائل

وان نذرت فيك العشيرة قتلي * فالموت عندي في هواك سلام
ومن أعجب الاشياء خوفي من العدا * ولي كل يوم في هواك حمام

وقال أبو الطيب

يهون على مثلي اذا رام حاجة * وقوع العوالي دونها والقواضب

وقال ابن الساعاتي

رعاك الله يا سلمى رعاك * ودارك باللوى ذات الاراك
أخاف سيوف قومك من معد * وما كانت بأقتل من هواك

وأنشدني جمال الدين المعروف بالحافي قال أنشدني عفيف الدين التلمساني لنفسه

أسير ولو أن الصباح مواكب * وأسري ولو أن الظلام قتام
وأغشى بيوت الحي لا مترقبا * وأطرق ليلى والوشاة نيام
اذا لم يكن للصب اقدام صبوة * تحل تلاف النفس وهو حرام
فليس له بين المحبين رحلة * ولا بين هاتيك الخيام مقام

وأول هذه الابيات ماخوذ من قول يوسف بن عبد الصمد

فاطعن ولو أن الثريا ثغرة * واضرب ولو أن السماك وريد
وافتح ولو أن السماء معاقل * واهزم ولو أن النجوم جنود

بل ماخوذ من قول أبي العلاء المعري

أسير ولو أن الصباح صوارم * وأسري ولو أن الظلام جحافل

الا أنه غير الصوارم والجحافل بالمواكب والقتام ومن هذه المادة قول أبي العلاء أيضا

وكأن حبلك قد رحلك في السرى * فالطم بأيدي العيس وجه السبسب
واهجم على جنح الدجى ولوانه * أسد يصول من الهلال بمخلب

وقول أبي طالب المأموني

اذا ما طمى بحر المنى بين أضلعي * تعشقت بحرا من دجى الليل طاميا
فأمسي شجا في ثغرة الليل رائحا * وأضحي قذى في مقلة الصبح غاديا

وقول أبي فراس بن حمدان

لقيت نجوم الافق وهي صوارم * وخضت سواد الليل وهو خيول

النحاس وغيرها * وكان بليناس هذا تلميذه سافر معه الى البلاد فلما خرجا من الهند الى فارس خلفه ببابل وكان قد أخذ عنه جميع علومه وظهرت له في الطب وابراء المرضى وقائع معجزة الى أن كثرت فيه أقاويلهم وقالوا هو نبي وقالوا ملك وزعموا أن مولده روحاني وأن الله تعالى رفعه في عمود من نور واقليدس ينسب اليه وهو الذي وضع علم الطب في هيكل يعرف بهيكل اسقنبلينوس ويدل على ذلك قول جالينوس في بعض كتبه ان الله تعالى المخلصني من دبيلة قتالة كانت عرضت لي حججت الى بيته المسمى بهيكل اسقنبلينوس ويقال ان هذا الهيكل بمدينة رومية كانت فيه صورة تكلم الناس مركبة على حركات نجومية وانه كان فيها روحانية كوكب من الكواكب السبعة (وحكى) جالينوس ان الله تعالى أوحى الى اسقنبلينوس اني الى أن أسميك ملكا أقرب من تسميتك انسانا وكان معظما عند اليونان يستسقون بقبره ويوقدون عليه كل ليلة ألف قنديل فخلف ابنين ماهرين في صنعة الطب وعهد اليهما أن لا يعلما الطب الا لاولادهما وأهل

ولم أرع للنفس الكريمة خلة * عشية لم يعطف على خليل
ولا ان لقيت الموت حتى تركتها * وفيها وفى حد الحسام فلول
ومن لم يق الله فهو ممزق * ومن لم يعز الله فهو ذليل

وما أحسن قول الارجانى

سحبت ذيل الدجى حتى طرقتهم * بسحرة وقميص الليل أطمار
أزورهم وسنان الرمح من بعد * الى بالمقلة الزرقاء نظار

وقوله أيضا

لما طرقت الحى قالت خيفة * لا أنت ان علم الغيور ولا أنا
فدنوت طوع مقالها متخفيا * ورأيت خطب القوم عندى أهونا

ونقلت من خط السراج الوراق له

أغنتهم تلك القدود عن القنا * ونضوا عن البيض الصفاح الاعينا
وحموا طروق الحى حتى لم يكن * مسرى الخيال اليه أمرا ممكنا

ولا أرى أن الحالة تشق فى الزيارة الا عند العود ولهذا قيل

يا ليل ما جئتكم زائرا * الا وجدت الارض تطوى لى
ولا انثنى عزمى عن بابكم * الا تعثرت بأذيالى

*(يحمون بالبيض والسمر اللدان به * سود الغدائر حمر الحلى والحلل)*

(اللغة) يحمون يمنعون (البيض) جمع أبيض وهو السيف (السمر) جمع أسمر وهو الرمح (اللدان) جمع لدن وهو اللين (الغدائر) ضفائر الشعر واحدتها غديرة (الحلى) ما تتحلى به المرأة من خاتم وسوار وقلادة وغير ذلك (الحلل) جمع حلة وهى البردة اليمانية والحلة ازار ورداء ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين (الاعراب * يحمون) فعل مضارع من حمى يحمى والواو ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع للفعل المضارع والفرق بين الواو والنون اللتين تكونان فى زيدون جمع المذكر السالم هو أن الواو التى فى جمع المذكر السالم علامة الرفع والنون نون الجمع والواو التى فى الفعل المضارع مثل يفعلون ضمير الفاعلين والنون علامة الرفع للفعل المضارع فهما هنا عكس تينك هناك وتقدم الكلام على موجب اعراب الفعل المضارع فى قوله أريد بسطة كف والواو هنا فى يحمون ضمير يرجع الى رماة الحى (بالبيض) جار ومجرور والباء هنا للاستعانة وقد تقدم الكلام عليها (والسمر) الواو واو العطف وقد عطفت اسما على اسم وقد تقدم الكلام على تقسيمها فى أول القصيدة * ولا بأس بالكلام على حكمها فى العطف فأقول ان الواو للجمع المطلق ولا تقتضى الترتيب بدليل قوله تعالى فكيف كان عذابى ونذر والنذارة قبل العذاب بدليل قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقوله تعالى حكاية عن منكرى البعث وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وانما يريدون نحيى ونموت وقوله تعالى انى متوفيك ورافعك الى وقد تقدم الكلام على هذه الآية وقول الشاعر

حتى اذا رجب تولى وانقضى * وجماديان وجاء شهر مقبل

والادلة على عدم ترتيبها كثيرة وذهب قطرب والربعى الى أنها مرتبة مستدلين على ذلك بقوله تعالى شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم والجواب أن الذكر هنا بالشرف لا

بينهما ولا يدخل الا فى هذه الصناعة غريبا وكان تعليم الطب تلقينا الى أن وضع أبقراط الكتب وهو السادس عشر من ولده قال جالينوس وأما صورته يعنى المصورة فى الهيكل فصورة رجل ملتح قائما متشمرا مجموع الثياب يدل بهذا الشكل على انه ينبغى للاطباء أن يستعدوا فى جميع الاوقات آخذا فى يده عصا معوجة ذات شعب يدل ذلك على انه يمكن فى صناعة الطب أن يبلغ من استعمالها من السن أن يحتاج الى عصا يتوكأ عليها وقيل انما صور العصا لانها من شجرة الخطمى وانه يطرد بها الامراض وأما شعبها فتدل على كثرة أصناف الطب والتفنن فيه ثم صور على تلك العصا صورة حيوان طويل العمر وهو التنين ويقرب هذا الحيوان منه لاشياء كثيرة أحدها انه حيوان حاد البصر كثير السهر وكذلك ينبغى للطبيب أن يكون فى المعرفة والاجتهاد كذلك والثانى انه يسلخ لباسه الذى يسمونه الشيخوخة فكذلك يمكن الطبيب أن يسلخ الشيخوخة بما يفيده من الصحة والثالث انه طويل العمر وعلى ذلك يحرص بعض الاطباء ويروى انه عاش تسعين سنة

بالترتيب كما تقول جاء الخليفة والسلطان والوزير والامراء (مسئلة) من نسب الشافعي الى أنه فهم الترتيب في الوضوء من الواو فقد غلط وانما أخذ الترتيب من السنة ومن سياق النظم وتأليفه وذلك أن الله تعالى ذكر الوجوه ووزنها افعول كرؤس وذكر الايدي ووزنها أفعل كأرجل وأدخل ممسوحا بين مغسولين وقطع النظير عن النظير فلولا أن الحكمة في ذلك التنبيه على الترتيب لكان الاحسن بالبلاغة أن يقال وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤسكم كما يقال رأيت زيدا وعمرا ودخلت الحمام ولا يقال رأيت زيدا ودخلت الحمام ورأيت عمرا ولو قيل ذلك لكان هجنة في الكلام ومن أحسن من الله قيلا (فان قلت) لم يقطع النظير عن النظير بل عطف مغسولا على مغسول وممسوحا على ممسوح ويحتج لهذا بشئ يروى عن علي وابن عباس رضي الله عنهم وبالقراءة الظاهرة وهي جر أرجلكم في قراءة ابن كثير وحمزة وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر عنه عطفا على مسح الرؤس وقراءة النصب لنافع وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية حفص عنه ليست عطفا على الايدي بل هي عطف على موضع الرؤس كما قال الشاعر

معاوي اننا بشر فأسجح * فلسنا بالجبال ولا الحديدا

(قلت) هذا خلاف قول الجماعة ونقل الثقات عن علي الغسل وقد ذكر ابن ماجه في سننه حديثا لابي حية عن علي في باب غسل القدمين وحديث المقداد بن معديكرب وحديث الربيع وكذلك كل من وصف وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عبد الرحمن بن أبي ليلى أجمع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على غسل القدمين قال أبو اسحق وقد لقي عبد الرحمن مائة وعشرين صحابيا وقال أبو اسحق أيضا قال عطاء بن أبي رباح وقد لقيت عشرة من الصحابة ولم أر أحدا منهم يمسح على القدمين قال أبو اسحق هذا مذهب الشافعي وبه قال من الصحابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وحذيفة وأنس بن مالك وأبو هريرة وتميم الداري وسلمة بن الاكوع وعائشة رضي الله عنهم ثم قال وهو مذهب الشعبي والحكم والحسن وابن سيرين والزهري وعكرمة ومحمد بن علي بن الحسين وجعفر ابن محمد وعطاء الخراساني وقول مالك والليث والاوزاعي والثوري وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد وأبي اسحق وأبي ثور وابن عيينة والحسن بن صالح وداود بن علي وأبو اسحق هذا هو الفيروزابادي صاحب التنبيه في الفقه وأما ابن أبي شيبة فقد ذكر في مصنفه بأسانيد صحيحة عن الشعبي وعكرمة والحسن ان مذهبهم المسح وما أدري من أين لابي اسحق هذا النقل عنهم ورواية الجمهور والمشاهير تصلح أن تكون تفسير الكتاب الله تعالى وانما القفال نقل في تفسيره عن ابن عباس وأنس وعكرمة والشعبي وأبي جعفر محمد بن علي الباقر أن الواجب فيهما المسح وهذا مذهب الامامية وهو باطل لان قراءة الجر عارضناها بقراءة النصب والاخبار الكثيرة وردت بالغسل والغسل يشمل المسح ولا ينعكس فالغاسل ماسح وزيادة وليس الماسح غاسلا فالغسل أقرب الى الاحتياط وأيضا فرض الغسل محدود كما في اليدين الى المرفقين وغسل الرجلين محدود الى الكعبين والمسح غير محدود كما في الرأس فالرجلان مغسولتان (فان قلت) الكعب عبارة عن العظم الذي تحت مفصل القدم وقال الاصمعي ومحمد بن الحسن الكعب عبارة عن عظم مستدير مثل عظم البقر والغنم موضوع تحت عظم الساق والقدم وعلى هذا يجوز مسح ظاهر القدم الى هذا الموضع (قلت) قال

*ومن كلامه الصنعة عند الكفور اضاعة للنعمة المتعبد بغير معرفة كحمار الطاحون يمشي ولا يبرح ولا يعرف ما هو فاعل في تدبيره (وأفلاطون أورد على ارسطاليس ما نقل عنك) هو أفلاطون بن ارسطس الالهي آخر المتقدمين الاوائل معروف بالتوحيد والحكمة ولد في زمان أردشير الاول وتتلمذ لسقراط ولما اعتل سقراط ومات مسموما قام مقامه وجلس على كرسيه وقد أخذ العلم عن سقراط وطيمارس وكان قد رحل الى مصر فأخذ أيضا عن أصحاب فيثاغورس وغيره وضم الى علومه الالهية العلوم الطبيعية والرياضية وهو أحد المشائين المشهورين ومعنى المشائين أنه كان من رأيه الرياضة للبدن بالسعي المعتدل لتحليل الفضول ومدارسة الحكمة في تلك الحالة ويقال انه أمر الملوك باتخاذ بيوت الحكمة لتعليم أولادهم فكانوا يتخذون البيوت المذهبة المزخرفة ويصورون فيها أصناف الصور المستحسنة التي ترتاح اليها النفوس ثم يتعلم فيها الصبي فاذا حفظ علما أو حكمة صعد يوم عيد على درج في مجلس بديع الصنعة وقد اجتمع كبار أهل المملكة فيتكلم

صاحب الصحاح الكعب العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم وأنكر الاصمعى قول الناس انه فى ظهر القدم وأيضا فلو كان الكعب على ماذكره الامامية لكان الحاصل فى كل رجل كعب واحد فكان ينبغى أن يقال وأرجلكم الى الكعاب كما أنه لما كان الحاصل فى كل يد مرفق واحد لاجرم قال وأيديكم الى المرافق وأيضا فالذى قاله الامامية والاصمعى عظم خفى لا يعرفه الا من نظر فى علم التشريح والعظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم معلومان لكل أحد ومناط التكليف العام يكون أمرا ظاهرا لا خفيا وأيضا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الصقوا الكعاب ولا يكون الالصاق الا فيما ذهب اليه الجمهور وهما العظمان الناشزان ومنه قيل للمرأة كاعب وهى التى نهد ثديها وقولهم فى النصب انه عطف على الموضع فبابه الضرورة ولا ضرورة فى القرآن فان القرآن على أكمل الوجوه ويكفى هذا القدر فى هذه المسئلة وذكرت بالعطف على الموضع قول شهاب الدين بن محاسن الشواء

هاتيك يا صاح ربا لعلع * ناشدتك الله فعرّج معى
وانزل بنا بين بيوت النقا * فقد غدت آهلة المربع
حتى نطيل اليوم وقفا على السا كن أوعطفا على الموضع

(رجع) السمر مجرور لانه عطف على البيض (اللدان) صفة السمر لانه تبعه فى جمعه وتعريفه وتأنيثه وجره (به) جار ومجرور والضمير يعود الى الحى والباء هنا ظرفية بمعنى فى والتقدير يحمون سود الغدائر حمر الحلى والحلل بالبيض والسمر اللدان فى الحى أو يحمون فى الحى سود الغدائر (سود) جمع أسود وهو منصوب على انه مفعول به ليحمون (الغدائر) مجرور بالاضافة الى سود وسود هنا ليس مفعولا فى الحقيقة بل هو صفة للمفعول وهو من باب حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه تقديره يحمون الرماة بالبيض والسمر التى بالحى أبكارا سود الغدائر أو ملاحا أو نساء كيف أردت وهذا كثير فى الكلام قال الله تعالى فان لم يصبها وابل فطل أى مطر وابل والاضافة هنا لفظية (حمر) صفة لسود بل صفة ثانية للمحذوف المقدر وهو المفعول حقيقة على ما تقرر و(الحلى) مضاف اليه وان أردت جعلته بدل الكل من الكل أعنى حمر الحلى بدل كل من سود الغدائر (والحلل) معطوف على الحلى (المعنى) هؤلاء الرماة الذين هم من بنى ثعل يحمون بالبيض التى هى السيوف والسمر اللينة أى الرماح فى الحى أبكارا سود الضفائر حمر الحلى والبرود يعنى ان حليهن من الذهب الاحمر ولباسهن من الحرير الاحمر قال أبو الطيب

من الجاذر فى زى الاعاريب * حمر الحلى والمطايا والجلابيب

وقال أيضا

بكل فلاة تنكر الانس أرضها * ظعائن حمر الحلى حمر الايانق

ومن قول الطغرائى أخذ ابن الساعاتى قوله

من الظباء اللواتى لاذمام لها * من أين يعرفن رعى العهد والذمم
بيض الترائب سمر الخط يحجبها * سود الذوائب حمر الحلى والنعم

ولاشك ان اللباس الاحمر يزيد الحسن رونقا ويفيده رونقة وبهاء آخر * قال أبو جحيفة وهب بن عبد الله السوائى ما رأيت ذا لمة سوداء فى حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم

وأما

بالحكمة التى حفظها على رؤس الاشهاد وعليه التاج ويسمى حكيما كل ذلك ترغيب للصبى فى الاشتغال لما يحصل له من الشرف والسرور وفى يوم من هذه الايام ظهر أمر أرسطاطاليس كما سيأتى ذكره * ولافلاطون آراء ومذاهب أخذها عنه أرسطاطاليس وخالفه فى بعضها مثل حدوث العالم وغيره وكان يصوّر لافلاطون الصورة ويؤتى بها اليه فيقول من خلق هذه الصورة كذا ومن خالها كذا فصوّرت صورته وسئل عنها فقال من خلق صاحب هذه الصورة كذا وكذا وهو محب للزنا فقيل انها صورتك فقال نعم ولولا أنى أحبس نفسى عن الزنا لفعلت * ومن كلامه ان الله تعالى بقدر ما يعطى من الحكمة يمنع من الرزق فقيل له ولم قال لان الحكمة حظ النفس الناطقة والمال حظ النفس الشهوانية والناطقة غالبة على الشهوانية فالمال والحكمة متغايران فلا يجتمعان * وقال لا ينبغى أن تفعل شيأ اذا عيرت به غضبت فانك اذا فعلت ذلك كنت أنت القاذف لنفسك * وقال عقول الناس مدونة فى رؤس أقلامهم وظاهرة فى اختيارهم * وقيل له بماذا ينتصف

وأما قول الشاعر

هجان عليها حمرة في بياضها * تروق به العينين والحسن أحمر

فانه عنى به الحسن في حمرة اللون مع البياض دون غيره من الالوان وقال الحريري في درة الغواص أما قولهم الحسن أحمر فمعناه انه لا يكتسب ما فيه الجمال الا بتحمل مشقة يحمر منها الوجه كما قالوا السنة المجدبة حمراء وكنوا عن الامر المستصعب بالموت الاحمر اه (قلت) ويحتمل أن يكون المراد بقولهم الموت الاحمر انه القتل الذي يرى فيه سفك الدم وقول الطغرائي من قول أبي الطيب

ديار اللواتي دارهن عزيزة * بسمر القنا يحمين لا بالتمائم

وقول أبي اسحق الغزي

وبورك في خيام قبيل سلمى * وفي تلك المضارب والحجال

فما أوتادهن سوى المواضي * ولا أطنابهن سوى العوالي

وقال الارجاني

وقفا لصائدة الفؤاد بدلها * وخفا جناية عينها الحوراء

وتحدثا باسر الخول خباءها * سمر الرماح يمان للاصغاء

وقال ابن قلاقس الاسكندري

في سندس الكلة حورية * تسكن قلبي وهو النار

أحدقت السمر بها مثل ما * تحدق بالمقلة أشفار

وقد أخذه من قول أبي الطيب

مضى بعد ما التف الرماحان حوله * كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا

وقال السراج الوراق

من البيض تمشي البيض حول خبائها * شبيهة نومي ليس يأوي الى جفني

غزالة أنس والرماح كناسها * ومن حوله قوم يخالون كالجن

لهم غيرة قد ساء بالطيف ظنها * فضنوا عليها بالكرى خيفة الظن

وقال أيضا

ومحجوبة أما الدجى فغدائر * عليها وأما الصبح فهو جبينها

عجبت لسرى الطيف لي من كناسها * ومن حوله أسد الشرى وعرينها

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان قال أنشدني لنفسه الشيخ تقي الدين السروجي

وادي لليلى العامرية منزلا * بالجود يعرف والندى أصحابه

فيه الامان لمن يخاف من الردى * والخير قد ظفرت به طلابه

قد أشرعت بيض الصوارم والقنا * من حوله فهو المنيع جنابه

وعلى حماه جلالة من أهله * فلذا الطارقة العيون تهابه

كم قلبت فيه الخدود على الثرى * شوقا اليه وقبلت أعتابه

قد أخصبت منه الاباطح والربا * للزائرين وفتحت أبوابه

الانسان من عدوه قال بأن يزداد فضلا في نفسه * وقال في معنى الملك هو كالبحر تستمد منه الانهار فان كانت الانهار عذبة فاصلها منه وان ضد ذلك فنه * وقال ينبغي للذين يأخذون على أيدي الاحداث أن يدعوا لهم موضعا للعذر لئلا يضطروا الى الضجر بكثرة التوبيخ وقيل له فلان لا يعرف شيأ من الشر قال فاذا لا يعرف الخير يريد أن تكون الامور متميزة عند الانسان فانه بعد تمييزها يختار منها واذا لم يوضحها التمييز بطل اختياره ومتى بطل اختياره خيف عليه أن يقع في مهالكها وقال من القبيح أن نمتنع من الطعام الذي يصح أبداننا ولا نمتنع من القبائح لتصفو بذلك أنفسنا * فأما ارسطاطاليس فهو ابن نيقوماخس المعروف بالمعلم الاول وانما سمي بذلك لانه أول من وضع التعاليم المنطقية وأخرجها من القوة الى الفعل وحكمه حكم واضع النحو وواضع العروض وكان سبب محبة أفلاطون له والقاء علومه اليه أن أباه كان قد أسلمه لافلاطون صغيرا ومات فاستمر ارسطاطاليس يتيما في خدمته وكان ذوفسطاليس الملك قد اتخذ لولده بطاقورس بيتا

وقال ابن سناء الملك

ألا فارفعى ذا الشعر عنا فاننا * نغار عليه من ملاعبة الحجل
عجبت له اذ يطمئن معانقا * أما أذهل الخلخال خوف بنى ذهل
بشوك القنا يحمون شهد رضابها * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

قال شرف الدين بن جبارة بعد أن أورد على البيت الاول والثانى ما أورده من فساد المعنى ونقضه أراد أن يمدحهم فهجاهم بالمثل المضمن آخر بيته الذى جعله كفن ميته لانه جعل طعن رماحهم كابر النحل وابرة النحل لا أثر لها ولا ألم يحصل منها ولو أن كل عاشق انما يمنعه من معشوقه ويحجزه عنه لسع الزنابير ولدغها لسهل عليه صعبها وذل له منعها ولله در المجنون اذ يقول كما نقل عنه

وحقكم لازرتكم فى دجنة * من الليل تخفينى كأنى سارق
ولا زرت الا والسيوف هواتف * الى وأطراف الرماح عواشق

ولابى عبد الله عثمان المعروف بابن الحداد الاندلسى

أنى أراع لهم وبين جوانحى * شوق يهون خطبهم فيهون
أوهل يهاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين
وكأنما بيض الصفاح جداول * وكأنما سمر الرماح غصون

ثم ذكر أشياء غير ذلك وقال لولا وقوع هذا الشاعر فى شعره وقلة معرفته وقصور فكره لما قال بشوك القنا يحمون شهد رضابها * وكيف يحمى الشهد بالشوك ولو اتفق له أن يقول جنى رضابها لكان أسوغ وأبلغ ثم قال فى أول البيت شهد وفى آخره شهد وانما الاحسن أن يأتى بالمثل بالمعنى لا باللفظ لانه اذا كرر لفظه فكانه هو وانما القصد أن يكشف المعنى بلفظ موجز وقول مجموع معجز واذا تؤمل أكثر الشعر المضمن للامثال وجد على هذا المثال وهذه العلوم تدق عن فهمه ويخفى غرضها عن مرمى سهمه اه (قلت) اما كونه يدعى انه لا ألم فى ابر النحل ولا ضرر فى الزنابير فهذا مما لا يسمع وهو تحامل أليس ان فى ابر النحل والزنابير سما يمنع القرب منه والدنو اليه وغالب الناس يهاب ذلك ولا يقدم عليه * ومن مسائل النحاة كنت أظن العقرب أشد لسعا من الزنبور فاذا هو هى أو فاذا هو اياها الاول مذهب سيبويه والثانى مذهب الكسائى وليس بشئ لان مذهب الكسائى خرجت فاذا زيد واقف وهذه المسئلة تعرف بالزنبورية وقد ذكرها الشيخ بهاء الدين بن النحاس فى التعليقة على المقرب والشيخ علم الدين السخاوى ذكرها مستوفاة فى سفر السعادة ولعل بعض الناس لسعه زنبور فتورم منه ومات وبالجملة ففى ابر النحل سم تعاف النفوس من الاقدام عليه وهو ما اراد أن طعن قومها مثل لسع ابر النحل كما قال المعرى

وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم * بالسمهرية دون الوخز بالابر

لانه ما أتى بمثل ولا بكاف التشبيه بل نبه بالمثل الذى ذكره على أن حلاوة ريقها لا تنال الا بعد مشقة وعناء وأهوال كما أن الشهد من دونه ابر النحل وكل لذيذ محفوف بألم فالجنة حفت بالمكاره وهذا غير وارد عليه واما انكاره شوك القنا فهو استعارة حسنة والتشبيه مطابق لان الاسنة أشكال مستدقة ملسنة حادة كما هو الشوك وأتى بها ليطابق الكلام المثل فى قوله

للحكمة وأمر افلاطون بتعليمه وكان غلاما متخلفا قليل الفهم وارسطاطاليس غلاما ذكيا حادا وكان افلاطون يعلم بطاقورس الآداب والحكمة وارسطاطاليس يعى ذلك ويرسخ فى صدره حتى اذا كان يوم العيد زين بيت الذهب الذى هو بيت الحكمة والبس بطاقورس التاج وحضر الملك وأهل المملكة على العادة وصعد افلاطون وولد الملك الى مجلس الحكمة والشرف على رؤس الاشهاد فلم يورد الغلام شيأ ولا نطق بحرف فأسقط فى يد افلاطون واعتذر بأنه لم يقصر فى الالقاء عليه ثم قال يا معشر التلامذة من فيكم من ينوب عن بطاقورس فثار ارسطاليس وصعد الى مجلس الشرف وأخذ يسرد جميع ما ألقاه افلاطون الى ابن الملك لم يغادر منه حرفا فقال افلاطون أيها الملك هذه الحكمة التى القيتها على ولدك قد حفظها هذا اليتيم فما احتيالى فى الرزق والحرمان ثم انصرف الجمع وقد اغتبط افلاطون بارسطاليس واعتنى به بعد ذلك ومكث عنده نيفا وعشرين سنة وكان كثير التعظيم له بحيث انه كان اذا جلس فاستدعى منه الكلام يقول اصبر حتى يحضر الناس

ولابد دون الشهد من ابر النحل * فقوله شوك يناسب ابر النحل وقد شبه الشعراء القنا بالشوك
قال الارجاني

وردالخدود ودونه شوك القنا * فمن المحدث نفسه أن يجتني

وقال ابن خفاجة

والخيل تعثر في شبا شوك القنا * وتظل تسبح في الدم المؤار

وما أعجبني شيء مما أورده عليه غير انكاره تكرار الشهد وكان الاحسن لو قال
بشوك القنا يحمون رشف رضابها * حتى اذا جاء المثل فسر ما تقدم واخراج الكلام مبهما ثم
مفسرا أوقع في النفوس وأبلغ الاترى ما أحلى قول مجير الدين محمد بن تميم في مليح يشرب من بركة

أفدي الذي أهوى بفيه شاربا * من بركة رقت وراقت مشرعا
أبدت لعيني وجهه وخياله * فأرتني القمرين في وقت معا

فلو قال أبدت لعيني قمر وجهه وقمر خياله لما كان له هذه الديباجة فاعرف ذلك * وبيت
الطغرائي فيه من البديع التدبيج وهو تفعيل من الدبج وهو النقش والتزيين وأصل
الديباج فارسي معرب فالتدبيج في البديع ان يذكر الشاعر في مدح أو ذم أو وصف الفاظا
تدل على الوان مختلفة كقول ابن حيوس

ان ترد علم حالهم عن يقين * فالقهم يوم نائل أو نزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

وأخذه ابن النبيه فقصر عنه في قوله

له بنان طافح بالندى * فهن اماديم أو بحار
بيض الايادي خضر روض الرضا * حمر المواضي في العجاج المثار

والطغرائي ذكر في بيته البيض والسمر والسود والحمر وما أحسن قول القائل

الغصن فوق الماء تحت شقائق * مثل الأسنة خضبت بدماء
كالصعدة السمراء تحت الراية الحمراء فوق اللامة الخضراء

(وقلت أنا)

ما أبصرت عيناك أحسن منظرا * فيما يرى من سائر الاشياء
كالشامة الخضراء فوق الوجنة الحمراء تحت المقلة السوداء

وقال ابن النبيه

وفي الكلة الحمراء بيضاء طفلة * بزرق عيون السمر يحمى احورارها
أثار لها نقع الجياد سرادقا * به دون ستر الخدر عنا استتارها

وقال عماد الدين بن دبوقاء من أبيات

أرى العقد في ثغره محكما * يرينا الصحاح من الجوهر
وتكملة الحسن ايضاحها * رويناه عن وجهك الازهر
ومنثور دمعي غدا أحمرا * على آس عارضك الاخضر
وبعث رشادي بغي الهوى * لأجلك يا طلعة المشتري

ولبعض الكتاب وأوردناه الحديد الاخضر ماء الوريد الاحمر من عدو الدين الازرق من

وربما قال اصبر حتى يحضر العقل فاذا حضر ارسطاليس قال تكلموا ثم مات افلاطون وقد أخذ عنه ارسطاليس جميع علومه وخالفه في مسائل استدركها عليه وكان يقول انا نحب افلاطون ونحب الحق فاذا افترقنا فالحق أولى بالمحبة ثم وضع علم المنطق ورتب أصوله وقال انما فضل الناس على البهائم بالمنطق فاحقهم بالانسانية أبلغهم منطقا وأوصلهم الى عبارات من ذات نفسه بالايجاز وله في ذلك مسائل ومصنفات معروفة وكذلك في جميع علومه الحكمية والفلسفية وكان قد تسلم الاسكندر بن فيلبش من أبيه فعلمه وهذبه وولي الاسكندر المملكة فكان لا يبرم أمرا وينقضه الا باشارته وكان بمنزلة الوزير والمشير الى أن توفي الاسكندر وعاش بعده قليلا ومات فوضعت جثته في اناء من نحاس وقيل في خشبة كالتابوت وعلقت في جزيرة صقلية وكان أهل البلد يجتمعون اليها عند المشاورة والمدارسة في فنون الحكمة ويقولون ان مجيئهم الى ذلك الموضع يذكي عقولهم ويصحح فكرهم وربما استسقوا به في الجدب * ومن كلامه مما كتب به للاسكندر وهو في

بني الاصفر * وقال القاضي الفاضل من رسالة يصف فيها كتابا ورد عليه وقبضته وكم افضى منه شرارة بعد شرارة وفضضته فاذا جبال النور منه مستعارة كأن شراره الجمالات الصفر أو القصور الحمر أو النصال الزرق أو الليالي السود أو البروق البيض * والعلم المشهور في هذا قول الحريري في المقامة الثالثة عشرة فذا غبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر * وأخبرني الامام شهاب الدين أبو الثناء محمود أن القاضي الفاضل شرع في انشاء مقامات فكان يعارض كل فصل من كل مقامة للحريري بفصل من كلامه فلما انتهى الى هذا الفصل قال من ابن يأتي المتكلم بمثل هذا وأبطل ما عمله من المقامات * والحديث المدبج عند علماء الحديث هو الذي يروي فيه الاقران بعضهم عن بعض وهم المتقاربون في السن والاسناد وربما اكتفى الحاكم أبو عبد الله فيه بالتقارب في الاسناد ان لم يوجد التقارب في السن وأعلاه ما روى فيه الصحابي عن الصحابي مثل عائشة وأبي هريرة وبعده التابعي عن التابعي مثل مالك عن الاوزاعي وعكسه وبعده تابع التابعين عن تابع التابعين مثل أحمد بن حنبل عن علي بن المدائني وعكسه وبعده رواية الاشياخ عن الاشياخ وقد جمع الحافظ عبد الغني والحافظ ابن عساكر والحافظ جمال الدين الرهاوي وغيرهم أجزاء في الرباعي أي الحديث الذي اجتمع فيه أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين

* (فسر بنا في ذمام الليل معتسفا * فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل) *

(اللغة) الذمام الحرمة والاعتساف افتعال من العسف وهو الاخذ بغير دليل فالذي يعتسف في السير يمشي على غير طريق (نفحة الطيب) رائحته يقال نفح الطيب ينفح اذا فاح نشره (تهدينا) ترشدنا الى مقصدنا (الحلل) بكسر الحاء جمع حلة وهي بيوت القوم (الاعراب) فسر الفاء للتعقيب أي عقب كلامه بقوله فسر وسر فعل أمر من السير مجزوم لكونه أمرا وذكرت هنا بيتين من أبيات المعاني وهما

سألت ونحن في البيداء عمرا * على عجل ونحن نسير سيرا

فجادله ولم يبخل علينا * فقلت له جزاك الله خيرا

ولا يظهر في بادئ الرأي أنه جادله بشئ لان الذهن يتبادر الى أن سيرا مفعول مطلق مثل ضربت ضربا واغا هو مفعول به لسألت وتقدير الكلام سألت ونحن في البيداء عمرا سيرا فجاد بالسير (رجع) الامر ينقسم الى قسمين لغوي وهو طلب ايجاد الفاعل الفعل في الخارج على سبيل الاستعلاء وقيل اقتضاء فعل غير كف على جهة الاستعلاء والمراد بالاقتضاء ما يقوم بالنفس من الطلب لانه الامر في الحقيقة وتسمية الصيغة به مجاز وقيل غير كف ليقع الاحتراز من النهي وعلى جهة الاستعلاء ليقع الاحتراز من الدعاء وأورد على طرده كف لانه اقتضاء فعل هو كف فلا يكون هذا أمرا لكنه أمر فلا يكون مطردا وعلى عكسه لا تكف لانه اقتضاء فعل غير كف فيكون أمرا لكنه ليس بأمر فلا يكون منعكسا * وصناعي وهو ما حصل به ذلك أي طلب ايجاد الفعل والذي حصل به ذلك هو الصيغة التي يطلب بها الفعل من الفاعل وفعل الامر بني على السكون لانه الاصل في البناء وصيغته مأخوذة من المضارع فاذا أردت أن تصوغ فعل أمر حذفت حرف المضارعة ونظرت الى ما يليه فان كان متحركا صغت مثال الامر

غاية البلاغة أيها الملك لا تخدع للهوى وان خيل اليك أن في الخداع لك له خداعه فقد يسترسل الانسان وهو يظن انه متحفظ واجمع في سياستك بين بدار لا حدة فيه وريث لا غفلة معه وامزج كل شكل بشكله حتى تزداد قوة وكن عبد الحق فعبد الحق حر وليكن وكذلك الاحسان الى الخلق ومن الاحسان وضع الاساءة في موضعها وكن نصيح نفسك فليس لك أرأف بك منك واذا أشكل عليك أمر فاضرع الى الله تعالى يبلغك هذه الغاية فانه يفتح لك المرتج واذا فاتك شئ فاعلم ان ذلك لسهو عرض لك في الشكر على ما أفادك ومهما اخطأك شئ فلا يخطئك الفكر في الرحيل عن هذه الدار * ومنه ان لكل شئ صناعة وصناعة العقل حسن الاختيار * ورأى انسانا سمين البدن فقال ما أشد عنايتك برفع سور جسمك * وقال سلوا القلوب عن المودات فانها لا تقبل الرشا * وقال مقدم الرأس للفكر ومؤخره للذكر والدليل على ذلك ان المتفكر يطأطئ برأسه والمتذكر يرفع رأسه وقال من علم ان الفناء مستول على كونه هانت عليه المصائب واكثر الامثال في شعر المتنبي من

على صيغته وحركته فتقول مثلا من يشمر شمر ومن يدحرج دحرج ومن يثب ثب ومن يصل صل وان كان الذى يلى حرف المضارعة ساكنا اجتلبت له همزة وصل ليتوصل الى النطق باول الفعل ساكنا فتقول من مثل يضرب اضرب ومن مثل ينطلق انطلق ومن مثل يستخرج استخرج لأن الابتداء بالساكن فى النطق مستحيل وما أحسن قول السراج الوراق

يا ساكنا قلبى ذكرتك قبله * أرأيت قبلى من بدا بالساكن

وجعلته وقفا عليك وقد غدا * متحركا بخلاف قلب الآمن

وبذا جرى الاعراب فى نحو الهوى * فاليك معذرتى فلست بلاحن

وسواء كان الفعل ثلاثيا أو خماسيا أو سداسيا وشذ من هذه القاعدة فعلان فلا تدخل عليهما همزة وهما خذ وكل وجوز فى فعلين الحاق الهمزة وحذفها وهما مر وسل وقد نطق القرآن الكريم بهما فقال تعالى سل بنى اسرائيل وقال تعالى واسئل القرية وتقول مره بكذا وأمره بكذا فاما حركة الهمزة المجتلبة فان كان الماضى رباعيا فانها مفتوحة فى الأمر تقول من أكرم أكرم واذا كان ثالث المضارع مضموما فانها مضمومة فى الامر تقول فى الامر من يقتل اقتل وما عدا ذلك فانها مكسورة (رجع) سر كان أصله سير لان مضارعه يسير فاجتمع فيه ساكنان وأحدهما حرف علة فحذف والفاعل فيه ضمير مستتر تقديره أنت (بنا) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية والباء للتعدية (فى ذمام الليل) فى حرف جر وذمام مجرور بها والليل مضاف اليه وهى اضافة مقدرة باللام وموضع الجار والمجرور النصب على الظرف (معتسفا) اسم فاعل من اعتسف وهو منصوب على الحال والحال صاحبها هو الضمير المستتر المقدر فى سر وهو أنت والعامل فيها سر وافرادها هنا متعين (فان قلت) لاى شئ لم يقل معتسفين لانهم جماعة أو معتسفين لانهما اثنان قد شملهما السير (قلت) كانه قال لصاحبه تقدم أنت وسر بنا اماما واعتسف الارض ودعنى مشغولا بما أنا فيه من الفكر وحديث النفس ولا تخف فنفحة الطيب التى تتضوع من أهل الحى تهديك وتدلك على الطريق اليهم (فنفحة الطيب) الفاء هنا سببية ونفحة مرفوع على الابتداء والطيب مجرور بالاضافة وهى مقدرة باللام أو بمن (تهدينا) فعل مضارع من هدى يهدى فهو ثلاثى مفتوح الاول وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل مثل يرمى والنون والالف ضمير فى محل نصب بتهدى والفاعل يرجع الى النفحة (الى الحال) جار ومجرور فى موضع نصب لتعلقه بتهدينا * والى تاتى فى العربية لمعان فتأتى لانتهاء الغاية لانها تقابل من فى الابتداء تقول جئت اليك من البلد الفلانى أى انتهى مجيئى اليك قال الله تعالى انظروا الى ثمره اذا أثمر أى الثمر غاية النظر وتاتى بمعنى مع وهو قليل قال بعضهم فى قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم بمعنى مع أموالكم وليس بشئ لانها لو كانت بمعنى مع لأمكن أن تقدر بمعنى مع فى كل مواطنها كما يقدر بابتداء الغاية فى من فى كل مواردها ولا يمكن ذلك فى الى فلا تقول فى سرت اليك ان الى بمعنى مع وأما الآية الكريمة فلما كان الاكل بمعنى الجمع والضم وليس بمعنى البلع والمضغ عداه بالى أى لا تضموا أموالهم الى أموالكم لان الضم سبب فى الاكل فاقام المسبب مقام السبب كقوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وقوله تعالى من أنصارى الى الله قيل المعنى مع الله وليس كذلك بل من أنصارى الى أن يتم أمر الله وتاتى بمعنى فى كقول النابغة

قوله وقد أفرد الهاشمى رسالة فى ذلك (وحكى) عبد الله بن طاهر أن المأمون قال رأيت فى المنام رجلا قد جلس مجلس الحكماء فقلت له من أنت فقال ارسطاليس الحكيم فقلت أيها الحكيم ما أحسن الكلام قال ما يستقيم فى الرأى قلت ثم ماذا قال ما يستحسنه سامعه قلت ثم ماذا قال ما لا يخشى عاقبته قلت ثم ماذا قال ما عدا هذا هو ونهيق الحمار سواء قال المأمون ولو كان حيا ما زاد على هذا الكلام شيأ آخر اذ به جمع ومنع وقال قوم ان هذا الكلام وجد فى كتبه (وبطليموس سوى الاصطرلاب بتدبيرك وصور الكرة على تقديرك) هو بطليموس صاحب كتاب المجسطى الكبير والجغرافيا والاصطرلاب وكتاب اللعون الثمانية وغير ذلك وهو أول من شرح القول على هيآت الفلك وأخرج علم الهندسة من القوة الى الفعل وأكثر الرواة يقولون انه ثالث ملوك اليونان بعد الاسكندر وبطليموس لقب ملوكهم وكان رجلا حكيما وسبب ملكه أنه لما مات بطليموس الصانع ملك اليونان لم يكن فى بيت هذا الملك من أهله من يصلح للملك فذكر لليونان رجل يصلح فقال بطليموس

فلا تتركني بالوعيد كأنني * الى الناس مطلي به القار أجرب

واختلف فيما بعدها فقيل ان كان ما بعدها داخلا في مسمى ما قبلها دخل والا فلا فعلى هذا يدخل المرفق في الغسل لان المرفق داخل في مسمى اليد لان اليد من رأس الانامل الى الابط وهذا ينتقض بقولك نمت البارحة الى نصفها ولا يجوز أن يقال انه نام البارحة كلها وقال الجمهور بغسل المرفقين مع اليدين وقال مالك وزفر لا يجب غسل المرفقين وهذا الخلاف أيضا في الكعبين حجة زفر أن الى لانتهاء الغاية والمنتهى غير النهاية فلا يتعين غسل النهاية والجواب من وجهين الاول مذهب الزجاج سلمنا ان المرفق لا يجب غسله لكن المرفق اسم لما جاوز طرف العظم فانه هو المكان الذي يرتفق به أي يتكأ عليه ولا نزاع في أن ما وراء طرف العظم لا يجب غسله الثاني أن حد الشئ قد يكون منفصلا عن المحدود كقوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل فان النهار منفصل عن الليل في الحس وقد لا يكون منفصلا كقولك بعتك هذا الثوب من هنا الى هنا فهذا الحد غير منفصل ولا شك أن امتياز المرفق عن الساعد ليس منفصلا لا معنا واذا كان كذلك فليس ايجاب الغسل الى جزء أولى من ايجابه الى جزء آخر فوجب القول بغسل كل المرفق وقال بعضهم النهاية غير المتناهي وغسل المرفق لم يفهم من الآية الكريمة إنما فهم من فعله صلى الله عليه وسلم فعلى هذا لو قلت بعتك من هذه الشجرة الى هذه الشجرة لم تدخل الغاية ههنا واذا قلت بعتك هذا البستان من هذا الحائط الى هذا الحائط دخل الحائطان في المبيع والفرق بينهما أن الغاية في الاولى من جنس ما دخلت فيه فهي خارجة عنه وكذلك المرفق من جنس اليد فهو خارج عن الغسل وفي الثانية ان الغاية خارجة عن المغيا لان الحائط ليس من جنس البستان فلهذا دخل الحائطان في المبيع ألا ترى أن قوله تعالى ثم أتموا الصيام الى الليل لما كان الليل من غير جنس النهار اعتبر دخول أول الليل قال صلى الله عليه وسلم اذا أدبر النهار من ههنا وأقبل الليل من ههنا فقد أفطر الصائم فاعتبر دخول الليل لانه خارج عن النهار (المعنى) فسر بنا في ذمة الليل فانه يسترنا واعتسف السير ولا تخش الضلال عن طريق الحي فان له نفحة طيب من أهله ترشدك الى الحلة التي هم بها نزول وهذا معنى لطيف وتركيب رقيق وقد جرت عادة الشعراء أن يذكروا أن مواطن الحبيب وأماكنه وما جاورها تتضوع بانواع الطيب وتتأرج النسمات بنفحاته العطرة قال محمد بن عبد الله النميري في زينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفي من قصيدة

تضوع مسكا بطن نعمان اذ مشت * به زينب في نسوة خفرات
له أرج من مجمر الهند ساطع * تطلع رياه من الحجرات

ومنها

يخمرن أطراف البنان من التقى * ويطلعن شطر الليل معتجرات

ويروى * ويقتلن بالالحاظ مقتدرات * ومنها

ولما رأت ركب النميري أعرضت * وكن من ان يلقينه حذرات

ولما بلغ الحجاج أن النميري تغزل باخته تهدده وقال لولا أن يقول قائل لقطعت لسانه فهرب الى اليمن ثم انه استجار بعبد الملك بن مروان فأجاره وكتب له الى الحجاج فأمنه واستنشده الابيات فانشدها حتى بلغ قوله ولما رأت ركب النميري فقال له وما كان ركبك قال أربعة

انه لا يصلح للملك قالوا ولم قال لانه كثير الخصومة وليس يخلو في خصومته أن يكون ظالما أو مظلوما فان كان ظالما لم يصلح للملك لظلمه وان كان مظلوما لم يصلح للملك لعجزه وضعفه قالوا صدقت فانت أولى بالملك فملكوه عليهم وقال بعض محققي التاريخ ليس بطلميوس الحكيم من ملوك اليونان بل هو رجل حكيم كان في زمن انطنيوس أحد ملوك الروم بعد اليونان بملوك كثيرة والدليل على انه ليس من ملوك اليونان انه ذكر في كتاب المجسطي انه رصد الشمس بالاسكندرية سنة ثمانمائة وثمانين لبختنصر وكان من بختنصر الى قتل دارا أربعمائة وتسع وعشرون سنة ومن قتل دارا الى زوال ملك اليونان على يد أوغسطس مائتا سنة وثمانون سنة ومن غلبة أوغسطس الى أن ملك انطنيوس مائة وسبعون سنة فيكون ذلك موافقا لما حكاه بطلميوس في كتابه * وأما الاصطرلاب فيزعمون أنه باللغة اليونانية ميزان الشمس وبه يعرف مقدار الساعات وأخذ الارصاد ومطالع الكواكب وغير ذلك وبه مثلت هيئة الفلك وكذلك الكرة والاصطرلاب كرة مطبوعة مثال كرة من شمع

أجرة لي كنت أجاب عليها القطران وثلاثة أجرة أصاحبي تحمل البعر فضحك عند ذلك وخلى سبيله ويشبه هذا ما حكي عن الشريف المرتضى انه كان جالسا في علية له تشرف على الطريق فرتحته ابن المطرزي الشاعر يجر نعلا له بالية وهي تثير الغبار فامر باحضاره فلما احضر قال له أنشدني أبياتك التي تقول فيها

اذا لم تبلغني اليكم ركائبي * فلا وردت ماء ولا رعت العشبا

فانشده اياها فلما انتهى الى هذا البيت أشار الشريف الى نعله البالية وقال له أهذه كانت من ركائبك فاطرق المطرزي ساعة ثم قال له لما عادت هبات سيدنا الشريف أيده الله الى مثل قوله

وخذ النوم من جفوني فاني * قد خلعت الكرى على العشاق

عادت ركائبي الى مثل ما ترى لانك خلعت مالا تملكه على من لا يقبل فاستحى الشريف منه وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل يقول والله ان قول المطرزي عندي أحسن من قول الشريف (رجع) وذكرت بقول الطغرائي قول أبي العلاء المعري

الموقدون بنجد نار بادية * لا يحضرون وفقد العز في الحضر
اذا همى القطر شبتها عبيدهم * تحت الغمائم للسارين بالقطر

القطر هو العود ومعناه ان هؤلاء الممدوحين يوقدون النار في الليل ليهتدي الضيف بها اليهم فاذا كان الغمام ونزل القطر واطفأ النار أمروا عبيدهم أن يوقدوها بالطيب ليشم الساري الرائحة فيهتدي اليهم وهذا معنى غريب مليح وعليه اعتمد ابن عباد في قوله على انه ما فارق المعنى ولا خالف المعنى وهو

المكثرين من الكباء لنارهم * لا يوقدون بغيره للساري

ومن قول الطغرائي قول التهامي

يتركن حيث حللن زهر لطيمة * مما يثرن به العبير وطاحا
يهدى ثراه الى البلاد وربما * حيث برياه الرياح رياحا

وقول الارجاني

بلغاني منازل الحي أسألها متى فارقت رباها الغيدا
واستدلا على الحمى نشر مسك * من نحور الحسان فيه برودا

والاصل في هذا كله قول أبي الطيب

ويفوح من طيب الثناء روائح * لهم بكل مكانة تستنشق

وقول الآخر

ولو ان ركبا يمموك لقادهم * نسيمك حتى يستدل به الركب

وقول ابن النبيه

راح تطير النار من دنها * كانما بازلها قادح
أنكرها الخمار ضنا بها * حتى هدانا نشرها الفائح

وقوله

ان جاء من يبغي لهم منزلا * فقل له يمشي ويستنشق

ضمت عليها اليدان فصارت دائرة وزعم بطلميوس ان الافلاك تسعة فأولها أقربها الى الارض وهو أصغرها وهو فلك القمر ثم الذي يليه فلك عطارد ثم الزهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل والثامن فلك البروج وفيه سائر الكواكب الثابتة التاسع الفلك الاعظم الحاكم على جميع الافلاك ويسمى الاثير لانه يؤثر في غيره وغيره لا يؤثر فيه ويقال القسري لانه يدير الافلاك دورة قسرية في كل يوم وليلة وهيآت البروج مثال البطيخة المخططة أعلاها وأسفلها كالنقطتين وكل بيت بين خطين بمنزلة البرج ثم ان الفلك المحيط يدير الافلاك الثمانية من المشرق الى المغرب كل يوم دورة واحدة والافلاك الثمانية تدور من المغرب الى المشرق وشبهوا ذلك بسفينة تجري مع الماء وفيها رجل يمشي مصعدا (وحكى) أبو حيان التوحيدي قال كان ابن بكير يقول دون فلك القمر فلكان هما سبب المد والجزر ويقطعان الفلك كل يوم وليلة مرتين وهذا من آرائه التي تفرد بها ولم أجد أحدا يوافقه عليها والصناعة برهانية ولا أعرف أي برهان قام له على هذه الدعوى ومن كلام بطليموس ما أحسن

وقول مسلم بن الوليد

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه * فطيب تراب القبر دل على القبر

وقول ابن الرومي

أعقبته من طيب ذكرك نفحة * كادت تكون ثناءك المسموعا

وقال آخر

وليس نسيم المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلق

وقال آخر

لو كان يوجد ريح مسك فائحا * لوجدته منهم على أميال

ان قلت هذا المعنى مختل لان ريح المسك يوجد فائحا فكان ينبغي أن يوجد منهم على أميال لان الشرط اذا صدق صدق المشروط (قلت) فيه تقديم وتأخير تقديره لو كان يوجد ريح مسك على أميال لوجدته منهم ولكن لم يوجد ريح مسك على أميال فلا يوجد منهم ورواه بعضهم لو كان يوجد ريح مجد وعلى هذه الرواية فلا حاجة الى الايراد والجواب * وقرأت على الشيخ القاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود قوله من أبيات

اذا هبطوا أرضا أو مضى بارق * نروض من سح الدموع ثراها
يظنونه نار الفريق على الحمى * تبدت لهم وهنا ولاح سناها
ويعتسفون البيد يرشدهم بها * الى الدار ان ضلوا الطريق شذاها
وتهديهم أنوارها لا كواكب السماء اذا حاروا ولا قمراها
اذا عاينوا أعلامها وضعوا لها * خدودا على وجه الثرى وجباها

وقرأت عليه أيضا قوله

غنى بذكر الحمى فارتاح كل شجي * وخاض بالدمع حادي الركب في لجج
واسترخص السير اذ أدنى تواصله * من الاحبة بالغالي من المهج
ولذ قطع الدجى اذ كان يسفر عن * صباح يوم بنور الوصل منبلج
واسترشد الركب اذ حار الدليل بهم * بما تلقوه دون الحي من أرج

وأنشدني أيضا اجازة قال أنشدني الشيخ الامام الفاضل شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المعروف بابن الخيمي لنفسه و كذلك أنشدني الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري قال أنشدني لنفسه شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المذكور اجازة ان لم يكن سماعا وفي غالب الظن انه سماع قصيدته البائية التي أولها

يا مطلبا ليس لي في غيره أرب * اليك آل التقصي وانتهى الطلب

ومنها

بالله ان جزت كثبانا بذي سلم * قف بي عليها وقل لي هذه الكثب
ليقضي الخد من جرعائها وطرا * من تربها ويؤدي بعض ما يجب
وخذ يمينا لمغنى تهتدي بشذا * نسيمه الرطب ان ضلت به النجب

وحكى ابن رشيق في الانموذج أن عبد الرحمن بن محمد القرشي جلس مع بعض شيوخ تونس وكان هذا الشيخ نهاية في المجون فاجتاز بهم رجل يسأل عن دار ابن عبدونة فأقبل الشيخ عليه

وقال

بالانسان أن يصبر عما يشتهي وأحسن منه ان لا يشتهي الا ما ينبغي وقال ينبغي للعاقل ان ينظر كل يوم في المرآة فان رأى وجهه حسنا لم يشنه بشيء قبيح يفعله وان رآه دميما لم يجمع بين قبيحين وسمع جماعة من أصحابه حول خيمة له يقعون فيه فهز رمحا بين يديه ليعلموا انه سمع منهم وأن يتباعدوا عنه قيد رمح فيقولون ما أحبوا وكان يقول انما نحن كائنون في الزمن الذي يأتي من بعد هذا رمزا الى المعاد اذ السكون والوجود الحقيقي ذلك السكون والعالم

(وبقراط علم العلل والامراض بلطف حسك)

هو بقراط بن ابراقليس كان في زمن بهمن بن اسفنديار ويقال انه سابع الاطباء الذين أولهم اسقلبيوس وهو قبل سقراط وافلاطون وهو الذي نظر في صناعة الطب فوجدها قد كادت تبيد لقلة أبناء المورثين لها من آل اسقلبيوس فانهم كانوا يلقنونها الابناء منهم ولا يكتبونها فيتعلمها غيرهم فبث أبقراط هذه الصناعة في الناس وعلم الغرباء وعهد الى الاطباء عهدا طويلا مشهورا وقال جالينوس في بعض كتبه ان أبقراط كان يعلم مع ما كان يعلمه في الطب من أمر النجوم ما لم

وقال هي في ذلك المكان في تلك الناحية حيث يقوم ابرك فقال القرشي والله لانظمن هذا المعنى فما رأيت مثله وأنشأ يقول من وقته

ان شئت أن تعرف عن صحة * دار الذي يعزى لعبدونه
فامش فان ابرك أبصرته * قام فان الباب من دونه

وقد عكست أنا هذا المعنى فقلت

أقول لمن يسائل عن محلي * تقدم وامش من خلف السواري
ومر فحيثما تلقى احتكاكا * بمرملك لا تعد فثم داري

*(فالحب حيث العدا والاسد رابضة * حول الكناس لها غاب من الاسل)*

(اللغة) الحب بالضم المحبة وبالكسر الحبيب نفسه قال ابن الانباري الحب الحبيب يقال للذكر والمؤنث بلفظ واحد وحكى عن بعض العرب انهم يقولون فلانة حبتي وسيأتي الكلام على الحب في قوله يقتلن أنضاء حب (العدا) بكسر العين الاعداء وهو جمع لا نظير له قال ابن السكيت لم يات فعل من النعوت الا حرف واحد يقال هؤلاء قوم عدا وأنشد

اذا كنت في قوم عدا لست منهم * فكل ما علفت من خبيث وطيب

ويقال قوم عدا وعدا بالكسر والضم مثل سوى وسوى (الاسد) جمع أسد وأسد يجمع على اسود وأسد مقصور منه وأسد مخفف وأسد وآساد مثل جبل وأجبال (رابضة) الربوض للبقر والغنم والفرس والكلب مثل البروك للابل والجثوم للطائر يقال ربضت تربض ربوضا فهي رابضة (حول) يقال قعدت حوله وحواله وحواليه وحوليه ولا تقل حواليه بكسر اللام وحول الشئ ما يحاذيه من كل جانب (الكناس) موضع الظبي الذي يكنسه تقول كنس يكنس بالكسر (الغاب) الآجام والغابة الاجمة وهي مكان الاسد (الاسل) الرماح وهي المرادة هنا وأصل الاسل نبات طويل له شوك ومنه أسلة اللسان والذراع وهو ما استدق منهما (الاعراب * فالحب) مبتدا والخبر محذوف تقديره مستقر (حيث) ظرف مكان وهو مبني على الضم وانما بني لانه أشبه الحرف من حيث الاستعمال اذ كان يحتاج الى صلة مثل الذي ويوصل بالجملة الاسمية كقولك جلست حيث زيد جالس وبالجملة الفعلية كقولك جلست حيث يجلس زيد وكان البناء ضما لوقوعها موقع الغاية والغاية هي الخبر والخبر مرفوع وكذلك قبل وبعد اذا وقعا غاية وما أحسن قول محاسن الشواء

لنا صديق له خلال * تعرب عن أصله الاخس
أضحت له مثل حيث كف * وددت لو انها كامس

وأنشدني المولى شمس الدين محمد بن علي بن أيبك السروجي قال أنشدني لنفسه القاضي زين الدين عمر المعروف بابن الوردي الشافعي بحلب وأنشدنيه أنا أيضا فيما بعد لنفسه ومن خطه نقلت

قلت لنحوي اذا عرضا * له بأوقات الرضا عرضا
يا حيث لو أصبح باب الرضا * كيف لما كنت كأمس مضى

(قلت) معناه يا مضموم لو أن باب الرضا مفتوح لما كنت مكسورا وفي حيث لغات الضم وهو الافصح والفتح لانه أخف والكسر لان الاصل في البناء السكون واذا حرك الساكن كسر

يكن يدانيه فيه أحد من أبناء زمانه وكان يعلم أمر الاركان التي منها تركيب أبدان الحيوان وكون جميع الاجسام التي تقبل الكون والفساد وفسادها وهو الذي برهن كيف يكون المرض والصحة في جميع الحيوان والنبات واستنبط أجناس الامراض وجهات مداواتها وهو أول من اتخذ البيمارستان وذلك انه عمل بالقرب من داره موضعا مفردا للمرضى وجعل لهم خدما يقومون بمداواتهم وسماه أخشيدوكن أي مجمع المرضى وكذلك لفظ البيمارستان بالفارسي ولم يكن يرغب في الاتصال بالملوك حتى ان ملك الفرس كتب الى عامله من بلاد اليونان يأمره بحمل أبقراط اليه لاجل وباء عرض في بلاده وأن يحمل اليه مائة قنطار ذهبا ويضمن له اقطاعا مثلها وكتب الى ملك اليونان في ذلك الوقت يستعين به على اخراجه اليه وضمن له مهادنته سبع سنين فلم يجب ابقراط الى هذا وقال أهل المدينة ان خرج أبقراط خرجنا كلنا وقتلنا دونه وتفسير أبقراط ضابط الكل وقيل ضابط الخيل وهو الصحيح * وكتبه جليلة وأخباره حسنة ومن

وجاءت لغة رابعة وهي حوث (ح ج م) وحيث في موضع نصب لانه ظرف والعامل فيه مستقر وقد سد مسد الخبر (العدا) مبتدأ ولم يظهر فيه الرفع لانه مقصور (والاسد) معطوف عليه وهو عطف نسق (رابضة) خبر عن المبتدا المعطوف وسد هذا الخبر عن الاول لان العدا في الشدة والبأس كالاسد (حول) منصوب على الظرفية والعامل فيه رابضة و(الكناس) مضاف اليه والاضافة ههنا معنوية (لها) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر مبنية وهو خبر مقدم لان المبتدا نكرة (غاب) مبتدا تقدم خبره في الجار والمجرور ولا يجوز الابتداء بالنكرة لان الغالب فيها أن لا يفيد الاخبار عنها فان أفادت ابتدئ بها والنحاة في الغالب عدوا لها ستة مواطن أولها أن يكون المبتدا نكرة محضة والخبر جار ومجرور ومقدم كما في هذا البيت أو ظرف نحو عندي درهم وثانيها أن تعتمد النكرة على استفهام نحو هل رجل في الدار أو على نفي نحو ما أحد خير منك وثالثها أن تخصص النكرة وتقرب من المعرفة اما بوصف نحو قوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك أو باضافة نحو خمس صلوات كتبهن الله على العباد ورابعها أن يكون فيها معنى الدعاء نحو سلام عليكم وخامسها أن يكون فيها معنى التعجب كقول الشاعر

عجب لتلك قضية واقامتي * فيكم على تلك القضية أعجب

وسادسها أن يكون لها صدر الكلام كقولك من أبوك وكم غلام لك قال الشيخ بهاء الدين ابن النحاس تنكير المبتدا اختلفت فيه عبارات النحاة فقال ابن السراج المعتبر في المبتدا حصول الفائدة فمتى حصلت الفائدة جاز الابتداء بالنكرة وقال الجرجاني يجوز الاخبار عن النكرة بكل أمر لا تشترك النفوس في معرفته نحو رجل من بني تميم شاعر فالمجوز عنده شئ واحد وهو جهالة بعض النفوس وقال شيخنا جمال الدين محمد بن عمرون الضابط في جواز الابتداء بالنكرة قربها من المعرفة لا غير وفسر قربها من المعرفة بأحد شيئين أما باختصاصها كالنكرة الموصوفة أو بكونها في غاية العموم كقولنا تمرة خير من جرادة فعلى هذا لا حاجة الى تعداد الاماكن التي يجوز فيها الابتداء بالنكرة بل يعتبر كل ما يرد فان كان جاريا على الضابط أجزناه والا منعناه ثم قال الشيخ بهاء الدين فيما بعد والاماكن التي يجوز فيها الابتداء بالنكرة تزيد على ثلاثين ولم أجد أحدا من النحاة غيره زاد على أربعة وعشرين فيما علمته وقد ذكر هذه الاماكن التي عدها في تعليقته على المقرب وأضربت أنا عنها خشية التطويل (ح ج م) من الاسل جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس وقوله لها غاب من الاسل في موضع رفع صفة للاسد (المعنى) حبيبي مكانه حيث الاعادي والاسود رابضة حول كناسه وللاسود غاب من الرماح ولو كان لي في البيت حكم لقلت * فالحب حيث العدا كالاسد رابضة * لانه ينتهي الى أن يقول * حول الكناس لها غاب من الاسل * والاسل هي الرماح التي أرادها في البيت والرماح مما يختص بالاناسي لا بالاسود وأيضا الاسود ليس من شأنها الالفة بالناس حتى تكون حولهم (فان قلت) أراد بالاسود العدا وذلك أنهم في الباس كالاسد فاطلق ذلك عليهم مجازا (قلت) لا يتأتى له ذلك وقد عطف الاسد على العدا والعطف يدل على المغايرة فاذا الاسد غير العدا وأيضا هو قطع الكلام عن العدا وما ذكر لهم متعلقا ووصف المحبوب بأن الاعادي محيطون به وحولهم الاسل وهو أبلغ في المنع والتحصن من الاسود لان الانسان أبلغ في الحرس

والاحتراز

ظريف حكاياته أن ولد أحد ملوك اليونان عشق جارية من حظايا أبيه فنحل بدنه واشتدت علته وهو كاتم خبره فأحضر أبقراط فجس نبضه ونظر الى بشرته فلم ير عنده علة فذاكره حديث العشق فرآه يهتز لذلك ويطرب فاستخبر الحال من حاضنته فلم يكن عندها خبر فقال هل تخرج عن الدار فقالت لا فقال لابيه مر رئيس الخصيان بطاعتي فأمره بذلك فقال أخرج على النساء فخرجن وأبقراط واضع يده على نبض الصبي فلما خرجت الصبية الحظية اضطرب عرقه وحال طبعه فعلم أبقراط أنها المعنية بهواه فصار الى الملك فقال ان ابن الملك عاشق لا ن الوصول اليها صعب قال الملك ومن تيك قال هي زوجتي قال فانزل عنها ولك عنها بدل فتمنع أبقراط وقال هل رأيت أحدا كلف أحدا طلاق زوجته ولا سيما الملك في عدله ونصفته يأمرني بمفارقة زوجتي وهي عديلة روحي فقال الملك اني أوثر ولدي عليك وأعوضك أحسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى التهديد والسيف فقال أبقراط ان الملك لا يسمى عادلا حتى ينصف من نفسه ما ينصف من غيره

والاحتراز من الاسد لانه ذو عقل وتفكر ووهم وليس للاسد غير البطش وعلى الجملة فقد وصف محبوبه بانه مصون محجب لاسبيل الى الوصول اليه والحالة هذه وما أحسن قول أبي عبد الله محمد بن أحمد الخياط الدمشقي

ومحتجب بين الاسنة معرض * وفي القلب من اعراضه مثل حجبه

وقول ابن قلاقس

ارجع عن الوادي فان مياهه * مما يشب به غليل الهيم
وبشعب رامة معرك يغدو به * قلب المعز بر أسير لحاظ الريم
مد الكماة من الاسنة فوقه * ظلا وذاك الظل من يحموم
حيث التفت الى مطالع شمسه * الفيتها محجوبة بغيوم

وقول ابن القيسراني ومن خطه نقلت

وفوق مرادي من مراد عقائل * تبيت المذاكي القب حجف قبابها
ودون الخدور السابرية عترة * تهز كعوب الرمح دون كعابها

وقول ابن خفاجة

لقد جبت دون الحي كل تنوفة * يحوم بها نسر السماء على وكر
وخضت ظلام الليل يسود فحمة * ودست عرين الليث ينظر عن جمر
وجئت ديار الحي والليل مطرق * منمنم ثوب الافق بالانجم الزهر
أشيم بها برق الحديد وربما * عثرت باطراف المثقفة السمر
فلم ألق الا صعدة فوق لامة * فقلت قضيب قد أطل على نهر
ولا شمت الا غرة فوق أشقر * فقلت حباب يستدير على خمر
فسرت وقلب البرق يخفق غيرة * هناك وعين النجم تنظر عن شزر

(قلت) هذا هو النظم الذي تخجل منه درر العقود ويستحي من طرسه رقم البرود وقد جمع الانسجام والجزاله وأضاف الى الاستعارة حسن التخيل فقلت هذا البدر ضمن هاله وابرز في صورة تفرق منها الضراغم وتنوح على من تلبس بتلك الحالة ساجعات الحمائم فاذا حاول محاكاتها ناظم وجدها كالحديد ملمسا وكالحرير ملبسا وأين الثريا من يد المتناول وقوله أيضا

وليل طرقت المالكية تحته * أجد على حكم الشباب مزارا
تخالطت أطراف الاسنة أنجما * ودست لهالات البدور ديارا

وقول ابن صردر

وطرقت أرضهم وتحت سمائها * عدد النجوم أسنة المران
أرض جداولها السيوف ونبتها * نبع ومار كزوا من الخرصان

(قلت) ما أحسن الجداول هنا والنبع بعدها وقول ابن نقادة

أظن الصبا من أرض نجد هبوبها * فمن نشر ليلى قد تضوع طيبها
ومن عجب أن صافحتها وسلمت * عليها ولم يشعر بذاك رقيبها
ولو أنها عما يرى كان صدها * الغيور ولم يبلغ الى هبوبها

أرأيت لو كانت العشيقة حظية الملك ففهم الملك المراد وقال يا بقراط عقلك أتم من معرفتك ونزل عن الحظية لابنه وشفي الفتى من لاعج الهوى * ومن كلام أبقراط سلوا القلوب عن المودات فانها شهود لا تقبل الرشا وقال الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع يعني من المآكل والمشارب وقال خير الغداء بواكره وخير العشاء بوادره يعني بذلك المبادرة به في بقايا النهار والضوء متمكن وقبل الدخول في حد النوم وقال استهينوا بالموت فان مرارته في خوفه * وسئل كم ينبغي للانسان أن يجامع فقال في كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال في كل شهر قيل فان لم يقدر قال في كل أسبوع قيل فان لم يقدر قال هي روحه متى شاء أخرجها ولما حضرته الوفاة قال خذوا مني العلم بغير حسد من كثر نومه ولانت طبيعته ونديت جلدته فقد طال عمره (وجالينوس عرف طبائع الحشائش بدقة حدسك) (جالينوس) هو آخر الحكماء المشهورين ويسمى خاتم الاطباء والمعلمين وذلك أنه عند ما ظهر وجد صناعة الطب قد كثرت فيها أقوال الاطباء السوفسطائيين ومحيت محاسنها فانتدب

وقوله أيضا

قد حجبوا البيض ببيض الصفاح * ومنعوا السمر بسمر الرماح
وأطبقوا أحداق أسيافهم * فما ترى شمس الصباح الصباح
غاروا من النكباء تسري فهم * لو رقدوا سدوا مهب الرياح

وقول ابن قلاقس

وابلائي من مخدرة * دونها سور وجدران
وأسود خاف سطوتها * كل من حازته أجفان
ورقيب لو يلاحظها * لانثنى وهو غيران

قال ابن الاثير في المثل السائر سافرت الى الشام سنة سبع وخمسمائة ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون ببيت من الشعر لابن الخياط وهو

أغار اذا آنست في الحي أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

فقلت لهم هذا البيت مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي

لو قلت للدنف المشوق فديته * مما به لاغرته بفدائه

وأنشدني الشيخ الامام القاضي شهاب الدين محمود قال أنشدني شيخنا الامام مجد الدين محمد ابن أحمد بن عمر الظهير الاربلي الحنفي لنفسه من أبيات

أواصل فيه لوعتي وهو هاجر * ويؤنسني تذكاره وهو نافر
غزال منيع الخدر دون مزاره * مظللة بالبيض منه الجآذر

وقرأت عليه أيضا قوله من قصيدة

ومن طلب الاحبة كان أسخى * ببذل النفس من كعب بن مامه
ومن طلب الغنائم لم يهب من * نضا من دون مطلبه حسامه

وأنشدني لنفسه اجازة ومن خطه نقلت

وعلى الحمى حي تخال ظباءه * أخذت سطا الفتكات عن آساده
جعلوا القنا رصد القباب فمن نبى * طرفا له رمقته زرق صعاده
يحمي نزيلهم ويأمن جارهم * الا على أحشائه ورقاده
فاذا تزود نظرة من عيشهم * قبل الرحيل فحتفه في زاده

وأنشدني له أيضا اجازة

ولقد عهدت وما دهم تصغي الى * مر الصبا خوفا على أسرارهم
ورأيت مع بذل النوال حماتهم * والوهم يفرق أن يرى بمزارهم

وأنشدني اجازة لنفسه المولى صفي الدين الحلي ومن خطه نقلت

وسرب ظباء مشرقات شموسه * على حلة عد النجوم بدورها
يمانع عما في الكناس أسودها * ويحرس ما تحوي القصور صقورها
يغار من الطيف الملم حماتها * ويغضب من مر النسيم غيورها
اذا ما رأى في النوم طيفا يزورها * توهمه في اليوم ضيفا يزورها
نظرنا فأعدتنا السقام عيونها * ولذنا فأولتنا النحول خصورها

لذلك وأبطل آراءهم وشيد آراء أبقراط والتابعين له ونصرها وساح وطلب الحشائش وجرب وقاس أمزجتها وطبائعها وشرح الاعضاء ووضع الكتب النفيسة في هذه الصناعة وهي مادة الاطباء الى يومنا هذا وأشهرها الكتب الستة التي شرحها الاسكندرانيون ولم يأت بعده الا من هو دون منزلته وكانت وفاته بعد مبعث المسيح عليه السلام ولم يره (حكى) انه لما بلغه دعوة المسيح صلوات الله عليه احياء الموتى وخلق الطير وابراء الاكمه والابرص قال لمن حوله من التلامذة ان علم من هذا المدعي بما لا تستقل به الطبيعة سفه قبل ما ادعاه لا يخاطب ويحمل فيما ادعاه على ما تقدم العلم منه من السفه وان لم يعلم منه سفه تقدم دعواه يطالب بالبيان لامكانه مما وراء عالم الطبيعة وذلك سبيل كل ناطق يقوم في ابتداء كل قرن يأتي من الزمان للاضطرار اليه عند ظهور الفساد في الارض سبيله الدعوى بما لا تستقل به الطبيعة لانقياد الناس الى طاعته بعد القيام بصحة ما ادعاه فمن سلك سبيله بعد ذلك تمت حركته ثم تجهز للاجتماع به وسار اليه فمات في طريقه بمدينة الفرما وهي

ورزنا

وزرنا واسد الحي تذكي لحاظها * ويسمع في غاب الرماح زئيرها
فيا ساعد الله المحب فانه * يرى غمرات الموت ثم يزورها

(قلت) هذا تضمين حسن ولكن القافية تكررت معه في يزورها وما وصف أحد رقيبه بأبلغ من قول ابن قلاقس المتقدم وهو قوله رقيب لو يلاحظها البيت وهو أنه يغار حتى من نفسه وهذه حالة زائدة عن الرقباء فان الرقيب قد يكون بريد الصون وأن العاشق لا يلم بالمعشوق ولا يداني مكانا يضمه فأما اذا انضاف الى هذه الغيرة انه يغار عليه من نفسه كان حال المحب أشق عليه الى الغاية وأين غيرة هذا الرقيب من عدم غيرة عبد المحسن الصوري على محبوبه حيث قال

تعلقته سكران من خمرة الصبا * به غفلة عن لوعتي ونحيبي
وشاركني في حبه كل ماجد * يشاركني في مهجتي بنصيب
فلا تلزموني غيرة ما ألفتها * فان حبيبي من أحب حبيبي

وبالغ الآخر فقال يتبجح بالقيادة

أقود بحمد الله لا عن كراهة * وغيري قواد على رغم أنفه

وما أحلى قول مجير الدين بن قرناص

لي صاحب كملت جميع صفاته * قد عمني بغرائب الاحسان
لو لم يكن مثل النسيم لطافة * ما بات يعطف لي غصون البان

وقال الوجيه الدوري

لا تبعثوا بسوى المهذب جعفر * فالشيخ في كل الامور مهذب
طورا يغني بالرباب وتارة * تأتي على يده الرباب وزينب

وقال السراج الوراق ومن خطه نقلت

جاء في البرم واحد العصر والقواد أيضا في ذاته مقبول
وهو مع ما فيه من البرم والفشل مخلي من دينه محلول

وقال ابن سناء الملك

لي صاحب أفديه من صاحب * حلو التأني حسن الاحتيال
لو شاء من رقة ألفاظه * ألف ما بين الهدى والضلال
يكفيك منه أنه ربما * قد قاد للمهجور طيف الخيال

وقال آخر

يسهل كل ممتنع شديد * ويأتي بالمراد على اقتصاد
فلو كلفته تحصيل طيف الـ * ـخيال ضحى لزار بلا رقاد

وقال مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

وقواد يعيد الهجر وصلا * وطول البعد قربا واتفاقا
يكاد بحكمة فيه وحذق * يقود بلا أزمتها النياقا

وقال عبد العزيز الآمدي فيمن له ابن يدعى سراجا

لك زوجة وابن هما لك روضتا * زهر وفي يوم اللقاء عجاج

على شاطئ بحيرة تنيس وبها قبره ولما اشتد به المرض قيل له الا تتداوى قال اذا نزل قدر الرب بطل حذر المربوب ونعم الدواء الاجل ثم مات مبطونا ومات ارسطاطاليس بالسل ومات افلاطون مبرسما ومات أبقراط مفلوجا * ومن حكايات جالينوس عن نفسه قال مررت بشيخ يزرع شجرة فقلت يا شيخ ما تزرع فقال شجرة ثمرتها لي ولك قلت وما هي قال شجرة المشمش ثمرتها لي لاني آخذ ثمنها ولك لانها تكثر المرضى فتأخذ من أموالهم (وحكى) عن نفسه في معرفة التشريح قال أعرف رجلا اشتكى ضعف شهوة الطعام فوضعت على رقبته أدوية فبرئ لان في العضوين المجاورين للعرقين النابضين شعبة الى فم المعدة تنال منها الحس وكان في رقبة ذلك الرجل خنازير فقطعها الاطباء فاضر ذلك بتلك القصبة التي منها الشعبة وبرئت رقبته وصار ضعيف الشهوة عن الطعام فوضعت عليها الادوية المقوية فبرئ * ومن كلامه الانسان سراج ضعيف كيف يدوم ضوءه بين رياح أربع يعني الطبائع * وقال الانسان الى تجنب ما يضره أحوج منه الى تناول ما ينفعه وقال من كان له درهم فليجعل نصفه في النرجس فانه راعي

لاتخش فى طرق القيادة ظلمة * لك منهما طوافة وسراج

قيل ان أبا الحسين الجزار حضر الى بيت الزين الماردينى الشاعر ومعه مليح فاطال الزين الجلوس فكتب الجزار بيتين فى ورقة ودفعها اليه وهما

ليس فى البيت ما تخاف عليه * وعلى الضمان حتى تعودا

فتصدق وقد على فلا بدا اذا جئت منزلى أن أقودا

وقال أبو الحسين الجزار أيضا من أبيات

ليت شعرى ماذا تقول اذا ما * رمت شتمى قل لى باى طريق

علم الله ما مضيت رسولا * قط من عند ابنتى لعشيق

لاولا جئت بالرجال الى بيتى وكاسرتهم فى السوق

وكتب أيضا الى السراج الوراق من أبيات

ولئن كنت قد علقت حبيبا * موصليا فأنت بالعلق أعلق

فاجابه السراج بأبيات منها

ماترى كيده وقد جاء بالقا * فروبا فجئت بالقلب أعلق

قلت دعه فالشيخ أقول منا * قال بالدال قلت قولك أصدق

وقال ابن دانيال فى الكمال العواد

عين الكمال العواد قاف * وهو شويخ زدقواقى

سرت قياداته الى أن * قادبصر على عراقى

وحكى لى الشيخ الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى ان الشيخ شهاب الدين بن النحاس دخل الى الجامع الازهر فوجد أبا الحسين الجزار جالسا والى جانبه مليح ففرق بينهما وصلى ركعتين ولما فرغ قال لابى الحسين ما أردت الا قول ابن سناء الملك فقال أبو الحسين ما تفاءلت أنا الا بقول صاحبنا السراج الوراق اه قلت أما مراد الشيخ بهاء الدين بن النحاس من قول ابن سناء الملك فهو

أنا فى مقعد صدق * بين قواد وعاق

وأما مراد أبى الحسين الجزار من قول السراج الوراق فهو

ومهذب راض الابى فقاده سلس القياد

لما توسط بيننا * جرت الامور على السداد

وقد تساب كل منهما مع خصمه ولم يشعر بمرادهما أحد* وقريب من هذا ما حكاه ابن الجوزى فى كتاب الاذكيا قال روى رفيقنا عبد الكريم بن منصور قال سمعت المبارك بن أحمد بن الافوه يقول خرج رجل من بغداد على سبيل الفرجة فقعد على الجسر فاقبلت امرأة من جهة الرصافة متوجهة الى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال رحم الله على بن الجهم فقالت المرأة رحم الله أبا العلاء المعرى وما وقفا بل مر الرجل مشرقا ومرت المرأة مغربة فتبعت المرأة وقلت ان لم تقولى لى ما أراد وما أردت والا فضحتك فضحكت وقالت أراد الشاب بقوله رحم الله على بن الجهم قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

الدماغ والدماغ راعى العقل ورأى مصارعا كان لا يرمى أحدا قد صار طبيبا فقال الآن كما صرعت الناس

(وكلاهما قاتلك فى العلاج وسالك عن المزاج)

العلاج والمعالجة فى اللغة المغالبة وسمى الطب علاجا لكون الطبيب يغالب المرض وقال أبقراط يعالج الجسد على خمسة أضرب ما فى الرأس بالغرغرة وما فى المعدة بالقىء وما فى أسفل المعدة بالاسهال وما بين الجلدين بالعرق واسهال الدم ويحتاج ذلك الى علوم الاصول من الاستقصات والطبائع والاخلاط والقوى والارواح والاسباب وغير ذلك والمزاج فى اللغة خلاط الشراب بغيره وعبر عنه الاطباء بأنه عبارة عن تكافؤ الطبائع واختلاطها فى البدن والمزاج عندهم تسعة واحد معتدل وثمانية غير معتدلة وفى الثمانية أربعة مفردة وهى الحار والبارد والرطب واليابس والاخلاط أربعة وهى الدم والمرة الصفراء والمرة السوداء والبلغم فالدم حار رطب والمرة الصفراء حارة يابسة والبلغم بارد رطب والمرة السوداء باردة يابسة ومعرفة أمزجة الانسان من أقسام الاسباب والعلامات ويعرف مزاج غير

وأردت أنا بقولي رحم الله أبا العلاء المعري قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

ومثل هذا ما ذكره صاحب الأغاني قال هوى محمد بن عيسى الجعفري جارية مغنية اسمها بصيص وطال عليه ذلك فقال لصديق له لقد شغلني حب هذه عن صنعتي وكل أمري وقد وجدت مس السلوة عنها فاذهب بنا حتى أكاشفها فأستريح فأتياها فلما اغنت لهما قال لها محمد بن عيسى أتغنين

وكنت أحبكم فسلوت عنكم * عليكم في دياركم السلام

فقالت لا ولكني أغني

تحمل أهلها عنها فبانوا * على آثارهم ذهب العفاء

قال فاستحي وزاد بها كلفا وأطرق ثم قال أتغنين

واخضع بالعتبى اذا كنت مذنبا * وان أذنبت كنت الذي أتنصل

قالت نعم وأغني أحسن منه

فان تقبلوا بالود نقبل بمثله * وننزلكم منا بأقرب منزل

قال فتقاطعا في بيتين وتواصلا في بيتين وما شعر بهما أحد (قلت) وبصيص هذه من مولدات المدينة حلوة الوجه حسنة الغناء وهي جارية يحيى بن نفيس يقال ان المهدي اشتراها وهو ولي العهد سرا من أبيه بسبعة عشر ألف دينار وولدت منه علية بنت المهدي (رجع) والاصل في غالب ما تقدم من القيادة قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي من أبيات

فأتتها طبة عالمة * تمزج الجد مرارا باللعب

تغلظ القول اذا لانت لها * وتراخى عند سورات الغضب

قيل ان ابن أبي عتيق لما سمع ذلك قال لعمري ما أحوج المسلمين الى خليفة يدبر أمرهم مثل قوادتك هذه وأخذ هذا المعنى الواوا الدمشقي فقال هذه الابيات

بالله ربكما عوجا على سكني * وعاتباه لعل العتب يعطفه

وعرضالي وقولا في حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه

فان تبسم قولا في ملاطفة * ما ضر لو بوصال منك تسعفه

وان بدا لكما في وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

ومنه قول الآخر

الا يا نسيم الريح بلغ رسالتي * سليمى وعرض بي كأنك مازح

فان أعرضت عني فقوه مغالطا * بغيري وقل ناحت بذاك النوائح

وقال الآخر دوبيت

باللطف اذا لقيت من أهواه * عاتبه وقل له الذي ألقاه

ان أغضبه الوصال غالطه به * أورق فقل عبدك لا تنساه

وقلت أنا من أبيات

ويا رسولي اليهم صف لهم أرقي * وأن طرفي لطيف الضيف مرتقب

عرض بذكري فان قالوا نعرفه * فاسأل لي الوصل وانكرني اذا غضبوا

ذلك بالتجربة وبالقياس فليعلم ذلك

(واستوصفك تركيب الاعضاء واستشارك في الداء والدواء) يشير بمعرفة الاعضاء الى ذكر صفات التشريح التي ذكرها جالينوس وحكى فيها عن نفسه الحكايات العجيبة والاعضاء عندهم على قسمين بسيط ومركب فالبسيط كالعظام والعصب والعروق والمركب كالرأس واليدين والرجلين ومن الاعضاء أعضاء رئيسة وأعضاء مرؤسة وأعضاء ليست برئيسة ولا مرؤسة فالرئيسة أربعة كالدماغ والقلب والكبد والانثيين والمرؤسة ما تخدم هذه الرئيسة وذلك أن الدماغ تخدمه العصب والقلب تخدمه الشرايين والكبد تخدمها العروق والانثيان أوعية المني وما ليس برئيس ولا خادم كالعظام والغضاريف والشحم واللحم والاعضاء التي لها قوى كالمعدة والكلى *والداء هو المرض الداخل على الابدان وأجناسه ثلاثة الاول فساد المزاج والثاني تفرق الاتصال والثالث المرض المشترك *والدواء ما يحفظ به الصحة المائلة عن البدن أو ما يجلب به الصحة للبدن المزايلة له وهو نفس القسم العملي ومداره على

وقال بعضهم دخلت مدينة فرأيت بها غلاما حسنا فراودته عن نفسه فأجاب فلما خلونا ذكرت الله وانصرفت عما هممت به فلما خرجنا قال ادفع لي شيأ فقلت ما جرى بيننا ما يوجب العطاء فتنازعنا وطال اللعاج فبينما نحن كذلك اذ مر بنا رجل فناديناه وتحاكمنا اليه وحكينا له الصورة فقال حدثني أبي عن جدي عن المزني عن الشافعي أنه قال اذا أغلق الباب وأسبل الستر فقد وجب المهر فأعطه حقه فدفعت الى الامرد درهمين وقلت لذلك الرجل أعيذك بالله من قواد فما رأيت من يقود على مذهب الشافعي بسند متصل غيرك * وفي المثل أقود من ظلمة قال بعضهم أظنه من قولهم الليل أخفى للويل أو من قولهم * فانما الليل نهار الاديب * أو من قولهم * فالشمس نمامة والليل قواد * وليس بشئ وانما أصل المثل انه كانت في هذيل امرأة تدعى ظلمة زنت ستين سنة وقادت أربعين سنة فلما عجزت عن ذلك اتخذت تيسا وعنزا وكانت تنزي التيس على العنز فقيل لها لم تفعلين هذا قالت حتى أشاهد أنس الجماع فألتذ به (أقول) فما كان أحقها بان يقال في حقها

عجوز قد زنت ستين عاما * وقادت بعد ذلك أربعينا
وقامت فاشترت تيسا وعنزا * لتنظر لذة المتنايكينا

ويقول بعضهم

شيخة الفسق لا تحول عن العهـد كما تستحيل مالن عجوزا
ساحقت طفلة وليطت فتاة * وزنت كهلة وقادت عجوزا

قلت وما رأيت من استعمل هذه المادة من الصغر الى الكبر الا الذي قال

حاشا المتلي عن هواه يتوب * هو دون كل العالمين حبيب
أهواه طفلا في القماط وأمردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وأخذه الآخر فقال مواليا

هويت شيخ اسمر اكحل ماله عائب * الا مشيبو وما قلبي بذا تائب
يجي على كل حاله ما يروح خائب * أمرد معذر منكرش ملتحي شائب

(رجع) الى ذكر الرقيب وأما الرقيب فلازمته أمر مضني ومرض يفري الحشا ويفني والمحبون ابتلوا به حديثا وقديما ورعوا به روض المحبة هشيما وأرى الرقيب هو المبتلى وصاحب السهر والتعب على انه ما عشق ولا سلا وذلك لان العاشق يجد في الغرام لذة عليه عائده والرقيب أضاع زمانه وأذاب فؤاده بلا فائده ولهذا قال ابن رشيق

تأذى بلحظي من أحب وقال لي * أخاف من الجلاس أن يفطنوا بنا
وقال اذا كررت لحظك دونهم * الى فما يخفى دليل مريبنا
فقلت بلينا بالرقيب فقال ما * بلينا ولكن الرقيب بلي بنا

وما ألطف قول ابن المعتز

وابلائي في محضر ومغيب * من حبيب مني بعيد قريب
لم ترد ماء وجهه العين الا * شرقت قبل ريها برقيب

قلت ما أحلى استعارته الشرق والورد والري لماء الوجه فهكذا يكون الشعر وأظن أن ابن بابك أخذ من هنا قوله

الحذق وكان بقراط يقول الطبيب الحاذق يصير بحذقه السم دواء نافعا والجاهل يصير الدواء سما قاتلا مثال ذلك أن الجاهل بالطب اذا أخذ الصندل وسحقه كالكحل ثم طلاه على بدن حار كثير الحرارة طليا ثخينا دخلت تلك الاجزاء الدقيقة في منافس الجسد ومسامه فتؤذي العليل والطبيب الحاذق يأخذ العود الهندي فيسحقه ناعما ثم يطليه على البدن طليا رقيقا فيتصل ما فيه من الرطوبة الى حرارة البدن فيبردها ويجد الحر سبيلا الى الخروج فتكون حرارة العود مبردة بتدبير الطبيب فاعلم ذلك

(وأنك نهجت لابي معشر طريق القضاء)

النهج بيان الطريق ووضوحه ومنه نهج الثوب اذا بان فيه البلاء * والقضاء فصل الامر قولا كان أو فعلا وأصله قضاي من قضيت فقلبت الياء همزة والمراد به ههنا حكم المنجمين وقولهم بتأثير الكواكب قال الشاعر * يقضون بالامر عنها وهي غافلة * وأبو معشر هذا هو جعفر ابن محمد بن عمر البلخي المنجم المشهور في علم النجامة كان في الاول من أصحاب الحديث ببغداد وكان يشنع

تكاد عيني اذا خاضت محاسنه * اليه تشربه من رقة البشره

وتلطف ابن المعتز أيضا حيث قال

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

وما أحسن قول سيف الدين بن حمدان

أقبله على جزع * كشرب الطائر الفزع
رأى ماء فاوقعه * وخاف عواقب الطمع
وصادف خلسة فدنا * ولم يلتذ بالجرع

وأبلغ من هذا قول الحرث بن خالد

تدنيك شيأ قليلا وهي خائفه * كما يمس بظهر الحية الفرق

وتلطف الصاحب بن عباد رحمه الله حيث شبه الرقيب بالصلة والمحبوب بالذي لشدة اتصالهما وعدم خلو الذي من الصلة فقال

ومهفهف ذي وجنة كالجنبذ * ألحاظه مثل السهام النفذ
قد نلت منه مراد قلبي في الهوى * وملكته لو لم يكن صلة الذي

وبالغ القائل في ملازمة الرقيب فقال

أنا والحب ما خلونا ولا طر * فة عين الا علينا رقيب
ما اجتمعنا بحيث لم يكن الدهـ * ـر باني أقول أنت الحبيب
بل خلونا بقدر ما قلت أنت السـ * ـع فوافى فقلت كيم الطبيب

وما ترك هذا الشاعر في الظرف غاية لمن بعده وقريب من هذه المادة ما ذكره الحريري في درة الغواص قال حكى لي أبو الفتح عبدوس بن محمد الهمداني حين قدم البصرة حاجا في سنة نيف وستين وأربعمائة أن الصاحب أبا القاسم بن عباد رأى أحد ندمائه متغير السحنة فقال له ما الذي بك قال حمى فقال له الصاحب قه فقال له النديم وه فاستحسن الصاحب ذلك وخلع عليه وقيل ان بعض الظرفاء سمع امرأة حسناء تقول وقد أتت الى جانب نهر يا جارية أين أضع رجلي فقال لها ذلك الظريف على كتفي فقالت بخفي فقال لها رقبة زوجك فقالت له من أين خرجت فقال لها من بيتك فقالت مصفوع فقال لها على تهمة بك فقالت وأنت عنها بريء فانقطع * ونقلت من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في ترجمة ضياء الدين موسى الكاتب من نوادره انه قال له الرضي الحلاوي الشاعر أنا في لحيتي حاصة فقال الضياء موسى لي وقال الحلاوي يوما أنا أشعر شعرا حسنا وما يعوزني الا حاق فقال له موسى لحية قلت اما النادرة الاولى فلابد فيها من مسامحة ما لان التنذير اذا كان جوابا اغتفر فيه للسرعة ما لا يغتفر في غيره اذ الحصة التي هي بمعنى النصيب وهو مراد الضياء موسى بغير ألف وأما الداء الذي يتناثر منه شعر الذقن وهو مراد الحلاوي انما هو حاصة والحصص قلة الشعر فاعرفه وعلى قول الضياء في الثانية ذكرت ما قلته أنا قديما

قلت له اذ هزلي ذقنه * ولام فيمن ذبت في عشقها
تذكر اذ غنت فنادى نعم * فقلت واشوقا الى حلقها

على الكندي الفيلسوف بعلوم الفلسفة ويغري به العامة فدس له الكندي من حسن له النظر في علم الحساب والهندسة فدخل في ذلك ثم عدل الى أحكام النجوم فتفنن ومهر وانقطع شره عن الكندي لانه من جنس علوم الكندي ويقال انه اشتغل بالنجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره وصنف الكتب الحسنة في هذا العلم مثل كتاب الالوف وكتاب المدخل وكتاب المذاكرات وغير ذلك وظهرت له اصابات عجيبة وحكى عنه فيها حكايات بديعة قال في كتاب المذاكرات قال حضرت وشيلمة والزيادي عند الموفق وكان الزيادي استاذ زمانه في النجوم فاضمر الموفق ضميرا فقال الزيادي أضمر الامير فقد أمر جليل رفيع فقال له كذبت فقال شيلمة قولا قريبا منه فقال الموفق كذبت ثم قال لي هات ما عندك فقلت أضمر الامير الله عز وجل فقال أحسنت والله ويلك أني لك هذا قلت الرئيس يرى فعله ولا يرى نفسه وكان في أرفع درجة الفلك في الضمير ولم أعرف له مثلا الا الله عز وجل لان الله تعالى يرى فعله ولا يرى هو وهو فوق كل عزة وسلطان ليس فوقه شيء (وحكى) عنه انه كان قد تنقل في البلاد

*(نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت * نصالها بمياه الغنج والكحل)*

(اللغة) الام القصد يقال أمه وأممه وتأممه اذا قصده (ناشئة) مؤنث ناشئ وناشئ اسم فاعل من نشأ ينشأ فهو ناشئ (الجزع) بالكسر منعطف الوادي (النصال) جمع نصل وهو حديدة السيف والسهم ويجمع على نصول (مياه) جمع ماء ويجمع على أمواه في القلة ومياه في الكثرة والهمزة في ماء مبدلة من الهاء في موضع اللام اذ أصله موه بالتحريك لانه يجمع على أمواه كما تقدم (الغنج) بالسكون والغنج بالتحريك الشكل وقد غنجت الجارية وتغنجت فهي غنجة والغنج هو الدل (الكحل) سواد يعلو جفون العين مثل الكحل من غير اكتحال ورجل كحيل وامرأة كحلاء (الاعراب) نؤم فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وقد تقدم الكلام عليه والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره نحن (ناشئة) مفعول به وهو صفة لموصوف محذوف تقديره فتاة ناشئة أو فتيات ناشئة وهذا جائز ونطق القرآن به كثيرا كقوله تعالى ثم يرم به بريا أي شخصا بريا و(بالجزع) جار ومجرور في موضع نصب بما في ناشئة من معنى الفعل والباء هنا ظرفية (قد) حرف توقع لاقترانه بالافعال المتوقعة في الحال والمسئول عنها ومنه قد قامت الصلاة لان المصلين ينتظرون قيامها وقال الجوهري ولا تدخل الا على الافعال وهي جواب لقولك لما تفعل وزعم الخليل انك تقول قد مات فلان لمنتظر الخبر ولو أخبرت شخصا لا ينتظره لا تقول قد مات ولكن تقول مات فلان وأصلها التقريب فتقرب الماضي من الحال تقول كنت أتمنى الحج وقد حججت أي في زمن قريب من اخباري ولكونها تفيد التقريب في زمن الحال تلزم الفعل الماضي اذا وقع حالا نحو جاء زيد وقد ركب ومعناها في المضارع التقليل وهي فيه بمنزلة رب في الاسماء لان التقريب يناسب التقليل ومعنى تقليلها تقريبها الفعل من الحال ومنه قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم أي تحقق علم ذلك عند الله تعالى وأما قولهم قد يصدق الكذوب فمعناه أن الصدق يقل منه ويحتمل أن يكون المراد أن الصدق قد يتحقق من الكذوب وقيل انها اذا دخلت على المضارع أدت منه معنى الماضي وقد تكون زائدة في نحو لو قد جاءني لاكرمته وقد تخرج عن بابها وتجيء من قبيل الاسماء بمعنى حسب تقول قدك أي حسبك قال أبو تمام الطائي

قدك أنت أسيت في الغلواء * كم تعذلون وأنتم سجرائي

ومن أبيات المعاني قول الفقيه أبي الحسن الطوسي

منينني حينا فلما أن ملت من التمني
عرضن لي بالوصل حتى قلت قد أعرضن عني

وظاهره مشكل لعدم انتظام الكلام فاذا جعلت قد على معنى حسب صح المعنى (سقيت) فعل مغير لما لم يسم فاعله وقد تقدم الكلام على هذه الصيغة والتاء علامة لتانيث المفعول (نصالها) مفعول ما لم يسم فاعله والضمير في موضع جر بالاضافة وقد تقدم الكلام على رفع ذلك المفعول قلت ومن مشكل هذا النوع قراءة ابن كثير وعاصم يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله بضم الياء في يسبح وفتح الباء على بناء ما لم يسم فاعله قال بعض العلماء حذف الفاعل هنا وابهامه على السامع مدح عظيم لانه اذا حذف الفاعل اقتضى ان الذين يسبحون الانس والجن والملائكة والخلق أجمعون كما قال تعالى وان من شيء الا يسبح

فاتصل ببعض ملوك العجم وان الملك طلب رجلا من أتباعه وأكابر دولته ليطالبه بجريمة وقعت منه فاستخفى الرجل وعلم ان أبا معشر يدل عليه بالطريق الذي يستخرج بها الخفايا والاشياء الكامنة فاراد ان يصنع شيأ لا يهتدى اليه ويبعد عنه الحدس فاخذ طشتا وملأه دما وجعل في الدم هاونا من ذهب كبيرا يتمكن من القعود عليه ثم جلس عليه أياما وتطلب الملك ذلك الرجل فاعياه فاحضر أبا معشر وقال له عرفني موضعه كما جرت عادتك فعمل المسئلة التي يستخرج بها المجهولات وسكت زمانا حائرا فقال له الملك ما سبب حيرتك قال أرى شيأ عجيبا قال وما هو قال أرى الرجل المطلوب على جبل من ذهب والجبل في بحر دم ولا أعلم في العالم موضعا على هذه الصفة فلما يئس الملك من القدرة عليه نادى في البلد بامان الرجل ومن اخفاه فلما اطمأن الرجل بذلك ظهر وحضر بين يدي الملك فسأله عن الموضع الذي كان فيه فاخبره بما اعتمد فاعجبه حسن احتياله واصابة أبي معشر في استخراجه * ولابي معشر في هذا الباب أخبار كثيرة والله أعلم بحقيقتها وكان مع تقدمه في هذه الصناعة يصيبه

بحمده

بحمده على أحد الاقوال ثم انه تعالى خصصهم بالذكر فى قوله رجال لا تلهيهم أى صفتهم ماذكر من المدح تشريفا لهم وعناية بهم فكأن السامع تشوّق الى أن يعلم من هم المسبحون فعقبه بقوله رجال الآية والوقف فى هذه القراءة على الآصال ويبتدئ بقوله رجال ولو وقف على رجال لكان كفرا وحكى أن بعض الافاضل صلى تحت منبر يوم الجمعة وكان الخطيب عاميا فقال الحمد لله المسبح بكسر الباء فقال له الفاضل ذا الذى أنا أسبح باللغات المختلفة ومثل هذا ما سأله بعض العوام وقد رأى جنازة فقال من المتوفى بكسر الفاء فقال له رجل فاضل الله تعالى فأنكر العامى قوله فقال له الفاضل الله يتوفى الانفس حين موتها والميت متوفى بفتح الفاء وحكى أن بعض العميان سمع بعضهم يقول يا من يرى ولا يرى بضم الياء فى الكلمة الاولى وفتحها فى الثانية فقال له الاعمى لبيك ذاك أنا وحكى بعضهم انه سمع بعض السؤال يقول من يعطيني فلسا وأحيله على من يرى ولا يرى فقال له بعض أهل المجون فاذا أعطيتك من هو المطالب *(فائدة)* قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار هذه الآية الكريمة أقوى دلائل المعتزلة فى الادلة السمعية على أن الله تعالى لا يرى لانها صريحة (والجواب) أن الآية الاخرى تناقضها وهى قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة وحديث عائشة رضى الله عنها انكم لترون ربكم يوم القيامة الحديث وأما شبهتهم فى قوله تعالى لا تدركه الابصار فقد أجاب الاشاعرة عنها بأن قالوا قوله تعالى لا تدركه الابصار نقيض لقولنا تدركه الابصار وقوله لا تدركه الابصار يقتضى أن كل أحد لا يبصره لان الالف واللام اذا دخلتا على الجمع أفادتا الاستغراق ونقيض السالبة الكلية الموجبة الجزئية فكان معنى قوله تعالى لا تدركه الابصار لا تدركه كل الابصار ونحن نقول بموجبه فان جميع الابصار لا تراه ولا يراه الا المؤمنون وهذه النكتة هى معنى قولهم سلب العموم لا يفيد عموم السلب * ومن حجج المعتزلة بالادلة السمعية أيضا قوله تعالى لموسى لن ترانى ولفظة لن تقتضى التأبيد (والجواب) عن ذلك أنها لا تقتضيه بدليل قوله تعالى ولن يتمنوه أبدا فاخبر أنهم لن يتمنوا الموت وذكر لفظة أبدا وأيضا فقد تمنوه فى قوله تعالى ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك * ومن حجج الاشاعرة قول الامام فخر الدين الرازى رؤية الله تعالى معلقة على شرط جائز وكل ما علق على شرط جائز فهو جائز فرؤية الله جائزة لان الرؤية علقت على شرط استقرار الجبل وهو جائز لقوله تعالى فان استقر مكانه فسوف ترانى وانما قلنا بجوازه لان الجبل جسم وكل جسم يمكن أن يكون ساكنا وانما قلنا ان المعلق على الجائز جائز لان بتقدير وقوع ذلك الشرط ان لم يحصل المشروط لزم الكذب فى اخبار الله تعالى وهو محال وان حصل كان الجواز حاصلا وهذه نكتة حسنة والادلة السمعية على رؤية الله تعالى فى الدار الآخرة كثيرة منها قراءة من قرأ واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا بفتح الميم وكسر اللام ولا جائز أن يكون ذلك الملك الا الله تعالى وروى الجمهور أنه صلى الله عليه وسلم قرأ قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فقال الحسنى هى الجنة والزيادة هى النظر الى وجه الله تعالى وأول المعتزلة قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة بان المراد بناظرة منتظرة واستشهدوا بقوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون واستشهدوا أيضا بالشعر وغيره والذى يقال فى جوابهم ان انتظرت فى اللغة يتعدى بغير حرف الجر وأما نظرت الى كذا بحرف الجر فلم يرد الا فى معنى البصر ولئن سلمنا أن الانتظار يتعدى

الصرع عند امتلاء القمر فى كل شهر وكان لا يعرف لنفسه ولدا ولكن كان قد عمل مسئلة عن عمره وأحواله وسأل عنها الزيادى المنجم ليكون أصح دلالة اذا اجتمع عليها طبيعتان طبيعة المسؤل وطبيعة السائل فخرج طالع تلك السنة السنبلة والقمر فى العقرب فى مقابلة الشمس والمريخ ناظر الى القمر من الدلو وهذه الصورة توجب الصرع ومات به سنة اثنتين وسبعين ومائتين وقيل كان سبب موته ان المستعين ضربه أسواطا لانه اخبر بشئ قبل كونه فاصاب فكان يقول أصبت فعوقبت

(وأظهرت جابر بن حيان على سر الكيمياء)

(الكيمياء) معروفة الاسم باطلة المعنى وليعقوب الكندى رسالة بديعة سماها ابطال دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة جعلها مقالتين يذكر فيهما تعذر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله وخدع أهل هذه الصناعة وجهلهم ويقال ان أبا بكر الرازى رد عليه فى رسالة له ورأيت لابى عثمان الجاحظ فى كتاب الحيوان عند ذكر خلق الفار من الطين كلاما فى الكيمياء بعد فيه وقرب ولم يخرج على شئ من ابطالها وتحقيقها

بحرف الجر فنقول ان الانتظار كان حاصلا من المؤمنين فى الدنيا فلا فائدة فى ذكره يوم القيامة فلا بد من شئ زائد على ما كان حاصلا قبل وهو النظر الى وجه الله الكريم جعلنا الله بفضله ممن يؤهل لذلك المقام ويخص بذلك الانعام العام وأورد الزمخشرى فى تفسيره هذين البيتين وهما قول بعض العدلية

لجماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمرى موكفه

قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وأجاب عنهما بعض أهل السنة بقوله

عجبا لقوم ظالمين تلقبوا * بالعدل ما فيهم لعمرى معرفه

قد جاءهم من حيث لا يدرونه * تعطيل ذات الله مع نفى الصفه

وعلى ذكر قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والآصال قرأ بعض المغفلين فى بيوت أذن الله أن ترفع برفع بيوت فقال له آخر يا أخى انما القراءة فى بيوت بالجر فقال له يا مغفل اذا كان الله تعالى يقول فى بيوت أذن الله أن ترفع تجرها أنت ومن نوع الآية الكريمة قول الشاعر

ليبك يزيد ضارع لخصومة * ومختبط مما تطيح الطوائح

(رجع) بمياه جار ومجرور متعلق بسقيت والباء هنا زائدة كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وأنت زائدة مع المفعول لان سقى يتعدى بنفسه تقول سقاه وأسقاه بمعنى و(الغنج) مضاف الى مياه والاضافة معنوية مقدرة باللام (والكحل) معطوف على الغنج والجملة من قوله قد سقيت الخ فى موضع النصب على الصفة لناشئة (المعنى) تقصد فتاة أو فتيات ناشئة بمنعطف الوادى ونصالها التى تحميها قد سقيت بمياه الغنج والكحل وهذا معنى قد أولع الشعراء به وأكثروا منه وهو أشهر من أن يستشهد له ولا بد من لمعة منه قال ابن الساعاتى

حال من دونك يا أخت الكلل * مقل الحى وفرسان الاسل

ومواض رهفات فتكت * بى وحاشاك ولا مثل الكحل

وقال أبو الشيص

يرمين ألباب الرجال بأسهم * قد راشهن الكحل والتهديب

وما أحسن قول عمر بن أبى ربيعة

تنكر الاثمد ما تعرفه * غير أن تسمع منه بخبر

يعنى أنها تستغنى عنه بالكحل الذى فى أجفانها وهذا يشبه قول المجنون

موسومة بالحسن ذات حواسد * ان الجمال مظنة للحسد

وترى مدامعها ترقرق مقلة * سوداء ترغب عن سواد الاثمد

ومن هنا أخذ ابن النبيه قوله

بيضاء كحلاء لها ناظر * منزه عن لوثة المرود

وقوله منزه أبلغ من قول المجنون ترغب وأحسن فى الذوق وقال ابن سناء الملك

تخطو وتخطر فى حلى وفى حلل * وتنثر السحر بين الكحل والكحل

كحلاء ما اكتحلت بالميل عابثة * الا لتنهض جفنيها من الكسل

وقال أيضا من أبيات

والصحيح الاشهر عدم الصحة فيها ولذكرها هنا عقيب صناعة النجوم مناسبة لاقوال الناس فيهما * وأما جابر بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة فى كتاب يعتمد عليه وهذا دليل على قول أكثر الناس انه اسم موضوع وضعه المصنفون فى هذا الفن وزعموا انه كان فى زمن جعفر الصادق وانه اذا قال فى كتبه قال لى سيدى وسمعت من سيدى فانه يعنى به جعفر الصادق ومع ذلك فان الله تعالى أعلم بحقيقتها

(واعطيت النظام أصلا أدرك به الحقائق)

هو ابراهيم بن سيار بن هانئ البصرى المعروف بالنظام ويكنى أبا اسحق شيخ من كبار المعتزلة وأئمتهم متقدم فى العلوم شديد الغوص على المعانى وانما أداه الى المذاهب التى استبشعت منه تدقيقه وتغلغله فانه كان قد اطلع على كثير من كتب الفلاسفة ومال فى كلامه الى الطبيعيين منهم والالهيين فاستنبط من كلامهم رسائل ومسائل وخلطها بكلام المعتزلة وانفرد بها عنهم مثل قوله ان الله تبارك وتعالى لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصى خلافا لاصحابه لانهم قضوا بأنه قادر عليها لكنه

لما ناظر يا حيرة الظبي اذرنا * به كحل ناداه يا خجلة الكحل
وأثقلها الحسن الذي قد تكاثرت * ملاحته حتى تثنت من الثقل

قال ابن حبارة قوله لما ناظر تحققنا ذلك ثم قال يا حيرة الظبي ولم يحار مع وجود المقاربة وعدم المباينة ثم جعل العلة في حيرته وجود الكحل ان هذه قريحة قريحة وفكرة غير صحيحة وهذا ان سلم ممن يأخذ عليه على المجازاة باذ وليست من حروف المجازاة وهل ينبغي أن يقول قائل اذ يقوم زيد قام عمرو ويريد بذلك التعليق وانما أراد سبك مثل المتنبي
* ليس التكحل في العينين كالكحل * ومن أحسن ما نقلته في التكحل والكحل قول بعضهم
زادت على كحل الجفون تكحلا * ويسم نصل السيف وهو قتول
وقال بعد كلام ساقه على البيت وقوله وأثقلها الحسن هذا قلب المعنى الذي ليس بمعنى وذلك أن الحسن فيما يظهر هو رونق يكون على محيا شخص فيتحسن به والملاحة هي وان كانت البياض في الأصل فهي في الاستعمال صفة صورة الذات من الحاجب والعين والانف والفم ولهذا يقال في العرف مليح حسن يعني ان الذات مكملة بالملاحة في صورة مستحسنة عند تأملها لبلوغ الامل ثم قال ولا ينبغي أن يقال هو حسن مليح لانه يجعل الوصف الذاتي تبعا لغيره وكان الصواب أن يقول أثقلتها الملاحة التي تكاثر حسنها ثم قال حتى تثنت من الثقل لو رفع تاء الثقل لكان أليق بالبيت وبصنعه فلا يقال له أهويت ولا أوهيت وهل يتثنى الانسان من الثقل وانما يمشي قطعة واحدة في حال الثقل ثم قال وقد وكان شرح هذا البيت أعجزي عن معناه الى عريف الجمال بن فعساه يعرف معناه ولقد أحسن الاعشى حيث يقول
كأن مشيتها من بيت جارتها * مشي السحابة لا ريث ولا عجل
وقال بشار بن برد
اذا قامت لحاجتها تثنت * كأن عظامها من خيزران
انتهى (قلت) هذا لعمري نقد حسن وسبيل ألقى اليه العنان والرسن ولو كان لي في البيت الاول حكم لقلت * لما ناظر يا حيرة الظبي عنده * وخلصت من اذ وعدم وضعها للمجازاة وأما قوله وأثقلها الحسن فابن حبارة معذور فيه لان حسنا يثقل صاحبه سمج بارد غث لأن الحسن انما يفيد الخفة والحركة والنشاط وما مدح شيء بالثقل غير الارداف وما يتركها الشعراء بل يقرنونها بخفة الخصر ورشاقة القد ومنه قول شمسة الموصلية
هيفاء ان قال الشباب لها انهضي * قالت روادفها اقعدي وتمهلي
وقول الآخر وهو في غاية الحسن
هيفاء ان خطرت لحاجتها * عجل القضيب وأبطأ الدعص
وقول ابن رشيق
أجل أثقالي على ردفه * وأمسك الخصر لئلا يضيع
وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباته
سألت النقا والبان يحكي لناظري * روادف أو أعطاف من طال صدها
فقال كثيب الرمل ما أنا حملها * وقال قضيب البان ما أنا قدها
فلما أصبحت أنشدته في معناه

لا يفعلها ومثل قوله ان الجوهر مؤلف من اعراض اجتمعت وقوله ان الله تعالى خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن معادن ونبات وحيوان وانسان ولم يتقدم خلق آدم على خلق أولاده غير أن الله تعالى أكمن بعضها في بعض وهذا قول أهل الكون من الفلاسفة وقوله في القرآن ان في قوى البشر أن تأتي بمثله الا أن الله تعالى صرف أذهانهم عن ذلك الى غير ذلك من مسائله المذكورة في كتب الاصوليين ومراد ابن زيدون بالحقائق غير ذلك من مسائله الحسنة المعجبة فانها كثيرة وانما عدت سقطات النظام لكثرة اصابته وكان من صغره يتوقد ذكاء ويتدفق فصاحة (حكي) أن أباه جاء به وهو صغير الى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه الزجاجة قال أبمدح أم بذم قال بمدح قال تريك القذى ولا تقبل الاذى ولا تستر ما وراء قال فذمها قال يسرع اليها الكسر ولا تقبل الجبر قال فصف لي هذه النخلة وأومأ الى نخلة في داره قال بمدح أم ذم قال بمدح قال حلو جناها باسق منتهاها ناضر أعلاها قال فذمها قال صعبة

يقول ردف حبيبي * وعطفه المثني
ما أنت يا غصن قدي * ولا كثيبك وزني

فقال ما أشبه نظمي ونظمك الا بشار بن برد وسلم الخاسر (قلت) يريد بذلك قول بشار بن برد

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فاخذه منه سلم الخاسر وقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

والخفة أمر يطلب في كل شئ ويستحسن ألا تراهم يصفون الكؤس بها اذا ملئت مدا ما ولهذا قال الشاعر

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

وقال ابن حمديس

ويخف ملآنا ويثقل فارغا * كالجسم تعدم روحه أو توجد

وقال أيضا

تخف ملأى وتعظى الثقل فارغة * كالجسم عند وجود الروح أو عدمه

وذكرت بقوله لا يعرفه الاظريف الحكاية التي جرت بين الصاحب جمال الدين بن مطروح وبين معين الدين بن لؤلؤ وقد دخل عليه يوما فانشده الصاحب وقال انظر ما أحسن هذا النظم

مازلت أضممه الى أحشائى * حتى وهت من ضمه أعضائى

فقال له معين الدين الله الله يا مولانا الصاحب قتلت هذا المسكين بالله ارفق به فاغتاظ الصاحب منه وقال أليس هذا أحسن من شعرك الذى للتراسين حيث تقول

* اياك اياك منه والغرام به * فقال يا مولانا الصاحب ما أردت أن تقول الا كما قال بعضهم

أعانقه واشفاقى عليه * يتفس عنه من ضيق الخناق

فاعترف له بالاحسان وأما قول بشار بن برد * اذا قامت لحاجتها تثنت * البيت فقد حكى أن بشار الما سمع قول كثير عزة

الا انما ليلى عصا خيزرانة * اذا غمزوها بالاكف تلين

قال قاتل الله أبا صخر يزعم أنها عصا ويعتذر بانها خيزرانة والله لو قال عصا مخ أو عصا زبد لكان قد هجنه ذكر العصا هلا قال كما قلت

وبيضاء المحاجر من معد * كأن حديثها ثمر الجنان

اذا قامت لحاجتها البيت وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدنى الشيخ علاء الدين على بن خطاب الباجى الاصولى لنفسه

رثى لى عذلى اذعاينونى * وسحب مدامعى مثل العيون
ورامو الكحل عينى قلت كفوا * فأصل بليتى كحل الجفون

وأنشدنى الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبو الثنا محمود اجازة قال أنشدنى لنفسه شيخنا الامام مجد الدين محمد بن الظهير الاربلى الحنفى أبياتا أولها

غش المفند كامن فى نصحه * فأطل وقوفك بالعوير وسفحه

المرتقى بعدة المجتبى محفوفة بالاذى فقال الخليل يا بنى نحن الى التعلم منك أحوج ثم اشتغل على أبى الهذيل العلاف بمذهب الكلام الى أن برع وظهر فى أيام المعتصم وتبعه خلق كثير وكان أصل مذهبهم أنه من زعم أن الله تعالى شئ فهو كافر ثم ناظر شيخه أبا الهذيل وظهر عليه مرارا وقيل له أتناظر أبا الهذيل قال نعم وأطرح له رخا من عقلى (وحكى) الجاحظ عنه فانه كان من أكبر تلامذته وأصحابه قال دخل أبو اسحق النظام على أبى الهذيل وقد أسن وبعد عهده بالمناظرة وأبو اسحق حدث السن فقال يا أبا الهذيل أخبرنى عن فرارك من أن يكون جوهرا مخافة أن يكون جسما فهلا فررت من أن يكون جوهرا مخافة أن يكون عرضا والجوهر أضعف من العرض فبصق أبو الهذيل فى وجهه فقال أبو اسحق قبحك الله من شيخ فما أضعف حجتك (وحكى) عنه قال مات لصالح بن عبد القدوس ولد فمضى اليه أبو الهذيل والنظام معه وهو غلام حدث كالتبع له فرآه محترقا فقال أبو الهذيل لا أعرف لجزعك وجها اذا كان الناس عندك كالزرع فقال صالح يا أبا الهذيل انما أجزع عليه لانه لم يقرأ

ومنها

وبى الذى يغنيه فاتر طرفه * عن سيفه وقوامه عن رمحه
ظبى يؤنس بالغرام نفاره * ويجد فى نهب القلوب بمزحه
ذو وجنة شرقت بماء نعيمها * كالورد أشرقه نداه برشحه
وكأن طرته وضوء جبينه * ليل تألق فيه بارق صبحه
ياشاهرا من جفنه عضبا غدا * ماء المنية باديا فى صفحه
قلبى وطرفى ذا يسيل دما وذا * دون الورى أنت العليم بقرحه
وهما بحبك شاهدان وانما * تعديل كل منهما فى جرحه
والقلب منزلك القديم فان تجد * فيه سواك من الانام فحه

وانما أثبت هذه الابيات وان كان أكثرها ليس له علاقة ببيت الطغرائى لحسن نظمها وانسجام لفظها وانظر الى قافية البيت الأخير وتمكنها فى محلها كأنها الشمس فى الحمل أو الدرة التى تم بها حسن العقد وكمل والقافية روح والبيت جسد فتى قلقت فيه ضعف تركيبه وفسد وتمكن القوافى دليل على قوة الناظم فى فنه وقلقها أدل على وقوف قريحته وجود ذهنه وقال التهامى

طرقته فى أترابها فجلت له * وهنا من الغرر الصباح صباحا
أبرزن من تلك العيون أسنة * وهززن من تلك القدود رماحا
ياحبذا ذاك السلاح وحبذا * وقت يكون الحسن فيه سلاحا

وفى بيت الطغرائى من أنواع البديع الكناية وهى أبلغ من الصريح وأوقع فى النفوس ألا ترى ان قولك بعيدة مهوى القرط أبلغ من قولك طويلة العنق وقول امرئ القيس

ويضحى فتيت المسك من فوق فرشها * نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

أبلغ من قوله منعمة ذات خدم وجوار يخدمونها فهى تنام الضحى ولم تشد وسطها بنطاق الخدمة وامرؤ القيس أبدع الناس فى الكناية لان الناس كانوا يقولون أسيلة الخد حتى جاء هو فقال أسيلة مجرى الدمع وكانوا يقولون طويلة القامة وتامة العنق حتى قال بعيدة مهوى القرط وكانوا يقولون فى الفرس السابق يلحق الغزال والظليم وما أشبه ذلك حتى قال قيد الاوابد * وعلى ذكر مهوى القرط أقول قد أنشدنى شيخنا العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود قال أنشدنى لنفسه شيخنا مجد الدين بن الظهير الاربلى من أبيات

حكى قرطها قلبى خفوقا فهل رثى * له أو مراه الوجد أو وراءه الهوى

وهو فى غاية الحسن لانه استوفى أقسام الأسباب الموجبة لاضطراب القرط وما أحسن قول ابن سناء الملك

أماوالله لولا خوف سخطك * لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

وأخذه البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى فقصر عنه اذ قال

وأحوى فاتر الاجفان ألمى * رشيق قده رخص البنان
تملك قرطه والقلب منى * فصار له بذاك الخافقان

وقال ابن الساعاتى

كتاب الشكوك فقال أبو الهذيل وما كتاب الشكوك قال كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان فقال له النظام فشك أنت فى موت ابنك واعمل على انه لم يمت وان مات وشك أيضا فى انه قد قرأ هذا الكتاب وان لم يكن قرأه فخصم صالح وكان مذهبه مذهب السوفسطائية فانهم يزعمون أن الاشياء لا حقيقة لها وان ما نستبعده يجوز أن يكون على ما نشاهده ويجوز أن يكون على غير ما نشاهده وان حال اليقظان كحال النائم (وحكى) الجاحظ قال تجاذبت يوما أنا واياه حديث الطيرة فقال أخبرك انى جعت حتى أكلت الطين وماصرت الى ذلك حتى قلبت قلبى أتذكر هل ثم رجل أصيب عنده غداء او عشاء فما قدرت عليه وكان على جبة وقميص فبعت القميص ثم قصدت الاهواز وما أعرف بها أحدا وما كان ذلك الا عن الحيرة والضجر فوافيت الفرضة فلم أجد بها سفينة فتطيرت من ذلك ثم انى رأيت سفينة فى صدرها خرق وهشم فتطيرت أيضا فقلت للملاح تحملنى قال نعم قلت ما اسمك قال داود اذ بالفاوسية وهو

يزول زوال الظل صبري وعهدها * ويخفق خفق الآل قلبي وقرطها
وما ألطف ما اعتذر به الوراق الحظيري عن خفق الفؤاد عند رؤية المحبوب في قوله
يقول لي حين وافى * قد نلت ما ترتجيه
فما القلب أضحى * بخفقة تعتريه
فقلت وصلك عرس * والقلب يرقص فيه
ومنه قول الآخر
لا تنكروا خفقان قلـ * ـبي والحبيب لدي حاضر
ما القلب الا داره * دقت له فيها البشائر
وما أحسن قول ابن سناء الملك
أوسعت فيه الدهر عتبا ولوما * فأجابني بالافك والبهتان
قلبي يحاسبني على اجرامه * ويعدها بأنامل الخفقان
وقول القاضي الفاضل
وقد خفقت راياته فكأنها * أنامل في عمر العدو تحاسبه
وقول معين الدين بن لؤلؤ
لم أنسه اذ قال أين تحلني * حذرا علي من الخيال الطارق
فأجبته قلبي فقال تعجبا * أرأيت عمرك ساكنا في خافق
على أنه أخذه من قول الآخر
وسكنت قلبا خافقا * ياسا كنا في غير ساكن

*(قد زاد طيب أحاديث الكرام بها * ما بالكرائم من جبن ومن بخل)*
(اللغة) أحاديث جمع حديث على غير قياس قال الفراء يرى أن واحد الاحاديث أحدوثة ثم جعلوه جمعا للحديث (الكرام) جمع كريم ويجمع أيضا على كرماء والكريم ضد البخيل تقول قد كرم بالضم فهو كريم وهو أيضا ضد اللئيم لان الكريم هو الذي يجمع الصفات الحميدة وهذا المعنى هو المراد في البيت وما أحسن ما أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة
بالروح أفدي معرض الم أزل * في كل واد من هواه أهيم
متحمل يشبه ريم الفلا * واطول شجوي من بخيل كريم
ونقلت من خط علاء الدين الوداعي له
ما أنت أول سائل محروم * من باخل بادي النفار كريم
وأخذه الوداعي من نور الدين الاسعردي فانه قال في غلام مغن
وغزال أغن غنى فأغرى * اذ شدا بالغرام كل مليم
قلت جد لي بقبلة قال خذها * وارتشف من لماي بنت الكروم
لست أبغي ما عشت منه سلوا * كيف أسلو عن حب شاد كريم
وحاولت أنا نظم شئ في هذه المادة ففتح علي فقلت
كفلت حمل غرامي * له بفرط نحولي
فهل سمعتم بغيري * في السقم مضني كفيل

اسم شيطان فتطيرت فركبت معه فلما قربت من الفرضة صحت يا جمال ومعي لحاف سمل ومضربة خلق وبعض ما لابد لمثلي منه فكان أول جمال أجابني أعور فقلت لبقار كان واقفا بكم تكرى ثورك هذا الى الخان فلما أدناه مني اذ هو أعضب فازددت طيرة الى طيرة وقلت في نفسي الرجوع أسلم ثم ذكرت حاجتي الى أكل الطين وقلت ومن لي بالموت فلما صرت الى الخان وأنا حائر ما أصنع اذ سمعت قرع باب البيت الذي أنا فيه فقلت من هذا فقال رجل يريدك فقلت من أنا فقال ابراهيم بن سيار النظام فقلت هذا عدو ورسول سلطان ثم اني تحاملت وفتحت له الباب فقال أرسلني اليك ابراهيم ابن عبد العزيز ويقول لك انا كنا اختلفنا في المقالة فانا نرجع بعد ذلك الى حقوق الاخلاق والحرية وقد رأيتك حيث مررت بي على حال كرهتها وينبغي أن تكون نزعت بك حاجة فان شئت فاقم بمكانك مدة شهر أو شهرين فعسى نبعث اليك ببعض ما يكفيك زمانا من دهرك وان اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون دينارا فخذها وانصرف وأنت أحق من عذر قال فورد علي أمر أذهلني أما واحدة فاني لم أكن ملكت

وقالت أيضا

واخوان وثقت بهم فأضحى * أذاهم يعترينى كل حين
ولما أن أسأت الظن كفوا * فواعجباه من ظن يقين (ى)

(رجع) الكرام جمع كريمة (الجبن) ضد الشجاعة وما أحسن قول ابن النقيب فيما أظن

أقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعونى فانى آكل الخبز بالجبن

وكتب القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتابا الى الملك الظاهر مع زيتون الفرنجى قريبا من عكا وهرب زيتون وأسر غالب من كان معه من الفرنج فجاء من جملة الكتاب وفر زيتون من الجبن قيل ان الظاهر لما سمعها أعجبته وخلع عليه والجبن الذى هو ضد الشجاعة مخفف والذى يؤكل مشدد النون وقد تخفف وتقول فى الاول قد جبن بكسر الباء وضمها فهو جبان (البخل) بضم الباء وسكون الخاء وعن الكسائى بتحريك الخاء مضمومة وهو ضد الكرم (الاعراب * قد) تقدم الكلام عليها (زاد) فعل ماض وانما بنى الماضى على الفتح لانه أخف الحركات (طيب) مفعول به وقد تقدم الكلام على المفعول به (أحاديث) مجرور بالاضافة وهى بمعنى اللام ويجوز أن تكون بمعنى فى (الكرام) مضاف الى أحاديث والاضافة بمعنى اللام أيضا (بها) جار ومجرور ولم يظهر الجر لانه ضمير وهو راجع الى ناشئة والباء هنا تصلح أن تكون بمعنى عن كقوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع وانما قلت انها بمعنى عن لانك تقول حدثت عنه ويحتمل غير ذلك (ما) اسم ناقص بمعنى الذى ولا يتم الا بصلة وعائد وموضعها من الاعراب الرفع على أنها فاعل زاد ومفعولها طيب الذى تقدم وما تأتى فى الكلام لمعان منها أن تكون للتعجب كقولك ما أحسن زيدا ومنها أن تكون للنفى كقولك ما قام زيد ومنها أن تكون للاستفهام عما لا يعقل وعن صفات من يعقل فاذا قلت ما عندك قيل فرس واذا قلت ما زيد قيل عالم وهنا تنبيه وهو أنها فى هذه المواطن لا تحتاج الى صلة ولا صفة لانها أمكنة ابهام ومنها أن تكون للشرط كقوله تعالى وما تفعلوا من خير يعلمه الله ومنها أن تكون مصدرية كقولك أعجبنى ما عملت أى عملك وكقوله تعالى بما كانوا يكذبون أى بتكذيبهم ومنها أن تكون بمعنى الذى فهى تحتاج حينئذ الى صلة وعائد كقوله تعالى فاصدع بما تؤمر أى بالذى تؤمر بالصدع به فحذفت الباء فاجتمعت الالف واللام والاضافة فحذفتا فبقى بصدعه ثم حذف المضاف فبقى به ثم حذف الجار فبقى تؤمره ثم حذفت الهاء العائدة وهو الكثير قال الاصفهانى فى شرح اللمع لم يأت فى القرآن اثبات العائد الا فى ثلاث آيات وهى الذى يتخبطه الشيطان من المس وكالذى استهوته الشياطين واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا * وعلى ذكر ما الموصولة أنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمرى قال أنشدنى والدى أبو عمرو محمد قال أنشدنى والدى أبو بكر محمد قال أنشدنى ابن عروة القيسى قال أنشدنى أبو عبد الله محمد بن أبى محمد على بن سعيد بن حزم الظاهرى لنفسه

تجنب صديقا مثل ما واحذر الذى * تراه كعمرو بين عرب وأعجم
فان صديق السوء يزرى وشاهدى * كما شرقت صدر القناة من الدم

قلت قوله مثل ما أى صديقا يحتاج الى ما يكمله كاحتياج ما الموصولة الى الصلة والعائد

قبل فى جميع دهرى ثلاثين دينارا والثانية انه لم يطل مقامى وغيبتى عن أهلى والثالثة ما تبين لى من الطيرة انها باطل * وتوفى النظام سنة احدى وعشرين ومائتين وله من العمر ست وثلاثون سنة وله كلام حسن وشعر رقيق ومن كلامه العلم شئ لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا أعطيته كلك فانت من اعطائه لك البعض على خطر وقال كنا نلهو بالامانى ونعد انفسنا بالمواعيد فذهب من كان ينجز ثم اشتغلنا بالهموم عن الآمال وقال مما يدل على لؤم الذهب والفضة صيرورتهما عند اللئام فالشئ يصير الى شبيهه والجنسية علة الضم * وقال اذا كانت فى جيرانك جنازة وليس فى بيتك دقيق فلا تحضر الجنازة فان المصيبة عندك أكثر منها عند القوم وبيتك أولى بالمأتم وقال أبو العيناء انشدت النظام

اذا هم النديم له بلحظ * تمشت فى مفاصله الكلوم

فقال فما ينبغى أن ينادم هذا الا أعمى ثم نظر المعنى فى شعره ومن شعره

ذكرتك والراح فى راحتى * فشبت المدام بدمع غزير
فان ينفد الدمع فرط الاسى * بكتك الحشى بدموع الضمير

ومنه أيضا

واحد ذر الذى تراه كعمرو أى صديقا فيه زيادة لا حاجة اليها كالواو التى فى آخر عمرو لان صديق السوء يزرى بصاحبه كما ان المؤنث اذا جاور المذكر أكسبه التأنيث كقولهم ذهبت بعض أصابعه وكقول الاعشى

وتشرق بالقول الذى قد أذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

لان صدر الذى هو مذكر لما أضيف الى القناة أنث فعله وهو شرقت والتأنيث سوء بالنسبة الى التذكير قال الله تعالى قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وهذا البيت مما أنشده سيبويه وأهل الكوفة يستشهدون به وساقه ابن السكيت فى كتاب المذكر والمؤنث له ويحتمل أن يكون أراد بالذى كعمرو عمرا الذى فى قول الشاعر

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

والاول أليق وأحسن وما أحسن قول أمين الدين المحلى

عليك بأرباب الصدور فمن غدا * مضافا لأرباب الصدور تصدرا

واياك أن ترضى بصحبة ناقص * فتنحط قدرا من علاك وتحقرا

فرفع أبو من ثم خفض مزمل * يحقق قولى مغريا ومحذرا

(قلت) قد تركت هذا المعنى غفلا ولم أوضح لك معناه لتعمل فيه فكرك وتشحذ ذهنك فى استخراج النكتة منه فانه اذا ظهر لك هز عطفك وكاد يطير بلبك (رجع) ومنها أن تكون نكرة موصوفة كقول الشاعر

ربما تكره النفوس من الامر * له فرجة كحل العقال

أى رب شئ مكروه ومنها أن تكون زائدة كقوله تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم وعما قليل ومنها أن تكون كافة وهى التى تدخل على ان واخواتها وعلى رب فتكف الجميع عن العمل كقوله تعالى انما الله اله واحد ومن العرب من يقول انما زيدا قائم بنصب زيد وابقاء عمل ان وقد جمع بعضهم هذه الانواع التسعة فى بيت واحد فقال

تعجب بما اشرط وزد صل انكر واصفا * وتستفهم انف المصدرية واكففا

وقد تكون ما بمعنى ليس فتعمل عملها فترفع الاسم وتنصب الخبر وسألت الشيخ الامام أثير الدين أبا حيان فى كم موضع من القرآن وردت ما بمعنى ليس فقال فى ثلاثة مواضع * أحدها ماهذا بشرا * والثانى فما منكم من أحد عنه حاجزين وزعم بعضهم أن حاجزين صفة لاحد وليس بشئ لان الصفة يستغنى عنها والخبر محط الفائدة * والثالث ماهن أمهاتهم وهذه لغة الحجاز فأما بنو تميم فانهم يرفعون معها الجزأين فيقولون مازيد قائم ومنه قول القائل

ومهفهف الاعطاف قلت له انتسب * فاجاب ماقتل المحب حرام

يعنى أجاب انه من بنى تميم لانه نطق بلغتهم (رجع) بالكرائم جار ومجرور والباء هنا للالصاق وهذا الجمع لا يقع بهذه الصيغة الا للمؤنث وشذ منه ثلاثة جموع وهى فوارس وهوالك ونواكس أما فوارس فلانه لا يكون الا فى الذكور ولا يكون فى الاناث فامن فيه اللبس وأما هوالك فانما جاء فى المثل هالك فى الهوالك جريا على الاصل والامثال يجىء فيها مالا يجىء فى

غيرها

ياتاركى جسدا بغير فؤاد
أسرفت فى الهجران والابعاد
ان كان يمنعك الزيارة أعين
فادخل الى بعلة العواد
ان العيون على القلوب اذا جنت
كانت بليتها على الاجساد

ومنه

أريد الفراق وأشتاقكم
كانا افترقنا ولم نفترق
وأستغنم الوصل كى أشتفى
وهل يشتفى أبدا من عشق

ومنه

يروع مناجيه بهاروت لفظه
ويؤنسه منه بصورة آدم
ترى فيه لاما فوردة فوق وردة
وقصا من الياقوت من فوق خاتم

ومنه

وشادن ينطق بالظرف
يقصر عنه منتهى الوصف
رق فلو برت سرابيله
علقه الجو من اللطف
يجرحه اللحظ بتكراره
ويشتكى الايماء بالطرف
أفديه من مغرى بما ساءنى
كانه يعلم ما أخفى

وقيل له وهو فى مرضه وفى يديه قدح من زجاج مملوء من بعض الادوية ماهذا فقال

أصبحت فى دار بليات
أدفع آفات بآفات

(وجعلت للكندى رسما استخرج به الدقائق)

غيرها وأما نوآكس فجاء الا في ضرورة الشعر والجوابان الاخيران ليس فيهما تعليل يعتمد عليه والجار والمجرور ومتعلق بمحذوف لازم اضماره لوقوع الجار والمجرور صلة الموصول وهو ما التي تقدمت في قوله ما بال الكرام ثم تقديره قد زاد طيب أحاديث الكرام بها الذى استقر بالكرام ثم أو الذى يكون بالكرام ثم * (قاعدة) * كل جار ليس بزائد ومجرور أو ظرف لابدّ وان يتعلق بفعل أو بما فيه معنى الفعل وما فيه معنى الفعل الأسماء التي تعمل عمل الفعل والجار والمجرور والظرف اذا تعلقا باستقرار محذوف فالجار والمجرور مثل زيد في الدار أي مستقر في الدار والظرف مثل زيد عندك أي مستقر عندك والمتعلق اما أن يكون ملفوظا به أو مقدرا والمقدر اما أن يكون لازم الاضمار أولا ولازم الاضمار له أربعة مواضع * الاول أن يقع خبرا لذى خبر * الثاني أن يقع صفة لموصوف * الثالث أن يقع صلة لموصول * الرابع أن يقع حالا لذى حال ففى الصلة لا يقدر الا بالفعل لان الصلة لا تكون الا جملة وفى البواقى بالفعل وغيره وغير لازم الاضمار كقولك بزيد في جواب من قال بمن مررت (رجع) من جبن جار ومجرور ومن هنا البيان الجنس (ومن بخل) معطوف عليه (المعنى) قد زاد طيب الاحاديث بين الكرام اذا تسامروا ما يوجد في النساء الكرام ثم من الجبن والبخل وهاتان الصفتان محمودتان في النساء مذمومتان في الرجال لان المرأة اذا كان فيها شجاعة ربما كرهت بعلها فأوقعت به فعلا أدى الى هلاكه أو تمكنت من الخروج من مكانها على ما تراه لانها لاعقل لها يمنعها مما تحاوله وانما يصدها عما يقتضيه عقلها الجبن الذى عندها والخوف فاذا لم يكن لها مانع من الجبن أقدمت على كل قبيح وتعاطت ما تختاره اقداما منها على ما يأمرها به عقلها * وقصة شرحبيل بن الحريث مع زوجته مية بنت عمرو بن مسعود مشهورة وملخصها أنها كانت نائمة الى جانبه في الفراش فاقبل أسود سالخ فتخافاه لينهشه والسراج يزهر فأخذت بحلقه وخنقته الى أن مات وتركته تحت الفراش فلما أصبح جاء أبواه اليه ليصبحاه وكانا يفعلان ذلك كل يوم تعظيما له فاخرجت السالخ اليهما ميتا فقالوا من قتل هذا قالت أنا ولو كان أشد منه اقتلته فقال أبوه يا شرحبيل خل عنها فهي للرجل أقتل فطلقها مكرها * وفي كتاب الفرج بعد الشدة حكاية غريبة جرت لبعض الغرباء مع ابنة القاضي بمدينة الرملة لما أمسكها بالليل بالجبانة وهي تنبش القبور وكانت بكرا فضربها فقطع يدها وهربت منه فلما أصبح ورأى كفها ملقى وفيه النقش والخواتم علم أنها امرأة فتتبع الدم الى أن رآه قد دخل بيت القاضي فما زال حتى تزوجها ولما كان بعض الليالى لم يشعر بها الا وهي على صدره وبيدها خنجر فما زالت به حتى حلف لها بطلاقها على انه يخرج من هذه البلدة ولا يعودا اليها أبدا واذا كانت المرأة سمحة جادت بما في بيتها فاضر ذلك بحال زوجها ومتى علم منها الجود بما يطلب منها ربما حصل الطمع فيها بأمر آخر وراء ذلك ولهذا جاء في القرآن العظيم فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى في قلبه مرض ولان المرأة ربما جادت بالشئ في غير موضعه قال الله تعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قيل النساء والصبيان وبالجملة فما حمد أحد من العقلاء كرم المرأة ولا شجاعتها وما أحسن قول أبي اسحق الغزى

غريرة تخطف الأبصار شاخصة * من حولها ببروق البيض والأسل
تمى الى القوم جادوا وهي باخلة * والجود في الخود مثل الشح في الرجل

(الكندى) هو يعقوب ابن الصباح المسمى في وقته فيلسوف الاسلام من ولد الاشعث بن قيس كان أبوه ابن الصباح من ولاة الاعمال بالكوفة وغيرها في أيام المهدى والرشيد وانتقل يعقوب الى بغداد واشتغل بعلم الادب ثم بعلوم الفلسفة جميعها فاتقنها وحل مشكلات كتب الاوائل وحذا حذو ارسطاطاليس وصنف الكتب الجليلة الجمة وكثرت فوائده وتلامذته وكانت دولة المعتصم تجمل به وبمصنفاته وهي كثيرة جدا ومن أجودها كتاب أقسام العقل الانسى وكتاب الجوامع الفكرية وكتاب الفلسفة الاولى * وله أخبار حسنة ونوادر في البخل وغيره فمن أخباره حكى انه كان حاضرا عند أحمد بن المعتصم وقد دخل أبو تمام فانشده قصيدته السينية فلما بلغ الى قوله

اقدام عمرو في سماحة حاتم
في حلم أحنف في ذكاء اياس

قال الكندى ما صنعت شيأ قال كيف قال ما زدت على أن شبهت ابن أمير المؤمنين بصعاليك العرب وأيضا ان شعراء دهرنا تجاوزوا بالممدوح من كان قبله ألا ترى الى قول العكوك في أبي دلف حيث قال

وانظر ما أحسن هذا النصف الثاني من البيت الثاني فان فيه مع ارسال المثل الجناس بين الجود والخود وهو جناس التصحيف وقال أيضا

من ضنها بالطيف توعدنا * ليطير طيب النوم بالمقل
دعها فلو سمحت به سمجت * جود النساء يعد في البخل

وكذا اتفق له في هذا البيت الثاني الجناس المصحف في سمحت وسمجت وهو مأخوذ من قول علية بنت المهدي

بني الحب على الجور فلو * أنصف المحبوب فيه لسمج

وما أحسن قول ابن الرومي

ما للحسان مسيئات بنا ولنا * الى المسيئات طول الدهر احسان
فان تبعن بعهد فان معذرة * انا نسينا وفي النسوان نسيان
لا نلزم الذكر انا لم نسم به * ولا منحناه بل للذكر ذكران
فضل الرجال علينا أن شيمتهم * جود وباس وأحلام وأذهان
وأن فيهم وفاء لا نقوم به * وهل يقوم مع النقصان رجحان

وقال ابن نباتة السعدي

كسلى تزور مع الظلام لها * طيف فأعدى طيفها الكسل
بخلت بما جاد الرقاد به * ومن الغواني يحسن البخل

وما أبلغ قول ابن المبارك يهجو

يا واسطيون ثقوا انني * بهجوكم بين الورى مولع
ما فيكم كلكم واحد * يعطي ولا واحدة تمنع

*(تبيت نار الهوى منهن في كبد * حرى ونار القرى منهم على القلل)*

(اللغة) تبيت أي تمسي (النار) معروفة وهي هنا مجاز وفي قوله نار القرى حقيقة والنار عنصر مضيء مركزه فوق الهواء لانها حارة يابسة والهواء حار رطب فنزل عنها والهواء مركزه فوق الماء لان الماء بارد رطب فنزل عن الهواء والماء مركزه فوق الارض لانها باردة يابسة فالنار والهواء يطلبان فوق والماء والارض يطلبان أسفل لانك اذا نكست الشعلة الى أسفل انقلبت الى فوق واذا ملأت زقا هواء وقسرته على المكث في الماء ورفعت القاسر طلب الزق جهة فوق وعلا الماء واذا تحيلت على صعود الماء الى فوق بالفوارات والزراقات بلغ غاية الرفع ثم أخذ في الهبوط واذا حذفت الحجر الى فوق بلغ غايته ثم تصوب منحدرا وترتيب النار أولا والهواء ثانيا والماء ثالثا والارض رابعا هو الصحيح ومنهم من قال ان الارض في وسط العالم ومنهم من قال انها أول العناصر ثم تلطف الماء عنها ثم تلطف الهواء عنه ثم تلطفت النار عنه ومنهم من قال ان الماء هو أصل الاربعة والارض كثيفة والذي علاها لطيف ومنهم من قال الهواء الاصل فالنار لطيفة والذي سفل عنه كثيف والصحيح الاول على ما تقرر في الطبيعي لان حدوث النار مسبب عن اصطكاك أجرام الافلاك والكلام في هذا يطول وهو مستقصى في أماكنه من كتب الحكمة وقول ابليس خلقتني من نار وخلقته من طين افتخار بعنصر النار لانه مضيء مشرق فاعل الحرارة التي هي سبب النمو والنشو ومركزه فوق

رجل أبر على شجاعة عامر
بأسا وغبر في محيا حاتم

فأطرق أبو تمام ثم أنشد

لا تنكروا ضربي له من دونه
مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره
مثلا من المشكاة والنبراس

ولم يكن هذا في القصيدة فتعجب منه ثم طلب أن تكون الجائزة ولاية عمل فاستصغر عن ذلك فقال الكندي ولوه فانه قصير العمر لان ذهنه ينحت من قلبه فكان كما قال وقد يكون في ذلك الوقت ظهرت له دلائل من شخصه على قرب أجله وسمع الكندي انسانا ينشد ويقول

وفي أربع مني حلت منك أربع
فما أنا أدري أيها هاج لي كربي
خيالك في عيني أم الذكر في فمي
أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

فقال والله لقد قسمها تقسيما فلسفيا * وقال يوما لجارية كان يهواها اني أرى فرط الاعتياصات من المتوقعات على طالبي المودات مؤذنات بعدم المعقولات فنظرت اليه وكان ذا لحية طويلة فقالت ان اللحى المسترخيات على صدور أهل الركاكات محتاجات الى المواسي الحالقات * ومن نوادره وكلامه في

ويعارض بأن الارض مركز الحياة والنشو للحيوان والنبات بخلاف النار فانها اذا استولت على شئ من ذلك أفسدته وهى مفرطة الكيفية والارض معتدلة وان كانت النار حسنة اللون فى الحس الباصر فانها مضرة بحس اللمس والارض لا تؤذى باللمس فثبت أن النار ليست أشرف من الارض خلافا لبشار بن برد فانه قال فى ذلك

ابليس خير من أبيكم آدم * فتنبهوا يا معشر الفجار
النار جوهرة وآدم طينة * والطين لا يسمو سمو النار

وقال بعضهم النار عند العرب أربعة عشر نارا وهى نار المزدلفة توقد حتى يراها من دفع من عرفة وأول من أوقدها قصى بن كلاب ونار الاستسقاء كانوا فى الجاهلية اذا تتابعت عليهم السنون جمعوا ما قدروا عليه من البقر وعلقوا فى عراقيبها وأذنابها العشر والسلع ثم صعدوا بها فى جبل وعر وأضرموا فيها النار وضجوا بالدعاء يزعمون أنهم يمطرون بذلك ونار التحالف كانوا لا يعقدون الحلف الا عليها ويطرحون فيها الملح والكبريت فاذا استشاطت قالوا هذه النار قد تهددتك ونار الغدر كانوا اذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له نارا بمنى أيام الحج ثم صاحوا هذه غدرة فلان ونار السلامة توقد للقادم من سفره سالما غانما ونار الزائر والمسافر وذلك أنهم كانوا اذا لم يحبوا أن يرجع الزائر او المسافر أوقدوا خلفه نارا وقالوا أبعده الله وأسحقه ونار الحرب وتسمى نار الأهبة يوقدونها على يفاع اعلاما لمن بعد عنهم ونار الصيد يوقدونها للظباء لتعشى أبصارها ونار الأسد كانوا يوقدونها اذا خافوه لانه اذا رآها أحدق اليها وتأملها ونار السليم توقد للدوغ اذا سهر والمجروح اذا نزف ومن الكلب الكلب يوقدونها حتى لا يناموا ونار الفداء كانت ملوكهم اذا سبوا قبيلة وطلب منهم الفداء كرهوا أن يعرضوا النساء نهارا لئلا يفتضحن ونار الوسم التى يسمون بها الابل لتعرف ابل الملوك فترد الماء أولا ونار القرى وهى أعظم النيران ونار الحرتين وهى التى أطفأها الله بخالد بن سنان العبسى احتفر لها بئرا ثم أدخلها فيها والناس يرونه ثم اقتحم فيها حتى غيبها وخرج منها (رجع) الهوى مقصور ميل النفس وجمعه أهواء (الكبد) واحدة الاكباد وفيها لغتان كبد بالتحريك والسكون و(حرى) مؤنث حار (القرى) الضيافة (القلال) جمع قلة وهى أعلى الجبل وقلة كل شئ أعلاه (الاعراب * تبيت) فعل مضارع تقول بات يبيت ويبات بيتوتة وبياتا وهو مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وبات من أخوات كان (نار) مرفوع على أنه اسم بات و(الهوى) مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام ولم يظهر الجر لانه مقصور (منهن) جار ومجرور ولم يظهر الجر لانه ضمير والضمائر كلها مبنية وهن ضمير جماعة المؤنث يرجع الى فتيات الحى ونسائه اللاتى تقدم ذكرهن (فى كبد) جار ومجرور وفى هنا ظرفية تتعلق بمحذوف وهذا الجار والمجرور سد مسد الخبر الذى لبات لانها من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر تقديره تبيت نار الهوى منهن مستقرة فى كبد (حرى) مجرور على الصفة لكبد وقد وافق الموصوف فى الافراد والتأنيث والتنكير والجر لان الكبد مؤنثة وحرى لا ينصرف لانه مؤنث بالالف المقصورة لان ألف التأنيث سواء كانت ممدودة أو مقصورة تمنع الاسم من الصرف وهى علة مستقلة تمنع الصرف بخلاف التاء وانما كان كذلك لان مطلق التأنيث فرع ولزومه كتأنيث آخر والالف بهذه المنزلة لانها لازمة مع الكلمة من أول الامر والتاء تنفك فى المذكر ولان الالف

البخل كان يقول من شرف البخل أنك تقول للسائل لا ورأسك الى فوق ومن ذل العطاء أنك تقول نعم وأنت برأسك الى أسفل وكان يقول سماع الغناء برسام حاد لان الانسان يسمع فيطرب فينفق فيسرف فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت وقال عمرو بن ميمون تغديت يوما عند الكندى فدخل جار له فدعوته الى الطعام فقال الرجل والله لتغديت فقال الكندى ما بعد الله شئ فكتفه كتافا لو نشط ليأكل معه لكان كافرا ومن وصيته لولده يا بنى كن مع الناس كلاعب الشطرنج تحفظ شيئك وتأخذ من شيئهم فان مالك اذا خرج من يديك لم يعد اليك واعلم أن الدينار محموم فاذا صرفته مات واعلم انه ليس شئ أسرع فناء من الدينار اذا كسر والقرطاس اذا نشر ومثل الدرهم كمثل الطير الذى هو لك ما دام فى يدك فاذا طار عنك صار لغيرك وقال المتلمس

قليل المال تصلحه فيبقى
ولا يبقى الكثير مع الفساد
لحفظ المال خير من فناه
وسير فى البلاد بغير زاد

واعرف هنا بيتا بيت أكثر من مائة ألف فى المساجد وهو قول القائل

تستمر في الجمع ولا تفارق في مثل حبلى وحبالى وأما التأنيث بالتاء فيفارق مثل مسلمة ومسلمات ولهذا لم يدخل حرى التنوين وحرى يكتب بالياء (ونار) الواو عاطفة عطفت الاسم على الاسم والنار هنا حقيقة وفي الاول مجاز وهو مرفوع على أنه اسم ثان لتبيت (القرى) مجرور بالاضافة وهي هنا معنوية بمعنى اللام ولم يظهر الجر لانه مقصور والهوى والقرى يكتبان بالياء أيضا لانهما من هويت وقريت (منهم) اعرابه كاعراب منهن و(على القال) جار ومجرور ومتعلق بمحذوف كما قلنا في كبد وعلى هنا للاستعلاء وقال في النار الاولى منهن لان الضمير يعود الى نساء الحي وفي النار الثانية منهم لان الضمير يعود الى رجاله الذين جعلهم عدا كالاسود (المعنى) أن هذا الحي الذي أريد طارقه له ناران نار لنسائه تبيت في كبد حرى ونار لرجاله تبيت للقرى مضرمة على القلل وهذا في غاية المدح لهذا الحي لان نساءه حسان ورجاله كرام وفي قوله كبد حرى منكرا نكتة كانه قال نار نسائه في كبد واحدة وهي كبدي لانهن غير مبتذلات لان يراهن فما يشاركني في محبتهن أحد ونار قراهم على القلل تبدو لكل ناظر وقد جمع بين وصف النساء ووصف الرجال في بيت واحد وهو من البلاغة ومن هذا قول ابن الساعاتي

يا دمية الحي الحسان جفانه * لله ما صنعت بنا جفناك

أغنت لحاظك عن ظبات سيوفهم * فيها بلغت من القلوب مناك

أمضى رماحهم قوامك ان يكن * حرب وخير سيوفهم عيناك

وقوله أيضا

وأبي الهوى لو كنت أملك قوة * تذر الوشيج براحتين مكسرا

لطرقت دون الحي غير مراقب * ذاك الكناس ورعت ذاك الجؤذرا

ولزرت بيضاء المضارب صاليا * امانار الحرب أونار القرى

يا دمية الحي المقدس تربه * فكانما يطؤن مسكا أذفرا

آنست نارك في التهائم دونها * جمرات قومك في الذوائب والذرا

و يظن غاش أنها ما أضرمت * من فحمة الظلماء الاعنبرا

وأنشدني الشيخ الامام شهاب الدين محمود قال أنشدني الشيخ مجد الدين محمد بن الظهير الاربلي لنفسه اجازة

حيث الاراكة والكثيب الاوعس * واديهم به الفؤاد مقدس

وبكل خدر منه ليث خادر * أفغابة ذاك الحي أم مكنس

ياجيرة الحي المظلل بالقنا * هل ناركم بسوى الاضالع تقبس

أضرمتموها للنزيل ودونها * غيران فتاك الحفيظة أشرس

وما أحلى قول أبي طاهر بن حيدر البغدادي

خطرت فكاد الورق تسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان

من معشر نشروا على تاج الربا * للطارقين ذوائب النيران

وهذه الاستعارة في غاية الحسن وهو مأخوذ من قول الاول

يبيتون في المشتى خماصا وعندهم * من الزاد فضلات تعدلن يقرى

اذا ضل عنهم طارق رفعوا له * من النار في الظلماء ألوية حمرا

فسر في بلاد الله والتمس الغنى

تعش ذا يسار أو تموت فتعذرا

فاحذر يا بني أن تلحق بهم

ومن كلامه في الفلسفة علوم الفلسفة ثلاثة فاولها العلم الرياضي في التعليم وهو أوسطها في الطبع والثاني علم الطبيعيات وهو أسفلها في الطبع والثالث علم الربوبية وهو أعلاها في الطبع وانما كانت العلوم ثلاثة لان المعلومات ثلاثة اما علم ما يقع عليه الحس وهو ذوات الهيولى واما علم ما ليس لذي هيولى اما أن يكون لا يتصل بالهيولى البتة واما أن يكون قد يتصل بها فأما ذات الهيولى فهي المحسوسات وعلمها هو العلم الطبيعي واما أن يتصل بالهيولى فان له انفرادا بذاته كعلم الرياضيات التي هي العدد والهندسة والتنجيم والتاليف واما لا يتصل بالهيولى البتة وهو علم الربوبية ومن شعره في وصف قصيدة

تقصر عن مداها الريح جريا

وتعجز عن مواقعها السهام

تناهب حسنها حاد وشاد

فحث به المطايا والمدام

ومنه له

أناف الذنابى على الاروس

فغمض جفونك أو نكس

وقال ابن صردر

قوم اذا حيا الضيوف جفانهم * ردت عليهم ألسن النيران

وهذه استعارة أخرى وهي أكمل لان في النار من اللسان شيئين وهما الشكل الشبيه باللسان والزفير الشبيه بالتصويت وفي الاستعارة الاولى الشكل لاغير ومن هنا قول التهامي

نادته نارك وهي غير فصيحة * وهنا بخفق ذوائب النيران

وقال أبو اسحق ابراهيم الغزي

اذا سجا الليل في اللأواء واحتجبت * زهر النجوم فضل الحافر الوقع
دعته نار مقار بهم بألسنة * فوق الفضا من شدوق الاكم تندلع

وهذه استعارة حسنة في الشدوق للآكام وقال ابن قلاقس

عصائب لم يفرق بها الخطب لائذ * مفارق لم يعصب بها الدم لائث
اماء القدور الراسيات لديهم * بنار القرى في كل يوم طوامث

انظر الى هذه الاستعارة في قوله اماء القدور الراسيات اذ شبه القدور بالجواري السود وفيه نقص من وجوه الاول أنه لا مناسبة في ذلك لانه ليس كل أمة سوداء الثاني أن هذا الشكل مخالف لذلك الشكل لان هذه مستديرة وتلك مستطيلة الثالث عدم الاحساس ولكن لما رشح التشبيه بأن النار بمنزلة دم الحيض لهن حسنت الاستعارة وصارت غاية في البلاغة وقد بالغ مهيار الديلمي في قوله

ضربوا بمدرجة الطريق قبابهم * يتقارعون على قرى الضيفان
ويكاد موقدهم يجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

وما أحسن قول الاسعد بن عاتي

لنيرانه في الحي أي تحرق * على الضيف ان أبطا وأي تلهب
توقد لي بشرا وجادت يمينه * فحققت أن الماء من نوء كوكب

ويعجبني أبيات الحطيئة وان كان فيها طول

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل * ببيداء لم يعرف بها ساكن رسما
أخي جفوة فيه من الانس وحشة * ترى البؤس فيها من شراسته نعمى
تفرد في شعب عجوزا ازاءها * ثلاثة أشباح تخالهم بهما
حفاة عراة ما اغتذوا خبز ملة * ولا عرفوا للبر مذ خلقوا طعما
رأى شبحا عند العشاء فراعه * فلما رأى ضيفا تسور واهتما
وقال هيا رباه ضيفا ولا قرى * بحقك لا تحرمه ذي الليلة اللحما
فقال ابنه لما رآه بحيرة * أيا أبت اذبحني ويسر له طعما
ولا تعتذر بالعدم عل الذي طرا * يظن لنا مالا فيوسعنا ذما
فروّى قليلا ثم أحجم برهة * وان هو لم يذبح فتاه فقد هما
فبينا هم عنت على البعد عانة * قد انتظمت من خلف مسحلها نظما
ظماء تريد الماء فانساب نحوها * على أنه منها الى دمها أظمى
فامهلها حتى تروت عطاشها * وأرسل فيها من كنانته سهما

وعند مليكك فابغ العلو
وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى في غد
وان التعزز بالانفس
وكائن ترى من أخي عسرة
غني وذي ثروة مفلس
وكم قائم شخصه ميت
على انه بعد لم يرمس

وسمع رجلا ينشد قول ربيعة الرقي

لو قيل للعباس يا ابن محمد
قل لا وأنت مخلد ماقالها

فقال ليس يجب أن يقول الانسان في كل شيء نعم وكان الوجه أن يستثني ثم قال هجرت في القول لا الا لمعارضة تكون أولى بلا في اللفظ من نعم

(وان صناعة الالحان اختراعك وتأليف الاوتار والانقار توليدك وابتداعك) (الالحان) الاصوات ذوات النغم والايقاع المؤلف على أعداد هندسية وزعم قوم أن الالحان هي موضوعة على أعاريض فقال اسحق الموصلي وهو خاتم القوم هذا قول من لم يدر هذه الصناعة * واختلف فيمن وضعها فقيل بطلميوس وقيل غيره والصحيح انها قديمة موجودة في تعاليم الفلاسفة الاولى والاشهر أن بطلميوس أول من أفرد لها كتابا وسماه كتاب اللحون الثمانية ولها ألقاب وأوضاع معروفة

فخرت بحوض ذات جحش قتيبة * فذا كنترت لحما وقد طبقت شحما
فيا بشره اذ جرها نحو قومه * ويا بشرهم لما رأوا كلمها يدمى
وباتوا كراما قد قضوا حق ضيفهم * وما غرموا غرما وقد غنموا غنما
وبات أبوهم من بشاشته أبا * لضيفهم والام من بشرها أما

وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه متمم بن نويرة عن حزنه على أخيه مالك فقال والله انى ما أنام الليل وما رأيت نارا رفعت بليل الا ظننت أن نفسي ستخرج لأنى أذكر بها نار أخي فانه كان يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة أن يبيت ضيف قريبا منه فلى رأى النار يأوى اليها وذكر المبرد فى الكامل فصلا طويلا فى قصة مالك بن نويرة وقتله ومراثى أخيه متمم فيه وقد احتج الناس لخالد بن الوليد رضي الله عنه فى قتله مالكا بانه قتله على ردته فانه لما وقف بين يديه كان يقول فى مخاطبته قال صاحبك وتوفى صاحبك يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له خالد أوليس هو صاحبك يا عدو الله ثم قتله واحتجوا له أيضا بقول أخيه متمم لما قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد سمعه ينشد مراثى أخيه مالك وددت لو رثيت أخى زيدا بما رثيت به أخاك فقال والله لو علمت ان أخي صار الى ما صار اليه أخوك لم أرثه ولم أحزن عليه قيل أن الجاحظ لما قيل له ان الاصمعى كان يقول فى مرثية متمم لأخيه مالك بقصيدته العينية التى منها

وكنا كندمانى جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

هذه أم المراثى قال الجاحظ لم يسمع الاصمعى

أى القلوب عليكم ليس ينصدع * وأى نوم عليكم ليس يمتنع

(قلت) هذه من مراثى أبي تمام الطائى فى بنى حميد (رحمه) وما هجا أحد قوما بمنع الضيف من القرى وعدم الانس به والبشاشة له بمثل ما هجا القطامى به امرأة من محارب فى قصيدته البائية فانه أخبث هجاء وهى مشهورة منها

الى حيزبون توقد النار بعدما * تلفعت الظلماء من كل جانب
فما راعها الا بغام مطيتى * تريح بمحسور من الصوت لاغب
جنحت جنونا من دلاث مناخة * ومن رجل عارى الاشاجع شاحب
سرى فى جليد الليل حتى كانما * تخزم بالاطراف شوك العقارب
تقول وقد قربت كورى وناقتى * اليك فلا تذعر على ركائبى
فسلمت والتسليم ليس يسرها * ولكنه حق على كل جانب
فردت سلاما كارها ثم أعرضت * كما انحازت الافعى مخافة ضارب
فلما تنازعنا الحديث سألتها * من القوم قالت معشر من محارب
ولما بدا اكراهها الضيف لم يكن * على مبيت السوء ضربة لازب
الا انما نيران قيس اذا شتوا * لطارق ليل مثل نار الحباحب

وقد أسقطت من غضونها أبياتا تخوف الاطالة والى هذه العجوز أشار عبد الصمد بن المعذل فى أخيه أحمد حيث يقول

ليت لى منك يا أخى * جارة من محارب

نارها

وكان بطلميوس يقول الالحان أشرف المنطق ولذلك ترتاح اليها النفوس أكثر من كل نطق وأشرف النفوس ما كان اليها أكثر ارتياحا وقال غيره النغم فضل بقى من المنطق لم يقدر اللسان على اخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر عشقته النفس وحن اليه القلب وقال أفلاطون من حزن فليسمع الاصوات المطربة فان النفس اذا حزنت خمد نورها فاذا سمعت ما يطربها اشتعل منها ما خمد وسئل أبو سليمان المنطقى لم صارت الطبيعة محتاجة الى الصناعة فى أن الشخص يكون بغيض المنظر والقرب فاذا غنى بألحان مطربة عشق قربه وأقبل الطرف عليه فقال ان الطبيعة انما احتاجت الى الصناعة فى هذا المكان لان الصناعة ههنا تستملى من النفس والعقل وتملى على الطبيعة وقد صح أن الطبيعة مرتبتها دون مرتبة النفس وانما تعشق النفس وتقبل آثارها وتكتسب باملائها والموسيقى حاصل للنفس موجود فيها على نوع لطيف بالموسيقا واذا صادف طبيعة قابلة ومادة منقادة أفرغ عليها بتأييد العقل والنفس لبوسا شريفا وأعطاها

نارهاكل شتوة * مثل نار الحباحب

وعبد الصمد هذا كان صاحب مجون شديد الاقدام على الاعراض ردئ السيرة خبيث الهجاء ولكن كان يؤانس على علاته لظرفه وطيب مجلسه وكان أخوه أحمد بالضد من حاله فكان صاحب زهد وورع وعبادة وانقطاع عن الناس وتقدم فى الاعتزال * وحكى انه كان فى مكان وتحته عبد الصمد فى جماعة من أصحابه وقد انهمكوا على شرابهم وعكفوا على لذتهم فعلت أصواتهم وجلبتهم بما هم فيه من صوت الملاهى والغناء وغير ذلك فشوشوا على أحمد فى تعبده فناداه يا عبد الصمد أأمنت أن يحل بك وبهؤلاء عذاب من الله فرفع عبد الصمد رأسه اليه وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ولاحمد بن المعذل هجو ظريف فى أخيه عبد الصمد وهو قوله

قال لى أنت أخو الكلب وفى * ظنه أن قد هجانى واجتهد
أحمد الله تعالى انه * مادرى أنى أخو عبد الصمد

وهذا الهجو فى غاية الاذى مع ما فيه من اللطافة ويقال ان أهجى بيت قالته العرب هو قول الاخطل

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار

وقد اشتمل هذا البيت على معايب أولها انهم قليلون حتى تنصت الاضياف لنباح كلابهم ثانيها أنها نار قليلة لفقرهم فهى تطفأ ببول امرأة ثالثها أن أمهم هى التى تخدمهم فليس لهم خدم غيرها رابعها أنهم كسالى عن مباشرة أمورهم حتى تقوم بها أمهم خامسها عقوقهم لوالدتهم حيث انهم يمتهنونها فى الخدمة سادسها عدم أدبهم لانهم يخاطبون أمهم بهذه المخاطبة التى يستحى الكرام من التفوه بها سابعها انهم لا يتركون أمهم تبيت عند مراقدهم لانهم قالوا لها بولى ولم يقولوا لها قومى الى النار ثامنها انهم جبناء لا يرقدون لانهم مستيقظون يستمعون الصوت الخفى من البعد تاسعها قذارتهم لانهم لا يبالون بما يصعد من رائحة البول اذا وقع فى النار عاشرها الزام والدتهم بأن لا تبول وان تدخر ذلك الى وقت الحاجة اليه والا فأى وقت يطلب الانسان الاراقة يجدها فتجد لذلك ألما ومشقة من احتباس البول حادى عشرها افراطهم فى البخل الى غاية يشفقون معها على الماء أن يطفأ به النار فيروح مجانا ثانى عشرها أنه تأكد بهذا القول عداوة المجوس للعرب لان الفرس يعبدونها وأولئك يبولون عليها فيتأكد بذلك الحقد (قلت) قد سمعت من أفواه الادباء بعض هذه الاقسام وتكلفت أنا الكثير واجتمع الفرزدق والاخطل ليلة على الشراب وتناشدا الى أن قال الاخطل والله انك واياى لاشعر من جرير ولكنه أوتى من سير الشعر مالم نؤته قلت أنا بيتا وما أعلم أن احدا قال أهجى منه وهو * قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * البيت فلم يروه الا حكماء الشعر وقال هو

والتغلبى اذا تنحنح للقرى * حك استه وتمثل الامثالا

فلم يبق ثقات ولا سوقة الا رووه * وقال المنصور لعمرو بن عبيد ما بلغك فى الكلب قال ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتنى كلبا لغير حراسة أو صيد نقص من أجره كل يوم قيراطان قال ولم ذلك قال كذا جاء فى الحديث فقال المنصور خذها بحقها وذلك لانه ينبح

صورة معشوقة فمن ههنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة الحاذقة التى من شأنها استملاء ما ليس لها واملاء ما يحصل فيها مستكملا فكما تأخذ تعطى * فاما الاوتار والانقار فاشارة الى الآلات المطربة الملهية من العيدان والدفوف وما أشبه ذلك * ويقال ان أول من اتخذ العود لملك بن متوشلخ على مثال فخذ ابنه الميت وهو قول ضعيف وقيل بطلميوس وقيل بعض حكماء الفرس وسماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه انه مأخوذ من صرير باب الجنة وقد جعلت أوتاره أربعة بازاء الطبائع فالزير بازاء المرة السوداء والمثنى بازاء الدم والمثلث بازاء البلغم والبم بازاء المرة الصفراء فاذا اعتدلت أوتاره المركبة على ما يجب جانست الطبائع فانبعث الطرب وهو رجوع النفس الى الحالة الطبيعية دفعة واحدة وأول من اتخذ الدفوف لوبا بن لمك واتخذت العرب القصب والتوقيع عليها واتخذت الفرس الصنوج واشباهها وكل ذلك موضوع على نقرات معدودة ووقفات بينها وأول من غنى من العرب على العود بألحان الفرس النضر بن الحرث بن كلدة وفد على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب

الضيف ويروع السائل * وذكر أصحاب الخواص أن الكلب اذا نبح انسانا وخاف ضرره فليلتفت اليه وليجلس الى الارض فانه يرجع عنه * (مسئلة) * من علم المناظرة تتعلق بالنار ان قال قائل لم كانت النار يراها الانسان من بعد أكبر ما يراها اذا وقف عندها أو قريبا منها (فالجواب) ان الهواء المحيط بالاجسام يتكيف بكيفية النار ويتحد بجرمها فترى أكبر منها لعسر التمييز على الحس بواسطة البعد ومن أوصاف النار قول ابن المعتز وقد تقدم في المقدمة

مشهورة لا يحجب الجذل ضوءها * كأن سيوفا بين عيدانها تجلى
يفرق أغصان الوقود اضطرامها * كما شقت الشقراء عن متنها جلا

وقول ابن خفاجة

حمراء نازعت الرياح رداءها * وهنا وزاحمت السماء بمنكب
ضربت سماء من دخان فوقها * لم تدر فيها شعلة من كوكب
وتنسمت من كل نفحة جمرة * باتت لها ريح الشمال بمرقب
قد ألهبت فتذهبت فكأنها * شقراء تمرح في عجاج أكهب

وقول محمد بن عطية بن حسان الكاتب من شعراء المغرب

بتنا نديرالراح في شاهق * ليلا على نغمة عودين
والنار في الارض التي دوننا * مثل نجوم الجو في العين
فياله من منظر رونق * كأننا بين سماءين

وقول مجير الدين محمد بن تميم

وكأنما النار التي قد أوقدت * ما بيننا ولهيبها يتضرم
سوداء أحرق قلبها فلسانها * بسفاهة للحاضرين يكلم

وقول الآخر

وفحم كأيام الوصال فماله * ومنظره في العين ليل صدود
كأن لهيب النار بين خلاله * بوارق لاحت في غمائم سود

وقول الآخر

كانون يطفي برده كانوننا * ما بين سادات كرام حذق
بأراقم حمر البطون ظهورها * سود تنضنض باللسان الازرق

وقول مجير الدين محمد بن تميم

كأنما نارنا وقد خمدت * وجمرها بالرماد مستور
دم جرى من فواخت ذبحت * من فوقه ريشهن منثور

وقوله أيضا

كأنما النار في تلهبها * والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبكت أناملها * من فوق نارنجة لتخفيها

وقول الآخر

كأن كانوننا سماء * والجمر في وسطه نجوم
ونحن جن بحافتيه * والشرر الطائر الرجوم

العود والغناء وقدم مكة فعلم أهلها وأول من غنى في الاسلام بالالحان الفرس سعيد ابن مسجح وقيل طويس وذلك أن عبد الله بن الزبير لما وهى بناء الكعبة رفعها وجدد بناءها وكان فيها صناع من الفرس يغنون بالحانهم فوقع عليها ابن مسجح الغناء العربي ثم دخل الى الشام فأخذ الالحان عن الروم ثم دخل الى فارس فاخذ الغناء وضرب العود واتبعه من بعده وبدئ هذا العلم ببطليموس وختم باسحق ابن ابراهيم الموصلي

(وأن عبد الحميد بن يحيي بارى أقلامك)

(هو عبد الحميد بن يحيي بن سعيد العامري) البالغ الى أعلى المراتب في الكتابة البليغة يقال انه كان في أول عمره معلم صبيان بالكوفة ثم اتصل بمروان بن الجعدي قبل أن يصل الى الخلافة وصحبه وانقطع اليه فلما جاء الامر بالخلافة سجد مروان وسجد أصحابه الا عبد الحميد فقال له مروان لم لا سجدت فقال ولم أسجد على أن كنت معنا فطرت عنا يعني بالخلافة فقال اذا تطير معي قال الآن طاب السجود وسجد وكان كاتب مروان طول خلافته وهو أول من اتخذ التحميدات في فصول الكتب واستعمل

وقول

وقول أبي الفرج الببغاء

فحمناه قدم الغلام فأدنى * في كوانينه حياة النفوس

كان كالآبنوس غير محلي * فغداوهو مذهب الآبنوس

القى النار في ثياب ثكالى * فكسته مصبغات عروس

وقلت أنا

لا كنت يافصل الشتاء فاننا * لم نأت الا انضرم النيرانا

فاذا تطاردفيك خيل شرارها * رجعت بحدتها بناخيلانا

ومن كلام القاضي الفاضل من جملة كتاب وان البرج وطيس الحرب وقد أحمته الى أن أحرقته وصرح الشرك قد خاضته الى أن أغرقته وان الخندق بركة والبرج لها فوارة وان الله اعد للعدا نارا في الآخرة وأحرقهم في الدنيا بشرارة وان العدو تحصن في البرج بكثيب بنفسج أحرقه الله بجلناره ومن كلامه أيضا وبات الناس مطيفين بالحصن والنيران به وعليهم مشتملة وعذبات ألسنتها على وجهه منسدلة ومن خلفه مسبلة ولفحاتها جهنمية وقودها الناس والحجارة والبلاء ينادي طبرية بلسان مصابها اياك أعني واسمعي ياجاره فوجت النار مواج تضيق عنها الفكر وتعجز عنها الابر وخولف المثل في ان السعادة تلحظ الحجر وأغنى ضوءنهارها سوادكل بقعة أن يسأل هذا وذاما الخبر الى ان بدا الصباح وكأنه منها أمتار وانشق الشرق وكأنه من عصفرها صبغ الازار وسرى داء النقوب الى المعاقل ودب سكرها بين المفاصل وغدت الجدران قائمة والبلى سار في أعقابها متجلدة والنار تحت ثيابها وقال آخر

كأن نضيد الفحم خوف شراره * اذا النار مست جلده فتلونا

تذكر أيام السحاب التي جرت * عليه لما تأود أغصنا

فأنبت منه الآبنوس بنفسجا * وأثمر عنابا وأورق سوسنا

قلت وأظن الجو بان القواس سام هذا المرعى ولمح هذا المعنى فنقله الى الراووق اقتدارا وصنعا فقال

ولما حكى الراووق في العين شكله * وقد علق العنقود في سالف الدهر

تذكر عهدا بالكروم فكله * عيون على ايام عصر الصبا تجري

(قلت) قل من يحسن أن ينشده معربا بالعدم تصور معناه والوجه في اعرابه أن يكون العنقود منصوبا على انه مفعول حكى وشكله مرفوع على أنه بدل من المرفوع الذي هو فاعل حكى ونائب فاعل علق ضمير مستتر يعود على العنقود ففيه تقديم وتأخير وتقديره ولما حكى شكل الراووق العنقود في العين وقد علق هو في سالف الدهر ومثل هذا كثير في شعر العرب كقوله

ان الفرزدق صخرة ململمة * طالت فليس تنالها الاوعالا

وقول الآخر

نزلنا القادسية فاستقينا * من البئر التي حفر الاميرا

وقول الآخر

في بعض كتبه الايجاز البليغ وفي بعضها الاسهاب المفرط على ما اقتضاه الحال فمن الايجاز أن بعض عمال مروان أهدى اليه عبدا اسود فأمره بالاجابة ذاما مختصرا فكتب لو وجدت لونا شرا من السواد وعددا أقل من الواحد لاهديته وأما الاسهاب فانه لما ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العباس كتب اليه عن مروان كتابا يستميله ويضمنه مالو قرئ لاوقع الاختلاف بين أصحاب أبي مسلم وكان من كبر حجمه يحمل على جمل ثم قال لمروان قد كتبت كتابا متى قرأه بطل تدبيره فان يك ذلك والا فالهلاك فلما ورد الكتاب على أبي مسلم لم يقرأه وأمر بنار فأحرقه وكتب على جزازة منه الى مروان

محا السيف أسطار البلاغة وانتحى
عليك ليوث الغاب من كل جانب

ولما اشتد الطلب على مروان وتتابعت هزائمه المشهورة قال لعبد الحميد القوم محتاجون اليك لاديك وان اعجابهم بك يدعوهم الى حسن الظن بك فاستأمن اليهم وأظهر الغدر بي فلعلك تنفعني في حياتي أو بعد مماتي فقال عبد الحميد

من بنات الكروم جاءت سلافا * لم يدسها برجله العصارا

وقول الآخر

فمن قبل صدقناوقد كان قومنا * يصلون للاوثان قبل محمدا

التقدير طالت الاوعال واستغنينا الامير وجاءت العصار وصدقنا محمدا صلى الله عليه وسلم

*(يقتلن أنضاء حب لاحراك بهم * وينحرون كرام الخيل والابل)*

(اللغة) أنضاء جمع نضو وقد تقدم فى قوله وضج من لغب نضوى وأراد بالانضاء جماعة العشاق الذين أسقمهم الهوى وأنحلهم ولهذا أضافهم الى الحب والحب معروف يقال أحبه فهو محب وحبه يحبه بالكسر فهو محبوب واذا أفرط الحب سمى عشقا فالعشق محبة مفرطة وليس بافراط المحبة كما قاله بعضهم فيكون أخص من المحبة لان كل عشق محبة من غير عكس قال صاحب الريحان والريعان الحب أوله الهوى ثم العلاقة ثم الكلف ثم الوجد ثم العشق وهو مقرون بالشهوة والحب والمقة فى الله تعالى والعشق اسم لما فضل عن المقدار الذى هو الحب ثم الشغف وهو احراق القلب بالحب مع لذة يجدها وكذلك اللوعة واللاعج والغرام ثم الجوى وهو الهوى الباطن والتتيم والتبتل والهيام وهو شبه الجنون والعشق عند الاطباء من جملة أنواع الماليخوليا وهى تغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعى الى الفساد وقد رسموا العشق بأنه مرض وسواسى يجلبه المرء الى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل وقال ارسطو العشق عبارة عن عمى العاشق عن عيوب المعشوق وهذه خاصية من خواص العشق والتحقيق ان العشق أعم من ذلك لان الرئيس أبا على بن سينا فى رسالته فى العشق ذكر أنه سار فى جميع الموجودات من الفلكيات والعنصريات والمعدنيات والنباتات والحيوانات حتى ان أرباب الرياضى ذكروا فيه الاعداد المتحابة واستدركوا ذلك على اقليدس وقالوا فاته ذلك ولم يذكره وهى المائتان والعشرون فانها عدد زائد أجزاؤه أكثر منه واذا جمعت كانت مائتين وأربعة وثمانين بغير زيادة ولا نقصان والمائتان والاربعة والثمانون عدد ناقص أجزاؤه أقل منه واذا جمعت كانت جملتها مائتين وعشرين فكل من العددين المتحابين أجزاؤه مثل الآخر وبيان ذلك أن العدد التام هو ما اذا اجتمعت أجزاؤه كانت مثله وهو ستة فان اجزاءها البسيطة الصحيحة انما هى النصف وهو ثلاثة والثلث وهو اثنان والسدس وهو واحد ومجموع ذلك ستة والعدد الناقص هو ما اذا اجتمعت أجزاؤه البسيطة الصحيحة كانت جملتها أقل منه وهو ثمانية فان أجزاءها انما هى النصف وهو أربعة والربع وهو اثنان والثمن وهو واحد ومجموع ذلك سبعة وهى أقل من العدد المذكور والعدد الزائد هو ما اذا اجتمعت أجزاؤه زادت عليه وهو اثنا عشر فان له النصف وهو ستة والثلث وهو أربعة والربع وهو ثلاثة والسدس وهو اثنان ونصف السدس وهو واحد ومجموع ذلك ستة عشر وهو يزيد على الاصل الذى هو اثنا عشر فالمائتان والعشرون لها نصف وهو مائة وعشرة وربع وهو خمسة وخمسون وخمس وهو أربعة وأربعون وعشر وهو اثنان وعشرون ونصف عشر وهو أحد عشر وجزء من أحد عشر جزأ وهو عشرون وجزء من اثنين وعشرين جزأ وهو عشرة وجزء من أربعة وأربعين جزأ وهو خمسة وجزء من خمسة وخمسين جزأ وهو أربعة وجزء من مائة وعشرة أجزاء وهو اثنان

أسر وفاء ثم أظهر غدرة
فمن لى بعذر يوسع الناس ظاهره

ثم قال يا أمير المؤمنين ان الذى أمرتنى به أنفع الامرين اليك وأقبحهما بى ولكنى أصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك فلما قتل مروان استخفى عبد الحميد فغمز عليه بالجزيرة عند ابن المقفع وكان صديقه وفاجأهما الطالب وهما فى بيت فقال الذين دخلوا أيكما عبد الحميد فقال كل واحد منهما أنا خوفا على صاحبه الى أن عرف عبد الحميد فأخذ وسلمه السفاح الى عبد الجبار صاحب شرطته فكان يحمى له طشتا ويضعه على رأسه الى أن مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وكان أبو جعفر المنصور يقول غلبنا بنو أمية بثلاثة أشياء بالحجاج وعبد الحميد والمؤذن البعلبكى وقيل لعبد الحميد ما الذى مكنك من البلاغة قال حفظ كلام الاصلع يعنى أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقيل له أيما أحب اليك أخوك أم صديقك قال انما أحب أخى اذا كان صديقى * وقال أكرموا الكتاب فان الله تعالى أجرى الارزاق على أيديهم * وقال العلم شجرة وثمارها الالفاظ وكان

وجزء من مائتين وعشرين جزأوهو واحد وجملة ذلك من الاجزاء البسيطة الصحيحة مائتان وأربعة وثمانون وهي ليس لها الانصف وهو مائة واثنان وأربعون وربع وهو واحد وسبعون وجزء من أحد وسبعين جزأوهو أربعة وجزء من مائة واثنين وأربعين جزأوهو اثنان وجزء من مائتين وأربعة وثمانين وهو واحد فقد ظهر بهذا المثال تحاب العددين وأصحاب الخواص يزعمون أن لذلك خاصية عجيبة في المحبة ويقولون اذا جعل هذا العدد الاقل والعددالا كثر في شيء من المأكول وأكل المحب الاكثر وأطعم الاقل لمن يريد محبته فان المحبوب يحبه أكثر مما كان ذلك يحبه ويجمع هذين العددين قولك فرد كرو كنت قد بخلت بهذه الفائدة أن أودعها هذا الكتاب ثم بدالي اثباتها لما تذكرت قوله صلى الله عليه وسلم من علم علما وكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار (فان قلت) ذلك في العلوم الدينية (قلت) والتحابب أيضا من الامور الدينية قال صلى الله عليه وسلم لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا وتألف القلوب أمر مرغوب فيه وقد حض الشارع عليه الصلاة والسلام عليه ومن صرف هذا في غير أمر شرعي فانما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ مانوى (رجع) قال أفلاطون العشق قوة غريزية متولدة من وساوس الطمع وأشباح التخيل نامية باتصال الهيكل الطبيعي والعشق يحدث للشجاع جبنا وللجبان شجاعة فيكسو كل انسان عكس طباعه حتى يبلغ به المرض النفساني والجنون الشوقي فيؤديانه الى الداء العضال الذي لادواء له وقال الاسكندر العشق نورشعشعاني أوجده واجب الوجود في اللطائف القدسية مؤلفا بين المتنافيين لبقاء سره الخفي في تناسبها اذ التنافي مؤد الى الشتات والشتات مؤد الى الانفراد والانفراد مؤد الى الوحدة والوحدة مؤدية الى العجز والعجز مؤد الى العدم وهو مع ضيائه جار مجرى ظلمة الشهوة التي ركبها الله تعالى لبقاء معاني الاجسام اذلا سبيل الى بقاء أعيانها وقال سقراط العشق صفة من صفات علة العالم خلطها بماء العزة وقسمها في جميع المركبات ولم يدل عليها الانور العقل اذا ظفر ببرهان أن هي هو فجرى تحت أوامرها صاغرا وخضع لذلك المعنى القدسي حكمة من الله تعالى لئلا تستديم امرته فيسهو عن تلك الافلاك فيستحيل جهلا بالبيان فينقطع سلك النظام فينبوعنها وقال أبو معشر العشق اتصال نسبات أرضى لحظ أوجبته الكواكب الفلكية من الاجسام الطبيعية والمواليد الزمانية في عالم الكون والفساد اذهي فاعلة في الطبائع اذ العالم العلوي فاعل في العالم السفلي كما أن فلك الآدميين فاعل في فلك الحيوان وفلك الحيوان فاعل في فلك النبات وفلك النبات فاعل في فلك المعادن فاستدللنا بذلك على ان سببه نجومي وقرانه زماني وقال اقليدس العشق وفق هندسي وجزء معنوي لقي شكله فطابقه وصادف مخالفه فنافاه وذلك أن مركب الاشباح اللاهوتية والاشكال الناسوتية اقتضت حكمته سبحانه أن يكسوها كيفا وكما لتتفاضل وتتماثل على جنوس الزمان فاي التئام وافق شخصين سمي ذلك الالتئام عشقا كتركيبك خمسة أعداد على خمسة أعداد وثمانية امثال على ثمانية امثال ولا يعتد بتنافي الالوان والاطوال فانه قد يقاوم السطح المستطيل المثلث المستدير فيعدله في المثال وقد تزن شجاعة النحيف كثافة الجبان *وقال بطليموس العشق مغناطيس روحاني أودع في سرائر الانفس لخفائها عن الادراك لاجتذاب معاني لطائف كرائم المطبوعات المستترة فلأجل ذلك اذا سئل العاشق لم وقع منك

ابراهيم بن جبلة يكتب خطا رديئا فقال له عبد الحميد أطل جلفة قلمك وأسمنها وحرّف قطتك وأيمنها يصلح خطك والى هذا أشار ابن زيدون بقوله وعبد الحميد بارى أقلامك *ومن رسائله ما كتب عن مروان الى هشام يعزيه بامرأة من حظاياه ان الله تعالى أمتع أمير المؤمنين من أنيسته وقرينته متاعا ممدة الى أجل مسمى فلما تمت له مواهب الله وعاريته قبض اليه العارية ثم أعطى أمير المؤمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها أنفس منها في المنقلب وأرجح في الميزان وأسنى في العوض فالحمد لله رب العالمين وانا لله وانا اليه راجعون *وكتب موصيا بشخص يقول حق موصل كتابي اليك كحقه علي اذ جعلك موضعا لامله ورآني أهلا لحاجته وقد أنجزت حاجته فصدق أمله *وكتب يعرض بشعار بني العباس الاسود من رسالة فرويدا حتى ينصب السيل وتمحى آية الليل *وكتب في فتنة بعض العمال من رسالة حتى اعتراني حنادس جهالته ومهاوي سبل ضلالته ذللا لسباقه وسلما في قياده الى نزل من جحيم وتصلية جحيم سوى ما انحت الحفيظة

ذلك لم يعلم بحجة يبرهن بها عن نفسه كما لو سئل أعلم الخلق بعلم الطبيعة عن السبب الكامن في الحجر الذي أوجب اجتذاب الجرم المعدني لم يكن جوابه الا الصمت أو الخاصية هذا مع صفاء ذهنه وجودة خاطره * وقال الجنيد العشق ألفة رحمانية والهام شوقي أوجبهما كرم الله على كل ذي روح لتحصل به اللذة العظمى التي لا يقدر على مثلها الا بتلك الالفة وهي موجودة في الانفس مقدرة مراتبها عند أربابها فما أحد الا عاشق لامر يستدل به على قدر طبقته من الخلق ولاجل ذلك كان أشرف المراتب في الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معاينة ومالوا الى الآخرة مع كونها مغيبة عنهم مخبر لهم عنها بصورة لفظا وأما ماذكر من أخبار المتيمين في مصارع العشاق وطوق الحمامة لابن حزم وغيرهما فذلك مقصور على عشق الفتيان والفتيات وما اتفق في ذلك من غرائب الاخبار ولطائف الاشعار والذي يظهر من موت المدنف من العشاق عشقا انما هو بسبب دق يعتريه بسبب سهره وتقليل طعامه وشرابه واستعمال الفكر والوسواس وقد وصف الله تعالى نفسه بالحب فقال تعالى يحبهم ويحبونه وأما العشق فلم يرد في لسان الشرع وما أظرف قول بعض الادباء العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل من شخص مخصوص وقول الاطباء بجلبه المرء الى نفسه ليس بصحيح لان الغالب في العشاق انهم اضطروا الى محبة من يهوونه وقال الفضيل بن عياض فيما أظن لو رزقني الله تعالى دعوة مجابة لدعوته تعالى أن يغفر للعشاق لان حركاتهم اضطرارية لا اختيارية وما أحسن قول أبي فراس

وكم في الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتي وقع اختياري

يقال ان بعض العرب قال لرجل من بني عذرة ما لاحدكم يموت عشقا في هوى امرأة ألفها وليس ذلك الاضعف نفس أو خور تجدونه فيكم يا بني عذرة فقال أما والله لو رأيتم الحواجب الزج فوق النواظر الدعج تحتها المباسم الفلج لاتخذتموها اللات والعزى وقلت أنا

والهوى لو ملكت أمرا مطاعا * في الهوى تقتفي هداه العقول
لامرت العيون ترنو ودر الثغر يفتر والقوام يميل
ثم أدعو العذال اذ ذاك حتى * أن رأوا عندهم فضولا يقولوا

(رجح) لاجوالك بهم الحركة ضد السكون يقال ما به حراك أي حركة (وينحرون) يذبحون (كرام الخيل والابل) يعني الاصائل من هذه وتلك والخيل هنا هي الافراس والابل اسم للجمال لا واحد له من لفظه وربما قالوا الابل بسكون الباء والجمع آبال (الاعراب * يقتلن) فعل مضارع والنون نون الاناث والفعل المضارع اذا اتصلت به هذه النون أو احدى نوني التأكيد بني ولكن على السكون ان كان المتصل نون الاناث وعلى الفتح ان كان المتصل نون التوكيد فيقال هن يقمن ولا تفعلن ولا تفعلا لان الفعل حينئذ قد تركب مع النون تركيب خمسة عشر فبني بناءه ولهذا لو حال بين النون والفعل ألف الاثنين أو واو الجمع أو ياء الخطاب نحو هل تضربان وهل تضربن لم يحكم عليه بالبناء لتعذر الحكم عليه بالتركيب اذ لم تركب العرب ثلاثة أشياء وأصل تضربان تضربانن فاستثقلت النونات فحذفت نون الرفع تخفيفا وبقي الفعل مقدر الاعراب * وحكى لنا الشيخ الامام نجم الدين أبو محمد الحسن ابن كمال الدين محمد القرشي الصفدي ان الشيخ تاج الدين الكندي حضرت اليه من بغداد

في نفسه من عوائد الحسك وقدحت الفتنة في قلبه من نار الغضب مضادة لله تعالى بالمناصبة ومبارزة لامير المؤمنين بالمحاربة ومجاهدة للمسلمين بالمخالفة الى ان أصبح بفلاة قفر ونية صفر بعيدة المناط يقطع دونها النياط وكذلك يفعل الله بالظالمين ويستدرجهم من حيث لا يعلمون * وكتب من رسالة أخرى الى أهله وهو منهزم مع مروان أما بعد فان الله تعالى جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور فمن ساعده الحظ فيها سكن اليها ومن عضته بنابها ذمها ساخطا عليها وشكاها مستزيدا لها وقد كانت أذاقتنا أفاويق استحلناها ثم جمحت بنا نافرة ورمحتنا مولية فلح عذبها وخشن لينها فأبعدتنا عن الاوطان وفرقتنا عن الاخوان فالدار نازحة والطير بارحة وقد كتبت والايام تزيدنا منكم بعدا واليكم وجدا فان تتم البلية الى أقصى مدتها يكن آخر العهد بكم وبنا وان يلحقنا ظفر جارح من أظفار من يليكم نرجع اليكم بذل الاسار والذل شر جار نسأل الله الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة في دار آمنة تجمع سلامة الابدان والاديان فانه رب العالمين

فتيا فى اعراب قوله تعالى فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وان جماعة من أهل دمشق خبطوا فيها وما أجابوا بشئ ونسيت هل قال لى ان الشيخ تاج الدين الكندى أجاب أولا قلت ليست هذه المسئلة مما تخفى على مثل الشيخ تاج الدين مع جلالة قدره والذى ظهر لى من اعرابها ان لا حرف نهى والنهى يجزم وهنا غير جازم لان الجزم اعراب لانه اذا دخلت نون الاناث أو احدى نونى التوكيد على المضارع بنى كما تقدم وتتبعان فعل مضارع والالف ضمير الفاعلين ونون التثنية محذوفة وثبوتها دليل الاعراب وهذه الثانية ليست للتثنية وانما هى نون التأكيد الثقيلة على ان الشيخ تاج الدين الكندى كان ممتحنا بهذه السؤالات ورأيت بخط علاء الدين الكندى الوداعى ما معناه انه حضرت اليه فتيا من مصر فى قول القائل اللهم انى أسألك وخير ماسأل العبد ربه هل ينتصب ربه أو يرتفع فكتب الجواب ينتصب وكان الشيخ علم الدين السخاوى حاضرا فرأى ما كتب وخاف أن يخرج الجواب عن الشيخ بالخطا فقال يا مولانا تثبت فى ذلك وحقق الجواب فقال له الشيخ انه النصب فقال علام رفعت خير فقال على الابتداء فقال له أين الخبر ففطن للجواب فكتب يرتفع (رجع * أنضاء) منصوب على انه مفعول يقتلن والفاعل ضمير مستتر فيه يرجع الى نساء الحى (حب) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (لا حراك) لا هذه لنفى الجنس وحراك اسمها وقد تقدم الكلام على لا واسمها فى قوله فلا صديق (بهم) جار ومجرور ولم يظهر الجر فى الضمير لانه مبنى والضمير راجع الى الانضاء والجملة من لا واسمها وما بعد ذلك فى موضع نصب صفة لانضاء كانه قال يقتلن انضاء حب غير متحركين (وينحرون) الواو عاطفة عطفت الجملة الفعلية على مثلها ينحرون فعل مضارع والواو ضمير الفاعلين يرجع الى رجال الحى والنون علامة الرفع للفعل لخلوه عن الناصب والجازم (كرام) منصوب على انه مفعول ينحرون و(الخيل) مجرور بالاضافة والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للجنس ولا بأس بالكلام هنا على أداة التعريف فأقول قال الشيخ جمال الدين بن مالك فى شرح التسهيل بعد ما رجح مذهب الخليل بن أحمد على مذهب سيبويه فان عهد مدلول مصحوبها بحضور حسى أو علمى فهى عهدية والا فجنسية ثم قال أشرت بالحضور الحسى الى حضور ما ذكر كقوله تعالى كما ارسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول والى حضور ما أبصر كقولك لمن سدد سهما القرطاس والله وبالحضور العلمى الى مثل قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم واذ هما فى الغار واذ ناداه ربه بالوادى المقدس واذ يبايعونك تحت الشجرة ثم قال وقولى والا فجنسية أى اذا لم يكن المدلول عليها بمصحوب الاداة معهودا بأحد الحضورين المبينين فالاداة جنسية فان خلفها كل دون تجوز فهى للشمول مطلقا ويستثنى من مصحوبها واذا أفرد فاعتبار لفظه فيما له من نعت وغيره أولى فان خلفها كل تجوزا فهى لشمول خصائص الجنس على سبيل المبالغة مثال التى يخلفها كل دون تجوز قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا والمراد بكون الشمول مطلقا عموم الافراد والخصائص بخلاف التى يخلفها كل على سبيل التجوز كقولك زيد الرجل بمعنى الكامل فى الرجولية الجامع لخصائصها فان هذا تجوز لاجل المبالغة ويستعملون كلا بهذا المعنى تابعا وغير تابع فيقولون زيد كل الرجل وكل الرجل زيد وحكى الفراء عن العرب اطعمنا شاة كل شاة والشمول الحقيقى هو الاصل ولذلك استغنى عن قرينة ولم يستغن الثانى عنها ومثال الاستثناء

وأرحم الراحمين * ومن كلام عبد الحميد وصيته المشهورة عند الكتاب * ومن شعره رحمه الله

ترحل ما ليس بالقافل
وأعقب ما ليس بالزائل
فلهفى لذى خلف قادم
ولهفى على سلف راحل
سأبكى على ذا وأبكى لذا
بكاء مولهة ثاكل
فتبكى من ابن لها قاطع
وتبكى على ابن لها واصل

ومنه أيضا

كفى حزنا أنى أرى من أحبه
قريبا ولا غير العيون تترجم
فاقسم لو أبصرتنا حين نلتقى
ونحن سكوت خلتنا نتكلم

(وسهل بن هرون مدون كلامك)

(هو سهل بن هرون بن راهبون) ويكنى أبا عمرو من أهل نيسابور نزل البصرة فنسب اليها وقيل انه كان شعوبيا والشعوبية فرقة تبغض العرب وتتعصب عليها للفرس وانفرد سهل فى زمانه بالبلاغة والحكمة وصنف الكتب معارضا بها كتب الاوائل حتى قيل له بزرجمهر الاسلام وله اليد الطولى فى النظم والنثر وكان فى أول أمره خصيصا بالفضل بن سهل ثم قدمه الى المأمون فاعجب ببلاغته وعقله وجعله كاتبا على خزانة الحكمة وهى كتب الفلاسفة التى نقلت للمأمون من جزيرة قبرس

من محجوبها قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلولا ان أداة التعريف اقتضت شمول الحقيقة والاحاطة بافرادها لم يستثن الذين آمنوا من المعرف بها وهو الانسان والاكثر في محجوب الاحاطة وغيره موافقة اللفظ كقوله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب وقوله تعالى لا يصلاها الا الاشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذي يؤتي ماله يتزكى وموافقة المعنى دون اللفظ قليلة كقوله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء وحكى الاخفش أهلك الناس الدينار الحمر والدرهم البيض ومن موافقة المعنى دون اللفظ ماهو من الاحد أي من الناس وأنشدوا

وليس يظلمني في وصل غانية * الا كعمرو وما عمرو من الاحد

قال الجامي ولو قلت زيد ماهو من الانسان أصبت انتهى قلت واذا لم تخالف الالف واللام كل مثل قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ حي فهي لبيان الحقيقة ذكر ذلك ولده بدر الدين في شرح الخلاصة ونبه عليه في التسهيل والده جمال الدين ولم أقف عليه في نسختي ولعله سقط منها النسيان الناسخ وقد تزاد الالف واللام في معرف بدونها والزيادة تكون لازمة وعارضة فاللازمة نحو اللات والعزى ونحو الذين واللاتي فانهما معرفتان بالصلة والاداة زائدة فيهما والعارضة اما للضرورة كقوله

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

أراد بنات أوبر وهو ضرب ردئ من الكمأة واما للمح الصفة كالفضل والحارث والنعمان لان الاصل التجريد وانما أدخلوها للمح الصفة فيها وقد تزاد في الحال مثل أرسلها العراك أي معتركة وقراءة من قرأ ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وضم الراء أي ذليلا وكقول بعض العرب ادخلوا الاول فالاول أي مترتبين وقد تزاد في التمييز كقول الشاعر

رأيتك لما أن عرفت وجوهنا * صددت وطبت النفس ياقيس عن عمرو

أي وطبت نفسا وقد تزاد على مايصير علما أو تغلب عليه العلمية كالبيت لمكة والمدينة لمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم والعقبة لعقبة ايلة والكتاب لكتاب سيبويه والصعق لخويلد بن نفيل والنجم للثريا لان كلا من هذه قد اشتهر اشتهارا تاما متى أطلق لفظه فهم معناه وقد تخلف الميم اللام في التعريف فيقال امرجل ومنه الحديث ليس من امبر امصيام في امسفر أي ليس من البر الصيام في السفر قال الشاعر

ذاك خليلي وذو يواصلني * يرمي ورائي بامسهم وامسلمه

وهي لغة تميم وما أحسن قول شمس الدين محمد بن دانيال في المعين حيث قال

أرى لك وجها ان لعنتك جائزا * فأنت بتحقيق الكلام قمين

اذا كان معنى اللام والميم واحدا * برأي تميم فالمعين لعين

(رجع * والابل) الواو عاطفة عطفت الاسم على الاسم والابل مجرور لانه عطف على مجرور والمعطوف في حكم المعطوف عليه فكانه قال وينحرون كرام الخيل وكرام الابل وأنث الضمير في يقتلن وذكره في ينحرون لانه في الاول ضمير نساء الحي وفي الثاني ضمير رجاله كما قال منهن ومنهم في البيت الاول (المعنى) ان هذا الحي نساؤه يقتلن العشاق الذين أسقمهم الهوى وأنحلهم فمالهم حركة الميتة ورجاله ينحرون للاضياف كرام الخيل وكرام الابل فمعناه معنى

صاحب هذه الجزيرة أرسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليها أحد أبدا فجمع صاحب هذه الجزيرة بطانته وذوي الرأي واستشارهم في حمل الخزانة الى المأمون فكلهم أشار وا بعدم الموافقة الا مطرانا واحدا فانه قال الرأي أن تعجل بانفاذها اليه فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا أفسدتها وأوقعت بين علمائها فارسلها اليه واغتبط بها المأمون وجعل سهل بن هرون خازنا لها فتصفحها ونسج على منوال كتب منها وصنف كتاب عفرا وثعلة في معارضة كتاب كليله ودمنه وصنف كتابا في مدح البخل ثم أهداه للحسن بن سهل واستماحه فكتب اليه الحسن قد مدحت ماذمه الله وحسنت ماقبحه الله ومايقوم بفساد معناك صلاح لفظك وقد جعلنا ثواب مدحك فيه قبول قولك فانعطيك شيأ * وكان سهل من أبخل الناس وله في البخل وغيره نوادر حسنة (حكى) الجاحظ قال لقي رجل سهل بن هرون فقال هب لي مالا ضرر به عليك فقال وماهو ياأخي قال درهم قال لقد هونت الدرهم وهو طابع الله

البيت الذى تقدم وهو بليغ لانه جمع فى البيت الواحد بين مدح النساء ومدح الرجال على ماتقدم أولا وقدم الخيل لانها أشرف من الابل وقد وصف أهل هذا الحى بجاه وأعلى صفات المدح لان الحسن كلما كان بارعا زاد المحب هلاكا والكرم غايته أن ينحر المضيف الخيل والابل بخلاف من ينحر مادون ذلك من الضأن والمعز وأما الضيف فقد أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم حقه فقال ليلة الضيف حق واجب وقال صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام ومازاد فهو صدقة ولا يحل له أن يثوى عنده حتى يحرجه وفى رواية حتى يؤثمه قالوا يارسول الله وكيف يؤثمه قال يقيم عنده ولاشئ له يقريه به وفى رواية ان نزلتم بقوم فأمروا لكم بما ينبغى للضيف فاقبلوا وان لم يأمروا فخذوا منهم حق الضيف الذى ينبغى لهم قال الشيخ محيي الدين النووى فى شرح مسلم هذه الاحاديث متظاهرة على الامر بالضيافة والاهتمام بها وعظم موقعها وقد أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من متأكدات الاسلام قال الشافعى ومالك وأبو حنيفة والجمهور هى سنة وليست بواجبة وقال الليث واحمد هى واجبة يوما وليلة على أهل البادية والقرى دون أهل المدن وتأول الجمهور هذه الاحاديث وأشباهها على الاستحباب كحديث غسل الجمعة واجب على كل محتلم اى متأكد الاستحباب وقالوا معنى يؤثمه يقيم عنده بعد الثلاث حتى يوقعه فى الاثم لانه قد يغتابه لطول مقامه أو يعرض له بما يؤذيه أو يظن به مالا يجوز انتهى ويحكى عن الابرش الكلبى انه كان عنده ضيف فقام ليصلح المصباح فقال له صاحب المجلس مه انه ليس من المروءة أن يستخدم الرجل ضيفه وروى أنه قال لا تتخذوا الاخوان خولا وقال بعض السلف لابن عمر بن عبد العزيز مارأيت رجلا أكرم من أبيك سهرت عنده ذات ليلة فخفق المصباح فقام اليه فاصلحه فقلت يا أمير المؤمنين هلا أمرت باصلاحه فقال قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز * وأما استخدام الضيف فقد حكى أن بعضهم أضاف بعض الكسالى فلما أتى باللحم قال له قطع اللحم حتى أوقد النار فقال الضيف لا أحسن ذلك فقال له نق هذا الارز الى أن أشتغل أنا بامر اللحم على النار فقال لا أحسن ذلك فلما استوى الطعام قال له مد الخوان فقال لا أحسن ذلك فقال له قم فكل فقال له والله لقد استحييت من كثرة خلافى لك وتقدم فاكل * وأما تأثيم الضيف فقد حكى عن الفرزدق أنه قيل له ما أقرب عهدك بالذنوب قال ليلة الدير قيل له ماليلة الدير قال نزلت على دير راهبة ضيفا فاكلت عندها طعاما بلحم خنزير وشربت نبيذها وزنيت بها وسرقت كساءها عند الانصراف وخرجت وأنشدت

وكنت اذا نزلت بدار قوم * رحلت بخزية وتركت عارا

وقيل للاوزاعى ماتقول فى رجل قدم الى ضيفه الكامخ والزيتون وعنده اللحم والعسل والسمن فقال هذا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر والعرب قديما وحديثا ماكان لهم مايفتخرون به الا الضيف والسيف والبلاغة وكانوا يحتفلون بالضيف اذا مربهم ويهتمون به ألا ترى الى قول مرة بن محكان السعدى يخاطب امرأته وقد نزل به ضيف

أقول والضيف مخشى ذمامته * على الكريم وحق الضيف قد وجبا
ياربة البيت قومى غير صاغرة * ضمى اليك رحال الحى والقربا

فى أرضه لا يعصى وهو عشر العشرة والعشرة عشر المائة والمائة عشر الالف والالاف عشر دية المسلم الا ترى الى أين انتهى الدرهم الذى هونته وهل بيوت الاموال الا درهم على درهم فانصرف الرجل ولولا انصرافه لم يسكت (وحكى) دعبل الخزاعى قال أقنا يوما عند سهل بن هرون وأطلنا الحديث حتى أضر به الجوع فدعا بغدائه فأتى بصحفة فيها مرق تحته ديك هرم فأخذ كسرة وتفقد مافى الصحفة فلم يجد رأس الديك فبقى مطرقا ثم قال للغلام أين الرأس قال رميت به قال ولم قال لم أظنك تأكله قال ولم ظننت ذلك فوالله انى لامقت من يرمى برجله فكيف برأسه والرأس رئيس يتفاءل به وفيه الحواس الخمسة ومنه يصيح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذى يتبرك به وعينه التى يضرب بصفائها المثل ودماغه عجيب لوجع الكلية ولم أر عظما قط أهش من رأسه فان كان بلغ من قبلك أن لا تأكله فعندنا من يأكله أما علمت أنه خير من طرف الجناح والساق انظر أين رميته فقال والله ما أدرى قال لكنى أدرى انك رميته فى بطنك (وحكى) الجاحظ أن أبا الهذيل العلاف لما تكلم

في ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا
لا ينبح الكلب فيها غير واحدة * حتى يلف على خيشومه الذنبا

أندية هنا أراد به جمع ندى فهو شاذ عن القياس لان القاعدة في جمع المقصور أن يكون على أفعال مثل حشى وأحشاء وقفا وأقفاء وطلا وأطلاء وفي الممدود أن يكون على أفعلة مثل غطاء وأغطية وهواء وأهوية لما في الجو ورشاء وأرشية فثبت أن ندى جمعه أندية وتأوله بعضهم فقال أندية جمع ناد وهو المجالس يعني أنهم كانوا يجلسون في الاندية يصطلون وليس بشئ لان سياق الكلام يدل على انه أراد جمع ندى لا ناد ويظهر هذا لمن له ذوق * وذكرت بالابيات هنا ما حكاه لي الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري قال اجتمع تاج الدين بن الاثير وفخر الدين بن لقمان في بعض البيا كير في ليلة مظلمة على تل العجوز وكان لابن لقمان مملوك يدعى الطنب فجعل يدعوه باسمه والطنب يجيبه وهو لا يراه لشدة الظلمة فيكرر نداءه ويقول أين أنت يا طنب فاني لا أراك فقال تاج الدين بن الاثير

في ليلة من جمادى ذات أندية * لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا

وهذا من لطيف الاستشهاد وحسنه وقال ابن سناء الملك من قصيدة مدح بها القاضي الفاضل

واذا سألت من الكريم فانه * عبد الرحيم لانه مولى الورى
يختار أن يهب الخريدة كاعبا * والطرف أجرد والحسام مجوهرا
يقري الضيوف شعاع تبر أحمر * فشعاع ذاك التبر نيران القرى

وتعنت ابن جبارة عليه في هذه الابيات فما قال في هذا الثالث ألم أولا بقول ابن عمار

قدح زناد المجد لا ينفك من * نار الوغى الا الى نار القرى

وزاحم فيه أبا الطيب في قوله

تركت دخان الرمث في أوطانها * طلبا لقوم يوقدون العنبرا

وقوله * يقري الضيوف شعاع تبر أحمر * والتبر لا يكون الا كذلك وانما قصد المبالغة وشبه ذلك بشعاع النار التي توقد على اليفاع ليهتدي بها الحيران وتهتدي الى موضعها الضيفان وقد جعله يدفع الى الضيوف صلة الانعام ويمنعهم من الطعام وكم من ضيف يمتنع من أخذ ذلك ويعده عيبا شنيعا (قلت) هذا تعنت زائد وليس للبيت علاقة بما قاله ابن عمار ولا بقول أبي الطيب نعم لو قال نظر الى قول أبي الطيب

وملت نحر عشارها فأضافني * من ينحر البدر النضار لمن قرى

لكان فيه بعض سرقة وأما قوله التبر لا يكون الا أحمر لا نسلم له هذه الدعوى لان التبر ما كان من الذهب غير مضروب والشاعر هنا ما أراد الا الذهب المضروب ولكنه قال تبرا مجازا والذهب منه ما يكون أحمر ومنه ما يكون أخضر ومنه ما يكون أصفر وهذا أمر يشاهده الحس ولولا أن ذلك لازم لما قيل في بعض المواطن الذهب الاحمر كما يقال الثلج الابيض وما بقي له من النقد عليه الا قوله ان الاضياف فيهم من لا يقبل الانعام وهذا نقد حسن فان الضيف قد يكون أكبر قدرا ممن أضافه وأجل نعمة وأشرف همة ولا كذلك العفاة فانهم لا يكونون الا دون من يسئلونه ويستعطونه فلو قال يقري العفاة لزال الايراد مع ان فيه نظرا من اثبات القرى ويمكن أن يجاب بأنه خصص هذا القرى بالاضياف الذين يسئلونه ويستعطونه وما

أحسن

سأله رقعة يكتب بها الى الحسن بن سهل يستعينه على ضائقة لحقته فكتب رقعة وختمها ودفعها اليه فاوصلها الى الحسن فلما رآها ضحك وأوقف عليها أبا الهذيل واذا فيها مكتوب

ان الضمير اذا سألتك حاجة
لابي الهذيل خلاف ما أبدي
فامنحه روح اليأس ثم امدد له
حبل الرجاء بمخلف الوعد
حتى اذا طالت شقاوة جده
وعنائه فاجبهه بالرد
وان استطعت له المضرة فاجتهد
فيما يضر بأبلغ الجهد

ثم قال الحسن هذه صفته لا صفتنا وأمر لابي الهذيل بمال فعاد اليه فعاتبه فقال سهل ترى أين عزب عنك الفهم أما سمعت قولي ان الضمير خلاف ما أبدي فلو لم يكن ضميري الخير ما قلت هذا وهذه من مغالطات سهل وبلاغته وستأتي في ترجمة الجاحظ حكاية مثل هذه * ومن محاسن تعريضات سهل انه خاطب بعض الامراء فقال له كذبت فقال أيها الامير ان وجه الكذاب لا يقابلك يعني الامير بذلك لان وجه الانسان لا يقابله ويروى ان المأمون كان قد انحرف من سهل الى ان دخل عليه يوما فقال يا أمير المؤمنين انك ظلمتني وظلمت فلانا الكاتب فقال ويلك

أحسن ما نقلته من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر من نظمه

سلفتنا على العقول السلافه * فتقاضت ديونها بلطافه
ضيفتنا بالبشر والنشر واليسـ * ـر ألا هكذا تكون الضيافه

قوله بالبشر بالباء ويعني ابتسامها بالحباب وما أحلى قول صدر الدين بن الوكيل

وان أقطب وجهي حين تبسم لي * فعند بسط الموالي يحفظ الادب

وقول عز الدين بن أبي الحديد

لا تلقها الا ببشر لك فالقطوب من الدنس
ما أنصف الكاسات من * ضحكت اليه وقد عبس

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدني لنفسه الشيخ شرف الدين محمد بن موسى المقدسي

اليوم يوم سرور لا شرور به * فزوج ابن سحاب بابنة العنب
ما أنصف الكاس من أبدى القطوب لها * وثغرها باسم عن لؤلؤ الحبب

ومن هذه المادة قول ابن قلاقس

لا تقتلاها بالمزا * ج غداة أشرب ما شفاها
ما في المسرة أنها * تحيي السرور وتقتلاها

وقول محيي الدين بن قرناص

قد قلت اذ أضحى يعبس كلما * دارت عليه بالمدام الاكؤس
تالله ما أنصفتها يا مالكي * تأتيك باسمة وأنت تعبس

وما أحسن قول ابن رشيق

أحب أخي وان أعرضت عنه * وقل على مسامعه كلامي
ولي في وجهه تقطيب راض * كما قطبت في وجه المدام
ورب تقطب من غير بغض * وبغض كامن تحت ابتسام

وقول الشيخ صدر الدين * فعند بسط الموالي يحفظ الادب * ينظر الى قول أبي الطيب

ان يقبح الحسن الا عند طلعته * فالعبد يقبح الا عند سيده

وتكلم ابن جني على هذا البيت ومثله بقول الآخر

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

وليس منه وأما قول محيي الدين بن عبد الظاهر بالنشر بالنون يعني به نكهتها كما قال أبو نواس

فتنفست في البيت اذ مزجت * كتنفس الريحان في الانف

وقوله واليسر بالياء والسين يريد أن شاربها يزول همه وتنبسط آماله قال بعض الاعراب

واذا سكرت فانني * رب الخورنق والسدير
واذا صحوت فانني * رب الشويهة والبعير

وما أحسن قول النصير الحمامي

أصبحت من أغنى الورى * مستبشرا بالفرح
عندي نجم ذهب * أكتاله بالقدح

وكيف قال رفعته فوق قدره و وضعتني دون قدري الا انك له في ذلك اشد ظلما قال كيف قال لانك اقمته مقام هزؤ واقمتني مقام وجه فضحك المأمون وقال قاتلك الله ما اجهلك ورضي عنه وقد رويت هذه الحكاية لغيره (وحكى) عن سبب رضا المأمون عنه انه تكلم بكلام حسن في محفل فقام سهل وقال ما لكم تسمعون ولا تعون ولا تعجبون اما والله انه ليقول و يفعل في اليوم القصير مثل ما قالت وفعلت بنو مروان في الدهر الطويل

لا يخفى حسن هذا النظم ولطف هذا المعنى وقول ابن قلاقس

فظلت بالكاس أغنى الناس كلهم * فالخمر من عسجد والماء من ورق

وما أحسن قول القاضي الفاضل

لها منن تصفو على الشرب أربع * وواحدة لولا سماحتها تكفي
سرور الى قلب وتسبر الى يد * ونور الى عين وعطر الى أنف
ولما رأينا ياسمين حبابها * مددنا يمين القطف قبل فم الرشف

وما أحسن ما قال ابن المعتز

شربت الراح في الحانات صرفا * لها أرج يجل عن الصفات
عجبت لعاصريها كيف ماتوا * وقد عصروا النا ماء الحياة

*(يشفى لديغ العوالي في بيوتهم * بنهلة من غدير الخمر والعسل)*

(اللغة) لدغته العقرب تلدغه لدغا وتلداغا فهو ملدوغ ولديغ ويقال لدغه بكلمة أي قرعه بها فاللدغ للعقرب حقيقة وفي غيرها مجاز (العوالي) الرماح وقال صاحب الكفاية العامل ماتحت السنان الى مقدار ذراعين ثم العالية وجمعها عوال (بنهلة) النهلة الشربة الواحدة والمنهل المورد وهو الماء ترده الابل والشربة الثانية يقال لها العلل (الغدير) القطعة من الماء يغادرها السيل وهو فعيل بمعنى مفاعل من غادره أو مفعل من أغدره وقيل بمعنى فاعل لانه يغدر بأهله عند الحاجة اليه قال الكميت

ومن غدره نبز الاولون * بأن لقبوه الغدير الغديرا

(الخمر) معروف وهي ماخامر العقل وانما سميت خمرا لانها تركت فاختمرت أي تغير ريحها (والعسل) يذكر ويؤنث تقول منه عسلت الطعام أعسله وأعسله بالضم والكسر اذا عملته بالعسل والعسل مجاج النحل (الاعراب * يشفى) فعل مضارع مغير لما لم يسم فاعله وقد تقدم الكلام عليه في قوله كالسيف عري متناه ويكتب بالياء لانه من شفيت (لديغ) مرفوع على أنه مفعول لما لم يسم فاعله وهو هنا بمعنى مفعول وهو كثير في كلامهم ومنه قتيل بمعنى مقتول وجريح وطريد ومسبح في أحد الاقوال (العوالي) جمع عالية وهو في موضع جر بالاضافة والجر فيه مقدر لانه منقوص لا يظهر فيه اعراب غير النصب تقول هذه عوال ومررت بعوال ورأيت عوالي (في بيوتهم) جار ومجرور والضمير يعود الى رجال الحي وهو في موضع جر بالاضافة وفي هنا للظرف المكاني وتتعلق بلديغ (بنهلة) الباء هنا للاستعانة والجار والمجرور متعلق بيشفى ويصح أن يكون حالا تقديره يشفى اللديغ في بيوتهم ناهلا (من غدير) من هنا لبيان الجنس وتكون للتبعيض وغدير هنا بمعنى مفعول لانه يغادر من السيل في الاودية و (الخمر) مجرور بالاضافة الى غدير والاضافة بمعنى اللام (والعسل) معطوف عليه والالف واللام هنا للجنس (المعنى) ان هؤلاء القوم من وصفهم أن لديغ العوالي الذي طعن يشفى بشربة واحدة من غدير الخمر والعسل وقوله بشربة من غدير الخمر والعسل كناية عن رشف رضاب الفتيات اللاتي تقدم ذكرهن فشبه ريقهن بالخمر والعسل والاول حمل على حقيقته كذبه الحس لان الذي يطعن بالرمح لا يشفى بشرب العسل ولا الخمر فابقي الا رد ذلك بالتأويل الى ما ذكرته *واعلم ان للشعراء ألفاظا صارت بينهم حقائق عرفية وان كانت في الاصل مجاز الكثرة

فاعجب المأمون قوله ورضى عنه *ومن كلامه يعزى التهنئة على آجل الثواب اولى من التعزية على عاجل المصيبة *وقال في المعنى مصيبة في غيرك لك ثوابها خير من مصيبة فيك لغيرك ثوابها وقال حق على كل ذي مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها كما بدئ بالنعمة قبل استحقاقها وكتب الى صديق له أبل من ضعف بلغني خبر الفترة في المامها وانحسارها والشكاة في حلولها وارتحالها فكاد يشغل القلق باوله عن

دورها فى كلامهم وتعاطيهم استعمالها لانهم ألفوا ذلك من تداولها وتكرارها على مسامعهم من ذلك الغصن اذا أطلقوه فهم منه القوام والكثيب اذا أطلقوه فهم منه الردف والورد اذا أطلقوه فهم منه الوجنة والاقاح اذا أطلقوه فهم منه الثغر والراح اذا أطلقوه فهم منه الريق والنرجس اذا أطلقوه فهم منه العيون وكذلك السيف والسهم والسحر واذا أطلقوا الآس أو البنفسج أو الريحان فهم منه العذار فكل هذه الاشياء انتقلت عن وضعها الاصلى وصارت حقائق عرفية نقلها الاصطلاح الى هذه الاشياء قال أبو نواس

يا قمرا أبصرت فى مأتم * يندب شجوا بين أتراب
يبكى فيذرى الدر من نرجس * ويلطم الورد بعناب

وقال ابن المعتز فيما أظن

ومهفهف الحاظه وعذاره * يتعاضدان على قتال الناس
سفك الدماء بصارم من نرجس * كانت حمائل غمده من آس

وقال ابن اسرائيل

وأسمر عسجدى اللون تحكى * معاطف قده سمر العوالى
يدير على الشقيق عذار آس * ويبسم بالعقيق عن اللآلى

قلت لو قال اشام آس لكان أصنع وأحسن وقال الجلال الصفار

ما برحت يوم وداعى لها * تضمنى ضمة مستأنس
حتى تثنى الغصن فوق النقا * وانتثر الطل على النرجس

وقال آخر

وليلة بتها من نغر حبى * ومن كاسى الى فلق الصباح
أقبل أقحوانا فى شقيق * وأشربها شقيقا فى اقاح

وهو مأخوذ من قول المطوعى

ومعشوق الشمائل قام يسعى * وفى يده رحيق كالحريق
فأسقانى عقيقا حشو در * وتقلنى بدرفى عقيق

وقال ابن النبيه

رضا بك راحى آس صدغك ريحانى * شقيقى جنى خديك جيدك سوسانى
وبين النقا والرمل تهتز بانة * لها غمر من جلنار ورمان

وذكر الطغرائى الشفاء بالخمر والعسل لوجهين * الاول ما جاء فى الخمر من قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس قال أصحاب التفسير ان العرب كانت اذا غلبت فى الميسر تتصدق بكل ما خرج لها على الفقراء والمحتاجين ويعيبون على من لا يفعل ذلك منهم ويسمونه البرم وما رأيت من تكلم على قداح الميسر وأسمائها وأحكامها مثل علم الدين السخاوى فى كتابه سفر السعادة * ومذهب الشافعى أن التداوى بالخمر لا يجوز تمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يجعل شفاء أمتى فيما حرم عليها ولم يرخص الا لشرق اذا غص باللقمة فله أن يسيغها بجرعة من الخمر اذا لم يجد ماء فى الوقت وخاف الهلاك واذا كان التداوى بها عنده لا يجوز فمنع استعمالها للطرب واللذة بالطريق الاولى ولا فرق فى

السكون لآخره وتدهل الحيرة فى ابتدائه عن المسرة فى انتهائه وكان تغيرى فى الحالين بقدرهما ارتياعا للاولى وارتياحا للاخرى وكتب لآخر أما بعد فالسلام على عهدك وداع ذى ودضنين بك فى غير مقالية لك ولا سلوة عنك بل استسلام للبلوى فى امرك واقرار بالعجز عن استعطافك الى أوان فيئتك أو يجعل الله لنا دولة من رمقك * وقال يفضل الزجاج على الذهب فى رسالة الزجاج مجلو نورى والذهب متاع سائر والشراب فى الزجاج

مذهبه بين قليلها وكثيرها وبين عصير العنب وغيره من المسكرات لانه قال كل شراب مسكر حرام * وقال أبو حنيفة الخمر عبارة عن عصير العنب المشتد الذى قذف بالزبد وحجة الشافعى ماروى أبو داود فى سننه عن الشعبى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال نزل تحريم الخمر يوم نزل وهى خمسة من العنب والتمر والحنطة والشعير والذرة والخمر ماخامر العقل وقد روى أبو داود فى سننه من هذا النوع جملة عن نافع عن ابن عمر وعن عائشة وعن جابر وعن القاسم وعن شهر ابن حوشب عن أم سلمة رضى الله عنهم ولا شك أن ابن عمر رضى الله عنه كان عالما باللغة وبالمراد من الآية لما نزلت وقد قال نزل تحريم الخمر يوم نزل الخ وهو صريح فى تناول الحرمة للانواع الخمسة وحجة أبى حنيفة قوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب الآية قال منّ الله تعالى باتخاذ السكر والرزق الحسن والمنة لاتكون الابمباح ورواية ابن عباس قال لما أتى النبى صلى الله عليه وسلم السقاية عام حجة الوداع استند اليها وقال اسقونى فقال العباس ألا نسقيك مما ننبذه فى بيوتنا فقال ماسقى الناس فجاء بقدح من نبيذ فشمه وقطب وجهه ورده فقال العباس يارسول الله أفسدت على أهل مكة شرابهم فقال ردوا على القدح فردوه عليه فدعا بماء من زمزم فصب عليه وشرب وقال اذا اغتلمت عليكم هذه الاشربة فاقطعوا متونها بالماء قال والتقطيب لايكون الامن الشديد والجواب أن آية السكر والرزق الحسن نزلت قبل الآيات الدالة على الحرمة فهى امانا سخة أو مخصصة وأما الحديث فلعل ذلك النبيذ كان ماء نبذت فيه تمرات يسيرة ليحلو طعمه وأما التقطيب فلانه صلى الله عليه وسلم كان فى غاية اللطافة فلم يحتمل طبعه الكريم ذلك الطعم وكل فقهاء الكوفة أفتوا بشرب النبيذ وأما الخمر فلا وقد قال بعض أصحاب أبى حنيفة لأن أقول فى النبيذ مرارا كثيرة هو حلال خير من أن أقول فيه مرة واحدة هو حرام ولأن أخر من السماء فتقطعنى الرياح خير لى من أن أشرب منه قطرة (قلت) الاول قول بما أدى اليه اجتهاده والثانى تورع منه رضى الله عنه وقد ظرف من قال

لعمرك ماشربت الراح جهلا * ولكن بالادلة والفتاوى
فانى قد مرضت بداء همّ * فاشربها حلالا للتداوى

والثانى ماجاء فى قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس قال مجاهد المراد بقوله فيه شفاء للناس القرآن والصحيح أن المراد به العسل لان الضمير يعود الى أقرب مذكور وهو الشراب وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان أخى استطلق بطنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال انى سقيته عسلا فلم يزده الا استطلاقا فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال اسقه عسلا فقال سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فبرئ وحملوا قوله صلى الله عليه وسلم صدق الله على قوله تعالى فيه شفاء للناس وقوله صلى الله عليه وسلم وكذب بطن أخيك على أنه علم بنور الوحى أن ذلك العسل سيظهر نفعه فلما لم يظهر فى الحال كان على بينة من شفائه فقال كذب بطن أخيك وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنه انه كان لايشكو شيأ الا تداوى بالعسل حتى انه كان يدهن به الدمل والقرصة ويقرأ فيه شفاء للناس فان قيل كيف يكون العسل فيه اشفاء للناس وهو مضر بالصفراء مهيج للحرة

أحسن منه فى كل معدن ولا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل اليد ولا يرتفع فى السوم واسم الذهب يتطير منه ومن لؤمه سرعته الى اللئام وهو فاتن فاتك لمن صانه وهو أيضا من مصايد ابليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران والزجاج لايحمل الوضر ولا يداخله الغمر ومتى غسل بالماء وحده عاد جديدا وهو أشبه شئ بالماء وصفته عجيبة وصناعته أعجب من رسالة طويلة وكان سبب قوله لها أن شداد الحارثى كان قد

(فالجواب)

(فالجواب) أنه تعالى لم يقل فيه شفاء لكل الناس بل قال شفاء للناس ويكفي فيه أن كل معجون مركب لم يكن تمامه الا بالعسل والاشربة المتخذة منه للامراض البلغمية عظيمة النفع فقد حصل فيه شفاء للناس وذهب قوم من أهل الجهالة الى أن المراد بهذه الآية أهل البيت وبنو هاشم وأنهم النحل وأن الشراب القرآن والحكمة وذكر هذا بعضهم في مجلس ابي جعفر المنصور فقال رجل من الحاضرين جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم فأضحك من في المجلس *وأخبرني الشيخ الامام الحافظ علاء الدين مغلطاي شيخ الحديث بالمدرسة الظاهرية بين القصرين بالقاهرة قال جاء رجل الى الشيخ شهاب الدين الحنبلي صاحب التعبير فقال له رأيت في منامي كأن قائلا يقول لي اشرب شراب الهكاري فقال له أوجعك فؤادك قال نعم قال اذهب فاشرب عسلا تبرأ باذن الله تعالى فقيل له من أين لك هذا قال لاني فكرت فلم أعرف شرابا منسوبا الى الهكاري فرجعت الى الحروف فوجدتها شراب الهك أري والاري هو العسل وتذكرت حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه فعلمت أن فؤاده يوجعه فوصفت له العسل (قلت) وقد حكى لي غير واحد من الثقات عن الشيخ شهاب الدين المذكور غرائب كهذه المادة لم تسمع عن غيره من المعبرين الغابرين (رجع) وهذا المعنى الذي في بيت الطغرائي لطيف كأنه يقول ان الذي يطعن بالرماح متى ارتشف شربة واحدة من ريق هذه الفتيات اللاتي في الحي شفي وذهب عنه الالم اما بلذة يجدها في رشف ريقهن واما بالخاصة التي في العسل والمعنى الاول أغزل وأشعر وقد اشتهر تشبيه الريق عند الشعراء بالراح والعسل قال عرقلة

باب لي اللحاظ في كل عضو * لي من قوس حاجبيه سهام
جوهر ريقه على ولكن * صدق الشرع ما تحل المدام

وقال أبو اسحق الصابي

بأبي مبسم اذا لاح أهدى * بردا ينقع الجوانح بردا
شهد اللثم صادقا وهو عدل * أن في ثغرها رحيقا وشهدا

وقال حرملة بن مقاتل

وما ضرب في رأس صعب ممرد * بشيهانة يستنزل العصم نيقها
بأطيب من فيها لمن ذاق طعمه * وقد جف بعد النوم للصب ريقها
اذا اعتلت الافواه واستمكن الكرى * وقد حان من نجم الثريا خفوقها
وما ذقت فاها غير حال رجوته * ألا رب راج شربة لا يذوقها

وأول من فتح الباب في هذا المعنى النابغة الذبياني حيث قال يصف المتجردة امرأة النعمان

تجلو بقادمتي حمامة ايكة * بردا أسف لثاته بالاثمد
كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى
زعم الهمام ولم أذقه بأنه * يشفى برياريقها العطش الصدى

وتزاحم الناس بعد النابغة على هذا الباب أفواجا ووردوه عذبا فراتا لا ملحا أجاجا وما أحسن قول بعضهم

وعندي من معاطفها حديث * يخبر أن ريقتها مدام

وصف الذهب فاطنب وكان النظام قد ذم الزجاج *وقال تعلموا العلم فلان يذم الزمان لكم خير من أن يذم بكم وقال يوما ثلاثة من المجانين الغضبان والغيران والسكران فقال شخص من العوام فما تقول في المنعظ فضحك حتى استلقى وأنشد يقول

وماشر الثلاثة أم عمرو
بصاحبك الذي لا تصحبينا

ومن كلامه في كتاب عفراء وبعلة اجعلوا أداء ما يجب عليكم من الحقوق مقدما قبل الذي تجودون به من

وفي ألحاظها السكرى دليل * وماذقنا ولا زعم الهمام

وقال المتوكل الليثي

كأن مدامة صهباء صرفا * ترقرق بين راووق ودن
تعل به الثنايا من سليمى * فراسة مقلتي وصحيح ظني

وقال ابن صعترة البولاني

فما نطفة من حب مزن تقاذفت * به جنبتا الوادي والليل دامس
فلما أقرته الصباء تنفست * شمال لأعلى مائه فهو قارس
بأطيب من فيها وماذقت طعمه * ولكنني فيما ترى العين فارس

وقال امرؤ القيس

وثغر لها طيب واضح * لذيذ المقبل والمبتسم
وماذقته غير ظني به * وما الظن يقضي على ما كتم

وقال ابن الرومي من أبيات

وماذقته الا بشيم ابتسامها * وكم مخبر يبديه للعين منظر
بدالي وميض شاهد أن صوبه * عريض وما عندي سوى ذاك مخبر

ومما أورده صاحب الاغاني في أخبار مجنون ليلى ثم قال انهما النصيب قوله

كأن على أنيابها الخمر شجها * بماء الندى من آخر الليل غابق
وماذقته الا بعيني تفرسا * كما شيم في أعلى السحابة بارق

وقال بشار بن برد

يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة أطراف المساويك
قد زرتنا مرة في الدهر واحدة * عودي ولا تجعليها بيضة الديك

وقال التهامي

وأقسم ما مشعشعة شمول * ثوت في الدن عاما بعد عام
اذا ما شارب القوم احتساها * أحس لها دبيبا في العظام
بأطيب من مجاجتهن طعما * اذا استيقظن من سنة المنام
ولم أشهد لهن جنى ولكن * شهدن بذاك أعواد البشام

وقال ابن حمديس

وما قهوة خالطت مسكة * فبينهما للاريج اشتراك
بأطيب منها جنى نكهة * وقد ركز الليل رمح السماك
وماذقت فاها ولكنني * نقلت شهادة عود الاراك

وقال البهاء زهير

فتنت به حلو المحيا لحذوا * يا أعجب شئ كيف يحلو ويملح
وقد شهد المسواك عندي بطيبه * ولم أر عدلا وهو سكران يطفح

وقال ابن الساعاتي

وبي زائر تكبو المنى دون وصله * ويعثر جاري الدمع في ليل صده

تفضلكم فان تقديم النافلة مع الابطاء في أداء الفريضة شاهد على وهن العقيدة وتقصير الروية ومضر بالتدبير ومخل بالاختيار وليس في نفع تحمد به عوض من فساد المروءة ولزوم النقيصة

ومن شعره قوله

ان كنت أخطأت أو أسأت ففي * عفوك مأوى للفضل والمنن
أتيت ما أستحق من خطا * فجد بما تستحق من حسن

ومنه

أعان طرفي على جسمي وأعضائي * بنظرة وقفت جسمي على دائي

يخبر عن لثم السلاف لثامه * وتشهد أطراف الاراك بشهده

وقال أيضا

ضاهى مقبله فريد عقوده * فى منعه وضيائه ونظامه

أبدا يشتت لوعتى تشتيته * و يزيدنى ظمأ مدار مدامه

كالمسك نشرا والسلاف مذاقة * والقول مثل اراكه وبشامه

وقال أيضا

قبلتها ورشفت خمرة ريقها * فوجدت نار صبابة فى كوثر

ودخلت جنة وجهها فأباحنى * رضوانها المرجو شرب المسكر

وقال أيضا

حددت بجفنيها على رشف ريقها * ومن شرب الصهباء يلزم بالحد

فيا قلب صبرا عن شهى رضابها * فان وحى السم من ذلك الشهد

(قلت) فى هذه المقاطيع الثلاث نظر أما قوله أبدا يشتت لوعتى تشتيته فانه خطأ لان اللوعة اذا تشتت تفرقت أجزاؤها وضعفت وليس هذا من شكوى المحبة فى شئ وكان الاليق أن يقول أبدا يجمع لوعتى أو يضم صبابتى ولكن الجناس أذهله وأما قوله فأباحنى رضوانها المرجو شرب المسكر فهو أيضا خطأ لان خمور الجنة منزهة عن السكر بل هى لذة للشاربين وفسر قوله تعالى لا فيها غول بان معناه لا تغتال العقل بالسكر كخمور الدنيا وأما قوله حددت بجفنيها الى آخره ففيه عيبان الاول من جهة المعنى فان قوله حددت بجفنيها لا معنى له لانه ان كان قد أراد الحد الذى يقام على السكر فبعيد أن تستعار السياط للجفون ولم يستعر لها الا السيوف أو السهام ومن أين يفهم عدد الثمانين وما أحلى قول القائل

شربت من أكؤس خمر الصبا * فحدنى الدهر ثمانينا

وان كان قد أراد الحد اللغة وهو المنع فالنصف الثانى من البيت تعلق بالاول لانه قال ومن شرب الصهباء يلزم بالحد فدل على انه يريد اقامة الحد والثانى انه لم يجزم جواب الشرط فى يلزم وان كان قد جاء فى الضرورة ولكن الافصح الجزم (وقلت) أنا فى معنى قول النابغة

تبسم فارتحت من سكرتى * وقلت هنا القرقف المنتخب

وما ذقت فاه ولكننى * حكمت على ثغره بالحبب

وقال سعد الدين محمد بن عربى

سبانى ثغر منك كالدر نظمه * فيا من رأى درا يشبه بالدر

أشاهد ريقا منك كالشهد طعمه * وما ذقته يوما ولكننى أدرى

وما أحلى قول ناصر الدين حسن بن النقيب

قالوا فلان يصوغ كذبا * يكسوه من لفظه طلاوه

حلو حديث فقلت من لى * لو أنه صادق الحلاوه

ونقله المولى جمال الدين محمد بن نباتة فقال

ان جادلى هاجرى بوعد * كالشهد فى الطيب والطلاوه

فلا تكذب حديث فيه * فانه صادق الحلاوه

وكنت غزالا تجنى على يدى لا علم لى أن بعضى بعض أعدائى

وقوله يهجو رجلا

من كان يعمر ماشادت أوائله فاتت تهدم ماشادوا وما سمكوا

ما كان فى الحق أن تأتى فعالهم وأنت تحوى من الميراث ماتركوا

وقوله

تكنفنى هما ان قد كسفا بالى وقد تركا قلبى محلة بلبال

هما أجريا دمعى ولم تدر أدمعى بربة خدر ذات سمط وخلخال

وقلت في المعاني المتقدمة

علم الوشاة بأن ريق معذبي * راح تعيد الصب بعدهلاكه
اما أنا لم يبده ذا من في * لكن هذا من فضول سواكه

وقلت أيضا

بت من ورد خده * ولماه المعطر
بين ورد مفتح * وشراب مسكر

وقلت أيضا

يا آمري بالصبر عمن شفني * سقما وفي فيه شفاء غليلي
من يستطيع الصبر أو يرضى به * عن مثل ذاك المرشف المعسول

وقلت أيضا

لا تلح قلب الشجي تقابل * معروف أهل الهوى عنكر
فلو ترشفت ريق فيه * كنت يقينا يا صاح تسكر

وقلت أيضا

يا قلب ان زاد الظما * فاقصد مراشفه الشهيه
انى لا أعرف منهلا * يشفي الجوى خلف الثنيه

وقلت أيضا

وغزال غزا فؤادي بسهم * وسنان من طرفه الوسنان
كم سقاني من ثغره كاس خمر * فرشفت السلاف من أقحوان

(تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني أوله قول الطغرائي لعل المامة الخ)

ولكنما أبكي بعين سخينة
على خال تبكي له عين أمثالي
فراق خليل فقده يورث الاسى
وخلة حر لا يقوم لها بالي
فواحربا حتى متى أنا موجع
بفقد حبيب أو تعذر أفعالي
وقوله
اذا امرؤ ضاق عني لم يضق خلقي
من أن يراني غنيا عنه باليأس
لا أطلب المال كي أغنى بفضلته
ما كان مطلبه فقرا الى الناس

(فهرست الجزء الثانى من شرح العلامة الصفدى على لامية العجم)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(تمت)

(فهرست الجزء الثاني من كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون)

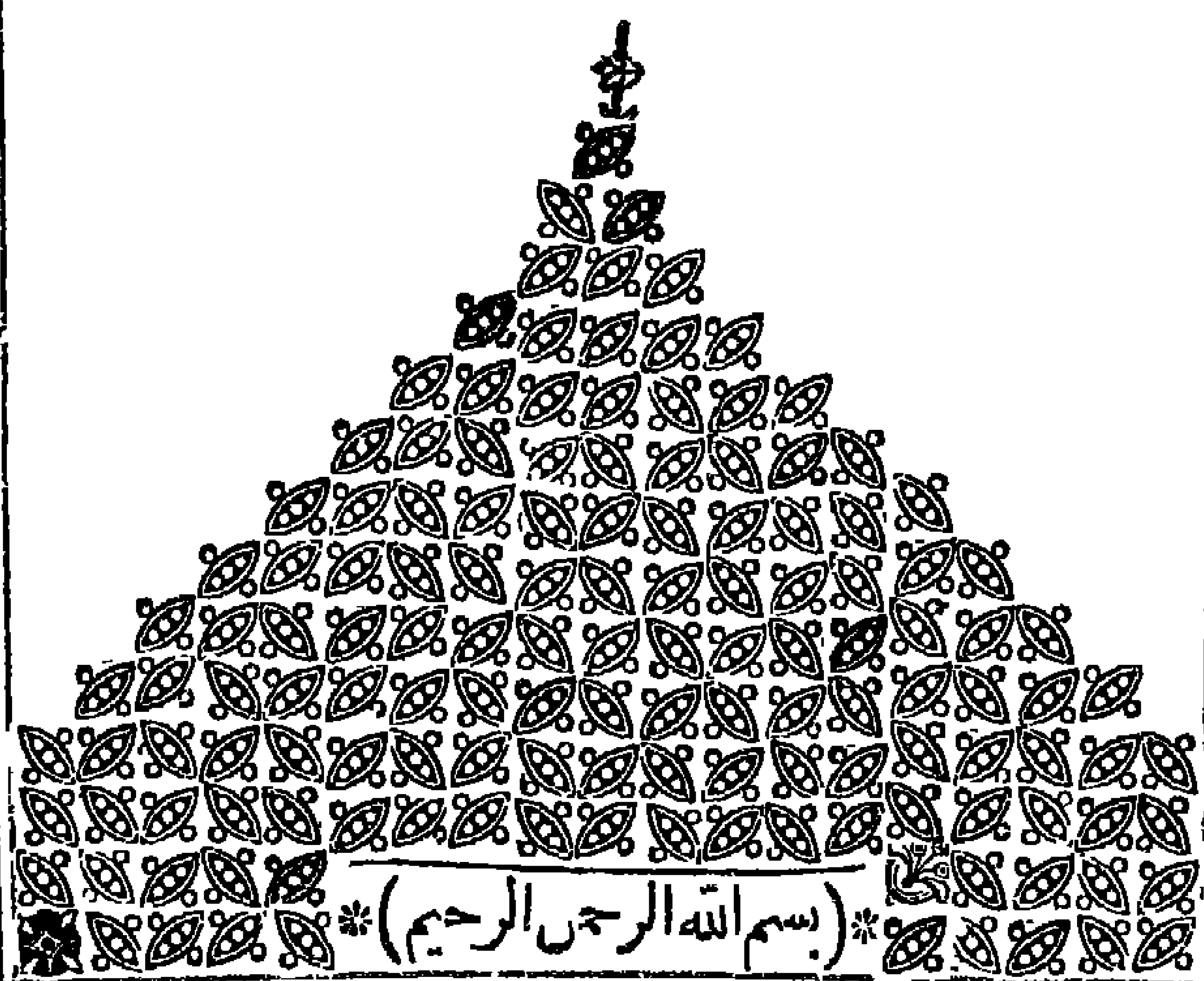
(تمت)

الجزء الثانى من كتاب الغيث المسجم فى شرح لامية العجم
للشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك
الصفدى الاديب الشاعر المنشى
الاديب تغمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين

قال فى كشف الظنون (لامية العجم) لمؤيد الدين اسمعيل بن الحسين بن على فخر الكتاب العميد الطغرائى المتوفى سنة ٥١٤ نظمها ببغداد سنة ٥٠٥ فى وصف حاله وشكاية زمانه واعتنى بها الادباء (فشرحها) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى المتوفى سنة ٧٦٤ بشرح أوله الحمد لله الذى شرح صدر من تأدب الخ وسماه الغيث المسجم فى شرح لامية العجم ذكر فيه شيئا كثيرا على طريق الاستطراد فصار مشحونا بغرائب الجد والهزل وأحسن المجاميع (وعليه حاشية) لعبد الرحيم بن عبد الرحمن العباسى المتوفى سنة ٩٦٣ (واختصره) كمال الدين محمد بن موسى الدميرى المتوفى سنة ٨٣٩ ذكر فيه ان الصفدى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من فوائده الا أظهرها وأنه ينتقل فيه من علم الى علم ومن غريبة الى غريبة فهو غريب فى بابه عزيز عند طلابه (وشرحها) أيضا أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى المتوفى سنة ٦١٦ (وبدر الدين) محمد بن أبى بكر بن عمر المالكى الدمامينى المتوفى سنة ٨٢٨ (وابن جماعة) النحوى وسماه ايضاح المبهم من لامية العجم (وعلى بن قاسم) الطبرى وسماه حل المبهم والمعجم فى شرح لامية العجم (وجمال الدين) محمد بن عمر بن مبارك الحضرمى وسماه نشر العلم فى شرح لامية العجم (وحسين الكفوى) جمعه من الشروح كشرح الصفدى (والقاضى) جلال الدين المدنى (وجلال الدين) خضر الحنفى الذى ألفه بقسطنطينية سنة ٩٦٢ (وخمسها) معاذ الدين أبو جعفر محمد بن على الربيعى البغدادى (وشهاب الدين) أحمد بن عبد الله الاندلسى وأجاد انتهى باختصار

(وبهامشه كتاب سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون) لعلامة زمانه ونادرة أوانه جمال الدين محمد بن نباتة المصرى جعل الله تعالى أنهار الجنة من تحته تجرى)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية سنة ١٣٠٥ هجرية)



*(لعل المسامة بالجزع ثانية * يدب منها نسيم البرء فى على)*

(اللغة) لعل كلمة ترج وسيأتى الكلام عليها فى الاعراب وفيها لغات لعل وعل ولعنّ وعنّ ولان بفتح النون وأن ورعنّ ورغنّ بالغين المعجمة ولغن باللام والغين المعجمة والنون ولعلت بزيادة التاء فى آخر لعل (الالمام) النزول وقد ألم به أى نزل وغلام ملم قارب البلوغ وفى الحديث ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم أى يقرب من ذلك (الجزع) منعطف الوادى (دب) على الارض يدب دبيبا وكل ماش على الارض دابة ودبيب هذا وضع اللغة وقولهم أكذب من دب ودرج معناه أكذب الاحياء والاموات ودبت العقرب اذا سرحت من جحرها ليلا وما أحلى قول القائل

كم دب كالعقرب ليلا وكم * قد قتلوه قتلة العقرب

قال على بن بسام البغدادى كنت أعشق غلاما لخالى أحمد بن حمدون فنمت ليلة عنده ووقت لأدب عليه فلسعتنى عقرب فقلت آه فانتبه خالى وقال ما أتى بك ههنا فقلت قمت لأبول فقال صدقت ولكن فى است غلامى فخطر لى اذ ذاك هذه الابيات

ولقد سريت مع الظلام لموعد * حصلته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة * سوداء قد علمت أوان ذهابى
لا بارك الرحمن فيها انها * دبابة دبت على دباب

وقيل

(وعمرو بن بحر مستمليك) هو عمرو بن بحر بن محبوب ويكنى بابى عثمان ويعرف بالجاحظ وبالحدقى والاوّل أشهر امام الفصحاء والمتكلمين الذى ملأت الآفاق أخباره وفوائده حتى قيل مما فضل الله تعالى به أمة محمد صلى الله عليه وسلم على غيرها من الامم عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بسياسته والحسن البصرى بعلمه والجاحظ ببيانه ولد بالبصرة ونشأ ببغداد واشتغل على أبى اسحق النظام المقدم ذكره بمذهب الاعتزال وتامل كتب الفلاسفة ومال الى الطبيعيين منهم وساد على المتكلمين بفصاحته وحسن عبارته ومما تفرّد به القول بان المعرفة طباع وهى مع ذلك فعل العباد على الحقيقة وكان يقول فى سائر الافعال انها انما تنسب الى العباد على انها وقعت منهم طباعا

وقيل ان صاحب الغلام أنشد

ودارى اذا نام سكانها * تقيم الحدود بها العقرب
اذا غفل الناس عن دينهم * فان عقارينا تضرب

وقال أبو نواس

اذا هجع النيام فغل عنى * وعمن كان يصلح للدبيب
ألذ النيك ما كان اغتصابا * بمنع الحب أو منع الرقيب

وقال أبو حكيمة راشد بن عبد القدوس

ومنتبه بين الندامى رأيته * وقد رقد الندمان دب على الساقى
فأولج فيه مثل أسود سالخ * عظيم من الحيات ليس له راقى
فلما انتحى فيه تحرك واتكا * وأطرق عند الرهز أحسن اطراق
فقلت له لا تلفين مقصرا * ولا مشفقا فى غير موضع اشفاق
أجد تحت خصييه فان سكوته * سكوت امرئ صاب الى النيك مشتاق
فلو لم يكن يقظان ما قام ايره * ولا الف عند النيك ساقا على ساق

وأخذه النور الاسعردى فقال

دببت وفى قلبى بأنك نائم * وما كنت الا ساهر الطرف يقظانا
والا فلم أبديت غنجك بعد ما * انقلبت الى جنب وكان الذى كانا

وقال أيضا

وريم يزيد غرامى به * وأشجان قلبى به دائمه
بسفر لوجنته قد قرأ * تسطرا به مهجتى هائمه
وعاطيته خمرة مزة * فنام وما صبوتى نائمه
دببت من الردف فى ربوة * فأبصرتها بارزة ناعمه

وقد أدمج فى أثناء هذه الابيات أسماء منازه فى غوطة دمشق وهى مشهورة وقال أيضا

كنت مثل النسيم عند دبيبى * سحرا نحو تسل ردف حبيبى
فله ذا فتحت زهرة ورد * بقضيب عند الهبوب رطيب

وقال أبو جعفر أحمد بن الابار

زارنى خيفة الرقيب مريبا * يتشكى القضيب منه الكثيبا
رشأ راش لى سهام المنايا * من جفون يصمى بهن القلوبا
قال لى ما ترى الرقيب مطلا * قلت ذره أتى الجناب الرحيبا
عاطه كؤس المدام دراكا * وأدرها عليه كوبا فكوبا
واسقنيها بخمر عينيك صرفا * واجعل الكاس منك ثغرا شنيبا
ثم لما أن نام من نتقيه * وتلقى الكرى سميعا مجيبا
قال لا بد أن تدب عليه * قلت أبغى رشا وآخذ ذيبا
قال فابدأ بنا وثن عليه * قلت كلا لقد ذكرت قريبا
فوثبنا على الغزال ركوبا * ودببنا الى الرقيب دبيبا

وأنها وجبت بارادتهم وليس بجائز أن يبلغ أحد ولا يعرف الله تعالى والكفار عنده بين معاند وبين عارف قد استغرقه حبه لمذهبه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده من المعرفة بخلافه الى غير ذلك من آرائه التى تبعه عليها أصحابه المعروفون بالجاحظية * فأما مصنفاته الادبية مثل كتاب البيان والتبيين وكتاب الحيوان وكتاب الامصار وغيرها من الرسائل فكثيرة جدا مشحونة بانواع الفضائل وكان منقطعا الى الوزير محمد ابن عبد الملك بن الزيات ولما قبض عليه وعوقب فى التنور هرب الجاحظ فقيل له لم هربت قال خفت أن أكون ثانى اثنين اذ هما فى التنور يريد بذلك ما صنعوا بابن الزيات من ادخاله تنورا فيه مسامير محماة كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى مات ثم أتى بالجاحظ بعد موت ابن الزيات وفى عنقه سلسلة وهو مقيد فى قميص سمل فلما نظر اليه ابن أبى دواد قال والله ما علمتك الا كفورا للنعمة معددا للمساوى فى كلام يقرعه به فقال الجاحظ خفض عليك أيدك الله فوالله لأن يكون لك الامر على خير من أن يكون لى عليك ولأن أسىء

فهل أبصرت أو سمعت بصب * نال محبوبه ونال الرقيبا

وما فتح هذا الباب الا أبو نواس حيث قال

نكنا رسول عنان * والرأى فيما فعلنا
فكان خبزا بملح * قبل الشواء أكلنا

ومما نظمته وفيه تضمين

أقول وقد نامت على حروجها * ومالى عليها فى الظلام دبيب
وان الكثيب الفرد من جانب الحمى * الى وان لم آته لحبيب

وما أحسن ما اعتذر به القائل عن ترك الدبيب فى قوله

قالوا وقد بصروا بأيرى نائما * عند الدبيب اليه رخو المفصل
ماذا عراه فقلت سارى ليله * عرف المحل فبات دون المنزل

وسأل بعضهم شيخا من أهل الفسوق فقال كنت البارحة فى مجلس قوم وفيهم أمرد مثل القمر فلما ناموا حاولت الدبيب عليه فلم أصل اليه وأصبحنا ولم يتفق لى نيكه فقال له الشيخ لك فيتك فقد حسدت الفسقة ومن هذا قول النور الاسعردى

ولى صاحب قد قال نالت المنى * بمن هو دون الورى منيتى
فقلت أتى زائرا قال لا * ولكن جلدت ولى نيتى

وقيل ان بعضهم كان نائما فى مجلس قوم فما شعر بنفسه الا وقد دخل فيه شئ كذراع البكر فقام اليه منكرا فقال الدباب يا أخى لك المعذرة فانه قد قام على ولم يكن الى جانبى غيرك قال له كنت اجلد عميرة فقال والله ما يسعه خفى فكيف كفى قال أفبهذا الزب تدب وقد جمع آلات الدب على ما هو مشهور بين أهل المجون ابن دانيال فى قوله

فلما بت فى السماعات الا * لقبونى باللائط الدباب
ولعمرى قد كنت أفحم الدب وآلاته معى فى جراب
مثل درج وابرة وخيوط * وعقيد وبيضة وتراب

ومما اتفق لى نظمه أيضا

حضرت مجلس قوم * وفيه ظبى مهفهف
قاموا له وحيوه * منى وقالوا تعفف
دنوا وذبوا ودبوا * فلم يفتهم مصحف

وكنت قد نظمت قديما فى سنة سبعمائة وثمان عشر معنى خطر لى فى العذار وهو

وأهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا ودب عليه

فوقفت على المعنى بعينه للمولى جمال الدين محمد بن نباتة وأنشدنيه من لفظه فيما بعد سنة تسع عشرة وسبعمائة

وبهجتى رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

فنظمت أنا عندما وقفت عليهما سنة سبعمائة وعشرين

فتحسن أحسن فى الاحدوثة عنك من أن أحسن قسمى ولأن تعفو عنى فى حال قدرتك أجمل بك من الانتقام منى فقال ابن أبى دواد قبحك الله فوالله ما علمتك الا كثير تزويق اللسان يا غلام سر به الى الحمام فأدخل الحمام وحمل اليه تخت من ثياب فاخرة ولبس ذلك وأتاه فصدره فى مجلسه ثم أقبل عليه فقال هات الآن أحاديثك يا أبا عثمان ولم يزل عزيز الجانب موفور المال والجاه من مبتدا أمره الى ان مات سنة خمس وخمسين ومائتين بعد أن بلغ أكثر من تسعين سنة * وله أخبار طريفة كثيرة ونثر طائل ونظم ضعيف فمن أخباره ونوادره قال أتيت منزل صديق لى فطرقت الباب فخرجت الى جارية سندية فقلت قولى لسيدك الجاحظ بالباب فقالت أقول الجاحد بالباب على لغتها فقلت لا قولى الحدقى فقالت أقول الحلقى فقلت لا تقولى شيأ ورجعت وقال ما أخجلنى أحد مثل امرأتين رأيت احداهما فى العسكر وكانت طويلة القامة وكنت على طعام فأردت أن أمازحها فقلت انزلى كلى معنا فقالت أصعد أنت حتى ترى الدنيا

عذارك والطرف ياقاتلي * يحاكيهما الآس والنرجس
وقد صار بينهما نسبة * فهذا يدب وذا ينعس

(رجع) النسيم الريح اللينة يقال نسمت الريح نسيما ونسمانا ونسم الريح أولها حين تقبل لينة قبل أن تشتد وفي الحديث بعثت في نسم الساعة أي حين ابتدأت وأقبلت (البرء) مصدر برئت من المرض برأ بالضم وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح وأصبح فلان بارئا من مرضه وأبرأه الله (العلل جمع) علة وهي المرض (الاعراب * لعل) من أخوات أن تنصب الاسم وترفع الخبر وقد تقدم الكلام على تعليل هذا العمل في قوله

اني اريد طروق الحي من اضم * البيت ومعناها الترجي ولا يترجى بها الا ما هو مشكوك فيه فلا تقول لعل الميت يعود ولكن تقول لعل المسافر يؤوب وقد تكون حرف جر في لغة بني عقيل قال الشاعر

لعل الله فضلكم علينا * بشئ أن أمكم شريم

كما تكون متى حرف جر في لغة بني هذيل يقولون أخرجها متى كمه (المسامة) منصوب على انه اسم لعل (بالجزع) الباء هنا للالصاق وهي متعلقة بالمسامة لانه مصدر (ثانية) صفة للمسامة (يدب) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم (منها) جار ومجرور ومن هنا للابتداء الغاية وقد تكون بمعنى الباء كقوله تعالى يحفظونه من أمر الله والارجح أن تكون على أصلها ويكون الجار والمجرور في موضع النصب على انه مفعول لاجله كما في قوله تعالى أطعمهم من جوع (نسيم) فاعل يدب والجملة في موضع رفع خبر لعل * ولا بأس بالكلام على الفاعل قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس الفاعل أصل المرفوعات وباقيها محمول عليه خلافا لابن السراج وأبي علي ومن رأى رأيهما والدليل على ذلك أن المعنى الذي دخل الاعراب الكلام لاجله وهو رفع اللبس يوجد في الفاعل أكثر من المبتدا الا أن الفاعل لو لم يرفع لالتبس بالمفعول ولا كذلك المبتدا فكان الفاعل أصلا في الرفع وأصل هذا الخلاف مأخوذ من قول سيبويه وفعله فانه قال واعلم ان الاسم أول أحواله الابتدا فنص هنا على أن المبتدا قبل الفاعل وقدم في ترتيب أبواب كتابه باب الفاعل على باب المبتدا اه (قلت) وانما اختص الفاعل بالرفع لاوليته وقوته وقلته واختص المفعول بالنصب لتأخيره وضعفه وكثرته ولذلك قالوا رجل ضحكة بالتحريك للذي يضحك من غيره كثيرا وقالوا رجل ضحكة بالسكون للذي يضحك منه فحركوا الفاعل لقوته وسكنوا المفعول لضعفه وانما قلت لاوليته لانه الذي يوجد الفعل قبل أن يكون مفعولا وانما قلت وقوته لانه الذي يصدر منه الفعل والمفعول يقع عليه الفعل وانما قلت وقلته لان الفاعل الواحد يريد مفاعيل كثيرة تقول ضرب زيد عمرا يوم الجمعة داخل داره ضربا شديدا تأديبا فزيد فاعل وعمرا مفعول به ويوم الجمعة ظرف زمان وداخل داره ظرف مكان وضربا شديدا مفعول مطلق وتأديبا مفعول لاجله ومن هذه الادلة يظهر عكسها في النصب ووجه اختصاص الرفع بالفاعل أن الرفع أثقل الحركات لانه لا يتم الا بضم الشفتين وذلك لا يتم الا بعمل العضلتين الصلبتين الواصلتين الى طرف الشفة والجر يكفي في تحصيله العضلة الواحدة الجاذبة والفتح يكفي فيه العمل الضعيف لتلك العضلة فلذلك أعطوا الاثقل للاقل وأعطوا الاخف للاكثر ولا شك في أن المرفوعات

وأما الاخرى فانها أتتني وأنا على باب داري فقالت لي اليك حاجة وأريد أن تمشي معي فقمت معها الى أن أتت بي الى صائغ يهودي فقالت له مثل هذا وانصرفت فسألت الصائغ عن قولها فقال انها أتت الي بفص وأمرتني أن أنقش لها عليه صورة شيطان فقلت يا سيدتي ما رأيت الشيطان فأتت بك وقالت ما سمعت وكان الجاحظ بشع المنظر الا أن بيانه كان يحلي عنه وقال دخلت ديوان المكاتبات ببغداد فرأيت قوما قد صقلوا ثيابهم وصفوا عمائمهم ووشوا طرزهم ثم اختبرتهم فوجدتهم كما قال الله تعالى فاما الزبد فيذهب جفاء فظواهر نظيفة وبواطن سخيفة فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وقال وقفت يوما على قاض فأردت الولع به فقلت لمن حوله انه رجل صالح لا يحب الشهرة فتفرقوا عنه فنظر الي وقال حسبك الله * وقال قلت يوما لعبيد الكلابي أيسرك أن تكون هجينا ولك ألف دينار قال لا أحب اللؤم بشئ قلت فان أمير المؤمنين ابن أمة قلت أخزى الله من أطاعه قلت نبيا الله محمد واسمعيل كانا ابني أمة قال لا يقول هذا

أقل من المنصوبات وقال بعض النحاة من أهل الكوفة ان الفاعل يقدم على فعله وضعا كما يقدم طبعا يقولون فى مثل زيد قام انه من باب الفعل والفاعل ولا يجعلونه من باب المبتدا والخبر وهو دليـل لا بأس به والصحيح أن الفعل مقدم على الفاعل بمعنى ماذكروه ولان الفعل هو أثر الرفع فى الفاعل والمؤثر مقدم على المتأثر طبعا فليقدم وضعا فاذا وقع فى الكلام قبل فعله خرج من باب الفعل والفاعل الى باب المبتدا والخبر واعرب مبتدا وقام فعل ماض وفاعله ضمير يرجع الى المبتدا والجملة خبر والالزم القائل بتقديم الفاعل على الفعل أن لا يختلف الحال فى تقديمه وتأخيره وأن يقال الزيدان قام والزيدون قام ولما قيل الزيدان قاما والزيدون قاموا علم أن ذلك مبتدا وأن الضمير هو الفاعل وهذه المباحث ملخصة مما ذكرته فى التعليقة على الحاجبية (البرء) مجرور بالاضافة المقدرة باللام (فى عللى) جار ومجرور ومضاف ففى حرف جر وهى ظرفيـة متعلقة بيـدب وعللى مجرور بها والياء فى موضع جر بالاضافة (المعنى) أترجى المامة عكان الحى من الجزع يحصـل لى بسببها دبيب نسيم البرء فى عللى التى أكابدها من الاشواق وليس الترجى مما يجدى ولكنها اطماعية النفوس وطباعها ومكابرتها فى الباطل ونزاعها ولله در القائل

لعل وما تغنى لعل وانهـا * علالة صب واستراحة هائم

وقال آخر

أتمنى تلك الليـالى المنيرا * ت وجهد المحب أن يتمنى

وقال جمال الدين أبو الدر ياقوت الرومى

لله أيام تقضت بكم * ما كان أحلاها وأهناها

مرت فلم يبق لنا بعدها * شئ سـوى أن نتمناها

ومثله قول الآخر

أحبتنا لم يبق من طيب وصلكم * على البعد الا اننا نتمناه

وأنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى

يا كاتم الشوق ان الدمع مبـديه * حتى يعيد زمان الوصل مبديه

أصبو الى البان لما بان ساكنه * تعللا بليالى وصلنا فيـه

عصر مضى وجلابيب الصبا قشب * لم يبق من طيبـه الا تمنيه

وقول الطغرائى فى غاية الحسن والرقة وهو مأخوذ من قول أبى نواس

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

(وحكى) الاصمعى قال حضرت مجلس الرشيد وعنده مسلم بن الوليد اذ دخل أبو نواس فقال ما أحدثت بعدنا يا أبا نواس قال يا أمير المؤمنين ولو فى الخمر قال قاتلك الله ولو فى الخمر فانشده

يا شقيق النفس من حكم * نمت عن ليلى ولم أنم

حتى أتى على آخرها فقال أحسنت والله يا غلام أعطه عشرة آلاف درهم وعشر خلع فاخذها وخرج فلما خرجنا من عنده قال لى مسلم بن الوليد ألم تر يا أبا سعيد الى الحسن بن هانئ كيف سرق شعرى وأخذ به مالا وخلعا فقلت وأى معنى سرق قال قوله فتمشت فى مفاصلهم فقلت وأى شئ قلت فقال قلت

الاقدرى قلت وما القدرى قال لا أدرى الا انه رجل سوء وقال أتانى بعض الثقـلاء فقـال سمعت أن لك ألف جواب مسكت فعلمنى منها فقلت نعم فقـال اذا قال لى شخص يا زوج القحبة يا ثقيل الروح أى شئ أقول له قلت قل له صدقت وقال أنشدت أبا شعيب القـلال شعر الى نواس فقال هـذا شعر لو نثر لطف فقلت ويلك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت واشـترى خصيا أسود فقيل له فى ذلك فقال أخذته اسود لئلا يتهم بى وخصيا لئلا أتهم به واجتمع فى البصرة بالجماز فى مجلس فقال له الجماز كم نار فى اللغـة فقال نار الحرب ونار الشجر ونار الحبـاحب ونار المعدة والنار المعروفـة قال تركت أبلغ النيران قال وما هى قال نار حرأمك التى كلما أتى فيها فوج سألهـم خزنتها فقال الجاحظ أما نار حرأمى فقد قضيت ان لها حدا فـالشأن فى نار حرأمك التى يقال لهـا هل امتلأت فتقول هـل من مزيد وسأله شخص كتابا الى بعض أصحابه بالوصية فـكتب له رقعة وختمها فلما خرج الرجل من عنده فضـها فاذا فيها كتابى اليـك مع من لا أعرف ولا أوجب حقه فان قضيت حاجته لم أحمدك

غراء في فرعها الليل على قمر * على قضيب على دعص النقا الدهس
أذكى من المسك أنفاسا وبهجتها * أرق ديباجة من رقة النفس
كأن قلبي وشاحاها اذا خطرت * وقلبها قلبها في الصمت والخرس
تجري محبتها في قلب وامقها * جري السلامة في أعضاء منتكس

فقلت وممن سرقت أنت هذا المعنى قال لا أعلم اني أخذته من أحد فقلت بلى أخذته من عمرو بن أبي ربيعة حيث يقول

أما والراقصات بذات عرق * ورب الركن والبيت العتيق
وزمزم والطواف ومشعريها * ومشتاق يحن الى مشوق
لقد دب الهوى لك في فؤادي * دبيب دم الحياة الى العروق

فقال وممن سرق عمر بن أبي ربيعة هذا المعنى (قلت) من بعض العذريين حيث يقول

وأشرب قلبي حبها ومشى به * كمشي حميا الكاس في عقل شارب
ودب هواها في عظامي وحبها * كما دب في الملسوع سم العقارب

فقال لي وممن أخذ هذا العذري قلت لا أعلم قال من أسقف نجران حيث يقول

منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسي
وطلوعها حمراء صافية * وغروبها صفراء كالورس
تجري على كبد السماء كما * يجري حمام الموت في النفس

انتهى ما حكاه الاصمعي (قلت) وقد أخذه أبو نواس برمته من بعض الهذليين يصف قانصا ظفر بصيد بسرعة مشي حيث يقول

فتمشي لا يحس به * كتمشي النار في الفحم

فان بعض الروايات عن أبي نواس على هذا النص وهي أصح الروايات لانها آخر ما استقرت عليه الحال وقد أخذ أبو الشيص قول عمرو بن أبي ربيعة بلفظه فقال

أما وحرمة كاس * من المدام العتيق
وعقد نحر بنحر * ومزج ريق بريق
لقد جرى الحب مني * مجرى دمي في عروقي

وأخذه أبو الطيب فقال

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي * فأصبح لي عن كل شغل بها شغل

وقال أبو الفرج بن هند

رب هم على الفؤاد جثوم * أزعجته عني بنات الكروم
فتمشت في قلبي المهموم * كتمشي الترياق في المسموم

وأتى عبد الله بن الحجاج بن محصن بهذا المعنى من غير تشبيه فقال

وقد بت أسقاها سلافا مدامة * لها في عظام الشاربين دبيب

وقال أبو الطيب في وصف الخيل

من بنات الخيل تمشي بنا في الـ * ـبيد مشي الايام في الآجال

وهو مأخوذ من قول مسلم بن الوليد

وان زدته لم أذمك فرجع اليه الرجل فقال الجاحظ كأنك فضضت الورقة قال نعم قال لا يضرك ما فيها فانه علامة لي اذا أردت العناية بشخص فقال الرجل قطع الله يديك ورجليك ولعنك فقال ما هذا قاله علامة لي اذا أردت أن أشكر شخصا وقال نزلت على صديق لي فلم آكل عنده لحما فعرضت له فقال اني لأكثر من اللحم منذ سمعت الحديث ان الله يكره البيت اللحم فقلت يا أخي انما أراد البيت الذي تؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة فلم يؤخر حضور اللحم من ذلك اليوم (وحكي) أن أبا طاهر قال صرت الى الجاحظ ومعي جماعة وقد أسن واعتل في آخر عمره وهو في منظرة له وعنده ابن خاقان حاره فقرعنا الباب فلم يفتح لنا وأشرف من المنظرة فقال الا أني قد حوقلت وحملت رميح أبي سعد وسقت الغنم فما تصنعون بي سلموا سلام الوداع فسلمنا وانصرفنا قوله حوقلت أكثرت من قولي لا حول ولا قوة الا بالله لتتابع الامراض وقوله رميح أبي سعد هو رجل من العرب أسن فاستعان بالعصا وهو أول من فعل ذلك فقيل

موف على مهج في يوم ذي رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

وقال آخر

وفي الظعائن مهضوم الحشا غنج * يخطو بأعطاف كسلان الخطا ثمل
طي مشي الورد من خجلي بوجنته * مشى اللواحظ من عينيه في أجلي

وقول الطغرائي يشبه قول أبي الطيب

وربما ضاحك الغيث فيه * زهر الشكر من رياض المعالي
نفحتنا منه الصبا بنسيم * رد روحا في ميت الآمال

وأما الاسترواح بأنفاس الديار وتلقي النسمات من أرض الحبيب فقد أكثر الشعراء فيه وطلبوا الحياة والشفاء بالقرب من أماكن المعشوق قال ابن الفارض

يا ساكني البطحاء هل من عودة * أحيا بها يا ساكني البطحاء
واذا أذى ألم ألم بمهجتي * فشذا أعيشاب الحجاز دوائي

*(لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت * برشقة من نبال الأعين النجل)*

(اللغة) كرهت الشيء أكرهه كراهة وكراهية فهو كريه ومكروه ومعناه المشقة وعدم الملاءمة (الطعنة) من طعنه بالرمح شكه وطعن في السن يطعن بالضم طعنا وطعن فيه بالقول يطعن أيضا طعنا وطعنانا وقد كررت هنا لي بيتين وهما

أفديه من أهيف بدت لي * من حسنه المنتقى غرائب
أسمر كالرمح في اعتدال * لا طعن في قده لعائب

(النجلاء) الطعنة الواسعة ومنه العيون النجل وسنان منجل واسع الطعنة ويقال نجله أي شقه لما طعنه ونجلت الاهاب اذا شققت عرقوبيه جميعا ثم سلخته (شفعت) الشفع في اللغة الزوج والوتر الفرد تقول كان وترا فشفعته ومعناه هنا قد ثنيت (برشقة) الرشق الرمي وقد رشقته بالنبل أرشقه رشقا بالفتح المصدر وبالكسر الاسم وما أحسن قول محيي الدين بن قرناص

أتى الحبيب مائسا * والردف قد أقلقه
يرشق ثم يثني * لله ما أرشقه

(نبال) جمع نبل وهي السهام العربية اسم جمع لا واحد له من لفظه وهي مؤنثة وجمعت على نبال والنبال صاحب (النبل) والوجه أن يقال نابل مثل لابن وتامر والنابل الذي يعمل النبال والفعل النبالة (النجل) بالتحريك سعة شق العين والرجل أنجل والعين نجلاء والجمع نجل

(الاعراب * لا) حرف نفي (أكره) فعل مضارع من كره يكره وهو مرفوع لخلوه من ناصب وجازم والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره لا أكره أنا (الطعنة) مفعول به (النجلاء) صفة للطعنة فهي منصوبة (قد شفعت) تقدم الكلام على قد وشفع فعل ماض مغير لما لم يسم فاعله والتاء علامة التأنيث نائب الفاعل وهو ضمير مستتر فيه تقديره قد شفعت هي يرجع للطعنة والجملة في موضع النصب على الحال تقديره لا أكره الطعنة النجلاء مشفوعة (برشقة) الباء حرف جر ويجوز أن تكون للمصاحبة وأن تكون للاستعانة (من نبال) جار ومجرور ومن هنا لبيان الجنس (الأعين) مضاف الى نبال والاضافة معنوية بمعنى اللام (النجل) مجرور على أنه صفة للأعين تبعه في تعريفه وجمعه وتأنيثه وجره (المعنى) لا أكره الطعنة

العظيمة

لكل من شاخ أخذ رميح أبي سعد وقوله سقت الغنم هو عند العرب كناية عن الهرم لان سائق الغنم يطأ من رأسه * وكان سبب علة الجاحظ أنه حضر مائدة ابن أبي دواد وفي الطعام سمك ولبن وكان ابن بختيشوع الطبيب حاضرا فنهاه عن الجمع بينهما فقال الجاحظ ان السمك ان كان مضادا للبن فاني اذا أكلتهما دفع كل منهما ضرر الآخر وان كانا متساويين فكأني أكلت شيا واحدا فقال ابن بختيشوع أنا لا أحسن الكلام ولكن ان شئت أن تجرب فكل فأكل فأصابه فالج عظيم ونقرس حتى دخل عليه بعض أصحابه فقال له كيف حالك فقال اصطلحت على الاضداد لو خرج شق الايمن ما حسست به من الفالج ولو مرت على شق الايسر ذبابة أوجعتني وأشد ما أشكوا التسعون (وحكى) بعض أبناء البرامكة قال تقلدت السند وحصل لي ما شاء الله ثم صرفت عنها وكنت قد كسبت بها ثلاثين ألف دينار فصغتها عشرة آلاف اهليلجة وجاء الصارف فركبت البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت أن الجاحظ بها وأنه عليل

العظيمة الواسعة التي تنالني وقد ثنيت برشقة من سهام العيون المتسعة لان الألم اذا جاء في أثناء اللذة لا اعتبار به كأنه يهون على صاحبه ما توهمه من بأس رجال الحي لما أخذ يصفهم بالشجاعة والغيرة فهو يقول أنا لا أكره مع ظفري برؤية هذه الفتيات الحسان وقوع الطعنات لان ذلك رخيص اذا تهيأ لي ومن هذا قولهم من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل وقول القائل

يغوص البحر من طلب اللآلي * ومن رام العلا سهر الليالي
تروم العز ثم تنام ليلا * لقد أطمعت نفسك بالمحال

وقول أبي الطيب

تريدين ادراك المعالي رخيصة * ولا بد دون الشهد من ابر النحل

وقول أبي فراس

تهون علينا في المعالي نفوسنا * ومن طلب الحسناء لم يغلها المهر

وما زال المحبون يقتحمون الاخطار ويركبون الاهوال حتى ينال أحدهم لمحة أو اشارة سلام ويبذلون الجليل من نفوسهم في بلوغ القليل من المحبوب قال تعالى فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم * قال وهب اتخذت مائدة ودعت أربعين امرأة واعدت لهن أترجا وموزا وقال غيره أترجا وعسلا وكن يقطعن بالسكين ويأكلن الاترج بالعسل فلما رأينه أكبرنه قال ابن عباس أي حضن من الفرح أو من الدهش قال مجاهد ما أحسسن الا بالدم وما وجدن لايديهن ألما قال وهب وبلغني أن نساء فتن به في ذلك المجلس وقلن حاش لله ما هذا بشرا قال محمد بن علي أردن ما هذا أهل لأن يدعى للمباشرة بل مثله ينزه عن الشهوة وقيل ان أهل مصر فتنوا به من النظر الى وجهه حتى كانوا اذا جاعوا اشتغلوا بالنظر اليه وقرئ ما هذا بشرى أي بكسر الباء والشين أي مملوك وأنكر الزجاج هذه القراءة لانها تخالف رسم المصحف لانه بالالف وأنكر تفسير أكبرنه بالحيض لانه عداه الى الضمير فهذا ما وقع في الخارج من أمر النسوة لما رأين يوسف عليه السلام حتى قطعن أيديهن وما شعرن بالألم بعد غوص السكاكين في أكفهن لذة بالنظر اليه وشغلا عن جراحتهن بما وجدنه من اللذة ولم يتقدم لهن به شغل قلب ولا فكر ولا وسواس بل رأينه بغتة فكيف بمن هو مشتغل برؤية محبوبه وقد أعمل المطي اليه وقطع القفار ليلا ونهارا كما قال الآخر

وما صبابة مشتاق الى أمل * من اللقاء كمشتاق بلا أمل

وأنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي

ان لم أزر ربعكم سعيا على الحدق * فان ودي منسوب الى الملق
تبت يدي ان ثنتني عن زيارتكم * بيض الصفاح ولو سدت بها طرقي

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري قال أنشدني لنفسه اجازة الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الملك الفزاري

ان لم أمت في هوى الأجفان والمقل * فوا حيائي من العشاق واخجلي
ما أطيب الموت في عشق الملاح كذا * لا سيما بسيوف الاعين النجل
يا صاحبي اذا مامت بينكما * دون الشهيين ورد الخد والقبل

بالفالج وأحببت أن أراه قبل وفاته فصرت اليه وقرعت الباب فخرجت الي خادمة صغرى فقلت رجل غريب أحب أن أنظر الى الشيخ فبلغته فسمعته يقول قولي له ما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل فقلت للجارية لابد من النظر اليه فقال هذا رجل ورد البصرة وسمع بي ويريد أن يقول رأيت الجاحظ فاذن لي فدخلت وسلمت فرد ردا جميلا وقال من تكون أعزك الله فانتسبت له فقال رحم الله أسلافك وآباءك السمحاء فلقد كانت أيامهم رياض الدهر ولقد رأى بهم الخلق خيرا كثيرا فسقيا لهم ورعيا فدعوت له وقلت له أنشدني شيئا فقال

لئن قدمت قبلي رجال فطالما * مشيت على رسلي فكنت المقدما
ولكن هذا الدهر تأتي صروفه * فتبرم منقوضا وتنقض مبرما

ثم نهضت فلما قربت من الباب قال يا فتى أرأيت مفلوجا ينفعه الاهليلج قلت لا قال ان الاهليلج الذي معك ينفعني فابعث الي منه فقلت نعم وعجبت من وقوعه على خبري مع كتمي له وبعثت

فاستغفرالى وقولا عاشق غزل * قضى صريع القدود الهيف والمقل
راش الفتورله سهما فأخطأه * حتى أتيح له سهم من الكحل
وللعيون اللواتى هن من أسد * الى القلوب سهام هن من ثعل
فالجرح منهن لذات بلا ألم * والطعن عند محبيهن كالقبل

وقال ابن الساعاتى

فاضح الظبى اذا الظبى رنا * مخجل البدر اذا البدر كمل
فارسى فاذا خاف سطا * نظرة لاذ بطرف من ثعل

وقال أبو دلف العجلى

كم فى بنى الروم من أعجوبة مثل * تبقى وفى العرب من ذى نجدة بطل
انا سبينا فيا نعلوا أكابرهم * قهرا وتقتلنا الولدان بالمقل
اذا رجعنا بأسرى من سراتهم * نالوا الترات بلحظ الاعين النجل

وقال أبو فراس يصف نساء الصبى

وخريدة كرمت على آبائها * وعلى بوادر خلينا لم تكرم
خطبت بحد السيف حتى زوجت * كرها وكان مذاقها للقسم
راحت وصاحبها بعرس حاضر * يرضى الاله وأهلها فى مأتم

وقال ابن سناء الملك

فلم يبق الامن سبى الجيش منهم * وان كان يسبى الجيش بالحدق النجل

قال ابن جبارة أين هذا البيت من المسروق منه وهو قول أبى الطيب

فلم يبق الامن حماها من الظبى * لمى شفتيها والثدى النواهد

قلت لو استحضر ابن جبارة أبيات أبى دلف المتقدمة لما عدل عن الثالث منها اذ نسبة السرقة اليه أكمل لانها بالمعنى واللفظ وقد أولع الشعراء المتقدمون بالغزل فى العيون النجل قال أبو الطيب

مثلث عينك فى حشاى جراحة * فتشابها كلتاهما نجلاء

وقد قال ابن وكيع قوله فتشابها كان يجب أن يقول فتشابهتا ولكن العين تأنيثها غير حقيقى ولو استعمل القياس على قوله لقال فكلاهما أنجل أو فتشابهتا فكلتاهما نجلاء وقد سلك أبو الطيب فى وصف جراح الممدوح مسلكا غريبا فقال

اذا ماضربت القرن ثم أجزتنى * فكل ذهبا لى مرة منه بالكلم

وهذا معنى غريب لكنه غث الالفاظ والشاهد على الغزل فى العين النجلاء كثير وما أحسن قول سيف الدين بن المشد

ان أنكرت نجل العيون جراحتى * فدليل قتلى انها نجلاء

وهذا من قول أبى الطيب ولكنه أسلس فى تركيبه وقول الارجانى

كم طعنة نجلاء تعرض بالحمى * من دون نظرة مقلة نجلاء

وأما المتأخرون فانهم تغزلوا فى العيون الضيقة وهى عيون الاتراك وما ألطف قول القائل وقد أنشدنيه غير واحد لعلاء الدين الجوينى صاحب الديوان وليس له

له منه شيأ * ومن كلامه فى رسالة أبقاك الله بقاء أياديك ولا نقلنا عن ظلك ولا أضلنا عن سبلك فأصان وجه الاحرار سوالك ولا أخذ الملهوف مظلمته فى دهر الا بعدوالك * وكتب الى قليب المغربى والله يا قليب لولا أن كبدى فى هواك مقروحه وروحى بك مجروحه لساجلتك هذه القطيعة ومادذتك حبل المصارمة وأرجو أن الله تعالى يديل صبرى من جفائك فيردك الى مودتى وأنف القلى راغم فقد طال العهد بالاجتماع حتى كدنا نتناكر عند الالتقاء * وكتب الى ابن أبى داود يستعطفه ليس عندى أعزك الله سبب ولا أقدر على شفيع الا ما طبعك الله عليه من الكرم والرحمة والتأميل الذى لا يكون الا من نتاج حسن الظن واثبات الفضل بحال المأمول وأرجو أن أكون من العتقاء الشاكرين فتكون خير معتب وأكون أفضل شاكر ولعل الله أن يجعل هذا الامر سببا لهذا الانعام وهذا الانعام سببا للانقطاع اليكم والكون تحت أجنحتكم فيكون لا أعظم بركة ولا أنمى بقية من ذنب أصبحت فيه وبمثلك جعلت فداك عاد الذنب وسيلة والسيئة حسنة

أبادية الاعراب عنى فانني * بحاضرة الاتراك نيطت علائقي
وأهلك يانجلا العيون فانني * فتنت بهذا الناظر المتضايق

أقول نعم فان في الجرم معنى ليس في العنب وما أحق المتأخرين بقول القائل كم ترك الاول للآخر وما أحسن قول ابن النبيه

يصد بطرفه التركى عنى * صدقتم ان ضيق العين بخل

وقال أيضا

بى ضيق العين وان أطنبوا * فى الحدق النجل وان أوسعوا

وقال أيضا

من بنى الترك لين العطف قاسى القلب سهل القياد صعب المراس
ضيق العين وهو من صفة البخل فان جاد كان ضد القياس

ومن قول ابن النبيه الاول أخذ محيى الدين بن قرناص فقال

علقته تتريا * يشجى القلوب ببينه
لا يرتجى الجود منه * بالوصل من ضيق عينه

وقال شهاب الدين الشاغورى

تناسى صحبتى وذمام عهدى * وعند الترك ما يرعى الذمام
بضيق جفونه وسعت عذرى * فزال العزل عنى والملام

وما أحسن قول الارجانى

يا غلاما أضحى دليل وجود الخصر منه وجود عقد القباء
كلما شد طعنة فى فؤادى * قال خذها نجلاء من حوصاء

وقال محمد بن أحمد الافريقى المتيم

قد أكثر الناس فى الصفات وقد * قالوا وزادوا فى الاعين النجل
وعين مولاى مثل موعده * ضيقة عن موارد الكحل

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

وخاطر منت الاشواق يجذبه * جآذر الترك لا زى الاعاريب
من كل أغيد ضاقت عينه فتى * يجود لى من تلاقيه بمطلوب

وأنشدنى من لفظه لنفسه أيضا

بهت العذول وقد رأى ألحاظها * تركية تدع الحليم سفيها
فثنى الملام وقال دونك والاسى * هذى مضائق لست أدخل فيها

ونقل هذا المعنى الى غيره القاضى علم الدين سليمان بن ابراهيم متولى دمشق وأنشدنيه من لفظه

قالوا تخل عن النساء ومل الى * حب الشباب فذا بلطفك أجمل
فأجبتهم شاورت أيرى قال لا * هذى مضائق لست فيها أدخل

(رجع) وأنشدنى اجازة لنفسه المولى صفى الدين بن عبد العزيز الحلى ومن خطه نقلت

لم تترك الاتراك بعد جمالها * حسنا لمخلوق سواها يعشق

ومثلك من انقلب به الشر خيرا والغرم غنما من عاقب فقد أخذ حظه وانما الاجر فى الآخرة وطيب الذكر فى الدنيا على قدر الاحتمال وتجرع المرائر وأرجو أن لا أضيع وأهلك فيما بين عقلك وكرمك وما أكثر من يعفو عن صغر ذنبه وعظم حقه وانما الفضل والثناء العفو عن عظيم الجرم ضعيف الحرمة وان كان العفو العظيم مستطرفا من غيركم فهو تلاد فيكم حتى ربما دعا ذلك كثيرا من الناس الى مخالفة أمركم فلا أنتم عن ذلك تتكلون ولا على سالف احسانكم تندمون وما مثلكم الا كمثل عيسى ابن مريم حين كان لا يمر بملا من بنى اسرائيل الا أسمعوه شرا وأسمعهم خيرا فقال له شمعون الصفاء ما رأيت كاليوم كلما أسمعوك شرا أسمعتهم خيرا فقال كل امرئ ينفق مما عنده وليس عندكم الا الخير ولا فى أوعيتكم الا الرحمة وكل اناء بالذى فيه ينضح * ومن كلامه فى المعنى زينك الله بالتقوى وكفاك ما أهمك من الآخرة والاولى من عاقب أبقاك الله تعالى على الصغيرة عقوبة الكبيرة وعلى الهفوة عقوبة الاصرار فقد تناهى فى الظلم ومن

جذبوا القسي الى قسي حواجب * من تحتها نبل اللواحظ ترشق
نشروا الشعور فكل قد منهم * لدن عليه من الذوابة سنجق
لي منهم رشا اذا قابلته * كادت لواحظه بسحر تنطق
ان شاء يلقاني بخلق واسع * عند اللقاء نهاه طرف ضيق

ونقلت من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

مفزع للقلوب بينهما * فهو لعمري البطال والبطل
من فتية خالفوا المقول فكم * ضاقت عيون لهم وما بخلوا

وقلت أنا

اترك هوى الاتراك ان شئت أن * لا تبتلي فيهم بهم وضير
ولا ترج الجود من وصلهم * ما ضاقت الاعين منهم لخير

وقلت أيضا

أحببت من ترك الخطا اذا قامة * فضحت غصون البان لما أن خطا
اياكم وجفونه فأنا الذي * سهم أصاب حشاه من عين الخطا

وقلت أيضا

يا قلب لا تقدم على * سحر العيون اذا سطا
ومن العجائب أنه * أضحى يصح مع الخطا

وقلت أيضا

غزال من الاتراك ما ضاق لحظه * لحظي الا كي تضيق مذاهبي
كان الحشا طير وكاسر جفنه * تصيده من هدبه بمخالب

وقلت أيضا

يا شادنا أبدا أرى نفسي له * دون البرية لا تفارق شيقه
والله ما اتسعت همومي في الدجى * حتى بليت بمقلتيك الضيقه

*(ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني * باللمح من خلل الاستار والكلل)*

(اللغة) أهاب أخاف تهيبت الشيء وتهيبني أي تخوفني وتخوفته والهيبة والمهابة الاجلال والخوف الصفاح جمع صفيحة وهي السيف العريض لانها صفحت تسعدني الاسعاد الاعانة باللمح لمحه وألمحه لمحا اذا أبصره بنظر خفيف والاسم اللمحة خلل الخلل الفرجة بين الشيئين والجمع الخلال مثل جبل وجبال وقرئ فترى الودق يخرج من خلاله وخلله الاستار جمع ستر والسترة ما يستتر به كائنا ما كان وكذا الستارة الكلل جمع كلة وهي الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البق (الاعراب ولا) الواو عاطفة لا حرف نفي (أهاب) فعل مضارع تقول هابه يهابه والأمر هب الاصل هاب سقطت الالف لاجتماع الساكنين واذا أخبرت عن نفسك قلت هبت وأصله هيبت فلما سكنت الياء سقطت لاجتماع الساكنين ونقلت كسرتها الى ما قبلها وذكرت بالجمع بين ساكنين قول محمد بن شرف القيرواني في رجل عجز عن افتضاض عرسه

كم ذكر في الورى وأنثى * أولى من اثنين باثنتين

لم يفرق بين الاسافل والاعالي والاداني والاقاصي فقد قصر والله لقد كنت أكره سرف الرضا مخافة أن يؤدي الى سرف الهوى فاظنك بسرف الغيظ وغلبة الغضب من طياش عجول فحاش ومعه من الخرق بقدر قسطه من التهاب المرة الحمراء وأنت روح كما أنت جسم وكذلك جنسك ونوعك الا أن التأثر في الرقاق أسرع وضده في الغلاظ الجفاة أكمل ولذلك اشتد جزعي عليك من سلطان الغيظ وغلبته فاذا أردت أن تعرف مقدار الذنب اليك من مقدار عقابك عليه فانظر في علته وفي سبب اخراجه الى معدنه الذي منه نجم وعشه الذي منه درج والى جهة صاحبه في التسرع والثبات والى حلمه عند التعرض وفطنته عند التوبة فكل ذنب كان سببه ضيق صدر من جهة الغيض في المقادير أو من طريق الانفة وغلبة طباع الحمية من جهة الجفوة أو من جهة استحقاقه فيما زين له عمله انه مقصر به في حقه مؤخر عن رتبته أو كان مبلغا عنه مكذوبا عليه أو كان ذلك جائزا فيه غير ممتنع منه فاذا كانت ذنوبه من هذا الشكل فليس يقف عليها كريم ولا

أرى الليالى أتت بلحن * تجمعها بين ساكنين

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة

بكيت وما يجدى البكاء عن الفانى * وألف تشتيت الاحبة أشجانى

كأن زمانى خاف لحنا فلم يكن * ليجمع بين الساكنين باوطانى

وقول الآخر

زمانى ساكن وشكنت قالوا * تحرك لالتقاء الساكنين

فقلت هنالك التحريك كسر * وقبل كسرت أكسر مرتين

وقول شمس الدين محمد بن التلمسانى ومن خطه نقلت

يا ساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواك ثانى

لأى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

قلت هذا المعنى فيه نقص لان القلب ظرف لاجتماع الساكنين فيه وحينئذ يكون الساكنان غير القلب والكسر انما وقع على القلب لا على أحد الساكنين ومن تأمله حق التأمل ظهر له هذا الايراد موجها وقد ذكرت ذلك لجماعة من كبار المتأدبين وما رأيت فيهم من تنبه له ويقارب هذا الاشكال ما دار بينى وبين المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة فى الجامع الاموى بدمشق سنة احدى وثلاثين وسبعمائة فانه أنشدنى قول ابن الرومى فيما أظن

ومن العجائب أن عضوا واحدا * هو منك سهم وهو منى مقتل

فقلت له هذا ليس بعجيب اذا تركنا ظاهره اللهم الا ان فتحنا باب التأويل وأحضرنا المجاز فقال لاى شئ قلت لان عين العاشق فى الهوى غير عين المعشوق يقينا أما انهما من جنس واحد فسلم وهذا مثل قولك يا عجبا من انسان يقتل انسانا أو من فرس يعلو فرسا وليس هذا من العجيب فى شئ وأما اذا كان على ما تبادر الى ذهنك من أن العضو الواحد هو سهم ومقتل معا فى حالة واحدة فنعم وليس كذلك بل عين العاشق غير عين المعشوق بدليل اضافة كل منهما الى شخص معين على حدته فأخذ فى التصميم على ذلك فقلت له سلمت لك أن العضو الواحد منهما هو سهم ومقتل معا من أين لك أن العين مقتل وانما المقتل القلب على عادة الشعراء المألوفة فى ذلك قال الارجانى

أعينى كفا عن فؤادى فانه * من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

وقال الآخر

عوقب قلبى وجنى ناظرى * وربما عوقب من لا جنى

وقال أبو الطيب

وأنا الذى اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

فانظر الى أبى الطيب كيف ادعى أن العين هى السبب فى اجتلاب المنية فالذنب عند الشعراء كلهم للعين لكونها سببا بنظرها الى هلاك الفؤاد والدواوين ملأى بهذا المعنى وهو أشهر من أن يزاد له بينة من الشواهد عليه فقال أليس أنها السبب فى القتل قلت له قد تقدم انه لا بد من تأويل فى البيت وتقدير المجاز فيه كأنه قال ومن العجائب أن عضوا واحدا هو منك سهم وهو منى سبب مقتلى فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وهو كثير انتهى والمليح فى

ينظر فيها حليم ولست اسميه بكثرة معروفه كريما حتى يكون عقله غامرا لعلمه وعلمه غالبا على طباعه كما لا اسميه بكف العقاب حكيما حتى يكون عارفا بمقدار ما أخذ وترك ومتى وجدت الذنب بعد ذلك لا سبب له الا البغض المحض والنفار الغالب فلو لم ترض اصاحبه بعقاب دون قعر جهنم لعذرك كثير من العقلاء وصوب رأيك عالم من الاشراف والاناة أقرب من الحمد وأبعد من الذم وأنأى من خوف العجلة وقد قال الاول عليك بالاناءة فانك على ايقاع ما تتوقعه أقدر منك على رد ما قد أوقعته وليس يصارع الغضب أيام شبابه شئ الا صرعه ولا ينازعه قبل انتهائه الا قهره وانما يحتال له قبل هيجه فمتى تمكن واستفحل وأذكى ناره وأشعل ثم لاقى من صاحبه قدرة ومن أعوانه سمعا وطاعة فلو استبطنته بالتوراة وأوجرته بالانجيل ولددته بالزبور وأفرغت على رأسه القرآن افراغا وأتيته بآدم شفيعا لما قصر دون أقصى قوته وان يسكن غضب العبد الا ذكر غضب الرب فلا تقف حفظك الله بعد مضيك فى عتابى التماسا

هذا المعنى قول ابن سهل المغربي في أول موشحه

يا لحظات للفتن * في كرها أوفى نصيب
ترمي وكلي مقتل * وكلها سهم مصيب

وقول ابن سناء الملك

مالحظها اسهم وقلبي مقتل * بل كلها سهم وكلي مقتل

وسألت الشيخ الامام العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله سنة سبعمائة وثمانية عشر أو سنة سبعمائة وسبعة عشر بدمشق المحروسة عن قوله تعالى وأخر متشابهات فقلت المعروف بين النحاة أن الجمع لا يوصف الا بما وصف به المفرد من الوصف فقال كذا هو فقلت ما مفرد متشابهات فقال متشابهة فقلت كيف تكون الآية الواحدة في نفسها متشابهة وانما يقع التشابه بين الاثنين وكذا قوله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان كيف يكون الرجل الواحد يقتتل مع نفسه فعدل بي من الجواب الى الشكر وقال هذا ذهن جيد ولو لازمتني سنة انتفعت وسألته في ذلك المجلس قبل هذا السؤال مسئلة في الواجب والممكن وذكرت له اشكالا كان على ذهني في تعريفهما عند المتكلمين فازاله وقرر ما قالوه وسألته أيضا عن تفسير قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها الى قوله فتعالى الله عما يشركون فاجاب بما قاله المفسرون في الجواب وهو آدم وحواء وان حواء لما أثقلت بالحمل أتاها ابليس في صورة رجل وقال أخاف من هذا الذي في بطنك أن يخرج من دبرك أو يشق بطنك وما يدريك لعله يكون بهيمة أو كلبا فلم تزل في هم حتى أتاها ثانيا وقال سألت الله أن يجعله بشرا سويا وان كان كذلك فسميه عبد الحرث وكان اسم ابليس في الملائكة الحرث فذلك قوله تعالى فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنهما فقلت له هذا فاسد من وجوه الاول انه تعالى قال في الآية الثانية فتعالى الله عما يشركون فهذا يدل على أن القصة في حق جماعة الثاني انه ليس لابليس في الكلام ذكر الثالث أن الله تعالى علم آدم الاسماء كلها فلا بد وانه كان يعلم أن الحرث اسم لابليس الرابع أنه تعالى قال أيشركون مالا يخلق شيأ وهم يخلقون وهذا يدل على أن المراد به الاصنام لأن مالا يعقل ولو كان ابليس لقال من التي هي لمن يعقل فقال الشيخ تقي الدين قد ذهب بعض المفسرين الى أن المراد بهذا قصي لانه سمى أولاده الاربعة عبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار والضمير في يشركون له ولاعقابه الذين يسمون أولادهم بهذه الاسماء وأمثالها فقلت وهذا أيضا فاسد لانه تعالى قال خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها وليس كذلك الا آدم لان الله تعالى خلق حواء من ضلعه فقال المراد بهذا أن زوجته من جنسه قرشية عربية فما رأيت التطويل معه وأما الجواب عن متشابهات فهو أن العرب نطقت بهذه الصيغة أشياء ولم ترد بها المفاعلة كقولهم طابقت النعل وعاقبت اللص وخامرت الحب وان قلت ان الصيغة على أصل المفاعلة كان الجواب ان التشابه لا يكون الا بين اثنين فما فوقهما واذا اجتمعت الاشياء المتشابهة كان كل منها مشابها للآخر فلما لم يصح التشابه الا في حالة الاجتماع وصف الجمع بالجمع لان كل واحد من مفرداته يشابه الآخر وعلى ذكر خلق حواء من ضلع آدم قد نقلت من خط قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان ما صورته وعن شريح انه تقدمت اليه امرأة فقالت أيها

للعفو عني ولا تقصر عن افراطك من طريق الرحمة بي ولكن قف وقفة من يتهم الغضب على عقله والشيطان على دينه ويعلم أن للكرام أعداء ويمسك امساك من لا يبرئ نفسه من الهوى ولا يبرئ الهوى من الخطا ولا تنكر لنفسك أن تزل وأعقالك أن يهفو فقد زل آدم صلى الله عليه وسلم وقد خلقه بيده ولست أسألك الا ريثما تسكن نفسك و يرتد اليك ذهنك وترى الحلم وما يجلب من السلامة وطيب الاحدوثة والله يعلم وكفى به عليما لقد أردت أن أفديك بنفسي في مكاتباتي وكنت عند نفسي في عداد الموتى وفي حيز الهلكى فرأيت أن من الخيانة لك ومن اللؤم في معاملتك أن أفديك بنفس ميتة وأن أريك أني قد جعلت لك أنفس ذخر والذخر معدوم وأنا أقول كما قال أخو ثقيف

مودة الاخ التالد وان أخلق خير من مودة الاخ الطارف

وان ظهرت مساعيه وراقت جدته سلمك الله وسلم عليك وكان لك ومعك * ومن فصوله القصار قال البخل والجبن غريزة واحدة يجمعها سوء الظن بالله تعالى وقال من قابل الاساءة بالاحسان فقد خالف الرب

القاضي اني جئتك مخاصمة فقال أين خصمك قالت أنت فأخلى لها المجلس وقال تكلمي فقالت أية امرأة لها احليل وفرج فقال قد كان في هذا الامير المؤمنين قصة وورث من حيث جاء البول وكان شريح قاضي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقالت انه يجيء منهما جميعا فقال لها من أين يسبق البول فقالت ليس شيء منهما يسبق به بل يخرجانه في وقت ويقطعانه في وقت فقال انك لتخبريني بعجيب فقالت أقول أعجب من ذلك تزوجني ابن عم لي وأخدمني خادما فوطئتها فأولدتها واني جئتك لما أولدتها فقام شريح من مجلس القضاء ودخل على علي رضي الله عنه وأخبره بما قالت المرأة فأمر بها علي فادخلت فسألها عما قال القاضي فقالت يا أمير المؤمنين هو الذي قال فأحضر زوجها فقال هذه زوجتك وابنة عمك قال نعم يا أمير المؤمنين قال أفعلمت ما كان قال نعم أخدمتها خادما فوطئتها فاولدتها ووطئتها بعد ذلك قال له علي لانت أجرى من الاسد جيئوني بدينار الخادم وكان معدلا وامرأتين فقال خذوا هذه المرأة وأدخلوها الى بيت فجردوها من ثيابها والبسوها ثيابا وعدوا أضلاع جنبيها ففعلوا ذلك ثم خرجوا اليه فقالوا يا أمير المؤمنين عدد أضلاع الجانب الايمن ثمانية عشر ضلعا وعدد أضلاع الجانب الايسر سبعة عشر ضلعا فدعا الحجام وأخذ شعرها وأعطاها حذاء ورداء وألحقها بالرجال فقال الرجل يا أمير المؤمنين امرأتي وابنة عمي ألحقتها بالرجال ممن أخذت هذه القضية فقال له علي اني ورثتها من أبي آدم ان حواء أمنا خلقت من آدم فاضلاع الرجال أقل من اضلاع النساء وعدد أضلاعها أضلاع رجل فاخرجوا انتهى (قلت) قال الامام فخر الدين في مفاتح الغيب الذي يقول ان عدد أضلاع الجانب الايسر من الذكر أنقص من أضلاع الجانب الايمن منه بواحدة مشى على خلاف الحس والتشريح بقي أن يقال اذا لم نقل بذلك فالمراد من كلمة من في قوله تعالى وخلق منها زوجها فنقول قد ذكرنا أن الاشارة الى الشيء تارة تكون بحسب شخصه وأخرى بحسب نوعه قال عليه الصلاة والسلام في يوم عاشوراء هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى عليه السلام على فرعون والمراد النوع لا الشخص وقال تعالى في قصة آدم عليه السلام ولا تقربا هذه الشجرة والمراد النوع لا الشخص فكذا هنا قوله تعالى وخلق منها زوجها أي من نوع الانسان زوج آدم عليه السلام والمقصود منه التنبيه على انه تعالى جعل زوج آدم عليه السلام انسانا مثله انتهى (قلت) قد ورد التفسير بذلك عن ابن عباس وهو حبر الامة الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال ابن مسعود نعم ترجمان القرآن ابن عباس وكان يسمى البحر لعلومه والذي قاله الامام متوجه فما بقي الا أن يقال ان ذلك كان خاصا بآدم عليه السلام ولم يطرد ذلك في الذرية وأيضا فلفظ ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن فيه تصريح بان ذلك مطرد في جميع الرجال من ذريته وانما قال وخلق منها زوجها وهي حواء خلقها الله سبحانه وتعالى من ضلع آدم من غير أذى فليس في هذا دلالة على انه كان عليه السلام ناقصا بل قال من ضلعه فلعل ذلك من جزء يسير منه لان من للتبعيض ولهذا قال من غير أذى ولكن هذا قد استفاض وانتشر والتحقيق ما ذكرته في ذلك من التاويل والله أعلم بالصواب (رجع الصفاح) مفعول به لاهاب والالف واللام هنا للجنس (البيض) منصوب على الصفة للصفاح (تسعدني) فعل مضارع من أسعد وهو مرفوع لخلوه من ناصب وجازم والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول فهي في موضع

في تدبيره وظن أن رحمته فوق رحمة الله جل ثناؤه والناس لا يصلحون الا على الثواب والعقاب وقال من رسالة من العدل المحض أن تحط عن الحاسد نصف عقابه لان ألم حسده لك قد كفاك شر مؤنة غيظه عليك وقال لما مسخ الانسان قردا أنزل فيه مشابه من الانسان ولما مسخ زماننا لم ينزل فيه مشابه من الازمان * ومن شعره يقول

يطيب العيش ان تلقى حكيما
غذاه العلم والفهم المصيب
فيكشف عنك حيرة كل جهل
وفضل العلم يعرفه اللبيب
سقام الحرص ليس له شفاء
وداء الجهل ليس له طبيب

ومنه

ان حال لون الرأس عن حاله
ففي خضاب المرء مستمتع
هب أن من شاب له حيلة
فما الذي تحتى له الاضلع

ومنه

وكم كان من أصدقاء له
وأعداء تفانوا فما خلدوا
تساقوا جميعا كؤس الردى
فمات الصديق ومات العدو

وله من أبيات يمتدح بها بدي حين أثرى باخوانه

يقال عنهم شباة العدم
وذكره الحال صرف الزمان
فبادر قبل انتقال النعم

تصب والفاعل ضمير مستتر يرجع الى الصفاح (باللمح) الباء هنا للاستعانة وهى متعلقة بتسعدنى (من خلل) جار ومجرور ومن هنا لابتداء الغاية (الاستار) مجرور بالاضافة والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للعهد الذهنى أى أستار تلك الفتيات الحسان اللاتى تقدم ذكرهن (والكلل) الواو عاطفة والكلل مجرور بالعطف على الاستار وجملة تسعدنى وما بعدها فى موضع الحال كأنه قال ولا أهاب الصفاح البيض فى حال اسعادها اياى باللمح من خلل الاستار فوضعها النصب (المعنى) هذا البيت كالبيت الذى تقدم ومعناه انى لا أخاف السيوف البيض اذا كانت تساعدنى بالتماحها من خلل الاستار وما أرق قول ابن ميادة

فنظرن من خلل الحجال بأعين * مرضى مخالطها السقام صحاح
وأرشن حين أردن أن يرميننى * نبلا بلا ريش ولا بقداح

وقول الارجانى

وفى الحى كل كحيل اللحاظ * يطاعنا من خصاص الكلل
يذيب الفؤاد بتعذيبه * وأيسر أمر الهوى ما قتل

هذا قول أبى الطيب بعينه أحى وأيسر ما لاقيت ما قتلا وبعضهم رواه أحي وأيسر بضم همزة أحي كأنه يستفهم عن حياته وأيسر ما قاساه الذى قتل والذى فتح الهمزة أراد أفعل التفضيل معناه أفضل حياة وأقرب شئ قاسيته الذى قتل وفى بيت الطغرائى من البديع الاستخدام وهو أن يكون للكلمة معنيان فيؤتى بعدها بكلمتين أو يكتنفانها فيستخدم فى كل واحدة منهما معنى من ذينك المعنيين ومثل أرباب البديع فى هذا بقول أبى الطيب

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه * عدولة قيسى وأنت يمانى

فيمانى له معنيان أحدهما السيف والآخر ضد قيس ولم تزل العداوة بين قيس وأهل اليمن ويقول الآخر

وخلطتم بعض القران ببعضه * فجعلتم الشعراء فى الانعام

وبأشياء أخر غير هذا قال الشيخ بدر الدين بن النحوى فى أسفار الصباح له والتمثيل بجميع ذلك غلط لانه من باب التورية لا من باب الاستخدام اما ما وقع به الكلمتان فكقول البحترى

فسقى الغضا والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحى وضلوعى

فاستخدم فى قوله والساكنيه أحد مفهوميه وفى قوله شبوه مفهومه الآخر لان الاول أراد به المكان والثانى أراد به الحطب وأما ما اكتنفه كلمتان فهو كقول الآخر

اذا نزل السماء بأرض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

اذ السماء تستعمل للمطر والنبات فاستخدم فى قوله نزل المطر واستخدم فى قوله رعيناه النبات وهذا وان كان حقيقة ومجازا الا أنه كثر استعمال مجازه حتى صار حقيقة عرفية فامكن اعتبار الاشتراك ومن هذا قول الطغرائى لانه ذكر الصفاح وهى هنا مشتركة بين السيوف حقيقة وبين العيون مجازا وقد غلب العرف عليها بين الشعراء فصارت حقيقة عرفية فامكن اعتبار الاشتراك فقال ولا أهاب الصفاح البيض فهو الى هنا فى الحقيقة اللغوية والسامع يظنه

فتى خصه الله بالمكرمات
فمازج منه الحيا بالكرم

ومما أورده الشريف المرتضى والعهدة عليه فان هذا الشعر أرفع طبقة من شعره يذكر فيه الخضاب

رب فتاة من بنى هلال
قد عجلت الى بالسؤال
مالى أراك فانى السبال
كأنما كرعت فى جريال
تنح عن فكرى وعن خيالى

(ومالك بن أنس مستفتيك) (هو مالك بن أنس بن مالك ابن أبى عامر التميمى) وكنيته أبو عبد الله امام دار الهجرة ولد بالمدينة سنة سبع وتسعين ويقال انه أقام فى بطن أمه ثلاث سنين * وكان يقول قد يكون الحمل ثلاث سنين وقد حمل ببعض الناس ثلاث سنين يعنى نفسه وكان طويلا شديد البياض مائلا الى الشقرة مهيبا سوى اللباس والمجالس وهو أول من صنف فى الفقه كتابا فوضع الموطأ كذا قال العسكرى فى الاوائل ولعله أراد بالمدينة * وكان مالك اذا أراد أن يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل ويتبخر ويتطيب فاذا رفع أحد صوته قال له اخفض صوتك فان الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي فمن رفع صوته

فى ذكرها ثم ترك المفهوم الاول وأخذ فى المفهوم الآخر فقال تسعدنى باللحم من خلل الاستار والكلل فاستعمل الصفاح فى العيون وهى الحقيقة العرفية وهذا فى غاية الغزل لانه يقول أنا لا أهاب السيوف ووقعها اذا كانت تسعدنى على جراحى باللحم من فروج الاستار أى ما السيوف غيرها وما أحسن قول ابن النعاويذى

بين السيوف وعينيه مشاكلة * من أجلها قيل للاغماد أجفان

وان كان أخذه من أبى الطيب فى قوله

ولذا اسم أغطية العيون جفونها * من أنها عمل السيوف عوامل

فانه تناوله خبث حديد واعاده قلادة جيد ولم يكف أبا الطيب بشاعة اللفظ فى قوله أغطية العيون حتى هتكه بتقديم ترتيبه وتأخيره والتقدير من انها عوامل عمل السيوف وأبلغ ما سمعت فى التورية والاستخدام ما أنشدنى من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة قال أنشدنى من لفظه لنفسه القاضى زين الدين عمر بن المظفر المعروف بابن الوردى وقد أنشده بعض شعراء العصر بيتاله يجمع استخدامين فاستخدم هو أربعة فقال

ورب غزالة طلعت * بقلبى وهو مرعاها

نصبت لها شباكا من * نضار ثم صدناها

وقالت لى وقد صرنا * الى عين قصدناها

بذلت العين فاكحلها * بطلعتها ومجراها

قلت معنى الاستخدامات الاربعة بذلت الذهب فاكحل عينك بطلعة عين الشمس ومجرى العين الجارية من الماء لانه وطأ لهذه المعانى فى الابيات المتقدمة وأتى بالبيت الرابع فتنزل جملة على ما تفصل وهذا يدل على الفكر الصحيح والتخيل التام وما أعرف لغيره هذه العدة فى هذا الوزن القصير وأنشدت لرشيد الدين الفارقى

ان فى عينيك معنى * حدث النرجس عنه

ليت لى من غضه سهما * فى قلبى منه

وهذا يضافيه أربعة ولكن تعود الى شيئين لان قوله من غضه فيه معنيان أحدهما غض الطرف وهو كسره الى أسفل والثانى من الغضاضة وهى الطراوة فالاول للعين والثانى للنرجس وقوله سهما فيه معنيان أحدهما النصيب وهو الذى تمناه والثانى الذى يرشق به من النبل وهو واحد السهام الذى فى قلبه منه وهذا وان كان بديعا الا انه أربعة لا ثنين والاول أربعة لواحد وهو لفظة العين فكان أكمل وقد وضعت كتيبا وسميته بفض الختام عن التورية والاستخدام أوضحت فيه هذين النوعين فمن أراد الوقوف على ذلك فلينظره لعله يظفر منه ببعض مراده وأما قول الطغرائى فى هذا البيت واخراجه الحماسة فى صورة الغزل فهو من قول أبى الطيب اذ ليس لاحد معه فى هذا الباب دخول لانه يصف الحروب ويظهرها مظاهر الغزل وهذا من القدرة فى التخيل ألا ترى قوله

تعود أن لا تقضم الحب خيله * اذا الهام لم ترفع جيوب العلائق

ولا ترد الغدران الا وماؤها * من الدم كالريحان تحت الشقائق

وأخذه ابن عنين فقال

عند حديثه فكأنما رفعه عند صوته وقال زيد بن داود رأيت فى المنام كأن القبر انفرج واذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد والناس مصفوفون فصاح صائح أين مالك بن أنس فجاء مالك حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطاه شيأ فقال فرقه على الناس فاذا هو مسك وقال الشافعى رحمه الله تعالى قال لى محمد ابن الحسن أيهما أعلم صاحبنا أم صاحبكم يعنى أبا حنيفة ومالكا رضى الله تعالى عنهما فقلت على الانصاف قال نعم فقلت ناشدتك الله من أعلم بالقرآن قال اللهم صاحبكم قلت فمن أعلم بالسنة قال اللهم صاحبكم قلت فمن أعلم بأقاويل الصحابة قال اللهم صاحبكم قلت فلم يبق الا القياس والقياس لا يكون الا على هذه الاشياء فعلى أى شئ تقيس وقال وهب سمعت مناديا ينادى ألا لا يفتى الناس الا مالك بن أنس وابن أبى ذؤيب وقال محمد بن جعفر لما دعى مالك وأشار وقبل منه حسده الناس وبغوه بكل شئ فلما ولى جعفر بن سليمان سعوا به اليه وقالوا انه لا يرى ايمان بيعتكم هذه بشئ وهو يأخذ بحديث رواه الاحنف فى طلاق المكره أنه

وتعاف خيلهم الورود بمنهل * ما لم يكن بدم الوقائع أحمرا

وقول أبي الطيب

ان كوتبوا أو لقوا أو حوربوا وجدوا * في الخط واللفظ والهيجاء فرسانا
كأن ألسنهم في النطق قد جعلت * على رماحهم في الطعن خرصانا
كأنهم يردون الموت من ظمأ * وينشقون من الخطي ريحانا

وقوله أيضا

انك من معشر اذا وهبوا * ما دون أعمارهم فقد بخلوا
قلوبهم في مضاء ما امتشقوا * قاماتهم في تمام ما اعتقلوا

وقوله أيضا

بكل أشعث يلقى الموت مبتسما * حتى كأن له في قتله أربا

وقوله أيضا

كأن الهام في الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد
وقد صغت الأسنة من هموم * فما يخطرن الا في فؤاد

وقد عد علماء الشعر سرقته هذا المعنى من عدة أماكن منها قول منصور النميري

وكأن موقعه بجمجمة الفتى * حذر المنية أو نعاس الهاجع

ومنها قول مهلهل

الطاعن الطعنة النجلاء تحسبها * نوما أناخ بجفن العين يغفيها
بلهذم من هموم النفس صبغته * فليس ينفك يجري في مجاريها

ومنها قول ابن المعتز

أين الرماح التي غذيتها مهجا * مذ مت ما وردت قلبا ولا كبدا

ومنها قول الآخر

كأن سنان زابله ضمير * فليس عن القلوب له ذهاب

ومنها قول أبي تمام

كأنه كان ترب الحب مذ زمن * فليس يحجزه قلب ولا كبد

وهذا جملة ما عدوه في ذلك (قلت) وليس في جميعه ما يقال له طيب غير قول أبي الطيب * وأين فضل الطل من الوابل الصيب * وقد أخذه بعد ذلك الشريف الرضي فقال

كأن سيفك ضيف الشيب ليس له * اذا أتى عن ورود الرأس منصرف

والارجاني فقال

كأن سيوف الهند فيها كواكب * مع الصبح في هام الكماة تغور

وهذا أيضا من قول ابن المعتز

متردياً نصلا اذا * لاقى المنية لم يراقب
فكأنه في الحرب شمـ * ـس والرؤس له مغارب

وقال ابن الساعاتي

أمن الهجر سيفه فهو لا ينـ * ـفك مذ كان قاطعا بتارا

لا يجوز فدعا جعفر بمالك وقد غضب فاحتج عليه بما قيل عنه ثم جرده وضربه بالسياط ومدت يده حتى خلعت يداه وكتفاه فوالله ما زال مالك بعد ذلك في رفعة من الناس وعلو من قدره واعظام من الناس له حتى كأنما كانت تلك السياط التي ضرب بها حليا حلي به وقيل انما ضرب مالك لأنه سأل عن سيرة عبد الرحمن بن معاوية الأموي الداخل الى الاندلس والمتملك بجزيرته فقيل له انه يأكل خبز الشعير ويلبس الصوف ويجاهد في سبيل الله وعددت مناقبه فقال مالك ليت أن الله زين حرمنا بمثله فنقم عليه بنو العباس هذا القول وبلغ عبد الرحمن فسر بقوله وجمع أهل الاندلس على مذهب مالك فهذا سبب اجتماع المغاربة على مذهبه * وتوفي رضي الله عنه سنة تسع وسبعين ومائة * ومن اخباره ما حكى الشافعي رضي الله عنه قال رأيت على باب مالك رضي الله عنه كراعا من أفراس خراسان ويقال مصر فما رأيت مثله فقلت لمالك ما أحسنه قال هو هدية مني اليك فقلت يا أبا عبد الله دع لنفسك منها ما تركبه فقال أنا أستحي من الله أن أطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه

أم من الحب رمحه فهو لا يأ * لف الا القلوب والافكارا

وقال أيضا

من معشر يجل قدر علائه * عن أن يقال لمثله من معشر
بيض الوجوه كأن زرق رماحهم * سر يحل سواد قلب العسكر

والاول من الاول والثاني من الثاني بديعان خصوصا قوله قلب العسكر وقال ابن عبدون

كأن عداه في الهيجا ذنوب * وصارمه دعاء مستجاب

وقال القاضي الفاضل

يبش من هون لاقدارهم * والسيف في الروع يرى هشا
كأنما أسيافه في الوغى * طير ترى الهام لها عشا

ولم أر لاحد من الشعراء غزلا في وعظ مثل قول أبي الطيب

زودينا من حسن وجهك مادا * م فحسن الوجوه حال يحول
وصلينا نصلك في هذه الدنـ * ـيا فان المقام فيها قليل

وأخذه ابن سناء الملك فقال

صلني وهذا الحسن باق فربما * يعزل بيت الحسن منه ويكنس

(رجع) الى ذكر الحماسة في صورة الغزل قال البحتري

تسرع حتى قال من شهد الوغى * لقاء أعاد أم لقاء حبائب

وقال أبو تمام

يستعذبون مناياهم كأنهم * لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا

وقال ابن قلاقس

تخاله واهتزاز الرمح في يده * ليثا يلاعب يمناه بثعبان
هل الرماح غصون بات يغرسها * من الصدور طعانا فوق كثبان

وقال ابن الساعاتي في فتح القدس يمدح صلاح الدين بن أيوب من أبيات

فقد أصبحت تحل العيون بأرضها * مخافة هند الظبي تنكر السقما
وأصبح ذاك الثغر جذلان باسما * وألسنة الاغماد توسعه اثما
وكانت سيوف الهند سر غمودها * فها هي سر لا تطيق له كتما
ينم على فتكاته زهر القنا * كذاك حديث الزهر يحلو اذا نما
ويخلو مع الخطي من كلف به * ويحسبه قدا فيوسعه ضما

وهذا مأخوذ من قول عنترة

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

ومن قول أبي الحسن بن القبطرنة البطليوسي

ذكرت سليمى وحر الوغى * بقلبي كساعة فارقتها
وأبصرت بين القنا قدها * وقد ملن نحوي فعانقتها

وقال ابن الساعاتي

يهوى قوام الرمح وهو مهفهف * والسيف في وجناته توريد

وسلم بحافر دابة * ووجه الرشيد الى مالك رضي الله تعالى عنه ليأتيه فيحدثه فقال مالك ان العلم يؤتى فصار الرشيد الى منزله واستند الى الجدار فقال مالك يا أمير المؤمنين من اجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلال العلم فقام فجلس بين يديه فحدثه فبعث الرشيد الى سفيان بن عيينة فأتاه سفيان فقعد بين يديه فحدثه فكان الرشيد يقول يا مالك تواضعنا لعلمك فانتفعنا به وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به * وحكي أن أبا يوسف القاضي حضر مجلس مالك فقال أبو يوسف من جملة كلام الانسان تارة يخطئ وتارة لا يصيب فقال مالك هكذا عرفنا مشايخنا فضحك بعض الحاضرين فلما خرجوا قال بعض أصحاب مالك ان أبا يوسف قال كذا ولعله متعمد وأجبت كذا فخجل مالك ودعا على أبي يوسف أن لا ينتفع بعلمه فكان كذلك مع جودة كتبه عند الحنفية (وحكى) ابن جدون في تذكرته أن حسن بن نعمان قال كنت بالمدينة فخلا لي الطريق نصف النهار فجعلت أتغنى في شعر ذي يزن وأقول

ما بال قومك بارباب
حذرا كأنهم غضاب

فاذا كوة قد فتحت واذا وجه قد بدا منها تتبعه لحية

فكأنما سمر الرماح معاطف * والهام فوق صدورهن نهود

وقال أبو بحر صفوان المرسى

يرى اعتناق العوالى فى الوغى غزلا * لان خرصانها من فوقها مقل

وقال أبو عبد الله بن عثمان الحداد الاندلسى

انى أراع لهم وبين جوانحى * شوق يهون خطبهم فيهون
أوهل يهاب ضرابهم وطعانهم * صب بألحاظ العيون طعين
فكأنما بيض الصفاح جداول * وكأنما سمر الرماح غصون

وقال المعتمد بن عباد

ولما اقتحمت الوغى دارعا * وقنعت وجهك بالمغفر
حسبنا محياك شمس الضحى * عليها سماء من العنبر

وقال أبو بكر الرصافى

لو كنت شاهده وقد غشى الوغى * يختال فى درع الحديد المسبل
لرأيت منه والقضيب بكفه * بحرا يرق دم الكماة بجدول

وجمع معنى هذين المقطوعين المولى شهاب الدين أحمد بن مهاجر فيما أنشدنى من لفظه بحلب سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة

مالاح فى درع يصول بسيفه * والوجه منه يضىء تحت المغفر
الا حسبت البحر مد بجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

ومن قول الرصافى قول ابن سناء الملك

وقام من الدرع فى منهل * ويمناه بالسيف فى جدول

وقال ابن خفاجة

يعللنى منه عود درشفه * خيال له يغرى عطل وليان
شققت عليه لجة من صوارم * عليها حباب من أسنة ران

وقال آخر

كثير نجوم البيض ليل قتامه * طويل وجفن السيف فيه مسهد
واضحوا وكل بات من سكرة الردى * يقبل خد الارض وهو مورد

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

ونحن معاشر نأبى الدنايا * ونلبس من صوان العرض سردا
نعانق من رماح الخط بانا * وننشق من سيوف الهند وردا

وقلت أنا

وسيوف اذا مضت فى جراح * قلت هذا بنفسج فى شقيق
ينشد الجسم روحه من ظباها * ودماه بين النقا والعقيق

*(ولا أخل بغزلان أغازلها * ولو دهتنى أسود الغيل بالغيل)*

(اللغة) أخل يقال أخل الرجل بمركزه اذا تركه واختل الى الشىء احتاج اليه الغزلان جمع غزال ويجمع على غزلة مثل غلمان وغلمة ويقال للشادن غزال حين يتحرك وقد أغزلت الظبية

جراءه فقال يا فاسق أسأت التأدية ومنعت القائلة وأذعت الفاحشة ثم اندفع فغنى الصوت غناء لم أسمع مثله فقلت أصلحك الله من أين لك هذا الغناء قال نشأت وأنا غلام فأعجبنى الاخذ عن المغنين فقالت أمى يا بنى ان المغنى اذا كان قبيح الوجه لم يلتفت الى غنائه فدع الغناء واطلب الفقه فتركت المغنين وتبعت الفقهاء فبلغ الله بى الى ما ترى فقلت أعد الصوت جعلت فداك فقال لا ولا كرامة تريد أن تقول أخذته عن مالك بن أنس واذا به مالك رضى الله تعالى عنه *ومن كلامه اذا ترك العالم قول لا أدرى أصيبت مقاتله * وقال ليس العلم بكثرة الرواية وانما هو نور يقذفه الله فى القلب وسأله رجل عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فقال الاستواء معقول والكيف مجهول وما أظنك الا رجل سوء

(وأنت الذى أقام البراهين ووضع القوانين)

البرهان فى اللغة بيان الحجة وظهورها وهو مصدر بره يبره اذا ابيض وامرأة برهاء وبرهرهة شابة بيضاء وقال الراغب البرهان أوكد الادلة وهو الذى يقتضى

الظبية أغازلها أحادثها مغازلة ومغازلة النساء محادثتهن وقد تقدم في قوله حلو الفكاهة
دهتني دهته الداهية أصابته ودواهي الدهر مايصيب الناس من عظيم نوبه أسود تقدم
الكلام عليها في قوله فالحب حيث العدى والاسد رابضة الغيل الاجمة وهو موضع الاسد
والغيل مثل خميس لايدخلها الهاء والجمع غيول وقال الاصمعي الغيل الشجر الملتف يقال
منه تغيل الشجر بالغيل الغوائل الدواهي وفلان قليل الغائلة أي الشر (الاعراب ولا)
الواو حرف عطف لا حرف نفي (أخل) فعل مضارع مرفوع لخلوه من ناصب وجازم وفاعله ضمير
مستتر فيه تقديره ولا أخل أنا (بغزلان) جار ومجرور والباء هنا للتعدية (أغازلها) فعل مضارع
مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم والهاء والالف ضمير الغزلان وهو في موضع نصب بالمفعولية
والجملة في موضع جر صفة لغزلان تقديره مغازلة لي (ولو) قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك
رحمه الله لو في الكلام على ضربين مصدرية وشرطية أما المصدرية فهي التي يحسن في موضعها
أن وأكثر ماتقع بعد ود أو ما في معناها كقوله تعالى يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وأما
الشرطية فهي للتعليق في الماضي كما أن ان في المستقبل ومن ضرورة كون التعليق في الماضي
أن يكون شرطها منفي الوقوع لانه لو كان ثابتا لكان الجواب كذلك ولم يكن تعليق في اليمين
بل ايجاب لا ايجاب لكن لو للتعليق لا للايجاب فلابد من كون شرطها منفيا وأما جوابها فان
كان مساويا للشرط في العموم كما في قولك لو كانت الشمس طالعة كان النهار موجودا فلابد
من انتفائه أيضا وان كان أعم من الشرط كما في قولك لو كانت الشمس طالعة لكان الضوء
موجودا فلابد من انتفاء القدر المساوي منه للشرط ولذلك تسمع النحاة يقولون لو حرف يمتنع به
الشئ لامتناع غيره أي يدل على امتناع الجواب لامتناع الشرط ولا يرون أنها تدل على امتناع
الجواب مطلقا لتخلفه في نحو لو ترك العبد سؤال ربه لاعطاه وانما يريدون أنها تدل على انتفاء
المساوي من جوابها للشرط والاولى أن يقال لو حرف شرط يقتضي نفي مايلزم من ثبوته ثبوت
غيره فينبه على أنها تقتضي لزوم شئ لشئ وكون الملزوم منفيا ولا يتعرض لنفي اللازم مطلقا
ولا لثبوته لانه غير لازم من معناها انتهى *(مسئلة)* قوله تعالى ولو أن مافي الارض من
شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله قال الشيخ شهاب الدين أحمد
ابن ادريس القرافي قاعدة لو أنها اذا دخلت على ثبوتين كانا منفيين وعلى نفيين كانا ثبوتين
وعلى نفي وثبوت فالنفي ثبوت والثبوت نفي تقول لو جاءني لاكرمته فهما ثبوتان فما جاءك ولا
أكرمته ولو لم يستدن لم يطالب فهما نفيان وقد استدان وطولب ولو لم يؤمن أريق دمه التقدير
انه آمن ولم يرق دمه وبالعكس لو آمن لم يقتل واذا تقررت هذه القاعدة فيلزم أن تكون كلمات
الله قد نفدت وليس كذلك لان لو دخلت على ثبوت أولا ونفي آخرا فيكون الاول نفيا وهو
كذلك فان الشجرة ليست أقلاما ويلزم أن يكون النفي الاخير ثبوتا فتكون نفدت وليس
كذلك ونظير هذه الآية قوله عليه الصلاة والسلام نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه اذ
يقتضي أنه خاف وعصى مع الخوف وهو أقبح فيكون ذلك ذنبا لكن الحديث سيق في المدح
وعادة الفضلاء الولوع بالحديث كثيرا أما الآية فقليل من يتفطن لها وقد ذكروا في الحديث
وجوها وأما الآية فلم أر لاحد فيها شيأ ويمكن تخريجها على ماقالوه في الحديث غير انه ظهر لي
جواب عن الحديث والآية جميعا وسأذكره بعد وقال ابن عصفور لو في الحديث بمعنى ان لمطلق

الصدق أبدا الاحالة ودلالة
تقتضي الكذب أبدا ودلالة
الى الصدق أقرب ودلالة
الى الكذب أقرب ودلالة
هي اليهما سواء وقال بعض
الحكماء مبادي البرهان
خمس الاوليات والمشاهدات
والمتواترات والمجربات
والحدسيات وقال آخر البرهان
حجة تنتج يقينا وينقسم الى
برهان اني وبرهان لمي وأمثلته
معروفة وقد ذكرت ان أول
من حرر كتب المنطق ارسطا
ليس وقد تقدم ذكره
(والقوانين) واحدها قانون
وهو لفظ رومي ومعناه عند
المنطقيين صورة كلية تتعرف
منها أحكام جزئياتها المطابقة
لها

(وحد الماهية وبين الكيفية والكمية)

ماهية الشئ تصوره في الفكر
ومعرفة ماهو وأوجز حدوده
في المنطق قولهم ماهية الشئ
ما يحصل في الذهن من صورة
كلية مطابقة له بعد حذف
المشخصات عنه ان كان جزئيا
وهي أحد حدود العلم عند
الحكماء فان العلم
ينقسم الى ثلاثة أقسام علم
ما وعلم كيف وعلم كم فالعلم
الذي يطلب منه ماهيات
الاشياء هو العلم الالهي والذي
يطلب منه كيفيات
الاشياء هو الطبيعي والذي

الربط وأن لا يكون نفيها ثبوتا ولا ثبوتها نفيا فيندفع الاشكال وقال الشيخ شمس الدين الخسروشاهي ان لو فى أصل اللغة لمطلق الربط وانما اشتهرت فى العرف بانقلاب ثبوتها نفيا وبالعكس والحديث انما ورد بمعنى اللفظ فى اللغة وقال الشيخ ابن عبد السلام الشئ الواحد قد يكون له سبب واحد فينتفى عند انتفائه وقد يكون له سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدمه لان السبب الثانى يخلف الاول كقولنا فى زوج هو ابن عم لو لم يكن زوجا لورث أى بالتعصيب فانهما سببان لا يلزم من عدم أحدهما عدم الآخر وكذلك ههنا اذ الناس فى الغالب انما لم يعصوا لاجل الخوف فاذا ذهب الخوف عصوا لاتحاد السبب فى حقهم فأخبر صلى الله عليه وسلم أن صهيبا رضى الله عنه اجتمع له سببان يمنعانه عن المعصية وهذا مدح جليل وكلام حسن وأجاب غيرهم بأن الجواب محذوف تقديره لو لم يخف الله عصمه الله ويدل على ذلك قوله لم يعصه وهذه الاجوبة تتأتى فى الآية غير الثالث فان عدم نفود كلمات الله تعالى وانها غير متناهية أمر ثابت لها لذاتها وما بالذات لا يعلل بالاسباب فتأمل ذلك هذا كلام الفضلاء الذى اتصل بى والذى ظهر لى أن لو اصلها أن تستعمل للربط بين شيئين نحو ما تقدم ثم انها أيضا تستعمل لقطع الرابط فتكون جوابا لسؤال محقق ومتوهم وقع فيه ربط فتقطعه أنت لاعتقادك بطلان ذلك الربط كما لو قال القائل لو لم يكن ذلك زوجا لم يرث فتقول أنت لو لم يكن زوجا لم يحرم تريد أن ما ذكرته من الربط بين عدم الزوجية وعدم الارث ليس بحق فمقصودك قطع ربط كلامه لا ربط كلامه وتقول لو لم يكن زيد عالما لاكرم أى لشجاعته جوابا لسؤال سائل يتوهمه أو سمعته يقول انه اذا لم يكن عالما لم يكرم فيربط بين عدم العلم وعدم الاكرام فتقطع أنت ذلك الربط وليس مقصودك أن تربط بين عدم العلم والاكرام لان ذلك غير مناسب ولا من أغراض العقلاء ولا يتجه كلامك الا على عدم الربط فكذلك الحديث لما كان الغالب على الناس أن يرتبط عصيانهم بعدم خوف الله تعالى وان ذلك فى الاوهام قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الربط وقال لو لم يخف الله لم يعصه وكذلك لما كان الغالب على الاوهام ان الاشجار كلها اذا صارت أقلاما والبحر الملح مع غيره يكتب به الجميع والوهم يقول ما يكتب بهذا شئ الا نفد وما عساه أن يكون قطع الله هذا الربط وقال ما نفدت الخ وهذا الجواب أصلح من الاجوبة المتقدمة لوجهين أحدهما شموله لهذين الموضعين وبعضها لم يشمل كما تقدم وثانيهما أن لو بمعنى خلاف الظاهر وما ذكرته من الجواب ليس مخالفا العرف أهل اللغة فانهم يستعملون ما ذكرته ولا يفهمون غيره فى تلك الموارد ونعم هذا الجواب الواجب لذاته لصفات الله تعالى وكلماته والممكن القابل للتعليل كطاعة صهيب رضى الله عنه انتهى كلام شهاب الدين (رجع دهتنى) فعل ماض والتاء علامة لتأنيث الفاعل والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهو المتكلم (أسود) جمع أسد وهو مرفوع على انه فاعل دهت (الغيل) مضاف اليه والاضافة بمعنى اللام والالف واللام للجنس (بالغيل) جار ومجرور والباء للاستعانة أو التعدية وهو متعلق بدهتنى (المعنى الكلام فى هذا البيت كالكلام فى قوله صلى الله عليه وسلم نعم العبد صهيب ومعناه لو دهتنى أسود الغيل بالغيل ما أخللت بغزلان أغازلها فكيف وما دهتنى فعدم اخلالى بالطريق الاولى فالاخلال مرتبط بدهاء الاسود له وتخريجه على ما قاله القرافى ان الغالب على الاوهام أن الانسان يخل

يطلب منه كميات الاشياء هو الرياضى والكمية والكيفية النسبة الى كم وكيف وكم عبارة عن العدد ومن النحاة من يجعله اسما ناقصا مبنيا على السكون والنسبة اليها الكمية بالتخفيف ومنهم من يجعله اسما تاما فشدد آخره وصرفه فقال أكثرت من الكم والنسبة اليه الكمية بالتشديد وهو عند المنطقيين قسم من أقسام العرض وهو نوعان منفصل ومتصل فان لم يكن بين أجزائه حد مشترك فهو الكم المتصل وان كان بين أجزائه حد مشترك فهو الكم المنفصل وهو وان كان قار الذات فهو المقدار وان لم يكن قار الذات فهو الزمان وكيف اسم مبهم غير متمكن وانما حرك آخره لالتقاء الساكنين وبنى على الفتح دون الكسر لمكان الياء قال الراغب يسأل به عما يصح أن يقال شبيه وغير شبيه كالاسود والابيض والصحيح والسقيم ولهذا لا يصح أن يقال فى الله عز وجل كيف وقال بعض الحكماء هو كل هيئة قارة فى جسم لا تقتضى قسمة ولا نسبة فقولنا قارة يخرج الزمان وقسمة يخرج الكم ونسبة تخرج المقولات فى العرض والله تعالى بكل شئ

بعادثه من يحادثه اذا دهته الاسود باغتيالهافقطع الشاعر هذا الربط وقال ما أذل بمحادثة هذه الغزلان مع وجود دهاء الاسود لى واغتيالها اياى وهذه مبالغة عظيمة فى الاشتغال بالمحبوب والانس به عن كل ما يذهل النفوس ويشغل القلوب التى ترتاع وتنفر من حصوله ولقد بالغ أبو الحسن على بن رشيق فى قوله

ولقد ذكرتك فى السفينة والردى * متوقع بتلاطم الامواج
والجو يهطل والرياح عواصف * والليل مسود الذوائب داجى
وعلى السواحل للاعادى غارة * يتوقعون لغارة وهياج
وعلت لاصحاب السفينة ضجة * وأنا وذكرك فى ألذ تناجى

والاصل فى هذا المعنى قول عنترة

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمى
فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وقال الارجانى

وانى لأرعاكم على القرب والنوى * وأذكركم بين القنا والقنابل

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

ألا من يبلغ المحبوب أنى * وقفت وللظبا حولى صليل
وانى جلت فى جيش الاعادى * برمحى وهو فى فكرى يجول

وقال الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح

أرسلتها والعوالى فى الطلا ترد * فى موقف فيه ينسى الوالد الولد
وما نسيتك والارواح سائلة * على السيوف ونار الحرب تتقد

قلت ليس فى نسيان الولد لوالده كبير أمر ولا مبالغة ولو عكس كان أبلغ فان اشفاق الوالد على الولد أكثر وحنوه أكبر قيل لبعض الحكماء لاى شئ نحب أولادنا وما يحبونا فقال لانهم منا ولسنا منهم وقيل لآخر ذلك فقال لان آدم لم يكن له أب قال الشاعر

وانما اولادنا بيننا * أكبادنا تمشى على الارض

فاذا ذهل الولد عن الوالد ما خرج عن العادة المألوفة وانظر الى البلاغة فى قوله تعالى يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت كيف جاءت المبالغة فى المرضع دون الوالدة لان المرضع أشد اشفاقا وأكثر تطلعا على ولدها الرضيع من الوالدة على الولد الذى خرج عن الرضاعة وترعرع

وقال ابن مطروح

ولقد ذكرتك والصوارم لمع * من حولنا والسمهرية شرع
وعلى مكافحة العدو ففى الحشا * شوق اليك تضيق عنه الاضلع
ومن الصبا وهلم جرا شيمتى * حفظ الوداد فكيف عنه أرجع

وقال الشريف البياضى

ولقد ذكرتك والطبيب معبس * والجرح منغمس به المسبار
وأديم وجهى قد فراه حديده * وعينه حذرا على يسار
فشغلتنى عما لقيت وانه * لتضيق منه برحبها الاقطار

علم وناظر فى الجوهر والعرض وميزا الصحة من المرض

قال بعض الادباء الكلام فى الجوهر والعرض على رأى الحكماء طويل غامض وانما أنقل نبذة من أقرب ما سمعت فالجوهر هو الجسم كالانسان والفرس والحجر ونحو ذلك والعرض الحال والوصف المتعاقب عليه كالالوان من بياض وسواد وحمرة والحركات المختلفة من قيام وقعود واضطجاع وجميع ما عدا الجوهر فاسم العرض واقع عليه وانما مثلنا الجوهر بالجسم دون غيره مما يقع عليه اسم الجوهر لان الذين أثبتوا جواهر ليست باجسام كالعقل والنفس والجزء الذى لا يتجزأ ليس يمتنع أحد منهم أن يسمى الجسم جوهرا فصار الجسم هو الجوهر المتفق عليه وقال بعض الحكماء الجوهر خمسة أنواع المادة والصورة والجسم والنفس والعقل ووجه الحصر أنه ان كان حالا فى محل فهو الصورة وان كان محلا لحال فهو المادة وان كان مركبا منهما فهو الجسم وان لم يكن كذلك فهو الجوهر المفارق وهو ان تعلق بالجسم بالتدبير فهو النفس والا فهو العقل والعرض عند أكثرهم احد وعشرون ضربا وعند بعضهم ثلاثة

ونقلت من خط ابن القيسراني له

ذكرتك في حسينة والروابي * ملفعة المناكب بالرياض
وعن الكثب مخضر المجاني * على الغدران مترعة الحياض
وقد سئمت من السير المطايا * وملّ قتودها حنق العضاض
وضاقت ساحة الاخلاق حتى * نبا الخلق الكريم عن التغاضي
وعندك انني مع ما الاقي * نسيتك لا وأعينك المراض

وأنشدني لنفسه اجازة الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود

ولقد ذكرتك والسيوف لوامع * والموت يرقب تحت حصن المرقب
والحصن من شفق الدروع تخاله * حسناء ترفل في رداء مذهب
سامي السماء فمن تطاول نحوه * للسمع مسترقا رماه بكوكب
والموت يلعب بالنفوس وخاطري * يلهو بطيب ذكرك المستعذب

وأنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز الحلي

ولقد ذكرتك والعجاج كأنه * مطل الغني وسوء عيش المعسر
والشوس بين مجدل في جندل * مناو بين معفر في مغفر
فظننت أني في صباح مسفر * بضياء وجهك أو مساء مقمر
وتعطرت أرض الكفاح كأنما * فتقت لنا ريح الجلاد بعنبر

وأنشدني أيضا له اجازة

ولقد ذكرتك والسيوف مواطر * كالسحب من وبل النجيع وطله
فوجدت انسا عند ذكرك كاملا * في موقف يخشى الفتى من ظله

وأنشدني لنفسه اجازة أيضا

ولقد ذكرتك والجماجم وقع * تحت السنابك والاكف تطير
والهام في أفق العجاجة حوم * فكأنها فوق النسور نسور
فاعتارني من طيب ذكرك نشوة * وبدت على بشاشة وسرور
فظننت اني في مجالس لذتي * والراح تجلى والكؤوس تدور

وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالقاهرة سنة سبعمائة وثمانية وعشرين

لقد ذكرتك والبحر الخضم طغت * أمواجه والورى منه على سفر
في ليلة أسدلت جلباب ظلمتها * وغاب كوكبها عن أعين البشر
والماء تحت وفوق المزن واكفة * والبرق يستل أسيافا من الشرر
والفلك في وسط الماء ين تحسبها * عينا وقد أطبقت شفرا على شفر
والروح من حزن راحت وقد وردت * صدري فيا لك من ورد بلا صدر
هذا وشخصك لا ينفك في خلدي * وفي فؤادي وفي سمعي وفي بصري

وكلفت أنا في سنة سبعمائة وعشرين نظم شئ في هذه المادة فقلت

ولقد ذكرتكم وحرب بيننا * عن بأسها الليث الهزبر الاغلب

وعشرون عشرة منها تختص بالاحياء وهي الحياة والقدرة والشهوة والقوة والارادة والكراهة والاعتقاد والظن والنظر والالم واحد عشر تكون للاحياء وغير الاحياء وهي الكون وتشتمل على اربعة اشياء الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والتأليف والاعتماد كالثقل والخفة والبرودة واليبوسة والرطوبة واللون والرائحة والطعم والاثنان الاذان زادهما بعضهم هما البقاء والموت * والصحة هي وجود الاعتدال الخاص بالانسان وتستعار لغيره والمرض الخروج عن الاعتدال والتمييز الفصل بين الشيئين والمعنى انك الذي حررت صناعة الطب وذكر الطب عقب الجوهر والعرض لان الجميع من العلوم العقليات وقد يكون مراده التمييز بين صحة الاشياء ومرضها كالحقائق والشكوك والفضائل والرذائل وانما شبهت الشكوك والرذائل بالمرض لكونها مانعة عن ادراك الفضل كالمرض المانع للبدن عن ادراك التصرف الكامل وعلى كلا الوجهين فالمراد انك أنت الحكيم الذي نظر في هذه العلوم واظهرها

والصافنات بركضها قد أنشأت * ليلا وكل سنا سنان كوكب
والبيض تنثر كلما نظم القنا * والنبل يشكل والعجاج يترب
وحشاشة الابطال قد تلفت ظما * ودم الفوارس مستهل صيب
والنفس قد سالت على حد الظبا * وأنا بذكركمو أميل وأطرب

وقلت أيضا في هذه المادة على غير هذا النحو

ذكرتكمو وكاسات الندامى * تدور على بدور مثل شمس
واضواء الشموع نجوم أفق * قضت بالانس فيه لكل نفس
وأصوات المثالث والمثانى * علت ولها خفضنا كل حس
وقد رق النسيم وراق حتى * يكاد يفوت لطفا كل لمس
وقد رمت الجفون سهام سحر * يلاقيها المحب بغير ترس
وقد غنى النديم عن الحميا * بكأس مراشف كالشهد لعس
فنغص كل ما أنا فيه ذكرى * لكم فضى السرور وغاب أنسى

وكل هذه الحالات يمكن فيها ذكر المحبوب وأما ما روى عن ابراهيم عليه السلام فلا يقع ذلك الامن مثله صلوات الله وسلامه عليه فانه لما رماه نمرود من المنجنيق التى رماه منها فى النار المضرمة وصار فى الهواء اعترضه جبريل عليه السلام وقال له ألك حاجة قال أما اليك فلا وأما قصة ليلى الاخيلية مع توبة بن الحمير فهى مشهورة بين أهل الادب وهى أنها مارت مع زوجها بقبر توبة قال لها هذا قبر الكذاب الذى يقول

ولو أن ليلى الاخيلية سلمت * على ودونى جندل وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أوزقا * اليها صدى من جانب القبر صائح

فقالت دعه فقال أقسمت عليك الا مادنوت منه وسلمت عليه فأبت فكرر عليها ذلك فلما تقدمت الى القبر وقالت السلام عليك يا توبة طار من جانب القبر طائر كان هناك فنفر منه جمل ليلى فوقعت من أعلاه فاندق عنقها وماتت من وقتها ودفنت الى جانب توبة وقد أفرط توبة فى استحضار ذكرها وبالغ الى أن خرج عن حيز الامكان لان الحالات المتقدمة تحتمل ذكر المحبوب اذا كان الانسان متمكنا من ذاكرته اذا أرادها عرضت عليه ما فى خزانتها وأما من يفقدها جملة ويغيب الذاكر ويدخل فى العدم فهذا غير ممكن وقال عثمان بن ابراهيم حججت أنا وأصحابى فلما رجعنا من مكة مررنا بالمدينة فرأينا عمر بن ابى ربيعة قد نسك وترك الغزل وقول الشعر فقال بعضنا لبعض هل لكم فيه فلنا اليه فسلمنا عليه وجلسنا وهو ساكت لا يكلمنا فقال له بعضنا أيعجبك قول الفزارى يا أبا الخطاب

سرت لعينك سعدى بعد مغفاها * فبت مستهيا من بعد مسراها

حتى أتى على آخر الابيات فلم يهش لذلك فقال آخر أيعجبك قول العذرى

لو جز بالسيف رأسى فى مودتها * لمر يهوى سريعا نحوها راسى
ولو بلى تحت أطباق الثرى جسدى * لكنت أبلى وما قلبى لكم ناسى
أو يقبض الله روحى صار ذكركمو * روحا أعيش به ما دمت فى الناس

فتحرك وقال ويحه أبعد ما يجز رأسه يميل اليها ثم انثنى يحدثنا

(وفك المعمى)

عمى الامر اذا التبس وعميت معنى البيت من الشعر اذا أخفيته ومنه المعمى اللغز والمراد ههنا حروف يصطلح عليها الكاتب مع نفسه ويكاتب بها ويسمى الآن المترجم ولها طرائق مذكورة تعين على استخراجها وأول من وضعها الخليل واضع العروض ولا بأس بايراد نبذة من أخباره وفوائده وكذلك أفعل عند كل بيت أو لفظة يمثل بها ابن زيدون فى هذه الرسالة فما أحفظه من ألفاظ المتقدمين فانى أذكر قائلها وشيئا من نوادره اذ لا بد فى ذلك من فائدة ونكتة والكلام عليها أولى من الكف عنها * والخليل هو أحمد بن عمر الفراهيدى الازدى ويكنى أبا عبد الرحمن ولد بالبصرة سنة مائة ونشأ بها واشتغل بالعلوم وصنف الكتب الكثيرة مثل كتاب العين ولم يتمه وكتاب النقط والشكل وكتاب النغم وكتاب الشواهد وأجودها العروض وهو أول من وضعه فجاء من عجائب المخترعات كالشطرنج وشبهه ثم تبعه فيه الناس واستخرج من بحر المتقارب بحر مخبون الاجزاء ويسمى الخبب ووصل الامر الى ابى نصر الجوهرى

*(حب السلامة يثني هم صاحبه * عن المعالي ويغري المرء بالكسل)*

(اللغة) الحب العشق وقد تقدم الكلام عليه في قوله يقتلن انضاء حب البيت السلامة الرفاهية والنجاة من الخوف يثني يعطف ويكف ثنيت الشئ عطفته وكففته وثنيته بالتشديد جعلته اثنين هم الهم العزم والارادة هممت بالشئ أهم هما وهو المراد هنا والهم أيضا الحزن المعالي تقدم الكلام عليها الاغراء أن تولع الانسان بشئ وتهيجه وتحثه عليه والقصيدة المغربية التي أولها

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا * ولا يسوغه المقدور ما وهبا

مشهورة لا فائدة في سردها المرء الرجل تقول هذا امرؤ ورأيت امرأ ومررت بامرئ وضم الميم لغة وهما مرآن ولا يجمع على لفظه وبعضهم يقول هذه مرأة صالحة ومرة بترك الهمزة وفتح الراء فان جئت بالف الوصل كان فيه ثلاث لغات فتح الراء على كل حال حكاه الفراء وضمها على كل حال واعرابها على كل حال تقول هذا امرؤ ورأيت امرأ ومررت بامرئ ولا جمع له من لفظه وهذه امرأة مفتوحة الراء على كل حال فان صغرت أسقطت ألف الوصل فقلت مرئ ومرئية الكسل التثاقل عن الامر وقد كسل بالكسر فهو كسلان وقوم كسالى وكسالى بالضم في الكاف والفتح وان شئت كسرت اللام كما في الصحاح وامرأة مكسال لا تكاد تخرج عن محلها وهذا مدح مثل نؤوم الضحى قال امرؤ القيس نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل وما سمع في الكسل أبلغ من قول القائل

دعوت الله يجمعني بسلمى * ويطرحها ويلقيني عليها
وأرزق من يحركني بلطف * وينزلني اذا أنزلت فيها
ويأتي بعد ذلك سحاب غيث * يطهرني ولا أسعى اليها

(الاعراب حب) مبتدا (السلامة) مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام لتعريف الحقيقة (يثني) فعل مضارع من ثنى يثني فهو ثلاثي وهو مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وعلامة الرفع ضمة مقدرة على الياء لانه معتل بالياء تقول هو يثني ولن يثني ولم يثن وهو في موضع رفع لانه خبر المبتدا (هم) منصوب على أنه مفعول يثني (صاحبه) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام والهاء في موضع جر بالاضافة وهي راجعة الى حب (عن المعالي) جار ومجرور وعن معناها التجاوز والجار والمجرور يتعلق بيثني (ويغري) الواو عطفت الفعل على الفعل يغري فعل مضارع مرفوع كما قلت في يثني وهو خبر ثان للمبتدا (المرء) منصوب على أنه مفعول والفاعل ضمير تحمله يغري وهو يرجع الى حب والالف واللام للجنس (بالكسل) الباء هنا للتعدية والجار والمجرور متعلق بيغري (المعنى) يقول لصاحبه حب السلامة يعطف عزم صاحبه عن اكتساب المعالي ويغري الانسان بالكسل كأنه لما عرض على صاحبه المرافقة الى الحي الذي وصفه وجده متثاقلا عن مرافقته غير قابل للتوجه معه الى ذلك الحي والمشاركة له في المشاق والاخطار فأخذ يعظه بمثل هذا الكلام هذا ان قلت ان الكلام لصاحبه وان قلت انه قد قطع الكلام عنه وأخذ يخاطب نفسه فهذا الذي يسميه أرباب البلاغة التجريد وهو أن يخاطب المتكلم غيره وهو يريد نفسه كأن الانسان يجرد من نفسه مخاطبا اقامة للمواجهة بالقول وأحسن ما جاء فيه قول الصمة بن عبد

فاوضحه اعني العروض واختصره أحسن اختصار واول ما خالفه فيه أن الخليل جعل الاحرف التي يوزن بها الشعر ثمانية اثنان خماسيان فعولن وفاعلن وستة سباعية متفاعلن فاعلاتن مستفعلن مفاعيلن مفعولات فنقص الجوهري منها جزء مفعولات وأقام الدليل على انه مفعول في مستفع لن مفروق الوتد لان مفعولات مركب من سببين خفيفين ووتد مفروق مؤخر وزعم أن مفعولات لو كان جزأ صحيحا لركب من مفرده بحر كما تركب من سائر الاجزاء يريد انه ليس في الاوزان وزن انفرد به مفعولات ولا يكرر في قسم منه ثم استخرج المعمى وهو أيضا أول من نظر فيه وذلك ان بعض اليونان كتب بلغتهم كتابا الى الخليل فخلا به شهرا حتى فهمه فقيل له في ذلك فقال علمت انه لابد وأن يفتتح باسم الله تعالى فبنيت على ذلك وقست وجعلته أصلا ففتحته ثم وضعت كتاب المعمى وكان الجاحظ يقول ليس المعمى بشئ قد كان كيسان مستملي أبي عبيدة يسمع خلاف ما يقال ويكتب خلاف ما يسمع ويقرأ خلاف ما يكتب وكان أعلم الناس باستخراج المعمى

الله القشيري من الحماسة

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا

الابيات ولعمري ان السلامة في الخمول خير من العطب في المعالي فما بقي الوصل بالصدود قال الشاعر

ان مدحت الخمول نبهت قوما * غفلا عنه سابقوني اليه

هو قد دلني على لذة العيش فمالي أدل غيري عليه

وقال أبو العلاء المعري

ولو جرت النباهة في طريق الخمول الى لاخترت الخمولا

قد رضي بالخمول جماعة من الرؤساء الاكابر المتقدمين في العلم والمنصب وفارقوا مناصبهم وأخلوا الدسوت من تصديرهم منهم مجد الدين أبو السعادات المبارك ابن الاثير صاحب جامع الاصول والنهاية في غريب الحديث وغيرهما فانه اتصل بعد خدم كثيرة بخدمة عز الدين بن مودود صاحب الموصل وتولى ديوان رسائله الى أن مات ثم خدم نور الدين ارسلان شاه وحظي عنده وتوفرت حرمته لديه فلم يزل الى أن عرض له مرض كف يديه ورجليه فمنعه من الكتابة مطلقا فانقطع في منزله وكان الاكابر يغشونه ويترددون اليه فحضر اليه من التزم بعلاجه وافاقه من مرضه فلما طبه وقارب البرء وأشرف على الصحة دفع اليه ذهبا وقال امض الى سبيلك فلاموه على ذلك فقال لخواصه متى عوفيت طلبت وألزمت بالخدمة وذا أحب الى فاني توفرت على نفسي ومطالعة ما أختاره من العلم وأنا مرعي الجانب عندهم لا أشاركهم في سلطانهم ولا أدخل معهم فيما يغضب الله ويرضيهم والرزق لا بد منه فأختار العطلة مع عطلة جسمه على المنصب وفي هذه الحالة جمع جامع الاصول وغيره وابن طلحة كان وزير الملك الناصر الصغير وله عمل كتاب العقد وهو كتاب مفيد وله الدائرة المعروفة به بين أرباب هذا الشان ترك منصب الوزارة وخرج فقيرا وهذا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال لمعاوية ان علي دينا فأوفوه عني وأنتم في حل من الخلافة فأوفوا دينه وترك لهم الخلافة وقد فعل ذلك جماعة من الاعيان وقال بعض العارفين آخر ما ينزع الله من رؤس الصديقين حب الرياسة وقال أبو اسحق ابراهيم الغزي

المجد سهل والطريق اليه بالاجماع وعر

وقال ابن وكيع

لقد رضيت همتي بالخمول * ولم ترض بالرتب العاليه

وما جهلت طيب طعم العلى * ولكنها تطلب العافيه

وقال آخر

بقدر الصعود يكون الهبوط * فاياك والرتب العاليه

وكن في مكان اذا ما وقعت * تقوم ورجلاك في عافيه

وهذا يشبه قول ابن رشيق

تنازعني النفس أعلى الامور * وليس من العجز لا أنشط

ولكن بمقدار قرب المكان * تكون سلامة من يسقط

وكان النظام على قدرته على أصناف العلوم لا يقدر على استخراج أخف ما يكون من المعمى وللجاحظ تحامل على مصنفات الخليل ليس هذا موضع ذكره ثم استخرج الخليل أيضا اتفاق الحروف مع النجم فقال عدد الحروف العربية عدد منازل القمر ثمانية وعشرون وغاية ما يبلغ الكلام اليه مع الزيادة سبعة على عدد النجوم السبعة وصور الزوائد اثنا عشر على عدد البروج وأربعة عشر تدغم مع لام التعريف مثل منازل القمر التي يسيرها تحت الارض وأربعة عشر فوقها ثم وضع في الشطرنج جملين في طرفي الرقعة اصب بهما زمانا ثم تركت ثم أراد ان يخترع شيأ في الحساب فقال أريد أن أقرر نوعا من الحساب تمضي الجارية بدرهم الى البياع فلا يمكنه ظلمها فدخل المسجد وهو يعمل فكره في ذلك فصدمته سارية وهو غافل عنها الفكره فانقلب على ظهره فكان سبب موته ومات سنة ستين ومائة وكان من العقلاء الزهاد واجتمع هو وابن المقفع يتحدثان الى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيت ابن المقفع قال رأيت رجلا علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف

وقال الأرجاني

أنا صائن عرضي وان صفرت يدي * كم من أغر ولا يكون محجلا
أناعـــلى غض الزمان لمعشر * من دون ماء وجوههنا ماء الطلا

وقال شهاب الدين بن مسعود السنبلي

لذ خمولي وخلامره * اذ صانني عن كل مخلوق
نفسي معشوقي ولي غيرة * تمنعني عن بذل معشوقي

وعلى الجملة فالزهد أمر تمسك العقلا بعروته الوثقى ولهذا أفتى الفقهاء بأنه لو أوصى بثلث ماله لأعقل الناس انصرف الى الزهاد والسلامة كنز مفتاحه الزهد وكل ماتراه عينك رهن الزوال ومقدمات نتيجتها العدم ولله در ابن الشبلي البغدادي اذ يقول

صحة المرء للسقام طريق * وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نقتدي نموت ونحيا * أقتل الداء للنفوس الدواء
مالقينا من غدر دنيا فلا كا * نت ولا كان أخذها والعطاء
صلف تحت راعد وسراب * كرعت منه مومس خرقاء
راجع جودها عليها فهما * يهب الصبح يسترد المساء
ليت شعري حلما تمر به الأيـ * ـام أم ليس تعقل الأشياء
من فساد يكون في عالم الكو * ن فما للنفوس منه اتقاء
وقليلا ماتصحب المهجة الجسـ * ـم ففيم الشقا وفيم العناء
قبح الله لذة لشقانا * نالها الامهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقـ * ـد فايجادنا علينا بلاء

وهي طويلة وقال الآخر

هذه الدنيا وهذا شأنها * أتعب الناس بها أعوانها
وذوو الأحلام قالوا انها * حلم يفضي بها يقظانها

وما أحسن قوله وذوو الأحلام ههنا ويقال ان الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى أرسل اليه بعض الخلفاء فأتاه الرسول وهو يبل كسرة بماء ويأكل منها فقال له أجب أمير المؤمنين فقال مالي اليه حاجة فقال انه يغنيك قال مادمت أجد هذين فاني لا أحتاج اليه وقال تلميذه النضر بن شميل أقام الخليل في خص من خصاص البصرة لا يقدر على فلسين وأصحابه يكتسبون بعلمه الاموال وأخبار الزهاد في اعراضهم عن الدنيا مشهورة وهذا الذي تقدم كله يخالف مراد الطغرائي في البيت فان رأيه السعي والكد والجد والكدح والانتصاب لتلقي الأهوال في تحصيل المعالي والترقي الى منازل العز وكسب المجد بالحركة والنقلة والاقدام على ركوب الاخطار لنيل الاماني وبلوغ الاوطار وقال بعضهم

فما قضى حاجته طالب * فؤاده يخفق من رعبه
وغاية المفرط في سلمه * كغاية المفرط في حربه

ومن الكلام النوابغ صعود الآكام وهبوط الغيطان خير من القعود بين الحيطان وقال بعض الشعراء

رأيت الخليل قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه فكان كذلك أدى الخليل عقله الى أن مات زاهدا وابن المقفع الى أن مات قتيلا بسبب كتاب كتبه وحكي أن سليمان بن المهلب بعث اليه يوما بألف دينار ليتجهز بها ويأتيه الى الاهواز فدخل عليه الرسول وهو يبل كسرة يابسة ويأكلها فرد الالف دينار وقال للرسول مادمت أجد هذه فلا حاجة لي الى سليمان وقرأ عليه شخص كتاب العروض مدة فلم يفهم منه شيأ وأتعبه فقال له الخليل يوما قطع هذا البيت

اذا لم تستطع شيأ فدعه * وجاوزه الى ماتستطيع

ففهم الرجل التعريض ولم يعد * ودخل يوما الى مريض يعوده فقال أخو المريض أفتح عينك فان أبا عبد الرحمن حضر فقال الخليل ماداء أخيك الا من كلامك وكتب اليه بعض الثقلاء معمى يحله فاذا هو بيت من الشعر يقول فيه

أنا ان لم آلك أهوا * ك فرأسي في حرامي

فكتب الخليل تحته وان هويت أيضا * ومن كلامه الزاهد من لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود وقال من

أماترى بني على شأن العلاء لأشباه العناجو ولا دائم النصب
فما استوى شرف الاعلى كلف * ولا صفا ذهب الاعلى لهب

وقال ابن نباتة السعدى

لحى الله ملا ٓن الفؤاد من المنى * اذا أمكنته فرصة لا يشمر
يلاحظها حتى يفوت طلابها * ويصبح فى ادبارها يتدبر

وقال أيضا

ومن طلب النجوم أطال صبرا * على بعد المسافة والمنال
وتتم رحاجة المحتاج نجحا * اذا ما كان فيها ذا احتيال

ومما ينسب الى على بن أبى طالب رضى الله عنه

كد كد العبد ان آ * ثرت أن تصبح حرا
لا تقل ذا مكسب يز * رى سؤال الناس أزرى

وقد ظرف السراج الوراق فى قوله

دع الهوينا وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة فى معزل * فالصفع موجود مع الراحة

وما أحسن ما استخدم الراحة هنا فى معنييها الاوّل الراحة من الاستراحة والثانى الراحة من اليد وكذا فعل أبو الحسين الجزار فى قول أبى نواس لما ضمنه فى ما قاله يوم نيروز وكتبه الى بعض أصحابه

كتبت بها فى يوم لهو وهامتى * تمارس من ابطاله ما تمارس
وعندى رجال للمجون ترجلت * عمائمهم عن هامهم والطيالس
فللراح ما زرت عليه جيوبها * وللماء مادارت عليه القلانس
مساحب من جر الرفاق على القفا * وأضغاث انطاع جنى ويابس

فانظر الى هذا الرجل كيف تلاعب بالكلام ونقل المعنى بحسن التوطئة له من وصف الكأس المصوّرة فى الابيات السينية المشهورة حتى كأن هذا البيت لم يقله أبو نواس الافى وصف الصفاع يوم النيروز فنقل الراح من اسم الخمر الى جمع راحة وهى اليد وقد ذكرت لهذا نظائر فى كتابى المسمى بفض الختام (عن التورية والاستخدام فمن أراد الوقوف على ماينز عطفه ويخلب لبه فليقف عليه هنالك ومن هذا النوع ما كتبته على مجلد قديم مضمنا

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد فى دهره بمخلد
اذا عاينت كتبى الجديدة حاله * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

فنقلته من التجلد الى التخليد وقلت مضمنا

قل للرقيب يسترح من رصدى * ما أصبح المعشوق عندى مشتهى
وارتد قلبى عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

نقلت الحد من الغاية فى الأصل الى حد السيف وانتهى من النهاية والكمال الى الانتهاء والارعواء

*(فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * فى الارض أو سلما فى الجو فاعتزل)*

استعمل الحزم فى وقت الاستغناء عنه غنى عن الاحتيال فى وقت الحاجة اليه وقال بحسب امرئ من الشر أن يرضى من نفسه فسادا لا يصلحه ومن علم بفساد نفسه علم بصلاحها وأقبح التحول أن يتحوّل المرء من ذنب الى غير توبة منه وقال من الابواب ما لو شئنا شرحناه حتى يستوى فى علم القوى والضعيف كفعلنا ولكنا نحب أن يكون للعالم مؤنة * ومن محاسن شعره ما أورده أبو حيان التوحيدى

زر وادى القصر نعم القصر والوادى
لا بد من زورة من غير ميعاد
زره فليس له شبه يماثله
من منزل حاضر ان شئت أو باد
تلقى سفائنه والعيس سائرة
والنون والضب والملاح والحاد

ومنه ما قاله فى سليمان بن المهلب

ان الذى شق فى ضامن
للرزق حتى يتوفانى
أحرمتنى خيرا قليلا فما
زادك فى مالك حرمانى

وقال فيه وقد قطع عنه برا بازلة يكثر الشيطان ان ذكرت
منها التعجب جاءت من سليمانا

(اللغة) جنح يجنح جنوحا بفتح النون ويجنح بكسرها أيضا اذا أمال واجتنح مثله وأجنحه غيره
نفقا النفق سرب في الأرض له مخلص الى مكان وفي المثل ضل دريص نفقه أي جحره والنفقة
احدى جحرة اليربوع يكتمها ويظهر غيرها وهو موضع يرققه فاذا أتى من قبل القاصعاء
ضرب النافقاء برأسه فانتفق أي خرج والجمع النوافق السلم الذي يرتقي عليه وجمعه سلاليم والجو
ما بين السماء والارض فاعتزل اطلب العزلة اعتزله وتعزله بمعنى والمعتزلة طائفة من
المسلمين يرون أن أفعال الخير من الله تعالى وأفعال الشر من الانسان وأن الله تعالى
يجب عليه رعاية الأصلح للعباد وأن القرآن مخلوق محدث وليس بقديم وأن الله تعالى
غير مرئي يوم القيامة وأن المؤمن اذا ارتكب ذنبا مثل الزنا وشرب الخمر كان في منزلة بين منزلتين
يعنون بذلك انه ليس بمؤمن ولا كافر وأن اعجاز القرآن في الصرفة عنه لا أنه في نفسه معجز
ولو لم يصرف الله العرب عن معارضته لأتوا بما يعارضه وأن المعدوم شئ وأن الحسن
والقبيح يثبتان بالعقل وأن الله تعالى حي بذاته عالم بذاته قادر بذاته لا بحياة ولا علم ولا
قدرة وأن من دخل النار لم يخرج منها وانما سموا معتزلة لان واصل بن عطاء كان يجلس الى
الحسن البصري رضي الله تعالى عنه فلما ظهر الخلاف وقالت الخوارج بكفر مرتكبي
الكبائر وقالت الجماعة بأنهم مؤمنون وان فسقوا بالكبائر خرج واصل بن عطاء عن
الفريقين وقال ان الفاسق من هذه الامة لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين منزلتين فطرده
الحسن عن مجلسه فاعتزل عنه وجلس اليه عمرو بن عبيد فقيل لهما ولأتباعهما معتزلة وهم
يسمون أنفسهم أهل العدل والتوحيد ويسمون الاشاعرة مجبرة وليس الامر كما ادعوه لان
الاشاعرة لا يعتقدون الجبر بل يقولون ما قاله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الامر بين أمرين
لا جبر ولا تفويض وانما الاشاعرة يبحثون مع المعتزلة في خلق الافعال الى أن يلتزموا بالجبر
فاذا ثبت الجبر نقلوا البحث مع المجبر من الجبر الى مذهب الاشاعرة وهو أن للعبد مشيئة ما
وكسبا ما وذلك أن الاشعري يقول للمعتزلي أنت توافق على انه اذا حصلت القدرة والداعي
تعين وجود الفعل وأنا أقول ان القدرة هي سلامة الاعضاء والداعي ان كان من الانسان
احتاج الى داع آخر يبعثه ويحركه فاما أن يدور أو يتسلسل وكلاهما محال فبطل القول
بأن الداعي من العبد فلم يبق الا أن الداعي أمر يوقعه الله في نفس العبد يبعثه على وجود
الفعل مع سلامة الاعضاء فيتعين بهما ايجاد الفعل وايقاعه فيضطر المعتزلي الى الاعتراف
بذلك اذ لا محيد له عنه حتى قال أبو الحسين البصري منهم لولا مسئلة الداعي والقدرة تم
دست الاعتزال فاذا تقرر أن سلامة الاعضاء من الله تعالى والداعي من الله تعالى كان الفعل
كله مخلوقا لله تعالى وهذا هو الاجبار ويحتاج الاشعري من هنا أن يبحث مع المجبر على
أن الاجبار ليس بصحيح فيقول ان الاجبار هو مثل حركة المرتعش الذي لا يجد محيصا ولا
محيدا من حركة يده كالسعفة في الريح أو الريش الطائر على وجه النهر فهذا هو الجبر في
الحركة وأما الانسان فقادر على مد يده الى الكأس أو الى السبحة وعلى أن تكون
الحركة الى المسجد أو الى اخافة السبيل والحانة فلكون العبد متمكنا من نفسه في كل حركة
علم أنه غير مجبر وله مشيئة ما في الفعل وكسب ما وعلى تلك الدقيقة حسن الثواب
والعقاب وخلصنا من شناع المعتزلي في انه اذا كان الفعل مخلوقا لله تعالى ففيم العقاب والثواب

لا تعجبن لرفد زل من يده
فالكوكب النحس يسقي
الارض أحيانا

وقال أيضا

أبلغ سليمان أني عنه في سعة
وفي غنى غير أني لست ذا مال
شحا بنفسي اني لا أرى أحدا
يموت هزلا ولا يبقى على حال

وقال نظرت في علم النجوم
فهجت منه على ما لزمني تركه
فقلت منشدا اذ ذاك

بلغا عني المنجم أني
كافر بالذي قضته الكواكب
عالم أن ما يكون وما كا
ن قضاء من المهيمن واجب

(وفصل بين الاسم والمسمى)
الاسم ما يعرف به ذات الاصل
وأصله من السمو وهو الذي
ذكر به المعرف ويقال
اسم وسم وسما واختلف في
تقدير أصله والمسمى هو
المعنى الذي وضع له الاسم
وللقدماء مباحث طويلة في
معنى الاسم والمسمى فمنها
قول بعضهم وعليه الجمهور
الاسم غير المسمى وهو الذي
يراد به التسمية كقولك
للرجل عرفني ما اسمك
لست تسأله أن يعلمك بذاته
وانما تلتمس منه العبارة المعبر
بها عنه واستشهد بقوله تعالى
ولله الاسماء الحسنى وقوله
صلى الله عليه وسلم ان لله
تسعة وتسعين اسما من
أحصاها دخل الجنة ولو كان

والذم والمدح ومع ذلك فلابد لمشيئة العبد أن تقارن مشيئة الله تعالى قال الله تعالى وما تشاؤون الا أن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما فأثبت الله تعالى للعبد مشيئة ولهذا قال الامام الشافعي

ماشئت كان وان لم أشأ * وماشئت ان لم تشأ لم يكن
خلقت العباد لما قد علمت * ففي العلم يجزى الفتى والمسن
فمنهم شقي ومنهم سعيد * ومنهم قبيح ومنهم حسن
على ذا مننت وهذا خذلت * وهذا أعنت وذا لم تعن

وبلغني أن الامام فخر الدين شرح هذه الابيات في مجلدة ولم أرها الى الآن وهذه المسئلة من أعظم مسائلهم قال الامام فخر الدين اذا ناظرت المعتزلي في خلق الافعال فلا تنس مسئلة الداعي والقدرة ولم يزل مذهب الاعتزال يبدو شيأ فشيأ الى أيام الرشيد وظهور بشر المريسي واحضار الشافعي مكبلا في الحديد وسؤال بشر له بقوله ماتقول ياقرشي في القرآن فقال اياى تعني قال نعم قال مخلوق فخلي عنه وواقعته بين يدي الرشيد مشهورة ولما أحس الشافعي رضي الله عنه بالشر وأن الفتنة ستشتد في اظهار القول بخلق القرآن هرب من بغداد الى مصر ولم يقل الرشيد رحمه الله تعالى بخلق القرآن وكان الامر بين الاخذ والترك الى أن ولي المامون فقال بخلق القرآن وبقي يقدم رجلا ويؤخر أخرى في دعوة الناس الى ذلك الى أن قوى عزمه في السنة التي مات فيها وطلب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه فأخبر في الطريق أنه توفي فبقي أحمد رضي الله عنه محبوسا بالرقة حتى بويع المعتصم فأحضر الى بغداد وعقد له مجلس المناظرة وفيه عبد الرحمن بن اسحق والقاضي أحمد بن أبي دؤاد وغيرهما فناظروه ثلاثة أيام فذكر بعضهم قوله تعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث وقال أفيكون غير مخلوق فقال أحمد قال الله تعالى ص والقرآن ذي الذكر فالذكر هو القرآن وتلك ليس فيها ألف ولام وذكر بعضهم حديث عمران بن حصين ان الله خلق الذكر فقال هذا خطأ حدثنا غير واحد أن الله كتب الذكر وذكر بعضهم حديث ابن مسعود ما خلق الله من جنة ولا نار ولا سماء ولا أرض أعظم من آية الكرسي فقال انما وقع الخلق على الجنة والنار والسماء والارض ولم يقع على القرآن ولم يزل في جدالهم الى بعد ثلاثة أيام فأمر به فضرب بالسياط الى أن أغمي عليه ونخسه عجيب بالسيف ورمي على الارض وديس عليه وهو مغشي عليه ثم حمل الى منزله ولم يقل بخلق القرآن وكان مدة مكثه في السجن ثمانية وعشرين شهرا ولم يزل يحضر الجمعة بعد ذلك والجماعة ويفتي ويحدث حتى مات المعتصم وولي الواثق فأظهر ما أظهر من المحنة وقال لاحمد بن حنبل لاتجمعن اليك أحدا ولاتساكني في بلد أنا فيه فاختفى الامام أحمد وصار لايخرج الى صلاة ولاغيرها حتى مات الواثق وولي المتوكل فأحضره وأكرمه وأطلق له مالا فلم يقبله وفرقه وأجرى على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف درهم ولم تزل عليهم جارية الى أن مات المتوكل وفي أيام المتوكل ظهرت السنة وكتب الى الآفاق برفع المحنة واظهار السنة وبسط أهلها ونصرهم وتكلم في مجلسه بالسنة فلم يزالوا أعني المعتزلة في قوة ونماء الى أيام المتوكل فخمدوا ولم يكن في هذه الملة الاسلامية أهل بدعة أكثر منهم والمعتزلة جنس يطلق على فرق منهم الواصلية والهذلية والنظامية والحائطية والمعمرية والمزدارية والثمامية

الاسم ههنا هو المسمى لكان الله تعالى تسعة وتسعين شيأ وهذا كفر وقول عائشة رضي الله تعالى عنها والله يارسول الله ما أهجر الا اسمك وقال آخرون الاسم هو المسمى لابمعنى أن العبارة عين المعبر عنه وأن اللفظ هو الشخص فان ذلك محال ولكن الاسم هو المسمى على معان ثلاثة الاول انما وضعت الاسماء ليتصور بها المسميات في نفوس السامعين وتقوم عند الغيبة مقامها والشاهد دونها فلما ناب الاسم من هذا مناب المسمى في التصوير جاز أن يقال ان الاسم هو المسمى الثاني أن أكثر مايتبين في الاسماء التي تشتق للمسمى من معان موجودة فيه قائمة به كقولنا لمن وجدت فيه الحياة حي فالاسم من هذا النوع لازم للمسمى يرتفع بارتفاعه ويوجد بوجوده ألا ترى أن الحياة اذا بطل وجودها من الجسم بطل أن يقال له حي واذا بطل أن يقال له حي بطل أن يكون به حياة فيجوز من هذا أن يقال ان الاسم عين المسمى يوجد بوجوده ويرتفع بارتفاعه الثالث ان العرب قد تذهب بالاسم الى المعنى الواقع تحت التسمية فتقول هذا مسمى زيد اى هذا المسمى

والهشامية والجاحظية والبشرية والخاطية والجبائية وهم البهشمية ومن مشاهيرهم الفضلاء الأعيان الجاحظ وأبو الهذيل العلاف وابراهيم النظام وواصل بن عطاء وأحمد ابن حائط و بشر بن المعتمر ومعمر بن عباد السلمي وأبو موسى عيسى الملقب بالمزدار ويلقب براهب المعتزلة وثمامة بن أشرس وهشام بن عمر الفوطي وأبو الحسين بن أبي عمرو الخياط أستاذ الكعبي وأبو علي الجبائي أستاذ الشيخ أبي الحسن الأشعري أولا وابنه أبو هاشم عبد السلام وهؤلاء رؤساء مذهب الاعتزال وهم أساطين هذه البدع واليهم تنسب هذه الفرق وبينهم خلاف في مسائل معروفة بين أصحاب الكلام ومن فضلاء المعتزلة أبو الحسن البصري والكعبي والقاضي عبد الجبار والرماني النحوي وأبو علي الفارسي وأقضى القضاة الماوردي الشافعي وهذا غريب فان الغالب في الشافعية أشاعرة والغالب في الحنفية معتزلة والغالب في المالكية قدرية والغالب في الحنابلة حشوية ومن المعتزلة الصاحب بن عباد والزمخشري صاحب الكشاف والفراء النحوي والسيرافي وما أظرف قول ابن سناء الملك

رب علق قال لي عاتبا * يا هاجري ظلما ولم أهجر

معتزلي صرت فقلت أتئد * واعتب على مبعرك الأشعر (ى)

ولغيره

قلت وقد لج في معاتبتي * وظن أن الملال من قبلي

حسنك مازال شافعي أبدا * يا مالكي كيف صرت معتزلي

خدك ذا الاشعري حنفني * وكان من أحمد المذاهب لي

(الاعراب فان) ان حرف شرط اذا دخلت في الكلام اقتضت جملتين تسمى الاولى شرطا والثانية جزاء وجوابا أيضا وحق الجملتين أن تكونا فعليتين ويجب ذلك في الشرط دون الجزاء لان الجزاء قد يكون جملة فعلية وقد يكون اسمية واذا كان الشرط والجزاء فعلين جاز أن يكون فعلاهما مضارعين وهو الأصل وان يكونا ماضيين لفظا وان يكون الشرط ماضيا (والجواب) مضارعا وبالعكس فالمضارعان نحو وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله والماضيان نحو وان عدتم عدنا والماضي والمضارع نحو من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم أعمالهم فيها والمضارع والماضي نحو قول الشاعر

ان تصرمونا وصلناكم وان تصلوا * ملأتم انفس الاعداء ارهابا

قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك وأكثر النحاة يخصون هذا النوع بالضرورة وليس بصحيح بدليل ما رواه البخاري من قوله صلى الله عليه وسلم من يقم ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وقول عائشة رضي الله عنها ان أبا بكر رجل أسيف متى يقم مقامك رق انتهى وانما اقتضت الجزم في عملها لانها دخلت على جملتين فطول ما اقتضته ناسب أن يكون جزما لانه أقل من الحركات فناسب الاختصار لمقابل الطول *(فائدة) نص النحاة والاصوليون على أن ان لا يعلق عليها الا مشكوك فيه فلا تقول ان غربت الشمس آتك بل اذا غربت آتك وان اذا يعلق عليها المشكوك والمعلوم وقد جاء في القرآن الكريم عدة مواضع كقوله تعالى ان كنتم اياه تعبدون وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا والشك على الله تعالى محال والجواب أن الخصائص الالهية لا تدخل في أوضاع العربية بل هي مبنية

بهذه اللفظة التي هي الزاي والياء والدال و يقولون في هذا المعنى هذا اسم زيد وهو باب ظريف من كلام العرب يحتاج الى فضل نظر ويجيء في كلامهم على ضربين الاول ما صرح فيه بلفظ الاسم حتى بان لمتأمله مثل قول ذي الرمة يصف بذلك خشفا

ما يرفع الطرف الا ما تخونه داع يناديه باسم الماء مبغوم

يعني ان هذا الخشف لا ينتبه من النعاس الا اذا تفقدته امه للرضاع فصاحت به ماء ماء وكان ابو عبيدة يذهب في تأويل هذا اللفظ الى أن الاسم زائد والتقدير يناديه بالماء وابو علي الفارسي يحمله على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه فالتقدير يناديه باسم معنى والثاني ما لم يصرح فيه بذكر معنى الاسم الا انه موجود من طريق المعنى مثل قولهم كتبت اسم زيد فليس المراد انه كتب هذه الاحرف وانما يريد انه كتب اسم المسمى الواقع تحتها وقال قوم يكون الشيء الواحد مسمى من جهة وتسمية من أخرى فان قولنا اسم لفظة تحوي الجنس والنوع لانه يوقع تحتها الالفاظ التي يعبر بها عن المعاني الكجوهر وعرض ورجل

على خصائص الخالق وهـذا منزل منزلة كلامهـم فيما بينهـم كأنه قيـل ان العادة بين الناس الشـك فى أمر الاله والرسول والمعاد وليس ذلك مما وقع القطـع به فى الذهن الا بعـد النظـر وقيام الادلة فلهـذا ورد القرآن العظيم عـلى العادة فيما بينهـم لانه خطاب لهم وعكس هذا الايراد قولنا ان كان الواحد نصف العشرة فالعشرة اثنان وهـذا مما لا شـك فيـه والتعليق جائز ولا يرده راد فقـد علق على أمر قطعى والجواب ان هـذه أمور مفروضـة فى الذهن دون غـيره والفروض والتقديرات يحتمل أن تقع وأن لا تقع فصار هـذا من قبيل المشكوك فيه فلهـذا حسن تعليقه بان وذكرت بالتعليق هنا ما حـدث به قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة بدمشق فى ذى الحجة سـنة ثلاث وتسعين وستمـائة من أنه وقع ببغـداد فتيا صورتها فى رجل قال لزوجتـه ان ثم وقف عنـدان فانت طالق فقـرأها جميع من أفـتى فيهـا ان تم وقف عبـدان وكتبوا تحتهـا ان تم وقف الشخص المـذكـور طلقت فلما وقف القـاضى ابن البيضاوى عليها علم أن التصحيف قد وقع على المفتـين فيها وأن بعضهم قلد البعض فى قراءتها فقال الصحيح انها فى رجل قال لزوجتـه ان ثم وقف عندان ثم انه كشف عن ذلك من صـاحب المسئلة فوجد كما قال ابن البيضاوى رحمه الله وأما المسـئلة السريجية المنسوبة الى ابن سريج رحمه الله فى الطلاق فهـى اذا قال الرجل لزوجته ان طلقتك فأنت طالق قبله ثلاثا فطلقها وقع المنجز على الراجح ولا يقع معه المعلق للدور لانه لو وقع المعلق وهو الطلاق الثـلاث لم يقع المنجز لانه زائد على عدد الطلاق واذا لم يقع المنجز لم يقع المعلق فأدى وقوعه الى عدم وقوعه وقيـل لا يقع شئ لان وقوع المنجز يقتضى وقوع المعلق ووقوع المعلق يقتضى عدم وقوع المنجز وجرى عليه كثير لـكن الاول هو الصحيح وقال بعضهم لا يجوز فى ذلك التقليـد لمـا قيـل من أن ابن سريج برئ مما نسب اليه فيها (رجع جنحت) فعل ماض ومعناه الاستقبال وهو فى موضع جزم بالشرط والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (اليه) جار ومجرور وقد تقدم الـكلام على الجى فى شرح قوله فسر بنا فى ذمام الليـل البيت (فاتخذ) الفاء جواب الشرط اتخذ فعل أمر والفاعل مسـتتر فيه تقديره أنت * قاعدة جميـع أفعال الامر فاعلها يجب استتاره فيها ولا وجه لابرازه الا ان قصد التوكيد أو العطف على الفاعل كقوله تعالى اسكن أنت وزوجك الجنة وعلى هـذا فيرد على الشيخ جمال الدين بن الحاجب ومن تابعـه فى قولهم الـكلمة لفظ وضع لمعنى مفرد فان ضمير الفاعـل المسـتتر فى الامر كلمة باجماع النحاة ولم يتلفظ به وأجيب بأن المراد باللفظ ما كان بالقوة أو بالفـعل فالضمائر المستترة فى الاوامر كلها لفظ بالقوة أى فى قوة المنطوق به ولهذا قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك فى التسهيل الـكلمة لفظ مستقل دال بالوضع تحقيقا أو تقديرا أو منوى معـه كذلك وقال ولده محمـد بدر الدين الـكلمة لفظ بالقوة أو الفعـل مسـتقل دال بجملتـه على معنى بالوضع (رجع نفقا) منصوب على انه مفعول به (فى الارض) جار ومجرور والالف واللام لتعريف الحقيقة (أو سلما) أو حرف عطف وتكون لمعان منها التخيير نحو خذ هذا أو ذاك والاباحة نحو جالس الحسن أو ابن سيرين والفرق بين التخيير والاباحة أن الاباحة لا تنافى الجمع والتخيير يأباه والتقسيم كقولك العدد زوج أو فرد والابهام كقولك أنت فى هدى أو ضـلال وشك المتكلم كقولك قام زيد أو عمرو والاضراب نحو قولك أنا أخرج ثم يبـدو لك فتقول أو أقيم وانشد الشيخ جمال الدين بن مالك على مجيئها للاضراب قول جرير

وفـرس وزيد وعمرو فـكل واحد من هذه الالفاظ يقال له اسم وهو تسمية لما تحته من معناه فيكون باضافتـه الى الاسم الذى فوقه مسمى ويكون باضافته الى المعنى الذى تحته تسمية واسما مثال ذلك قولنا زيد وانسان وحى فانك تجد الانسان الذى هو الواسطة بين زيد والحى مسمى اذا كان يقال على الحى واسما اذا كان يقال على زيد وتجد زيدا والانسان وان كان أحدهما مسمى والآخر اسما قـد تساويا فى انهما مسميان للحى اذا كان الحى يقال على كل واحـد منهما وتجـد الحى الذى هو اسم الانسان والانسان الذى هو مسمى قد تساويا فى انهـما اسمان لزيد وقد طال هـذا الفصل عن الغرض فى هذا الـكتاب وانما ذكرته لتعلق بعضه ببعض بعد حذف حشو كثير

(وصرف وقسم وعدل وقوم) لم أتحقق المعنى المراد بهاتين السجعتـين فسالت عنهما بعض علماء الاسـلام فقال الصرف نوع من المعاوضـة وهو ما كان العوضان فيه من النقدين أعنى الذهب والفضة وقوله وقسم كأنه يريد به تقسيم الاموال المشـتركة ووجـه مناسبة الصرف أن المال

ماذا ترى في عيال قد برمت بهم * لم أحص عدتهم الا بعداد
كانوا ثمانين أو زادوا ثمانية * لولا رجاؤك قد قتلت أولادي

(وحكى) الفراء اذهب الى زيد أو دع ذلك فلا تبرح اليوم وقد تجيء بمعنى الواو كقول امرئ القيس

فظل طهاة القوم ما بين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل

وقول الآخر

قوم اذا سمعوا الصريخ وجدتهم * ما بين ملجم مهره أو سافع

(مسئلة) قوله تعالى وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون ذهب كثير الى انها بمعنى الواو وقال قوم بل هي بمعنى بل لان الشك في كلام الله تعالى محال قال المبرد في كتاب الازمنة قول المتكلفين للتفسير بغير معرفة ان معنى أو يزيدون بل يزيدون يقال لهم بل للاضراب والاضراب اما للغلط أو للنسيان ولكن يجوز أن يكون ذلك النبي صلوات الله عليه افترض عليه ربه وألزمه الرسالة الى مائة ألف وأباحه ما بعد ذلك فيكون الى مائة ألف معدودين معلومين عنده لابد منهم أو يزيدون ان شاء ذلك النبي وهذا كلام بين صحيح ويجوز أن يكون أرسله الى عالم لم يقع عليهم عدد عاد الا الذي خلقهم فقال الى مائة ألف أو يزيدون عند كم هذا ملخص كلام المبرد وأو في البيت للتخيير وسلما منصوب على انه مفعول اتخذ (في الجو) في هنا للظرف والجو مجرور بفي والالف واللام لتعريف الحقيقة والجار والمجرور متعلق باتخذ (فاعتزل) الفاء للعطف وهي مرتبة واعتزل فعل أمر والامر مبني على السكون وانما حرك للضرورة في القافية على ما تقدم (المعنى) فان ملت الى حب السلامة فادخل في نفق في الارض أو اصعد في سلم في الجولان السلامة متعذرة عليك مادمت بين الناس ولا سبيل الى النزول في النفق ولا الى الصعود في سلم في الجو اذ لابد لك من الناس والسلامة منهم عزيزة وفي هذا تحريض على الحركة والسعي والاجتهاد في احراز المعالي لان السلامة ممتنعة فالاولى بالانسان الحركة والطلب وقد قال أبو العلاء المعري في وصف النوع الانساني بالاذى وانه لا يسلم من أذاه حيوان لجي ولا حيوان جوّي

أتعبتم السابح في لجـــة * ورعتم في الجو ذات الجناح
هذا وأنتم عرض للردى * فكيف لو خلدتم يا قباح

وطلب السلامة بالتحرز والتوقي ممنوع لان القضاء والقدر لا محيص عن وقوعه كما قال ابن الرومي فيما أظن

واذا خشيت من الامور مقدرا * وفررت منه فنحوه تتوجه

وأخذه أبو اسحق الغزي فقال

كل يفرّ من الردى ليفوته * وله الى ما فرّ منه مصير

وقال آخر

يوشك من فر من منيته * في بعض غراته يوافقها

ويحسن أن ينشد في هذه المادة قول جميل

أريد لأنسى ذكرها فكأنما * تمثل لي ليلى بكل سبيل

المشترك اذا كان ذهبا قليلا فقد يتعذر قسمه بالدنانير فيصرف بالدراهم ثم يقسم وقوله وعدل وقوم يريد به تعديل الاقسام وتقويمها فان المال المشترك اذا كانت أجزاؤه مختلفة في الصورة والقيمة كالدور والبساتين فاذا أريد قسمتها ولا بد فتعدل بالتقويم ثم تقسم مثلا اذا كان البستان بين ثلاثة بالسوية نقوم البستان في الاول ثم نعدل الاجزاء باعتبار ذلك فنجعل الثلاثة أجزاء متساوية ثم نقسم بالاقراع أو بتعيين الحاكم كل هذا داخل في أبواب الفقه وقد قيل ان مالكا أول من صنف فيه وقد تقدم ذكره

(وصنف الاسماء والافعال) (الاسماء والافعال) هنا ما اصطلح عليه النحويون في أقوالهم وقسموه في كتبهم الموجودة والاسم عندهم ما وقع على معنى غير مقرون بزمان ويعرف بدخول الجر عليه ويصلح فيه نفعني وضرني ويدخل عليه أيضا الالف واللام وهو أصل والفعل فرع عليه وقسمه بعض القدماء على ثلاثين قسما وهي معرب ومبني وظاهر ومكني ومعرفة ونكرة ومعين ومبهم وعربي وأعجمي وذكر وأنثى ومقصور

وقول أبي العتاهية ومن الاول أخذ

كأن بعيني في حيثما * نظرت من الارض تمثالها

وأخذه العباس بن الاحنف أيضا فقال

وما عرضت لي نظرة مذ عرفتها * فانظر الا مثلت حيث أنظر

وحكى أن كثيرا أتى الفرزدق فقال الفرزدق يا أبا صخر أنت أنسب العرب حيث تقول اريد لانسى ذكرها البيت فقال كثير وأنت أفخر العرب حيث تقول

ترى الناس ان سرنا يسيرون خلفنا * وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا

والبيتان لجميل وكان كثير سرق الاول والفرزدق سرق الثاني فقال له ما أشبه شعرك بشعري أو كانت أمك أتت الى البصرة فقال لا ولكن كان كثيرا ما يزورها أبي و ينزل في بني دارم الجواب لكثير وبيت الطغرائي يسميه أرباب البديع التلميح وبعضهم يسميه الاقتباس وهو نوع من التضمين ولكن التضمين هو أن يأتي لفظ الآية أو الحديث أو البيت كاملا وان لم يأت كاملا فهو الاقتباس والطغرائي اقتبس كلامه هنا من قوله تعالى وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء وما أحسن ما استعمل القاضي الفاضل النفق والسلم في قوله وكذلك فتوحات هذه الايام مفتاحها سيفها وسمة مهابتها فيلقها ودم الاعداء مدادها واعلام النصر ورقها ولا يعادي سيفها من الاعداء الاعنقها واذا سيقت الى أرض كادت الارض بالعجاج تسبقها وان ابتغت الاعداء نفقا في الارض أو سلما في السماء فالجزع سلمها والقبر نفقها انتهى

وما أحسن قول ابن سناء الملك من قصيدة

وكم قلعة فوق السماء أساسها * وعامرها أسلاف عاد وجرهم
رقى سلما للعزم أوصله لها * فقد نال أسباب السماء بسلم

واتفق لي استعمال السلم والنفق فقلت

كن في الخمول آمنا * واخش المعالي واتق
كم نافق في سلم * وسالم في نفق

و يعجبني قول ابن خفاجة الاندلسي

ولا تقف بطلول الكتب تسألها * فلست تحظى بغير الهم والحزن
وكن اذا التقت الارماح سافلة * فربما اندق صدر العامل اليزني

وقال ابن التعاويذي

وقالوا الغنى عرض للخطوب * فكيف تعرض للاعدم
وقالوا السلامة تحت الخمول * فمالي خملت ولم أسلم

ودخل القاضي المنازي على أبي العلاء المعري فأخذ أبو العلاء يشكو اليه طعن الناس فيه وثلبهم لعرضه وأذاهم له وقال يا قاضي أيفعلون بي هذا كله وقد تركت لهم دنياهم فقال القاضي المنازي والله واخراهم فقال يا قاضي و أنت تقول مثل هذا وجعل يكرر هذا القول

(ودع غمار العلى للمقدمين على * ركوبها واقتنع منهن بالبلل)

(اللغة) دع معناه اترك أوذر وقد جاء في كلام العرب فعلان لا ماضي لهما ولا مصدر ولا اسم

وممدود وعامل وغير عامل ومشتق وغير مشتق ومضارع وغير مضارع ومعتل وصحيح وزائد وناقص ومنصرف وغير منصرف ومفرد ومضاف ومدغم ومظهر وشرح ذلك موجود في كتبهم والفعل ما تصرف بالزمن كقولك ضرب و يضرب وقال السيرافي وهو محتمل للزوائد التي هي الياء والتاء والنون والالف وهو الحال قال التوحيدي وسمعت أبا حفص الاشعري يقول لا معنى للحال انما هو الماضي والمستقبل وتحصيل الحال محال وتوهم باطل لانك لا تفرغ من الماضي الا الى المستقبل ومتى فرضت بينهما واسطة كنت فيها واهما فقيل له ان الذي يوضح الحال أنك اذا أتيت بالسين في سيصلي لم يكن المعنى الا في الاستقبال فلولا أن الغرض قد كان كامنا في قولنا يصلي لم توضحه السين فكان الشبهة أن يصلي دال على الحال متضمن معنى الاستقبال حتى يقترن باللفظ ما ينصب دليلا على الغرض الواضح فكان يكابر عند هذا البيان و يقول لوصح هذا الصح قول الفلاسفة في الفصل بين الشيئين أي ما يكون مشتركا بين شيئين كأنه مركب من بدئهما فقيل

فاعل ولا اسم مفعول وانما استعمل منهما فعل الامر والمضارع خاصة وهما دع وذر فلا يقال ودعه الا ماجاء فى ضرورة الشعر كقوله

ليت شعرى عن خليلى ما الذى * غاله فى الحب حتى ودعه

وقرئ فى الشاذ ماودعك ربك وماقلى بتخفيف الدال ولا يقال وادع بل تارك وكذا ذر وما تصرف منه يقال ترك فهو تارك غمار يقال بحر غمر وبحار غمار والغمرة الشدة والزحمة فى الماء والناس والجمع غمار ودخلت فى غمار الناس بكسر الغين وضمها وفتحها العلى تقدم الكلام عليه فى شرح قوله أريد بسطة كف البيت المقدمين اسم فاعل من أقدم يقدم فهو مقدم وهم مقدمون والاقدام الشجاعة والدخول فى الاخطار من غير تروّ ولا فكر اقتنع افتعل أمر بالقناعة البلل النداوة اليسيرة وما أحسن قول أبى الطيب

الهجر أقتل لى مما أراقبه * أنا الغريق فما خوفى من البلل

وتضمين الآخر أحسن منه حيث قال

عاتبت فى نيكه ايرى وقلت له * يا ايرخف سلحه وادخل على مهل

فظل يوسعه رهزا وينشدنى * أنا الغريق فما خوفى من البلل

(الاعراب ودع) الواو للعطف عطفت هذا الامر على قوله فاعتزل ودع فعل أمر وقد تقدم الكلام عليه فى اللغة وذكرت هنا قوله تعالى أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قالوا ما الحكمة فى العدول عن أن يقول أتدعون بعلا وتدعون الى ما أتى به لفظ القرآن مع أن المعنى واحد فان يدع مثل يذر ويكون فى اللفظ زيادة الجناس وهو من أنواع البديع الذى هو احد أثافى البلاغة وأجيب بانه لو أتى على هذه الصفة لاحتمل التحريف فى اللفظ و يقال بالعكس أى أتدعون بعلا وتدعون أحسن الخالقين بتحريك الدال من الاول وسكونها من الثانى هذا الذى ذكروه قلت هذا الجواب ليس بشئ لان سياق الكلام وقرينة اللفظ والحال يمنعان من هذا الوهم ويبطلان هذا التحريف لانه انكار على من دعا الصنم وترك الله وقوله أحسن الخالقين قرينة توجه الانكار على دعاء الصنم وترك أحسن الخالقين والجواب أن لفظ القرآن الكريم أعذب فى السمع وأخف على اللسان فان تكرار الحروف على اللسان بالثقل والخفة أعقد و يحتاج الى احضار الذهن لئلا يقع التحريف وينطق بالاول كالثانى وعكسه فان قلت هذا يرد على باب الجناس كله وهو معدود من البديع قلت الجناس وان كان من أنواع البديع لكن بعض صوره مستثقل كقول ابن الفارض من قصيدة

أمالك عن صد أمالك عن صد * لظلمك ظلما منك ميل لعطفة

ومنها فرحن بحزن جازعات بعيدما * فرحن بحزن الجزع بى لشبيبتى

فانظر الى استثقال البيت الاول لما فيه من جناس التحريف فى صد وصد الاوّل من الصدود والثانى صدى أى عطشان وفى ظلم وظلم الاوّل الظلم بالفتح وهو الريق والثانى بالضم وهو الجور مع التقديم والتأخير الذى يحتاج الى اقليدس حتى يستخرج ترتيبه على خط مستقيم والتقدير فيه أمالك ميل لعطفة عن صد أمالك ظلما منك عن صد لظلمك فأمالك الاولى مركبة من همزة الاستفهام وما النافية ولام الجر وكاف الخطاب وأمالك الثانية مركبة من فعل ماض من الامالة وكاف الخطاب وأما البيت الثانى ففيه فرحن مرتين الاولى الفاء فاء العطف

له أيضا هذا كما قاله من خالفته وأنت فى ذلك أجهل من هرة فانها تمشى على حافة الجدار غير متمكنة من سمته وتربخ مع ذلك مكانا آخر للفضل الذى يلوح لها وهى لاتمسك نفسها ولا ترسلها فاذا ظنك يا أباحفص بشبهة تكشفها هرة * والافعال تنقسم أيضا الى أقسام كثيرة كالماضى والمضارع والامر والمتعدى الى واحد واثنين وثلاثة وغير المتعدى والتام والناقص وماسمى فاعله وما لم يسم فاعله وأفعال القلوب وغيرها * وأفعال المقاربة وأفعال التعجب وغيرها وأفعال المدح والذم وغيرها وأوّل من وضع علم النحو ابو الاسود الديلى واسمه ظالم ابن عمرو بن سفيان وكان من فقهاء البصرة وعلمائهم وفصحائهم وشيعة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وولاه البصرة وسبب وضعه لذلك انه دخل على ابنته بالبصرة فقالت له يا أبت ما أشد الحر فقال شهر اذار فقالت يا أبت انما أخبرتك ولم أسألك وكان مرادها التعجب فاتى أمير المؤمنين على ابن أبى طالب كرم الله وجهه فقال يا أمير المؤمنين ذهبت لغة العرب

وربحن فعل ماض من الرواح لجماعة الاناث والثانية فعل ماض من الفرح لجماعة الاناث أيضا والراء في الاولى مضمومة وفي الثانية مكسورة وفيه الحزن مرتين الاولى بضم الحاء ضدّ الفرح والثانية بفتح الحاء من الارض ضد السهل ولهذه الالفاظ التى عقدها عقد الميزان لأجل الجناس صار كلامه وحشيا من العوام بل من بعض الخواص الذين لم يتمهروا في الادب وقل ان تجد لديوانه نسخة صحيحة وأكثر ما يساعد الافاضل على تصحيح ألفاظه وزن الشعر كما في قوله صدّ وصد الاولى مشدّدة والثانية مخففة وكما في قوله

وإذا أذى ألم ألم بمهجتي * فشذا أعيشاب الحجاز دوائي

فانظر الى هذا لم يستقم الكلام الا بمراعاة الوزن فانه يضطر الواقف عليه الى أن يجعل الاوّل من الألم والثانى من الالمام ولهذا جناس العماد الكاتب في الشعر أخف منه في النثر لان الوزن يضع كل كلمة في مكانها ومن الجناس المستقل جناس التصحيف كقوله أيضا

وما احترت حتى اخترت حبيك مذهبا * فواحيرتى ان لم تكن فيك خيرتى

ومنها وجذ بسيف العزم سوف فان تجد * تجد نفسا فالنفس ان جدت جدت

فان في البيت الاوّل احترت من الحيرة واخترت الثانية من الاختيار وفي الثانى تجد الاول من الجود والثانية من الوجدان وهذه الاشياء لا يخفى على ذى الذوق السليم ما فيها من الاستثقال ولم أقل هذا الكلام جهلا بمقدار الشيخ شرف الدين بن الفارض رحمه الله وانه لم يكن من الفصحاء الا ترى قصائده التى أخلاها من الجناس مثل الميميتين والجيمية واللامية والمهموزة وغيرها فما أرقها وأحلاها والجناس اذا كثر في الكلام مل اللهم الا أن يكون سهل التركيب ليس على المتكلم فيه كلفة كما حكى عن بعض جوارى المعتمد بن عباد أنها قالت له وهما في سجن أغمات يا مولاى لقد هنا هنا فقال المعتمد

قالت لقد هنا هنا * مولاى أين جاهنا

قلت لها الهنا * صيرنا الى هنا

وكما حكى عن جارية من جوارى القاضى الفاضل انها قالت له وقد تعبت في بعض مرضاته والله يا سيدى ما لنا قدرة على مرضاتك في مرضاتك وكقول القائل

دهرنا أمسى ضنينا * باللقا حتى ضنينا

يا ليالى الوصل عودى * واجمعينا أجمعينا

وهما للشيخ زين الدين عمر بن الوردى أنشدنيهما لنفسه اجازة ومن خطه نقلت (رجع عمار) منصوب على أنه مفعول به (العلى) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام ولم يظهر فيه الجر لانه مقصور (للقدمين) جار ومجرور وعلامة الجر الياء لانه جمع مذكر سالم الصفة لعاقلين ومتى اجتمعت هذه الشروط أعرب بالواو في حالة الرفع وبالياء في حالتى النصب والجر وبنون مفتوحة في الاحوال الثلاث وضم ما قبل الواو في الرفع وكسر ما قبل الياء في النصب والجر الا أن يكون جمع مقصور مثل أعلى ومصطفى فان ما قبل حرف الاعراب يكون مفتوحا قال الله تعالى وأنتم الاعلون وقال تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وقد تكسر نون الجمع على لغة من قال

وماذا تبتغى الشعراء منى * وقد جاوزت حد الاربعين

لما خالطت الاعاجم وبوشك أن تضمحل وأخبره خبر ابنته فامره فاشترى صحفا فاملى عليه الكلام كله لا يخرج عن اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ثم قال له انح هذا النحو فسمى النحو ثم رسم رسوم النحو كلها وقيل كان سبب وضع النحو أن معاوية أرسل الى زياد يطلب ابنه فأدخل عليه فسمعه يلحن فارسل الى أبيه يلومه فارسل زياد الى أبى الاسود أن يضع في النحو شيأ وكان ابو الاسود من افصح الناس ويقول انى لأجد للحن غمرا كغمر اللحم فابى ابو الاسود وكره اجابة زياد فوجه زياد رجلا وقال له اقعد في طريق ابى الاسود فاذا مر بك فاقرا شيأ من القرآن وتعمد اللحن فقعد فلما مر به ابو الاسود قرأ ان الله برىء من المشركين ورسوله بالجر فاستعظم ابو الاسود ذلك وعاد الى زياد فقال قد أجبتك ثم وضع مختصره في أصول النحو وأول ما وضع باب التعجب ثم وضع بعده عنبسة ثم أبو عمرو بن العلاء وغيرهما الى أن وصل الى سيبويه فاخذ الغاية على من قبله وبعده * وكانت وفاة ابى الاسود سنة تسع وستين بالبصرة بالطاعون الجارف

وانشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة قال وقد أرسل اليه يبلغ احد وأربعين درهما

عتبت ابن الفلاني وشك ظني * فأعتبني وعاد الى اليقين
وقال نواله هيهات يشكو * ذووا الاشعار من عهدي المتين
وماذا تبتغي الشعراء مني * وقد جاوزت حد الاربعين

كما ان نون التثنية تفتح على لغة من قال

على احوذيين استقلت عشية * فما هي الا لمحة وتغيب

وحرف الاعراب هنا بدل من الحركة في اعراب المفرد والنون بدل من التنوين ولهذا تحذف النون عند الاضافة كما يسقط التنوين في المفرد عند الاضافة تقول ضاربو زيد كما تقول ضارب زيد ولقد أحسن أبو الفتح البستي حيث قال

حذفت وغيري مثبت في مكانه * كأني نون الجمع حين تضاف

وقد يتصف ما لا يعقل بصفات من يعقل فيعرب بالحروف قال الله تعالى اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين وقال تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين والكواكب والسماء والارض مما لا يعقل خلافا للحكماء فانهم يعتقدون ان لكل فلك عقلا وان الكواكب أحياء ناطقة والعلة أنها لما اتصفت بالسجود وبالقول وهما من صفات من يعقل أعطيت هذا الاعراب وانما كان اعراب الجمع المذكر بالحروف دون الحركات لان الحركات أصل في الاعراب والحروف فرع عليها والمفرد أصل والجمع فرع عليه فأعطى الاصل الاصل والفرع الفرع طلبا للمناسبة فان قلت فلأي شئ ما أبقوا الالف في النصب قلت لانه كان يشتبه المنصوب في الجمع بالمرفوع في المثنى (فان قلت) فلأي شئ كان المثنى يرفع بالالف (قلت) لان الالف أتم حروف المد وهي أصل لاختيها الواو والياء ولهذا لم تقبل الحركة والرفع هو أصل الاعراب فأعطى الاصل الاصل طلبا للمناسبة ولان الالف من ضمائر الرفع كقولك قاما وقعدا فلما كانت ضمير المرفوع ناسب أن تقع علامة للرفع في اعراب المثنى (فان قلت) فلأي شئ ما راعوا هذه المناسبة في الجمع وأعربوه بالالف (قلت) لان التثنية قبل الجمع فاختص المثنى بهذا وسبق اليه فلم يبق للجمع الا هذه الصورة (رجع على ركوبها) على حرف جر وقد تقدم الكلام عليها وركوب مجرور بعلى والهاء والالف في موضع جر بالاضافة ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية والضمير يرجع الى العلى لانها مؤنثة أو الى غمار لانها جمع غمرة أو غمر والجار والمجرور متعلق بالمقدمين (واقتنع) الواو عاطفة عطفت فعل أمر على مثله وهو دع (منهن) جار ومجرور ولم يظهر الجر لان الضمائر مبنية ومن لبيان الجنس وهو متعلق باقتنع والضمير يعود على الغمار (بالبلل) الباء هنا للاستعانة أو للتعدية تقول قنعت بكذا (المعنى) واترك لجج المعالي للذين أقدموا على مشاق ركوبها وصبروا على أهوالها وكابدوا شدائدها واقتنع من اللجج بالبلل وكنى بالبلل عن الشئ النزر من العيش كانه قال ارض من اللجة بالبلالة اذا لم تكن تقدم على الاهوال فاذا الاتزال في ظمأ الا انك ما ركبت اللجة والامر كما ذكره الطغرائي فانه لم يحظ بالدر من لم يغص عليه ولم يطعم الشهد من لم يصبر على ابره ولم يظفر بالسلب من لم يهون ألم الجراح

وهو ابن خمس وثمانين سنة وكان عالما شاعرا ذا رأي الا انه كان شديد البخل جدا والتشيع فمن اخباره ما حدث ابو عمرو قال كان ابو الاسود نازلا في بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لان ابا الاسود كان شيعيا فكانوا يرمونه بالليل فاذا أصبح شكا ذلك فشكاهم مرة فقالوا نحن ما نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم لو كان الله يرميني ما اخطأني وقال لهم يوما يا بني قشير ما احب الي طول بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال لانكم اذا ركبتم امرا علمت انه غي فاجتنبته واذا اجتنبتم امرا علمت انه رشد فاتبعته وقال له رجل انت والله ظرف علم وحلم غير انك بخيل فقال وما خير ظرف لا يمسك ما فيه وسأله رجل فنعه فقال يا ابا الاسود أما أصبحت حاتما فقال بلى قد أصبحت حاتما من حيث لا تدري أليس حاتم يقول

اماوي اما مانع فمبين
واما عطاء لا ينهنهه الزجر

وحكي ان اعرابيا مر به وهو يأكل رطبا على باب داره فقال السلام عليكم فقال ابو الاسود كلمة مقولة فقال أأدخل قال وراءك اوسع لك قال انا ابن الحمامة قال انصرف وكن ابن ابي طائر شئت قال سألتك بالله الا

ولم يتمتع بالحسناء من لم يجد بالمهر الغالي فمن لم يغص قنع بالصدف ومن لم يصبر على السم لم يذق الحلاوة ومن لم يهون ألم الجراحة سلب ماء ليه ومن لم يسمح بالمال في المهر عاد بالخيبة فاقتحم لجج الطلب والدأب واصبر على مضض السهر والفكر تعد من أعيان العلماء وتتكلم على رؤس الاشهاد وترتقي ذرى المنابر وتصدر في المجالس ويشار اليك بالانامل وتعقد عليك الخناصر ومن الكلام النوابغ قرب ابن قريب بأصبعيه لا بأصبعه والالم يشر اليه الرشيد بأصبعه ابن قريب هو الاصمعي وهو منسوب الى جده اصمع والاصمعان القلب الذكي والرأي الحازم وأما القناعة بالنزر القليل والرضى بالدون من العيش فهو أمر يوجب السلامة ويؤمن الخطر ومن كلام البديع الهمذاني الثناء منجح أني سلك والسخي جوده بما ملك وان لم تكن غرة لائحة فلمعة دالة وان لم يكن تحرمخيل فان لم يصبها وابل فطل وبذل الموجود غاية الجود وماقل خير من عدم ماجل وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب وجهد المقل خير من عذر المخل وكوخ في العيان خير من قصر في الوهم وما كان أجود من لوكان وعصفور في الكف خير من كركي في الجو ولأن تقطف خير من أن تقف ومن لم يجد الجميم رعى الهشيم ومن لم يحسن صهل لانهق ومن لم يجد ماء تيمم وقيل لاعرابي لم لاتضرب في البلاد قال يمنعني من ذلك طفل بارك واص سافك ودهر فاتك ثم اني لست مع ذلك بالواثق بنجح طلبتي ولا بقضاء حاجتي ولا بالعطف على من دوني لاني أقدم على قوم قد أطغاهم السلطان واستمالهم الشيطان وساعدهم الزمان واسكرتهم حداثة الاسنان وفي معنى قول الطغرائي ماقاله أبو اسحق الغزي

لاتحقرن طفيف الرزق وارض به * ما الغمر مجتمع الامن الوشل

وانزل اذا لم تجد للرتقي سببا * فساقي العرد يرجو نازل السبل

ولو كان لي في بيت الطغرائي حكم لقلت ودع غمار العلى للقدمين على اخطارها أو أهوالها لان المقام هنا مقام تهويل وهذا اللفظ له مهابة في السمع بخلاف ركوبها الاتراه كيف استعار اللجة للمعالي لان اللجة مخوفة قل من يقدم على هولها أو يركب ظهرها وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال أنشدني من لفظه لنفسه بدر الدين أبو المحاسن يوسف المهمندار سنة تسع وثمانين وستمائة

لو عاينت عيناك يوم نزالنا * والخيل تضبح في العجاج الاكدر

وسنا الاسنة والضياء من الظبا * كشفا لاعيننا قتام العثير

وقد اطلخم الامر واحتدم الوغى * ووهى الجبان وساء ظن المجتري

لرأيت سدا من حديد مائرا * فوق الفرات وفوقه نار تري

حتى سبقنا أسهما طاشت لنا * منهم الينا بالخيول الضمر

طفرت وقد منع الفوارس مدها * تجري ولولا خيلنا لم تطفر

لم يفتحوا للرمي منهم اعينا * حتى كحلن بكل لدن أسمر

ما كان أجرى خيلنا في اثرهم * لو أنها برؤسهم لم تعثر

فتسابقوا هربا ولكن ردهم * دون الهزيمة رمح كل غضنفر

كم قد فلقنا صخرة من صخرة * ولكم سلا نا مجبرا من مجبر

اطعمتني مما تأكل فالقي اليه ثلاث رطبات فوقعت احداهن في التراب فاخذها فمسحها بثوبه فقال دعها فان الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به فقال انما كرهت ان ادعها للشيطان فقال لا والله ولا لجبريل وميكائيل تدعها وجلس يوما الى معاوية يتحدثان في خلوة ثم تحرك فضرط فقال لمعاوية استرها على قال نعم فلما خرج حدث بها معاوية عمرو بن العاص ومروان ابن الحكم فلما غدا اليه ابو الاسود قال له عمرو ما فعلت ضرطتك يا ابا الاسود فقال ذهبت مع الريح كما تذهب من شيخ ألان الدهر اعضاءه عن امساكها وكل اجوف ضروط وان امرأ ضعفت امانته عن كتمان ضرطة لحقيق ان لا يؤتمن على المسلمين * واسمر يوما الى معاوية بشئ وكان البخر فأصغى اليه معاوية ماسكا أنفه فنحى أبو الاسود يده عن أنفه وقال لا والله لاتسود حتى تصبر على سرار البخر ومن شعره يقول

وكنت متى لم ترع سرك منشرا
نوازعه من مخطئ ومصيب
فما كل ذي اب بمؤتيك نصحه
ولا كل مؤت نصحه بلبيب

وكتب الى معاوية وقد وعده فأبطأ عليه يقول

فانظر الى هذه الالفاظ المفخمة التي أتى بها هذا الشاعر البليغ في وصف هذا المقام المهول وأظن أن هذه الابيات نظمها مهمندار العرب في واقعة الملك الظاهر رحمه الله لما ألقى روحه في الفرات ورمى الجيش نفوسهم خلفه وفيها يقول القاضي محيي الدين عبدالله بن عبد الظاهر

تجمع جيش الشرك من كل فرقة * وظنوا بأنا لا نطيق لهم غلبا
وجاؤا الى شاطئ الفرات وما دروا * بأن جياد الخيل تقطعها وثبا
وجاءت جنود الله في العدد التي * تميس بها الابطال يوم الوغى عجبا
فعمنا بسد من حديد سباحة * اليهم فما اسطاع العدو له نقبا

ويقول الموفق عبدالله بن عمر الانصاري

الملك الظاهر سلطاننا * نفديه بالمال وبالأهل
اقتحم الماء ليطفي به * حرارة النار من الغل

ويقول ناصر الدين حسن بن النقيب

ولما ترامينا الفرات بخيلنا * سكرناه منا بالقرى والقوائم
فأوقفت التيار عن جريانه * الى حيث عدنا بالغنى والغنائم

وأنشدني لنفسه اجازة الشيخ الامام شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله قصيدة نظمها في هذه الواقعة التي خاض الظاهر فيها الفرات منها

لما تراقصت الرؤس وحركت * من مطربات قسيك الاوتار
خضت الفرات بسابح أقصى منى * هوج الصبا من نعله الآثار
حملتك أمواج الفرات ومن رأى * بحرا سواك تقله الانهار
وتقطعت فرقا ولم يك قودها * اذ ذاك الا جيشك الجرار

ومنها

رشت دماؤهم الصعيد فلم يطر * منهم على الجيش السعيد غبار

ومنها وقد قرأتها عليه وهو يسمع

شكرت مساعيك المعاقل والورى * والترب والآساد والاطيار
هذي منعت وهؤلاء حميتهم * وسقيت تلك وعم ذي الايثار

(رجع الى ما يتعلق بتفخيم الالفاظ) ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له

كم معرك اشب غدت أبطاله * كالاسد تزأر في عرين صعاده
ضاق المجال بخيلهم فقتيلهم * يقضي ويمكث فوق ظهر جواده

وخبر أبي زبيد الطائي عن الاسد ووصفه له في مجلس عثمان رضي الله عنه مشهور فانه أتى فيه بألفاظ مفخمة جدا روى صاحب الاغاني أن بعض الحاضرين حبق في أثناء سماعه الوصف فقال له عثمان بن عفان رضي الله عنه أسكت رض الله فاك فلقد رعبت قلوب المسلمين وأبيات بشر بن أبي عوانة في وصف الاسد وأبيات البحتري وأبيات أبي الطيب الجميع مشهورة فلا فائدة في التطويل بذكر ذلك

(رضى الذليل بخفض العيش مسكنة * والعز عند رسيم الاينق الذلل)

(اللغة) الرضى والرضوان بكسر الراء وضمها في الثاني وهما من القرآآت السبع والمرضاة جميع ذلك واحد ورضيت الشيء وارتضيته فهو مرضي وقد قالوا امرضو فجاؤا به على الاصل

ورضيت

لا يلذن برق لك برقا خلبا
ان خير البرق ما الغيث معه
لا تهني بعد أن أكرمتني
فشديد عادة منتزعه

وقال يخاطب ولده كان لا يطلب الرزق

وما طلب المعيشة بالتمني
ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجيء بملئها طورا وطورا
تجيء بحمأة وقليل ماء

وقال أيضا

يقول الارذلون بنو قشير
طوال الدهر لا تنسى عليا
بنو عم النبي وأقربوه
أحب الناس كلهم اليا
أحبهم كحب الله حتى
أجيء اذا بعثت على هويا
فان يكن حبهم رشدا أصبه
ولست بمخطئ ان كان غيا

فروى أن بني قشير قالوا له قد شككت يا أبا الاسود فقال كلا ما شككت أما سمعتم قول الله تعالى وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين أفترون أن الله تعالى شك وقوله هو يا بلغة هذيل قال أبو ذؤيب

سبقوا هوي وأعنقوا لهواهم
فتخرموا ولكل جنب مصرع

(وبوب الظرف والحال)

(الظرف) في النحو يقال للزمان والمكان اذا جعل محلا للامور تقع فيه كقولك أعجبني الخروج اليوم فاليوم محل للخروج الذي أسندت

ورضيت عنه رضى مقصور مصدر والرضاء ممدود اسم المصدر عن الاخفش وعيشة راضية بمعنى مرضية الذليل ضد العزيز رجل ذليل بين الذل والذلة والمذلة من قوم أذلاء وأذلة والذل بكسر الذال اللين الخفض الدعة يقال عيش خافض وهم فى خفض من العيش والخفض فى الصوت غضه وخفض عليك الامر هونه العيش الحياة وقد عاش الرجل معاشا ومعيشا كل منهما يصلح أن يكون مصدرا وأن يكون اسما مثل معاب ومعيب ومال ومميل وأعاشه الله عيشة راضية ومسكنة المسكنة مصدر تمسكن والمسكين الفقير العاجز عن الاكتساب وقد يكون بمعنى الذلة والضعف وهو المراد هنا يقال تمسكن الرجل كما قالوا تمدرع وتمندل فى المدرعة والمنديل على تمفعل وهو شاذ وقياسه تسكن وتدرع وتندل مثل تشجع وتحلم وفى الحديث ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان بل المسكين الذى لا يسأل ولا يفطن له فيعطى العز ضد الذل الرسيم ضرب من سير الابل وهو فوق الذميل قال أبو عبيدة اذا ارتفع السير عن العنق قليلا فهو البريد فاذا ارتفع عن ذلك فهو الذميل ثم الرسيم والعنق سير مسبطر وقد رسم يرسم بالكسر ولا يقال أرسم الاينق جمع الناقة تقديرها فعلة بالتحريك لانها جمعت على نوق مثل بدنة وبدن وخشبة وخشب وفعلة بالتسكين لا تجمع على ذلك وقد جمعت فى القلة على أنوق مثل أسهم ثم انهم استثقلوا الضمة على الواو فقدموها فقالوا أونق حكاه يعقوب عن بعض الطائيين ثم عوضوا من الواو ياء فقالوا أينق وقد تجمع الناقة على نياق مثل ثمرة وثمار الا أن الواو صارت ياء لانكسار ما قبلها الذال دابة ذلول بينة الذل اذا كانت طائعة سهلة القياد ودواب ذلل ومنه قولهم بعض الذل أبقى للاهل والمال (الاعراب رضى) مبتدأ وانما لم يظهر فيه الرفع لانه مقصور والمقصور يقدر اعرابه فى أحواله الثلاث (الذليل) مجرور بالاضافة اليه وهى اضافة معنوية بمعنى اللام (بخفض) الباء هنا للتعدية أو هى للاستعانة (العيش) مجرور بالاضافة الى خفض وهى اضافة معنوية بمعنى اللام (مسكنة) مرفوع على انه خبر المبتدا الذى تقدم (والعز) الواو للابتداء والعز مرفوع على انه مبتدا والالف واللام لتعريف الحقيقة أو للعهد الذهنى (عند) ظرف مكان وفيها لغات كسر العين وفتحها وفتح النون مع فتح العين تقول عند قال الشاعر

وكل شئ قد يحب ولده * حتى الحبارى ويطير عنده

قال الحريرى فى درة الغواص ويقولون ذهبت الى عنده فيخطئون فيه لان عند لا يدخل عليه من أدوات الجر الا من وحدها ولا يقع فى تصاريف الكلام مجرورا الا بها كما قال سبحانه وتعالى قل كل من عند الله وانما خصت من بذلك لانها أم الباب ولام كل باب اختصاص تمتاز به وتنفرد بمزيته كما خصت ان المكسورة بدخول اللام فى خبرها وخصت كان بجواز ايقاع الفعل الماضى خبرا عنها وخصت باء القسم باستعمالها مع ظهور فعل القسم وبدخولها على الاسم المضمر وأما قول الشاعر

كل عندلك عندى * لا يساوى نصف عند

فانه من ضرورات الشعر كما أجرى بعضهم ليت وسوف وهما حرفان مجرى الاسماء المتمكنة فأعربهما فى قوله ليت شعرى وأين منى ليت * ان ليتا وان سوفا عناء

وقد تستعمل عند لعدة معان فتكون بمعنى الحضرة كقولك عندى زيد وبمعنى الملك كقولك

اليه الحديث فاذا قلت أعجبنى اليوم لم يسم ظرفا لانك انما تحدث عنه لا عن شئ وقع فيه فمن خاصة الظرف أن لا يكون محدثا عنه وأن يصلح فيه تقدير فى وكان الخليل يقول أنا أول من سمى الاوعية ظروفا لما يحل فيها (والحال) ما يعرف من هيئة الفاعل والمفعول فى حال وقوع الفعل كقولهم جاء زيد راكبا وضربت اللص قائما فالركوب هيئة زيد فى وقت مجيئه والقيام هيئة اللص فى وقت ضربه والحال اما أن يكون نكرة أو فى حكمها وبعد كلام تام أو حكمه وبعد اسم معرفة أو حكمها ولها أقسام مثل المستصحبة والسادة والمحكية والموطئة والمؤكدة وغير ذلك

(وبنى وأعرب ونفى وتعجب) المبنى ما لم يتغير آخره من الكلام بدخول العامل عليه * والمعرب ما تغير آخره بدخول العامل عليه بحركة أو حرف ولا يعرب من الكلام الا الاسم المتمكن والفعل المضارع * وأشار بالنفى والتعجب الى أن الكلمة الواحدة قد يراد بها النفى وقد يراد بها التعجب فمن لا يدرى النحو لا يميز بين محليهما كما فى قولهم ما أحسن

زيد وما أحسن زيدا فانها في الأول للنفي ولهذا ارتفع زيد لانها نفت المسند الى زيد وفي الثاني للتعجب ولهذا انتصب زيد لان فاعل أحسن هو ضمير مستكن فيه يعود على ما فان معناها في الاصل شيء أحسن زيدا وبسبب هذه المسئلة وضع علم النحو كما تقدم في ذكر أبي الاسود الدؤلي مع ابنته (ووصل وقطع وثنى وجمع) أشار الى معرفة مواقع همزة الوصل من مواقع همزة القطع وقد أنشد البيت المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وسلم على وجهين وهو

فشق له من اسمه ليجله

فذو العرش محمود وهذا محمد

فقيل شق له من اسمه باثبات الهمزة وسلامة النظم من الزحاف وقيل شق له من اسمه باستعمال الوصل ويكون ذلك مع دخول القبض في الجزء الثاني من الطويل وهو مفاعيلن بحذف الياء فيصير مفاعلن وهو زحاف مستعمل في هذا البحر تقع المعاقبة بينه وبين الكف وهو أخف منه وأكثر استعمالا (والتثنية) زيادة ألف أو ياء مفتوح ما قبلها في آخر الكلمة مع نون مكسورة كقولهم الرجلان والرجلين (والجمع) ضربان أحدهما

عندي مال وبمعنى الحكم كقولك زيد عندي أفضل من عمرو أي في حكمي و بمعنى الفضل والاحسان كما قال سبحانه وتعالى اخبارا عن خطاب شعيب لموسى عليهما الصلاة والسلام فان أتممت عشرا فمن عندك أي من فضلك (رجع رسيم) مجرور بالاضافة الى عند (الاينق) مجرور بالاضافة اليه لان رسيم أضيف الى الاينق وتقدم الكلام في اللغة على تصريف أينق (الذلل) مجرور على انه صفة للاينق تبعه في أربعة من عشرة وهي التعريف والجمع والتأنيث والجر وأما الخبر الذي يطلبه المبتدا وهو العز فانه محذوف وهو ما تعلق به الظرف الذي سد مسده وتقديره والعز مستقر أو مطلوب أو كائن عند رسيم الاينق (المعنى) يقول رضى الذليل بلين العيش ودعته مع وجود الذل مسكنة عند صاحب النفس الابية وانما العز موجود عند سير النوق المذللة في الاسفار وهذا حث على الحركة والتنقل على مواطن الذل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايحل لمؤمن أن يذل نفسه قالوا يارسول الله وكيف يذل نفسه قال يتعرض من البلاء لما لا يطيق ومن الكلام النوابغ الحر لا يدوعلى العصاب ولا يذل وان مني بالصعاب العصاب الحبل الذي يعصب به فخذ الناقة ومنها كم لأيدى الركاب من أياد في الرقاب الأيدي جمع اليد التي هي الجارحة والايادي جمع اليد وهي النعمة هذا هو الصحيح وقد أخرجه ما عوام العلماء باللغة عن أصل وضعهما فاستعملوا الايادي في جمع اليد الجارحة وتجد أكثر الناس يكتب الى صاحبه المملوك يقبل الايادي الكريمة وهو لحن وانما الصواب الايدي الكريمة قال أبو العلاء المعري

وأضعف الرعب أيديهم فطعنهم * بالسمهرية دون الوخز بالابر

فجمع اليد الجارحة على أيد وقال أبو الطيب

أقامت في الرقاب له أياد * هي الاطواق والناس الحمام

ولقد جرى لي محاورة مع بعض أهل العصر ممن عانى الادب وهو انني أنشدت يوما بحضرته هذا البيت وأخذت في استحسانه فأخذ يرد علي في ذلك ويقول الا انه صفع الناس كلهم في هذا البيت لجمعه بين الرقاب والايادي فبينت له مكان غلطه وقلت له ليس هذا البيت من هذا الباب ولو أوردت هذا في قول الشاعر

اذا الحمل الثقيل توازعته * أكف القوم هان على الرقاب

لمشى لك الذي تريد فلم يحر جوابا وذكرت هنا قول القائل

ماذا يقصد المعنى * من الجوى المتتابع

بعصر ذات الايادي * ونيلها ذي الاصابع

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة

وفت أصابع نيلنا * وطفت وطافت في البلاد

وأتت بكل مسرة * ماذي أصابع ذي أياد

وهذان المقطوعان يغتفر فيهما اللحن الخفي لرشاقة نظمهما وعلى ذكر النيل فما أحسن قول القائل

النيل قال وقوله * اذ قال ملء مسامعي

في غيظ من طلب الفلا * عم البلاد منافعي

وعيونهم بعد الوفا * قلعتها بأصابعي

وأنشدت لخليل الهمذاني الكفتي

مولاى ان البحر لماز رته * حياك وهو أخو الوفا بالاصبع
فانظر لبسطته فرؤيتك التى * هى مشتهاه وروضة المتمتع
أرخى عليه السترلما جئته * خجلا ومدتضرعا بالاذرع

وما أحسن قول علاء الدين الوداعى ومن خطه نقلت

روى مصر وبستكانها * شوقى وجدد عهدى الخالى
وصف لى القرط وشنفا به * سمعى وما العاطل كالحالى
وارولنا ياسعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال
فهو مرادى لايزيد ولا * ثور وان رقاو راقالى

ومن كتاب أنشأه القاضى محيى الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر السعدى رحمه الله فى بشارة النيل ولما تكامل ايابه وصح فى ديوان الفلاح والفلاحة حسابه أظهر ماعنده من ذخائر اليسر وودائعه والقط عموده جمل ذلك على أصابعه وكتب ابن سناء الملك الى القاضى الفاضل رحمه الله يخبره بعدم وفاء النيل وأما النيل فانه نضبت مشارعه وتقطعت أصابعه وتيمم العمود لصلاة الاستسقاء وهم المقياس من الضعف بالاستلقاء وما أحسن قول ابن مماتى

ولقد عهدت النيل سنيا يرى * عمراويتبع رأيه تسديدا
والآن أضحى فى الورى متشيعا * متوقفا ماان يحب يزيدا

وكتبت أنا فى البشارة بالنيل كتابا جاء منه فلو خاصم النيل مياه الارض لقال عندى قبالة كل عين اصبع ولو فاخرها لقال أنت بالجبال أثقل وأنا بالملق اطبع والنيل له الآيات الكبر وفيه العجائب والعبر منها وجود الوفاء عند عدم الصفاء وبلوغ الهرم اذا احتد واضطرم وأمن كل فريق اذا قطع الطريق وفرح قطان الاوطان اذا كسر والماء كما يقال سلطان الى غير ذلك من خصائصه وبراءته مع الزيادة من نقائصه وهو أنه فى هذا العام المبارك جذب البلاد من الجدب وخلصها بذراعه وعمها بخنادقه التى لاتراع من تراعه وحصنها بسوارى الصوارى تحت قلوعه وماهى الاعمد تحت قلاعه وراعى الادب بين أيدينا الشريفة بعطا العتبا فى كل يوم بخبر قاعه فى رقاعه حتى اذا أكمل الستة عشر ذراعا وأقبلت سوابق الخيرات سراعا وفتح أبواب الرحمة بتغليقه وجد فى طلب تخليقه تضرع عذراعيه الينا وسلم عند الوفاء باصابعه علينا ونشر علم سيره وطلب لكرم طباعه جبر العالم بكسره فرسمنا بان يخلق ويعلم تاريخ هنائه ويعلق فكسر الخليج وقد كاد يعلوه فوج موجه ويهيل كثيب سده هول هيجه ودخل يدوس زرابى الدور المبثوثه ويجوس خلال الحنايا كأن له فيها خبايا موروثه ومرق كالسهم من قسى قناطره المنكوسه وعلاه زيد حركته ولولاه لظهرت فى باطنه من بدور أناسه أشعتها المعكوسه وبشر بركة الفيل بيركة الفال وجعل المجنونة من تياره المنحدر فى السلاسل والاغلال وازدحمت فى عبارة شكره أفواج الافواه وملأ كف الرجاء باموال الامواه وأعلم الاقلام بعجزها عما يدخل من خراج البلاد وهنأت طلائعه بالطلائع التى نزلت بركاتها من الله تعالى على العباد وقلت فى زيادته سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة

جمع التصحيح وهو ماسلم فيه بناء مفرده وهو قسمان جمع المذكر ويكون بزيادة واو أو ياء مكسور ما قبلها فى آخر الكلمة ونون مفتوحة نحو المسلمين والمسلمون وجمع المؤنث ويكون بزيادة ألف وتاء فى آخر الاسم كتمرات ومسلمات فى جمع تمرة ومسلمة والضرب الثانى جمع التكسير وهو مالم يسلم فيه بناء مفرده كرجال وأصحاب فى جمع رجل وصاحب

(وأظهر وأضمر واستفهم وأخبر)

(الاضمار) أن يؤتى فى الكلمة بلفظ مضمر وهو ماوضع لمتكلم أو مخاطب أو غائب كأنا وأنت وهو مأخوذ من الضمر وهو الخفاء (والاظهار) أن يؤتى باللفظ المظهر وهو ماعدا المضمر مأخوذ من ظهر الشئ اذا كان على ظاهر الارض واضحا (والاستفهام) طلب الاخبار بشئ واللفظ الدال عليه بالوضع اما اسم كقولنا ما الانسان ومن زيد وكيف أنت ومتى تقوم واما حرف وهو الهمزة فى نحو قولك أقام زيد وهل فى هل قام زيد (والاخبار) الاتيان بالجملة المحتملة للصدق والكذب كقولك قام زيد وما أشبه ذلك

(وأهمل وقيد وأرسل وأسند وبحث ونظر) اما أن يكون أراد الحروف المهملة التى هى غير المقيدة بالنقط والشكل وعلى ذلك وضع الخليل كتاب النقط والشكل واما أن يكون أراد بالمهمل المطلق وعدل عنه اليه لموازنة قوله فى السجعة الثانية أرسل واسند والمطلق مالم يقيد (والمقيد) ماضمن وصفا كقوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله وأمهات نسائكم فأطلق وقال فى الربائب وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فقيد (والمرسل والمسند) مااصطلح عليه فى علم الحديث فالمرسل عند المحدثين قول التابعى الكبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وفعل كذا فهذا مرسل عندهم باتفاق وأما قول التابعى الصغير كالزهرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قوم يسمى مرسلا وقال قوم بل يسمى منقطعا لان أكثر روايتهم عن التابعى وأما المسند فهو ما اتصل سنده من روايه الى منتهاه وفيه أقوال وينقسم الى صحيح وحسن وضعيف فالصحيح ما اتصل سنده برواية العدل الضابط عن مثله وسلم من شذوذ وعلة

قالوا علا نيل مصر فى زيادته * حتى لقد بلغ الاهرام حين طما
فقلت هذا عجيب فى بلادكم * أن ابن ست وعشر يبلغ الهرما

وقلت فيه أيضا

قد زاد هذا النيل فى عامنا * فأغرق الارض بانعامه
وكاد ان يعطف من مائه * عرى على أزرار اهرامه

وقلت مضمنا

يقول لنا المقياس والنيل هابط * لنقطع آمال المنى والمطامع
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض * على الماء خانته فروج الاصابع

وقلت أيضا

لم لا أهيم بمصر * وأرتضيها واعشق
وماترى العين أحلى * من مائها ان تماق

(رجع ومن الكلام النوابغ) ان لم تكن ذا عرنين أشم كنت لريح الذل أشم وقال بعض الاعراب

سأعمل نص العيس حتى يكفنى * عن المال يوما أو عن الحدثان
فللموت خير من حياة يرى لها * على المرء بالاقلال وسم هوان

وقيل ظلم اعرابى من بنى بكر بن وائل فقتل ظالمه فعنف فقال ما أساء من قتل ظالمه فقيل له أتحب أن تلقى الله ظالما أم مظلوما فقال بل ظالما ماعذرى غدا عند الله تعالى اذا قال خلقتك مثل الغير ثم تجىء تشكو لى قال الجربادى كان لابن أبى عتيق صديق من الاعراب فغاب عنه حينا ثم رآه يوما يحمل فى المدينة مقيدا بالحديد فقال له ويحك ماهذا قال لطت حوضا لى فثلمه بعض جيرانى فخطرت بيدى خطرة فأصابت صدره فأتى عليه أجله فقال له ولم فعلت ذلك فأنشد

فأى امرئ فى الناس يهدم حوضه * اذا كان ذا رمح ولم يك مانع

فقال ابن أبى عتيق أما والله كنت أصلحه بكف طين ولا يكون فى رجلى ما فى رجلك وفى أمثال العرب رهبوت خير من رحموت معناه لأن ترهب خير من أن ترحم وقال المتلمس

ان الهوان حمار البيت يألفه * والحر ينكره والفيل والاسد
ولا يقيم بدار الذل يألفها * الا الذليلان غير السوء والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته * وذا يشج فلا يرثى له أحد

وتقول العرب فى أمثالها قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فان الذى ورائى ماخلانى ورائى وقال أبو تمام الطائى

لا يمنعنك خفض العيش فى دعة * نزوع نفس الى أهل وأوطان
تلقى بكل بلاد ان حللت بها * أهلا باهل وجيرانا بجيران

وقال أبو الطيب

واطلب العز فى لظى وذر الذل * ولو كان فى جنان الخلود

وقال أيضا

انى أصاحب حلمى وهو بى كرم * ولا أصاحب حلمى وهو بى جبن
ولا أقيم على حال أذل به * ولا أسر بما عرضى به درن

وقال أيضا

من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام
ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش اخف منه الحمام

وقال أيضا

عش عزيزا أو مت وأنت كريم * بين طعن القنا وخفق البنود

وقال القرمطى الخارجى بالشام

أرى أن المنية بالمعالى * أحب الى من ذل القعود

وقال ديك الجن
حتى أصادف مالا أو يقال فتى * لاقى الردى بين أسياف وأرماح

وقال التهامى وإذا الفتى ألف الهوان فبينى * ما الفرق بين الكلب والانسان
موت الذليل كعيشة ويد الفتى * شلاء أو مقطوعة سيان

وقال الارجانى ولم أغترب الا لأكتسب الغنى * فأسقى منه كل ذى ظمأ سجلا
ويعلو الغمام الارض من أجل انه * يسوق اليها وهى لن تبراح الوبلا
اذا ما قضت نفسى من العز حاجة * فلست أبالى الدهر أملى لها أم لا

وقال آخر حاولت أن ألقى الزمان بطبعه * لولا الوفاء وشيمة لا تنتقل
فى الارض متسع لنفس حرة * ان تنب منزلة وعاها منزل

وقال ابن عنين فامّا مقاما يضرب المجد حوله * سرادقه أو باكيا لحمام
فان أنا لم أبلغ مقاما أرومه * فكم حسرات فى نفوس كرام

*(فادرأ بها فى نحور البيد جافلة * معارضات مثانى اللجم بالجدل)*

(اللغة) ادرأ فعل أمر من الدرء وهو الدفع ومنه قوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها أى تدافعتم ومنه ادرؤا الحدود بالشبهات أى ادفعوا والنحور جمع نحر وهو موضع القلادة فى الحلق وهو هنا مجاز استعاره للبيد والبيد جمع بيداء وهى المفازة ومنه باد الشئ يبيد أى هلك وأبادهم الله تعالى أى أهلكهم جافلة جفل اذا أسرع والجافل المنزعج واجفلت الريح فهى مجفل أى أسرعت وجافلة أيضا وأجفلت الريح التراب فهى مجفل أى أذهبته وطيرته وأنشد الاصمعى *وهاب كجثمان الحمامة أجفلت * به ريح ترج والصبا كل مجفل والجفل القوم أى انقلبوا كلهم فضوا معارضات تقول عارضته فى المسير اذا سرت حياله وعارضته بمثل ما صنع أى أتيت اليه بمثل ما أتى وعارضت كتابى بكتابه أى قابلته وذكرت هنا ما نظمته فى مليح قابل معى كتابا وهو
جنيت خدك وردا * غضا وقدك ذابل
فها أنا كل وقت * أجنى وأنت تقابل
أجنى هنا من الجناية ومن الجنى وتقابل من مقابلة المذنب بالعقوبة على جنايته ومن مقابلة الكتاب بغيره طلبا لتصحيحه مثانى جمع مثنى من قولك جاء القوم مثنى مثنى أى اثنين اثنين ومثنى لا ينصرف لما فيه من العدل والصفة لانه عدل به عن اثنين اثنين فالعدل فيه تحقيقى قال الله تعالى أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقال تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع معناه اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وقد تمسك بعض الرافضة بهذه الآية فجوز للرجل أن يتزوج بتسعة قال لان اثنين وثلاثة وأربعة جملتها تسعة ولأن النبى صلى الله عليه وسلم مات عن تسع نسوة وهذا كلام من لم يطعم ثمرة العربية لانك اذا قلت جاء القوم مثنى وثلاث ورباع معناه انهم جاؤا اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة فتنصب ذلك على الحال والحال هى التى تبين هيئة الفاعل أو المفعول فأنت تريد أن تبين كيف كان مجيئهم أى لم يجيئوا جماعة ولا فرادى فالله سبحانه وتعالى أبان ما أباحه من النكاح بقوله

والشاذ ما يرويه الثقة مما يكون مخالفا لما رواه الناس والمعتل ما فيه سبب قادح على نص ظاهره السلامة واما الحسن فهو ما عرف مخرجه واشتهر رجاله وقال بعضهم هو الذى فيه ضعف يحتمل ويصلح العمل به والضعيف كل حديث لم يجتمع فيه شروط الحديث الصحيح ولا الحسن المتقدم ذكرهما (والبحث) الكشف عن الشئ والطلب يقال بحثت عن الامر وبحثت كذا (والنظر) تقليب البصيرة لتأمل الامر مأخوذ من تقليب البصر لادراك الشئ

(وتصفح الاديان)
صفح الشئ عرضه كصفح الكتاب والوجه وتصفحته استعرضته وتأملت وجهه (والاديان) جمع دين وهو الشريعة والملة والاصل فى الدين الطاعة واستعير للشريعة للانقياد اليها والطاعة والمراد النظر فى مذاهب أهل الاديان وشرائعهم واختلاف فرقهم كالمسلمين والاسلام على ضربين أحدهما دون الايمان وهو الاعتراف باللسان وبه يحقن الدم ومنه قوله تعالى ولكن قولوا أسلمنا والثانى فوق الايمان وهو أن يكون مع

فانكحوا ما طاب لكم الخ أى اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة فلا يفهم من هذا الكلام الجمع بين المجموع وأما النبي صلى الله عليه وسلم فان ذلك من خواصه التى انفرد بها عن أمته ولم يشركوه فيها وذكر لى بعض الافاضل أن الشيخ نجم الدين بن الرفعة ذكر له تسعين خاصة وهذا تتبع كثير واطلاع مفرط وغالب خواصه صلى الله عليه وسلم فى النكاح وأمر الزوجات ولهذا ترى الفقهاء سردوها فى كتاب النكاح واختلف أهل العربية هل هذا العدد من الواحد الى العشرة أوهو ما نطق به القرآن الكريم فقط والصحيح أنه الى رباع حسب وقيل الى سداس وقيل الى عشار وأنشدوا فى ذلك شعرا يتضمن العدد الى عشار وأورده الحريرى فى درة الغواص وغيره وهل يقال موحد ومثلث ومربع الى العشرة ضعيف الى الغاية وقال الحريرى فى هذا الكتاب بعد ما أورد قول ابى الطيب

أحاد أم سداس فى أحاد * لييلتنا المنوطة بالتناد

غلط أبو الطيب هنا فى عدة مواضع من هذا البيت الاول انه قال أحاد وسداس ولم يسمع فى الفصيح الا مثنى وثلاث ورباع والخلاف فى خماس وما بعده الى عشار الثانى انه صغر ليلة على لييلة وانما تصغر على لييلية الثالث انه صغرها والتصغير دليل القلة فكأنها قصيرة ثم قال المنوطة بالتناد ولا يكون شئ أطول منها حينئذ فناقض آخر كلامه أوله (قلت) ليس فى هذا تناقض لان التصغير فى كلام العرب على أربعة أنواع الاول تصغير التحقير كفليس ورجيل والثانى تصغير التقريب كفويق وبعيد وقبيل ودوين والثالث تصغير التحبيب كقولك ما أمليحه وما أحيسنه والرابع تصغير التعظيم كقولك انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقال الشاعر

وكل اناس سوف تدخل بينهم * دويهية تصفر منها الانامل

فأبو الطيب صغر الليلة هنا للتعظيم لانه استطالها حتى جعلها منوطة بالتناد وقال النور الأسعردى مضمنا

نديمى لاتهزأ بشمولة وان * بدا لك منها بهجة وشمائل
وراقك فيها رقة فى قوامها * ولاحت كشمس أضعفتها الاصائل
فلا تغترر منها بلين فانها * دويهية تصفر منها الانامل

وأنشدنى المولى بدر الدين حسن بن على الغزى من لفظه لنفسه فى الخمر

وصفراء حال المزج يصبغ ضوءها * اكف الندامى وهو فى الحال ناصل
وتهزو بألباب الرجال لانها * دويهية تصفر منها الانامل

(رجع اللجم) جمع لجام وهو فارسى معرب وهو للخليل بمثابة الزمام للنوق الجدل جمع الجديل وهو زمام الناقة المجدول من ادم تقول جدلت الحبل أجدله جدلا اذا أحكمت فتله وجارية مجدولة الخلق حسنة الجدل (الاعراب. فادرأ) ادرأ فعل أمر من درأت وقد تقدم الكلام على أفعال الامر من الثلاثى فالهمزة هنا ساكنة (بها) جار ومجرور والضمير يرجع الى الاينق فى البيت الذى قبله (فى نحور) فى حرف جر وهى ظرفية ونحور مجرور بها (البيد) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (جافلة) منصوب على الحال من الضمير الذى يعود على الاينق (معارضات) منصوب على انه حال ثانية وعلامة نصبه كونه مكسورا لانه جمع مؤنث سالم

الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل والاستسلام لله تعالى فى كل ما قضى وقدر كقوله تعالى فى قصة ابراهيم أسلمت لرب العالمين والتصفح لمذاهب المسلمين وفرقهم كالمعتزلة والاشعرية والامامية وغير ذلك وكاليهود وفرقهم من العنانية والموسكانية والعرانية والقرائين والسامرية وما أشبه ذلك واسم اليهود مأخوذ من هاد الرجل اذا رجع وتاب وانما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام انا هدنا اليك أى رجعنا وتضرعنا وكان فى الاول اسم مدح ثم صار بعد نسخ شرائعهم ذما لهم والنصارى وفرقهم من الملكانية واليعقوبية والنسطورية والارمن والروم والمارونية وغيرهم واسم النصارى مأخوذ من قول عيسى عليه السلام من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ثم صار ذما لهم بعد نسخ شريعتهم أيضا وقيل مأخوذ من نسبتهم الى قرية يقال لها نصران والمجوس وفرقهم من الكيومرثية والزرادشية وما أشبه ذلك وقد استوفى ابن حزم الكلام على جميع هذه الاصول والفروع فى الملل والنحل

واحده معارضة وهذا الجمع اذا كان بالالف والتاء اعرب بالضم فى حالة الرفع وبالكسر فى حالتى النصب والجر تقول جاءنى معارضات ورأيت معارضات ومررت بمعارضات وانما أعربوه هذا الاعراب ليقابلوا به الجمع المذكر السالم لما كان يعرب بالواو فى حالة الرفع وبالياء فى حالتى النصب والجر وانما أعربوا هذا الجمع المؤنث بالحركات دون الحروف لانه تقدم فى اعراب الجمع المذكر السالم ان الاعراب بالحركات هو الاصل والاعراب بالحروف هو الفرع والافراد هو الاصل والجمع هو الفرع فاعطوا الاصل للاصل والفرع للفرع فصار اعراب الجمع بالحروف هو الاصل ولما استقر ذلك قاعدة جاؤا الى الجمع المؤنث السالم فوجدوه فرعا على الجمع المذكر فلم يعطوه اعراب الاصل فى الجمع الذى هو بالحروف فاعطوه الاعراب الفرعى بالنسبة الى الجمع وهو بالحركات لانهم مالهم اعراب بغير هذين ولا يعربون مما جمع بالالف والتاء هذا الاعراب المخصوص الا ماله مذكر يعرب بالحروف كقولك مسلمون ومسلمات وقائمون وقائمات وكما انهم ألحقوا بباب الجمع المذكر السالم ما ليس منه مثل عالمون وعليون وأرضون وسنون كذلك ألحقوا بهذا الباب ما ليس منه مثل عرفات واذرعات تقول هذه عرفات ورأيت عرفات ومررت بعرفات لانه لا يقال فى مذكره عرفون وهكذا أولات تقول جاءنى أولات حسن ورأيت أولات حسن ومررت بأولات حسن والاصل فى هذه التاء أن تكون أصلية للتأنيث فى المفرد مثل شجرة ومسلمة أما اذا كانت غير أصلية مثل رواة فانها تعرب على الاصل تقول هذه رواة ورأيت رواة ومررت برواة وان كانت لغير التأنيث أعربت على الاصل تقول هذه أبيات ورأيت أبياتا ومررت بأبيات لان التاء فى المفرد لغير التأنيث ولقد رأيت جماعة من الفضلاء يكتبون بخطهم وقد نظم الملوك أبياتا فاذا أنكر ناذلك عليهم يقولون قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك رحمه الله تعالى

وما بتا والف قد جمعا * يكسر فى الجر وفى النصب معا

فاقول لهم الشيخ قال ما جمع بالالف والتاء وهذا ليس منه لانها فى المفرد أصل فيقولون وكذلك مسلمة التاء فيه أصلية فاقول التاء الاصلية فى مسلمة حذفت فى الجمع وكان أصله مسلمتات فاستثقل الجمع بين علامتى تأنيث فحذفت الاولى وعلى كل تقدير فلا بد هذا الجمع أن يكون جمع مؤنث سالما وأبيات جمع مذكر مكسر غير سالم فلا يهتدون لما أقول (رجع مثانى اللجم) مثانى منصوب بمعارضات لانه اسم فاعل يعمل عمل الفعل اذا كان غير مضاف تقول هذا مكرم زيدا وزيد مكرم عمرو فتنصب المفعول اذا نونت وتجره اذا أضفت ولم يظهر النصب فى مثانى لانه يجوز ذلك فى المنقوص وهو من أحسن الضرورات ولكن الاصل فيه معارضات مثانى اللجم بفتح الياء والوزن اضطره الى سكونها (بالجدل) الباء حرف جر وهى المعدية الفعل تقول عارضت كذا بكذا والجار والمجرور فى موضع النصب على انه مفعول ثان لمعارضات (المعنى) فادفع بالاينق الذلل فى نحور المفاوز والقفار مسرعة غير ملتفتة و بجياد الخيل فعارض بجم تلك بازمة هذه وهذا حث منه على اعمال الركاب وأن يرمى بها فى نحور البيد مسرعة تبارى بازمتها الجم الخيل فى مسيرها وهذا البيت مأخوذ من قول أبى الطيب

لا أبغض العيس لكنى وقيت بها * قلبى من الحزن أو جسمى من السقم

طردت من مصر أيديها بأرجلها * حتى مرقن بها من جوش والعلم

(ورجع بين مذهبى مانى وغيلان)

(هو مانى بن ماش الثنوى) الذى تنسب اليه المانوية كان راهبا بنجران قائلا بنبوة المسيح معظما فى أساقفة النصارى محمود السيرة فيهم فزنى فسقطت مرتبته وكان له حسدة من بطارقة زمانه فوجدوا السبيل الى ما أرادوا منه فلما رأى حاله أخذ فى الرد على أصحابه وقال لم أزن ولكنهم حسدونى وأنكروا وخالفتهم فى أصل دينهم اذ كانوا يقرون بالمسيح اللاهوتى رسول الشيطان وكان مانى فى الاصل مجوسيا عارفا بمذاهب القوم فاحدث دينا ودعا اليه وظهر فى أيام سابور ابن اردشير وتبعه خلق عظيم من المجوس وادعى واله النبوة ونسبوه لها الى ان قتل فى زمان بهرام ابن سابور كما سيأتى ذكره حدث البرنختى وغيره قال زعم مانى وأصحابه ان صانع العالم اثنان فاعل الخير نور وفاعل الشر ظلمة وهما قديمان لم يزالا ولن يزالا حساسين سميعين بصيرين وهما مختلفان فى النفس والصورة متضادان فى الفعل والتدبير فجوهر النور فاضل حسن نير ونفسه خيرة حليمة نفاعة منها الخير والسرور والصلاح وليس

تبري بهن نعام الدو مسرجة * تعارض الجدل المرخاة باللجم

وما أحسن قول أبي الطيب

وجردا مددنا بين آذانها القنا * فبتن خفافا يتبعن العواليا

تجاذب فرسان الصباح أعنة * كأن على الاعناق منها أفاعيا

وهذا تشبيه حسن في العنان وفيه زيادة معنى لان الخيل تجاذب الفرسان الاعنة فهي تطلب أمام وفرسانها تجذب أعنتها التخفيف السير عنها وأخذه ابن القيسراني فقال ومن خطه نقلت

وأسرى نعاس يمموا كعبة الندى * فهم سجد فوق المذاكي وركع

على كل نشوان العنان كأنما * جرى في وريديه الرحيق المشعشع

شكائمها معقودة بسياطها * تخال بأيدينا أراقم تلسع

ولمح هذا المعنى المولى صفي الدين بن عبد العزيز بن سرايا الحلي فانشدني لنفسه اجازة ومن خطه نقلت من أبيات

ثقات لا قال ولا سابق * مرفه السوط شقي العنان

فانظر اليه كيف نظر الى ذلك المعنى من طرف خفي واختلسه ثم زاده زيادة مليحة وهو انه مرفه السوط وما سمعت أحسن من هاتين الكنايتين في شقاوة العنان ورفاهية السوط وقد أخذ عبد الصمد بن بابك قول أبي الطيب في تشبيه العنان بالافعى وزاد عليه زيادة حسنة فقال في زمام الناقة

ولقد أتيت اليك تحمل رتقي * حرف يسكن طيشها الدألان

ينفي الزفير خطامها فكأنما * غار يحاول نقبه ثعبان

وقال أبو نواس في جذب الازمة

يثوي لانقاض أضر بها * جذب البرى فخدودها صعر

فكأنه مصغ ليسمعه * بعض الحديث باذنه وقر

وقال ابراهيم بن المهدي

اذا جذبت بها الانساع أصغت * كاصغاء النجي الى النجي

وقال ابو اسحق بن خفاجة

طاف الخيال به فأسرج ادهما * وسما السماك به فأشرع لهذما

وسرى يطير به عقاب كاسر * امسى يلاعب من عنان ارقما

وقال آخر

رجعة اسفار كأن زمامها * شجاع لدى يسرى الذراعين مطرق

(ان العلى حدثتني وهي صادقة * فيما تحدث ان العز في النقل)

(اللغة) العلى تقدم الكلام عليها الحديث الخبر يأتي على القليل والكثير العز ضد الذل النقل جمع نقلة وهي اسم للانتقال من موضع الى موضع (الاعراب ان) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وقد تقدم الكلام عليها في شرح قوله اني اريد طروق الحي البيت (العلى) اسم ان فهي منصوبة ولم يظهر النصب لانها مقصورة والالف واللام للعهد الذهني أو لما تقدم في اثناء القصيدة من ذكرها في مثل على قضاء حقوق للعلى قبلي (حدثتني) حدث فعل ماض والتاء علامة التأنيث وفاعله ضمير مستتر في حدثت عائد على العلى تقديره حدثت هي والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهي للمتكلم والجملة في موضع رفع لانها خبر ان (وهي) الواو

منها من الشر شيء وجوهر الظلمة على ضد ذلك جميعه والنور مرتفع في ناحية الشمال والظلمة منحطة في ناحية الجنوب وزعموا أن لكل واحد منهما أجناسا خمسة أربعة منها أبدان وخامسه الروح فابدان النور الاربعة النار والنور والريح والماء وروحها النسيم المتحرك في هذه الابدان وابدان الظلمة أربعة الحريق والظلام والسموم والضباب وروحها الدخان وسموا أبدان النور ملائكة وأبدان الظلمة شياطين وبعضهم يقول أبدان النور تتولد ملائكة وأبدان الظلمة تتولد شياطين وان النور لا يقدر على الشر ولا يجوز منه والظلمة لا تقدر على الخير ولا يجوز منها قال بعض المتكلمين والذي حملهم على هذا أنهم رأوا في العالم شرا واختلافا فقالوا لا يكون من أصل واحد شيآن متضادان كما لا يكون في عنصر النار السخن والبرد وقد رد عليهم بعض العلماء في قولهم الصانع اثنان فقال لو كانا اثنين لم يخل من أن يكونا قادرين أو عاجزين أو أحدهما قادرا والآخر عاجزا لاجائز أن يكونا عاجزين لان العجز يمنع ثبوت الالهية ولا يجوز ان يكون أحدهما عاجزا

واوالابتداء وهى ضمير مرفوع المحل على الابتداء راجع الى العلى (صادقة) خبرهى (فيما) فى حرف جر وهى ظرفية تتعلق بحدثتنى وما اسم ناقص بمعنى الذى لا يتم الا بصلة وعائد وهو فى موضع جر (تحدث) فعل مضارع وهو صلة ما التى تقدمت والعائد محذوف لانه فضلة تقديره فيما تحدثه (ان العز) ان واسمها وهى هنا مكسورة لانها محكية (فى النقل) فى حرف جر وهى للظرف معنى والنقل مجرور بها والجار والمجرور يتعلق بمحذوف هو خبر ان تقديره ان العز مستقر فى النقل وقوله ان العز وما بعده فى موضع النصب على انه مفعول حدثتنى وهو مفعول ثان وقوله وهى صادقة جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب اعترضت بين قوله حدثتنى وبين قوله فيما تحدث (المعنى) ان العلى حدثتنى وهى صادقة فيما حدثت من الاخبار ان العز موجود فى الانتقال من مكان الى مكان والاغتراب من مكان نبا بساكنه الى مكان يلائمه ويوافقه وينال فيه المعالى وقد اكثر الشعراء فى الحث على الانتقال والحركة قال أبو تمام

وطول مقام المرء فى الحى مخلق * لديباجتيه فاغترب تتجدد

فانى رأيت الشمس زيدت محبة * الى الناس اذ ليست عليهم بسرمد

وقال ابو الغنائم محمد بن المعلم

سوطا لبا غاياتها اما ترى * فوق الثريا او ترى تحت الثرى

لا تخلدن الى المقام فانما * سير الهلال قضى له ان يقمرا

لا تبك دارا فالفتى من ان دعا * دمعا عصاه وان دعاه دما جرى

اين الكناس من العرين واين عز * لان اللوى فى المجد من اسد الشرى

لو ينتج الوطن العلى ما سار عن * غمدان سيد حمير مستنصرا

ولو استتم بمكة لمحمد * ما رام لم ينصب بيثرب منبرا

والليث لو وجد الفريسة رابضا * او ناهضا فى خيسه ما اسحرا

لا عار فى بيع النفوس على الردى * عندى اذا كان العلاء المشترى

حتام حظى فى الوهاد وحظ أصحاب الدناءة فى الشواهق والذرى

ما الجبن يحمينى الحمام ولا أرى الاقدام يجلب لى سوى ما قدرا

لا بد منها وثبة تعرى الظبا * فيها وتكسو الجو فيها العثيرا

أشكو الى الايام ما ألقى لها * وجها على تلوينها مستبشرا

ما عذر من لم يلق وجها أبيضا * منهن ان لم يلق يوما أحمرا

أثبت هذه الابيات على طولها وان كان بعضها ماله تعلق بهذا البيت على الخصوص لان لها علاقة بالقصيدة على العموم ومن كلام الحكمة ان الله لم يجمع منافع الدنيا فى أرض بل فرقها وأحوج بعضها الى بعض وقيل المسافر يجمع العجائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب وقيل الاسفار مما تزيد علما بقدرة الله وحكمته وتدعو الى شكر نعمته وقيل ليس بينك وبين بلد نسب فخير البلاد ما حملك وقال ابن الساعاتى

أهلك والليل مضيا جملك * ثم فخير البلاد ما حملك

لا خير فى بقعة تروق من الارض اذا لم تنل بها أملك

حتام لا تعمل الجياد ولا * تعمل فى أم غاية ابلك

فبقى ان يقال هما قادران فيتصور أن أحدهما يريد تحريك هذا الجسم فى حالة يريد الآخر تسكينه فيها ومن المحال وجود ما يريدانه فان تم مراد أحدهما ثبت عجز الآخر ورد عليهم آخر فى قولهم ان النور يفعل الخير والظلمة تفعل الشر بأنه لو هرب مظلوم فاستتر بالظلمة فهذا خير وقع فى شر ومن ههنا أخذ المتنبى فقال

وكم لظلام الليل عندى من يد * تخبر أن المانوية تكذب

وقال الجاحظ المانوية تزعم أن العالم بما فيه مركب من عشرة أجزاء يعنى أجناسا خمسة منها خير ونور وخمسة منها شر وظلمة والانسان مركب من جميعها فمتى نظر نظرة رحمة فتلك النظرة من الخير والنور ومتى نظر نظرة قسوة فتلك النظرة من الشر والظلمة وكذلك جميع الحواس وكان المأمون يسأل المانوية عن مسئلة قريبة المأخذ قاطعة ناظر أحدهم فقال أسألك عن حرفين فقط هل ندم مسىء على اساءته قال بلى قد ندم كثير قال فخبرنى عن الندم على الاساءة اساءة أم هو احسان قال احسان قال فالذى ندم هو الذى أساء قال نعم قال فارى

لقد تربصت خيفة الاجل الشـ ـعثوم لوكان دافعا أجلك
وحبذا ذاك لو وجدت فتى * أفضل يوما عليك أو فضلك

وقال ابن قلاقس

سافر اذا حاولت قدرا * سار الهلال فصار بدرا
والماء يكسب ما جرى * طيبا ويخبث ما استقرا
و ينقله الدرر النفيسة بدلت بالبحر نحرا

وأخذه بعضهم فقال

نقل ركابك فى الفلا * ودع الغوانى فى القصور
لولا التنقل ما ارتقى * در البحور الى النحور
ما الما كثون بأرضهم * الا كسكان القبور

وقال أيضا

شرفى جاوز العلى ومن العا * رض ما انحط عن رؤس الجبال
كيف لا أسرع التنقل والمشـ ـهور للبدر سرعة الانتقال

وقال أيضا

ان مقام المرء فى بيته * مثل مقام الميت فى لحده
فواصل الرحلة نحو الغنى * فالسيف لا يقطع فى غمده
والنار لا يحرق مشبوبها * الا اذا ما طار عن زنده

وقال آخر

ليس ارتحالك ترتاد الغنى سفرا * بل المقام على خسف هو السفر

وقال أبو الفرج بن هندو

صح تحيك العلى الى الغايات * ما غنى الاسود فى الغابات
لا يرد الردى لزوم بيوت * لا ولا يقتضيه جوب فلاة
مولد الدر حماة فاذ اسا * فرحلى التيجان واللبات
اف للدهر ماينى يتعس الفا * ضل فى بدئه وفى العقبات
يسكن المسك سرة الظبى بدأ * ثم تصليه جمرة الوقدات

وقال ابن قلاقس

والصغير الحقير يسمو به السيـ * ـر فيعلوه الكبير الجليل
فرزن البيدق التنقل حتى انـ * ـحط عنه فى قيمة الدست فيل

وقال أبو الفضل التميمى

دعنى أسر فى البلاد ملتمسا * فضلة مال ان لم يفد رزانا
فبيدق الرخ وهو أيسرما * فى الدست ان سار صار فرزانا

وذكرت هنا أبياتا لابن الرومى فيمن يلعب بالشطرنج غائبا وهى

غلط الناس لست تلعب بالشطـ * ـرنج لكن بأنفس اللعباء
غير ما ناظر بعينيك فى الدسـ * ـت ولا مقبل على الرسلاء

صاحب الخير وهو صاحب الشر وقد بطل قولكم ان الذى ينظر نظر الوعيد غير الذى ينظر نظر الرحمة قال فان الذى أزعم ان الذى أساء غير الذى ندم قال فندم على شئ كان من غيره أو على شئ كان منه فقطعه بهذه الحجة ولمانى وأصحابه فى امتزاج النور والظلمة وحدوث الشمس والقمر والنجوم لاستصفاء النور من الظلمة الى أن لا يبقى شئ منه فى هذا العالم وتنطبق السماء على الارض ويرجع كل شكل الى شكله أقوال عجيبة الى غير ذلك من انه لا يرى المناكح يستعجل فناء العالم و يسرع بجمع الاشكال ولم تزل اتباعه تكثر وشوكته تعظم الى أن أحضره بهرام بن يزدجرد وقيل سابور وأراد قتله باتفاق الموابذة فامر أدرباد موبذ موبذان بان يناظره فناظره فى مسئلة قطع النسل وتعجيل فراغ العالم فقال الموبذ أنت الذى تزعم وتقول بتحريم النكاح تستعجل فناء العالم ويرجع كل شكل الى شكله وان ذلك حق واجب فقال مانى واجب أن يعان النور على خلاصه بقطع النسل مما هو فيه من الامتزاج فقال له أدرباد فمن الواجب أن يعجل لك هذا الخلاص الذى

بل تراها وأنت مستدبر الظهر ❊ بقلب مصور من ذكاء
ما رأينا خصما سواك يولى ❊ وهو يردى فوارس الهيجاء

وقال أبو اسحق فى المهذب فى كتاب الشهادات ان سعيد بن جبير كان يلعب الشطرنج ذكره فى فضل اللعب بالشطرنج وقد رأيت أنا غير مرة بالديار المصرية شخصا متجندا يعرف بعلاء الدين بن قيران وهو أعمى يلعب بالشطرنج مع العوالى و يحطهم و يغلبهم وما راعنى فيه الا انه يقعد و يتحدث و ينشدنا الاشعار و يحكى كل منا حكاية فى شأنه وهو يشار كنا فيما نحن فيه ويدع اللعب ويقوم الى الخلاء ويحضر ولم يغب عنه شئ مما هو فيه وهذا غريب وهو مشهور بالقاهرة لا يكاد يجهله من يلعب بالشطرنج الا أناسا قلائل ورأيت غير مرة أيضا بدمشق سنة احدى وثلاثين وسبعمائة شخصا يعرف بالنظام العجمى وهو يلعب الشطرنج غائبا فى مجلس الصاحب شمس الدين وأول ما رأيته لعب مع الشيخ أمين الدين سليمان رئيس الاطباء وكان طبقة فغلبه مستدبرا ولم يشعر به حتى ضربه شاه مات بالفيل ولم يره حتى التفت الينا وقال مات وحكى لى أنه كان يلعب غائبا على رقعتين وحكى لى عنه صاحبنا المولى بدر الدين حسن الغزى انه رآه يلعب على رقعتين غائبا وقدامه رقعة يلعب فيها حاضرا وغلب فى الثلاث والعهدة فى ذلك عليه اه وكان الصاحب شمس الدين يدعه فى وسط الدست و يقول له عدلنا قطعك وقطع غريمك فيسردها جميعا كأنه يراها بين يديه وأنشأ فيه المولى جمال الدين محمد بن نباتة مقامة بديعة ختمها بقوله

لله فى الشطرنج ذكرة لاعب ❊ ان غاب أو حضر اجتنيت حدائقه
شكرته نفس اللعب أو نفس النهى ❊ هاتيك صامتة وهذى ناطقه

وبقوله أيضا

ولاعب يعرف شطرنجه ❊ عن فهمه المتقد الصائب
يغيب لكن ذهنه حاكم ❊ يا حبذا من حاكم غائب

قلت كذا رأيته ولو قال يا حسنه أو يا عجبا لسلم من حذف فاعل حب الذى هو بدل من ذا وهو غير جائز وأنشدنى من لفظه لنفسه ملغزا فى الشطرنج

وما صامت يمضى و يرجع مفكرا ❊ ويقضى على أوصاله الوصل والصد
كان الضنا آلى عليه ألية ❊ فما فيه الا النفس والعظم والجلد
وأحرفه خمس ولكن شطره ❊ ثلاثة أخماس الحروف التى تبدو

وقال بعضهم ملغزا فيه أيضا

وما اسم ثلاثة أخماسه ❊ هو الشطر منه ومن غيره
وباقيه ان رمت معكوسه ❊ قطعت رجاءك من خيره

وما أحسن قول أبى الحسين الجزار ملغزا فيه أيضا

وما شئ له نفس ونفس ❊ ويؤكل عظمه ويحك جلده
يود به الفتى ادراك سؤال ❊ وقد يلقى به ما لا يوده
ويؤخذ منه أكثره بحق ❊ ولكن عند آخره يرده

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

تدعوا اليه وتعان على ابطال هذا الامتزاج المذموم فانقطع مانى فامر بهرام بصلبه على الخشب فجعل يصيح ويقول أيها المعبود النورانى بلغت ما أمرتنى به وهذه عادتهم فى وفى أمثالى وأنت الحكيم وها انا الآن مار اليك وما آذيت صامتا ولا ناطقا فتبارك أنت وعالمك النورانى الازلى فكان آخر قوله ثم ملأ جلده تبنا وكان بهرام فى الاول قد أظهر متابعته حتى أحاط علما بمن تبعه فلما قتله أمر بقتل أصحابه ثم ظهر ممن يسلك مسلكهم فى الاسلام بشر عظيم يسمون الزنادقة قتلهم المهدى وأبادهم ❊ وأما غيلان فهو ابن يونس القدرى الدمشقى كان أبوه مولى لعثمان بن عفان وغيلان أول من تكلم فى القدر وخلق القرآن فى الاسلام وقيل أول من تكلم فى القدر رجل من أهل العراق كان نصرانيا فاسلم ثم تنصر واخذ عنه معبد الجهنى وغيلان الدمشقى وروى ان مكحولا قال لغيلان و يلك يا غيلان ألم أجدك ترامى النساء بالسفاح فى شهر رمضان ثم صرت حارثيا تخدم امرأة الحرث الكذاب وتزعم انها أم المؤمنين ثم

أشكوا السقام وتشكو مثله امرأتى * فنحن فى الفرش والاعضاء ترتج
نفسان والعظم فى نطع يجمعنا * كأنما نحن فى التمثيل شطرنج

ولك فى لفظ الشطرنج لغتان بالشين المعجمة وهو الافصح لانه مأخوذ من الشطر لان كل لاعب له شطر من القطع وبالسين المهملة لانه مأخوذ من تسطير الرقعة بيوتا وان ألحقته بأوزان العربية كسرت أوّله فقلت شطرنج لان فعلال فى العربية له نظير مثل قرطعب والصحيح ان هذه لفظة أعجمية كذا جاءت وأصله بالعجمية شش رنك معناه ستة ألوان وهى الشاه والفرز والفيل والفرس والرخ والبيدق يقال ان بعضهم سمع آخر يقول يا سجاعهات الشطرنج من تحت السحرة بالسين المهملة فى الجميع فقال ضيعت على النحوى تسع نقط وكثير من الناس يغلط فى الصولى وهو أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين الكاتب ويزعم انه واضع الشطرنج لما ضرب به المثل فيه والصحيح ان واضعه صصه بن داهر الهندى كان أردشير بن بابك أوّل ملوك الفرس الاخير قد وضع النرد ولذلك قيل له نرد شير جعله مثالا للدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة والمهارك ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر والفصوص مثل الافلاك ورميها مثل تقلبها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة الشش ويقابله اليك والبنج ويقابله الدو والجهار ويقابله السه وجعل ما يأتى به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر تارة له وتارة عليه وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش لكنه اذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأتى ويتحيل على الغلب وقهر خصمه مع الوقوف عندما حكمت به الفصوص وهذا هو مذهب الاشاعرة وأخبرنى من أثق به أن الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمه الله كان يقول اللعب بالنردشير من اللعب بالشطرنج لان لاعبه يعترف بالقضاء والقدر والشطرنج لاعبه ينفى ذلك فهو أقرب الى الاعتزال أو كما قال وما أحسن قول الحكيم شمس الدين بن محمد بن دانيال من قصيدته اللامية

وفى الفصوص لعبنا * منقل كالمثل
تلوح فى أكفنا * كالجوهر المفصل
تفعل فيما بيننا * فعل القضا فى الدول

ولابى عبد الله محمد بن أحمد الخياط بدمشق قصيدة سينية يصف فيها النرد أبدع فيها فلما وضع أردشير ذلك افتخرت به الفرس وكان ملك الهند يومئذ بلهيت فوضع له صصه المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله ولما عرضه على الملك وأوضح له أمره سأله أن يتمنى عليه فتمنى عليه عدد تضعيفه قمحا فاستصغر الملك ذلك من همته وأنكر عليه ما قابله به من طلب النزر القليل فى ذلك المقام فقال ما أريد غير ذلك فأمر له به فلما حسبه أرباب الديوان قالوا للملك ما عندنا ما يقارب القليل منه فأنكر ذلك فأوضحوه له بالبرهان فأعجبه الامر الثانى أكثر من الاوّل قال القاضى شمس الدين أحمد ابن خلكان رحمه الله تعالى ولقد كان فى نفسى من هذه المبالغة شئ حتى اجتمع بى بعض حساب الاسكندرية وذكر لى طريقا تبين صحة ماذكروه وأحضر لى ورقة بصحة ذلك وهو انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر فاثبت فيه اثنين وثلاثين ألفا وسبعمائة وثمانية وستين حبة وقال تجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد

تحولت بعد ذلك قدريا زنديقا وروى أن غيلان وقف يوما على ربيعة فقال له أنت الذى تزعم أن الله يحب أن يعصى فقال له ربيعة أنت الذى تزعم أن الله يعصى قسرا وقيل لغيلان من كان أشد عليك قال عمر بن عبد العزيز كأنما كان يلقن من السماء وحكى ابن مهاجر قال بلغ عمر بن عبد العزيز أن غيلان وفلانا نطقا فى القدر فأرسل اليهما وقال ما الامر الذى تنطقان به فقالا هو ما قال الله يا أمير المؤمنين قال وما قال الله قالا قال هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا ثم قال انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا ثم سكتا فقال عمر اقرآ فقرآ حتى بلغا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وما تشاؤن الا أن يشاء الله الى آخر السورة قال كيف تريان يا بنى الاتانة تأخذان الفروع وتدعان الاصول قال ابن مهاجر ثم بلغ عمر بن عبد العزيز انهما أسرفا فأرسل اليهما وهو مغضب فقام عمرو كنت خلفه قائما حتى دخلا عليه وأنا مستقبلهما فقال لهما ألم يكن فى سابق علم الله حين أمر الله ابليس بالسجود أن لا يسجد قال فأومأت اليهما

عبرتها فكان الامر كاذكره والعهدة عليه فى ذلك النقل ثم ضاعف السابع عشر الى البيت العشرين فكان فيه ويبة ثم انتقل من الويبات الى الاراداب ولم يزل يضعفها حتى انتهى فى البيت الاربعين الى مائة ألف اردب وأربعة وسبعين ألف أردب وسبعمائة واثنين وستين اردبا وثلثى اردب وهذا المقدار شونة ثم انه ضاعف الشون الى بيت الخمسين فكانت الجملة ألفا وأربعة وعشرين شونة وهذا المقدار مدينة ثم انه ضاعف ذلك الى البيت الرابع والستين وهو آخر الابيات فكانت الجملة ستة عشر ألف مدينة وثلاثمائة وأربعا وثمانين مدينة وقال تعلم انه ليس فى الدنيا مدن أكثر من هذا العدد انتهى قلت آخر ما اقتضاه تضعيف رقعة الشطرنج ثمانية عشر ألف ألف ست مرات وأربعمائة وستة وأربعون ألفا خمس مرات وسبعمائة وأربعة وأربعون ألفا أربع مرات وثلاثة وسبعون ألفا ثلاث مرات وسبعمائة وتسعة آلاف ألف مرتين وخمسمائة واحد وخمسون ألفا وستمائة وخمسة عشر حبة عددا وانشدنى من لفظه الشيخ الامام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى بيتا واحدا يضبط هذا العدد وهو هذا

ان رمت تضعيف شطرنج فجملته

هـا و ا هـه طـعـجـز مـــد ز و د د حا

١ ٨ ٤ ٤ ٦ ٧ ٤ ٤ ٠ ٧ ٣ ٧ ٠ ٩ ٥ ٥ ١ ٦ ١ ٥

وقال انما اذا جمع هذا العدد هرما واحدا مكعبا كان طوله ستين ميلا وعرضه كذلك وارتفاعه كذلك بالميل الذى هو أربعة آلاف ذراع بالعمل الذى هو ثلاثة أشبار معتدلة على ان الاردب المصرى مساحته ذراع مكعب ووزنه مائتان وأربعون رطلا وكل رطل مائة وأربعة وأربعون درهما والدرهم أربعة وستون حبة من القمح وكل بيت اذا ربعنا مافيه من العدد حصل من مربعه ما يجب أن يكون فى البيت الذى عدده كضعف ذلك البيت الا واحدا فاذا ربعنا ماحصل فى الثالث مثلا حصل مافى الخامس واذا ربعنا ماحصل فى الخامس حصل مافى التاسع فاذا ربعناه حصل مافى السابع عشر فاذا ربعناه حصل مافى الثالث والثلاثين فاذا ربعناه حصل مافى الخامس والستين فاذا انقصنا منه واحدا كان الباقى جملة مافى البيوت كلها الى البيت الرابع والستين وان نصفناه قبل أن ينقص منه واحد كان نصفه حاصل البيت الرابع والستين وبهذا العمل يحصل تضعيف رقعة الشطرنج من خمس ضربات اهـ كلامه وحكى لى من لفظه المولى رشيد الدين يوسف بن أبى البيان قال قال لى الشيخ تقى الدين أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى يا رشيد الدين قال ابن حزم أول كذبة كذبها بنو اسرائيل انهم دخلوا مصر اثنين وسبعين نفسا فى زمن يوسف عليه السلام وخرجوا مع موسى بن عمران عليه السلام ستمائة ألف قال فقلت له هذا ابن حزم من الصحابة قال لا قلت ولا من التابعين قال لا قلت هذا ابن حزم ما كان يدرى ان اثنين واثنين أربعة فقال لاى شئ قلت ما يعلم سيدنا ان رقعة الشطرنج أربعة وستون بيتا فاذا اضعفناها من واحد انتهت الاعداد الى كذا وكذا وذكر العدد الذى حصل هناك ومع ذلك فبنو اسرائيل انما عدوا الرجال وأما النساء والصبيان والاشياخ الذين بلغوا الهرم فلم يذكروهم قال فسكت الشيخ تقى الدين رحمه الله انتهى فقلت أناله يا مولاى رشيد الدين قوم يخرجون فى عدة ألف ألف

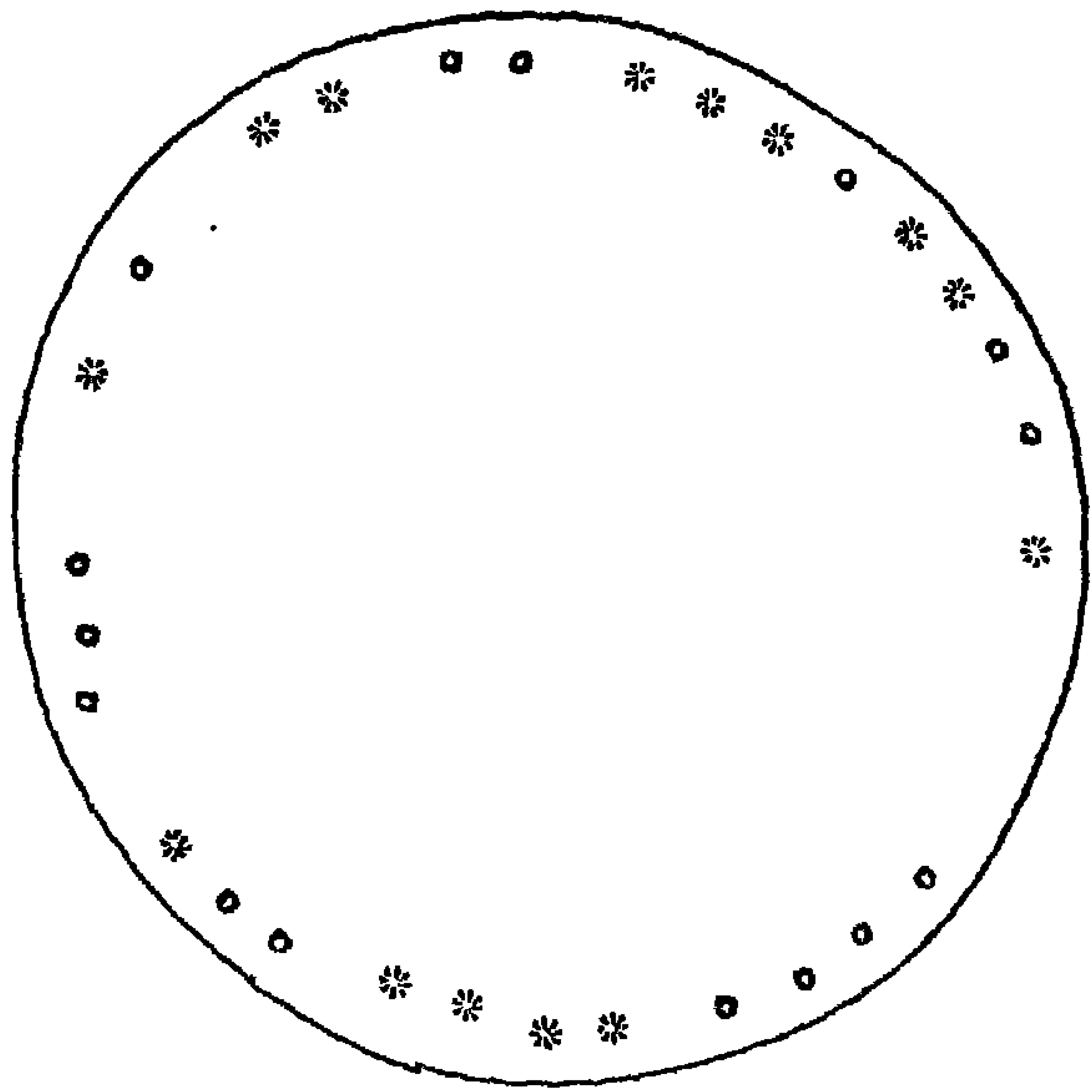
برأسى أن قولا نعم والا فهو الذبح فقالا نعم فقال أولم يكن فى سابق علم الله حين نهى آدم وحواء عن الشجرة أن يأكلا منها فألهمهما أن يأكلا منها فأومأت اليهما برأسى فقالا نعم فأمر باخراجهما وأمر بالكتاب الى سائر الاعمال بخلاف مايقولان وأمسكا عن الكلام فلم يلبثا الا يسيرا حتى مرض عمر ومات ولم ينفذ الكتاب وسال بعد ذلك منهما السيل وكان غيلان قد تاب على يد عمر بن عبد العزيز فقال عمر اللهم ان كان كاذبا فلا تمته حتى تذيقه حر السيف فقطعت يداه ورجلاه وصلب فى أيام هشام بن عبد الملك حين قال يا غيلان ما هذه المقالة التى بلغتنى عنك فى القدر فقال يا أمير المؤمنين هو ما بلغك فأحضر من أحببت يحاجنى فان غلبنى ضربت رقبتى فأحضر الاوزاعى فقال له الاوزاعى يا غيلان ان شئت القيت عليك سبعا وان شئت خمسا وان شئت ثلاثا فقال ألق ثلاثا فقال له أقضى الله على عبد مانهى عنه قال ما أدرى ما تقول قال فأمر الله بامر حال دونه قال هذه اشد من الاولى قال فحرم الله حراما ثم أحله قال ما أدرى ما تقول قال فأمر به هشام

نفس على القليل هاربين على وجوههم من فرعون على ماذا حملوا زادهم وأى ماء اذا نزلوا عليه يقوم بكفايتهم هذا بعيد من العادة فلم يحرجوا ما قلت له أنا أتبرع لك بالجواب وهو انهم كان معهم موسى عليه الصلاة والسلام وبيده العصا التى يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا وعناية الله بهم تحملهم وتعينهم على ما يحتاجون اليه من كل شئ وعلى الجملة فالذى استبعده ابن حزم لا ينكر لان هذا عدد كثير على ما يزعمون (رجع الى ذكر الشطرنج) وانما يذكر الصولى ويضرب به المثل لانه أجاد اللعب به وبلغ الغاية لا لانه واضعه حكى المسعودى فى مروج الذهب ان الامام الراضى بالله أتى فى بعض متنزهاته بستانا مونقا وزهرا رائقا فقال لمن حضره ممن كان من ندمائه هل رأيتم منظرا أحسن من هذا فكل أنشأ يصف محاسنه وانه لا يفى بها شئ من زهرات الدنيا فقال الراضى لعب الصولى بالشطرنج احسن من هذا ومن كل ما تصفون وقيل انه لما دخل الصولى على الامام المكتفى فى أول أمره كان عنده انسان يعرف بالماوردى قد ألفه المكتفى زمانا فلعبا بين يديه وأخذ المكتفى يزهر الماوردى ويشجعه وينصره حتى دهش الصولى فلما اتصل اللعب بينهما ورأى اجادة الصولى قال للماوردى عاد ماء وردك بولا ويقال فضائل الهند ثلاثة سبقوا بها من سواهم من الناس كتاب كليلة ودمنة ولعبة الشطرنج والتسعة أحرف التى تجمع أنواع الحساب وما أحسن قول ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

وقد اختصرت لك الثناء وربما * وافاك بالمقصود صدر ملطف
هذا الحساب يفوت أوهام الورى * ويحوزه الهندى بتسعة أحرف

ورأيت أنا بعض الاصحاب يأخذ قطع الشطرنج يرصها رصا مخصوصا صورة دائرة ويدعى أن مركبا كان على ظهر البحر الاعظم فى اللجة وفيه مسلمون وكفار فاشرفوا على الغرق وأرادوا أن يرموا بعضهم الى البحر ليخف المركب فينجو بعضهم ويسلم المركب فقالوا نقترع ومن وقعت القرعة عليه ألقيناه فنظر الريس اليهم وهم جالسون على هذه الصورة فقال ليس هذا حكما مرضيا وانما الحكم أنا نعد الجماعة فكل من كان تاسعا ألقيناه فارتضوا بذلك فلم يزل يعدهم ويلقى التاسع فالتاسع الى أن ألقى الكفار أجمعين وسلم المسلمون وهذه صورة ذلك

فقطعت يداه ورجلاه فمات وقيل صلب حيا على باب كيسان بدمشق ثم قال هشام للاوزاعى يا أبا عمرو فسر لنا ما قلت قال قضى الله على عبد ما نهى عنه نهى آدم أن يأكل من الشجرة ثم قضى عليه فأكل منها وأمر ابليس أن يسجد لآدم وحال بين ابليس والسجود وقال حرمت عليكم الميتة ثم قال فمن اضطر فأحلها بعد ما حرمها وممن كان يميل الى هذا المذهب أيضا غيلان وهو ذو الرمة الشاعر قال اختصم ذو الرمة ورؤبة الراجز عند بلال بن أبى بردة فقال رؤبة والله ما فحص طائر أفحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضاء من الله وقدر فقال ذو الرمة والله ما قدر الله على الذئب أن يأكل حلوبة عيائل ضرائك فقال رؤبة أفبقدرته أكلها هذا كذب على الذئب فقال ذو الرمة الكذب على الذئب خير من الكذب على رب العالمين * قوله عيائل جمع عيل وهو ذو العيال وضرائك جمع ضريك وهو الفقير وعن اسحق بن سعد قال أنشدنى ذو الرمة قوله
وعينان قال الله كونا فكانتا * فعولان بالالباب ما يفعل الخمر
فقلت له فعولين خبر الكون



والمسلمون هم الحمر وابتداء العدد منهم أولا و يبتدئ من أول الاربعة الحمر الى جهة الشمال فينتهى التاسع الى آخر السود الخمسة ثم يبتدئ من الاحمرين بالعدد وهكذا الى أن تلقى السود بأجمعها ولقد ذكرتها النور الدين على بن اسمعيل الصفدى وهو من الذكاء فى الغاية فأعجبته وأخذ يكررها مدة فيقول أربعة مسلمون ثم خمسة كفار ثم مسلمان ثم كافر وهكذا الى أن ينتهى العدد ثم يعود يريد بذلك حفظ ترتيبها فقلت له هذا متعب وقد يشذ عنك وقت الحاجة فقال كيف أصنع بحفظ هذا الترتيب فلما رأيت تشوقه لذلك قلت له الضابط فى هذه بيت واحد تجعل حروفه المعجمة للكفار والمهملة للمسلمين وهو

ولما فتنت بلحظ له * عذلت فما خفت من شامت

فلما امتحن ذلك وصح قال لى كشفت عنى غمة وبعضهم يحفظ له بيتا آخر وهو

الله يقضى بكل يسر * و يرزق الضيف حيث كانا

ولك أن تقيد ذلك بحروف الجمل فتقول دهبا جا أبجا بيا

١٢٤١ ٣٢٢١ ١٣ ١٢٥٤

وذلك أربعة وخمسة واثنان وواحد وثلاثة وواحد وواحد واثنان واثنان وثلاثة وواحد واثنان واثنان وواحد ورأيت من يضع وفقا على عدد بيوت الرقعة ويضع فى أبياته أعدادا مخصوصة فيحصل من مجموعها وفق كيفما اعددته من اليمين الى الشمال وبالعكس أو من فوق الى أسفل وبالعكس أو من قطريه تجده مائتين وستين عددا لا يختلف وفى أربعة أو كانه أربعة أوفاق كل منها وفق بذاته على نقل الفرزان وهذه صورته

علامة المسلمين هذا الدائرة التى باطنها أبيض وما عداها علامة الكفار وذلك لعدم وجود الاحمر الذى نبه عليه المؤلف فى الصفحة التى تلى هذه اه

فقال لى لو بحثت بحثت انما قلت فعولان وانما تحرز ذو الرمة بهذا الكلام من القول بخلاف مذهبه والله تعالى أعلم بالصواب

(وأشار بذبح الجعد)

(أما الجعد) فهو ابن درهم مولى بنى الحكم كان يسكن دمشق ويعلم مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية فنسب اليه وقيل مروان الجعدى ويروى أن أم مروان كانت أمة وكان الجعد أخاها وهو أول من تكلم بخلق القرآن من أمة محمد بدمشق ثم طلب فهرب ثم نزل الكوفة فتعلم منه الجهم بن صفوان القول الذى نسب اليه الجهمية وقيل ان الجعد أخذ ذلك من أبان بن سمعان وأخذه أبان من طالوت بن أعصم اليهودى الذى سحر النبى صلى الله عليه وسلم وكان يقول بخلق القرآن وكان طالوت زنديقا وهو أول من صنف لهم فى ذلك ثم أظهره الجعد بن درهم فقتله خالد بن عبد الله القشيرى يوم الاضحى بالكوفة

١	٢	٦٢	٦١	٦٠	٥٩	٧	٨
٩	١٠	٥٤	٥٣	٥٢	٥١	١٥	١٦
٤٨	٤٧	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٤٢	٤١
٤٠	٣٩	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣٤	٣٣
٣٢	٣١	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٢٦	٢٥
٢٤	٢٣	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	١٨	١٧
٤٩	٥٠	١٤	١٣	١٢	١١	٥٥	٥٦
٥٧	٥٨	٦	٥	٤	٣	٦٣	٦٤

وقيل ان المأمون كان لايجيد اللعب بالشطرنج ويقول عجبا مني كيف أدبر ملك الارض ولا أحسن تدبير رقعة ذراعين في ذراعين وقال النور الاسعردي

أعييت اذ لاعبت بالشطرنج من * أهوى فأبدى خده توريدا
وغدا لفرط الفكر يضرب أرضه * بقطاعة لما انثني مجهودا
فطفقت أنشده هناك معرضا * وجوانحي فيه تذوب صدودا
رفقا بهن فما خلقن حديدا * أوما تراها أعظما وجلودا

وقال محمد بن شرف القيرواني في مدح الشطرنج حرب سجال وخيل عجال وفرسان ورجال قريبة الآجال سريعة عودة المجال تستغرق الفكره وتسلب اللب استلاب السكره وتترك اللسان وما أراد أساء أو أجاد الا انها تدني مجالس الصعلوك من أشراف الملوك حتى لا يكون بينهما في أقرب بقعه الا عرض الرقعه وربما التقت ثيابهما في بيت القطعه ولسانهما على بيت القطعه لعب أصولي وغريب صولي قرجاجي ولعب لاجي مظفر الفئه براها عن فائه بيوته حصينه وشاهه مصونه ودوابه مجتمعه وشاهه ممتنعه جيد النظر شديد الحذر لا يبقي ولا يذر عينه تغلي وفكرته تملي ويده تبلي وقال في ضد ذلك آخر الطبقة وأول الآبقه لعب كل يطرح له الكل رخه أبدا فيل وشاهه قتيل لعب برمدو يكمد لعب الغريب فيه غريب والصواب فيه لا يصاب دفع ما فيه نفع وقطع على نطع ما في دفعاتها أغراب ولا لوقعاتها اطراب طويل حد الرقعه كثير مس القطعه على طول امساك وثقل حراك قلت ويعجبني قول القائل

وهبك أتقنتها ماذا أتيت به * يا زوج أكبر ما فيها من القطع

(رجع الكلام الى قول الطغرائي) وقد استعار الحديث للعلى لان العلى أمور معنوية لا تتصف بالكلام ولكنه لما جرب وجود العز بالنقلة والحركة صارت التجربة عنده علما استفاده فصار كأنه حدثته العلى بذلك فاسند ذلك الى العلى تعظيما للرواية في اسنادها الى العلى ليتلقاها السمع بالقبول وقوله وهي صادقة جملة اعتراضية اعترض بها وقد زاد الكلام

حسنا

وكان واليا عليها أتي به في الوثاق فصلى وخطب ثم قال في آخر خطبته انصرفوا وضحوا بضحاياكم تقبل الله منا ومنكم فاني اريد اليوم أن أضحي بالجعد بن درهم فانه يقول ما كلم الله موسى تكليما ولا اتخذ الله ابراهيم خليلا تعالى الله عما يقول علوا كبيرا ثم نزل وحز رأسه بالسكين بيده وطفئت نار نتنته الى أن نشأت في أيام ابن أبي داود * وأما خالد فهو ابن عبد الله بن يزيد بن أسد القشيري البجلي كان من أمراء الدولة الاموية ولي اليمن ومكة من قبل الوليد ابن عبد الملك وولاه هشام العراقين بعد عمر بن هبيرة وله مكايدات وأخبار فمن أعجبها ما حكي أن ابن هبيرة لما هرب من سجن خالد ووفد على هشام وأمنه أرسل خالد مائة من الخيل في المضمار قد انتخبها وأمر السواس ان يعارضوا بها هشاما اذا ركب وكان هشام معجبا بالخيل لا يشتهي ان يكون عند غيره من جيدها شئ فلما ركب هشام رأى خيلا راقته فسأل القوم عنها لمن هي فقالوا لابن هبيرة فاستشاط غضبا وقال واعجبي اختان ما اختان ثم قدم فوالله ما رضيت عنه بعد وهو يوائي

حسنا التأكيد الصدق عند المخاطب كما تقول حدثني فلان وهو صدوق فيما رويه طلبا للتأكيد في قبول ما يأتي به من الرواية عمن يروي الحديث عنه وهذا أبلغ من قوله ان العلى حدثتني فيما تحدث ان العز في النقل ومن الجمل الاعتراضية قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم فاعترض اعتراضين أحدهما أصل والثاني فرع الاول اعتراضه بقوله وانه لقسم بين قوله بمواقع وبين قوله انه لقرآن كريم الثاني انه اعترض بقوله لو تعلمون بين قوله وانه لقسم وبين قوله عظيم وقد رأيت ما أفادت هاتان الجملتان في الاعتراض من الجزالة والبلاغة ومثل هذا الاعتراض يسميه المتأخرون حشو اللوزنيج كقول عوف بن محلم

ان الثمانين وبلغتها * قد احوجت سمعي الى ترجمان

فقوله وبلغتها حشو يتم المعنى بدونه ومن فوائد هذا الحشو تكميل الوزن وافادة اللفظ رونقا لو عدمه لم يكن وقد تتعدد فوائده كقول أبي بكر القهستاني

كأني لما بي تحت الحشا * وحاشاك فوق شفا أو شفن

الشفن أخشن ما يكون من الجلود كالتمساح وغيره فقوله وحاشاك حشو يتم المعنى بدونه ولكنه أفاد هنا ثلاث فوائد اقامة الوزن والدعاء للمحبوب والجناس ومثل هذا قول أبي الحسين الجزار يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة من أبيات

ويهتز للجدوى اذا ما مدحته * كما اهتز حاشاه وصفه شارب الخمر

وههنا افاد الحشو كمال الوزن وتنزيه الممدوح وهو الاحتراس والرونق الذي لولاه لم يكن في البيت على ان ابا الحسين أخذه من ابن الساعاتي حيث يقول

يهزه المدح هز الجود سائله * أو لا وحاشاه هز الشارب الثمل

وهذا من الاحتراس في الادب مع الممدوح اذا خاطبه الشاعر أو الصغير اذا خاطب الكبير وما أحسن قول القاضي الفاضل

يد الجود عندي من يديك عظيمة * واعظم منها عندي الحمد والشكر

ومجلسك الاعلى المطهر مسجد * فما قلت خذها خيفة انها الخمر

وكان المولى جمال الدين ابن نباتة قد امتدح الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن علي الزملكاني رحمه الله بقصيدة تائية مطولة اولها

قضى وما قضيت منكم لبانات * متيم عبثت فيه الصبابات

واستطرد في اولها الى ذكر الخمر واوصافها ونعوتها وأطال في ذلك فقال المولى شمس الدين محمد بن يوسف الخياط الدمشقي قصيدة تائية على وزنها ومدح الشيخ كمال الدين بها ولم يتغزل بالخمر ثم قال في آخرها

ماشان مدحك وصفي للسلاف ولا * اضحت مساجد شعري وهي حانات

والجماعة كلهم اخذوا لفظة حاشا من ابي الطيب حيث يقول

ويحتقر الدنيا احتقار مجرب * يرى كل ما فيها وحاشاه فانيا

وقد يفيد الحشو البيت حسن المناسبة ايضا كقول ابي الطيب

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتي لوجدت فيه جهنما

في الخيل على يعمر فدعا به وهو يسير في عرض الموكب فجاء مسرعا فقال له هشام ما هذه الخيل فكأنه فطن لما صنع خالد فقال خيل أمير المؤمنين اختبرتها وطلبتها من مضانها حتى جعلتها لك فمن يقبضها فأعجبه ذلك وسات خالد عن أمرها وفسدت مكيدته ولم يزل ابن هبيرة يبغي به الغوائل الى ان عزل وأقام بالشام برهة ثم عذب الى أن مات سنة ست وعشرين ومائة في خلافة الوليد بن يزيد وكان جوادا فصيحا عظيم الهمة الا انه كان مارقا في الدين * فاما جوده فان حيص بيص الشاعر دخل عليه يوما فقال اني مدحتك ببيتين قيمتهما عشرة آلاف درهم فاحضرها حتى أنشدهما فاحضر الدراهم ثم أنشد حيص بيص يقول

قد كان آدم قبل حين وفاته أوصاك وهو يجود بالحوباء

ببنيه ان ترعاهم فرعيتهم وكفيت آدم عيلة الابناء

فدفع اليه خالد الدراهم وأمر ان يضرب اسواطا وينادى عليه هذا جزاء من لا يعرف قيمة شعره ثم قال له ان قيمتهما مائة الف وروى انه دخل على خالد شيخ كبير فمثل بين يديه فقال شيخ جذبه الليل سنة أبدت العظام فان

فقوله ياجنتى حشو يتم المعنى بدونه ولكن افاد الوزن والمناسبة بين لفظة الجنة وجهنم ولو قال ياما لكى لكان تورية ولكن جنتى الطف فى اللفظ واغزل وقد يفيد التورية كما انشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

لو ذقت بردثنايا ه ومبسمه * ياحار مالت اعطافى التى ثملت

فقوله ياحار حشو يتم المعنى بدونه ولكن أفاد كمال الوزن والتورية فى حارفانه ورى به انه ينادى اسم حرث مرخم وهو يريد الحار الذى هو مرادف السخن بدليل قوله بردثنايا ه وهذا مع مافيه من النظر فى حار فى غاية الحسن وأخبرنى انه أنشده للمولى الفاضل شرف الدين حسين ابن القاضى جمال الدين سليمان بن ريان فقال له وكذا لو قلت ياصاح بدل ياحار فانه يخدم معك فى المعنيين لان صاح ترخيم صاحب وصاح اسم فاعل من الصحو ويرشحه للتورية ثملت وهذا فى غاية الذوق اللطيف وقد أورد كثير من الناس فى هذا الباب قول كثير عزة

ولو ان عزة حاكمت شمس الضحى * فى الحسن عند موفق لقضى لها

وأقول ان هذا ليس من الحشو فى شئ لان من شروط ذلك ان يكون المعنى تاما بدونه ولا تمام لهذا المعنى بدون موفق لانه لابد أن يقول عند حاكم أما كونه موفقا أوغير موفق فهذا من متممات البلاغة اذ قوله موفق مبالغة لاحتمال أن يظن بالحاكم أنه يميل فى حكمه لامر ما فاذا كان موفقا فلا وغالب وروده هذا النوع اما بالنداء كقول المتنبى ياجنتى فى البيت الذى تقدم وكقول بن الساعاتى

تود نجوم الليل لو نصلت بها * وان لقيت بؤساذوابل مالده

ولو تملك الحكم الاهلة لم تكن * وبانخفرها الاانعالا لجرده

وأما بلفظة حاشا كقول القهستانى والجزار وقد تقدما وحكى ان ابن حيوس لما سمع قول ابن الخياط

لم يبق عندى ما يباع بدرهم * وكفاك شاهد منظرى عن مخبرى

الابقية ماء وجه صنتها * عن ان تباع وأين أين المشترى

قال لو قال وأنت نعم المشترى لكان أحسن قلت اشتهر هذا بين الناس واستحسنه أهل الادب وليس ذلك واردا على ابن الخياط فانه لكل مقام مقال وابن الخياط هنا ليس فى مقام التعرض للاستماحة من أحد بل هو فى مقام تشك وتظلم من الدهر وانه من الفقر فى غاية ولم يبق ماعليه غير ماء وجهه ولو باعه لعز وجود المشترى له لعدم الكرام ألا ترى كيف أكده بقوله أين ثانيا وما أحسن قول البارع

قد تعففت وارتضيت بتدفيـ * ـع زمانى وقلت انى وحدى

لالانى أنفت مع ذا من الكد * بة أين الكرام حتى أكدى

ومن محاسن الاعتراض والحشو قول المضرب السعدى

فلو سألت سرات الحى سلمى * على أن قد تلون بى زمانى

لخبرها بنو وأحساب قومى * وأعدائى وكل قد بلانى

وقول كثير عزة

لو ان الباخلين وأنت منهم * رأوك تعلموا منك المطالا

رأيت أن تجبره بفضل وتنعشه بسجل قال خالد على ان اقارعك فان قرعتك لم أعطك شيأ وان قرعتنى أعطيتك فقارعه خالد فقرعه فقال اقلنى فاقاله ثم قارعه اخرى فقرعه أيضا فقال أقلنى فاقاله ثانية ثم قارعه فقرع خالدا فقال اقلنى فقال لخالد لا اقالنى الله اذا فقال أعطوه بدرة يدخلها فى حر أمه فقال وأخرى أيها الامير أدخلها فى استها فضحك وأمر له ببدرتين وكان يقول أيها الناس لو رأيتم البخل لرأيتموه مشوها تنفر منه القلوب وقال له بعض أصحابه والله انا لنسالك امورا لاحاجة الينا بها فقال ولم قال لعلمنا بحبك فيمن سالك حاجة واما فصاحته فنها انه أقام على المنبر بواسط فحمد الله وصلى على نبيه ثم قال أيها الناس تنافسوا فى المكارم وسارعوا الى المغانم ومهما يكن لاحد كم عند احد نعمة فلم يبلغ شكرها فالله أحسن له جزاء وأجزل عليه عطاء واعلموا ان حوائج الناس اليكم نعم من الله عليكم فلا تملوها فتحول نقم وأفضل المال ما كسب أجرا واورث ذكرا واجود الناس من اعطى من لايرجوه ومن لم يطلب حرثه لم يزك نبته

وقول أبي تمام الطائي

وان الغنى لي لو لحظت مطالبي * من الشعر الا في مديحك أطوع

وهذا البيت فيه اعتراضان أحدهما بين اسم ان وخبرها والثاني ما استثنى به من قوله الا في مديحك بين ان الغنى أطوع من الشعر وبين لو لحظت مطالبي وتقديره هذا البيت وان الغنى لو لحظت مطالبي لي أطوع من الشعر الا في مديحك يعني فانه لا يتقدم مديحك شعر وقد عده جماعة في الحشو والاعتراض وأنا أرى أن أبا تمام قد أذهب حلاوة معناه بتقديم ألفاظه وتأخيرها وهو من باب التعاظل كقول الفرزدق وما مثله في الناس البيت وقلت أنا في هذا النوع

حسبي الذي ألقاه من ألم الهوى * وعلى الصحيح فبعض ذلك كفاني

فانظر الى قلبي اذا قابلته * يا غصن كيف يطير بالخفقان

وقلت أيضا

لا تلح قلب الشجي تقابل * معروف أهل الهوى بمنكر

فلو ترشفت ريق فيه * كنت يقينا يا صاح تسكر

ووقفت على أبيات لجماعة تغزلوا في المشايخ فقلت ردا عليهم

كم قد أقمنا على حب العذار لمن * يهواه عذرا اذا ما جاء يعتذر

وما لحينا على حب اللحى أحدا * قد هام فيها وقلنا الأمر يغتفر

فكيف نقضي على حب الشيوخ وهل * يكون في الشيب حسن قط يا درر

فقولي هنا يا درر أفاد تمام الوزن والقافية والتورية في الشيب والدرة وقلت أيضا في مليحة في يدها سوار

تكون من برد زندها * وجمر السوار عليه ائتلاق

فلا ذا على ما علمت انطفا * ولا ذا وحاشاه من ذا احترق

فقولي وحاشاه الضمير يعود على الزند وهو حشو حسن هنا وظرف من قال مواليا

جازت تقاطعت قالت مد في حزرك * خاب الذي أملوا في وصلنا خزرك

شيخ مفلس وقد هد الكبر ازرك * ترى الطبيب وصف يا منذ فه بزرك

لو أن في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

(اللغة) الشرف العلو والمكان العالي قال الشاعر

آتي الندى فلا يقرب مجلسي * وأقود للشرف الرفيع حماري

يقول خرفت فلا ينتفع برأيي ولا أستطيع أن أركب حماري الا من مكان عال وجبل مشرف أي عال واذن شرفاء أي طويلة وشرفة القصر واحدة الشرف التي تكون في أعاليه المأوى كل مكان يأوي اليه الشيء ليلا أو نهارا ومنه قوله تعالى سآوي الى جبل يعصمني من الماء ومأوى الابل بكسر الواو لغة في مأوى الابل خاصة وجنة المأوى احدى الجنات الثمانية وقد نطق بها القرآن الكريم وهي جنة الفردوس وجنة النعيم وجنة المأوى وجنة عدن وجنة الخلد ودار المتقين ودار السلام ودار القرار والنار سبع وهي جهنم والجحيم وسقر ولظى والحطمة والسعير والهاوية بلوغ مصدر بلغت المكان اذا وصلت الى حده ومنه قوله تعالى

والاصول عن مغارسها تسمو وباصولها تسمو أقول قولي واستغفر الله لي ولكم ومنها انه صعد يوما المنبر فارتج عليه الكلام فقال أيها الناس ان الكلام يجيء أحيانا ويعزب أحيانا ورب طالب قال وكو برفعصي والتأني لمجيه أيسر من التعاطي لابيه وقد يختلج في الجريء جنانه ويتعاصى على الذرب لسانه ثم لا يكابر القول اذا امتنع ولا يرده اذا اتسع وأولى الناس من عذر على النبوة ولم يؤاخذ على الكبوة من عرف ميدانه اشتهر احسانه وسأعود وأقول ثم نزل * وأما رونقه من الدين واستهتاره فحكي انه حفر بئرا عكة عذبة الماء ثم نصب طستا الى جانب زمزم ثم خطب فقال قد جئتكم بماء العاذبة لا تشبه ماء ام الخنافس يعني زمزم ثم قال ان نبي الله اسمعيل استسقى ربه فسقاه ملحا اجاجا وسقى أمير المؤمنين عذبا زلالا فراتا يعني هذا البئر (وحكي) أن سفيان بن أبي عبد الله قال سمعت خالدا القسري على المنبر وكان بنو أمية أمروا بلعن علي على المنابر يقول اللهم افعل بعلي بن أبي طالب بن عبد المطلب زوج فاطمة وابي الحسن والحسين كيت وكيت وكان مع ذلك

فاذا بلغن أجلهن أي وصلان منى جمع منية وهي ما يتمناه الانسان لم تبرح يقال لا أبرح من ذلك أي لا ازال أفعله الشمس يأتي الكلام عليها فيما بعد دارة الحمل ما أعرف الدارة الا للقمر والشمس اللهم الا أن يكون أراد الدارة لغة وهي ما يدور حول الشئ والحمل أول برج من بروج الكواكب الاثني عشر وشرف الشمس في تسع عشرة درجة منه ويخص هذا البرج من الثمانية وعشرين منزلة منزلتان وثلث وهي السرطان وهما قرنا الحمل وتسمى هذه المنزلة النطح وما أحلى قول حسان بن المصيصي

ان النطاح من الورى خلق * حتى الكواكب بينها النطح

والمنزلة الثانية هي البطين وما أحلى قول بعضهم

وعلق تعلقته بعد ما * غدا وهو من سقطات المتاع
ولم يبق فيه على ما بقا * لشئ سوى أكلة والوداع
فأعللته عن دخول الكنيف * بجهل مطاع وحلم مضاع
فغرقني منه نوء البطين * وغرق مني بنوء الذراع

وقول بن التعاويذي من أبيات

فبت وبات الى جانبي * بعد المنازل فيها كلانا
ترينى البطين ولكنني * اقارضها فاريها الزبانا

وبعض الثريا والثريا في صورة الحمل بمثابة الالية والحمل هو الكبش يقال ان بعضهم كان اذا لعب الشطرنج مع أي من كان تضارب معه فوصف لبعض الظرفاء فقال أنا ألعب معه والتزم انه لا يحصل بيننا تضارب فلما أتى اليه ولعبا وقال له في أثناء اللعب شاه اشتر فقال مليح والله القرنان أنت والقواد أنت فقال يا أخي ما الذي قلت قال قلت اشتر وهي تصحيف اشتروما يشترالا الحمل والحمل تصحيف الجمل والحمل هو الكبش والكبش هو القرنان والقرنان هو الذي يقود فقال له يا أخي ما رأيت من يضارب بتصحيف وتفسير وتسلسل غيرك قلت كذا حكاه لي جماعة وهو غلط لان اشتر لا يعرفه أهل اللغة والذي يقولونه في كل ذي كرش انه يجتر بالجيم فاعرفه وكتب محيي الدين يوسف بن يوسف بن زبلاق الى بدر الدين بن لؤلؤ صاحب الموصل صحبة حمل أهداه اليه

يا أيها المولى الذي * يبابه كل أمل
لو لم تكن بدر الما * أهدى لك الثور الحمل

وللصابي رسالة حسنة كتبها عن أبي العباس بن سابور المستخرج الى أبي الخير بن سبرة أطال فيها وأطاب منها وقلت اذبحه فيكون وظيفة للعيال واقيمه رطبا مقام قديد الغزال فانشدني وقد اضرمت النار وحدث الشفار وشمر الجزار

اعيذها نظرات منك صادقة * ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وقال ما الفائدة في ذبحي وانا

لم يبق الا نفس خافت * ومقلة انسانها باهت

وللحمدوني في شاة أبي سعيد بن احمد عدة مقاطيع منها

أبا سعيد لنا في شاتك العبر * جاءت وما ان لها بول ولا بعر

يرقوما من بني هاشم فحكى أن محمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان اتاه يستمنحه فلم ير منه ما يحب فقال اما المنافع فللهاشميين واما نحن فما حبوتنا منه الاشتمه عليا على منبره فبلغ خالدا ذلك فقال ان احب تناولنا له عثمان بشئ

(وقيل بشار بن برد)

هو بشار بن برد بن برجوج الشاعر المقدم من مخضرمي الدولتين الاموية والعباسية كان جده من طخارستان من سبي المهلب ويدعي انه مولى بني عقيل وحدث عن نفسه قال لما دخلت على المهدي قال لي فيمن تعتد يا بشار فاجبته وقلت أما اللسان فعربي وأما الاصل فعجمي كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين

ونبئت قوما بهم جنة
يقولون من ذا وكنت العلم
ألا أيها السائلي جاهلا
ليعرفني أنا أنف الكرم
نمت في الكرام بنو عامر
فروعي وأصلي قريش العجم

وكان يتلون في ولائه فتارة يفتخر بقيس وتارة بغيرهم وتارة ينشد ويقول

أصبحت مولى ذي الجلال

وبعضهم

مولى العذيب فخذ بفضلك وا ظهر
وارجع الى مولاك غير مدافع

وكيف تبعر شاة عندكم مكثت * طعامها الابيضان الشمس والقمر
لو أنها أبصرت في يومها علفا * غنت له ودموع العين تنحدر
يامانعي لذة الدنيا باجمعها * اني ليقنعني من وجهك النظر

وقد فعل الحمدوني في هذه الشاة كما فعل في طيلسان أحمد بن حرب المهلبي ولكن مقاطيع الطيلسان فوق الخمسين وكلها بديع وقال بعضهم

اطعمنا الشيخ رئيس الكفاه * فوق غثان من جدي شواه
فكان ماعمر في موته * اضعاف ماعمره في الحياه

ومما اشتهر بين الادباء قولهم أخف من دينار يحيي وهو يحيي بن علي بن منارة بلي بالعباس ابن الوليد المصيصي الخياط لما أعطاه دينارا خفيفا فقال فيه عدة مقاطيع منها

دينار يحيي زائد النقصان * فيه علامة سكة الحرمان
قد رق منظره ودق خياله * فكأنه روح بلا جثمان
اهداه مكتتما الى برقعة * فوجدته أخفى من الكتمان

وضرطة وهب وما احسن قول ابن الرومي يعتذر له

قد اكثر الناس في وهب وضرطته * حتى اقدلى ماقالوا وقد بردا
لم تعل ضرطة هاجيه كضرطته * في الذاكرين ولم يحسد كما حسدا
ياوهب لاتكترث بالعائبين لها * فانما انت غيث و بما رعدا

وظرف ابن قلاقس في قوله في لحية بعضهم

هي فوق الصدر قد سد * ته من شرق لغرب
لحية ردته في النا * س ولا ضرطة وهب

ولاحمد بن ابي طاهر مصنف في الاعتذار عن ضرطة وهب ويقال ان يعقوب ابن المهدى كان لا يقدر أن يمسك الفساء اذا جاء فاتخذت داية له مثلثة وطيبتها وتأنقت فيها فلما وضعتها تحته فسا وقال هذه المثلثة ليست بطيبة فقالت له فديتك قد كانت طيبة وهي مثلثة فلما ربعتها فسدت وقيل ان بعضهم وقعت في رجله شوكة فلما حركتها زوجته بالابرة ضرط فقال لها رأيتيها فقالت لا ولكني سمعت صوتها وقال النور الاسعردي يضمن قول المرضى

قالت اذنام من أحب وأيدى * ضرطة آذنت لشملي بجمع
فانني أن أرى الديار بطرفي * فلعلي أرى الديار بسمعي

وقيل انه كان لمطيع بن اياس صديق من العرب يجالسه فضرط ذات يوم عنده فاستحى وغاب عن المجلس فتفقده مطيع حتى عرف السبب فكتب اليه

أظهرت منك لنا هجرا ومقلية * وغبت عنا ثلاثا لدس تغشانا
هون عليك فما في الناس ذو ابل * الاوانيقه يشردن احيانا

ودخل البديع الهمذاني على الصاحب بن عباد فتزحزح له واجلسه على السرير معه فحبق البديع حبقة وأراد أن ينفي عن نفسه التهمة فقال يامولانا هذا صرير التخت فقال الصاحب بل صفير التحت فخرج خجلا وانقطع عن المثول بين يديه فكتب اليه الصاحب

قل للصفيري لاتذهب على خجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود

سبحان مولاي العلي الاكبر وكان يلقب بالمرعث لرعاث كان في أذنه وهو صغير والرعاث القرط وقيل لبيت ذكر فيه الرعاث وولد اعمى فكان يقول اشد ماهجيت به قول الباهلي حيث يقول وعبدي فقأ عينيك في الرحم ابره

بخقت ولم تعلم لعينيك فاقتا

وكان يشبه الاشياء بما لا يقدر عليه البصراء وسئل عن ذلك فقال عدم النظر يقوى ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر اليه من الاشياء فيتوفر حسه وسئل ابو عبيدة من اشعر عندك ابشار ام مروان بن ابى حفصة فقال ان بشار احكم لنفسه بامور لم يعطها غيره وذلك انه قال لي اثنى عشر الف بيت جيد فقيل له كيف ذلك فقال لي اثنى عشر الف قصيدة ان لم يكن في كل قصيدة بيت جيد فلعنها الله ولعن قائلها وكان يتهم بالزندقة وروى الجاحظ قوله

الارض مظلمة والنار مشرقة
والنار معبودة مذ كانت النار

وقال بهذا البيت وجد واصل ابن عطاء السبيل الى تكفير بشار وخطب فيه خطبته المحذوفة الراء (وحكى) سعيد ابن مسلم قال كان بالبصرة ستة من اصحاب الكلام

فانها الريح لا تستطيع تحبسها * اذلست أنت سليمان بن داود

وقيل ان بعض الفقراء أصابه قولنج شديد في بعض المساجد فجعل يتكرب ويقلق ويقول يا ألله ضرطة وأقلق رفاقه فلما كان الصبح أشرف على الهلاك وعاين الموت فقال يا ألله الجنة فقال له بعض رفاقه ما رأيت أحمق منك أنت من المغرب الى الآن تسأله ضرطة ما فرحت بها وتسأله الجنة ومن الالغاز في ذلك

ومولودة لم تعرف الطمث أمها * وليس لها روح ولا تتحرك

يقهقه منها القوم من غير رؤية * وصاحبها من عارها ليس يضحك

وما أظرف قول شمس الدين محمد بن دانيال في ابن البعريني

أمسي الضيا منادمي وحشاه لي * محشوة بغرائب الاخلاط

عصفت على رياحه فوجدتها * أقوى هبوبا من رياح شباط

قد كنت انعس لانتشاق فسائه * غشيا فيوقظني بصوت ضراط

مازلت أنشق منه ريح امتنا * حتى استحال الى الخراء مخاطي

يا أيها المفتوق من أرياحه * هذي النصيحة فيك للخياط

وكان الامير علم الدين سنجر المروزي والي القاهرة يعرف بالخياط وقال ناصر الدين بن النقيب

انفلتت منه ضرطة سمعت * فكادمنها يحمي العرق

فاسترقت في دون فاعلها * وماظننت الضراط يلترق

ووقف بين يدي الحجاج أوغيره رجل من البادية فلما أخذ في الكلام ضرط فضرب بيده على استه وقال اما ان تتكلمي وأسكت واما ان تسكتي وأتكلم أنا مع الامير وقلت انا مضمنا في ضروط

غابت من سد سمعي صوت فقحته * ولم اجد ملجأ لي من مطاردها

فقال نوق ضراطي كلما سخنت * أنام ملء جفوني عن شواردها

وممن له شهرة بين المحدثين غسيل الملائكة وهو حنظلة بن أبي عامر الانصاري خرج يوم أحد فأصيب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا صاحبكم قد غسلته الملائكة وقتيل الجن وهو سعد بن عبادة ومصافح الملائكة وهو عمران بن الحصين وحمي الدبر وهو عاصم بن ثابت ابن أبي الافلح حمته النحل الى ان كان الليل فاحتمله السيل ولم يصل عداه الى حز رأسه وذو الشهادتين وهو خزيمة بن ثابت الانصاري شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في قضاء دين اليهود وذو العينين وهو قتادة بن النعمان أصيبت عينه يوم أحد فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وذو اليدين وهو عبيد بن عبد عمرو الخزاعي كان يعمل بيديه معا وذو العمامة وهو أبو أحيحة سعيد بن العاص بن أمية كان اذا لبس عمامته لم يلبس قرشي عمامته حتى ينزعها وذو الثدية وكان باب الخوارج وكبيرهم وجد بين القتلى يوم النهروان كانت احدى يديه مخدجة كالثدي وعليها شعيرات وذو الثفنات وكان يقال ذلك لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ولعلي بن عبد الله بن عباس لما على أعضاء السجدات منهما من شبه ثفنات البعير وذو السيفين وهو أبو الهيثم بن التيهان لتقلده في الحروب بسيفين وذات النطاقين وهي أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما لانها شقت نطاقها للسفرة ليلة خرج أبوها والنبي

عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وبشار الاعمى وعبد الكريم ابن أبي العوجاء وصالح بن عبد القدوس ورجل من الازد يعني جرير بن حازم فكانوا يجتمعون في منزل الازدي ويختصمون عنده فاما عمرو وواصل فصارا الى الاعتزال واما عبد الكريم وصالح فصححا التثنوية واما الازدي فمال الى السمنية وهو مذهب من مذاهب اهل الهند واما بشار فبقي متحيرا فقيل انه قال بعد بمذهب الثنوية وبعده ترندق قال احمد بن خالد كنت اكلم بشارا واورد عليه سوء مذهبه عليه الى الالحاد فكان يقول لا أعرف الا ما عاينت او عاينه معاين وكان يطول الكلام بيننا فقال لي ما أظن الامر يا أبا خالد الا كما يقال انه خذلان ولذلك أقول

طبعت على ما في غير مخير هواي ولو خيرت كنت المهذبا

أريد فلا اعطى وأعطى فلم أرد وغيب عني ان أنال المغيبا

واصرف عن علمي وعلمي مبصر فأمسي وما أعقبت الا التعجبا

وروى المازني قال قال رجل لبشار أتأكل اللحم وهو مباين لمذهبك فقال انما ادفع به شر هذه الظلمة ومثل هذه الحكايات المنسوبة اليه دبر عليه يعقوب وزير

صلى الله عليه وسلم مهاجرين الى المدينة وسيف الله وهو خالد بن الوليد وسيأتي الكلام عليه والذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين حين فر الناس عنه تسعة وهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وأبو سفيان بن الحرث وابنه الفضل وربيعة بن الحرث واسامة بن زيد وأيمن بن أم أيمن بن عبيد وقتل يومئذ وبعض الناس يعد قثم بن العباس ولم يعد أبا سفيان ومما له شهرة بين ذوي الاخبار درة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الشعبي كانت درة عمر أهيب من سيف الحجاج وقميص عثمان وهو الذي تضرج بدمه يوم قتل وفقه العبادلة وهم عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير وذكاء اياس بن معاوية القاضي وشجة عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وكان من أجمل أهل عصره أصابته شجة في وجهه فلم تشنه وما أحسن قول محيي الدين ابن قرناص في مليح مشتور

لم يشنه شتر الجفـ ـن ولا انقص حسنه
سيف ذاك اللحظ ماض * فلهذا شق جفنه

وشيبة الحمد وهو عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وذلك انه لما ولد كان في ذؤابته شعرة بيضاء وملاعب الاسنة وهو عامر بن الطفيل وازواد الراكب وهم ثلاثة من قريش مسافر بن أبي عمرو بن امية وزمعة بن الاسود بن عبد المطلب بن عبد العزى بن قصي وأبو أمية المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم سموا بذلك لانهم لم يتزود معهم أحد في سفر قط وعروة الصعاليك وهو عروة بن الورد كان اذا شكى اليه أحد أعطاه فرسا ورمحا وقال له ان لم تستغن بذلك فلا أغناك الله وسليك المقانب وهو سليك بن سلكة وكان أعدى الناس حتى أن الفرس لم تدركه وطفيل الاعراس وهو من غطفان وقيل من موالي عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وكان يتتبع الاعراس فيأتي اليها من غير دعوة واليه نسبة الطفيلي وأشج بني أمية وهو عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه جاء الحديث فيه الاشج والناقص أعدلا بني أمية والناقص هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان وكان فيه تأله وسمي بالناقص لانه كان ناقص الوركين في قول المدني وقال غيره كان أسمر حسن الوجه نحيف الجسم معتدل القامة أعرج وقيل لانه نقص الناس من عطائهم والاول أصح وجبار بني العباس وهو هرون الرشيد لانه أغزى ابنه القاسم الروم فقتل منهم خمسين ألفا وأخذ منهم خمسة آلاف دابة بسروجها الفضة ولجمها وأغزى علي بن عيسى بن ماهان بلاد الترك فقتل منهم أربعين ألفا وغزا هو بنفسه الروم فافتتح هرقلة وأخذ الجزية من ملك الروم وقيافة بني مدلج وعيافة بني لهب وبنات طارق وهن بنات العلاء بن طارق بن أمية بن عبد شمس يضرب بهن المثل في الحسن والشرف وبنات الحرث بن هشام يضرب بهن المثل في الشرف وغلاء المهر وزرقاء اليمامة كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة أيام وبغلة أبي دلامة يضرب بها المثل في جميع العيوب وعير أبي سيارة وهو رجل من عدوان كان له حمار أسود أجاز الناس عليه من المزدلفة الى منى أربعين سنة ويوسف هذه الامة قاله عمر رضي الله عنه في جرير بن عبد الله البجلي وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وكان بديع الجمال تام الحسن طويلا يصل الى سنام البعير ونعله ذراع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه مسحة ملك وفارس الاسلام وهو سعد بن أبي وقاص

المهدي حتى قتل (حكي) ابن نصر قال قدم بشار من البصرة الى بغداد وقد مدح المهدي بقصيدته الرائية ثم أنشده اياها فلم يحظ منه بشيء فقيل انه لم يستجد شعرك فقال والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على احد ولكنا نكذب في القول فنكذب في الامل ثم مدح يعقوب ابن داود وزيره فلم يحفل به ولم يعطه شيأ وأقام ينتظر جائزته برهة فمر يعقوب يوما ببشار فصاح بشار

طال الثواء على رسوم المنزل

فقال يعقوب

فاذا تشاء ابا معاذ فارحل

فغضب بشار وقال يهجوه

بني امية هبوا طال نومكم
ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا
خليفة الله بين الناي والعود

ثم رحل وحضر حلقة يونس النحوي فقال ههنا من تحتشمه فقال لا فانشده هجاء في المهدي وهجاء في يعقوب فسعى به الى يعقوب وكان المهدي قد قدم البصرة فدخل عليه يعقوب وقال للمهدي ان بشارا زنديق وقد قامت عليه البينة وقد هجا امير المؤمنين فامر ابن نهيك وهو صاحب الشرطة بأمره ثم

أحد العشرة وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله عز وجل وكان مجاب الدعوة وهو مقدم الجيوش في فتح العراق وآخر من خرج من لحد رسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس وكان ممن يشبه النبي صلى الله عليه وسلم وهم خمسة أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد ابن محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة

بخمسة شبه المختار من مضر * يا حسن ما خولوا من شبهه الحسن
لجعفر وابن عم المصطفى قثم * وسائب وأبي سفيان والحسن

فاما جعفر فهو ابن أبي طالب وأما قثم فهو ابن العباس وأما السائب فهو ابن عبيد جد الشافعي وأما أبو سفيان فهو ابن الحرث بن عبد المطلب وأما الحسن فهو ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين وأول مولود ولد في الاسلام وفارس قريش هو عبد الله بن الزبير وهو أحد السادات الطلس وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يلحد بمكة كبش من قريش اسمه عبد الله فاتله عليه مثل نصف أوزار الناس ومن السادات الطلس القاضي شريح وهو شاعر زاجر قائف وأول من سمي في الاسلام عبد الملك هو عبد الملك بن مروان قال فيه ابن عمر ولد الناس ابناء وولد مروان أبا والطلحات المعدودون في الجود طلحة بن عبيد الله أحد العشرة وهو طلحة الفياض وطلحة الجود وهو ابن عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وطلحة الدراهم وهو ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق وطلحة الخير وهو ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ولم يعقب وطلحة الكندي وهو ابن عبد الله ابن عوف الزهري وطلحة الطلحات وهو ابن عبيد الله بن خلف الخزاعي وأجواد الاسلام عبد الله بن عباس بن عبد المطلب وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب وسعيد بن العاص بن سعد بن العاص بن أمية وعبيد الله بن عامر بن كريز وحمزة بن عبد الله بن الزبير بن العوام وعمر بن عبيد الله بن معمر التيمي وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن العيص وقيس بن سعد بن عبادة الانصاري وعتاب بن أبي ورقاء أحد بني رياح بن يربوع ابن حنظلة وأسماء بن خارجة بن حصن بن بدر الفزاري وعبيد الله بن أبي بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب النوادر ابن أبي عتيق وأشعب الطمع وأبو الغصن جحي وأبو العيناء وأبو العير وأبو العنبس وأبو الخصاص ومزيد المدني وأغربة العرب ثلاثة عنترة العبسي وخفاف بن ندبة وسليك بن السلكة والفتاك عبد الرحمن ابن ملجم قاتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وشمر بن ذي الجوشن قاتل الحسين ابن علي بن أبي طالب وعمير بن جرموز قاتل الزبير بن العوام وأبو لؤلؤة فيروز قاتل عمر بن الخطاب وأصحاب العاهات من الملوك الاسكندر كان أخنف وأنوشروان كان أعور ويزدجرد كان أعرج وجذيمة الوضاح كان أبرص والنعمان بن المنذر كان أحمر العينين والشعر وعبد الملك بن مروان كان أبخر ويزيد بن عبد الملك كان أفقم وهشام بن عبد الملك كان احول ومروان الحمار كان اشقر ازرق وعبد الله بن الزبير كان كوسجا والهادي كان في شفته العليا تقلص وكان ابوه المهدي قد رتب معه خادما يلازمه متى غفل وفتح فاه يقول له موسى اطبق وابراهيم بن المهدي كان اسود سمينا يلقب بالتنين واربعة من اهل البصرة لم يمت كل منهم حتى رأى من ولده وولد ولده مائة انسان وهم انس مالك الانصاري وابو بكرة مولى النبي صلى الله عليه وسلم وعبد الرحمن بن عمير الليثي وخليفة بن السعدي وخليفة سلم عليه وعمه وعم ابيه

وعم

ازف خروجهم فاخرجه ابن نهيك معه في زورق فلما كانوا بالبطيحة ذكره فارسل الى ابن نهيك يأمره بضرب بشار بالسياط ضرب التلف ويلقيه بالبطيحة فاقيم في صدر السفينة وامر الجلادين ان يضربوه ضربا متلفا فجعل يقول كلما وقع عليه السوط حس وهي كلمة تقولها العرب عند الالم فقال بعضهم انظروا الى زندقته ما نراه يحمد الله تعالى فقال بشار ويلك اثريد هو احمد الله عليه فلما بلغ سبعين سوطا اشرف على الموت فالقي في صدر السفينة فقال ليت عين ابي الشمقمق تراني حين يقول

ان بشار بن برد
تيس اعمى في سفينه

ثم مات من ساعته فالقي في خرارة البطيحة فحمله الماء الى البصرة فاخذه اهله ودفنوه (وحكى) ابن خلاد قال لما ضرب بشار بعث المهدي الى منزله من يفتشه على كتب الزندقة فوجدوا طومارا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اني أريد هجاء آل سليمان بن علي فذكرت قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركتهم اجلالا له صلى الله عليه وسلم فلما قرأه بكى وندم على قتله وقال

وعم جده يرون وهو هرون الرشيد عمه هو سليمان بن المنصور والعباس بن محمد هو عم ابيه المهدى وعبد الصمد بن على بن عبد الله بن عباس هو عم جده المنصور وخليفة سلم عليه سبعة كلهم ابن خليفة وهو المتوكل سلم عليه محمد بن الواثق واحمد بن المعتصم وسليمان بن المأمون وعبد الله بن محمد وأبو احمد بن الرشيد والعباس بن موسى ومنصور بن المهدى واعرق الناس فى الخلافة هو المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدى بن المنصور واعرق الناس فى الوزارة ابو على الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب كان ابو على وزير المقتدر وابوه القاسم وزير المعتضد وسليمان وزير المهتدى وبعده المعتمد واخو أبى على ابو جعفر وزير القاهر ولم يتقلد الخلافة من ابوه حى سوى الطائع لله وابى بكر الصديق رضى الله عنه وكلاهما اسمه ابو بكر وليس لهم خليفة هاشمى من هاشمية غير الحسن بن على رضى الله عنهما ومحمد الامين بن زبيدة ولم يل الخلافة من اسمه جعفر الا المقتدر والمتوكل وقتلا جميعا المتوكل ليلة الاربعاء والمقتدر يوم الاربعاء قال الصولى الناس يرون أن كل سادس يقوم بامر الناس منذ أول الاسلام لابد أن يخلع النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى والحسن خلع ثم معاوية ويزيد ومعاوية ومروان وعبد الملك وعبد الله بن الزبير خلع وقتل ثم الوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام والوليد بن يزيد خلع ثم أتى الله بالدولة العباسية فكان السفاح والمنصور والمهدى والهادى والرشيد والامين خلع ثم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل والمنتصر والمستعين خلع ثم المعتز بالله والمهتدى والمعتمد والمعتضد والمكتفى والمقتدر خلع فى فتنة ابن المعتز ثم رد الى هنا قول الصولى قال صاحب رأس مال النديم ثم القاهر ثم الراضى ثم المتقى ثم المستكفى ثم المطيع ثم الطائع خلع قلت ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد والراشد فخلع ثم المقتفى والمستنجد والمستضئ والناصر والظاهر والمستنصر بالله قيل انه مات مسموما وكان الذى سمه خلعه فخلع وقتل أيام قلاوون لما فتحت بغداد وكذلك العبيديون وهم الذين تسموا بالفاطميين وأول من ملك الغرب المهدى عبيد الله والقائم بامر الله والمنصور صاحب افريقية والمعز بانى القاهرة والعزيز والحاكم ثم قتلته أخته وولت ابنه الظاهر والمستنصر والمستعلى والآمر والحافظ والظافر فخلع وقتل وولى ابنه الفائز والعاضد وهو آخرهم وكذلك بنو أيوب فى ملك مصر أولهم صلاح الدين وولده العزيز وأخوه الافضل بن صلاح الدين والعادل الكبير أخو صلاح الدين والكامل ولده والعادل الصغير فخلع قبض عليه أمراء دولته وأحضروا أخاه الصالح نجم الدين أيوب وكذلك دولة الاتراك أولهم المعز وابنه المنصور والمظفر قطز والظاهر وابنه السعيد واخوه العادل سلامش فخلع وملك السلطان المنصور سيف الدين قلاوون وخرج عليه سنقر الاشقر بدمشق ثم فر الى حصن صهيون ثم ملك الاشرف خليل بن قلاوون ثم أخوه الناصر محمد وتوجه الى الكرك فتولى كتبغا ثم تولى حسام الدين لاجين فخلع وقتل ثم طلب الناصر ثم رحل الى الكرك فتولى الجاشنكير بيبرس المظفر ثم عاد الناصر ومات فملك المنصور أبو بكر وبعده الاشرف كجك ثم الناصر أحمد فخلع وقتل ثم ولى الصالح اسمعيل ثم الكامل شعبان ثم المظفر حاجى ثم الناصر حسن ثم الصالح صالح ثم عاد الناصر حسن أدام الله أيامه وأما من اشتهر من الفقهاء فهم فقهاء المدينة السبعة وقد نظمهم بعض الشعراء فقال

لاجزى الله يعقوب خيرا فانه لما هجاه اتفق عليه شهودا على انه زنديق فقتله وندمت حين لا ينفع الندم * ومن مستظرف اخبار بشار قال له هلال بن عطية يوما يمازحه وكان صديقا له ان الله تعالى لم يذهب ببصر احد الا عوضه منه شيأ فما عوضك قال الطويل العريض قال وما هو قال انى لا اراك ولا امثالك من الثقلاء ثم قال يا هلال اتطيعنى فى نصيحة انصحك بها قال نعم قال انك كنت تسرق الحمير زمانا ثم تبت وصرت رافضيا فعد الى سرقة الحمير فهى والله خير لك من الرفض * ومرت به نسوة حسان فقلن له ايسرك اننا بناتك يا ابا معاذ فقال اى والله والدين كسروى ويقال انه كفر بهذا اللفظ فانه اراد يسرنى ايضا ان الدين كسروى ودخل يوما الحمام وفيه بعض ولد قتيبة فقال يا بشار وددت انك تبصر فترانى فى الحمام وتعلم كذبك فى قولك حيث قلت

على استاه سادتهم كتاب
موالى عامر وسم بنار

فقال بشار يا ابن اخى ذهب عنك الصواب انما قلت سادتهم ولست منهم وكان يوما فى مجلس المهدى ينشده قصيدة فى مدحه فدخل خال

الا كل من لا يقتدي بأئمة * فقسمته ضيزى عن الحق خارجه
فخذهم عبيد الله عروة قاسم * سعيد أبو بكر سليمان خارجه

فعبيد الله هو ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي وعروة هو ابن الزبير ابن العوام والقاسم هو ابن محمد بن أبي بكر الصديق وسليمان هو ابن يسار مولى ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وسعيد هو ابن المسيب وأبو بكر هو ابن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة وخارجة هو ابن زيد بن ثابت الانصاري ورواة الاقوال القديمة عن الشافعي رضي الله عنه أربعة وهم أبو علي الحسن الزعفراني وأبو ثور وأحمد بن حنبل والكرابيسي ورواة الاقوال الجديدة عنه ستة وهم المزني والربيع ابن سليمان الجيزي والربيع بن سليمان المرادي والبويطي وحرملة ويونس بن عبد الاعلى وأصحاب القفال كلهم أصحاب وجوه في المذهب منهم أبو علي السنجي والقاضي حسين والشيخ أبو محمد الجويني والد امام الحرمين والفوراني والمسعودي والصيدلاني وفي مقابلة القفال من العراقيين الشيخ أبو حامد الاسفرايني شيخ العراقيين في وقته وأصحابه أصحاب وجوه في المذهب ومن مشاهيرهم أقضى القضاة الماوردي صاحب الحاوي والقاضي أبو الطيب والمحاملي والبندنيجي (رجع) وقد أطلت في سرد هذه الاشياء ولكن ما خلت من افادة ان شاء الله تعالى ولو لم يكن من فوائد التاريخ الا واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودي لكفى وذلك أن بعض اليهود أظهر كتابا ادعى فيه انه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم باسقاط الجزية عن أهل خيبر وفيه شهادة الصحابة منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه وحمل الكتاب الى رئيس الرؤساء فعرضه على الحافظ أبي بكر خطيب بغداد فتأمله وقال هذا مزور فقيل له من أين لك هذا وقال فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح وفتوح خيبر سنة سبع وفيه شهادة سعد بن معاذ وقد مات سعد يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين (الاعراب لو) تقدم الكلام عليها في قوله ولا أخل بغزلان تغازلني البيت (أن) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وفتحت أن ههنا لانها غير ماذكر في الشروط الستة التي توجب كسرها (في شرف) جار ومجرور وفي هنا ظرفية تتعلق بمحذوف هو خبر أن تقديره مستقر فالجار والمجرور هنا سد مسد الخبر وتقدم على اسم ان لان الخبر مجرور ومتعلق بنكرة (المأوى) مجرور بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور ويكتب بالياء لدخول الامالة فيه ولانه من أويت (بلوغ) منصوب على انه اسم أن والخبر تقدم الكلام عليه (منى) في موضع جر بالاضافة ولم يظهر الجر فيه لانه مقصور ويكتب بالياء لان واحده منية (لم) حرف يجزم المضارع ومعناه النفي وقد تقدم الكلام عليه ٣ (تبرح) فعل مضارع مجزوم بلم واغا حركت الحاء لالتقاء الساكنين وهما الحاء ولام التعريف في الشمس وتبرح من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهذه الجملة جواب الشرط الذي في لو (الشمس) مرفوع على انه اسم تبرح والالف واللام لتعريف الحقيقة أو للعهد الحسي أو الذهني (يوما) منصوب على انه مفعول فيه فهو ظرف والعامل فيه تبرح (دارة) مفعول به ولا يكون خبرا لتبرح لانها هنا تامة اكتفت باسمها كقوله تعالى فلن أبرح الارض فان قلت لاي شئ جعلتها تامة ولم تجعل الشمس اسمها ودارة خبرها قلت لان المعنى حينئذ يفسد لان الخبر في هذا الباب انما هو الخبر الذي كان خبرا في أول الامر في باب المبتدا والخبر والخبر صفة يحكم بها على المبتدا تقول زيد قائم فاذا أدخلت كان قلت كان زيدا قائما

المهدي وكان فيه غفلة فقال لبشار ما صناعتك فقال اثقب اللؤلؤ فضحك المهدي وكل من حضر * وجلس اليه رجل فاستثقله فضرط فظن الرجل انها انفلتت منه غضبا ثم ضرط اخرى ثم اخرى فقال له الرجل ماهذا الفعل فقال مسه ارأيت ام سمعت فقال بل سمعت صوتا قبيحا قال فلا تصدق حتى ترى فقام الرجل من ساعته وتركه * ووقف عليه بعض المجان وهو ينشد شعرا له فقال يا بشار استرشعرك كما تستر عورتك فغضب بشار وصفق بيديه وتفل عن يمينه ويساره وكان يفعل ذلك اذا غضب واراد ان يقول هجاء ثم قال ويلك من انت فقال انا من باهلة واخواني من باهلة واخوالي من سلول واصهاري من عك ومنزلي نهر بلال فضحك بشار وقال اذهب فانت عتيق لؤمك (وحكى) ابو عبيدة قال كان حماد عجرد يتهم بالزندقة وكان يعير بشارا بقبح خلقته فلما قال فيه
والله ما الخنزير في نتنه
بربعه في النتن اوخمسه
بل وجهه احسن من وجهه
ونفسه افضل من نفسه
فقال بشار ويلي على الزنديق لقد نفث بما في صدره قيل وكيف قال ما اراد الزنديق

٣ (قوله) اسم تبرح الموافق لجعلها تامة كما سيذكره جعل المرفوع بعدها فاعلا اه فالقائم

فالقائم هو زيد وزيد هو القائم فلو جعلت دارة خبرا للشمس لما حسن هذا لان الشمس لا تكون دارة للحمل ولا تتصف بذلك فتعين ان تكون تبرح تامة اكتفت باسمها عن الخبر قال الشيخ جمال الدين محمد ابن مالك جميع الباب يأتى تاما الاليس وفتئ وقال فى التسهيل ان اريد بتبرح تذهب سميت تامة اهـ ويحتمل أن تكون دارة منصوبة بنزع الخافض أى لم تبرح الشمس يوما من دارة الحمل ونزع الخافض كثير منه قوله تعالى واختار موسى قومه أى من قومه وقوله تعالى الامن سفه نفسه أى فى نفسه وقول الشاعر

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به * أى أمرتك بالخير ويحتمل أن تكون تبرح بمعنى تفارق فيكون المعنى لم تفارق الشمس يوما دارة الحمل وهذا أحسن وأما قول أبى الطيب

٣ اذا كان شم الروح أدنى اليكم * فلا برحتنى روضة وقبول

فللناس فيه كلام طويل وعابوا على ابن جنى رحمه الله ما فسره به لانه جعل برح من أخوات كان التامة وأتى فيه بتأويل بعيد وأحسن ما قيل فيه قول المخزومى وهو أن رحيلا واحدا بيننا فى الحياة وبعده رحيل ثان وهو الموت فلأن يكون رحيل واحد أقرب من أن يكون رحيلان فدعا للنفس بالحياة لانه مادام يشم الروح فهو أقرب منه اليهم اذا صار تحت التراب وهذا هو الصحيح وما سواه هدر ويكون برح هنا بمعنى فارق كما ادعيته فى بيت الطغرائى (رجع الحمل مجرور بالاضافة اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام والالف واللام هنا للمح الصفة فيما غلب عليه الاستعمال فى العلمية (المعنى) لو أن المقام فى المكان الشريف يبلغ المنى ما برحت الشمس مقيمة فى دارة الحمل لانها فى هذا البرج تشرف فى تسع عشرة درجة منه وهبوطها فى برج الميزان وقد ظرف أبو الجوائز هبة الله الواسطى فى قوله

انى ليعجبنى الفتاة اذا رأت * أن المروءة فى الهوى سلطان
لا كالتى وصلت وأكبرهمها * فى خدرها النقصان والرجحان
وكذاك شمس الافق فى أبراجها * تعلو وبرج هبوطها الميزان

وهذا الذى مثله الطغرائى فى غاية الحسن وفيه حث على الحركة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر وا تصحوا واغزوا تستغنوا وفى حديث آخر سافروا تصحوا وتغنموا وفى التوراة مكتوب ابن آدم أحدث سفرا أحدث لك رزقا وقالت العرب من أجدب انتجع وقالوا الحركات بركات وقيل لاعرابى أين منزلك قال بحيث ينزل الغيث وما أحكم قول أبى الطيب

وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

وقال البحترى

واذا الزمان كساك حلة معدم * فالبس له حلل النوى وتغرب

وقال ابن دراج القسطلى

دعى عزمات المستضام تسير * فتنجد فى عرض الفلا وتغور
ألم تعلمى أن الثواء هو التوى * وان بيوت العاجزين قبور

وقال أبو اسحق الغزى

يا خليلى خليا عاطل البيـد بوجه النجيبة الشملال
زحل أكبر الكواكب لايحـمل الامن قلة الانتقال

الا قول الله تعالى لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم فاخرج الجود بها مخرج الهجاء وهذا خبث شديد من بشار وتغافل وقد وقع بشار ايضا فى مثل هذه الواقعة حدث السرى بن الصباح قال دخلت على بشار بالبصرة فقال أما انى قد اوجعت صاحبكم وبلغت منه يعنى حماد عجرد قلت بماذا يا ابا معاذ فقال بقولى هذا وانشد يقول

يا ابن نهيا رأس على ثقيل
واحتمال الرأسين خطب جليل
فادع غيرى الى عبادة رب
ين فانى بواحد مشغول

فقلت له قد بلغ حماد هذا الشعر ولكنه يرويه على خلاف هذا قال فما يقول قلت له يقول

فادع غيرى الى عبادة رب
ين فانى عن واحد مشغول

فلما سمعه اطرق وقال احسن والله ابن الفاعلة ثم كان يقول اذا سئل عن هذين البيتين ليس هما لى * ومن كلام بشار وكان الجاحظ يعده مع شعره من الخطباء المذكورين قوله لقد عشت فى زمان فادركت اقواما لو خلقت الدنيا ما تجملت الابهم وانى لفى زمان ما ارى فيه عاقلا حصيفا ولا جوادا شريفا ولا جليسا ظريفا ولا

قلت قوله أكبر الكواكب ليس على ظاهره من أن مراده ان جرمه أكبر من أجرام الكواكب لان جرم الشمس أكبر منه على ما يأتي في شرح قوله وان علاني من دوني فلا عجب البيت والشعرى العبور أكبر جرما منه أيضا نعم هو أكبر من جرم القمر على ما تقرر في علم مساحات الافلاك والكواكب في الهيئة ولكن الغزي أراد بأكبر الكواكب أحد أمرين اما أنه في الفلك السابع وما سواه من الكواكب تحته واما على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه كأنه أراد فلك زحل ولذلك قال أبو العلاء المعري

زحل أشرف الكواكب دارا * من لقاء الردى على ميعاد

فلم يرد بشرفه الا أن فلك زحل أكبر أفلاك الكواكب السيارة وقوله لم يحمل الامن قلة الانتقال فيه ايهام انه قد يلبث في مكان دون مكان فيكون قليل الانتقال وليس كذلك انما زحل لا يقطع فلكه دون دورة كاملة الا بعد مضي ثلاثين سنة تقريبا لاتساع دائرة فلكه فهو لا يني ولا يفتر من الانتقال طرفة عين ولكن هو بالنسبة الى غيره من الافلاك كأنه قليل الانتقال ولاجل هذا من عاني الحركات والسكنات بالطالع انما يعول على حركات القمر لانه في كل شهر يقطع فلك البروج الاثني عشر ولا يعرج على زحل في هذه الاشياء وهذا معنى نحوله عند أصحاب المطالع وأغرب من هذا أنهم يقولون في فلك البروج انه فلك الثوابت وليس كذلك ولكن لما كان هذا الفلك انما يدور الدورة التامة على ما يزعمونه في كل ثلاثين ألف سنة مرة واحدة قالوا فلك الثوابت مبالغة في بطء حركته (رجع) قال ابن قلاقس

ان كنت تبغي وطنا * من العلا فاغترب
فالسمر في غاباتها * معدودة في القصب
والشمس لا ترقب في الـ * ـمشرق لو لم تغرب

وقال ابن الساعاتي

وكن غانيا عن كل أرض بأختها * وان حل مغناها كواعب عين
فلولا فراق الدر أصداف بحره * لأنكره تاج وصدر جبين

وقال أيضا

ولا يصدك عن شيء ترفعه * فربما صار وود انازح السحب
لم يشرف البدر لولا هجر موطنه * والبدر مات حتى جد في الطلب

وقال آخر

فالتبر كالترب ملقى في مواطنه * والعود في أرضه نوع من الحطب

وهو مأخوذ من قول الآخر

أضيع في معشري وكم بلد * يعد عود الكباء من حطبه

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام العلامة حجة العرب أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف في شعبان المعظم سنة ثمان وعشرين وسبعمائة بالقاهرة قال أنشدني أبو الحسين القشيري بقراءتي عليه قال أنشدني أبو الحسن علي بن أحمد الصوفي المؤذن بسبتة قال أنشدني أبو الشكر حماد بن هبة الله ابن حماد بحران لنفسه

قالوا نراك كثير السير مجتهدا * في الارض تنزل طورا وترتحل

من يساوي على الخبرة رغيفا

*وقال الاصمعي قلت لبشار ان الناس يعجبون من أبياتك في المشورة ويعني بذلك قوله

ولا تجعل الشورى عليك غضاضة
فان الخوافي عدة للقوادم

فقال يا أبا سعيد ان المشاور بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه

*ومات لبشار ولد فقيل له أجر قدمته وذخر أحرزته فقال بلى ولد دفنته وثكل عجلته وغيب وعدته فانتظرته وان لم أجزع للنقص لم أفرح بالمزيد *ومن محاسن شعره قوله

حرم الله أن ترى كابن سلم
عقبة الخير مطعم الفقراء
مالكي تنشق عن وجهه الار
ض كما انشقت السماء عن ذكاء
ليس يعطيك للرجاء ولا الخو
ف ولكن يلذ طعم العطاء
لا ولا أن يقال شيمته الجو
د ولكن طبائع الآباء

وقوله من قصيدة في المهدي

تسلى عن الاحباب وصال خلة
وصرام أخرى ما يقيم على أمر
وركاض أفراس الصبابة والهوى
جرت حججا ثم استقلت كما اجرى
الى ملك من هاشم في نبوة
ومن حمير في الملك والعدد الدثر

فقلت لولم يكن فى السير فائدة * ما كانت السبع فى الابراج تنتقل

ونقلت من مسودات بخط القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ما صورته ومن الشعر المنسوب الى الشهاب السهروردى المقتول مارواه عنه الجلال سليمان بن أبى القاسم بن داود الديلى الخلاطى قال أنشدنى الشهاب لنفسه بخلاط فى سنة احدى وثمانين وخمسمائة

أقول لجارتى والدمع جارى * ولى عزم الرحيل من الديار
ذرينى أن أسير ولا تلومى * فان الشهب أشرفها السوارى

وقلت أنا

سافر تنل عزا فسامى سك الورى * الادم فى سرة الغزلان
والرمح لما فارق الوطن اغتدى * بذؤابة خفقت وتاج سنان

وقلت أيضا

سافر تنل رتب المفاخر والعلى * كالدر سار فصار فى التيجان
وكذا هلال الافق لو ترك السرى * مافارقته معرة النقصان

وفى قول الطغرائى فى هذا البيت من البديع الايضاح وارسال المثل أما ارسال المثل فانه واضح لان كل من سمعه وحفظه تمثل به فيما يليق من المواقع وأما الايضاح فانه أزال به اللبس من خفاء الحكم الذى ادعاه فى البيت الذى تقدمه وهو ان العز فى النقل فهذا حكم خاف عند المخاطب حتى يوضحه بقوله لوأن فى شرف المأوى البيت فيزول اللبس ويتضح الحكم

(أهبت بالحظ لوناديت مستمعا * والحظ عنى بالجهال فى شغل)

(اللغة) أهاب الراعى بغنمه اذا صاح بها لتقف أولترجع وأهاب بالبعير وهاب زجر للخيل وهى زجر للفرس معناه توسعى وتباعدى الحظ النصيب والجد وجمع القلة أحظ والكثرة حظوظ وأحاظ على غير قياس كأنه جمع أحظ ولقد حظظت تحظ فأنت حظ وحظيظ ومحظوظ وأنت أحظ من فلان ناديت النداء الصياح مستمعا اسم فاعل من استمع الجهال جمع جاهل والجهل خلاف العلم تقول جهل جهلا وجهالة شغل فيه أربع لغات شغل بضم الشين وسكون الغين وبضمهما وشغل بفتح الشين وسكون الغين وشغل بفتحهما (الاعراب أهبت) فعل ماض من أهاب والتاء ضمير الفاعل (بالحظ) الباء هنا للتعدية والالف واللام للعهد الذهنى والجار والمجرور فى موضع النصب (لو) تقدم الكلام عليها فى قوله ولا أخل بغزلان البيت (ناديت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل (مستمعا) منصوب على أنه مفعول به لناديت (والحظ) الواو للابتداء الحظ مرفوع على الابتداء (عنى) جار ومجرور والنون الثانية نون الوقاية والياء ضمير المتكلم وهى فى موضع جر بعن (بالجهال) جار ومجرور والباء تتعلق بشغل (فى شغل) فى هنا ظرفية وهى متعلقة بمحذوف تقديره مستقر فوضع الجار والمجرور رفع على انه خبر للمبتدا وهو الحظ وتقديره والحظ مستقر فى شغل بالجهال عنى وما أحلى قول من قال

ورقيع أراد أن يعرف النحو * ويزى الاحبار لا المستفتى
قال لى لست تعرف النحو مثلى * قلت سلنى عنه أجبك لوقتى
قال ما المبتدا وما الخبر المجرور * وأخبر فقلت ذقنك فى استى

من المشترين الحمد تندى من الندى
يداه ويندى عارضاه من العطر
فالزمت حبلى حبل من لا يعيبه
عفاه الندى من حيث يدرى ولا يدرى
وقوله فى البائية المشهورة
اذا كنت فى كل الامور معاتبا
صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعش واحدا أو صل اخاك فانه
مقارف ذنبا تارة ومجانبه
اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
ويقول فيها ايضا
ولما تولى الحر واعتصر الثرى
لدى القيظ من نجم توقد لاهبه
غدت عانة تشكو بابصارها الصدى
الى الجأب الا انها لا تخاطبه
ومنها يقول
اذا الملك الجبار صعر خده
مشينا اليه بالسيوف نعاتبه
كأن مثار النقع فوق رؤسنا
واسيافنا ليل تهاوى كواكبه
وقوله من قصيدة لخالد البرمكى ويقال ان خالدا كتب هذه الابيات فى صدر مجلسه وهى
أخالد ان الحمد يبقى لاهله
جمالا ولا يبقى الكثير على الكد

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى القاضي شمس الدين محمد بن علي بن أيبك السروجي قال أنشدني من لفظه لنفسه المولى زين الدين عمر بن الوردي وأنشدنيه فيما بعد اجازة ونقلته من خطه

وأغيد يسألني * ما المبتدا والخبر
مثلهما لي مسرعا * فقلت أنت القمر

(المعنى) صحت بالحظ وطلبت اقباله لو أني ناديت من يسمعني لأن الحظ اشتغل عني بالجهال وهذا ينظر الى قول عبد الرحمن بن الحكم

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

والصحيح أن الحظوظ لا تعلل فما وجدانها وعدمها باستحقاق من الطرفين بل الله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب قال الله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق وقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد قلت نعم آمنت وصدقت انه لا ينفع ذا الجد منه الجد ولا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى اذ سبحانه وتعالى هو فعال لما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون واعلم أن الحظوظ أمور يقدرها الله ويقضيها وقضاؤه وقدره لا يعللان على الصحيح لانه لو كان ما يوجده معللا بعلة لكانت تلك العلة اما قديمة ويلزمها قدم الفعل اذ المعلول يدور مع العلة وجودا وعدما وهو محال واما محدثة ويفتقر الامر في ذلك الى علة أخرى فاما يلزم الدور واما التسلسل وذلك محال وهذا هو المراد بقول مشايخ الاصول كل شئ صنعه ولا علة لصنعه وهذه حجة كافية في هذا الموطن والا فالبحث في هذه المسئلة مجال متسع لانها من أمهات الاصول واذا كان الصحيح أن الله تعالى له أن يثيب العاصي ويعاقب الطائع في الدار الآخرة وهي دار القرار ونعيمها وجحيمها أبديان سرمديان فما ظنك بالحظ وهو نصيب هذه الدار الفانية التي لا بقاء لها والحظ فان في هذه الدنيا وثواب الآخرة وعقابها لا نهاية لهما ولا نسبة للمتناهي في جنب ما لا يتناهى البتة أفترى أن الله تعالى ليس له أن يهب الحظ لمن يشاء استحقه أو لم يستحقه في هذه الدنيا الفانية قل متاع الدنيا قليل وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور وما أحسن قول أبي الفوارس سعد بن محمد ابن الصفي

علي بسابقة المقدور الزمني * صبري وصمتي فلم أحرص ولم أسل
لو نيل بالقول مطلوب لما حرم الـ * ـرؤيا الكليم وكان الحظ للعبل
وحكمة العقل ان عزت وان شرفت * جهالة عند حكم الرزق والاجل

قلت قد فرق أرباب العربية بين الرؤيا والرؤية فقالوا الرؤيا مصدر رأى للعلم والرؤية مصدر أرى للعين وغلطوا أبا الطيب في قوله

مضى الليل والفضل الذي لك لم يمض * ورؤياك أحلى في العيون من الغمض

قالوا الرؤيا للعلم قال الله تعالى ان كنتم للرؤيا تعبرون فعلى هذا قد وهم هذا الشاعر في استعمال الرؤيا هنا في قوله لما حرم الرؤيا الكليم وانما حرم الرؤية وهذا الغلط قد وقع فيه كثير من الفضلاء وقريب من قول أبي الفوارس قول الآخر

فاطعم وكل من عارة مستردة
ولا تبقها ان العواري للرد

وقوله

دعتني حين شبت الى المعاصي
محاسن زائر كالريم غض
كان كلامه يوم التقينا
رقى ياخذن في طولي وعرضي

وقوله

ربما ثقل الجليس وان كا
ن خفيفا في كفة الميزان
ولقد قلت حين وتد في الار
ض ثقيل اربى على كيوان
كيف لا تحمل الامانة ارض
حملت فوقها ابا مروان

وقوله

رايت السهيلين استوى الجود فيهما
على بعدنا من ذاك في حكم حاكم
سهيل بن عثمان يجود بماله
كما جاد بالرمع سهيل بن سالم

وقوله

ارفق بعمرو اذا حركت نسبته
فانه عربي من قوارير

واما يعقوب الذي اشار بقتل بشار فهو ابن داود بن طهمان السلمي كان في الاصل هو واخوته كتابا لابراهيم بن عبد الله بن حسن المتغلب في ايام المنصور فلما قتل استخفوا فنعليهم المهدي واطلقهم وكانوا ادباء الباء فصحاء وكان المهدي يتطلب الحسن ابن ابراهيم بن عبد الله فضمن له يعقوب احضاره وتوسط

سلع المطامع لانفقت فان من * ترك المطامع كان أربح متجرا
نال الذى ترك المطامع خلفه * عين الحياة وفاتت الاسكندرا

قال العباس بن المأمون سمعت أمير المؤمنين المأمون يقول قال لى على بن موسى الرضى ثلاثة موكل بها ثلاثة تحامل الايام على ذوى الادوات الكاملة واستيلاء الحرمان على المتقدم فى صنعته ومعاداة العوام لاهل المعرفة وقال أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور استأذن العقل على الحظ فحجبه قلت هذا من جوامع الكلم وهو أنه كلام قليل معناه شريف جزيل يعنى ان الحظ هو الامير المخدوم المحجب المطاع والعقل هو المأمور الخادم المبذول الممتثل لانه أتى الى باب الحظ والآتى دون من أتى اليه وسعى الى بابه واستأذن عليه لما لم يصل اليه ومن طلب منه الاذن أشرف ممن طلب له فما أذن والمحجوب أقل من المحجب بدركات وذلك أكثر بدرجات لانه لم يكن أهلا للدخول

من لم يكن للوصال أهلا * فكل احسانه ذنوب

ولا ينكر هذا الكلام من أهل بيت النبوة لانهم أحق العالمين بميراث البلاغة والفصاحة والحكم وقال بعض الحكماء قال الحظ للعقل ان شئت سر أو أقم فانى مستغن عنك ومن الكلم النوابغ خيم النقص والجد طنبيه وسافر الفضل والجد جنيبه وقال بعضهم

كم من غبى غنى * ومن فقيه فقير

وقال الآخر

واذا استقام الدهر يوما للفتى * أغنت سعادته عن التنجيم

ومثله قول محمد بن شرف القيروانى

ونجوم كاساتى طوالع بالمنى * والسعد يستغنى عن التقويم

وحكى ابن أبى طى فى تاريخ حلب عن الوزير عون الدين بن هبيرة أنه قال الناس يتشاءمون بالتربيع وأنا وليت الوزارة يوم الاربعاء رابع ربيع الاول سنة اربعة وأربعين وخمسمائة فقال له ابن أبى الفضل ان تبركت أنت به فقد تشاءمنا نحن به وحكى أبو الفرج المعافى بن زكريا فى كتاب الجليس والانيس قال بينا أبو اسحق مزيد ذات يوم جالس اذ جاءه أصحابه فقالوا يا أبا اسحق هل لك فى الخروج بنا الى العقيق والى قباء والى أحد ناحية قبور الشهداء فان هذا يوم كما ترى طيب فقال اليوم يوم الاربعاء ولست أبرح من منزلى فقالوا وما تكره من يوم الاربعاء وهو يوم ولد فيه يونس بن متى فقال بأبى وأمى صلى الله عليه وسلم فقد التقمه الحوت فقالوا يوم نصر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب فقال أجل ولكن بعد اذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وقال أبو عبادة البحترى

الا ليت المقادر لا تكون * ولم تكن الاحاظى والجدود
فيعلم أينا يغدو ويمسى * له هذى المراكب والعبيد

ومثله قول ابن مقلة

واذا رأيت فتى بأعلى رتبة * فى شاهق من عزه المتمنع
قالت لى النفس العروف بقدرها * ما كان أولانى بهذا الموضع

ومن عدم تعليل الحظ قول أبى الطيب

الى ان احضر له الحسن من مكة بأمان المهدى ودخل فى الطاعة وتمكن يعقوب وولى وزارة المهدى وغلب على امره وسره ودانت له الدنيا الى ان طلبه المهدى يوما قال فدخلت عليه وهو فى مجلس مفروش فى غاية الحسن وبستان عظيم وعنده جارية ما رأيت أحسن منها فقال كيف ترى فقلت متع الله أمير المؤمنين لم أر كاليوم فقال هو لك بما فيه والجارية ليتم سرورك فدعوت له ثم قال لى اليك حاجة فقلت الامر لك فقال ضع يدك على رأسى واحلف ففعلت فقال هذا فلان من ولد فاطمة أحب أن تريحنى منه فاستوحش الحسن من صنيع يعقوب وعلم انه كانت لهم دولة لم يعش فيها وان المهدى لا ينظر الى ذلك لكثرة السعاة به اليه والحسدة له فمال يعقوب الى اسحق بن الفضل الهاشمى وكان المهدى معظما فى دولة وهو الذى أخرجه من سجن المنصور فترامى اليه يعقوب واقبل يربص له الامور فسعوا فيه الى المهدى وقالوا ان البلاد فى يده وأصحابه وانما يكفيه ان يكتب اليهم فيثوروا فى يوم واحد على ميعاد فيأخذوا الدنيا لاسحق بن الفضل فلاؤا مسامع المهدى

هو الجد حتى تفضل العين أختها * وحتى يكون اليوم لليوم سيدا

و يعجبنى قول ابن قلاقس

ولست ترى فى محكم الذكر سورة * تقوم مقام الحمد والكل قرآن

قلت انما يمشى على قول من قال ان الفاتحة لا بد منها فى كل ركعة وهو مذهب الشافعى ومن تابعه مستدلا بقوله صلى الله عليه وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بالفاتحة وانما سميت السبع المثانى لانها تثنى فى كل صلاة فعلى هذا الرأى يحسن بيت ابن قلاقس لانها لم يقم مقامها فى الصلاة غيرها فان قلت يحمل ذلك على الفضائل التى وردت فيها قلت قد ورد فى آية الكرسى فضائل عدة وفى غيرها من السور والآيات ولم ينفرد من القرآن جميعه بهذه المزية غير الفاتحة على رأى الشافعى أما على رأى من جوز الصلاة بما تيسر من القرآن ولو آية مستدلا بقوله تعالى فاقرؤا ما تيسر منه حتى يكفيه فى ذلك مدهامتان لانها آية وهو مذهب أبى حنيفة فلا مزية للحمد على غيرها وقد حكى ابن خلكان وغيره من أهل التاريخ ما جرى للقفال المروزى من صلاته بحضرة السلطان يمين الدولة محمود بن سبكتكين على مذهب الشافعى وعلى مذهب أبى حنيفة فمن أراد الوقوف عليها فلينظرها فى ترجمة يمين الدولة وقد حكاها امام الحرمين أيضا فى كتابه مغيث الخلق فى اختيار الأحق ولكن ما رأيت أن أذكرها أنا لما فيها من الشناعة (رجع) وقال أبو اسحق الغزى

والحسن والقبح قد تمحو بهما صفة * شان البياض وزان الشيب والشنبا

ظبا المحارف أقلام مكسرة * رؤسهن وأقلام السعيد ظبا

والثانى مأخوذ من قول أبى العلاء المعرى

لا تطلبن بآلة لك رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل

سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

وقال أبو اسحق الغزى أيضا

لا تعتبن الزمان ان ذهبت * نيوب ليث العرين من نوبه

فالحول لولا الجدود ما قصرت * أيدى جماداه عن على رجبه

وقلت أنا

لئن رحت مع فضلى من الحظ خاليا * وغيرى على نقص به قد غدا حالى

فانى كشهر الصوم أصبح عاطلا * وطوق هلال العيد فى جيد شوّال

وقال ابن قلاقس الاسكندرى

لولا الجدود لما ارتمت بمسافر * كف الغنى وتعلقت بمقيم

والحظ حتى فى الحروف مؤثر * يختص بالترقيق والترخيم

وقال أبو تمام الطائى

لزموا مركز الندى وذراه * وعدتنا عن مثل ذاك العوادى

غير أن الربى الى سبل الانـ ـواء أدنى والحظ حظ الوهاد

وقال ابن جنى فى قول أبى الطيب

أين أزمعت أيهذا الهمام * نحن نبت الربى وأنت الغمام

فأمهله قليلا ثم تجنى عليه جنايات ووضعه فى السجن الى ان عمى وأخرج فى أيام الرشيد فلما حضر بين يديه قال السلام عليك يا أمير المؤمنين المهدى قال لست به قال الهادى قال لست به قال الرشيد قال نعم فسلم ثم لحق بمكة المشرفة ومات فى دولته

*(وانك لو شئت خرقت العادات وخالفت المعهودات) (الخرق) قطع الشئ وتغييره على سبيل الفساد من غير تدبر وهو ضد الخلق فان الخلق فعل الشئ بتقدير والخرق بغير تقدير ومن ذلك قوله تعالى وخرقوا له بنين وبنات أى حكموا بذلك على سبيل الخرق وقولهم رجل أخرق وامرأة خرقاء لا تفعل الامر باحكام ولا تدبير (والعادة) تكرر الفعل مأخوذ من أعاد الحديث اذا كرره فخرق العادات تغيير ما تكرر أفعاله من المخلوقات واستقر على مرور الايام والليالى وكذلك الامر فى قوله (وخالفت المعهودات)

*(فاحالت البحار عذبه * وأعدت السلام رطبه) (البحر) كل مكان واسع جامع للماء الكثير ويقال فى الاصل للماء الملح دون العذب وانما قيل البحران للملح والعذب للتغليب كما قال العمران

انما خص الربى بالذكر لان نباتها أحسن وقال أبو زكريا الخطيب انما أتى بها للوزن وقال الشيخ تاج الدين الكندى وعندى أن نبت الربى أشد احتياجا للغمام من الوهاد لان الوهاد يمكن أن يسقى من غير الغمام قلت وهذا تأويل شعرى رقيق المأخذ حسن الى الغاية وما دله على ذلك الا قول أبى تمام وقول أبى العلاء أيضا

ولو أن السحاب همى بعقل * لما أروى مع النخل القتادا
ولو أعطى على قدر المعالى * سقى الهضبات واجتنب الوهادا

وقال الباخرزى

لا حبذا البخت أعيانا ومال الى * قوم بعدهم الارذال أعيانا
يدرع البصل المذموم أكسية * ويترك النرجس المحمود عريانا
وينبت الشوك فى أرض وجارتها * تجنى أكف بغاث الرزق عقبانا

وقال أبو بكر بن اللبانة

ان ضعت والشعر عما قد علمت به * ونال جودك أقوام وما شعروا
فالجود كالمزن قد يسقى بصيبه * شوك القتاد ولا يسقى به الزهر
ان لم أكن أهل نعمى أرتجيك لها * فالسلك خيط وفيه تنظم الدرر

وقال مهيار الديلمى

لا تحسب الهمة العلياء موجبة * رزقا على قسمة الارزاق لم يجب
لو كان أفضل ما فى الناس أسعدهم * ما انحطت الشمس عن عال من الشهب
أو كان أسير ما فى الافق أسلمه * دام الهلال فلم يمحق ولم يغب

وقال الطغرائى

وأعظم ما بى اننى بفضائلى * حرمت ومالى غيرهن ذرائع
اذا لم يرد فى موردى غير غلة * فلا صدرت بالواردين مشارع

وقال القاضى الفاضل

ماضر جهل الجاهلين ولا انتفعت أنا بحذقى
وزيادتى فى الحذق فهى زيادة فى نقص رزقى

وقال شرف الدين بن عنين

كأنى فى الزمان اسم صحيح * جرى فتحكمت فيه العوامل
مزيد فى بنيه كواو عمرو * ملغى اللحظ فيه كراء واصل

وقال أبو العلاء المعرى

ولا بد للحسناء من ذم حسنها * ولا ذم نفسى غير سى بختها

وقال شمس الدين الحكيم بن دانيال

قد عقلنا والعقل أى وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق
كل من كان فاضلا كان مثلى * فاضلا عند قسمة الارزاق

وما أحسن قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

يمنعنى باخل وسمح * وليس لى منهما نصير

واختلف فى عدد البحار فقيل انها سبعة أبحر ستة ظاهرة وواحد محيط بالدنيا مظلم ومنه تستمد وقيل خمسة وقيل أربعة والاول أصح لقوله تعالى والبحر يمده من بعده سبعة أبحر قال بعض العلماء ولان السموات سبع والارضين سبع والنجوم السيارة سبع والايام سبع وخلق الانسان من سبع يعنى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية ورزق من سبع لقوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الآية وذكر فى جغرافيا ان البحار مختلفة المقادير فمنها ما هو على هيئة الطيلسان ومنها ما هو على هيئة الشابورة ومنها ما هو على صورة التدوير وهو الغالب عليها وأشدها البحر الشرقى وهو لفارس والغربى وهو للروم يأخذان من البحر المحيط ويقال له قنطس والبحار تستمد منه وهى بالنسبة اليه كالخلجان ولا يتأتى فيه ركوب ولا يعيش حيوان ويقال ان أطراف السماء عليه كالخيمة ولا يعلم ما وراءه * فأما البحر الشرقى فيأخذ من أقصى المغرب وينتهى الى أقصى الهند والصين ومنه خلجان عظيمة تتصل بأرض الحبشة ومنه

وغايتى ان ألوم حظى * وحظى الحائط القصير

وقال ابن سناء الملك

ورب مليح لايحب وصـده * تقبل منه العين والخد والفم
هو الجد خذه ان أردت مسلما * ولا تطلب التعليل فالامر مبهم

وقال أيضا

ماثم الا الحظ فارقب له * ولا تقل عقلى ولا حزمى
كم نعـمة فى طيها نقمة * ويوجد الدرياق فى السم

وقال أبو العلاء المعرى

لك الخير أمواه البلاد كثـيرة * عـذاب وخصت بالملوحة زمزم
هو الحظ غير الوحش يستاق انفه الـ * خزامى وأنف القود بالعود يخزم

وكتب الشريف الرضى الى الصابى

ماقـدر فضلك ما أصبحت ترزقـه * ليس الحظوظ على الاقدار والمهن
قد كنت قبلك من دهرى على حنق * فزاد مابك فى غيظى على الزمن

وقال الامام الشافعى من أبيات

لو أن بالحيـل الغنى لوجدتنى * بنجوم أفلاك السماء تعلق
لكن من رزق الحجا حرم الغنى * ضدان مفترقان أى تفرق
فاذا سمعت بأن محـرو ما أتى * ماء ليشربه فغاض فصـدق
أو أن محظوظا غدا فى كفه * عـود فاورق فى يديه فحقـق
ومن الدليل على القضاء وكونه * بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق

وقال عبد الجليل بن وهبون

يعـز على العليـا أنى خامـل * وان أبصرت منى نجود شهابى
وحيث ترى زند النجابة واريا * فثم ترى زند السـعادة كابى

وقال آخر

اذا جمعت بين امرأين صـناعـة * فأحببت ان تدرى الذى هو أحذق
فلا تتفـقدمنهما غـيرما جرت * به لهـما الأرزاق حـين تفـرق
فحيث يكون الجهل فالرزق واسع * وحيث يكون العلم فالرزق ضيق

وقال آخر

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأوهام حائرة * وصير العالم النحرير زنديقا

وقال أبو اسحق الغزى

كم عالم لم يلج بالقرع باب منى * وجاهل قبل قرع الباب قدولجا

وقال ابن الخياط المكفوف الاندلسى

لم يخـل من نوب الزمان أديب * كلا فشأن النائبات تنوب
واذا انتهيت الى العلوم وجدتها * شـيأ يعد بها عليك ذنوب

بحـر فارس أوّله مـن الابلة والبصرة وآخره بحر الهند عند جبل يقـال له رأس الجمجمة ومنه مغاص اللؤلؤ من جزيرة كش وأما البحر الغربى فانه يأخذ من المحيط من المغرب فى الخليج الذى بين المغرب والاندلس ويسمى زقاق سبتة حتى ينتهى الى الثغور الشامية وقـدره فى المسافة أربعة أشهر ومـن القلزم الذى هو لسان بحر فارس ومن بحـر الروم عـلى سمت الفرما أربع مراحـل وزعم بعض المفسرين فى قوله تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيـان انه هـذا الموضع وزعموا أن بحر الروم متصل بالشرقى وانه وجـد فيـه شئ من الساج الذى يكون فى البحر الشرقى وهذا بعيد لبعد ما بينهما من المفاوز والجبال * واختلف فى مبادى البحار عـلى أقوال أحدها انها من الاستقصات الاربع خلقها الله تعـالى يوم خلق السموات والارض والثانى انها بقيـة طوفان نوح عليه السلام والثالث انها من عـرق الارض لما دناها من حر الشمس والرابع انهـا مـن ميـاه الارض فالملح ينحدر الى الاماكن المنخفضة والكل ملح وانما يتصـعـد منها للجو

وغضارة الأيام تأبى ان يرى * فيها لابناء الذكاء نصيب
وكذاك من صحب الليالي طالبا * جدا وفهما فاته المطلوب

وهذا من قول أبي الطيب

وما الجمع بين الماء والنار في يدي * بأصعب من ان أجمع الجد والفهما

وهو ينظر من طرف قريب الى قول أبي تمام حبيب

ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد * ولا المجد في كف امرئ والدراهم

وقال أبو الحسن علي بن رشيق

أشقى لعقلك ان تكون أديبا * أوان يرى فيك الورى تهذيبا
مادمت مستويا ففعلك كله * عوج وان أخطأت كنت مصيبا
كالنقش ليس يصح معنى ختمه * حتى يكون بناؤه مقلوبا

وقال ابن الخياط الدمشقي

ومازال شؤم الحظ من كل طالب * كفيلا ببعد المطلب المتداني
وقد يحرم الجلد الحريص مرامه * ويعطى مناه العاجز المتواني

ومنه قول الآخر

قد يرزق المرء لا من حسن حيلته * ويصرف المال عن ذي الحيلة الداهي

وقال ابن عنين

يعدو الرياض الحيا والارض مجدبة * رزقا وفي البحر يل السحب مسحوب
فلا العجز تعدى ذاك وابله * ولا الحرص سقت تلك الشآبيب

وقال أبو الاسود الدؤلي

المرء يحمد سعيه من جده * حتى يزين بالذي لم يفعل
وترى الشقي اذا تكامل جده * يرمى ويقذف بالذي لم يفعل

وقال محمد بن شرف الدين القيرواني

اذا صحب الفتى جد وسعد * تحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد * طفيليا وقاد له الرقيب
وعد الناس ضرطته غناء * وقالوا ان فسا قد فاح طيب

وأخذه ابن النقيب فقال ومن خطه نقلت

لو لحن الموسر في مجلس * لقيل عنه انه يعرب
ولو فسا يوما لقالوا له * من أين هذا النفس الطيب

يقال ان ابن بقية الوزير كان من أشد الناس لحنا فلما تولى الوزارة لم يرله لحن الا في الشاذ ونقلت من خط السراج الوراق له

الباء والخاء من بخت قد اقترنا * بالباء والخاء من بخل لانسان
واللام والتاء من هذا وذاك هما * لت المسائل عن أسباب حرماني

ونقلت منه له أيضا

أراه يصدعني وهو لاه * بنوبي كابل الهجر والصد

فيلطفه ويحليه ثم يهبط الى الارض فتنه الانهار العذبة * ومراد ابن زيدون انك لو شئت فعلت مالا يمكن وهو تفسير قوله خرقت العادات ومثله (وأعدت السلام رطبه) العود الرجوع الى الشئ بعد الانصراف عنه والسلام الحجارة الصلبة واتماعنى باعادتها الى الرطبة هو مازعم قوم ان الحجارة كانت في الزمن الاول على عهد نوح لينة وعلى ذلك قول الراجز حيث يقول

انك لو عمرت عمر الحسل
أو عمر نوح زمن الفطحل
والصخر مبتل كطين الوحل
كنت رهين هرم أو قتل

(ونقلت غدا فصار امسا وزدت في العناصر فكانت خمسا) أصل الغد غدو فحذفوا الواو بلا عوض وفي هذا المعنى قال الشاعر

وما الناس الا كالديار وأهلها
بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

(وأمسا) اسم حرك آخره لالتقاء الساكنين واختلف فيه فاكثرهم يبنيه على الكسر ومنهم من يعربه اذا دخل عليه الالف واللام يقول مضى الامس وقال سيبويه جاء في ضرورة الشعر كقوله

فان لم يرعنى لبياض لونى * فيرعانى لحظى وهو أسود
ونقلت منه له أيضا
أولاد أولادى مامنهمو * من قال مثل الناس جدى السعيد
ومامرادى الحظ لكن أنا * ولو أردت الحظ رمت البعيد
ونقلت من خط ناصر الدين حسن بن النقيب له
وقالوا عجبا اذ يكتب الخط كاتب * جهول بظلماء الجهالة خابط
فقلت بظاء فاكتب والحظ قائما * سوى شؤم حظى وحده فهو ساقط
وأنشدنى لنفسه اجازة المولى جمال الدين محمد بن نباتة
ياسيدى عطفا على متألم * يشكو من الايام حظا ساقطا
لوجاء يكتب حظه متحرزا * ماجاء ذاك الحظ الا ساقطا
وأنشدنى أيضا من لفظه لنفسه
هى الحظوظ فعش منها عبا وهبت * ولا تقل عاليا حظى ولادونا
تغنى بذادون هذا من يماثله * وقس على ماتراه الشين والسينا
وقال أبو الحسين الجزار
أشكو لعدلك جور دهر جائر * فضلت به فضلاءه الجهال
منعت به عقلاؤه اذ قسمت * بالجور فى انعامه الانفال
وقال ابن الساعاتى فى وصف قصيدته
وكم لى فيك من عذراء زفت * لفهمك فى غدو أو رواح
من الغيد الحسان بلا شبيه * فكيف يفوتها حظ القباح
وقال أبو بكر القهستانى
بالجد يسعى الفتى والا * فليس يغنى أب وجد
وليس يجدى عليك كد * مادام بكدى عليك جد
وقال آخر
عضنا الدهر بنابه * ليت ماحل بنابه
لا يوالى الدهر الا * خاملا ليس بنابه
وقال القاضى الفاضل
واذا السعادة لاحظتك عيونها * نم فالمخاوف كلهن أمان
واصطد بها العنقاء فهى حبائل * واقتد بها الجوزاء فهى عنان
وقال ابن نباتة السعدى
الا فاخش ماترجى وجدك هابط * ولا تخش ماتخشى وجدك رافع
فلا نافع الا مع النحس ضائر * ولا ضائر الا مع السعد نافع
وقال أبو العلاء المعرى
اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل * ولو نظرت شزرا اليك القبائل
وان فوق الاعداء نحوك أسهما * تنتهاء على أعقابهن المناصل

لقد رأيت عجبا مذ أمسا
عجائزا مثل السعالى خمسا
ولا يصغر أمس كما لا يصغر
غدو والمعنى انك لوشئت قلبت
الاشياء اما قدرة واما تسمية
تقتدى الناس بك فيها
(والعناصر) أصول الخلق
وهى أربعة لاغير النار والهواء
والماء والتراب ثنتان تذهبان
صعدا وهما النار وطبيعتها
حارة يابسة والهواء وطبيعته
حارة رطبة وثنتان تذهبان
سفلا وهما الماء وطبيعته
باردة رطبة والتراب وطبيعته
باردة يابسة وقيل فى قول
فيثاغورس والذى وهب
انما الينبوع الاربع أراد
العناصر
(وانك المقول فيه كل الصيد
فى جوف الفرا)
هذا امثال قديم يضرب فى
وصف الشئ المربى على غيره
وأصله أن قوما خرجوا
للصيد فصاد أحدهم ظبيا
وآخر أرنبا وآخر فرا وهو الحمار
الوحشى فقال لاصحابه كل
الصيد فى جوف الفرا يعنى
ان جميع صيدكم يسير فى
جنب ماصدته وزعم بعضهم
أن الفرا اسم واد كثير الصيد
وهو قول مردود وأما قول
الشاعر
ووادكجوف العير قفر قطعته
فليس من هذا وانما أراد
الوادى المعروف بجوف حمار

وحكى أن بعض المطربين غنى في جماعته عند بعض الامراء الاعاجم فلما اطربه قال لمملوكه هات قباء لهذا المغني ولم يفهم المغني ما يقوله الامير فقام الى بيت الخلاء وفي غيبته جاء المملوك بالقباء فوجد المغني غائبا وقد حصل في المجلس عربدة وأمر الامير باخراج الجميع فقيل للمغني وهو في أثناء الطريق بعدما أخرج ان الامير أمر لك بقباء ولم تلحقه فلما كان بعد أيام حضر عند ذلك الامير وغنى اذا أنت أعطيت السعادة لم تبل البيت لكن بفتح التاء وضم الباء فانكروا عليه ذلك فقال لما بليت في ذلك اليوم فاتتني السعادة من الامير فأوضحوا القضية للامير فاعجبه ذلك وأمر له به وقال عبد القدوس

ولیس رزق الفتى من حسن حيلته * لكن جدود بارزاق وأقسام
كالصيد يحرمه الرامي المجيد وقد * يرمي فيرزقه من ليس بالرامي

وذكرت بالصيد ههنا حكاية مطبوعة وهو أن الرشيد سأل جعفرا عن جوار به فقال يا أمير المؤمنين كنت في الليلة الماضية مضطجعا تكبسني جاريتان عندي فتناومت عليهما لانظر صنيعهما واحداهما مكية والاخرى مدنية فمدت المدنية يدها الى ذلك الشئ ولعبت به فانتصب قائما فوثبت اليه المكية وقعدت عليه فقالت المدنية أنا أحق به لاني حدثت عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أحيى أرضا ميتة فهي له فقالت المكية وأنا حدثت عن معمر عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ليس الصيد لمن أثاره انما الصيد لمن قبضه فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه ثم قال هل من سلوة عنهما فقال جعفر هما ومولاهما بحكمك يا امير المؤمنين وحملهما اليه وقال عيسى بن ابان كنت عند المأمون فاستأذنته في الخروج الى البصرة الى عيالي فقال أنا أشوق منك الى عيالي ولكن وجه اليهم ليحملوا ثم قال للخادم على رأسه مرهم بالوصول واقبل غلام لانبات بوجهه مخلق بالغالية فسلم فقال مرحبا فاجلسه على فخذه اليمنى وأقبل آخر فاقعده على فخذه اليسرى فجعلت أنظر اليهما والى حسنهما فقال يا عيسى بن ترى ان أبدأ فقلت أعيذ أمير المؤمنين بالله فقد نزهه الله عن هذا وصانه فقال يا عيسى ليس هذا الذي ذهبت اليه انهما جاريتان اشبهتهما في زي الغلمان فقلت أمير المؤمنين اعلى عينا فقالت الاولى والله يا عيسى ما تحسن الحكومة ألم تسمع قول الله تعالى والسابقون الاولون قال فبقيت والله متعجبا وتمنيت اني كنت اهتديت الى ما قالت بجميع ملكي ثم قالت الاخرى والله ما تبصر من الحكومة شيأ ألم تسمع قول الله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى فتركتهما معه وخرجت وقد ذكر ذلك صاحب كتاب الجليس والانيس (رجع) قلت والزمان مولع بخمول الادباء وخمود نار الاذكياء كم أخنى على الفضلاء وجهل قدر العلماء هذا الملك الافضل نور الدين علي بن السلطان صلاح الدين يوسف كان متأدبا حليما حسن السيرة متدينا قل ان عاقب على ذنب يكتب الخط الحسن وله انشاء جمل وهو أكبر اخوته ماصفا له الدهر ولا هناه بالملك بعد أبيه بل لبث مدة يسيرة بدمشق ثم حضر اليه عمه العادل أبو بكر وأخوه الملك العزيز عثمان فاخرجاه من ملكه بدمشق الى صرخد ثم جهزاه الى سميساط وفي ذلك كتب الى الامام الناصر ببغداد

مولاي ان أبا بكر وصاحبه * عثمان قد غصبا بالسيف حق علي

وحمار اسم رجل قديم كان في واد خصب فظلم عشيرته فأرسل الله تعالى عليه نارا فاحرقته واحرقت الوادي فخلا وسكنته الجن فقيل أخلى من جوف حمار وحجب يوما أبو سفيان بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم أذن له فقال يا رسول الله ما كدت تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجلهتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا سفيان كل الصيد في جوف الفرا (وليس الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد) هذا البيت لابي نواس من جملة أبيات يقولها في الفضل ابن يحيى ويخاطب بها الرشيد وهي

قولا لهرون امام الهدى
عند احتفال المجلس الحاشد
أنت على ما بك من قدرة
فلست مثل الفضل بالواجد
وليس لله بمستنكر
أن يجمع العالم في واحد

وأبو نواس هو الحسن بن هانئ ابن الجراح الحكمي البصري وكنى نفسه بابي نواس لانه ينتسب الى قحطان وكانت تعجبه كنى ملوكها مثل ذي رعين وذي نواس فاكتنى بابي نواس وكان مولده بالاهواز سنة مائة وخمس واربعين ثم نشأ بالبصرة وتادب بها على أبي زيد وخالف

فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى * من الاواخر مالاقى من الاول

وكتب اليه الامام الناصر الجواب

وافى كتابك يا ابن يوسف معلنا * بالصدق يخبر ان أصلك طاهر

غصبوا عليا حقه اذ لم يكن * بعد النبى له بيثرب ناصر

فاصبر فان غدا عليه حسابهم * وابشر فناصرك الامام الناصر

ولم ينصره الناصر بل توفى فجأة فى سميساط ومن شعره رحمه الله

أما آن للسعد الذى أنا طالب * لادراكه يوما يرى وهو طالبى

ترى هل يرينى الدهر أيدى شيعتى * تمكن يوما من نواصى النواصب

ومن شعره رحمه الله على ماذكره ابن واصل فى مفرج الكروب

يامن يسود شعره بخضابه * لعساه من أهل الشبيبة يحصل

ها فاختضب بسواد حظى مرة * ولك الامان بانه لا ينصل

ووجدتهما بخط القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان فى بعض مسوداته لابن الكيزانى المصرى ووجدت بخطه أيضا ماصورته نقلت من خط كمال الدين بن العديم الحلبى من مسوداته التى علقها التاريخه من ترجمة الملك الافضل نور الدين وذكر البيتين اللذين أولهما مولاى ان أبا بكر وصاحبه ثم قال وبعض الناس يقول انهما من نظم أبى فراس بن أبى الفرج البزاعى ابن أخت الاديب حماد البزاعى ثم ذكر فى الحاشية ان أبا طالب بن زيادة أجابه عن البيتين المذكورين بالابيات الثلاثة التى فى آخرها الناصر وكذا الملك الناصر داود صاحب الكرك ابن المعظم لم يزل منكد الحال مشتتا فى البلاد توجه الى بغداد ومعه فخر القضاة بن بصاقة والشيخ شمس الدين الخسروشاهى وقد استصحب جواهر نفيسة وتحفا طريفة والتجأ الى الامام الناصر وطلب الحضور بين يديه ليشاهده فى الملا فما قدر له ذلك ولا وافق الخليفة عليه حتى امتدحه بقصيدته البائية التى أولها

ودان ألمت فى الكثيب ذوائبه * وجنح الدجى وحف تجول غياهبه

تقهقه فى تلك الربوع رعوده * وتبكى على تلك الطلول سحائبه

ومنها

أيحسن فى شرع المعالى ودينها * وأنت الذى تعزى اليه مذاهبه

بأنى أخوض الدو والدو مقفر * سباريته مغبرة وسباسبه

ويأتيك غيرى من بلاد قريبة * له الامن فيها صاحب لا يجانبه

فيلقى دنوا منك لم ألق مثله * ويحظى ولا أحظى بما أنا طالبه

وينظر من لالاء قدسك نظرة * فيرجع والنور الامامى صاحبه

ولو كان يعلونى بنفس ورتبة * وصدق ولاء فيه لست أصاقبه

لكنت أسلى النفس عما أرومه * وكنت أذود العين عما تراقبه

ولكنه مثلى ولو قلت انى * أزيد عليه لم يعب ذاك عائبه

يشير الناصر الى مظفر الدين كوكبورى بن زين الدين كوجك فانه قدم الى الديوان وطلب الحضور فاذن له وبرز له الخليفة وشاهده وجهه ولما وقف الخليفة على هذه القصيدة أعجبته

لانها

الاجر ونظر فى كتاب سيبويه وقال الشعر البارع ومدح الخلفاء والامراء وكان يقال هو فى المحدثين مثل امرئ القيس فى المتقدمين وكان العتابى يقول لو أدرك الخبيث الجاهلية لم يفضل عليه أحد وسئل المرزبانى أيهما أشعر أبو نواس أم الرقاشى فقال ضراطا أبى نواس فى جونم أشعر من تسبيح الرقاشى فى الجنة ثم مدح الامين واختص به وصار من ندمائه بذلك وبذلك كان أخوه المأمون يشنع عليه ويقول كيف يصلح للخلافة وجليسه أبو نواس القائل فى مجلسه كذا وكذا من الاشعار المحتوية على الفسق والكفر وكان أبو نواس قد انفرد فى زمانه بانه اتقى الشعر وافراط المجون والمتك قال أبو العتاهية عاتبته مرة على المجون فانشد يقول

أترانى يا عتاهى

تاركا تلك الملاهى

أترانى مفسدا بالـ

نسك عند القوم جاهى

فلما ألححت عليه قال

لا ترجع الانفس عن غيها

مالم يكن منها لها زاجر

فوددت أن هذا البيت لى بجميع ماقلته وعلمت أنه لا يصغى الى عذل ولم يزل على حاله الى ان توفى ببغداد

لانها من النظم البديع فى غاية واستدعاه سرا بعد شطر من الليل واجتمع به فى خلوة وماتم له ماظفر به مظفر الدين المذكور وذكر المؤرخون فى سبب ذلك ان الخليفة راعى عمه الكامل لانه قد كان تأذى على الناصر داود وما أوى السبب الا ماحواه من الادب وقد كان الناصر من الشعراء المجيدين والادباء المفيدين يفوق بلطفه على النسمات المتأرجه ويكتب خطا يزرى بالحدائق المدبجه وكذا المعتمد على الله بن عباد واقعته مشهورة ومصيبته على جبهات الايام مسطورة عبرة لمن تبصر وتذكرة لمن تذكر فيها وتفكر وسنأتى نبذة من خبره بعد ولكن المعتمد ملك وصفت له الايام ودام ملكه ثلاثة وعشرين سنة كما ذكر ذلك فى قوله

أشرقت عشرون من انفسها * وثلاث نيرات تأتلق

لانه ولى سنة احدى وستين واربعمائة وجرت كائنته سنة اربع وثمانين واما الكائنة التى جرت عليه وعلى ذريته الى ان مات فى اغمات وماتوا قبله وبعده فما اتفقت لغيرهم ولا جرى فى خلع ملك ماجرى له رحمه الله تعالى وكذا عبد الله بن المعتز من خلفاء بنى العباس لم يزل منغصا طول عمره ولما بويع له بالخلافة ظن ان الحظ قد تنبه له فلم يتم له الامر الا يوما واحدا ثم قبض عليه وقتل رحمه الله على انه ما وافق على ولاية الامر حتى اشترط عليهم انهم لا يسفكون فى واقعته دما فيقال ان والده لما خلع ترك فى مطمورة ملئت ريشا فى يوم صائف شديد الحر الى أن مات ولما خلع هو القى فى صهريج ملئ ماء فى يوم شديد البرد الى ان مات وقيل ادخل حماما حارا حتى عطش عطشا شديدا فجئ اليه بماء بارد بثلج فحين شرب مات رحمه الله أو بالعكس فى امره وامر والده ومحله من الادب لا يخفى وشمعة فضله كالصبح لا تقط ولا تطفا وفى المعتز قيل

لله درك من ملك بضيعة * ناهيك فى العلم والعلياء والحسب
ما فيه لو ولا ليت فتنقصه * وانما ادركته حرفة الادب

وقال ابو تمام الطائى من ابيات

مازلت أرمى بآمالى مطالبها * لم يخلق العرض منى سوء مطلبى
اذا تصدت لشأو خلت انى قد * أدركته أدركتنى حرفة الادب

وقال بن الساعاتى

عفت القريض فلا أسمو له أبدا * حتى لقد عفت ان أرويه فى الكتب
هجرت نظمى له لا من مهانته * لكنها خيفة من حرفة الادب

وقال بن قلاقس

لا اقتضيك لتقديم وعدت به * من عادة الغيث ان يأتى بلا طلب
عيون جاهك عنى غير نائمة * وانما أنا أخشى حرفة الادب

وقد أنصف الحسن بن أبى الحسن لما سئل لم صارت الحرفة مقرونة مع العلم والثروة مقرونة مع الجهل حيث قال ليس الامر كما زعمتم ولكن طلبتم قليلا فى قليل فاعجزكم طلبتم المال وهو قليل فى أهل العلم وهم قليلون ولو نظرتم الى من تحارف من أهل الجهل لوجدتموهم أكثر اه قلت هذا هو الانصاف لو عددنا العلماء السعداء لوجدناهم أضعاف المحارفين الجهلاء لانهم أناس يمكن ضبطهم ومن العلماء السعداء غالب الخلفاء والملوك والامراء المتقدمين والوزراء والقضاة وأرباب المناصب والولايات بل جمهورهم الا ماندر ولكن الناس قد لهجوا بهذا

سنة مائتين هو ومعروف الكرخى فى يوم واحد فخرج مع جنازة معروف زهاء ثلثمائة ألف ولم يخرج مع جنازة أبى نواس غير رجل واحد فلما دفن معروف قال قائل أليس جمعنا وأبا نواس الاسلام ودعا الناس فصلوا عليه فرئى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى بصلاة الذين صلوا على معروف وعلى وأوصى ان يكتب على قبره هذا

وعظتك أجداث صمت
ونعتك أزمنة خفت
يا ذا المنى يا ذا المنى
عش ما بدا لك ثم مت

وأخبار أبى نواس وأشعاره مجموعة ومنها الزائدة والناقصة فمن مستظرف أخباره قيل تحاكم فى سؤال رافضى وسنى فيمن أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتيا أبا نواس فسألاه فقال أفضلهم بعده يزيد بن الفضل فقالا ومن يزيد بن الفضل فقال رجل يعطينى كل سنة ثلاثة آلاف درهم وسئل عن الخمر فقال خمر الدنيا أجود من خمر الآخرة وقد جعلها الله تعالى لذة للشاربين فقيل له كيف هى أجود قال لانها انموذج والانموذج خيار الشئ وكان يوما جالسا وفى يده كأس خمر وعن يمينه

الامر وصار مشهور ابينهم والرزق والاجل مقدران من لدن حكيم عليم وقد تقدم أن الحظوظ لا تعلل والباحث عما لا يعلمه مضلل فاصبر واحتسب واجهد على تكميل ذاتك واكتسب قال بعضهم

خط ولا حظ وشعر ماله * سعر أأنثر فيهما أم أنظم
كم جهد اارفع قصتي ويحطها * حظي وأنصب والحوادث تجزم

قلت اراد أن يقول ويخفضها حظي فما اتفق له فعدل الى يحطها وهو بمعناه ولكن الاول أكمل ولو اتفق له أن تكون القصة مرفوعة في اعرابها والحظ مكسورا لكان من البديع في غاية ومارأيت من استعمل هذا المعنى وحظه وأتى به كاملا غير شهاب الدين التلعفري فقد أنشدني المولى شهاب الدين أبو العباس احمد بن غانم كاتب الانشاء السلطاني قال أنشدني من لفظه لنفسه شهاب الدين التلعفري بحماه سنة سبعين وستمائة

واذا الثنية أشرقت وشممت من * أرجائها أرجا كنشر عبير
سل هضبها المنصوب أين حديثه الـ * ـمرفوع عن ذيل الصبا المجرور

فانظر كيف نصب الهضب ورفع الحديث وجر ذيل الصبا وهذا في غاية الحسن من البديع مع انسجام هذه الالفاظ وعدم التكلف في تراكيبها وقد نظم شهاب الدين التلعفري المذكور هذا المعنى أيضا ولكن قصر عن هذه الغاية فقال

قل للصبا سرا فان لها شذا * يضحي بما يغضي اليه مذيعا
ياذيلها المجرور عن هضب الحمى الـ * ـمنصوب هات حديثها المرفوعا

ونقلت من خط الوداعي له

ولقد وقفت على الثنية سائلا * عما أشار به فتى شيبان
فروت أحاديث الحمى عن عامر * وحديث روض السفح عن ابان

وقلت أنا في الحظ

شكوت حظي الى دهري وبيتي * فضلي ولكنها لم يرضها حكمي
ما آرب عاقني عن نيلها قدر * جرى ولكنها لم تعل عن هممي

وقلت أيضا

تشفعت للبين المشت بكم عسى * يعود هزيم الوصل عودة منصور
على ان جاه الحظ أكرم شافع * ولولاه لم يحتج الى بنت منظور
وما هو الا الحظ يعترض المنى * ولولاه كان الدهر اطوع مأمور

وفي الثاني اشارة الى قول الفرزدق

أما البنون فلم تقبل شفاعتهم * وشفعت بنت منظور بن زبانا

والواقعة مشهورة فلا فائدة في ذكرها

(لعله ان بدا فضلي ونقصهم * لعينه نام عنهم أو تنبه لي)

(اللغة) بدا الامر بدوا مثل قعد قعودا اذا ظهر وابديته أنا فضلي تقدم الكلام على الفضل في أول القصيدة ونقصهم النقص ضد الفضل لعينه تقدم الكلام على العين نام تقدم الكلام على النوم في قوله تنام عيني تنبه نبهته على الشيء أوقفته عليه فتنبه هو عليه وهو الامر تنساه

عنقود وعن يساره زبيب فقيل له ماهذا فقال الاب والابن والروح القدس وقيل له أتشرب الخمر قال نعم اذا اشترى بثمن خنزير سرق حتى يكون حراما ثلاث مرات وحكي عن نفسه قال دخلت الى دمشق وخلوت بامرد ودفعت له دينارا فلما رأى متاعي استعظمه فقلت اما ان ترد الدينار واما ان تحتمله وأما ان تشتم معاوية فاذعن فرضي بالوسط فلما دفعته فيه سمعته يقول هذا في رضاك قليل يا أبا يزيد وقال له أمرد متى تعطيني درهما قال اذا جرى الماء في العود وكان أبو عبيدة يجلس الى اسطوانة في جامع البصرة فكتب أبو نواس في أعلاها

صلى الاله على لوط وشيعته
أبا عبيدة قل بالله آمينا

فلما حضر أبو عبيدة رأى البيت ولم يعرف من كتبه فامر بعض تلامذته بحكه من السارية فلم يصل فقطامن له أبو عبيدة وصعد على ظهره الى ان حكه فلما طال عليه الامر قال له أفرغت قال نعم حككت الكل الا حرفا قال وما هو قال كلمة لوط قال لقد بقي الكل * ومن شعره قيل ان سليمان بن المنصور دخل على الامين فرفع اليه انه هجاه وانه زنديق وأشار عليه

ثم تنبه له وأصله من الانتباه الذى هو اليقظة (الاعراب لعل) حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر من أخوات أن ومعناه الترجي وقد تقدم الكلام عليه فى قوله لعل الملامة بالجزع ثانية والهاء فى لعله ضمير يرجع الى الحظ وهو فى موضع نصب على انه اسم لعل (ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليه فى قوله فان جنحت اليه (بدا) فعل ماض حكى الحريرى فى درة الغواص أن أبا عمر الجرمى حين شخص الى بغداد ثقل موضعه على الاصمعى اشفاقا من أن يصرف وجوه أهلها عنه ويصير الشوق له فاعمل الفكر فيما يغض عنه فلم ير الا أن يرهقه فيما يسأله عنه فاتاه فى حلقته وقال له كيف تنشد قول الشاعر

قد كن يخبأن الوجوه تسترا * فاليوم حين بدأن للنظار

أو حين بدين فقال له بدأن قال غلطت قال بدين قال غلطت انما هو بدون أى ظهرن فاسرها أبو عمر فى نفسه وفطن لما قصده به واستأنى به الى أن تصدر فى حلقته واحتف الجمع به فوقف عليه وقال له كيف تقول فى تصغير مختار وقال مخيتير فقال أنفت لك من هذا القول أما تعلم أن اشتقاقه من الخيروان التاء فيه زائدة ولم يزل يندد بغلطه ويشنع عليه الى أن انفض الناس من حوله وقال الحريرى فيه مخير قلت وحكى ابن وكيع فى المنصف عن شيخه أبى الحسن المهلبي انه اجتمع بالمتنبي عند بعض الرؤساء فسأله عن تصغير مختار فقال لا يصغر فقال المهلبى ليهن مختارا وأم حنين العافية اه قلت ومن الاشياء التى لا تصغر الثريا والكميت لانهما تصغير ثروى وأكمت وذكرت هنا ما قاله الكسائى لمحمد بن الحسن فى مجلس الرشيد وهو أن الكسائى قال من تبحر فى علم اهتدى به الى جميع العلوم فقال محمد بن الحسن ما تقول فيمن سها فى سجود السهو هل يسجد مرة أخرى قال الكسائى لا قال لماذا قال لان النحاة قالوا المصغر لا يصغر فقال له محمد بن الحسن ما تقول فى تعليق الطلاق بالملك قال لا يصح قال لم قال لان السيل لا يسبق المطر وعلى ذكر مختار قد نقلت من خط القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر رحمه الله فى الطواشى مختار البغدادى لما جل طيورا صرعها الملك السعيد بن الملك الظاهر قوله

عزائم للطير كم قد رقت * وكم أتاها منه مصروع
وكيف لا يصرع شئ بدا * وهو من البندق متبوع

ومنها

ملك شديد البطش ذو عزمة * لباسها فى الفتك تنويع
مختار لم يحمل لها طائرا * الا اياتى منه مجموع

وما أحسن ما أنشدت للموفق الحكيم أظنه المعروف بالورل أو المعروف بصاقرة الادب

لله أيامنا والشمل منتظم * نظما به خاطر التفريق ما شعر
والهف نفسى على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

أتى بالجمع والاختيار والاختصار فى نصف بيت بل فى ثلثه مع ما فى الاول من التورية أيضا (رجع بدا من ذوات الواو كما تقدم (فضلى) فاعل بدا والرفع فيه بضمة مقدرة على اللام لانه مضاف الى الياء وهى فى موضع جر بالاضافة (ونقصهم) الواو عطفت الاسم المرفوع على الاسم قبله والهاء والميم ضمير الجهال فى البيت المتقدم والضمير فى موضع جر بالاضافة (لعينه) اللام

بقتله فقال يا عم كيف أقتله وهو القائل

صدق الثناء على الامين محمد
ومن الثناء تكذب وتخرص
واذا بنو المنصور عد حصاهم
فمحمد ياقوتها المستخلص

فانقطع سليمان عن الركوب فامر الامين بحبس أبى نواس فكتب اليه من السجن يقول

تذكر أمين الله والعهد يذكر
مقامى وانشاديك والناس حضر
ونثرى عليك الدر يا در هاشم
فيا من رأى درا على الدر ينثر
ومن ذا الذى يرمى بسهمك فى العلا
وعبد مناف والداك وحمير
فان كنت لم أذنب ففيم عقوبتى
وان كان لى ذنب فعفوك أكبر

فلما قرأ الابيات قال أخرجوه ولو غضب ولد المنصور كلهم ومن شعره قوله من قصيدة

يا كثير النوح فى الدمن
لا عليها بل على السكن
سنة العشاق واحدة
فاذا أحببت فاستنن
ضن بى من قد كلفت به
فهو يجفونى على الضنن

ومنها

تضحك الدنيا على ملك
قام بالآثار والسنن
سن للناس الندى فغدا
فكأن البخل لم يكن

وقوله أيضا يمدح الامين

هنا للتعدية وعينه مجرور باللام والهاء في موضع جر بالاضافة وهي تعود الى الحظ (نام) فعل ماض وهو جواب الشرط (عنهم) عن حرف جر ومعناه المجاوزة والضمير في موضع جر ولم يظهر ابناثه وهو عائد على الجهال (أو) حرف عطف وهو هنا للتخيير وقد تقدم الكلام على أقسام او في قوله فان جنحت اليه البيت (تنبه) فعل ماض جواب ثان للشرط (لى) جار ومجرور واللام للتعدية والياء ضمير المتكلم وخبر لعل الجملة من الشرط والجزاء والتقدير لعل الحظ منه في (المعنى) أترجى الحظ عساه اذا رأى فضلى وعلم نقصهم أن ينام عنهم فيسلبهم ماهم فيه أو ينتبه لى فيوفيني ما استحقه هيهات ضاع عمره وفنى زمانه وانتهت مدته وما نام عنهم ولا تنبه له نعم كان قد نام عنه ثم تنبه له فاورده على ظمأ به جدول الحسام وأعانت على قتله فضائله الجسام ولكن الامل خالق جبلت النفوس على ألفه وطبع يزداد بنقص الانسان ويقوى بضعفه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشيب الانسان وتشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ومن كلام الحكمة الامل ينقسم والاجل يبتسم وكيف يتنبه له الحظ والدهر كما قال التهامي

لبس الزمان وان حرصت مسالما * خلق الزمان عداوة الاحرار

وفي معنى قول الطغرائي

عمرت أروض خطوب الزمان * لوان جامحها يستقيد
وما كان أحدوني بالعلى * لوقد تنبه حظ رقود

وقال مهيار الديلمي

أيا سكر الزمان متى تفيق * ويا وسع المطالب كم تضيق
ويا نيل الحظوظ أما اليها * بغير مذلة أبدا طريق
أكل فضيلة كانت عليها * تعين هي التى عنها تعوق
قضاء ضل وجه الرأى فيه * وكاذب دونه الظن الصدوق
وعتب طال والايام صم * كما يشكو الى الموج الغريق

وهذا المعنى كقول أبي الطيب المتنبي

لا تشكون الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وذلك لان الغريق أعظم آفته وأكبر الاسباب في هلاكه تواتر الموج وكذلك الجريح ما عليه أضر من العقبان والرخم فلا تفيد الشكوى اليهما شيأ وما أحلى قول القائل

يا ردفه رفقا على خصره * فانه حمل مالا يطيق
يشكو الى أردافه خصره * لو تسمع الامواج شكوى الغريق

(رجع) ولابد للزمان من انتباهة للفضلاء بعد رقاده عنهم قال مؤيد الدين الطغرائي

لا تيأسن اذا ما كنت ذا أدب * على خمولك أن ترقى الى الفلك
بينا ترى الذهب الابريز مطرحا * في معدن اذ غدا تاجا على الملك

وذكر الحريري في درة الغواص عن أبي العباس المبرد أنه قال قصد بعض أهل الذمة أبا عثمان المازني ليقرأ عليه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار فامتنع من ذلك وأصر على رده قال فقلت له جعلت فداك أترد مثل هذه المنفقة مع فاقتك وشدة ضيقك فقال ان هذا الكتاب

أنت الذي تأخذ الايدي بحجزته
اذا الزمان على ابنائه كلحا
وكانت بالدهر عينا غير غافلة
من جود كفك تأسو كل ما جرحا

وقوله أيضا

علقت بحبل من حبال محمد
أمنت به من طارق الحدثان
تغطيت من دهرى بظل جناحيه
فعيني ترى دهرى وليس يراني
فلو تسأل الايام ما اسمى ما درت
وأين مكاني ما عرفن مكاني

وقوله أيضا

ألم ترانى أفنيت عمرى
بطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد شيأ اليها
يقربني وأعيتني الامور
حججت وقلت قد حجت جنان
فيجمعني واياها المسير

وقوله أيضا

أيها العاتب في الخمر متى كنت سفيها
لو تركناها العتب
لاطعنا الله فيها

وقوله

دع عنك لومي فان اللوم اغراء
وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها
لو مسها حجر مسته سراء
من كف ذات حر في زي ذي ذكر
لها محبان لوطي وزناء

يشتمل على ثلثمائة و كذا و كذا آية من كتاب الله عز وجل ولست أرى ان أمكن منه ساذميا غيرة على كتاب الله وحمية له قال فاتفق ان غنت جارية فى حضرة الواثق بقول العرجى

أظلوم ان مصابكم رجلا * أهدى السلام تحية ظلم

فاختلف من بالحضرة فى اعراب رجل فمنهم من نصبه وجعله اسم ان ومنهم من رفعه وجعله خبر ان والجارية مصرة على ان شيخها أبا عثمان المازنى لقنها اياه بالنصب فأمر الواثق باشخاصه قال أبو عثمان فلما مثلت بين يديه قال ممن الرجل قلت من بنى مازن قال أى الموازن أمازن قيس أم مازن تميم أم مازن ربيعة قلت من مازن ربيعة فكلمنى بلغة قومى وقال با اسمك بالباء بدل الميم لانهم يقلبون الباء ميما والميم باء فكرهت أن أجيبه على لغة قومى لئلا أواجهه بالمكر فقلت بكر يا أمير المؤمنين ففطن لما قصدته وأعجب به ثم قال ما تقول فى قول الشاعر أظلوم البيت أترفع رجلا أم تنصبه فقلت بل الوجه النصب يا أمير المؤمنين قال ولم ذلك قلت لان مصابكم مصدر بمعنى اصابتكم فأخذ اليزيدى فى معارضتى فقلت هو بمنزلة قولك ان ضربك زيدا ظلم فالرجل مفعول مصابكم وهو منصوب به والدليل على ذلك أن الكلام معلق الى أن تقول ظلم فيتم فاستحسنه الواثق وقال هل لك من ولد قلت نعم بنية قال ما قالت لك عند مسيرك قلت أنشدتنى قول الاعشى

أيا أبتا لا ترم عندنا * فانا بخير اذا لم ترم

أرانا اذا أضمرتك البلا * د نجفى وتقطع منا الرحم

قال فما قلت لها قلت قول جرير

ثقى بالله ليس له شريك * ومن عند الخليفة بالنجاح

قال أنت على النجاح ان شاء الله تعالى ثم أمر لى بألف دينار وردنى مكرما قال أبو العباس فلما عاد الى البصرة قال لى كيف رأيت يا أبا العباس رددنا لله مائة فعوضنا ألفا قلت لم تكن هذه المسئلة مما يخفى على أبى محمد اليزيدى وهو الذى قال للكسائى يوما فى بعض مناظراته كيف تقول ان من خير القوم أو خيرهم نيته زيدا وزيدا فقال الكسائى زيد بالرفع فقال أخطأت فلام ترفعه قال انه خبر ان قال فأين اسمها ٣ فالتبك فقال له زيدا اسم ان والخبر فى الجار والمجرور وهذا اليزيدى له مسائل عويصة سأل الكسائى منها وأخطأ فى الجواب منها أنه سأله بحضرة هرون الرشيد ويحيى بن خالد البرمكى عن قول الشاعر

٣ ما رأينا قط خربا * نقر عنه البيض صقر

لا يكون العير مهرا * لا يكون المهر مهر

فقال الكسائى يجب أن يكون المهر منصوبا على أنه خبر كان ففى البيت على هذا التقدير اقواء فقال اليزيدى الشعر صواب لان الكلام تم عند قوله لا يكون الثانية وهى مؤكدة للاولى ثم استأنف الكلام فقال المهر مهر وضرب بقلنسوته الارض وقال أنا أبو محمد فقال له يحيى أتكتنى بحضرة أمير المؤمنين والله ان خطأ الكسائى مع حسن أدبه لاحسن من صوابك مع سوء أدبك فقال اليزيدى ان حلاوة الظفر أذهبت عنى التحفظ قلت وأخطأ الكسائى أيضا فى تسميته هذا اقواء لان الاقواء اختلاف حركة الروى بالرفع والجر كقول النابغة فى قصيدته الدالية المجرورة وبذلك أخبرنا الغراب الاسود فاما اذا كان الاختلاف بالرفع والنصب فهو

ومنها

دارت على فتية ذل الزمان لهم
فما يصيبهم الا بما شاؤا

ومنها يعنى ابراهيم النظام

فقل لمن يدعى فى العلم فلسفة
حفظت شيأ وغابت عنك اشياء
لا تحظر العفو ان كنت امرأ فطنا
فان حظركه بالدين ازراء

وقوله أيضا

قالوا اظفرت بمن تهوى فقلت لهم
الآن أطول ما كانت صبابتى
لا عذر للصب أن تهدى جوارحه
وقد تطعم فوه بالمدارات

وقوله أيضا

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا
بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى
وأضغاث ريحان جنى ويابس
حبست بها صحبى فجددت عهدهم
وانى على أمثال تلك لحابس
ولم أدر منهم غير ما شهدت به
بشرقى ساباط الديار البسابس

٣ قوله فالتبك أى اختلط اه

٣ قوله خربا الخرب بفتحتين وذكر الحبارى وانما سكن كالقاف من نقر للوزن اه

الاصراف والذى ذكره الحريرى من معارضة اليزيدى للمازنى بين يدى الواثق فيه تجوز لان أبا محمد اليزيدى كان يؤدب المأمون والكسائى كان يؤدب الامين وتوفى اليزيدى مع المأمون فى مرو او فى بغداد سنة مائتين واثنين والواثق تولى الامر بعد وفاة أبيه المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين ولعل هذا اليزيدى المذكور هنا أحد أولاد أبى محمد اليزيدى لانه كان له خمسة أولاد كلهم علماء أدباء شعراء ورواة للأخبار وهم أبو عبد الله محمد وابراهيم وأبو القاسم اسمعيل وأبو عبد الرحمن عبيد الله وأبو يعقوب اسحق وكلهم ألف فى اللغة والعربية فان كان ذلك المذكور أحدا من هؤلاء فكان ينبغى أن يعينه ولا يطلق لفظ اليزيدى لانه لا يفهم منه الا أبو محمد يحيى اليزيدى (رجع) نقلت من خط قاضى القضاة شمس الدين احمد بن خلكان ما صورته نقلت من خط القاضى كمال الدين ابن العديم من مسودة تاريخه ان ابن الرقاق البلنسى الشاعر المشهور كان يسهر فى الليل ويشتغل بالأدب وكان ابوه فقيرا حدادا فلامه ابوه وقال نحن فقراء ولا طاقة لنا بالزيت الذى تسهر عليه فاتفق انه برع فى العلم وقال الشعر وعمل فى ابى بكر بن عبد العزيز صاحب بلنسية قصيدة أولها

يا شمس خدرٍ مالها مغرب * أرامة دارك ام غرب
ذهبت فاستعبر طرفى دما * مفضض الدمع به مذهب

ومنها

ناشدتك الله نسيم الصبا * اين استقرت بعدنا زينب
لم تسر الا بشذا عرفها * اولا فماذا النفس الطيب
ايه وان عذبنى حبها * فمن عذاب النفس ما يعذب

فأرسل بثلثمائة دينار فجاء الى ابيه وهو جالس فى حانوته مكب على صنعته فوضعها فى حجره وقال خذها واشتر بها زيتا وذكرت ببلنسية هنا ما حكاه صاحب الريحان والريعان قال حضر شاب ذكى فى بعض مجالس الأدب فقال بعضهم ما تصحيف تحت فخذى قال تصحيف حسن فاستغرب اسراعه بالجواب وكان فى المجلس شاعر من اهل بلنسية فاتهم الشاب وقال مختبرا له ما تصحيف بلنسية فأطرق ساعة ثم قال أربعة أشهر فجعل البلنسى يقول صدق ظنى فيك انك تدعى وتنتحل ما تقول وبحك والفتى يضحك ثم قال له الفتى اشعر فأنت شاعر فقال له وأى نسبة بين أربعة أشهر وبين بلنسية فقال ان لم يكن فى اللفظ فهو فى المعنى ثم قام وهو يقول هو ذاك ففتنه بعض الحاضرين بعد حين ونظر فاذا أربعة أشهر ثلث سنة وهو تصحيف بلنسية فخجل المنازع ومضى الى الشاب معتذرا معترفا اه قلت وقال آخر لآخر ما تصحيف تحت فضعت فجعل لا يهتدى الى تصحيفه فلما اعياه الامر قال له ما تصحيفه قال تصحيف صعب قال بالله قل لى ما تصحيفه قال تصحيف صعب ولم يزل كذلك هو يسأله وذاك يجيبه ولم يهتد الى أن ذلك هو الجواب وقال آخر لآخر ما تصحيف استنصح ثقة ففكر زمانا فلما أعياه قال له لم يظهر لى ايش تصحيفه فقال له قد أجبت ولم تعلم بأنك قد أجبت ومن التصحيف ما كتب به ابراهيم بن المهدى الى اسحق بن ابراهيم النديم أى شئ تصحيف لا ترتج مثل الاسنة فكتب لا برث جميل الابثينة فكتب اليه ابراهيم فما تصحيف هذا فكتب اليه وانه منك وحكى أن الامام الناصر قال لابن الدباهى وقد اشترى مملوكا اسمه بليه يا ابن الدباهى ثلثه ثلثه فقال يا أمير المؤمنين لا تعدو مثل هذا ما قاله لى بعض الاصحاب وقد رأى معى ملحا سلسله يعنى به نبيتك تنيكه فقلت بقناديل أى

أفنابها يوما ويوما وثالثا
ويوماله يوم الترحل خامس
تدور علينا الراح فى عسجدية
حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها
مها تدريها بالقسى الفوارس
فللراح مازرت عليه جيوبنا
وللماء مادارت عليه القلانس
كان الجاحظ يقول وجدنا الشعراء تجاذبوا المعانى الا قول عنترة فى وصف الذباب

هزجا يحك ذراعه بذراعه
قدح المكب على الزناد الاجذم

وقول أبى نواس يصف الكاس يعنى فى هذه الابيات السينية فان أحدا من الشعراء لم يجسر التعرض لها وقوله

كيف النزوع عن الصبا
والكاس
قس ذا لنا يا عاذلى بقياس
قالوا كبرت فقلت ما كبرت يدى
عن ان تجيء الى فى بالكاس

وقوله

يقولون فى الشيب الوقار لاهله
وشيبى بحمد الله غير وقار
اذا كنت لا أنفك عن أريحية
الى رشا يسعى بكاس عقار

وقوله

ظللت حيا الكاس تبسطنا
حتى تهتك بيننا الستر
فى مجلس ضحك السرور به
عن ناجذيه وحلت الخمر

بقيادتك وأحسن تصحيف رأيته في سلسلة بث بليتي له وهو أحسن من قولهم نبذتك تنبذكه
وحكى أن ابن منقذ قال لابن الساعاتي الشاعر وكان مليحا في حال صباه حسن الصورة والخلق
أجي وأحد نكم فاجابه في الحال مرويك وحكى أن المتوكل قال لابن ماسويه بعث يتي بقصرين
فقال بطين آجرغدا كله قال الخليفة تعشيت فضرني فقال الطبيب بطي اخرغد الكله ونقلت من
خط السراج الوراق له

أتيت أرجيه في حاجة * فلم تنبعث نفسه الجامده
وقبّل في ذقنه والنقوس * تعاف المقتلة البارده
وكبدي مقطعة دونها * ونيرانها لم تكن خامده
فقلت له خل تقبيلها * وصحف مني خلفها فائده

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

مازلت مذ غبت عنك في بلدي * حتى اذا ما أزحت علاتها
أقت أجرانها على عجل * وبعد هذا خزنت غلاتها

وقال آخر أيضا

وقد كان فيما مضى داية * تحن علينا وتبغى رضانا
فاتت فالما فقدها * فنحن جميعا عليها حزانا

وقال ابو عبد الرحمن حمزة الاصفهاني في كتاب التنبيه على حدوث التصحيف سمعت ابن دريد
يقول وجدت للجاحظ في كتاب البيان تصحيفا شنيعا في الموضع الذي يقول فيه حدثني محمد بن
سلام الجمحي قال سمعت يونس يقول ماجاءنا عن احد من روائع الكلام ماجاءنا عن النبي
صلى الله عليه وسلم وانما هو البتي فأما النبي صلى الله عليه وسلم فلا شك عند المسلم والذمي
انه أفصح الخلق اه كلام حمزة قلت وقد قلده جماعة من علماء الادب كالابي وغيره وهذا فيه
بعد كبير على الجاحظ وهو ماهر في الادب وغيره ولا يجوز أن يقع الجاحظ في مثل ذلك لوجوه
الاول انه لا يخفى هذا على من هو دونه الثاني لعله قال البتي بالباء والتاء وانما الناسخ هو الذي
حرف ذلك وصحفه بالنبي بالنون والباء ومارأى ذكر النبي بدون ان يقول صلى الله عليه وسلم
على عادة النساخ الثالث أن الجاحظ قال سمعت يونس يقول فهو نقله عنه سماعا من لفظه
والسماع لا يقع فيه التصحيف ولئن كان الامر كذلك فينبغي أن يغلط يونس دون الجاحظ
قاعدة التحقيق يقتضي ان القاف والنون والياء آخر الحروف اذا وقعت أخيرة لا تصحف لان
القاف لا تشبه الفاء والنون لا تشبه الباء ولا التاء ولا الثاء وكذلك الياء أيضا ولا يصحف حبيي
بحسن لان الصورتين مختلفتان ولكن الناس تساهلوا في ذلك والتحقيق ماذكرته لان محققي
الكتاب اذا وقعت هذه الحروف متطرفات لا ينقطوهن لعدم اللبس فاعرف ذلك

(اعلل النفس بالآمال أرقبها * ما اضيق الدهر لولا فسحة الأمل)

(اللغة) علله بالشيء لهاه به كما يعلل الصبي بشيء من الطعام ويعلل نفسه بتعلة أي يلهى وعلل
الشيء فهو معلول وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس
بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة من جملة قصيدة مطولة

ياخالي القلب قلبي في محبتهم * لك السلامة مشغوف ومشغول

ولقد تجوب بي الفلاة اذا
صام النهار وقالت العفر
شدنية رعت الحمى فاتت
ملء الجبال كأنها قصر
ومنها
يسعى اليك بها بنو امل
عتبوا فاعتبهم بك الدهر
أنت الخصيب وهذه مصر
فتدفقا فكلاكما بحر
ذكر بعض العلماء في قوله
وحلت الخمر أربعة أوجه
الاول أن طيب المكان
وتكامل السرور صار
مقتضيا لشرب الخمر وملجئا
الى تناولها ورافعا للحرج
فيها على مذهب الشعراء في
المبالغة وفائدة وصفها بأنها
حلت المبالغة في الوصف
بالحسن والجمال الثاني ان
يكون آلى على نفسه أنه
لا يتناول الخمر الا بعد الاجتماع
بمحبوبه فكان الاجتماع به
مخرجا من يمينه على عادة
العرب وعلى ذلك قول امرئ
القيس
حلت لي الخمر وكنت امرأ
من شربها في شغل شاغل
الثالث يريد بحلت نزلت من
الحلول لا من الحلال كأنه
وصف بلوغ آرابه وانها
تكاملت بحضور الخمر الرابع
اننا استحللنا الخمر بسكرنا
وذهولنا والى ذلك أشار في
المعنى بقوله

مضى بهم وعاص من تذكرهم * بعيده فهو مغلول ومعلول

النفس الروح يقال خرجت نفسه قال أبو خراش

تجاسالم والنفس منه بشدقه * ولم ينج الاجفن سيف ومئزرا

أى بجفن سيف ومئزر والنفس لغة الدم يقال سالت نفسه وفى الحديث مالا نفس له سائلة فانه لا ينجس الماء اذا مات فيه والنفس الجسد قال الشاعر

نبئت ان بنى سحيم أدخلوا * أبياتهم تامور نفس المنذر

والتامور الدم واما قولهم ثلاثة أنفس فانهم يريدون بذلك الانسان هذا قول أصحاب اللغة والفقهاء وافقوهم على ذلك وأما ارباب المعقول فقد اختلفوا فى حقيقة النفس ماهى اختلافا كثيرا الى الغاية وأما الحكماء فقالوا النفس عبارة عن هذه الاجزاء النارية السارية فى هذا الهيكل لان النار خاصتها الاشراق والحركة ولهذا قال الاطباء ان مدبر الجسد هو الحار الغريزى وهذا رأى أفلاطون ومن تابعه ومنهم من قال هو عبارة عن هذا الهواء لانه متى كان النفس مترددا كانت الحياة باقية فالنفس هو الهواء المستنشق المتردد فى مخارق البدن ولانه لا لون له ويدخل فى المنافس الضيقة وهذا رأى ديوجينس ومن تابعه ومنهم من قال النفس عبارة عن الماء لانه سبب لحصول النشو والنمو والنفس كذلك فكانت هى الماء وهذا رأى تاليس الملطى وهذه الاقوال فاسدة لان الاشتراك فى بعض الصفات لا يوجب التساوى فى تمام الماهية ومنهم من قال النفس عبارة عن مجموع الاخلاط الاربعة بشرط أن يكون كل واحد له قدر معين لانه مادامت هذه الاخلاط باقية على كمياتها المخصوصة وكيفياتها المنصوصة فالحياة باقية وهذا ضعيف أيضا لانه لا يثبت العلم بمجرد الدرر ومنهم من قال النفس عبارة عن الدم لانه أشرف اخلاط البدن ومتى نزف الدم عن الجسد فارقته الحياة وهذا رأى جالينوس ومن تابعه من الاطباء فوافقوا الفقهاء واهل اللغة وهذا ضعيف لان الجسد يعرض له عدم الحياة والدم فيه ولانه كان ينبغى ان تزيد النفس بزيادة الدم فى البدن وان تقوى معلوماتها وادراكاتها وتضعف بقلته فى البدن والقضية بالعكس فان الصائم والضعيف يقوى ادراكهما ومنهم من قال ان العناصر المركبة مختلفة فى ماهياتها فاللطيف منها لا ينقلب كثيفا وبالعكس وكذا القول فى الرطب واليابس والحار والبارد فثبت أن النفس اجسام لطيفة لذواتها حية لذواتها وتلك الاجسام اذا شابكت هذا الهيكل المحسوس وسرت فيه سريان ماء الورد فى الورد والدهن فى السمسم صار هذا الهيكل حيا بتلك المشابكة ولا يتطرق الذوبان والانحلال الى هذا الهيكل دون تلك الاجسام اللطيفة الحية والاخلاط فيها قابلية لتلك الاجزاء فمتى ذهبت القابلية من الاعضاء والاخلاط انفصلت تلك الاجزاء اللطيفة الحية وكان ذلك هو الموت وهذا القول مشكل لانه يلزم من هذا أنه اذا قطعت أطراف الانسان اما ان يذهب كل طرف بما فيه من النفس وهو باطل لانه يوجب ضعف النفس فى تدبير البدن وضعف الادراك والعلم واما ان تتداخل تلك الاجسام فى الجسد الذى بقى و يقوى تدبير النفس للبدن فى الحركة وقوة الادراك لان تلك الاجزاء تقاصت واجتمعت فى هذا الباقى وهذا فيه قول بتداخل الاجسام وهو محال ومنهم من قال النفس عبارة عن الاجسام اللطيفة المتكونة فى البطن الايسر من القلب النافذة فى الشرايين النابتة منه الى كل اجزاء البدن ومنهم من قال النفس عبارة عن الارواح المتكونة فى الدماغ الصالحة

ذريني اكثر حاسديك برحلة
الى بلد فيه الخصيب امير
اذا لم تزر ارض الخصيب ركابنا
فأى فتى بعد الخصيب تزور

ومنها

فان تولنى منك الجميل فأهله
والا فانى عاذر وشكور

وقوله ايضا من ابيات رويت منها هذين البيتين

لقد أتقيت الله حق تقاته
وجهدت نفسك فوق جهد المتقى
وأخفت أهل الشرك حتى انه
لتخافك النطف التى لم تخلق

احتج له فى بعض العلماء فى هذا البيت فقال الانسان اذا خاف شيأ خافه لحمه ودمه فكأن الاعداء خافته ونطفها فى ذلك الوقت دم يجرى الخوف فى الدم يجرى الدم فى الاخلاط واستحالت الى منى بعد الانعقاد والنضج التام فانعقد منه فى الرحم فتكون انسان يخافه من هذا القبيل وهذا أمر غامض والامر فيه محتمل وقال آخر خافته ذرية آدم منذ أخذ الله تعالى عليها الميثاق وهى فى ظهر أبينا آدم حين قال الله تعالى ألست بربكم قالوا بلى فثبت فى ظهر آدم صلوات الله وسلامه عليه القول الاول أمكن عند الحكماء وأما الثانى فهو قريب من باب الاحتمال وقوله

القبول قوة الحس والحركة والحفظ والفكر والذكر النافذة من الدماغ فى شظايا الأعصاب النابتة منه الى أقاصى البدن ومنهم من قال أجزاء هذا البدن على قسمين بعضها أجزاء أصلية باقية من أول العمر الى آخره من غير أن يتطرق اليها شئ من التغييرات والانحلال والزيادة والنقصان وبعضها أجزاء عارضية تبعية تارة تزداد وتارة تنقص فالنفس والشئ الذى يشير اليه كل أحد بقوله أنا هو القسم الأول قال الامام فخر الدين وهذا القول اختيار المحققين من المتكلمين وبهذا القول يظهر الجواب عن أكثر شبهات منكرى البعث والنشور اه وقال بعض المحققين النفوس جواهر روحانية ليست بجسم ولا جسمانية لا داخلة البدن ولا خارجة عنه لا متصلة به ولا منفصلة عنه لها تعلق بالأجساد تشبه علاقة العاشق بالمعشوق وهذا القول ذهب اليه أبو حامد الغزالى فى بعض كتبه ونقل عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال الروح فى الجسد كالمعنى فى اللفظ وما رأيت للنفس مثالا أحسن من هذا ويقال ان بعض المتكلمين سئل عن الروح والنفس فقال الروح هى الريح والنفس هى النفس فقال له السائل فعلى هذا اذا تنفس الانسان خرجت نفسه واذا ضرط خرجت روحه فانقلب المجلس ضحكا وهذه مسئلة عظيمة تتجاذب الأدلة فيها وتتعارض وتصح البراهين فيها وتتعارض وما أقول فيها الا ما نطق به القرآن الكريم من قوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى فقد اختلف الناس فيه اختلافا كثيرا وتمسكوا فيه بأدلة تؤيد من كل مذهب ما ادعاه أربابه وجزم بأنه الحق قال الشيخ الامام العلامة كمال الدين محمد بن الزملكانى فى مصنف له قال القاضى عياض ما معناه اختلف الناس فى الروح اختلافا كثيرا لا يكاد ينحصر فقال كثير من أرباب المعانى وعلم الباطن والمتكلمين لا تعرف حقيقته ولا يصح وصفه وهو مما جهل العباد علمه اه قلت ولله در أبى الطيب اذ يقول

تخالف الناس حتى لا اتفاق لهم * الا على شجب والخلف فى الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة * وقيل تشرك جسم المرء فى العطب
ومن تفكر فى الدنيا ومهجتها * أقامه الفكر بين العجز والتعب

والقاضى الفاضل حيث يقول

والشعر ثوب طالت عنه وربما * تتعثر الشعراء فى أذياله
سهل على الأسماع لا الأطماع فى * تقريب مطمعه وبعد مناله
كالروح تدركه العقول بفعله * ويضل عنه الفكر فى تجواله

رجع الآمال جمع أمل وتقدم الكلام عليه أرقبها أرصدها الدهر تقدم الكلام عليه فسحة الأمل فسحة الشئ سعته ومكان فسيح ومجلس فسيح اذا كان واسعا (الاعراب أعلل) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنا (النفس) منصوب لأنه مفعول به (بالآمال) الباء هنا للتعدية وهى متعلقة بأعلل والجار والمجرور فى موضع نصب (أرقبها) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم والضمير فى موضع نصب لأنه مفعول به وهو يعود الى الآمال والجملة فى موضع نصب على الحال تقديره أعلل النفس بالآمال مرتقبا لها (ما) هنا هى التى للتعجب وقد تقدم الكلام على تقسيمها وهى هنا على مذهب سيبويه نكرة غير موصوفة فهى فى موضع رفع على الابتداء وساغ الابتداء بها

حربنا والعيون ترمقه
تجرح منه مواضع القبل
أفرغ فى قالب الجمال فما
يصلح الا لذلك العمل
وقوله أيضا وقد هجا بعضهم فسمع منه ما لا يرضيه فقال
ما أنت بالحر فيلحى ولا
بالعبد يرجى نفعه بالعصا
فرحمة الله على آدم
رحمة من عم ومن خصصا
لو كان يدرى انه خارج
مثلك من احليله لاختصى
وأما قوله فى أمر الزهد فأنشد يوما هذين البيتين يقول
ألا رب وجه فى التراب عتيق
ويا رب حسن فى التراب رقيق
اذا اختبر الدنيا لبيب تكشفت
له عن عدو فى ثياب صديق
وقوله من أبيات يرثى بها الامين وكأنها مطولة والله أعلم
طوى الدهر ما بينى وبين محمد
وليس لما تطوى المنية ناشر
وكنت عليه أحذر الموت وحده
فلم يبق لى شئ عليه أحاذر
(والمعنى بقول أبى تمام
فلو صورت نفسك لم تزدها
على ما فيك من شرف الطباع)
هذا البيت لأبى تمام من قصيدة مطولة ستأتى ان شاء الله تعالى فى آخر ترجمته وهو حبيب بن أوس بن الحرث

لانها في تقدير التخصيص والمعنى شئ عظيم مثل شراهر ذاناب وجملة (أضيق) خبر المبتدأ واختلف في أفعل التعجب فقال قوم انه فعل لانه تدخله نون الوقاية تقول ما أكرمني وهي مما يدخل على الافعال وهذا مذهب البصريين وقال الكوفيون انه اسم لانه يصغر وأنشدوا على ذلك

يا ما أميلح غزلانا شدن لنا * من هؤلاء بين الضال والسمر

ومذهب البصريين أقوى لأدلة ذكرت في مواطنها وللتعجب صيغتان وهما أفعل وأفعل به تقول ما أكرمه وأكرم به وهاتان الصيغتان ممنوعتان من الصرف والبناء على غيرهذه الصيغة التي جعلت لهما ولا يبنيان من فعل زائد على الثلاثة وأجاز سيبويه بناءه من أفعل كقولهم ما أعطاه للدرهم وما أولاه للمعروف ولا يبنيان من غير متصرف كنعم وبئس ولا من فعل لا يقبل التفاوت نحو مات وفني لانه لا مزية فيه لفاعله بل فاعلوه متساوون فيه ولا من فعل ملازم للنفي نحو ما عاج زيد بهذا الدواء أي ما انتفع به لانه لم يستعمل الا في النفي ولا من فعل اسم فاعله على أفعل وهذا يجئ في الالوان والعاهات نحو سود فهو أسود وخضر الزرع فهو أخضر وعرج فهو أعرج وحول فهو أحول لان فعل هذين أكثر ما يجئ بزيادة اللام على وزن أفعل نحو احمر واخضر واعور واحول فان أردت التعجب منهما قلت ما أشد سواده وبياضه وما أشد عرجه وحوله ولا يبنيان من فعل مبني للمفعول نحو ضرب لئلا يلتبس التعجب منه بالتعجب من فعل الفاعل قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك ولو كان الالتباس مأمونا مثل أن يكون الفعل لازما للبناء نحو وقص الرجل وسقط في يده لكان فعل التعجب منهما خليقا بالجواز اه وقد دارت هذه المسئلة أعني ضرب زيد وبناء التعجب منه بين أبي جعفر النحاس وبين أبي العباس بن ولاد وجرى بينهما بحث طويل نقض كل منهما كلام الآخر وبعث كل منهما الى ابن بدر النحوي ببغداد فمال مع أبي العباس على أبي جعفر وكأنه ارتشى وقال أبو القاسم الشاطبي وقد وقفت على هذه المسائل فأبو جعفر يسلك في كلامه طريق النحاة وأبو العباس له ذكاء ذكر ذلك علم الدين السخاوي في سفر السعادة وفيما دار بينهما فوائد جمة (رجع الدهر) منصوب على التعجب وهو فاعل في المعنى فعل الفعل المتعجب منه ولكن دخلت عليه همزة النقل فصار الفاعل مفعولا كأنك قلت شئ عظيم ضيق الدهر (لولا) حرف يمتنع به الشئ[٣] لامتناع غيره وهي هنا امتناعية وقد تكون تحضيضية كقوله تعالى لولا أخرتني الى أجل قريب وحكى أبو جعفر النحاس أنها تكون نافية في مثل قوله تعالى فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها أي فما كانت وهي عند الناس هنا للتحضيض وقيل انها مركبة من لو ولا (فسحة الامل) فسحة مبتدأ ومنهم من قال يرتفع ما بعد لولا بفعل مضمر تقديره لولا حضر أو وجد وليس بشئ ومنهم من قال ارتفع بلولا وليس بشئ أيضا الان لولا غير مختصة والخبر هنا محذوف لان المبتدأ اذا وقع بعد لولا حذف خبره وتقديره لولا فسحة الامل موجودة وانما يحذف الخبر بعد لولا للعلم به لانك تقول لولا زيد لزرتك أي لولا زيد مانع او موجود قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله تعالى ما قاله الجماعة يكون بيت المعري لحنا وعلى ما قاله الرماني وهو الصحيح لا لحن فيه اه قلت أما بيت المعري فهو قوله

يذيب الرعب منه كل عضب * فلولا الغمد يمسكه لسالا

قال

الطائي الشاعر الفاضل الكامل صاحب كتاب الحماسة أقول بأنه ولد في سنة تسعين ومائة ومات في سنة ست وعشرين ومائتين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام بقرية يقال لها جاسم وهي من أعمال حوران من بلاد دمشق وكان أبوه نصرانيا وكان اذ ذاك أبو تمام بمصر القاهرة في حداثته يسقي الماء بالمسجد الجامع ثم جالس الادباء وأخذ عنهم من النظم والنثر والأدب والفضل ما لا مزيد عليه وكان فطنا ذكيا محبا للشعراء وأصحاب الفضل فلم يزل يعانيه حتى ملكه وسار ذكره في العصر وبلغ المعتصم اذ ذاك خبره فرحل اليه سرا برأي بعض أصدقائه ومحبيه فعرض عليه قصائده فقدمه على جميع شعراء وقته وزمنه حدث على ابن الجهم قال كان الشعراء يجتمعون في كل جمعة في القبة المعروفة بهم بجامع بغداد ينشدون الشعر ويعرض كل منهم على أصحابه ما يكون قد نظمه بعد مفارقتهم في الجمعة التي قبلها فبينا أنا في جمعة من تلك الجمع

[٣] (قوله لامتناع غيره) صوابه لوجود غيره اه

قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس قالوا حذف خبر المبتدا بعد لولا واجب لان ما في لولا من معنى الوجود دل عليه وقال ان كان الخبر معلوما وجب حذفه كما قال النحاة وان كان مجهولا وجب ذكره فانا اذا قلنا لولا زيد لا كرمتك ان أردنا لولا زيد حاضر أو موجود أو غير ذلك مما يدل عليه قوة الكلام وجب الحذف كما ذكرتم للدلالة عليه وطول الكلام وان اردنا به لولا زيد يلبس كذا او يركب كذا او يفعل فهلا ليس في اللفظ دلالة عليه وجب ذكره حينئذ والا كان في حذفه تكليف السامع علم الغيب وانشد على ظهور الخبر قول الشاعر * فوالله لولا الله لا شيء غيره * وقوله ايضا * فوالله لولا الله تخشى عواقبه * وابياتا غير ذلك اه ما حكاه ابن النحاس وقال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك في شرح التسهيل وجب حذف خبر لولا الامتناعية لانه معلوم بمقتضى لولا اذ هي دالة على امتناع لثبوت والمدلول على امتناعه هو الجواب والمدلول على ثبوته هو المبتدا ثم قال فيما بعد والمراد بالثبوت هنا الكون المطلق فلو اريد كون مقيد لا دليل عليه لم يجز الحذف نحو لولا زيد سالمنا ما سلم ولولا عمرو عندنا هلك ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لولا قومك حديث عهد بكفر لاسست البيت على قواعد ابراهيم فلو اريد كون مقيد مدلول عليه جاز الاثبات والحذف نحو لولا انصار زيد حموه لم ينج فحموه خبر مفهوم المعنى فيجوز اثباته وحذفه ومن هذا القبيل قول المعري وانشد البيت ثم قال وهذا الذي ذهب اليه الرماني وابن الشجري والشلوبين وغفل عنه أكثر الناس ومن ذكر الخبر بعد لولا قول ابي عطاء السندي

لولا ابوك ولولا قبله عمر * القت اليك معد بالمقاليد

اه كلامه وفي حذف خبر لولا قال السراج الوراق ومن خطه نقلت

كم أناديك مفردا علما أر * فعه عالما بشرط المنادى
وجوابي يلغى يحاكي للولا * خبر الو أتوا به ما أفادا

وذكرت ببيت أبي العلاء المعري قول ابن المعتز

يكاد يجري من القميص من النعمة لولا القميص يمسكه

وقوله ايضا يصف فرسا

يكاد أن يخرج من اهابه * اذا تدلى السوط لولا اللبب

وقول أبي الشيص في مثل هذا

لولا التمنطق والسوار معا * والحجل والدملوج في العضد
لتزايلت من كل ناحية * لكن جعلن لها على عمد

وأخذ أبو الطيب هذا ديباجا منقوشا وأعاده ساجا مخدوشا فقال

ترفع ثوبها الارداف عنها * فيبقى من وشاحيها شسوعا
اذا ماست رأيت لها ارتجاجا * له لولا سواعدها نزوعا

وأخذه أيضا كمال الدين علي بن النبيه تبرا وأعاده درا فقال

لها معصم لولا السوار يصده * اذا حسرت أكمامها لجرى نهرا

ومثله قول الآخر

لها من الليل البهيم طرة * على جبين واضح نهاره

ودعبل وابن أبي الشيص وابن أبي فنن والناس مجتمعون يسمعون انشاد بعضهم بعضا أبصرت شابا في أخريات الناس جالسا في زي الاعراب فلما فرغ كل منهم وقطع انشاده التفت الشاب الينا وقد قال سمعت انشادكم منذ اليوم فاسمعوا انشادي فقلنا هات فأنشد

* فحواك عين على * نجواك يا مذل *

ثم مر فيها منشدا حتى اتى الى قوله

تغاير الشعر فيه اذ سهرت له حتى ظننت قوافيه ستقتتل

فعقد ابو الشيص عند هذا البيت خنصره ثم مر فيها الشاب الى ان اتى على آخرها ثم انشد قصيدة اخرى فقلنا له أيها الشاب لمن هذا الشعر فقال لمن انشدكموه فقلنا له ناشدناك الله من تكون فضحك وقال انا ابو تمام الطائي فرفعنا مجلسه حينئذ وعظمناه تعظيما كبيرا واشتد اعجابنا به لدماثة اخلاقه وفصاحة منطقه وجود شعره ثم انني ما عرفت عقد خنصر ابي الشيص هل كان اعجابا به مما سمع في البيت من البديع المرقص او اخذا عليه في اسكان الياء في قوله حتى ظننت قوافيه اعني من لفظة قوافيه وهي ضرورة

ومعصم يكاد يجري رقة * وانما يعصمه سواره

وأنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال أنشدني شمس الدين محمد بن المحدث لوالده عز الدين بن عبد الرزاق

قالت وقد صرت كطيف الخيال * كيف ترى فعل الدمى بالرجال
وسددت سهما الى مقتلي * تقول هل فيك لدفع النصال
رقيقة الجسم فلولا الذي * يمسكه من قسوة القلب زال

(المعنى) أمنى النفس وأعللها برقبة الآمال وانتظار بلوغها وادراكها فيتسع لها ما ضاق عليها من الدهر أو من العيش ثم قال ما أضيق الدهر لولا ان فسحة الامل توسعه وفي الآمال راحة للنفوس قال صلى الله عليه وسلم الامل رحمة لامتي لولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها ولا غرس غارس شجرا ومن هنا قال الحسن لو عقل الناس وتصوروا الموت بصورته خربت الدنيا وقال بن المعتز فيما أظن نعم الرفيق الأمل ان لم يبلغك فقد آنسك واستمتعت به والاصل في هذا قول بن ميادة

أماني من ليلى حسان كأنما * سقتني بها ليلى على ظما بردا
مني ان تكن حقا تكن أحسن المنى * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

وما أحسن قول القاضي الفاضل وقد وجدت ريح كتبه وروح قربه فرجعنا الى العادة وعادت أيامنا وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا وعاودتنا المنى وما كانت تخطر وان خطرت فانها كلا مني وكل امرئ أمانيه تليق بمعاليه قيل للامام أحمد بن حنبل ما تتمنى قال سندا عاليا وبيتا خاليا وقيل لبعض الوراقين ما تتمنى قال قلما مشاقا وحبرا براقا وجلودا وأوراقا وقيل لبعض الصوفية ما تتمنى قال ذقنا ودلقا ولا اريد رزقا وقال بعضهم

لو قال لي خالقي تمن * قلت له سائلا بصدق
أريد في صبح كل يوم * فتوح خير يأتي برزق
كف حشيش ورطل لحم * ومن خبز ونيك علق

وقال آخر

لو قيل ما تتمنى قلت في عجل * أخا صدوقا أنيسا غير خوان
اذا فعلت جميلا ظل يشكرني * وان أسأت تلقاني بغفران

وقيل لبعض العشاق ما تتمنى فقال اعين الرقبا والسنة الوشاة واكباد الحساد واخذ هذا بعضهم ونظمه فقال

قال لي هودي غداة اتوني * ما الذي تشتهيه واجتهدوا بي
قلت مقلي فيه لسان وشاة * قطعوه فيه بصنع عجيب
واضيفت اليه كبد حسود * فقثت فوقها عيون رقيب

وقال آخر

عندي لكم يوم التواصل دعوة * يا معشر الجلساء والندماء
اشوي قلوب الحاسدين بها وألسنة الوشاة وأعين الرقباء

وقيل لبعض الاعراب ما أمتع لذات الدنيا فقال ممازحة الحبيب وغيبة الرقيب وقال

جائزة عند الشعراء ثم ترقت حال ابي تمام وتموّل بالمال الجزيل حتى عاد الى بلده فضرب خياما واظهر نعمة واثاثا فخرجت امرأة من بعض احياء العرب ومعها اختها يستقيان فتأملته زمانا ثم التفتت الى صاحبتها وقالت أتدرين الرجل قالت لا والله قالت بلى والله أنا أعرفه قالت ومن هو قالت انه والله أقيبرع جاسم فلما سمع ما قالت النسوة رحل من وقته وساعته وعاد الى الموصل فما زال بها الى أن مات رحمة الله تعالى عليه * وحكى البحتري قال دخلت على سعيد بن اسلم الطائي فانشدته قصيدتي في مدحه التي أولها أأفاق صب من هوى فافيقا والى جانبه شخص لا أعرفه فلما فرغت منها أقبل على ذلك الشخص وقال أما تستحي ان تنتحل شعري وتنشده بحضوري ثم مر في القصيدة فانشدها من حفظه فتغير وجه سعيد والتفت الي وقال يا ابن أخي قد كان في الوسائل عندنا مندوحة عن سرقة الشعر فخرجت كاسف البال وسألت عن الرجل فقيل انه أبو تمام الطائي فلما بعدت لحقني الحاجب وأمرني بالعود واذا أبو تمام

الاصمعي سئل امرؤ القيس ما أطيب لذات الدنيا فقال بيضاء رعبوبه بالشحم مكروبه بالمسك مشبوبه وسئل الاعشى عن ذلك فقال صهباء صافيه تمزجها ساقيه من صوب غاديه وسئل طرفة عن ذلك فقال مركب وطي وثوب بهي ومطعم شهي قال العكوك فحدثت أبا دلف بذلك فقال

أطيب الطيبات قتل الاعادي * واختيالي على متون الجياد
ورسول يأتي بوعد حبيب * وحبيب يأتي بلا ميعاد

وحدثت بذلك حميدا الطوسي فقال

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى * وجدك لم أحفل متى قام عودي
فمنهن سبق العاذلات بشربة * كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكري اذا نادى المضاف محنبا * كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب * ببهكنة تحت الخباء المعمد

وحدثت بذلك الزبير بن عبد الله فقال ما أدري ما أقول ولكني أقول هكذا

فاقبل من الدهر ما أتاك به * من قر عينا بعيشه نفعه

اه قلت أخبرني من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف بالديار المصرية سنة سبعمائة وثمانية وعشرين قال قرأت على أستاذنا العلامة أبي جعفر أحمد بن ابراهيم بن الزبير الحافظ المؤرخ حفظا عن ظهر قلب الاشعار الستة ومنها دبوان طرفة ابن العبد فمن ذلك قوله فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى الابيات الاربعة قال الشيخ أثير الدين قوله وجدك أي وسعدك والعواد الزائرون في المرض والعاذلات اللائمات والشربة هنا الخمر وكميت فيها حمرة وبياض وتعل تمزج وتزبد تصير عليها رغوة وكري عطفي والمضاف المستغيث ومحنبا فرسا قويا والسيد الذئب والغضا شجر والمتورد الذي صار لونه أحمر من دم الفرائس والدجن الغيم الذي فيه المطر والبهكنة الجارية الناعمة والمعمد الذي له العمد وأخبرني أيضا من لفظه قال أنشدنا شيخنا الشيخ الناقل النسابة حافظ المشرق والمغرب شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن الدمياطي يوم الاربعاء الخامس عشر من جمادى الآخرة سنة ستمائة وثمانين بالقاهرة بقراءتي عليه قال أنشدنا الشيخ الامام العالم الصاحب عز الدين أبو حامد عبد الحميد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن حسين بن أبي الحديد المعتزلي ببغداد ومولده بالمدائن يوم السبت مستهل ذي الحجة سنة ست وثمانين وخمسمائة لنفسه

لولا ثلاث لم أخف صرعتي * ليست كما قال فتى العبد
أن أنصر التوحيد والعدل في * كل مكان باذلا جهدي
وان أناجي الله مستمتعا * بخلوة أحلى من الشهد
وان آتيه الدهر كبرا على * كل لئيم أصعر الخد
لذاك أهوى لا فتاة ولا * خمر ولا ذي ميعة نهد

وأخبرني من لفظه أيضا قال وجدت في كتاب طرف المجالسه وملح المؤانسه تأليف الكاتب الرئيس أبي عمرو عثمان بن أبي بكر بن يحيى المرابط وقد رأيته بغرناطة مما أنشده

يضحك فاستدناني وقال ياسيدي الشعر لك وانما هذه عادتي في حفظ القصيدة من مرة واحدة ولقد نعيت الى نفسي فانه ما نبغ من قبيلة مجيد أو شريف الا مات من كان قبله مثله أو ما سمعت قول الشاعر

اذا مقدم منا ذر احد نابه * تخمط منا ناب آخر مقدم

فقلت بل يجعلني الله فداك ثم لزمته وكان محسنا الي الى ان مات وحكى أبو حيان قال كان لابي تمام صديق يسكر من قدحين فكتب اليه يستدعيه الى الشرب ان رأيت ان تنام عندنا الليلة فافعل * ومن محاسن شعره قوله

الى قطب الدنيا الذي لو بفضله * مدحت بني الدنيا كفتهم فضائله
تعود بسط الكف حتى لو انه * ثناها لقبض لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

وقوله ايضا

ومرحب بالزائرين وبشره * يغنيك عن أهل لديه ومرحب
يعطي عطاء المنعم المتفضل الندى * عفوا ويعتذر اعتذار المذنب

وقوله ايضا

قوم اذا اوعدوا اووا عدوا * غمروا
صدقا ذوائب ما قالوا ابما فعلوا

للامام المحدث ضياء الدين أبي جعفر أحمد بن صابر القيسي الظاهري وقد أخبرني عن ابن صابر الاستاذ أبو جعفر بن الزبير

لولا ثلاث هـن والله من * أكبر آمالي في الدنيا
حج لبيت الله أرجو به * أن يقبل التوبة والسعيا
والعلم تحصيلا ونشرا اذا * رويت أوسعت الورى ريا
وأهل ود أسأل الله أن * يمتع بالبقيا الى اللقيا
ما كنت أخشى الموت اني أتى * بل لم أكن ألتذ بالمحيا

وأنشدني الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه

* أما انه لولا ثلاث أحبها * تمنيت اني لا أعد من الأحيا
فمنها رجائي ان أفوز بتوبة * تكفر لي ذنبا وينجح لي سعيا
ومنهن صون النفس عن كل جاهل * لئيم فلا أمشي الى بابه مشيا
ومنهن أخذي للحديث اذا الورى * نسوا سنة المختار واتبعوا الرأيا
أنترك نصا للرسول ونقتدي * بشخص لقد بدلت بالرشد الغيا

وقلت أنا في هذه المادة على وزن أبيات ابن الحديد ورويه

لولا ثلاث هـن أقصى المنى * لم أهب الموت الذي يردي
تكميل ذاتي بالعلوم التي * تنفعني ان صرت في لحدي
والسعي في رد الحقوق التي * لصاحب نلت به قصدي
وان أرى الاعداء في صرعة * لقيتها من جمعهم وحدي
فبعدها اليوم الذي حم لي * عندي استوى في القرب والبعد

وقد تمني الناس كثيرا ولا مثل تمني كثير عزة في قوله

وددت وحق الله انك بكرة * وأني هجان مصعب ثم نهرب
كلانا به عر فمن يرنا يقل * على حسنها جرباء تعدي وأجرب
نكون لذي مال كثير مغفل * فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب
اذا ما وردنا منهلا صاح أهله * علينا فما تنفك نرمى ونضرب

روى أن عزة لما بلغها ذلك وحضر اليها استنشدته الابيات فلما أنشدها قالت له ويحك لقد أردت الشقاء بي أما وجدت امنية أوطأ من هذه فخرج من عندها خجلا وأسوأ من هذه الامنية أمنية الفزاري حيث قال

من حبها أتمنى أن يلاقيني * من نحو بلدتها ناع فينعاها
كيما أقول فراق لا لقاء له * وتضمر النفس يأسا ثم تسلاها

ولكنه استدرك بعد ذلك فقال

ولو تموت لراعتني وقلت لها * يا بؤس للموت ليت الدهر أبقاها

وقال آخر

تمنيت من حبي بثينة اننا * وئدنا جميعا ثم تحيى ولا أحيا
فترجع دنياها عليها وانني * بساعة ضميها رضيت من الدنيا

يستعذبون مناياهم كأنهم
لا ييأسون من الدنيا اذا قتلوا
وقوله أيضا
لا تنكري عطل الكريم من
الغنى
فالسيل حرب للمكان العالي
وتنظري خبب الركاب ينصها
محيي القريض الى مميت المال
وقوله أيضا
واذا أراد الله نشر فضيلة
طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت
ما كان يعرف طيب عرف
العود
وقوله أيضا
ليس الحجاب بمقص منك لي املا
ان السماء ترجى حين تحتجب
وقوله أيضا
توفيت الآمال بعد محمد
وأصبح في شغل عن السفر
السفر
فتى مات بين الضرب والطعن
ميتة
تقوم مقام النصر ان فاته
النصر
مضى طاهر الاثواب لم تبق
روضة
غداة ثوى الا اشتهت انها قبر
كأن بني نبهان عند وفاته
نجوم سماء خر من بينها البدر
لئن ابعد الدهر الخؤون بفقده
لأهدى به من يحب له الدهر
وقوله أيضا
اذا فقد المفقود من آل مالك
تقطع قلبي رحمة للمكارم

وقلت أنا

هل يكتسى المحبوب قبحا زائدا * بدلا من الحسن الذى غطاه
وأراه بالعين الذى أبصرته * كى لا أرى غيرى قتيل هواه

وقال أبو عثمان سعيد بن حميد

لا مت قبلك بل أحيا وأنت معا * ولا أعيش الى يوم تموتينا
لكن نعيش كما نهوى ونأمله * ويرغم الله فينا أنف واشينا
حتى اذا قدر الرحمن موتتنا * وحان من أمرنا ما ليس يعدونا
متنا جميعا كغصنى بانة ذبلا * من بعد ما نضرا واستسقيا حينا
فى مثل طرفة عين لا أذوق شجا * من الممات ولا أيضا تذوقينا
ثم السلام علينا فى مضاجعنا * حتى نقوم الى ميزان منشينا
فان تنل عفوه فالخلد يجمعنا * ان شاء أوفى لظى ان شاء يلقينا
اذا التظت بردتها بيننا قبل * وبرد ريق على اللوعات يشفينا
حتى يقول جميع الخالدين بها * ياليت أنا معا كنا محبينا

والاصل فى هذا قول بعضهم

وليت سلمى فى المعاد ضجيعتى * هنا أو هنا فى جنة أو جهنم

وأبان العباس بن الاحنف عن غلطة لم تعهد منه فى عشقه حيث قال

ألا ليتنا نعمى اذا حيل بيننا * وتنشأ لنا أبصارنا حين نلتقى
أضن على الدنيا بطرفى وطرفها * فهل بعد هذا من فعال لمشفق

ولم يرح مع محبوبه رأسا برأس حتى يدعى ان هذا غاية ما يكون من الاشفاق ومن البر ما يكون عقوقا وأما الدعاء على المحبوب فهو كثير ومن أحسن ما فى هذا الباب قول بعضهم

ياذا الذى كل يوم * يزيد عقلى خبالا
ولهفتى فيه حتى * أعاد رشدى ضلالا
أدعو عليك وقلبى * يقول يارب لالا

وقول الآخر من موشحه

شكوت مالى اليه * فلم يرق لذلى
فقلت لامت حتى * أراك فى العشق مثلى
وقلت فى السر منه * يارب لا تستجب لى

وهو مأخوذ من قول الآخر

أيها المعرض صفحا * عن خطابى وجوابى
لا أزال الله هجرى * أو يرينى بك مابى
رب فاجعله دعاء * خائبا غير مجاب
رق قلبى ان يرى قلـ * ـبك فى مثل عذابى

وقول الآخر

ولما بدا لى أنه غير زائرى * وان هواه ليس عنى بمنجلى

ألم تر بالايام كيف فجعننا به ثم قد شاركننا فى المآتم
رواكد تقصى الكف من متناول
وفيها علال ترتقى بالسلالم
بنى مالك قد نبهت خامل الثرى
قبور لكم مستشرفات المعالم
وقوله ايضا
ورأت شهد وبار ابها فى جسمه
ماذا يريبك من جواد مضمر
عفت به الايام حتى انها
لتكاد تغبؤه عن عالم يقدر
واكثر شعر ابى تمام مختار وهو فى الشهرة كابى الطيب فيكفى من شعره هذا القدر وما اذكر فى هذا الشرح من بعض هذه التراجم التى هى من باب لزوم ما لا يلزم الا لما يتضمن من فائدة تحسنه وترغب فيه وأما القصيدة التى منها البيت المذكور أبو تمام بسببه فهى هذه
خذى عبرات عينك عن سماعى
وصونى ما أزلت من القناع
أآلفة الحبيب كم افتراق
أجد فكان داعية اجتماع
وليست فرحة الاوبات الا
لموقوف على شرح الوداع
ترجع ان رأت جسمى ضئيلا
كأن المجد يدرك بالصراع
فتى النكبات ان يأوى اذا ما
أطفن به الى خلق وساع
أبن مع السباع الماء حتى
لخالته السباع من السباع

تمنيت أن يهوى و يجفى اعله * يقاسى مرارات الهوى فيرق لى

وقال ديك الجن

كيف الدعاء على من جار أو ظلما * وما لكى ظالم فى كل ما حكما
لا آخذ الله من أهوى بجفوته * عنى ولا اقتص لى منه ولا انتقما

قالت ما أحقه بقولهم صار فرعون مذ كرا ابليس هو الذى قتل جاريته وغلامه اللذين كان يهواهما وأحرق جسديهما وأخذ رمادهما وخلطه بدمهما وصنع منه برنيتين للخمر فكان يضعهما فى مجلس شرابه يمينا وشمالا فاذا اشتاق اليهما قبل كل واحدة منهما قبلة وأنشد أبياته فى الجارية ومنها

يا طلعة طلع الحمام عليها * وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما * روى الهوى شفتى من شفتيها

ثم يقبل الاخرى وينشد أبياته فى الغلام ومنها

فقتلته وبه على كرامة * فلى الحشا وله الفؤاد باسره
عهدى به ميتا كاحسن نائم * والحسن يسفح دمعتى فى نحره

وقال ابو الفضل احمد بن الخازن

يا ظالمى ان للظلم مقالة ليس تختفى
جلتى ثقل حب * اليك يشكوه ضعفى
رفقا فديتك رفقا * فبعض ذلك يكفى
واحذر اذا الليل أرخى * ذيوله رفع كفى

وقال ابن وكيع

ان كنت تعلم مابى * وأنت بى لا تبالى
فصار قلبك قلبى * وصرت فى مثل حالى
بل عشت فى طيب عيش * تقيك نفسى ومالى
دعوت اذ ضاق صدرى * عليك ثم بدالى

وقال أيضا

فهم غالط منى فهما * جاءنى يسأل عما علما
مقسم ما بلغته عن تى * كاذب والله فيما زعما
كيف لم يبلغه عنى سقمى * وهو المهدى الى السقما
رزق المظلوم منا رحمة * ثم لا أدعو على من ظلما

ولم ادر من السابق الى هذا المعنى أهو أم الذى قال

حججى عليك اذا خلوت كثيرة * فاذا حضرت فاننى مخصوم
لا أستطيع أقول أنت ظلمتنى * والله يعلم أننى مظلوم

وقال ابن منقذ

يا ظالما يعرض عنى اذا * دعوت غضبانا على ظالم
أظنه أنت والاف لم * تخشى دعائى دون ذا العالم

فلب الحزم ان حاولت يوما
بأن تستطيع غير المستطاع

قال المرزوقى فى شرح هذا البيت يقول ان أردت أن تقدم على ما لا يقدر عليه فأجب حزمك وعزمك واصطبر عليه ولا تخالفه فان ذلك يؤديك الى النجح وهذا على رأى من روى فلب الحزم من التلبية ونسب بعضهم هذا البيت الى المحال فقال الحزم فى ترك طلاب ما لا يطاق فكيف يعزم على ادراكه حتى يجيبه بالتلبية وقال المرزوقى وهذا من قائله بعيد اذ معنى البيت أجب الحزم وعليك به فيما تطلب من المهمات فان الحزم يعين على كل شئ حتى على ما لا يتأتى ولا يتسهل وهذا كما يقال كل ما لا يقدر عليه خلق فاستعن فيه بكذا وكذا يريد انه مبارك السعى ويراد بذلك المبالغة فى تأتيه وقال آخر أراد ان حاولت يوما لا يدخل تحت قدرتك فأجب الحزم فانه يدعوك الى ترك طلبه وروى أيضا قلبت الحزم

ومن القصيدة أيضا فى المدح

أطال يدى على الايام حتى
وقيت صروفها صاعا بصاع
جعلت الجود لا الا المساعى
وهل شمس تكون بلا شعاع
ورأيك مثل رأى السيف صحت
مشورة حده عند المصاع

يارب لاتسمع دعائي وان * كان دعاء المغرم الهائم

وقال ابن سناء الملك

أسر لطول أسرى في يديه * فتغضب اذ أسر لطول أسرى
سألت الله أن يبلى بعشق * فأصبح عاشقا لكن لهجرى

وما أحسن دعاء نور الدين على بن سعيد المغربي

كم جفاني فرمت أدعو عليه * فتوقفت ثم ناديت ذاهل
لاشفى الله طرفه من سقام * وأراني عذاره وهو سائل

وأنشدني المولى القاضي شهاب الدين أحمد بن غانم لنفسه

والله ما أدعو على هاجرى * الا بأن يمتحن بالعشق
حتى يرى مقدار ما قد جرى * منه وما قد تم في حقي

وما أحلى قول القائل

قلت لمحبوبي وقد مر بي * محبوبه كالقمر الساري
هذا الذي يأخذ لي طرفه * من طرفك الوسنان بالثار

ومن الدعاء الحسن قول بعضهم

يارب ان قدرته لمقبل * غيري فللمسواك أوللا كؤس
واذا قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فليك شمعة في المجلس
واذا حكمت لنا بعين مراقب * يارب فليك من عيون النرجس

وقول ابن أبي الحديد

لاعانقتك من البرية كلها * الا يدالمعنى وبند قبالك
كلا ولارشفت رضابك بعدما * قد ذقته شفة سوى المسواك

ونقلت من خط شمس الدين محمد بن التلمساني

أعز الله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلي وديني
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
وأسبغ ظل ذاك الشعر يوما * على قد به هيف الغصون
وخلد دولة الاعطاف فينا * وان جارت على قلبي الطعين

وقال أيضا أدام الله أيام الوصال * وخلد عمر هاتيك الليالي
وأسبغ ظل أغصان التداني * وزاد قدودها حسن اعتدال
ولا زالت ثمار الانس فيها * تزيد لطافة في كل حال
ولا برحت لنا فيها عيون * تغازل مقلتي خشف الغزال

(رجع) وقد أخذ العماد الكاتب قول الطغرائي فقال

وما هذه الايام الا صحائف * نؤرخ فيها ثم نمحى ونمحق
ولم أر شيأ مثل دائرة المنى * توسعها الآمال والعمر ضيق

وقال العفيف اسحق بن خليل كاتب الانشاء للناصر دواد

ولو صورت نفسك لم تزدها
على مافيك من كرم الطباع
(والمراد بقول أبي الطيب
ذكر الانام لنا فكان قصيدة
كنت البديع الفرد من
أبياتها)
هذا البيت لابي الطيب
المتنبي وقد تقدم ذكره وانما
أذكر ههنا محاسن القصيدة
التي منها هذا البيت وهي
قصيدة يمدح بها محمد بن
أحمد بن عمران التي يقول في
أولها شرب محاسنه حرمت
ذواتها
ومطالب فيها الهلاك أتيتها
ثبت الجنان كأنني لم آتها
ومقانب غادرتها بمقانب
أقوات وحش كن من أقواتها
يعني كم جيش لقيته بجيش
حتى اقتتلوا وصاروا قوتا
للوحش بعدما كان الوحش
قوتا لهم في الصيد وفي هذا
المعنى خلل لان الوحش الذي
يقتات القتلى لاتقتاته
الفرسان في الصيد
أقبلتها غرر الجياد كأنما
أيدي بني عمران في جبهاتها
يعني وجهت الخيل قبل
وجوه هذه المقانب وهي
غر فكان بياض أيدي بني
عمران الممدوحين في جبهاتها
وان كان أراد بياض أيديهم
اللون فليس فيه كبير معنى
وان كان أراد بالايدي النعم
فهو مدح وان كان من باب

لولا مواعيد آمال أعيش بها * لمت يا أهل هذا الحي من زمن
وانما طرف آمالي به مرح * يجري بوعد الأماني مطلق الرسن

وقال ابن خفاجة الأندلسي

وليل اذا ما قلت قد بان وانقضى * تكشف عن وعد من الظن كاذب
ولا أنس الا أن أضاحك ساعة * ثغور الأماني في وجوه المطالب
سحبت الدياجي فيه سود ذوائب * لأعتنق الآمال بيض الترائب

وقال آخر

فبت أراعي النجم حتى كأنما * بناصيتي حبل الى النجم موثق
وما طال ليلي غير أني بوعدها * أعلل نفسي بالاماني فتعلق

قلت الاول مأخوذ من قول أبي الطيب

بعيدة ما بين الجفون كأنما * عقدتم أعالي كل جفن بحاجب

وعكس ابن نباتة السعدي هذا المعنى فقال

فلا تجعلني كالذين رأيتهم * ومن يجعل الاقدام فوق الذوائب
اذا أبصروني نكسوا فكأنما * شوار بهم معقودة بالحواجب

وقال الآخر في المعنى

في المنى راحة وان عللتنا * من هواها ببعض ما لا يكون

وقال أبو طالب المأموني

لي في ضمير الدهر سر كامن * لا بد أن تستله الاقدار

وقال الحسين بن الضحاك

وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت اني وما أراك أراكا
واذا ما تنفس النرجس الغض توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللني فيك باشراق ذا وبهجة ذاكا

ومن هنا أخذ الوليد بن زيدون قوله

أما في قلبي فانت جميعه * ياليتني أصبحت بعض منا كا
يدني مزارك حين شط به النوى * وهم أكاد به أقبل فاكا

والحاجري أخذ من هنا قوله أيضا

يمثلك الشوق الشديد لناظري * فأطرق اجلالا كأنك حاضر

وما أحسن قول شهاب الدين أحمد بن الخيمي

لولا الرجاء بميعاد اللقاء وفي * قضيت قبل انقضاء يوم النوى أسفا
فالقيت سلوا بعد بعدهم * لولا مداواة قلبي بالمنى تلفا

وقال رزين من شعراء الذخيرة

لاسرحن لواحظي * في ذلك الروض النضير
ولا كلنك بالمنى * ولاشربنك بالضمير

وقال آخر

تشبيه العرض بالجوهر
العارفين بها كما عرفتهم
والراكبين جدودهم أماتها
كان ينبغي أن يقول والراكب
جدودهم أماتها وانما جاءته
الضرورة على وجه ضعيف
في قولهم أكلوني البراغيث
قال الواحدي والذي ذكره
الناس في معنى هذا البيت
أن هذه الخيل تعرفهم
ويعرفونها لانها من نتائجهم
تناسلت عندهم فجدود
الممدوحين كانت تركب
أمهات هذه الخيل وسياق
الابيات قبله يدل على أنه
يصف خيل نفسه لا خيل
الممدوحين وهو قوله
أقبلتها غرر الجياد واذا كان
كذلك لم يستقم المعنى الآن
يدعي مدع انه قاتل على خيل
الممدوحين وانهم يعطون
الخيل للشعراء والذي يزيل
الاشكال ان يقال الجياد اسم
جنس في قوله غرر الجياد
أراد خيل نفسه وفيما بعده
أراد خيل الممدوحين والجياد
يعم الخيلين جميعا ثم قال
فكأنها نتجت قياما تحتهم
وكأنهم ولدوا على صهواتها
ان الكرام بلا كرام منهم
مثل القلوب بلا سويدا واتها
تحباله حفظ العنان بأنمل
ما حفظها الاشياء من عاداتها
لو مر يركض في سطور كتابة
أحصى بحافر مهره ميماتها

علليني بوعد * وامطلي ماحييت به
ودعيني أفوز منك بنجوى تطلبه
فعسى يعثر الزما * ن بحظي فينتبه

وما أحلى قول علم الدين ايدمر المحيوى

كم لديناهمايانا * قدحوت محكم العمل
فارغات من الدنا * نير ملأى من الأمل

اخذ المعنى من الأول وعكسه وهو

وأن رجاء كامنا في نواله * لكالمال في الأكياس تحت الخواتم

وقال أبو اسحق الغزى

ذراني وأوهام المطامع فالمني * تقوم نساياها مقام نقودها
ولو حصل الانجاز لم يبق مطمع * وجود اشتعال النار داعي خمودها

وقال صاحب كتاب الجليس والأنيس كتب رجل الى الحسن بن وهب يستمنحه وكان مضيقا عليه فكتب اليه الحسن

الجود طبعي ولكن ليس لي مال * فكيف يصنع من بالقرض يحتال
وشهوتي في العطايا وانبساط يدي * وليس ما اشتهي يأتي به الحال
فهاك خطي فذرني ليس لي نشب * وحيث يمكن احسان فافضال

ومن الناس من يروى للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب البيت الأول من هذه الابيات وبعده

فهاك خطي الى أيام ميسرتي * يشهد على ّ فلي في الغيب آمال

وما علم هؤلاء المكارم على هذه الصورة الا سعيد بن العاص فانه كان اذا سأله سائل ولم يكن له مال حاضر ولا عنده ما يعطيه قال اكتب على سجلا الى أيام ميسرتي وقال مؤيد الدين الطغرائي

فصبرا معين الملك ان عن حادث * فعاقبة الصبر الجميل جميل
ولا تيأسن من صنع ربك انني * ضمين بان الله سوف يديل
ألم تر أن الليل بعد ظلامه * عليه لاسفار الصباح دليل
وان الهلال النضو يقمر بعدما * بدا وهو شخت الجانبين ضئيل
ولا تحسبن الدوح يقلع كلما * يمر به نفح الصبا فيميل
ولا تحسبن السيف يقصف كلما * تعاوده بعد المضاء فلول
فقد يعطف الدهر الأبي عنانه * فيشفى عليل أو يبل غليل
ويرتاش مقصوص الجناحين بعدما * تساقط ريش واستطار نسيل
ويستأنف الغصن السليب نضارة * فيورق مالم يعتوره ذبول
وللنجم من بعد الرجوع استقامة * وللحظ من بعد الذهاب قفول

وكتب أبو اسحق الصابي الى الشريف الرضي

أبا حسن لي في الرجال فراسة * تعودت منها أن تقول فتصدقا

يعني أنه لفروسيته وحسن تصرفه في الخيل في الكر والفر لو ركض بفرسه في طرس مكتوب وأراد أن يحصى بحافر مهره الميمات لفعل وخص الميمات لانها أشبه بالحوافر وأدق من العينات التي هي أيضا تشبه الحوافر وأكثر وجودا في الحروف وخص المهر لانه أشغب من غيره

لاخاق أسمع منك الاعارف بك راء نفسك لم يقل لك هاتها
راء مقلوب رأى ومثله ناء ونأى اعيا زوالك عن محل نلته لاتخرج الاقمار عن هالاتها
ذكر الانام لنا فكان قصيدة كنت البديع الفرد من أبياتها
(فكدمت في غير مكدم واستسمنت ذاورم ونفخت في غير ضرم)
(الكدم) العض (والمكدوم) موضع العض يضرب مثلا لمن يطلب شيأ لا يتمكن منه وفي بعض النسخ كرمت بالراء وهو خطأ (والورم) الانتفاخ يقال ورم يرم (والسمن) ضد الهزال مأخوذ من قول المتنبي
أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وكذلك قوله نفخت في غير

وقد خبرتني عنك انك ماجد * سترقى من العلياء أبعد مرتقى
فوفيتك التعظيم قبل أوانه * وقلت أطال الله للسيد البقا
وأضمرت منه لفظة لم أبح بها * الى أن أرى اظهارها لى مطلقا
فان مت أو ان عشت فاذكر بشارتى * وأوجب بها حقا عليك محققا
وكن لى فى الاولاد والأهل حافظا * اذا ما اطمأن الجنب فى موضع اللقا

فأجابه الشريف بأبيات أولها

سننت لهذا الرمح عضبا مذلقا * وأجريت فى ذا الهندوانى رونقا
لئن برقت منى مخايل عارض * لعينك يقضى أن يجود و يغدقا
فليس بساق قبل ربعك ربعا * وليس براق قبل جوك مرتقى
فان راشني دهرى أكن لك بازيا * يسرك محصورا و يرضيك مطلقا
أشاطرك العز الذى استفيده * بصفقة راض ان غنيت وأملقا
فتذهب بالشطر الذى كله غنى * وأذهب بالشطر الذى كله شقا
وتأخذ منه ما أنام وما حلا * وآخذ منه ما أمر وأرقا
فان تسلف التبجيل قبل أوانه * أعضك به وجها من الود مونقا
وان تعطنى الاعظام قولا فاننى * سأعطيك فعلا منه أذكى وأعبقا
لعل الليالى أن يلغن مفيئة * ويقرعن بى بابا من الحظ مغلقا
نظار ولا تستبط عزمى فلن ترى * علوقا اذا ما لم تجد متعلقا

قلت واستمر الود بينهما وهما طرفا نقيض أبو اسحق صابئي يعبد الكواكب والرضى شريف نقيب الاشراف وكانت هذه الوظيفة ببغداد اذذاك تناهز رتبة الخلافة الا أن أبا اسحق كاتب الانشاء عند الخليفة عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه ولما توفى الصابئي رثاه الشريف الرضي بتلك القصيدة الدالية المليحة التى أولها

أرأيت من حملوا على الاعواد * أرأيت كيف خبا ضياء النادى

واعتبه الناس على رثائه فقال انما رثيت فضله وله فيه غير هذه القصيدة ويقال انه لما رأى قبره ترجل له وأخذ ابن شمس الخلافة قول الصابئ وأضمرت منه لفظة لم أبح بها البيت فقال فى الصاحب صفى الدين بن شكر رحمهما الله تعالى

مدحتك ألسنة الأنام مخافة * وتقارضوا لك بالثناء الأحسن
أترى الزمان مؤخرا فى مدتى * حتى أعيش الى انطلاق الألسن

وقال أبو الحسين الجزار

ليت شعرى ما العذر لولا قضاء الله فى رزقه وفى حرمانى
ولقد كدت أن أهيم بحمل الشهم لولا تعللى بالأمانى

وقال أيضا

حسب الفتى حسن الأمانى انه * لا يعتريه مدى الزمان زوال

وقال أبو البركات محمد بن الحسن الحاتمى

لى حبيب لو قيل لى ما تمنى * ما تعديته ولو بالمنون

ضرم هو مأخوذ من قول عمرو بن معدى كرب حيث قال

ولو نار نفخت بها أضاءت
ولكن أنت تنفخ فى رماد

وسيأتى ذكر عمرو فيما بعد والمعنى ان هذه المرأة احتالت ولم تتم على شئ من حيلها

(ولم تجد لريح مهزا ولا لشفرة محزا)

(الهز) التحريك الشديد كأنه قال لم تجد لريح كلامها يعنى المرأة المرسلة ما يهز ويستمال وكذلك لشفرة احتيالها ما يحز وما يقطع

(بل رضيت من الغنيمة بالاياب)

هذا مثل يضرب لمن قنع بسلامة نفسه فى مطلبه وهو من بيت لامرئ القيس ابن حجر بن الحرث من بنى آكل المرار وأمه فاطمة بنت ربيعة أخت مهلهل وكليب ابنى وائل وكان أبوه حجر ملكا من ملوك العرب بتهامة والحيرة وله أتاوة على بنى أسد وغطفان وكان قد طرد ابنه لقول الشعر أنفة منه ثم قتل ونهض امرؤ القيس يطلب ثاره فى خبر طويل وقال ضيعنى صغيرا وحملنى عناءه كبيرا ثم قتل جماعة من بنى أسد وتفرق عنه قومه فلحق بقيصر فاستنجده

أشتهى أن أحل فى كل طرف * فأراه بلحظ كل العيون

وقال آخر

أعلل بالمنى قلبى لعلى * أفرج بالأمانى الهم عنى
وأعلم أن وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمنى

وهذا الشاعر اسر حشوا فى كلامه حتى جاء الآخر فخله وترجم وصرح بالمراد وما تكتم حيث قال

اذا ما عن ذكرك فى ضميرى * وقابلنى محيالك الجميل
أصبر لفرط أشواقى ابورا * لعلمى أن نيلك مستحيل

وهذا يشبه ما أنشدنيه لنفسه اجازة المولى صفى الدين الحلى ومن خطه نقلت

اذا صد الحبيب بغير ذنب * وقاطعنى وأعرض عن وصالى
أمثله وانكح عند صلحى * بأير الفكر فى ثقب الخيال (ى)

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف الصوفى وقد مات للشيخ شمس الدين الدهان مملوك كان يحبه

لئن مات يا دهان مملوكك الذى * بلغت به فى الفسق ما كنت ترتجى
فشلها بالاصباع شكلا وقامة * وخصرا وردفا ثم عاينه وأصلح

ومن أبيات منحولة لأبى نواس

مازلت أدخله فيه وأخرجه * منه وأدخله فيه وأخرجه
وما تذكرت ذاك النيك من شبق * الا وأمسكت ايرى ثم أصلحه

ومن ترقب الآمال ولج وانتظر وعد الامانى فنجح ومال به ميزان الدهر فرجح وملك البلاد وفتح وأسقى الأرواح باشطان الرماح ونجح أبو مسلم الخراسانى يقال انه قتل ستمائة ألف نفس وأبو عبد الله الشيعى القائم بدعوة الفاطميين وابن تومرت يقال انه رأى فى حائط مسجد فى بلاد الصعيد سب الصحابة رضى الله عنهم وهو مكتوب فقال ما هذه بلاد اسلام ونظم فى الوقت فقال

ذرنى وأشياء فى نفسى مخبأة * لألبسن لها درعا وجلبابا
والله لو ظفرت نفسى ببغيتها * ما كنت عن ضرب أعناق الورى آبى
حتى أطهر هذا الدين من دنس * وأوجب الحق للسادات انجابا
وأملأ الأرض عدلا بعدما ملئت * جورا وأفتح للخيرات أبوابا

وان كانت الامانى حمدت فقد ذمت وكرهت قال على بن أبى طالب رضى الله عنه تجنبوا المنى فانها تذهب بهجة ما خولتم وتصغر المواهب التى رزقتم وقال رجل لابن سيرين رأيت كأنى أسبح فى غير ماء وأطير بغير جناح فقال له أنت رجل تكثر الامانى ويقال ان الحجاج مرذات ليلة بدكان لبان وعنده بستوقة فيها لبن وهو يقول متمنيا أنا أبيع هذا اللبن بكذا وكذا وأشترى به كذا ثم أبيعه فأكسب فيه كذا فيكثر مالى ويحسن حالى وأخطب بنت الحجاج فأتزوجها فتلد لى ابنا وأدخل اليها يوما فتخاصمنى فاضربها برجلى هكذا ومد رجله فكسر البستوقة فقرع الحجاج الباب ففتحه وضربه خمسين سوطا وقال له أليس لو ضربت ابنتى هكذا لفجعتنى فيها وقد سد ابن المعتز باب المنى وأغلقه وأعدم الحاويج بهجته ورونقه وقطع

ومات مسموما فى طريقه فى فى قصة معروفة وسمى الملك الضليل لانه أضل ملك أبيه وذا القروح لان قيصر أرسل اليه حلة مسمومة تقرح منها بدنه ومات فأما شعره فهو الذى لا ينازع فى تقديمه وهو امام المتقدمين حقيقة ومن محاسن شعره قصيدته المعلقة وقوله

سمالك شوق بعدما كان أقصرا
وحلت سليمى بطن قو فعرعرا
أشيم مصاب الحزن أين مصابه
ولا شئ يشفى منك يا ابنة عفزرا
من القاصرات الطرف لو دب محول
من الذر فوق الاتب منها لاثرا

يعنى لو دب الصغير من الذر على ثوبها لاثر فى جسدها ولم يرد بالمحول ما بلغ الحول وانما أراد ماهو لصغره بمنزلة الحولى فى الابل

فدعها وسل الهم عنك بجسرة
ذمول اذا صام النهار وهجرا
كأن الحصى من خلفها وأمامها
اذا نجلته رجلها حذف أعسرا

خص الاعسر لاختلاف رمياته

نفس الضعيف عن لذتها وان كانت بحيال الشمس معلقة حيث قال

لا تأسفن من الدنيا على أمل * فليس باقيه الا مثل ماضيه

وتابعه الخالدى فقال

ولا تكن عبد المنى فالمنى * رؤس أموال المفاليس

وقال آخر

من نال من دنياه أمنية * أسقطت الايام منها الالف

وقال محمد بن شرف القيروانى

غاف تمنوا فى البيوت أمانيا * وجميع أعمار اللئام أمانى

وقال آخر

الا يا نفس ان ترضى بقوت * فانت عزيزة أبدا غنيه

دعى عنك المطامع والامانى * فكم أمنية جلبت منيه

وقال أبو الحسين الجزار

أنا فى راحة من الآمال * أين من همتى بلوغ المعالى

لى عجز أراح قلبى من الهم * ومن طول فكرتى فى المحال

ما لباس الحرير مما أرجيه * فيرجى ولا ركوب البغال

راحة السر فى التخلف عن كل * محل أضحى بعيد المنال

وأنشدنى لنفسه اجازة الشيخ الامام فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى ومن خطه نقلت

صرفت الناس عن بالى * فحبل ودادهم بالى

وحبل الله معتصمى * به علقت آمالى

ومن يسل الورى طرا * فانى ذلك السالى

فلا وجهى لذى جاه * ولا ميلى لذى مال

وقال مسلم بن الوليد

وأكثر ما تلقى الامانى كواذبا * فان صدقت جازت بصاحبها القدرا

وقال آخر

ولى من تمنى النفس دنيا عريضة * ومنتصح يغدو على فيطرق

فقدت المنى لا تجن نلهو اعن المنى * لتجر بهمنا ولا هى تصدق

وقلت أنا

ألا فاطرح منك التمنى ولا تبت * بكاساته نشوان غير مفيق

وان كان مما لا غنى عنه فليكن * وفاة عدو أو حياة صديق

وقلت أيضا

كم أمل لما اقتضاه الفتى * أزرى وما شدله أزرا

ما حملت نفس جنين المنى * فى الحال الا وضعت قدرا

*(لم ارتض العيش والايام مقبلة * فكيف أرضى وقد ولت على عجل)*

(اللغة) تقدم الكلام على الرضى فى قوله رضى الذليل وكذلك العيش والايام جمع

على لاحب لا يهتدى بمناره
اذا سافه العود النباطى جرجرا

يصف قفرا الاعلام فيه وقوله لا يهتدى بمناره يعنى ليس فيه منار يهتدى به لا أن فيه منارا الا أنه لا يهتدى والعود الجمل البالغ تمام سنه وسافه اذا شمه وجرجر اذا حن وعادة الابل أن تشم الارض التى لا تعرفها فتحن لعلمها ببعد المسافة ومنها قوله

ألا رب يوم صالح قد شهدته
بتاذف ذات التل من فوق طرطرا

ولا مثل يوم فى قدار ان ظلته
كانى وأصحابى على قرن أعفرا

اختلف المفسرون فى هذا البيت فقال بعضهم وصف اليوم بالشدة ونفسه بالقلق والاضطراب فيه حتى كأنه وأصحابه من عدم الاستقرار مقيمون على قرن ظبى وقال بعضهم بل وصف أما كن كان فيها مسرورا منعما لانه قال قبل البيت ألا رب يوم صالح والمعنى انه كان على مكان مشرف عال فشبهه لارتفاعه بقرن الظبى وانما خص قرن الظبى لانه أعلى ما فى جسده وقصيدته اللامية التى أولها

الا عم صباحا أيها الطلل البالى
وأما القصيدة التى منها

يوم أصله ايوام فادغم مقبلة الاقبال ضد الادبار وأقبل عليه بوجهه اذا التفت اليه وصرف نحوه بصره ولت أدبرت على عجل على سرعة قال تعالى أعجلتم أمر ربكم أي سبقتم وأما قوله تعالى خلق الانسان من عجل فقيل العجل الطين قال أبو عبيدة وهو بلغة حمير وأنشد
والنخل ينبت بين الماء والعجل وقال الاخفش من تعجيل ذي الامر وهو كقوله لكن وعن الحسن من ضعف وقيل على القلب معناه خلق العجل من الانسان كقوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار وقيل خلق الانسان عجولا وهو الصحيح لانه يدل على المبالغة كما يقال للذي هو حاذنار تشتعل والعرب تقول ماهو الا اقبال وادبار وماهو الا أكل ونوم للذي يكثر اقباله وادباره وأكله ونومه ويؤيد هذا القول قوله تعالى وكان الانسان عجولا قال المبرد خلق الانسان من عجل أي من شأنه العجلة كقوله تعالى خلقكم من ضعف وذكرت هنا قول شرف الدين شيخ الشيوخ رحمه الله من أبيات

ان تدعني خاليا من لوعتي فلقد * أجاب دمعي وما الداعي سوى طلل
عاتبت انسان عيني في تسرعه * فقال لي خلق الانسان من عجل

(الاعراب لم) حرف يجزم الفعل المضارع وقد تقدم الكلام على ذلك (ارتض) فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف الياء وابقاء ما يدل عليها وهو كسرة الضاد فان قلت لأي شئ حذفوا حرف العلة مع الجازم قلت لانه لو ترك لاشتبه المرفوع بالمجزوم في مثل قولك هو يعطى فلما حذف حرف العلة ظهر الفرق فان قلت فما الفائدة في هذا الفرق قلت لانه يحتاج الى ذلك في مثل جواب الشرط اذا قلت زرني أعطك الدراهم أو زرني أعطيك فالاول يعلم انه جزاء والثاني يعلم أنه استئناف فقد أفاد حذف حرف العلة الفرق بين الجزاء والاستئناف وفاعل ارتض ضمير مستتر فيه تقديره انا العيش منصوب على انه مفعول به لارتض (والايام) الواو واو الابتداء والايام مرفوع على الابتداء (مقبلة) مرفوع على انه خبر والجملة من المبتدا والخبر في محل نصب على الحال كأنه قال لم ارتض العيش في حالة اقبال الايام (فكيف) الفاء للتعقيب وكيف اسم مبني على الفتح والدليل على انه اسم أنه يدخله حرف الجر قالوا على كيف تبيع الاحمرين وانما بني لانه شابه الحرف شبها معنويا لان معناه الاستفهام وأصل الاستفهام الهمزة وهي حرف وانما وضعت العرب هذه الاسماء مثل كيف وأين ومتى طلبا للاستغناء بكل منها عن تكرار الهمزة فانك لو أخذت تستفهم عن حال زيد بالهمزة لزمك أن تكررها وتقول أزيد صحيح أزيد ناقه أزيد أرمد أزيد معافى أزيد كذا أزيد كذا والمخاطب يقول لك لا لا فلما رأوا هذا الامر يشق عليهم وضعوا كيف لهذا المعنى فمتى قلت كيف زيد لزم المخاطب أن يأتي بالجواب قولا واحدا فيقول طيب أو سقيم فلهذا بنيت هذه الاسماء التي تضمنت معنى الاستفهام وانما بني كيف وأين على الفتح طلبا للخفة (أرضى) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب وجازم وعلامة الرفع ضمة مقدرة على الالف في آخره لانه معتل بالالف وانما كتب بالياء لانه من رضيت والفاعل ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره أنا والمفعول محذوف تقديره فكيف أرضاه والضمير يعود على العيش والمفعول كثيرا ما يحذف لانه فضلة ولانه معلوم من سياق الكلام (وقد) الواو للحال وقد تقدم الكلام عليها وقد للتحقيق وتقدم الكلام عليها أيضا (ولت) فعل ماض

نصف البيت المذكور من أصله فانه يقول فيها هذه الابيات

فبعض اللوم عاذلتي فاني
سيكفيني التجارب وانتسابي
الى عرق الثرى وشجت عروقي
وهذا الموت يسلبني شبابي
يعني أن مصيره الى التراب وقيل عرق الثرى آدم وسموت كلمات آباؤه واجداده الى آدم ثم قال
ارانا موضعين بحتم غيب
ونسحر بالطعام وبالشراب
أبعد الحرث الملك ابن عمرو
وبعد الخير حجر ذي القباب
وبعد ملوك كندة قد تولوا
باكرم شيمة وأقل عاب
أرجي من طوال الدهر لينا
ولم يغفل عن الصم الصلاب
ألم أنض المطي بكل خرق
أمق الغول لماع السراب
وقد طوفت في الافاق حتى
رضيت من الغنيمة بالاياب
فارجعها فقد نقبت وكانت
لفرط الاين تركع للضراب
وأعلم أنني عما قليل
سانشب في شبا ظفر وناب
(وتمنت الرجوع بخفي حنين) اختلف في حنين هذا فقال قوم كان رجلا ادعى انه من بني أسد بن هاشم بن عبد مناف فأتى عبد المطلب وعليه خفان أحمران فقال يا أبا عمرو

ودخلته التاء علامة لتأنيث الفاعل لانه ضمير يعود على الايام (على عجل) يحتمل أن تكون على بمعنى في ولكنها للاستعلاء معنى وعجل مجرور بها والجار والمجرور في موضع نصب على الحال تقديره ولت الايام مستعجلة والجملة من قوله وقد الى آخر البيت في موضع النصب على الحال تقديره فكيف أرضى العيش والحالة هذه (المعنى) مارضيت بالعيش في صباى اذ كانت الايام مقبلة فكيف أرضى بالعيش وقد كبرت والايام قد ولت عنى والامر كذلك لان العيش في زمن الشبيبة أيامه في اقبال فهو غض نضر يانع فينان برده قشيب وغصنه رطيب ووصله حبيب وسهمه مصيب وله في كل لذة قسم وفي كل نعيم نصيب وما أحسن قول المعرى

وقد تعوضت عن كل بمشبهه * فما وجدت لايام الصبا عوضا

والعيش في زمن الشيخوخة أيامه في ادبار وتوال وزوال فهو جاف ذاو ذابل مصوح هشيم ثوبه خلق وجوه غسق وأمنه فرق ويومه حرق ونومه أرق وغصنه عار من النضارة التى تكون قبل سقوط الزهر والثمر والورق ولله در منصور النميرى اذ يقول

ما كنت أوفى شبابى كنه قيمته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

وبيت الطغرائى مأخوذ من قول أبى العلاء المعرى

وما ازدهيت وأثواب الصبا جدد * فكيف أزهى بثوب من ضنى خلق

ومن قوله ايضا من رسالة له يخاطب الدنيا أسأتنى غانيه فكيف بك عجوزا فانيه * أى ما انتفعت بك وأنا شاب فكيف أنتفع وأنا هرم والدنيا قد يقال لها شابة وعجوز بمعنى يتعلق بذاتها وبمعنى يتعلق بغيرها وهو حقيقة انها من أول وجود هذا النوع الانسانى الى أيام ابراهيم الخليل صلوات الله عليه تقريبا تسمى الدنيا شابة وفيما بعد ذلك الى أوان بعثة النبى صلى الله عليه وسلم تسمى مكتهلة ومن بعد ذلك الى يوم القيامة تسمى عجوزا والمعنى الثانى وهو مجاز أنها بالنسبة الى أول كل ملة تسمى شابة والى آخرها تسمى عجوزا بل بالنسبة الى أول كل دولة وآخرها بل بالنسبة الى كل شخص وعلى هذا يحتمل قول المعرى فى مخاطبة الدنيا والا فالمعرى لم يعد من أول وجود الدنيا وهى شابة الى أن رآها وهى عجوز حتى يقول لها أسأت الى وأنت شابة فكيف تحسنين الى وأنت عجوز فانية وانما استعمل هذا المعنى مجازا وما أحسن قول أبى الطيب

أتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

اراد أن يقول فساءنا ولكن الوزن ضايقه فترك ذلك اتكالا على فهم المعنى من سياق اللفظ وترتيب المعنى وقد ضمنت هذا البيت فى معنى نظمته وذلك أننا كابدنا مشقة فى ليلة سرنا فيها الى الاهرام من أمر التعدية صحبة المنصور السلطانى فقلت

أقول اذ نالنا فى بر مصر عنا * لما أتينا الى الاهرام فى الظلم

أتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

وقال أبو تمام

نظرت فى السير اللاتى مضت فاذا * وجدتها أكلت باكورة الامم

وقال أبو العلاء المعرى

أنا ابن أسد بن هاشم فقال عبد المطلب لا وثياب هاشم ما أعرف فيك شمائله فارجع فرجع فصار مثلا يضرب للراجع بالخيبة وقال قوم كان حنين اسكافا من أهل الحيرة ساومه أعرابى بخفين ولم يشتر منه شيأ فغاظه ذلك فخرج وعلق أحد الخفين على شجرة فى طريقه وتقدم قليلا وطرح الآخر وكمن خلف الاعرابى فرأى احد الخفين فوق الشجرة فقال ما أشبه هذا بخف حنين لو كان معه آخر لتكلفت أخذه ثم تقدم قليلا فرأى الخف الآخر مطروحا فنزل وعقل بعيره وأخذه ورجع اليأخذ الاول فخرج حنين من المكمن وأخذ بعيره وذهب ورجع الاعرابى الى حيه بخفى حنين وقيل كان حنين يهود يا نخس بامرأة مسلمة حمارا فقمص فصرعها فتكشفت فكتب بخبره الى عمر فكتب ليس على هذا صالحناهم وقد خلع ربقة الذمة من رقبته فاصلبوه حيا فلما نصب على خشبته أتت امرأته وعليه خفان فقالت الان تموت فما تصنع بالخفين فأخذتهما من رجليه فقال الناس انقلبت بخفى حنين لانى قلت * لقد هان من بالت عليه الثعالب) هذا نصف بيت لرجل

تمتع أبكار الزمان بأسره * وجئنا بوهن بعدما خرف الدهر
فليت الفتى كالبدر جدد عمره * يعود هلالا كلما فني الشهر

وقال أيضا

كأنما الخير ماء كان وارده * أهل العصور وما أبقوا سوى العكر

وقال ابن شماخ

صفا للألى قبلي أتوا دردهرهم * ولم يصف لي مذ جئت بعدهم عبر
فجاؤا الى الدنيا وعصرهم ضحى * وجئت وعصري من تأخره عصر

وقال ابن قاسم المحدث

لقي الناس قبلنا غرة الدهـ * ـر ولم نلق منه الا الذنابى

وفي معنى قول الطغرائي قال ابن قلاقس

ما كنت أطمع في زمان أول * فيروقني هذا الزمان الآخر

وقال ابن الساعاتي

لم يبق في هذه الدنيا لنا أرب * فقل سلام عليها غير محتشم
فليت ان زمانا فات دام لنا * وليت ان زمانا دام لم يدم

وقال المعري

واذا البحر غاض عني ولم أرو * فلا ريَّ في ادخار الثماد

وقال آخر

اذا المرء أعيته السيادة ناشئا * فطلبها كهلا عليه شديد

وقال التهامي

اذا بلغ الفتى عشرين عاما * وأعجزه الفخار فلا اعتذار
اذا ما أول الخطى أخطا * فما يرجى لآخره انتصار

وما أحلى قول القائل

واذا الفتى من دهره كملت له * خمسون وهو الى التقى لم يجنح
طلعت عليه الخزيات وقلن قد * أرضيتنا فكذاك كن لا تبرح
واذا رأى ابليس صورته بدت * حيى وقال فديت من لم يفلح

وقال التهامي

ذريني أهب للمجد شرخ شبيبتي * فان لم أبادرها استبدّ بها العمر

وقال ابن الخياط

والعجز أن أترك الاوطار مقبلة * حتى اذا أدبرت حاولتها طلبا

وعلى ذكر الشباب والمشيب فقد قيل لبعض الاعراب وقد أسن كيف أنت اليوم فقال ذهب مني الاطيبان الاكل والنكاح وبقي الارطبان السعال والضراط وقال المفضل حضرت الرشيد وقد دخل عليه منصور النميري فانشده

ما تنقضي حسرة مني ولا جزع * اذا ذكرت شبابا ليس يرتجع
بان الشباب وفاتتني بلذته * صروف دهر وأيام لها خدع

من العرب يسمى غاوي بن ظالم السلمي وكان سبب قوله انه كان لبني سليم صنم يعبدونه في الجاهلية وكان غاوي سادنه فبينما هو ذات يوم جالس اذ أقبل ثعلبان يشتدان فشغر كل واحد منهما رجله وبال على الصنم فقال يا بني سليم والله ما يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع ثم أنشد

أرب يبول الثعلبان برأسه
لقد هان من بالت عليه الثعالب

ثم كسر الصنم وفر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم فقال له كيف اسمك فقال غاوي بن ظالم فقال بل أنت راشد ابن عبد ربه وروي في هذا البيت الثعلبان بكسر النون على التثنية وروي أيضا بضم النون والثاء على انه ثعلب واحد وضرب به المثل فيمن يدعي العزو يراد به الذل

(وأنشدت

على انها الايام قد صرن كلها
عجائب حتى ليس فيها عجائب)

هذا البيت لابي تمام المقدم ذكره في أبيات يرثي بها غالب بن الشعري وهي هذه

هو الدهر لا يسوى وهن المصائب

ما كنت أوفي شبابي كنه قيمته * حتى انقضى فاذا الدنيا له تبع

قال فتحرك الرشيد وقال أحسنت والله لا يتهنأ أحد بعيش حتى يخطر في رداء الشباب وقال القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله أنشدني لنفسه الاديب شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن سالم المعروف بابن التلعفري في رمضان سنة ثمان وثلاثين وستمائة بالقاهرة

ياشيب كيف وما انقضى زمن الصبا * عاجلت مني اللمة السوداء

لا تعجلن فوالذي جعل الدجى * من ليل طرفي البهيم ضياء

لو انها يوم المعاد صحيفتي * ماسر قلبي كونها بيضاء

فقلت له قد أغرت على بيت نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي حتى انك أخذت معظم لفظه وجميع معناه في الوزن والروي وهو قوله

لو أن لحية من يشيب صحيفة * لمعاده ما اختارها بيضاء

اه وكتب الى المولى بهاء الدين أبو بكر بن غانم من طرابلس وأنا بدمشق بعد ما انقطعت عنه مكاتبتي

سبحان من غير أخلاق من * أحسن في حسن الوفا مذهبا

كان خليلا فغدا بعد ذا * لما انقضى ما بيننا طقصبا

وكان طقصبا هذا صبيا حسن الوجه يحبه ويألفه وله عم يدعى خليلا ينغص الاوقات بحضوره ويقاسي منه شدة فذكرهما يعرض بهما وكتب هذين البيتين في ذيل ثلاثة اوصال ورق ولم يكتب غيرهما وختم ذلك بعنوان وجهزه الى فكتبت اليه الجواب عن ذلك

يا باعث العتب الى عبده * وما كفاه العتب اذ ندبا

ومذكرى عيشا لبسنا به * ثوب سرور بالها مذهبا

مر فلم يحل لنا بعده * عيش ولم نلق الهوى طيبا

ما كل ذي ود خليل ولا * كل مليح في الورى طقصبا

وينهي ورود المثال الكريم فقبل منه اليد البيضاء بل الديمة الوطفاء وتلقى منه طرة صبح ليس للدجى عليها أذيال وغرة نجح ما كدر صفاها خيبة الامال فلو كان كل وارد مثله لفضل المشيب على الشباب ونزع المتصابي عن التستر بالخطاب ورفض السواد ولو كان خالا على الوجنه وعد المسك اذا ذر على الكافور هجنه وأين سواد الدجى اذا سجى من بياض النهار اذا انهار وأين وجنات الكواعب النقية من الاصداغ المسودة بدخان العذار وأين نور الحق من ظلمة الباطل وأين العقد الذي كله درر من العقد الذي فيه السبج فواصل فياله من وارد تنزه عن وطء الاقدام المسوده وعلا قدره عن السطور التي لا تزال وجوهها بالمداد مربده حتى جاء يتلألأ بياضا ويتقد وأتى يتهادى في النور الذي تعتقد فيه المجوس ما تعتقد ولكن توهم المملوك ان صحف الود أمست مثله عفاء وظن بابيضات العهود السالفة ان تكون لهذه المراسلة أمست من زقوم الود اخلاء

لو انها يوم المعاد صحيفتي * ماسر قلبي كونها بيضاء

فلقد سودت حال المملوك بياضها وعدم من عدم الفوائد البهائية ما كان يغازله من صحاح الجفون مراضها وما أحق تلك الاوصال الوافدة بالافادة العائدة بزيارتها التي خلت من الجرد

بالسلام

وأكثر آمال الرجال كواذب

فيا غالبا لا غالبا بالرزية

بل الموت لاشك الذي هو غالب

وقلت أخي قالوا أخ ذو قرابة

فقلت لهم ان الشكول أقارب

عجبت لصبري بعده وهو ميت

وكنت امرأ ابكي دما وهو غائب

على انها الايام قد صرن كلها

عجائب حتى ليس فيها عجائب

(ونخرت وبسرت وعبست فكفرت) (النخير) صوت من الانف أكثر ما يكون عند الغضب ويسمى خرق الانف الذي يخرج منه النخير منخرا وفي المثل ما في الدار نخير ومنه نخرت الشجرة أي بليت فهب صوت الريح (والبسر) الاستعجال بالشيء قبل أوانه ويقال للجبين قبل النضج بسر ومنه قيل لما لم يدرك من التمر بسر وفي قوله تعالى عبس وبسر أي أظهر العبوس قبل أوانه (والتعبيس) قطوب الوجه من ضيق الصدر ومنه قيل يوم عبوس (والكفر) في اللغة ستر الشيء ووصف الليل بالكافر لستره الاشخاص واستعمل في جاحد النعمة لستره اياها ولما كان يقتضي جحود النعمة صار يستعمل في الجحود مطلقا

بالسلام وان لم يخل رونقها من الاجاده أن ينشدها المملوك قول البحترى أبى عباده

أخجلتني بندى يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء
وقطعتني بالوصل حتى انني * متخوف أن لا يكون لقاء

وبقي زيادة وهذا القدر كاف

*(غالى بنفسي عرفاني بقيمتها * فصنتها عن رخيص القدر مبتذل)*

(اللغة) غلا السعر غلاء اذا زاد عن قيمته المعهودة وغالى فاعل من المغالاة أى طلبت الغلاء فى قيمتها النفس تقدم الكلام عليها فى قوله أعلل النفس العرفان المعرفة وقولهم ما أعرف لاحد يصرعنى أى ما اعترف القيمة العوض وقيمة كل شئ ما يقابله من العوض الصون تقدم الكلام عليه فى اول القصيدة الرخيص ضد الغالى وقد رخص السعر وأرخصه الله فهو رخيص وارتخصت الشئ اشتريته رخيصا وارتخصه أى عده رخيصا القدر مبلغ الشئ مبتذل أى ممتهن والبذلة والمبذلة ما يمتهن من الثياب والتبذل ترك التصاون (الاعراب غالى) فاعل من المغالاة فهو فعل ماض والمفاعلة لا تكون الا بين اثنين كقاتل وضارب وخاصم ولكن قد تقع هذه الصيغة لغير تكافؤ كقوله تعالى يخادعون الله والمخادعة ممنوعة فى جانب الله تعالى فهى فى جانب الخالق لا غير ويؤيد هذا من قرأ يخدعون الله بغير ألف وهو حمزة والكسائى وقيل فى القراءة الاولى ان ثم محذوفا تقديره يخادعون نبى الله فحذف المضاف وأبقى المضاف اليه مقامه وليس هذا بشئ لان الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يخادعون الناس (بنفسى) الباء للتعدية وهى متعلقة بغالى ونفسى مجرور بالباء والياء فى موضع جر بالاضافة لانها ضمير المتكلم وفتحها وسكونها لغتان فصيحتان قيل لابى عمرو بن العلاء لاى شئ قرأت وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد بسكون الياء وقرأت ومالى لا أعبد الذى فطرنى فاخترت تحريك الياء هنا وما ثم ضرورة الى تحريكها فقال لان السكون ضرب من الوقف فلو سكنت الياء هنا كنت كالذى ابتدأ وقال لا أعبد الذى فطرنى فاخترت حركة الياء هربا من ضرب من الوقف وهنالك لا ضرورة تؤدى الى فساد المعنى فاخترت التسكين لانه أخف وهذا من أبى عمرو رحمه الله تعالى من دقة النظر فى المعانى اللطيفة وحكى صاحب الاغانى قال صلى الدلال يوما خلف الامام بمكة فقرأ الامام ومالى لا أعبد الذى فطرنى فقال الدلال ما أدرى والله فضحك الناس وقطعوا الصلاة فلما قضى الوالى صلاته دعا به وقال ويلك الا تدع المجون والسفه فقال له كنت عندى على انك تعبد الله عز وجل فلما سمعتك تستفهم ظننت انك قد شككت فى ربك فثبتك فقال له أنا أشك فى ربى وأنت تثبتنى اذهب لعنك الله (رجع عرفانى) فاعل غالى ولم يظهر الرفع لانه مضاف الى ياء المتكلم والياء فى موضع جر بالاضافة (بقيمتها) الباء عدت عرفانى الى القيمة لانه مصدر وقيمة مجرور بالباء والضمير فى موضع جر بالاضافة وهو عائد الى النفس ومفعول غالى أو فاعله الآخر محذوف وهو أبلغ من اثباته لانه لو ذكره لوقف ذهن السامع عنده مع الغاية التى ذكرها فلما حذفه تلعبت به الظنون ورمت به فى كل واد فتارة تقول غالى الدهر وتارة تقول الناس وتارة تقول المفاخر له وتارة تقول المجادل وغير ذلك (فصنتها) الفاء للتعقيب وصنت فعل ماض وفاعل وهو التاء المضمومة والضمير فيما بعد ذلك يعود على النفس وهو فى موضع نصب على انه مفعول به

فيقال الكافر لمن جحد الوحدانية وما أشبهه ولما جعل كل فعل محمود من الايمان جعل كل فعل مذموم من الكفر وقد يشتد غضب الانسان فيفعل ما يذم عليه فيسمى كفرا وقد يعبر أيضا بالكفر عن التبرئ من الشئ كقوله تعالى ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض فيكون المعنى فى قول ابن زيدون انى غضبت الى أن فعلت ما فعلت وانى تبرأت منك

(وأبدأت وأعدت وأبرقت وأرعدت)

يعنى كررت ما يسيئك ذكره وأصل البرق لمعان السحاب والرعد صوته ويكنى بهما عن التهديد يقال أرعد فلان وأبرق اذا هدد وكان الاصمعى ينكر قولهم فى ضرب المثل يعنى أبرق وأرعد قال مهلهل

أبرقوا ساعة الهياج وأرعد * نا كما ترعد الفحول الفحولا

(وهممت ولم أفعل وكدت وليتنى)

يعنى هممت بقتل هذه المرأة وهذا من باب الحذف والايجاز لدلالة بعض الكلام على بقيته المحذوفة كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا تقديره لكان هذا

(عن رخيص القدر) عن حرف جر وهى للمجاوزة ورخيص مجرور بها والقدر مجرور بالاضافة اليه (مبتذل) مجرور على أنه صفة لرخيص فان قلت رخيص مضاف فهو معرفة ومبتذل نكرة فكيف يجوز وصف المعرفة بالنكرة قلت هذه الاضافة لفظية وهى فى نية الانفصال كأنه قال رخيص قدره والاضافة اللفظية لا تخصص بل تترك المضاف على تنكيره وانما دخلت الاضافة طلبا للخفة فى التركيب والحلاوة فى الكلام (المعنى) ان عرفانى بنفسى يغالى الزمان أو الورى بقيمتها فهو يسوم العوض عنها وما يجد لها كفؤا فى القيمة من الناس فلهذا أصونها ولا أبذلها لرخيص القدر مبتذل ومن كانت نفسه مهذبة بالمعارف مكملة بالفضائل متسمة بالاخلاق الحميدة متصفة بالسجايا الكريمة والطباع الخيرية فحقيق على أن لا يكون لها قيمة وما سواها فهو مهين مبتذل يقصر عن كفاية أقل جزء منها ويصغر عن أحقر شئ يتعلق بها ولعمرى ان النفوس الخيرة الفاضلة الشريفة الابية الكاملة لو كانت تشترى بعوض ويكون فى مقابلتها نقد لانفت على ما فى ايدى الناس من الجواهر والفضة والذهب ولكنها فيض ممن هو دائم الوجود ولا ينقص الانفاق ما فى خزائن ملكه لانه رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده اما ابو الطيب فانه قال

من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شئ ولا يضع
ليت الملوك على الاقدار معطية * فلم يكن لدنى عندها طمع

وقال أيضا

اذا لم تكن نفس النسيب كأصله * فماذا الذى يغنى كرام المناصب
وما قربت أشباه قوم أباعد * ولا بعدت أشباه قوم أقارب

وقال أيضا

من خص بالذم الفراق فاننى * من لا يرى فى الدهر شيأ يحمد

وقال ابن صردر

اذا صافحتنى أكف اللئام * لطمت بهن خدود الرجا

وقال ابن سناء الملك من أبيات

توقد عزم يترك الماء جمرة * وحلية حلم تترك السيف مبردا
وفرط احتقار للانام لاننى * أرى كل عار من حلى سوددى سدى
وأظمأ أن ابدى لى الماء منة * ولو كان لى نهر المجرة موردا

وقال القاضى الفاضل

وهب ان هذا الباب للرزق قبلة * فها انا قد وليته دونكم ظهرى
وهب انه البحر الذى يخرج الغنى * فكل خرا فى الشط فى لحية البحر

وقال القاضى مذهب الدين بن الزبير من ابيات

انى لاعتنق العفاف لدى الدجى * واهب وهنا عن كريم المضجع
واذا بدا لى الهجر لم ارشخصه * واذا يقال لى الخنا لم أسمع
ولوانه ناجى ضميرى فى الكرى * طيف الخيال بريبة لم أهجع

وقال الشريف ابو الحسن على العقيلى

القرآن وهو كثير فى كلام العرب وقد استعملوه حتى فى الحروف وقالوا درس المنا يلهجون به يعنى المنازل وقالوا اورق الحما يعنى الحمام وهذا لفظ شعر لضابئ بن الحرث بن ارطاة البرجمى كان رجلا بذيا كثير الشرور وكان صاحب صيد وطأ دابته صبيا فقتله فرفع الى عثمان رضى الله تعالى عنه أيام خلافته فاعتذر بضعف بصره فحبسه ثم خلص وكان قد استعار كلبا للصيد من بنى نهشل فلم يرده فطلبوه منه وألحوا عليه فقال يهجوهم

ويتهم امهم بالكلب
وأمكم لا تتركوها وكلبكم
فان عقوق الامهات كبير
اذا اكتنفت من آخر الليل شخصه
يظل له فوق الفراش هرير

فاستعدوا عليه عثمان فقال ويلك ماسمعت أحدا رمى امرأة بكلب غيرك والله انى أراك لو كنت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لانزل الله فيك قرآنا ثم حبسه وعرض يوما أهل السجن فوجده قد أعد حديدة ليقتل بها عثمان فاخذت منه وضرب وترك مهملا فى السجن فقال

لا يعطين بعدى امرؤ ضيم حظه
فرارا يقيه الموت والموت نائله
هممت ولم أفعل وكدت وليتنى

صنت نفسي عما يليق بمثلي * وتحصنت بالجفاء الشديد
ما يساوي قضاء حق الموالي * ما نقاسي من سوء خلق العبيد

وما احسن ما كتب ابو الحسين الجزار على باب فخر الدين بن الشيخ

أمولاي ما من طباعي الخروج * ولكن تعلمته من خمولي
وصرت اليك اروم الغنى * فيخرجني الضرب عند الدخول

وقال الضياء موسى الكاتب المصري وقد منعه بواب اسمه بصاقة من الدخول على بعض الرؤسا

يا من سما في المكرما * ت وفاق ارباب الممالك
أعجب لامر بصاقة * منع الدخول لباب خالك
وهو المعين على الدخو * ل اذا تعسرت المسالك

وممن ضرب المثل بكبره وتيهه عمارة بن حمزة فيقال أتيه من عمارة دخل يوما على المنصور فقعد في مجلسه وقام رجل فقال مظلوم يا أمير المؤمنين فقال من ظلمك قال عمارة غصبني ضيعة فقال المنصور قم يا عمارة مع خصمك فقال يا أمير المؤمنين ما هو لي بخصم ان كانت الضيعة له فلست انازعه فيها وان كانت لي فهي له ولا اقوم من مجلس شرفني به امير المؤمنين وحكي عن ابي ثوابة انه دعا يوما كارا وكاه ولما فرغ دعا وتمضمض استقذارا للمخاطبة وكان بعض القضاة لا يصلي الجمعة ويقول لا أرى مخالطة هؤلاء العوام وحكي عن الشافعي انه قال لو أن العوام لي غلمان ما ارتضيتهم وخطب عبد الملك بن مروان الى عقيل ابن علقمة ابنته على احد بنيه فقال اما ان كنت فاعلا فجنبني هجناءك وحدث الجاحظ قال أتيت الربيع الغنوي فقلت له أيسرك أن تكون ابنة يزيد بن المهلب تحتك قال لا والله قلت ولك الف دينار قال لا والله قلت ولك ألفا دينار قال لا والله قلت وأنت أمير المؤمنين قال لا والله قلت ولك الجنة قال على أن لا تلدمني ويقال ان بعض الاعراب لقيه الامير قتيبة بن مسلم الباهلي فقال له يا أخا العرب أيسرك أن يكون لك ألف دينار وأنت من باهلة قال لا والله قال ألفا دينار قال لا والله قال وأنت أمير خراسان قال لا والله قال وأنت أمير المؤمنين قال لا والله قال ولك الجنة قال بشرط أن لا يعلم احد اني من باهلة وقال الاصمعي رأيت رجلا يختال في أزير في يوم قر فقلت له ممن أنت قال انا ابن الوحيد أمشي الخيزلي ويدفئني حسبي وكان جذيمة بن الابرش لا ينادم أحدا تعاظما ويقول انما ينادمني الفرقدان ولهذا قال الشاعر * وكنا كندماني جذيمة حقبة * أراد الفرقدين وليس كما يقولون ان المراد بهما مالك وعقيل لانه كان يجوز عليهما التفرق وحكى صاحب الاغاني في أخبار العرجي عن الاصمعي قال مررت بكناس بالبصرة يكنس كنيفا وهو يغني

اضاعوني وأي فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت له أما سداد الكنيف فانت ملي به واما الثغر فلا علم لنا بك كيف أنت فيه وكنت حديث السن وأردت العبث به فأعرض عني مليا ثم أقبل علي وأنشد

وأكرم نفسي انني ان أهنتها * وحقك لم تكرم على أحد بعدي

فقلت له والله ما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فبأي شيء أكرمتها قال بلى والله ان من

تركت على عثمان تبكي حلائله
وقائلة لا يبعد الله ضابئا
اذا القرن لم يوجد له من ينازله
ثم لم يزل في السجن حتى مات فلما قتل عثمان وثب عمير على ضلع من أضلاعه فكسرها فقتله الحجاج بالكوفة

(ولولا ان للجوار ذمة وللضيافة حرمة لكان الجواب في قذال الدمستق)

يعني لولا انه صار لهذه المرأة حرمة بدخول المنزل والمؤاكلة لفعلت بها فعل سيف الدولة بالدمستق وهذا حل بيت المتنبي في المعنى وذلك أن ملك الروم أرسل جيشا الى بلاد سيف الدولة وقدم عليه بطريقا يقال له الدمستق وقيل الدمستق لقب عندهم لكل مقدم على جيش فهزمه سيف الدولة وخرج موليا وعاد الى ملك الروم مهزوما مرعوبا ثم ان ملك الروم ارسل رسلا وكتابا الى سيف الدولة يطلب الصلح والهدنة فنظم المتنبي في هذه الواقعة قصيدة يشير فيها الى هزيمة الدمستق فيقول

وكنت اذا كاتبته قبل هذه
كتبت اليه في قذال الدمستق

وهذه قصيدة تطوى على أبيات حسنة ويتعلق بها خبر ظريف قيل دخل السري الرفاء الشاعر على سيف الدولة يوما فقال يا مولانا كم

الهوان لشراعما أنا فيه فقلت وماه وقال الحاجة اليك والى أمثالك فانصرفت عنه أخزى الناس وذكرت بالكنيف هنا حديث ولادة بنت المستكفي بالله محمد بن المستظهر لما اجتازت بالوزير أبي عامر بن عبدوس وهو جالس على باب داره وأمامه بركة تتولد من مراحيض واقذار وحوله جماعة من أصحابه فوقفت عليه وقالت يا أبا عامر

أنت الخصيب وهذه مصر * فتدفقا فكلاكما بحر

فلم يحر جوابا والبيت لابي نواس وهذه ولادة كان الوزير أبو عامر من جملة من يهواها و يكلف بعشرتها وكانت كثيرة العبث به وهي ذات أدب ولطف ونادرة وعشرة وبذل حجاب لمن يتعشقها تجالس الاكابر وتحاضر الشعراء على ماهي فيه من الجمال البارع وكان ابن زيدون قد شغفه حبها وله فيها القصائد الطنانة وفي الوزير ابن عبدوس هذا أنشأ ابن زيدون الرسالة التي جعلها على لسان ولادة اليه لما بلغه أنه يهواها وأولها أما بعد أيها المصاب بعقله المورط بجهله أتى فيها بكل مثل وكل غريبة وكتبت ولادة يوما الابن زيدون وهي غضبى عليه تعرض بغلام له اسمه على كان يدعى أنه معه على حالة هذين البيتين

ان ابن زيدون على فضله * يغتابني ظلما ولا ذنب لي
يلحظني شزرا اذا جئته * كأنما جئت لاخصي علي

وهذا التعريض يشبه تعريض عنان بأبي نواس في قولها

عجبا من حلقي * يدعي أصل اللواط
والذي يحضر يدري * من يلي وجه البساط

وحكى أن بعضهم دخل بأمرد الى بيته وكان بينهما ما كان فلما خرج الامرد ادعى انه هو الفاعل فقيل له في ذلك فقال فسدت الامانات وحرم اللواط الا أن يكون بشاهدي عدل وقال بعض الشعراء

ان المذهب في اللوا * طة ليس بعدله شريك
واذا خلا بغلامه * فالله يدري من ينيك

وقال آخر

مر علي بغلة فأعظمه النـ * ـاس وقالوا فتى وأي فتى
فقلت من ذا فقيل لي رجل * يلوط لكن ينوس ملتفتا

(وعادة النصل أن يزهى بجوهره * وليس يعمل الا في يدي بطل)

(اللغة العادة) معروفة والجمع عاد وعادات تقول منه عاده وأعاده وتعوده أي صار له عادة والعادة اليوم في عرف الكتاب والناس اذا قالوا ألف درهم عادة أو مائة فانها تكون ناقصة عن التسمية كل مائة تنقص درهمين فالالف تنقص عشرين وتكون تسعمائة وثمانين قال النصير الحمامي للسراج الوراق قد امتدحت الصاحب بهاء الدين بقصيدة وهي الليلة تقرأ بين يديه وأشتهي منك أن تزهرها فلما انشدت بين يدي الصاحب بهاء الدين قال السراج بعد الفراغ منها

شاقني للنصير شعر بديع * ولمثلي في الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت باسمك فيه * قلت نعم المولى ونعم النصير

فأمر الصاحب للنصير بشيء وللسراج بمائتي درهم وقال تكون صفحة فقبل الارض وقال

تفضل علينا هذا الكندي يعني المتنبي ولو أمرتني ان أنظم على وزن أي قصيدة شئت من قصائده لنظمت ماهو أجود منها فقال سيف الدولة انظم على وزن قصيدته التي أولها

بعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي

فخرج السري من عنده على ذلك وفكر في القصيدة فلم يجدها من طنانات المتنبي فعلم أن سيف الدولة أراد أمر اله بتخصيصه هذه القصيدة في الاقتراح فنظر في أبياتها فاذا هو يقول فيها مادحا سيف الدولة ومفتخرا بنفسه

اذا شاء ان يلهو بلحية أحمق * أراه غباري ثم قال له الحق

فعلم أن سيف الدولة أراده بهذا المعنى فكف عن النظم وفي هذه القصيدة يقول المتنبي

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه * ولكن من يبصر جفونك يعشق

سقى الله أيام الصبا ما يسرها * ويفعل فعل البابلي المعتق
اذا ما لبست الدهر مستمتعا به * تخرقت والملبوس لم يتخرق

هذا المعنى جيد ولكن استعمال التخريق للاجساد بشع ومن جملة هذه القصيدة أيضا

نودعهم والبين فينا كأنه * قنا ابن أبي الهيجاء في قلب فيلق

يامولانا الصاحب أشتهى أن تكون عادة فاعجبه ذلك وقال تكون له أبدا عادة اذا مدحنا
بشئ من الشعر وقول السراج الوراق يشبه قول ابن قلاقس

أنا ان نظمت الشعر غيره ساحر * حقا ولكن فى سواه ساخر
فاذا وصفت علاه قال لى الورى * لله ممدوح ذكرت وشاعر

ولكن قول السراج فيه رونق التورية وقال السراج الوراق وقد عزاه الصاحب بهاء الدين
فى زوجته وجهزله دراهم صنجة

أتتنى صنجة وأتت معاده * على عاداتها والخير عاده
وأنستنى مصيبة من تولت * فلا ولت عن المولى السعادة

(رجع) النصل السيف يزهى زهى الرجل أى تكبر فهو مزهو وقد نطقت العرب بأحرف
لا يتكلم بها الا على سبيل المفعول وان كانت بمعنى الفاعل وذلك كقولهم زهى الرجل وعنى
بالامر ونتجت الشاة ودهش الرجل وسقط فى يده فاذا أمرت قلت انزه علينا يا رجل ولا يتعجب
من هذه الافعال والزهو المنظر الحسن بجوهره الجوهر معروف وأما جوهر السيف فهو
ما يرى فيه من الطرق المختلفة وهو وشيه الذى يشبه بدبيب النمل وسيأتى الكلام عليه يعمل
أراد به هنا يفرى ويقطع البطل الشجاع والمرأة بطلة وقد بطل الرجل بالضم يبطل بطولة
وبطالة أى صار شجاعا وجمعه أبطال (الاعراب وعادة) الواو واو الابتداء عادة مرفوع على أنه
مبتدأ (النصل) مجرور بالاضافة المعنوية بمعنى اللام (أن يزهى) أن حرف ينصب الفعل
المضارع وتكون زائدة ومفسرة ومصدرية فالزائدة هى التى دخولها فى الكلام وخروجها
سواء كما فى قوله تعالى فلما أن جاء البشير وقد ادعى ابن الاثير فى المثل السائر أن أن اذا دخلت
فى الكلام دل على ان الكلام لم يكن على الفور ودل على أنه ثم تراخ ومهلة وذكر الآية
الكريمة وقال اذا نظر فى قصة يوسف مع اخوته منذ ألقوه فى الجب والى ان جاء البشير الى أبيه
عليه السلام وجد أنه كان ثم تراخ وابطاء بعيد ولو لم يكن ثم أمد بعيد لما جىء بأن بعد لما وقبل
الفعل بل كانت الآية تكون فلما جاء البشير ألقاه على وجهه وهذه دقائق ورموز لا توجد
عند النحاة لانها ليست من شأنهم قلت هذا من جناية اعجاب المرء بعقله الا تراه كيف تصور
الخطأ صوابا ثم أخذ يتبجح بانه ظفر بما لم يكن عند النحاة ولو انه نظر الى هذه الفاء عقيب ماذا
وردت هل هى عقيب قوله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب والآيات
المتعلقة بواقعة القائه فى الجب أو وردت عقيب قوله تعالى اذهبوا بقميصى هذا فألقوه على
وجه أبى يأت بصيرا وأتونى باهلكم أجمعين ولما فصلت العير قال أبوهم انى لاجد ريح يوسف
لولا أن تفندون قالوا تالله انك لفى ضلالك القديم فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد
بصيرا العلم ابن الاثير انه لا تراخى بين هذين البعدين ولا مدة مديدة لان المدة انما كانت بقدر
المسافة التى توجه فيها البشير من مصر الى أن وصل الى أرض كنعان وهى مقام يعقوب عليه
السلام وقدر مسافة ما بين ذلك اثنا عشر يوما وما حولها ولهذا قال النحاة انها هنا زائدة ولابن
الاثير من هذه الشناعات على النحاة وغيرهم أشياء أجبت عنها فى كتاب نصرة الثائر على
المثل السائر والمفسرة هى الداخلة على الجملة المبينة حكاية ما قبلها من لفظ دال على معنى القول
بغير حروفه كالتى فى قوله تعالى فأوحينا اليه أن اصنع الفلك باعيننا ووحينا أى أوحينا اليه

هو ادلاملاك الجيوش كأنها
تخير أرواح الكماة وتنتقى
يغير بها بين اللقان وواسط
ويركزها بين الفرات وجلق
ويرجعها حمرا كأن صحيحها
يبكى دما من رحمة المتدفق
فلا تبلغاه ما أقول فانه
شجاع متى يذكر له الحرب يشتق
قوله فلا تبلغاه هذه من
السماجات المعدودة لانه
ينشده القصيدة هو سماعا
عفا الله تعالى عنه
كسائله من يسأل الغيث قطرة
وعاذله من قال للفلك أرفق
لقد جدت حتى جدت فى كل ملة
وحتى أتاك الحمد فى كل منطق
رأى ملك الروم ارتياحك للندى
فقام مقام المجتدى المتملق
وكنت اذا كاتبته قبل هذه
كتبت اليه فى قذال الدمستق
وما كمد الحساد شيأ قصدته
ولكنه من يزحم البحر يغرق
*(والنعل حاضرة ان عادت
العقرب * والعقوبة ممكنة
ان أصر المذنب)*
السجعة الاولى حل بيت
للفضل اللهبى من جملة
أبيات وهو مثل يهدد به من
عوقب وهذا الفضل هو ابن
العباس بن عتبة بن أبى لهب
كان من شعراء الهاشميين
وفصحائهم توفى فى خلافة
الوليد بن عبد الملك وكان
طويلا آدم اللون حكى ان
الفرزدق مر به يوما وهو

هذا القول والمصدرية هى التى مع الفعل فى تأويل المصدر كما فى هذا البيت تقديره وعادة النصل زهوه بجوهره وتنقسم أن الى مخففة من ان وناصبة للمضارع فان كان العامل فيها من أفعال العلم وجب ان تكون مخففة وتعين فى المضارع بعدها الرفع الا ان يكون العلم فى معنى غيره ولذلك أجاز سيبويه ماعلمت الا ان تقوم بالنصب قال لانه كلام خرج مخرج الاشارة فجرى مجرى قولك أشير عليك أن تفعل وان كان العامل فى أن من غير أفعال العلم والظن وجب ان تكون غير المخففة وتعين فى المضارع بعدها النصب كقولك أريد ان تقوم وان كان العامل فيها من أفعال الظن جاز فيها الامران وصح فى المضارع بعدها الرفع والنصب الا ان النصب هو الاكثر ولذلك اتفقوا عليه فى قوله تعالى أحسب الناس ان يتركوا واختلفوا فى قوله تعالى وحسبوا أن لا تكون فتنة فقرأ أبو عمرو والكسائى وحمزة برفع تكون وقرأ الباقون بنصبه ومن العرب من يجيز اهمال غير المخففة حملا على ما المصدرية فرفع المضارع بعدها كقول الشاعر

أن تقرآن على أسماء ويحكما * منى السلام وأن لا تشعرا احدا

فان الاولى والثانية مصدريتان غير مخففتين وقد أعمل احداهما وأهمل الاخرى ومن اهمالها قراءة بعضهم لمن اراد ان يتم الرضاعة وقول الشاعر

اذا مت فادفنى الى جنب كرمة * تروى عظامى فى الممات عروقها
ولا تدفننى بالفلاة فاننى * أخاف اذا مامت ان لا أذوقها

(رجع يزهى) فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما يكتب بالياء لان أصله زهيت والفعل وأن هنا فى تأويل المصدر والجملة فى موضع رفع على انها خبر المبتدا الذى تقدم وهو (عادة بجوهره) الباء للمصاحبة وهى التى عدت يزهى الى جوهر وجوهر مجرور بالباء والهاء فى موضع جر بالاضافة وهى تعود على النصل (وليس) الواو عاطفة عطفت الفعل على الفعل وليس من اخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهى مختصة بمنع تقدم خبرها عليها خلافا لسيبويه ولابى على وابن برهان فانهم قالوا بجوازه بدليل تقدم معمول خبرها عليها فى قوله تعالى ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا عنهم واسمها ضمير مستتر فيها تقديره هو عائد على النصل (يعمل) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير يعود الى النصل وجملة الفعل المضارع فى موضع نصب خبر ليس تقديره وليس النصل عاملا (الا) حرف استثناء (فى يدى) فى حرف جر ومعناه الظرفية ويدى مجرور بفى وعلامة جره الياء لانه مثنى والمثنى له اعراب يخصه فيعرب بالالف فى حالة الرفع وفتح ما قبل الالف وبالياء فى حالتى النصب والجر وفتح ما قبلها والنون مكسورة فى الاحوال الثلاثة وقد تفتح النون فى لغة كما قال الشاعر

على أحوذيين استقلت عشية * فما هى الا لمحة وتغيب

وانما أعرب المثنى بالحروف لان التثنية فرع عن الافراد فأخذ الاصل الاصل والفرع الفرع وقد مر فى ذكر اعراب جمع المذكر السالم التعليل فى كون اعراب المثنى بالالف والياء والنون من يدين حذفت للاضافة لان الحروف فى المثنى وجمع المذكر السالم عوض عن الحركات فى اعراب المفرد والنون عوض عن التنوين فلهذا تسقط فى حال الاضافة كما يسقط التنوين

وقد

ينشد مفتخرا

وأنا الاخضر من يعرفنى
أخضر الجلدة من بيت العرب
من يساجلنى يساجل ماجدا
يملأ الدلو الى عقد الكرب

يعنى بالخضرة آدم اللون والعرب تفتخر بأنها سمر وسود وقيل عنى بالاخضر البحر وانه فى نفسه وكرمه كالبحر وعنى بالمساجلة المفاخرة وأصل المساجلة أن يملأ الشخصان بدلوين من بئر فأيهما ملأ أكثر كان الغالب واستعمل فى المفاخرة وأصل المساجلة كما ذكر فلما سمع الفرزدق قوله تشمر وقال أنا أساجلك فقال

برسول الله وابن عمه
وبعباس بن عبد المطلب

فرجع الفرزدق وقال ما يساجلك الا من عض بيظر أمه * وحكى أبو عبيدة أن عمر بن أبى ربيعة قال بينما أنا جالس فى المسجد الحرام فى جماعة من قريش اذ دخل علينا الفضل بن العباس اللهبى فوافقنى وأنا أنشد

وأصبح بطن مكة مقشعرا
كأن الارض ليس بها هشام

فقال يا أخا بنى مخزوم ان بلدة تجمع بها عبد المطلب وبعث منها رسول الله صلى الله عليه وسلم واستقر بها بيت الله عز وجل لحقيقة أن لا تقشعر

وقد فرق النحاة بين التثنية والمثنى فقالوا التثنية ضم واحد الى مثله بشرط اتفاق اللفظين والمعنيين أو المعنى الموجب للتثنية فعلى هذا تبين لحن الحريري في قوله

جاد بالعين حين أعمى هواه * عينه فانثنى بلا عينين

لان المعنيين في العين ما اتفقا في الذات ولذلك جوزوا القمرين تثنية الشمس والقمر لانهما وان اختلفا في اللفظ فقد اتفقا في الذات لانهما كوكبان وكذلك العمرين تثنية أبي بكر وعمر رضي الله عنهما لانهما اتفقا من وجوه كثيرة في الذات اذ كل منهما انسان وصحابي وخليفة فان قلت لاى شئ قالوا القمران ولم يقولوا الشمسان ولاى شئ قالوا العمران ولم يثنوا ابابكر قلت لان التذكير يغلب على التأنيث والشمس مؤنثة والقمر مذكر كما قال أبو الطيب

وما التأنيث لاسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

ولان العمرين أخف على اللسان واعذب في السمع من الابى بكرين لانه مركب وعمر مفرد ولان أبا بكر كنية وعمر علم واذا تقرر هذا فقد غلط جماعة من الشعراء ولا سيما المتأخرون في تثنية مالم يتفقا في المعنى الموجب للتثنية كقول الحريري المقدم وقد قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك المثنى ما دل على اثنين بزيادة في آخره صالح للتجريد وعطف مثله عليه اه قلت فاذا قلت الزيدان فقد دل على اثنين بزيادة في آخره وهي الالف والنون ويصلح ان يجرد من هذه الزيادة فيعود زيدا وعلى ان أحدهما عاطف على مثله لان الاصل فيه زيد وزيد بدليل ان الشاعر لما اضطره الوزن فك التثنية فقال

كان بين فكها والفك * فارة مسك ذبحت في شك

وفائدة هذا الحد أن تعلم ان العرب الحقت بباب المثنى أشياء ليست بمثنيات حقيقة كما فعلوا بباب جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم وهي كلا وكلتا بشرط الاضافة الى مضمر تقول جاءني كلاهما ورأيت كليهما ومررت بكليهما فلو اضيفتا الى مظهر لم يكن اعرابهما اعراب المثنى فتقول جاءني كلا الرجلين ورأيت كلا الرجلين ومررت بكلا الرجلين وكذلك اثنان واثنتان فان هذه الالفاظ اعربت اعراب المثنى وليست من بابه على الحقيقة لان حد المثنى لا يتناولها اذ ليس كل منهما في آخره زيادة صالحة للتجريد ولا عطف أحدهما على مثله لانه لا مفرد لكلا ولا كلتا ولا اثنين ولا اثنتين فاعرف ذلك وذكرت هنا قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

ان التى ناولتني فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

كلتاهما حلب العصير فعاطني * بزجاجة ارخاهما للمفصل

قال الحريري وغيره أخبر عن التى بالمفرد فوحد ثم قال كلتاهما فثنى وما معنى كلتاهما حلب العصير ولم يذكر الا خمرة واحدة وأخبر عن كلتاهما بارخاهما والصحيح الاخبار عنهما بمفرد لانهم لحنوا من قال كلا الرجلين قاما وكلتا المرأتين حضرتا على اللغة الفصيحة ويدل على ذلك قوله تعالى كلتا الجنتين آتت أكلها وأيضا فالرواية صحت في المفصل انه بكسر الميم وفتح الصاد وانما يقال مفصل بفتح الميم وكسر الصاد وأجاب الحريري بان قال أما قوله ان التى ناولتني فرددتها قتلت فانه خاطب به الساقي الذى كان ناوله كأسا ممزوجة لانه يقال قتلت الخمرة اذا مزجتها فكأنه أراد ان يعلمه انه فطن لما فعله ثم انه دعا عليه بقوله قتلت وقوله ارخاهما للمفصل يعني به اللسان وسمى مفصلا لانه يفصل بين الحق والباطل وقال أبو بكر محمد بن القاسم

لهشام وان أشعر من هذا البيت قول الآخر

انما عبد مناف جوهر
زين الجوهر عبد المطلب

وأقبل على وقال يا أخا بني مخزوم ان أشعر من صاحبك الذى يقول هذين البيتين

هاشم بحر اذا سما وطما
أخمد حر الحريق واصطلما
فاعلم وخير المقال أصدقه
بأن من رام هاشما هشما

فاسودت الدنيا في عيني ولم أحر جوابا وقد أطال أبو عبيدة الحكاية الى أن ظهر عليها التوليد * ومن جيد شعر الفضل بن العباس قوله

يا مي أن تفقدي قوما ولدتهم
وتخالسيهم فان الدهر خلاس
عمرو وعبد مناف والذى عهدت
بطاح مكة أبي الضيم عباس
ليث هزبر مدل عند خيسته
بالرقتين له أجر واعراس

يستشهد النحاة بقوله أجر على جمع جرو والاصل أجرو فحذفت الواو لوقوعها طرفا مضموما ما قبلها

وحكى عنه الجاحظ حكاية ظريفة قال شرب ليلة مع بعض ولد جعفر على سطح فلما سكر الجعفري رمى بنفسه الى أسفل وقال أنا ابن الطيار في الجنة فتكسر وتهشم فتشبث الفضل بالحائط

الانبارى اجتمع قوم على شراب فغناهم المغنى البيتين المتقدمين فقال بعضهم امرأتى طالق ان لم أسأل الليلة القاضى عبيد الله ابن الحسن عن علة هذا الشعر لم قال ان التى فوحد ثم قال كلتاهما فثنى فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا الى بنى شقرة وعبيد الله يصلى فلما أتم صلاته شرحوا اله القصة وسألوه الجواب عن ذلك فقال لهم ان التى عنى بها الخمرة الممزوجة بالماء ثم قال كلتاهما حلب العصير يريد الخمر المتحلبة من العنب والماء المتحلب من السحاب المكنى عنه بالمعصرات قال الله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا انتهى وقال النقيب الشجرى هذا التأويل يمنع منه ثلاثة أشياء أحدها أنه قال كلتاهما حلب العصير وكلتا موضوعة لمؤنثين والماء مذكر والتذكير أبدا يغلب على التأنيث كتغليب القمر على الشمس قال الفرزدق لنا قمراها والنجوم الطوالع وليس للماء اسم آخر مؤنث فيقال يحمل على المعنى كما قالوا أتته كتابى فاحتقرها لان الكتاب فى معنى الصحيفة وكما قال الشاعر

قامت تبكيه على قبره * من لى من بعدك ياعامر
تركتنى فى الدار ذا غربة * قد ذل من ليس له ناصر

وكان الوجه أن يقول ذات غربة وانما ذكر لان المرأة انسان والثانى أنه قال ارخاهما للمفصل وأفعل هذا موضوع للمشتركين فى معنى واحد وأحدهما يزيد على الآخر فى الوصف كقولك زيد أفضل الرجلين فزيد والرجل المضاف اليه مشتركان فى الفضل الا أن الفضل لزيد يزيد على الرجل والماء لا يشارك الخمر فى ارخاء المفصل والثالث ان الخمر عصير العنب وقوله حلب العصير يمنع من هذا لانه اذا كان العصير الخمر والحلب هو الخمر فقد أضيفت الخمر الى نفسها والشئ لا يضاف الى نفسه والصواب انه أراد كلتا الخمرتين الصرف والممزوجة اه وذكرت هنا قول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت

ومدامة كاساتها * تعطى الامان من الزمان
قد أحكمت علم النحو * م وبعده علم البيان
فاذا احتساها الشاربو * ن واوقعتهم فى الامانى
بدأت باخراج الضمير * وبعده عقد اللسان

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

أيها الساقى بجفن * وبجام خسروانى
لا تلمنى ان تلجلجت ولم تفهم بيانى
سحر عينيك وسكرى * أحكما عقد لسانى

(المعنى) ان السيف عادته أن يكون زهوه بجوهره ولكن ما المراد منه الا القطع والمضاء فى الضريبة ولا يكون ذلك منه الا اذا كان فى يدى بطل يضرب به ويصيب الكلى والمفاصل يعنى اننى فى ذاتى كالسيف المجوهر لما حزته من العلوم وملكته من ممارسة الامور وسياستها ولكن لانفع لها لانها كامنة فلو باشرت أمرا وتوليت ولاية ظهرت محاسنى فى الخارج وبرز فى الظاهر نفع ما عندى وهذا تشبيه حسن وتمثيل جيد ومن كلام البديع الهمذانى من رسالة وقد حكمت علماء الامة واتفق قول الائمة على أن سيوف الحق أربعة

وقال أنا ابن المقصوص فى النار * وأما البيت الذى ذكر بسببه فحكى انه كان بالمدينة تاجر من تجارها يسمى العقرب وكان أمطل الناس فعامله الفضل وكان أشد الناس تقاضيا فلما حل المال قعد الفضل على باب العقرب يقرأ وعقرب على سجيته فى المطل فلما أعياه ذلك قال يهجوه

قد تجرت عقرب فى سوقنا
لا مرحبا بالعقرب التاجره
كل عدو كيده فى استه
فغير مخشى ولا ضائره
ان عادت العقرب عدنا لها
وكانت النعل لها حاضره

فصار هذا اللفظ مثلا وقول ابن زيدون ان أصر المذنب الاصرار العقد فى الذنب وأصله من صر الشئ

(وهبها لم تلاحظك بعين كليلة عن عيوبك ملؤها تحببها حسن فيها من تود) يعنى هب أن هذه الواصفة لم تنظرك بعين المحبة الساترة للعيوب فيما وصفتك به من الفضائل أليس منظرك كما نرى من القبح والسماجة كما سيأتى ذكره وفى هذا الفصل ثلاثة أبيات لثلاثة من الشعراء ولكل منها أخبار وأشعار تشتمل على محاسن * فالاول قول الهاشمى

وسائرها الناس سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في المشركين وسيف أبي بكر رضي الله عنه في المرتدين وسيف علي رضي الله عنه في الباغين وسيف القصاص بين المسلمين قلت وقولهم سيف الله هو خالد بن الوليد رضي الله عنه سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسن آثاره في الاسلام وشجاعته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نظر اليه والى عكرمة بن أبي جهل قرأ يخرج الحي من الميت لانهما كانا من خيار المسلمين وأبواهما اعدى عدوّ لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولما اتهم خالد ابن الوليد بقتل مالك بن نويرة على اسلامه دعاه أبو بكر رضي الله عنه فقال له أقتلت مالكا لتنزو على حليلته وذلك لكونه تزوج امرأته بعده فقال له يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أتشهد لي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماني بسيف الله فقال اللهم بلى فقال أيقتل سيف الله المسلم فقال لا وصرفه الى حيث جاء وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة مما نظمه في أولاد ممدوحه وقد رأى له ولدا يسمى خالدا وهو

أولاد مولانا بهم * تزهى المحافل والمشاهد
مثل السيوف مهابة * لكن سيف الله خالد

وقولهم سيف الفرزدق يضربون به المثل للسيف الكليل في يد الجبان وأصله ان جريرا والفرزدق وفدا على سليمان بن عبد الملك فجاء رجل من عبس الى الفرزدق وكان ممن يتعصب عليه لجرير فقال له ان الخليفة غدا سيأمرك بضرب عنق أسير من الروم وقد علمت أنك وان كنت تصف السيوف فتحسن انك لم تمارس بها وهذا سيف يكفيك منه ضربة واحدة وأتاه بسيف كهام فقال له الفرزدق ومن أنت قال من أخوالك بني ضبة فأخذ السيف ووثق به فلما كان من الغد حضر الفرزدق والوفود مجلس سليمان وجيء بالاسرى فأمر سليمان واحدا منهم هائل المنظر أن يروع الفرزدق ويلتفت اليه ويفزعه ووعده أن يطلقه ثم قال للفرزدق قم فاضرب عنقه فسل ذلك السيف فضربه فلم يؤثر فيه السيف شيأ وكانح الرومي في وجهه فارتاع الفرزدق وضحك سليمان والقوم فقال جرير

بسيف ابي دعوان سيف مجاشع * ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الامام فارعشت * يداك وقال مجذب غير صارم

فاجابه الفرزدق

ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل المغارم
فهل ضربة الرومي جاعلة لكم * أبا كليب أو أخا مثل دارم

وقال أيضا

فان يك سيف خان أو قدر أتى * لمقدار يوم حتفه غير شاهد
كسيف بني عبس وقد ضربوا به * نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ظباتها * وتقطع أحيانا مناط القلائد

ولما صار سيف عمرو بن معدي كرب الذي يسمى الصمصامة الى موسى الهادي دعا بالشعراء وبين يديه مكتل فيه بدرة فقال قولوا في هذا السيف فبدر ابن يامين البصري فقال أبياتا منها

ما يبالي من انتضاه لضرب * أشمالا سطت به ام يمين

وعين الرضا عن كل عيب كليلة
ولكن عين السخط تبدي المساويا

وهو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كان من فتيان بني هاشم واجوادهم وفصحائهم على انه كان يتهم بالزندقة في دينه لصحبة قوم عرفوا بذلك وأشهرهم رجل يقال له البقلي وانما سمي بذلك لانه كان يقول الانسان كالبقلة اذا مات لم يرجع وكان عبد الله ممن ترقى للخلافة واشتهر ذكره في آخر أيام بني أمية حكى المدائني ان عبد الله بن معاوية قدم زائرا لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز مستمنحا له فتزوج بالكوفة بنت الشرقي بن شيث بن ربعي فلما وقعت العصبية أخرجه أهل الكوفة على بني أمية وقيل انما خرج في أيام يزيد بن الوليد ودعا الناس الى بيعة الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل انما دعا الى نفسه ولبس الصوف وأظهر سيما الخير فاجتمع عليه ناس من الكوفة فبايعوه ولم يجتمع عليه جميع أهل المصر وقالوا له ما بقي فينا بقية فقد قتل جمهورنا مع أهل هذا البيت وأشاروا عليه بالخروج الى فارس ونواحي الشرق ففعل

يستطير الابصار كالقبس المشـ * ـعل ماتستقر فيه العيون
وكأن الفرند والجوهر الجا * رى فى صفحتيه ماء معين

فقال موسى أصاب مافى نفسى واستخفه الطرب فامر له بالسيف والمكتل فلما خرج قال للشعراء انما حرمتم من أجلى فدفع اليهم البدرة وأخذ السيف فاشترى منه بمال عظيم وحكى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأل عمرو بن معدى كرب ان يريه سيفه المشهور فاحضره عمرو له فانتضاه عمر رضى الله عنه وضرب به فما أحاك أو حاك بغير أف فطرحه من يده وقال ماهذا بشئ فقال له عمرو يا أمير المؤمنين أنت طلبت منى السيف ولم تطلب منى الساعد الذى يضرب به فعاتبه وقيل انه ضربه وقرأت على الشيخ الامام الحافظ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى فى مغازى تاريخه الكبير تاريخ الاسلام قال الاصمعى حدثنا عبد الرحمن ابن أبى الزناد قال ضرب الزبير بن العوام يوم الخندق عثمان بن عبد الله بن المغيرة بالسيف على مغفره فقده الى القربوس فقيل ما أجود سيفك فغضب يريد ان العمل ليده لا للسيف وذكر المؤرخون ان عليا رضى الله عنه قتل من الخوارج يوم النهروان الفى نفس وكان يدخل فيضرب بسيفه حتى ينثنى ويخرج ويقول لا تلومونى ولوموا هذا ويقومه بعد ذلك وقال بعض شعراء الاندلس

فعاقر سيفك حتى انثنى * وعربد رمحك حتى انكسر
وكم نبت فى حربهم عن على * وناب عن النهروان النهر

ومن ضربات على المشهورة ضربته رضى الله عنه مرحبا فانه ضربه على البيضة ضربة فقدها وقده نصفين وما أحلى قول أبى الحسين الجزار يمدح على بن سيف الدين قليج

أقول لفقرى مرحبا التيقنى * بأن عليا بالمكارم قاتله

وضربته عمرو بن عبد ود العامرى وكان جبارا عنيدا غليظا عتلا من الرجال فقطع فخذه من أصلها ونزل عمرو فاخذ فخذ نفسه فضرب بها عليا فتوارى عنها فوقعت فى قوائم بعير فكسرتها وقال شرف الدين بن الفارض

ذو الفقار اللحظ منها أبدا * والحشا منى عمرو وحيى

وذكر أسعد بن مماتى فى كتاب روائع الوقائع قال حدثنى بعض البغداديين انه كان ببغداد سياف يقال له أبو بكر السجان فامر بقتل قوم من القطاع فربط أربعة ظهر واحد الى آخر ثم ضرب بسيفه الرقاب الاربع فقطعها ويقال أكذب بيت قالته العرب قول الشاعر

تظل تحفر عنه ان ضربت به * بعد الذراعين والساقين والهادى

وقول الطغرائى يشبه قول ابن خفاجة

وما السيف لولا الحرب الاحديدة * وما الرمح الا خوطة تتأود

وقوله ايضا

والحر مفتقر الى عز الغنى * فقر الحسام الى يمين الفارس

وقوله ايضا

فما احتمى جانب لم يحمه ملك * ولا مضى صارم لم يمضه بطل

وقال أبو الطيب

فى

ذلك وجمع جموعا من النواحى فخرج فغلب على مياه البصرة والكوفة وهمدان والرى وقم وأصفهان وأقام بأصفهان وكان الذى أخذ له البيعة محارب بن موسى اليشكرى فدخل دار الامارة بنعل ورداء وجعل الناس يجتمعون عليه فاخذهم بالبيعة فقالوا على ماذا فقال على ما أحببتم وكرهتم وكتب الى الامصار يدعو الى نفسه واستعمل اخوته على كرمان وشيراز وغيرهما وقصدته بنو هاشم السفاح والمنصور وعيسى ابن على ووجوه قريش من أمية وغيرهم فمن أراد عملا ولاه ومن أراد صلة وصله وأحسن اليه وكان سمح الكف كريم الاخلاق حكى ابن هرم قال قصدته فوجدت الناس بعضهم على بعض ببابه فرآنى بعض خدمه فعرفنى أن عامتهم غرماء له أرباب ديون فقلت هذا شر لى ثم دخلت عليه فقلت لم أعلم والله بهذه الغرماء فقال لا عليك أنشدنى فاستحييت فأبى الا أن أنشده فأنشدته أبياتا حسنة منها

ترى الخير يجرى فى أسرة وجهه
كما لألأت فى السيف بهجة رونق

فتى عـلا الافعال رأيا وحكمة * وبادرة أحيان يرضى ويغضب
اذا ضربت في الحرب بالسيف كفه * تبينت ان السيف بالكف يضرب

وأخذه بن سناء الملك غصبا وجرد عليه في الاغارة عضبا فقال

فلا تحسبوا بالكف جود نصله * ولكنه قد جود الكف بالنصل

وقد جرت عادة الشعراء بان يشبهوا جوهر السيف بدب النمل قال امرؤ القيس

متوسدا عضبا مضاربه * في متنه كدبية النمل

وقال البحتري

وكأنما سود النمال وحمرها * دبت بايد في قراه وارجل

وقال أبو العلاء المعري في السيف

سليل النار دق ورق حتى * كأن اباه أورثه السلالا
محلى البرد تحسبه تردى * نجوم الليل وانتعل الهلالا
مقيم النصل في طرفي نقيض * يكون تباين منه اشتكالا
تبين فوقه ضحضاح ماء * وتبصر فيه للنار اشتعالا
اذا ابصر الامير وقد نضاه * بأعلى الجوّ ظن عليه آلا
ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعدما مسخت نمالا

وقال ايضا

وكل أبيض هندي به شطب * مثل التكسر في جار بمنحدر
تغايرت فيه أرواح تموت به * من الضراغم والفرسان والجزر
روض المنايا على ان الدماء به * وان تخالفن ألوانا من الزهر
ما كنت أحسب جفنا قبل مسكنه * في الجفن يطوى على نار ولا نهر
ولا ظننت صغار النمل يمكنها * مشيا على اللج أو سعيا على السعر

وقد ضمنت آخر القطعة الاولى من شعر المعري في وصف عذار أشقر وآخر القطعة الثانية ايضا في وصف العذار وأوردتهما من جملة ما أوردته لي من النظم في التضمين عند قوله فيم الاقامة بالزوراء البيت وقال كشاجم

كأن نمـلا دارجا * صعد فيه وهبط
ماض ترى في متنه * ماء بنار مختلط
يقد ان أعملته * طولا وان عارض قط

يقال القد هو القطع طولا والقط هو القطع عرضا وقال الوزير أبو محمد بن عبد الغفور

تريه المنايا الحمر فيه وجوهنا * مماثلة الارواح في صورة الذر

وهو مأخوذ من قول المعري فيما تقدم وأخذه الآخر فقال واجاد

جداول ماء ما تسوغ لوارد * ترى النمل غرقى فيه غير الاكارع

وقال الطغرائي من أبيات

وابيض طاغي الحد يرعد متنه * مخافة عزم منك أمضى من النصل
عليم باسرار المنون كأنما * على مضربيه انزلت سورة القتل

فاقر لي بما كان عنده من المال لبعض الغرماء والله لا يملك غيره ثم لم يزل عبد الله مقيما بنواحي فارس التي غلب عليها حتى ولي مروان ابن محمد الجعدي فوجه اليه عامر بن ضبابة في جيش كثيف فسار اليه حتى اذا قرب من أصبهان ندب عبد الله أصحابه للخروج فتثاقلوا عليه ولم يفعلوا فخرج على دهش هو واخوته قاصدين خراسان وقد ظهر أبو مسلم بها وطمع في نصرته فأخذه أبو مسلم فحبسه عنده وجعل عليه عينا فرفع عنه انه يقول ليس في الارض أحمق منكم يا أهل خراسان في طاعتكم لهذا الرجل قبل أن تراجعوه في شئ وتسألوه عنه والله ما رضيت الملائكة بهذا عن الله عز وجل حتى راجعته في أمر آدم عليه السلام فقالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء حتى قال تعالى اني أعلم ما لا تعلمون فشدد عليه أبو مسلم ثم كتب اليه عبد الله رسالته التي يقول فيها الى أبي مسلم من الاسير في يديه بغير خلاف عليه أما بعد فانك مستودع ودائع ومولى صنائع وان الودائع مرعية والصنائع عارية

تفيض نفوس الصيد دون غراره * وتطفح عن متنيه فى مدرج النمل

وقال البحترى

حملت حمائله القديمة بقلة * من عهد عاد غضة لم تذبل

ومن هنا استمد ابن هانئ وما استبد فقال

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

وابن سناء الملك أيضا من هنا أخذه واقتطعه وفلذه فقال

ظباه كمثل البقل لونا وانها * لترعى العدا رعى الظباء من البقل

وقال بن خفاجة

ومرقرق الافرند يمضى فى العدا * أبدا فيفتك ما يشاء وينسك

وكأنه والماء يجرى فوقه * جذلان يبكى للسرور ويضحك

وقال أيضا

وابيض عضب حالف النصر صاحبا * فكاد ولم يستل يمضى فيفتك

يبشره بالنصر ارهاف نصله * فيهتز فى كف الكمى ويضحك

وما أحسن قول القائل

تدب المنايا الحمر فى جنباته * على جامد فى الكف فى العين ذائب

وقال مهيار على طريق اللغز

وابن سمرت به اذ قيل لى ذكر * فصنته وبصان الدر فى الصدف

أخشى الرياح عليه أن تهب فما * تراه فى غير حجرى أو على كتفى

أغار عجبا عليه ان أقبله * يوما وتقبيله أدنى الى شرفى

يتيه من فوق كرسى وهبت له * من اللجين بقدقام كالالف

وانشدنى من لفظه لنفسه المولى الحكيم شهاب الدين أحمد بن يوسف الصفدى بالقاهرة المحروسة سنة سبع وعشرين وسبعمائة ما يكتب على سيف

أنا أبيض كم جئت يوما أسودا * فاعدته بالنصر يوما أبيضا

ذكرا اذا ما استل يوم كريهة * جعل الذكور من الاعادى حيضا

اخيال ما بين المنايا والمنى * وأجول فى وسط القضايا والقضا

(ما كنت أوثر أن يمتد بى زمنى * حتى أرى دولة الاوغاد والسفل)

(اللغة) أوثر أثرت فلانا على نفسى اخترته وورجل أثر على فعل بضم العين اذا كان يختار على أصحابه أفعالا ويستأثر بها من الاخلاق الحسنة وغيرها قيل ان شيخ الشيوخ صدر الدين قدم من بغداد رسولا الى السلطان صلاح الدين فحضر يوما عنده فلما قام قدم صلاح الدين مداسه فاراد الشيخ لبسها فقال القاضى الفاضل هذا النعل تشرفت وما بقيت تصلح الا للرؤس فقال الشيخ صدر الدين باسم الله أنا فقير ومذهبى الايثار فلم يحر القاضى الفاضل جوابا وحكى ان أبا نواس كان فى يوم شديد البرد وعليه فروة فمر به بعض السؤال فطلب منه ما يلبسه فقال ما أملك غير هذه الفروة فقال السائل ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة فقال أبو نواس هذه الآية أنزلها الله تعالى فى الحجاز فى شهر تموز فيما ولو كل ولم ينزلها فى شهر كانون فى الرهى

فاطلب الخلاص والا فاذكر القصاص فانك لاق ما أسلفت وغير لاق ما خلفت وفقك الله لما ينجيك والهمك شكر ما خولك فلما قرأ كتابه رمى به ثم قال أفسد علينا أصحابنا وهو محبوس فى أيدينا فلو خرج وملك أمرنا لاهلكنا ثم أمضى تدبيره فى قتله فدس اليه سما فمات ووجه برأسه الى ابن هبيرة فحمله الى مروان ومن شعره ويتعلق به حكاية حكاها ابراهيم الموصلى قال بينما أنا عند الرشيد وعنده ابن جامع وعمرو الغزال وغيرنا من الندماء والمغنين اذ قال صاحب الستارة لابن جامع تغن من شعر عبد الله بن معاوية ولم يكن بن جامع يغنى فى شئ من شعره ولا يعرفه وكنت قد تقدمت فيه فارتج على ابن جامع فلما رأيت ما حل به اندفعت فغنيت لعبد الله

يا يم بحمل وما أن يرى
له من سبيل الى حله
كأن لم يكن عاشق قبله
وقد عشق الناس من قبله
فمنهم من الحب أودى به
ومنهم من أشفى على قتله

فاذا بد رفعت الستارة ونظر الى وقال أحسنت والله أعده فأعدته فجاء فراش ببدرة فوضعها تحت فخذى ثم قال

فيما يلمس وسأل بعض السؤال من آخر فقال يفتح الله فالح في السؤال ولم يحصل منه شئ فقال أين الذين يؤثرون على أنفسهم فقال ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس الحافا (رجع) يمتد مددت الشئ فامتد أي اتصل والمادة لغة الزيادة متصلة ومد الله في عمره ومده في غيه أي أمهله وطول له زمني الزمان والزمن اسم لقليل الوقت وكثيره ويجمع على أزمنة وأزمان وأزمن دولة الدولة في الحرب أن تدال احدى الفئتين على الاخرى يقال كانت لنا عليهم الدولة والجمع الدول والدولة بالضم في المال يقال صار المال دولة بينهم يتداولونه يكون مرة لهذا ومرة لهذا والجمع دولات ودول الاوغاد جمع وغد وهو الدنئ الذي يخدم بطعام بطنه والسفل جمع سفلة والسفلة سقاط الناس ولا تقل هو سفلة لانه جمع (الاعراب ما) حرف نفي وقد تقدم الكلام عليها (كنت) كان ترفع الاسم وتنصب الخبر وهي فعل وهو مذهب الاكثرين وقال بعضهم بل هي حرف لانها لا مصدر لها ولو كانت فعلا لدلت على المصدر ولما احتيج ان يعقد لها باب يخصها وليس ذلك بشئ قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس في كان وأخواتها لم يختلف أحد في فعلية شئ منها الا ليس فان أبا علي ذكر في المسائل الحلبيات ان ليس حرف وطول في الاستدلال على ذلك وكذلك استدل أيضا على حرفيتها في أول الايضاح الشعري له وكذلك نقل عن ابن السراج أنه قال بفعلية ليس تقليدا وفي كلام سيبويه اشارة الى حرفيتها محتملة للتاويل وهو قوله في باب حروف أجريت مجرى حروف الاستفهام هذا بعض كلام الشيخ بهاء الدين وهي ناقصة اذا استوفت اسمها وخبرها كقوله تعالى وكان الله عليما حكيما وتامة اذا استوفت مرفوعها واستغنت به كقوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة وهي بمعنى وجد وزائدة في مثل قول الشاعر

سراة بني أبي بكر تسامى * على كان المطهمة الجياد

وقول الآخر

فكيف اذا مررت بدار قوم * وجيران لنا كانوا كرام

قلت قد مثل بهذا البيت جماعة من أهل العربية شاهدا على زيادتها وهو مشكل لانهم لم يقولوا بزيادتها وزيادة اسمها فانها هنا مع اسمها أما في البيت الاول فسلم انها زائدة لانها لم يصحبها اسمها وأما في البيت الذي أوردوه فيحتمل ان تكون على بابها مع التقديم والتأخير والتقدير وجيران كرام كانوا لنا وهذا متجه ولم أر احدا ذكره وتكون بمعنى صار كقول الشاعر

بتيهاء قفر والمطي كأنها * قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها

وقد تحتمل ضمير الشأن والقصة فتكون الجملة خبرها كقول الشاعر

اذا مت كان الناس نصفان شامت * وآخر مثن بالذي كنت أصنع

أي كان الشأن أو الحديث أو القصة الناس نصفان وهذا البيت أخذ معناه مالك بن طوق فقال في الابيات التي أنشدها الرشيد لما كان بين يديه في نطع الدم على ما ذكره المسعودي في شرح المقامات أو تميم بن جميل في واقعته مع المعتصم على ما ذكره ابن عبد ربه في العقد والواقعة مشهورة وهو

وكم قائل لا أبعد الله داره * وآخر جذلان يسر ويشمت

وقد ضمنته أنا فقلت أبياتا أرثي بها نفسي وهي

احملها الك ثم انقضى المجلس فلما كان المجلس الثاني قال صاحب الستارة يا ابن جامع تغن من شعر ابن جعفر يعني عبد الله بن معاوية فوقع في مثل الذي وقع فيه بالامس فغنيت من شعر عبد الله

سلا ربة الخدر ما شأنها * ومن أيما شأننا يعجب

فلست باول من فاته * على أربه بعض ما يطلب

وأصبح صدع الذي بيننا * كصدع الزجاجة لا يشعب

فاومى صاحب الستارة ان أمسك وأشار بيده الى انه يبكي فامسكت ثم قال تغن لابن جعفر وكان ابن جامع شديد الحدق فقال لو كان في ابن جعفر خير لطار مع أبيه ولم يقبل على قول الشعر فسمعنا ضحك الرشيد ثم أرسل الي ببدرة والى ابن جامع مثلها * واما الشعر الذي ذكر سببه فانه كان صديقا للحسين بن عبد الله ابن العباس ثم وقع بينهما أمر فتهاجرا فقال عبد الله

ان حسينا كان شيأ ملففا * فمحصه التكشيف حتى بدا ليا

وأنت أخي ما لم تكن لي حاجة * فان عرضت أيقنت ان لا أخا ليا

وعين الرضا عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدي المساويا

وأما البيت الثاني فهو قول المجنون

كأنى بهذا الجسم أصبح عاطلا * وشمل قوى بالممات مشتت
وقد عافه من كان يهوى لقاءه * وأنكره من طالما كان يثبت
وغاية من يأوى لمصرعه فتى * يفكر فيما قد عراه ويبهت
وان عطفته رحمة فى انصرافه * غدا نحوه من حسرة يتلفت
وان كان يبكيه خليل بوده * ويفجأه الرزء الجليل ويبغت
فماذا الذى يجدى على ساكن الثرى * اذا كان يبدى الحزن أو يتثبت
قضى ومضى هيهات لو ينفع البكا * كأن لم يكن من قد غدا وهو ميت
وكم قائل لا أبعد الله داره * وآخر جذلان يسر ويشمت

(رجع) ومن أمثلة كان التامة التى بمعنى وجد وحدث قول الشاعر

اذا كان الشتاء فادفئونى * فان الشيخ يهرمه الشتاء

وما أحلى قول السراج الوراق ومن خطه نقلت

ياربيع العفاة لا تقاضا * لى ولكن أقول جاء الشتاء
وأنا الشيخ والربيع الفزارى * قد عنانى وفى الكريم ذكاء

مسئلة قوله تعالى كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال ابن الانبارى فى اسرار العربية كان هنا تامة وصبيا منصوب على الحال ولا يجوز أن تكون كان ناقصة لانه لا اختصاص لعيسى عليه السلام فى ذلك لان كلا كان فى المهد صبيا ولا عجب فى تكليم من كان فيما مضى فى حال الصبا اه وقال أبو البقاء فى اعرابه كان زائدة أى من هو فى المهد وصبيا حال من الضمير فى الجار والمجرور والضمير المنفصل المقدر كان متصلا بكان وقيل كان الزائدة لا يستتر فيها ضمير فعلى هذا لا يحتاج الى تقدير هو بل يكون الظرف صلة من وقيل ليست زائدة بل هى كقوله تعالى وكان الله غفورا رحيما وقيل بمعنى صار وقيل تامة اه قلت تقدير كان فى الآية الكريمة تامة بمعنى وجد أو حدث بعيد لان عيسى عليه السلام لم يخلق ابتداء فى المهد وتقديرها زائدة أجود (رجع) كنت كان واسمها وهو تاء المتكلم فالضمير فى موضع رفع على انه اسم كان (أوثر) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن ناصب و جازم وهو فى موضع نصب على انه خبر كان تقديره ما كنت موثرا (أن يمتد) ان حرف ينصب الفعل المضارع وقد تقدم الكلام عليه و يمتد فعل مضارع منصوب بأن وان هنا مصدرية فهى وما دخلت عليه فى تأويل مصدر وتقديره ما كنت أوثر امتداد زمانى (بى) الباء هنا للتعدية والياء مجرورة بالباء وهو متعلق بيمتد (زمنى) فاعل يمتد وعلامة رفعه ضمة مقدرة على النون وانما لم تظهر الضمة لاضافته الى ياء المتكلم وعلى كل حال فان زمنى فاعل ان قلت ان أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر أو تركت الفعل على ظاهره فان المصدر يضاف الى الفاعل وتقديره ما كنت أوثر امتداد زمنى (حتى) تقدم الكلام على حتى فى قوله طال اغترابى البيت وهى هنا لانتهاء الغاية ومعنى الكلام الى أن (أرى) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة ولم يظهر النصب لانه معتل الطرف بالالف فالنصب بفتحة مقدرة على الالف وانما كتب بالياء لانك تقول رأيت (دولة الاوغاد) دولة منصوب على أنه مفعول به والاوغاد مجرور بالاضافة المعنوية بمعنى اللام (والسفل) مجرور بالعطف على الاوغاد

اما بك اجلالا وما بك قدرة
على ولكن ملء عين حبيبها
وهو قيس بن الملوح بن مزاحم من بنى عامر بن صعصعة شاعر غزل سكن البادية عمره وتوفى فى آخر دولة بنى أمية وهو المعروف بمجنون ليلى ويقال انه لم يكن مجنونا وانما الرواة وضعت ذلك عليه وحكى ابن داب قال قلت لرجل من بنى عامر أتروى من شعر المجنون شيأ فقال أوفرغنا من العقلاء حتى نروى للمجانين انهم لكثير فقلت انما أعنى مجنون بنى عامر الشاعر الذى قتله العشق فقال هيهات بنو عامر أغلظ أكبادا من ذلك انما يكون هذا فى اليمانية الضعاف قلوبها السخفة رؤسها فأما نزار فلا وقال الاصمعى الصحيح ان الاشعار والوجد لقيس ولكنه لم يكن مجنونا انما كانت فيه لوثة احدثها العشق وكان قد عشق جارية من قومه تسمى ليلى بنت سعد وعلق كل منهما بصاحبه وهما حينئذ صبيان يرعيان مواشى اهلهما فلم يزالا كذلك حتى كبر وحجبت عنه وفى ذلك يقول
تعشقت ليلى وهى ذات ذؤابة
ولم يبد للأتراب من ثديها حجم

(المعنى) ما كنت أظن الزمان يمتد بي في عمري حتى تنقضي دولة الكرام وأرى فيما بعد دولة الاوغاد والسفل وهو يشبه قول أبي الطيب

ما كنت أحسبني أبقى الى زمن * يسيء بي فيه كلب وهو محمود

وهذا قاله أبو الطيب في بعض أهاجي كافور الاخشيدي وقد أجازه قبل قدومه عليه ويقال انه في أول الامر أمر له بضيعة ابن خصيب اقطاعا فلم يرض ذلك وما كان يقصد الا الولايات على الاعمال والامرة ونظم فيه هذه القصيدة وهي من أخبث أهاجيه فيه فمنها

من علم الاسود المخصي مكرمة * أقومه البيض أم آباؤه الصيد

ومنها قوله

وذاك ان الفحول البيض عاجزة * عن الجميل فكيف الخصية السود

ومن غرر مدائحه فيه قوله بعد وصف الخيل

قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فجاءت بنا انسان عين زمانه * وخلت بياضا خلفها وماقيا

وما مدح أسود بابلغ من هذا ولا أحسن وعلى ذكر كافور أنشدني من لفظه لنفسه المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي من قصيدة يصف في آخرها

فاستجل بكر قصيد لا صداق لها * سوى القبول وود غير مكفور

على أبي الطيب الكوفي مفخرها * اذ لم أضع مسكها في مثل كافور

وهذا في غاية الحسن ونقلت من خط القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر من نسخة جواب أجاب به تجريدة للخاطر عن السلطان صلاح الدين يوسف لما ورد عليه الكتاب الصادر من الامام الناصر يتضمن الانكار عليه في فصول متعددة فقال وترى من هم القائلون أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه أمثل الماضين اليه أولا ولا مثل لهم فمن جاء أخيرا وقد علم كل منهم ما عاملوا به الخلافة تضييقا وتقتيرا او كونهم عوضوا عن الالوف برسم النفقات من فضة قدروها تقديرا ولا خفاء بمناقضة أحمد بن طولون لما كان بمصر أميرا والاخشيدية حين طافت على الدولة تسلطا بكأس كان مزاجها كافورا اه وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة في خادم اسمه كافور

يا لائمي في خادم لي سيد * قسما لقد زدت الملام نفورا

ولقد أدرت على المسامع شربة * في الحب كان مزاجها كافورا

(رجع) ومما يدخل في بيت الطغرائي قول أبي اسحق ابراهيم الغزي

لئن حلبنا صروف الدهر أشطرها * فكلنا بصروف الدهر جهال

فلا تغرنك الدنيا بمن رفعت * فلا حقيقة فيما يرفع الآل

الحمد لله أفضينا الى دول * تعلو وليس لنا فيهن آمال

وقال آخر

قد دفعنا الى زمان لئيم * لم تنل منه غير غل الصدور

وبلينا من الورى بأناس * تركتهم اعجازهم في الصدور

ومثل هذا قول الآخر

صغيرين نرعى البهم ياليت اننا
الى الآن لم نكبر ولم يكبر البهم

حكى ابن عمارة المري قال حضرت الى أرض بني عامر لالقى المجنون فدللت على مجلسه فلقيت اباه شيخا كبيرا وحوله اخوة المجنون فسألته فقال انه كان والله عندي أبر من هؤلاء جميعا وانه عشق امرأة من قومه ما كان يطمع مثلها في مثله فلما فشا امرهما كره ابوها ان يزوجها اياه بعد ما ظهر من امرهما فزوجها من غيره وأول ما ظهر من حبه لها انه طرقنا أضياف ذات ليلة ولم يكن عندنا أدم فبعثته الى ابي ليلى فوقف على خبائه وصاح به فقال ما تشاء فقال طرقنا أضياف ولا ادم لنا فارسلني أبي اليك فقال يا ليلى اخرجي ذلك النحي فاملئي له اناءه من السمن فاخرجته ومعه قعب فجعلت تصب السمن في الاناء وهما يتحدثان فألهاهما الحديث وهي تصب السمن وقد امتلأ القعب وقد سال واستنقعت أرجلهما من السمن ولا يشعران به فرآهما أبوها على تلك الحال فامره بالانصراف وحجبها عنه فلما زوجها ازداد هيامه وكانا في بعض الاوقات يتحدثان ففطن بهما زوجها

قال الانام وقد رأو * دمع الحداثة قد تصدر
من ذا المجاوز قدره * قلت المقدم بالمؤخر

ومن هذه المادة قول الآخر

ما ركب المهرة مسروجة * لولا ركوب المهر عريانا

وكان عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير قد عزل من الوزارة ثم أعيد اليها بسبب مصاهرته لنظام الملك الوزير حين زوجه نظام الملك ابنته فقال الشريف بن المبارية في ذلك

قل للوزير ولا تفزعك هيبته * وان تكبر واستعلى بمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية * فاشكر حرا صيرت مولانا الوزير به

وقد صنف بعض المتأخرين مجلدا سماه الآس في ذكر من رأس بالكس وجمع وقال شريف ابن المبارية أيضا

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها * ما في البرية كلها انسان
واذا البيادق في الدسوت تفرزنت * فالرأى أن يتبيدق الفرزان

وقال محمد بن شرف القيرواني

قالوا تضاهات الجميـ * ـر فقلت من عدم السوابق
خلت الدسوت من الرخا * خ ففرزنت فيها البيادق

وقال آخر

تبا الدهر قد أتى بعجاب * ومحا فنون العلم والآداب
وأتى بكتاب لو انبسطت يدى * فيهم رددتهم الى الكتاب

وقالوا آخر

قالوا فلان قد وزر * فقلت كلا لا وزر
الدهر كالدولاب ليـ * ـس يدور الا بالبقر

وقال آخر

لوان أشياخنا كانت لهم همم * تبغى رياستنا لم ترأس البقر
لكنهم وقضا الله محتمل * ليسوا من الناس الا انهم بشر

وقال آخر

هون عليك فقد مضى من يعقل * والبس من الاخلاق ما هو أفضل
فلقلما تأتى الليـالى مسرة * الا تتابع بعدها ما يشكل
واذا خبرت الناس لم تلق امرأ * ذا حالة ترضيك لا تتحول
لكنهم فكبيتهم أحوالهم * كل يعيب ولا يرى ما يفعل
فساتر ضعفت قوى آرائه * ومجاهر يرمى ولا يتأمل
ومقلد متعقل متأدب * فاذا اختبرت فباقل وهو أعقل

وقال ابن الساعاتي

والخل من ناش في الخطوب بضبعـ * ـيك ومن سدرتقه خلالك
ما أنزل العلية الكرام وما * أكثر يا دهر بيننا سفلك

فتدله وجن جنونه وهام مع الوحش يأكل معها من البقل ويرد المياه ولا يجده من يطلبه الا قليلا فعجبت من أمره ويئست من لقائه وانصرفت * وحكى بعض بني عامر قال مررت بالمجنون وهو على تل رمل قد خط باصابعه خطوطا فدنوت منه فنفر كما ينفر الوحش فجلست معرضا عنه فلما طال جلوسي سكن واقبل يخط باصابعه فقلت احسن والله القائل

واني لمفن دمع عيني بالبكا
حذار الذي قد كان او هو كائن

فلما سمعني بكى حتى ابتل الرمل الذي بين يديه ثم قال انا والله اشعر منه حيث اقول

وادنيتني حتى اذا ما ملكتني
بقول يحل العصم سهل الاباطح
تجافيت عني حيث لا لي حيلة
وخلفت ما خلفت بين الجوانح

ثم سنحت له ظباء فقام يعدو معها وعدت اطلبه اياما الى ان وجدته في واد كثير الحجارة خشن وهو بين تلك الحجارة ميت فاتيت اهله فاعلمتهم فاحتملوه ودفنوه ولم يبق فتاة من بنات الحي من بني جعدة وبني الحريش الا خرجت حاسرة ولم ير باكيا احد مثل

وما أحلى قول شرف الدين المنادى

ولا خير فى عيش الفتى بين معشر * تعالوا على اخوانهم فتسافلوا

ومن هذه المادة ما نقلته من خط السراج الوراق له

ظننت بكم خيرا ولم أر يا مه * ووجه رجائى فيكم قد تصفرا
وما لكم ذنب ولكن لغالط * تفرس خيرا فيكم فتحمرا
وأنتم سمتم ولم تتجملوا * فلم نرمنا أدميا ولا برى

ونقلت منه له أيضا

اذا لم نرتفع عن سفل قوم * علوا وعلت مراتبهم علينا
صبرنا والزمان يرى علينا * تعاظمهم فينزلهم الينا

ونقلت منه له أيضا

وكم سيد يستوجب الرفع قدره * غدا شاكيا من لحن أيامه خفضا
ومستفل يدعى رئيسا لقومه * كذاك الخصى يدعى رئيسا من الاعضا

ونقلت من خط القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر له

وكم قيل قوم فى المجالس خوطبوا * وذاك دواجهالهم فى التنافس
فقلت لهم ماذاك بدع * وانه لعند الدوا يدعى الخرا بالمجالس

قلت كذا نقلته من خطه ولو قال ايدعى الخرا عند الدوا بالمجالس لكان أتم معنى وأحسن

ونقلت منه له يعرض بذكر الملك الصالح علاء الدين على ابن الملك المنصور قلاوون

كنا وكانوا ان اتت سفرة * وسلفونا جملة سامحوا
واليوم صاروا يستعيدونها * فقلت مرا السلف الصالح

وأنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان فيما أظن قال أنشدنى ناصر الدين حسن بن النقيب اجازة لنفسه

ابلم قلدوه أمر الرعايا * وهو من حلية الوزارة عطل
فهو بالبوق فى الوزارة طبل * وهو فى الدست حين يجلس سطل

ولابن النقيب ايضا

اذا صرصر البازى فلا ديك صارخ * ولا فاخت فى أيكة يترنم
وما الموت الاطيب طعمه اذا * تدايك فروج وزبب حصرم

وقال ابن سناء الملك

الموت اولى بالفتى * من عيشة فى الذل غبرا
واذا تملكت الشا * م فان موت الحر احرى

ومن مادة قول محيى الدين بن عبد الظاهر المتقدم قول الآخر

مرض الزمان وقد تمسك طبعه * من شرقولنج به يتمغس
حقنته آراء الملوك فخاءه * اهل المناصب كل شخص مجلس

(تقدمتنى اناس كان شوطهم * وراء خطوى لو امشى على مهل)

(اللغة) تقدمتنى صارت امامى اناس هو الاصل فى الناس فخفف ولم يجعلوا الالف واللام

ذلك اليوم * ومن محاسن ماروى من شعره

ألى القلب الاحبها عامرية * لها كنية عمرو وليس لها عمر
تكاد يدى تندى اذا ما لمستها * وينبت من أطرافها الورق الخضر

(وقوله)

فوالله ما أدرى علام صرمتنى * ولا اى امرى فيك بالليل اركب
أأقطع حبل الوصل فالموت دونه * أم أشرب ريقا منكم ليس يشرب
ولو تلتقى اصداؤنا بعد موتنا * ومن فوق رمسينا صفيح منصب
اظل صدى رمسى وان كنت رمة * لصوت صدى ليلى يهش ويطرب

(وقوله)

أقول لاصحابى هى الشمس ضوءها * قريب ولكن فى تناولها بعد
وقد يبتلى قوم ولا كبليتى * ولا مثل جدى فى الشقاء لكم جد
ومافى الا العظام والجلد عاريا * ولا عظام لى ان دام هذا ولا جلد

(وقوله)

فيه عوضا عن الهمزة المحذوفة لانه لو كان كذلك لما اجتمع مع المعوض منه فى قول الشاعر

ان المنايا يطلعـن على الاناس الآمنينا

وقد يكون الناس من الانس ومن الجن واختلفوا فى اشتقاقه فقيل مأخوذ من ناس ينوس اذا تحرك وسمى الحسن بن هانئ ابانواس لانه كانت له ذؤابتان تنوسان فى احد القولين قلت وهذا باطل لانه يصدق الانسان بهذا على الملك والانسان والشيطان بل على الحيوان والفلك لان الجميع متحرك وقيل بل من الانس وهو السكون والالف وقيل من النسيان قال الله تعالى ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى وقال ابو تمام الطائى

لا تنسين تلك العهود فانما * سميت انسانا لانك ناسى

وقال ابو الفتح البستى

يا اكثر الناس احسانا الى الناس * واكرم الناس اغضاء عن الناسى
نسيت وعدك والنسيان مغتفر * فاغفر فأول ناس أول الناس

وقال بن سناء الملك من مرثية

فلئن سلوتك ناسيا لا عامدا * فالذنب للنسيان لا السلوان
وعوائد النسيان فينا خلة * موروثة من ذلك الانسان

ونقلت من خط علاء الدين على بن مظفر الكندى الوداعى ما صورته وحدثنى بعض المشايخ عن الشيخ يوسف الفقاعى انه كان يقول مسكين الانسان ما ذكره الله تعالى فى القرآن الا فى مكان ذم أو شر مثل قوله قتل الانسان ما أكفره وكان الانسان عجولا ويا أيها الانسان ما غرك بربك الكريم فأعجبنى هذا المعنى فنظمته بقولى

يا أيها الانسان لا * تفخر بغير تقى وعلم
وانظر فأكثر ما أتى الـقرآن باسمك عند ذم

(رجع) شوطهم الشوط الطلق وطاف بالبيت سبعة أشواط من الحجر الى الحجر شوط واحد وراء بمعنى خلف وقد يكون بمعنى أمام قال الله تعالى وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا أى أمامهم وقال تعالى وانى خفت الموالى من ورائى أى من بين يدى وقال الشاعر

ذاك خليلى وذو يواصلنى * يرمى ورائى بامسهم وامسلمه

ويمكن التأويل فى ذلك كله ويرد الى الاصل خطوى الخطوة بالضم ما بين القدمين وجمع القلة خطوات وخطوات بضم الطاء وفتحها وسكونها وجمع الكثرة خطا والخطوة بالفتح المرة الواحدة والجمع خطوات بالتحريك وخطاء مثل ركوة وركاء مهل المهل بالتحريك التؤدة والتأنى (الاعراب تقدمتنى) فعل ماض والتاء علامة لتأنيث الفاعل الآتى والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول فهى فى موضع نصب (أناس) مرفوع على انه فاعل تقدم الكلام عليها (شوطهم) مرفوع على انه اسم كان والهاء والميم فى موضع جر بالاضافة (وراء) ظرف والعامل فيه النصب خبر كان المحذوف تقديره كان شوطهم مستقرا وراء (خطوى) مخفوض بالظرف والياء فى موضع جر بالاضافة (لو) تقدم الكلام عليها (أمشى) فعل مضارع مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم والضم فيه مقدر على الياء لانه معتل الطرف بالياء (على مهل) على حرف جر ومعناه الاستعلاء والجار والمجرور فى موضع نصب على الحال تقديره أمشى متمهلا

أردد عنك النفس والنفس صبة
بذكراك والممشى اليك قريب
مخافة أن تسعى الوشاة بظنة
وأكرمكم أن يستريب مريب
ولو أن ما بى بالحصا فلق الحصا
وبالريح لم يسمع لهن هبوب
ولو اننى أستغفر الله كلما
ذكرتك لم تكتب على ذنوب

(وقوله)

وماذا عسى الواشون أن يتحدثوا
سوى أن يقولوا اننى لك عاشق
نعم صدق الواشون أنت حبيبة
الى وان لم تصف منك الخلائق
كأن على أنيابها الخمر شجها
بماء سحاب آخر الليل غابق
وما ذقته الا بعينى تفرسا
كما شيم فى أعلى السحابة بارق

واما الابيات التى ذكر من أجلها فهى قوله عفا الله تعالى عنه وسامحه

دعا المحرمون الله يستغفرونه
بمكة يوما أن تمحى ذنوبها
وناديت يا رباه أول سؤلتى
لنفسى ليلى ثم أنت حسيبها
فان أعط ليلى فى حياتى لم يتب
الى الله عبد توبة لا أتوبها
أهابك اجلالا وما بك قدرة
على ولكن ملء عين حبيبها

وموضع كان وما دخلت عليه الرفع على انه صفة لاناس تقدره أناس كأن شوطهم وبعضهم رواه وراءخطوى اذ أمشي على مهل وفي هذه الرواية فائدة ليست في الاولى لان اذ ظرف لما مضى من الزمان وهذا يدل على انه كان قد تقدم له رفعة وعلو وأولئك كانوا امتأخرين عنه وعلى الرواية الاولى يفهم من لو الشرطية فيكون معناه لو حصل لي مشي على مهل في الرفعة لكان شوطهم وراءخطوي والاولى اشعر في حق الطغرائي (المعنى) صار أمامي وعلاني وتقدمني قوم كان جريهم خلف خطوي اذا مشيت متمهلا وهذا مبالغة في سوء الحال وانحناء الزمان عليه بان تعوقه الايام والليالي عن السعي حتى يتقدمه الذين كانت نهايات أشواطهم اذا بلغوها وراءخطوه المتمهل نعم

ان المقادير اذا ما مضت * ألحقت العاجز بالحازم

ولكن من رمي بهذا السهم الصائب من المصائب ومني من الزمن الخائن بهذه النوائب حقيق بان يتظلم ويتشكى ويتألم ويتكلف لأن يقول له حيث لم يتكلم

اذا لم يكن للفضل ثم مزية * على النقص فالويل الطويل من الغبن

وقوله كان شوطهم وراءخطوي البيت يشبه قول هشام الرقاشي

تقدمتني اناس مايكون لهم * في الحق أن يلجوا الابواب من دوني

وقول موسى بن الطائف من قصيدة

يامبصر اعميت نواظر فهمه * عن كنه عرضي في البديع وطولي

لو كنت تعقل ماجهلت مقاومي * من ضاق فرسخه بخطوة ميل

الفرسخ ثلاثة أميال والميل ألف باع والباع أربعة أذرع والذراع أربعة وعشرون أصبعا والاصبع ست شعيرات توضع بطن هذه لظهر هذه والشعيرة ست شعرات من ذنب بغل والبريد أربعة فراسخ وقال مجير الدين محمد بن تميم

ياقوم قد بلغ قول الخنا * عني الى المحب بلا علم

من خنجري أطول من سيفه * ورمحه أقصر من سهمي

والطغرائي زاد على هشام الرقاشي بمبالغتين وهما ان شوط أولئك وراءخطوه وان خطوه كان مع ذلك متمهلا وعلى موسى بن الطائف بمبالغة واحدة وهي المهل والدعوى في المبالغة منحصرة في ثلاثة أقسام الغلو والتبليغ والاغراق ودليل الحصر أن الدعوى اما أن تكون ممكنة أولا فان لم تكن ممكنة كانت غلوا وان كانت ممكنة فاما أن يصح وقوع ذلك عادة أولا فان صح كان تبليغا وان لم يصح كان اغراقا فالغلو كقول مهلهل

فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

وما أظرف قول القائل

وسائلة عن الحسن بن وهب * وعما فيه من كرم وخير

فقلت هو المهذب غير أني * أراه كثير ارخاء الستور

وأكثر مايغنيه فتاه * حسين حين يخلو بالسرور

فلولا الريح أسمع من بحجر * صليل البيض تقرع بالذكور

ويقال انه كان بين حجر وموضع الوقعة عشرة أيام ولهذا قيل فيه انه أكذب بيت قالته العرب ومن هذا الباب أبيات أبي الطيب

وماهجرت تلك النفس يا ليل انها
قليل ولكن قل منك نصيبها
وأما البيت الثالث فهو قول ابن أبي ربيعة
فتضاحكن وقد قلن لها
حسن في كل عين من تود
وهو عمر بن عبدالله ابن أبي ربيعة المخزومي القرشي ويكنى ابا الخطاب شاعر مجيد صاحب ثروة ومجون وجميع شعره في الغزل ولايمتدح أحدا ولذلك قال له سليمان ابن عبد الملك لم لاتمدحنا فقال انما أمدح النساء لا الرجال وكان يقال ان العرب كانت تقر لقريش بالتقدم عليها الا في الشعر حتى كان ابن أبي ربيعة فأقرت لها في الشعر أيضا ولم تنازعها شيأ * ولد ليلة قتل عمر بن الخطاب فكان يقال اى حق رفع واي باطل وضع يعنون كثرة معاشرته للنساء وتغزله بهن ومات بعد أن تاب وقد ناهز الثمانين وقيل انه فتك أربعين ونسك أربعين ودخل عليه أخوه عند موته وقد جزع عليه فقال له عمر أحسبك تجزع لما تظنه بي والله ما أعلم أني ارتكبت فاحشة قط فقال ما كنت أشفق عليك الامن ذلك وحكى الجرمي أن عمر بن أبي ربيعة كان مشتهرا بحب

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه * الابيات وهو كثير في كلامه والتبليغ كقول امرئ القيس

عداء عدا بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

لان هذا ممكن في حق الفرس أن يدرك الثور والنعجة ولم يعرق كي لا يحتاج الى أن يغسل وما أظرف قول شرف الدين بن عنين

ولما رأينا المغرى بخدمة الشـ * ـمؤيد مثل الراهب المتبتل
سألناه هل في ظله لك مربع * وهل عندهم دارس من معول
فقال أنا المسدى اليه تفضلي * وكم من يد لي عنده وتطول
أسد اذا استدبرته منه فرجة * بمجرد قيد الأوابد هيكل
وأشفي عليلا منه عز شفاؤه * بضاف فويق الارض ليس باعزل
ولكنني ان رمت اتيان عرسه * تمتعت من لهو بها غير معجل
وكم ليلة قد بت جذلان بينه * وبين هضيم الكشح ريا المخلخل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل
عداء عدا بين ثور ونعجة * دراكا ولم ينضح بماء فيغسل

والاغراق كقول امرئ القيس أيضا

تنورتها من اذرعات وأهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالي

فان هذا غير ممكن عادة من أن يكون انسان باذرعات ويشاهد نار يثرب وقد بالغ الناس في ضرب المثل بزرقاء اليمامة فقالوا انها كانت تنظر الفارس من مسيرة ثلاثة أيام وحكاياتها مشهورة والنفوس تنفر من تصديق هذه الدعوى في حقها فكيف تقبل دعوى من رأى من بلاد حوران بالشام نار يثرب في الحجاز وبينهما على القليل مسيرة شهر وحكى الامام فخر الدين الرازي في أول السر المكتوم أنه قال قال ثابت بن قرة ذكر بعض الحكماء كحلا يقوي البصر الى حيث يرى ما بعد عنه كأنه بين يديه وقال فعله بعض أهل بابل فحكى انه رأى جميع الكواكب السيارة والثابتة في مواضعها وكان ينفذ نور بصره في الاجسام الكثيفة فكان يرى ما وراءها فامتحنته أنا وقسطا بن لوقا ودخلنا بيتا وكتبنا كتابا فكان يقرأه علينا ويعرفنا أول سطر من الكتاب وآخره كأنه معنا وكنا نأخذ القرطاس ونكتب وبيننا وبينه جدار وثيق فأخذ هو قرطاسا ونسخ ما كنا نكتبه كأنه ينظر فيما نكتب وسأله قسطا بن لوقا عن أخ له ببعلبك فنظر ثم أخبر انه عليل وأنه ولد له مولود وطالعه ثلاثة أجزاء من الثور ففحصنا عنه فكان كما قال اه والله أعلم وقيل ان الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوي حضر ذات يوم عند القاضي بهاء الدين بن شداد قاضي حلب فجرى ذكر زرقاء اليمامة فجعل الحاضرون يقولون ما علموه من أمرها فقال الشيخ موفق الدين ان كانت الزرقاء ترى الشيء من مسيرة ثلاثة أيام فانا أرى الشيء من مسيرة شهرين قال فتعجب الكل وما أمكنهم يقولون للشيخ شيأ فقال له القاضي كيف هذا يا موفق الدين قال لأني أرى الهلال فقال له كنت تقول من مسيرة كذا وكذا سنة فقال لو قلت كذلك لعرف الحاضرون غرضي فقصدت الابهام عليهم قلت لو قال الشيخ موفق الدين لاني أنظر الشيء من مسيرة شهرين وأكثر لكان أحسن ابهاما ويقال ان هذه الزرقاء نظرت الى حمام يطير في

الثريا بنت عبد الله بن امية الاصغر وكانت حرية بذلك جمالا وتماما وكانت تصيف بالطائف وكان عمر يغدو كل غداة من مكة يسأل الركبان الذين يحملون الفاكهة من الطائف عن الاخبار قبلهم فلقي يوما بعضهم فسأله عن أخبارهم فقال ما استطرفنا خبرا الا اني سمعت عند رحيلنا صوتا وصياحا عاليا على امرأة من قريش اسمها نجم في السماء فذهب عني اسمه فقال عمر الثريا قال نعم وقد كان بلغ عمر قبل ذلك انها عليلة فوجه فرسه الى نحو الطائف يركضه ملء فروجه وسلك طريقا كل أوهى وأخشن الطرق وأقربها حتى انتهى الى الثريا وقد توقعته وهي تتشوف له وتتشوق فوجدها سليمة ومعها أختها فأخبرها الخبر فضحكت وقالت أنا والله أمرتهم لاختبر ما عندك فلذلك يقول قصيدته

يشكي الكميت الجري اذ أجهدته * ويبين لو يستطيع أن يتكلما

وحكى انها واعدته يوما فجاءت في الوقت الذي ذكرته فصادفت أخاه الحرث قد نام مكان عمر فلم يشعر الحرث الا والثريا قد ألقت نفسها عليه فانتبه وجعل يقول

الجوّ فقالت

ياليت ذا القطا لنا * ومثل نصفه ليه
الى قطاة أهلنا * اذن لنا قطا ميه

وذكر أبو حاتم أنها قالت

ليت الحمام ليه * ونصفه قديه
الى حمامتيه * تم الحمام ميه

فالحمام اذا ستة وستون ونصفه ثلاثة وثلاثون فالجملة تسعة وتسعون يضاف الى هذه الجملة حمامتها فتكمل المائة و يقال انها وقعت فى شبكة صياد فعرف عددها وأرى من المستحيل أن يتفق هذا الاحد مع التساهل فى تجويز الرؤية وسرعتها على أن احصاء هذا العدد والحمام فى طيرانه كيف يتهيأ وبعضه يتقدم وبعضه يتأخر وبعضه يتسفل و بعضه يستعلى وأغرب من هذا ماقاله النابغة فى قصيدته وهو

واحكم كحكم فتاة الحى اذ نظرت * الى حمام شراع وارد الثمد
يحفه جانبا نيق وتتبعه * مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا * الى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فالفوه كما حسبت * ستا وستين لم ينقص ولم يزد
فكملت مائة فيها حمامتها * وأسرعت حسبة فى ذلك العدد

يريد بجانبي النيق حافتي الجبل واذا كان الحمام بين جبلين ضاق المكان عليه وركب بعضه بعضا متراكما فيكون أبعد لاحصاء عدده بخلاف ما اذا كان منبسطا فى الجو وذكرت هنا ما يمتحن به الاذهان فى الحساب قالوا صفان من الحمام قال الاعلى للاسفل كم عددكم فقالوا اذا طلع منا اليكم واحد كنتم مثلينا واذا نزل منكم الينا واحد تساوينا فكم عدة كل صف الجواب الصف الاعلى سبعة والصف الاسفل خمسة مسئلة أخرى مسلمون ونصارى ويهود عدتهم عشرون دخلوا حماما وزنوا عشرين درهما المسلم وزن نصفا والنصرانى درهمين واليهودى ثلاثة كم كان عدد كل واحد منهم الجواب المسلمون أربعة عشر والنصارى خمسة واليهود واحد مسئلة أخرى رفيقان فى طريق مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فقعدا يأكلان فربهما آخر فأكل معهما وأكل كل منهم من الخبز على التساوى فلما فرغوا دفع اليهم ثمانية دراهم كيف يقسم ذلك بينهم الذى يبدو الى بادئ الرأى ان صاحب الخمسة له خمسة وصاحب الثلاثة له ثلاثة وليس كذلك والجواب ان صاحب الخمسة يستحق سبعة وصاحب الثلاثة يستحق واحدا والعلة فى ذلك ان كلا منهم أكل رغيفين وثلثى رغيف يخص كل ثلث درهم مسئلة أخرى رفيقان فى طريق مشتركان فى ثمانية أرطال زيتا أرادا قسمته بينهما ولم يكن معهما الا وعاء يسع خمسة ووعاء يسع ثلاثة فكيف الحيلة فى قسمته الجواب أن يفرغ فى وعاء الثلاثة ملئه ثم يقلب ذلك فى وعاء الخمسة ويملأ وعاء الثلاثة مرة ثانية ويفرغ منه فى وعاء الخمسة تكملة وسعه وهو رطلان ويبقى فى وعاء الثلاثة رطل واحد فيفرغ مافى وعاء الخمسة فى وعاء الاصل ويقلب الرطل الذى بقى فى وعاء الخمسة ثم يملأ وعاء الثلاثة مرة ثالثة من الاصل ويضاف للرطل الذى فى وعاء الخمسة فيجتمع فيه أربعة أرطال مسئلة أخرى بركة تمتلئ من نهر فى

أعز لى فلست بالفاسق أخزاكما الله فلما علمت بالقضية انصرفت ورجع عمر فأخبره الحرث فاغتم لما فاته وقال له اما والله لا تمسك النار ابدا وقد القت نفسها عليك فقال الحرث عليك وعليها لعنة الله * وقال عمر ما أعجبنى الا ليلى بنت عمرو لقيتها وهى تسير على بغلة لها وكنت اشبب بها فقلت لها جعلت فداك قفى واسمعى بعض ماقلت فيك فقالت اوفعلت فقلت نعم فوقفت فأنشدتها

الا يا ليل ان شفاء نفسى
نوالك لو علمت فنولينا
وقد ازف الرحيل وحان منا
فراقك فانظرى ما تأمرينا

فقالت آمرك بتقوى الله وايثار طاعته وترك ما انت عليه ثم انصرفت * وحكى انه كان يوما يساير عروة بن الزبير فقال عمر واين زين المواكب يعنى محمد بن عروة وكان يسمى بذلك لجماله فقال عروة هو امامك فركض يطلبه فقال له عروة يا ابا الخطاب اولسنا اكفاء لمحادثتك ومؤانستك فقال بلى ولكنى مغرى بهذا الجمال أتبعه حيث كان ثم انشد يقول

انى امرؤ مغرم بالحسن أتبعه
لاحظ لى فيه الا لذة النظر

ثم مضى حتى لحقه وجعل

يومين ومن نهر في ثلاثة أيام ومن نهر في أربعة أيام فتحت الانهار الثلاثة دفعة واحدة في كم تملئ الجواب في اثني عشر جزأ من ثلاثة عشر جزأ من يوم لانك تاخذ مخرج النصف والثلث والربع وهو اثناعشر وتقسمه على مجموع الاجزاء وهي ثلاثة عشر جزأ الخارج اثناعشر جزأ من ثلاثة عشر جزأ من يوم لانه ينصب اليها من النهر الاعظم ستة أجزاء من ثلاثة عشر ومن الاوسط أربعة اجزاء ومن الاصغر ثلاثة اجزاء وذلك مجموعها (رجع) وقول الطغرائي داخل في الغلو باعتبار وفي الاعراق باعتبار حكى صاحب الاغاني عن الهيثم بن عدي قال دخل أشعب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يطوف الحلق فقيل له ما تريد قال استفتي في مسئلة فبينما هو كذلك اذ مر برجل من ولد الزبير وهو مستند الى سارية وبين يديه رجل علوي فخرج أشعب يعدو فقال له الذي ساله عن طوافه وجدت من أفتاك في مسئلتك قال لا ولكن علمت ما هو خير لي قال وما ذاك قال وجدت المدينة كما قال الحرث بن خالد

قد بدلت أعلى منازلها * سفلا وأصبح سفلها يعلو

ورأيت رجلا من آل الزبير جالسا في الصدر ورجلا من ولد علي رضي الله عنه جالسا بين يديه فكفاني هذا عجبا فانصرفت به وحكى صاحب زهر الآداب وغيره ان مزبد المدني دخل على مولى لبعض أهل المدينة وهو جالس على سرير ممهد ورجل من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه وآخر من ولد عمر رضي الله عنه جالسان بين يديه على الارض فلما رأى المولى مزبدا تجهمه وقال يا مزبد ما أكثر سؤالك أجئت تسألني شيأ قال لا ولكن أردت ان اسألك عن معنى قول الحرث بن خالد

اني وما نحروا غداة منى * عند الجمار تؤدها العقل

قد بدلت البيت فلما رأيتك ورأيت هذين بين يديك عرفت معنى الذي قال فقال اعزب في غير حفظ الله وضحك جميع أهل المجلس وما أحسن ما قال أبو الطيب يخاطب سيف الدولة ويصف خيمة ضربت له

ولو بتما عند قدريكما * لبت وأعلاكما الاسفل

وقد ضمنت هذا البيت فقلت فيمن أحب أسود والمحب حسن الوجه

أيا من تكلف حب العبيد * وذلك في العقل لا يجمل
فلو بتما عند قدريكما * لبت وأعلاكما الاسفل

ومما ينخرط في سلك قول الطغرائي ما قاله الارجاني

ومن العجائب ان لي * صبرا على هذي العجائب
ومن النوائب انني * في مثل هذا الشغل نائب

وقال التهامي

لله در النائبات فانها * صدأ اللئام وصيقل الاحرار
زمن كأم الكلب ترأم جروها * وتصد عن شبل الهزبر الضاري

وهذا المعنى الذي تخيله التهامي معنى حسن ولكنه لم تساعده الالفاظ عليه فجاء ناقصا لانه يريد أن الزمن يشتمل على الكلاب ويصد عن الاسود وهذا مليح ولكن ما يفهم من البيت هكذا لمن تامله لان الكلبة اذا أرضعت جروها وأعرضت عن شبل الاسد لا يستغرب منها هذا الفعل

عروة يضحك منه * وروى انه شبب بزينب بنت موسى الجمحي وكان ابن ابي عتيق ذكرها له فاطنب في وصفها فصنع فيها قصيدته التي يقول فيها

يا خليلي من ملام دعاني
والماء الغداة بالاظعان

وبلغ ذلك ابن ابي عتيق فلامه في ذكرها فقال

لا تلمني عتيق حسبي الذي بي
ان عندي عتيق ما قد كفاني
لا تلمني فأنت زينتها لي

فبدره ابن ابي عتيق فقال

انت مثل الشيطان للانسان

فقال عمر هكذا والله قلته فقال ابن ابي عتيق اما علمت ان شيطانك ربما الم بي فيجد عندي من عصيانه كما يجد عندك من طاعته * ومثل هذا ما حكى انه انشد عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما قصيدته الدالية فلما قال تشط غدا دار جيرانا فبدره ابن عباس فقال وللدار بعد غد أبعد قال هكذا والله قلت فقال ابن عباس انه لا يكون الا هكذا * وروى ان عبد الملك بن مروان جمع بينه وبين جميل وكثير عزة وقال لينشد كل واحد منكم بيتا في الغزل فأيكم كان اغزل فله هذه الناقة وما عليها وكان قد احضر ناقة موقورة دراهم

الفعل وكان ينبغى ان يزيده بيانا بان يقول الزمان كلب فلاغرو اذا احنا على أولاد الكلاب وقسا على الاشبال وقال أيضا

يخفى الزمان فضائلى فكأننى * وكانها فى قلبه اضمار
لم اخف الالاعلو واغا * تخطى السها العلو الابصار

وهو ماخوذ من قول أبى العلاء المعرى

والنجم تستصغر الابصار رؤيته * والذنب للطرف لا للنجم فى الصغر

وقال الغزى

انى لا اهضم نفسى بعد معرفتى * ان الجمانة لا تصفو مع الزبد
ورب مرهفة حمل السيف معتصما * بحمله لاشتراك الناس فى العدد

وقال ايضا

غيرى له الجدو الايام تقسم بى * وهى الجديرة بالضيزى من القسم
اظنها أقسمت باسمى لتخفضنى * ولم يكن غير فضلى احرف القسم

وقال ايضا

قالوا نزلت فقلت الدهر اقسم بى * لا وجه للرفع فى المجرور بالقسم

وقال ابن نباتة السعدى

أبى الله ان أهوى من الناس واحدا * وكلهم عندى اقل من القل
أبيت اعزى النفس باليأس منهم * ولو شئت كانت فى خدودهم نعلى

والابيات التى طمت وعمت هى قول المعرى

ولما رايت الجهل فى الناس فاشيا * تجاهلت حتى قيل انى جاهل
فواعجبا كم يدعى الفضل جاهل * ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل
اذا وصف الطائى بالبخل مادر * وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس أنت خفية * وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء سفاهة * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
فياموت زران الحياة ذميمة * ويانفس جدى ان دهرك هازل

وما أحسن ما انشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة يضمن اعجاز هذه الابيات

تطاولت الاغصان تحكى قوامه * وعند التناهى يقصر المتطاول
وفضلت الجوزا على البدر وجهه * وقال السهى ياشمس لونك حائل
واعيا فصيح اللفظ نبت عذاره * وعير قسا بالفهاهة باقل
ولما مشى فوق البسيطة زانها * وفاخرت الشهب الحصى والجنادل
واعرض عنى حين لا لى ناصر * وهل ناصر فى الحب والظبى خاذل
فياموت زران الحياة كريهة * ويانفس جدى ان دهرك هازل

وقوله واعيا فصيح اللفظ البيت سبقه الى هذا المعنى شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى ومن خطه نقلت

ولو ان قسا واصف منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

فابتدر جميل فى الاول وقال
ولو ان راقى الموت يرقى جنازتى
بمنطقها فى الناطقين حييت
وقال كثير
وسعى الى بعيب عزة نسوة
جعل الاله خدودهن نعالها
وقال عمر بن ابى ربيعة
فليت الثريا فى المنام ضجيعتى
لدى الجنة الخضراء اوفى جهنم
فقال عبد الملك خذها ياصاحب جهنم * ومن محاسن شعر عمر قوله فى قصيدته الرائية
تهيم الى نعم فلا الشمل جامع
ولا الحبل موصول ولا انت مقصر
اشارت بمدراها وقالت لتربها
اهذا المغيرى الذى كان يذكر
لئن كان اياه لقد حال بعدنا
عن العهد والانسان قد يتغير
رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيضحى واما بالعشى فيخصر
اخا سفر جواب ارض تقاذفت
به فلوات فهو اشعث اغبر
وليلة ذى دوران جشمنى السرا
وقد يجشم الهول المحب المغرر
وبت رقيبا للرفاق على شفا
ولى مجلس لولا اللبانة اوعر
فلما فقدت الصوت منهم واطفئت
مصابيح شبت للعشاء وانور

ونفضت عني النوم اقبلت مشبهال
حباب وركني خيفة القوم ازور
فحيت اذفاجأتها فتولهت
وكادت بمهجور التحية تجهر
وقالت وعضت بالبنان فضحتني
وانت امرؤ ميسور امرك اعسر
اريتك ان هنا عليك الم تخف
رقيبا وحولي من عدوك حضر
فلما تقضى الليل الا اقله
وكادت توالي نجمه تتغور
اشارت لاختيها اعينا على فتى
اتى زائرا والامر للامر يقدر
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا
اقلي عليك اللوم فالخطب ايسر
يقوم فيمشي دوننا متنكرا
فلا سرنا يفشو ولا هو يظهر
فكان مجني دون من كنت اتقي
ثلاث شخوص كاعبان ومعصر
هنيئا لبعل العامرية نشرها ال
لذيذ ورياها الذي اتذكر
اطلت لى ذكر هذه القصيدة
لما رايت فيها من اللفظ
المطبوع والانسجام الذي
لا يتهيأ لغيره من الشعراء
ومن محاسن شعره قوله

*(هذا جزاء امرئ اقرانه درجوا * من قبله فتمنى فسحة الاجل)*

(اللغة) الجزاء تقول جزيته بما صنع جزاء وجازيته بمعنى ويقال جازيته فجزيته اى غلبته مثل باكيته وبكيته اى كنت ابكى منه وهو أحد الاقوال فى قول الشاعر

الشمس طالعة ليست بكاسفة * تبكى عليك نجوم الليل والقمرا

اى تباكى عليك نجوم الليل والقمر فتبكيهم ومعناه على كل حال مشكل لان الشمس اذا كانت طالعة غير كاسفة فكيف تكون باكية فكان ينبغى انها غربت و كسفت وبكت هذا الذى يليق بالرثاء والتأبين وقال اهل العلم بالادب فيه اقوال منها ان فيه تقديما وتاخيرا وان نجوم الليل والقمر منصوب بان بكاسفة لا بقوله تبكى وتقديره ليست بكاسفة نجوم الليل ولا القمر تبكى عليك واذا كانت غير كاسفة لغيرها من الكواكب كانت غير مضيئة فهى سوداء مظلمة والزمان كله ليل وهذا فى غاية ما يكون من المبالغات فى المراثى وهذا أجود ما قيل فيه وأظن هذا البيت مما رثى به عمر بن عبد العزيز أو عمر بن الخطاب وقبله فيما أظن

حملت أمرا عظيما فاضطلعت به * وقمت فينا بامر الله يا عمرا

ونصب عمر مشكل لانه علم مفرد فكان ينبغى أن يبنى على الضم وما أحسن قول السراج الوراق فى شخص ينعت بالعلم

كم أناديك مفردا علما أر * فعه عالما بشرط المنادى

وكتب الى القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ملغزا فى المأذنة فقال

يا أماما له ضياء ذكاء * يتلاشى له ضياء ذكاء
ما مسمى بالرفع يعرب والنصب وان كان مستقر البناء
علم مفرد فان رفعوه * رفعوه قصد الاجل النداء
انثوه ومنه قد عرف التذ * كير فانظر تناقض الاشياء
وهو ظرف فاين من فيه ظرف * ليجلى عن هذه العمياء

وكنت قد وقفت على لغز أنشأه المولى الفاضل شرف الدين حسين بن ريان فى المأذنة وهو نثر اتى فيه باشياء مليحة وكلفت الجواب عنه فاجبت عن ذلك ومن جملة الجواب

شهادته ماربها غير كافر * ويقضى بها من كان بالحق قاضيا
يقول معانى الطب باعتباله * يصح وقد ضمت حشاه المراقيا

وهذا اللغز والجواب أثبتهما فى الجزء الرابع عشر من التذكرة التى جمعتها (رجع) الى اعراب قوله يا عمرا قالوا فيه وجوه منها أنه أراد يا عمر بن الخطاب والمنادى المضاف يكون منصوبا ثم قطع الاضافة لانتهاء الوزن ومنها أنه أراد واعمراه على الندبة وحذف الهاء كما فى قوله تعالى يا أسفا على يوسف وقيل غير ذلك (رجع) امرئ تقدم الكلام عليه فى قوله حب السلام البيت أقرانه القران جمع قرين وهو المصاحب من قبله قبل نقيض بعد فتمنى تمنيت تفعلت من المنية فسحة تقدم الكلام عليها فى قوله أعلل النفس الاجل مدة الشئ وغاية العمر وقوله تعالى هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا وأجل مسمى عنده قال حكماء الاسلام ان للانسان اجلين اخترامى وهو الذى يحصل بالاسباب الخارجية كالغرق والحريق ولسع الحشرات والتردى من الاماكن العالية والقتل وما أشبه ذلك وطبيعى وهو الذى يحصل بفناء الرطوبة

وعدم

وعدم الحار الغريزي وذلك غاية الهرم ونهايته مائة وعشرون سنة لان التجربة دلت على ان غاية سن النمو ثلاثون سنة وغاية سن الوقوف عشر فهذه أربعون و يجب ان يكون غاية سن النقصان ضعف الاربعين المتقدمة وذلك ثمانون سنة وانما صار زمان الفساد ضعف زمان النمو امامن السبب المادي لان في زمان نقصان البدن تغلب اليبوسة على البدن فتمسك بالقوة وامامن السبب الفاعلي لان الطبيعة تتأدى الى الافضل وتحامى عن الانقص وتمسكوا في القول بالاجلين بهذه الآية الكريمة والآية الاخرى تكذبهم وهي قوله تعالى ان أجل الله اذا جاء لا يؤخر واما الآية المتقدمة فقال المفسرون فيها أقوال منها ان الاجل الاول آجال الماضين والاجل الثاني آجال الباقين لان الاول علمت والثواني لم تعلم ومنها أن الاجل الاول الموت والثاني أجل القيامة والبعث والنشور ومنها أن الاجل الاول ما بين أن يخلق الى أن يموت والثاني هو النوم قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها ومنها ان الاجل الاول هو ما انقضى من عمر كل واحد والثاني مقدار ما بقي من عمره وانما قال تعالى في الاجل الثاني أنه مسمى عنده لانه اما يوم القيامة واما ما بقي من عمر الباقين وكل ذلك غيب لا يعلمه الا الله تعالى وقوله تعالى عنده هذا كما تقول عندي في هذه المسئلة كذا وكذا اعني اعتقادي وقولي والذي أراه او قضى به أن ذلك مذكور في اللوح المحفوظ فان قيل النكرة لا يجوز الابتداء بها خصوصا اذا كان الخبر ظرفا فانه يجب تقديمه فالجواب أنه لما تخصصت بالصفة المعروفة ساغ الابتداء بها كقوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك ونقلت من خط السراج الوراق له

أراني بطيئاً اذا ما كتبت * وقد خلقت طينتي من عجل
كأني خالفت نص الكتاب * فعندي لكل كتاب أجل

(الاعراب هذا) اسم اشارة في موضع رفع بالابتداء والاشارة الى الحالة التي ذكرها في الابيات المتقدمة من تقدم من دونه عليه ومن فقره وضره وغربته وانفراده (جزاء) مرفوع على انه خبر المبتدا (امرئ) مجرور بالاضافة (أقرانه) مرفوع على الابتداء والهاء في موضع جر بالاضافة (درجوا) فعل ماض والواو ضمير الفاعلين يعود على الاقران وموضعه الرفع (من قبله) من حرف جر وهي ظرفية أو زائدة وقيل ظرف زمان ومتى قطع عن الاضافة بني على الضم لوقوعه موقع الغايات كقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد واذا أضيف تمكن من الاسمية فيعرب والهاء في موضع جر بالاضافة وهو عائد الى امرئ (فتمنى) الفاء للتعقيب تمنى فعل ماض وكتب بالياء لانه من تمنيت وفاعله ضمير مستتر فيه يعود الى امرئ (فسحة) منصوب على انه مفعول به لتمنى (الاجل) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة بمعنى اللام وقوله أقرانه درجوا الخ في موضع جر صفة لامرئ (المعنى) هذا الذي أنا فيه من الغربة والفقر والعطلة والانفراد وتقدم الاراذل على ولاية الاوغاد والسفل جزاء انسان درجت أقرانه واخوانه فتمنى الحياة بعدهم وبعض هذا ينظر الى قول لبيد

ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الاجرب

قال صاحب الاغاني حدثني محمد بن جرير الطبري أنبأنا أبو السائب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تنشد بيت لبيد ذهب الذين البيت فتقول

أألحق ان دار الرباب تباعدت
اوانبت حبل الوصل قلبك طائر
أفق قد أفاق الواجدون وفارقوا
هوى واستمرت بالرجال المرائر
أمت حبها واجعل رجاء وصالها
وعشرتها كبعض من لا تعاشر
وهبها كشئ لم يكن أو كنازح
به الدار أو من غيبته المقابر
هذا البيت من أحسن ما ذكره أرباب البديع وفيه نوع من أنواع التقسيم وقوله أيضا
بينما ينعتنني أبصرنني
مثل قيد الميل يعدو بي الاغر
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى
قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها
قد عرفناه وهل يخفى القمر
يقال انه رتب كلامهن على قدر عقولهن فالكبرى تجاهلت عن معرفته والوسطى أظهرت معرفته والصغرى أظهرت معرفته ووصفه وقوله معارضا القصيدة جميل
جرى ناصح بالود بيني وبينها
فقربني يوم الحصاب الى قتلي
فلما تواقفنا عرفت الذي بها
كما عرفت بي حذوك النعل بالنعل
وسلمت فاستأنست خيفة أن يرى
عدوي مكاني أو يرى كاشح فعلي
فقالت وأرخت جانب الستر انما
معي فتحدث غير ذي رقبة أهلي

رحم الله لبيدا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال عروة رحم الله عائشة فكيف لو أدركت من نحن بين ظهرانيهم فقال هشام رحم الله عروة فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال وكيع رحم الله هشاما فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال أبو السائب رحم الله وكيعا فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم فقال أبو جعفر رحم الله أبا السائب فكيف لو أدرك من نحن بين ظهرانيهم ونحن نقول والله المستعان فالقصة أعظم من ان توصف بحال اهـ ولله در القائل

زماننا هذا خرا * وأهله كما ترى
ومشيهم جميعهم * الى ورا الى ورا

وقلت أنا زيادة عليه

الى ورا بحيث لم * تلق لخير خبرا

وحكى الاصمعي عن عيسى بن عمر قال وفد أبو الجهم بن حذيفة على معاوية فقال له معاوية والله ان لك لشرفا وحقا وقرابة يا أبا الجهم وانه لزمتنا مؤن عظيمة وهذه مائة ألف فخذها واعذر قال أبو الجهم فقبضتها على مضض وقلت في نفسي ماعسى ان أقول له وهو رجل ناء عن بلاد قومه وقد تخلق بأخلاق أهل الشام الجفاة الاغفال فقبلتها على أنه قد قصر بي فلما توفي معاوية واستخلف يزيد سرت اليه وافدا وأقمت أياما فقال لي يا أبا الجهم اني بحقك وقرابتك وشرفك لعارف وان مع حقك لحقا ومؤنا ولا نستطيع دفعها وأنت أولى من عذر ابن أخيك وهذه خمسون ألفا فاقبضها اليك واعذر فقلت في نفسي غلام حدث نشأ مع غير قومه وسكن غير بلده وهو مع هذا ابن كلبية فأي خير يرجى منه ثم اني أخذتها منه على أنه قصر بي وانصرفت فلما استخلف عبد الله بن الزبير قلت في نفسي هذا بقية قريش البطاح فأتيته وافدا وأقمت عنده أياما ثم قال لي يا أبا الجهم مهما جهلت فلن أجهل شرفك وقرابتك وحقك غير أن علي مؤنا وغرما وحمالات وأمورا يطول شرحها ولكن مع ذلك فاني غير مخيب لسفرك هذه ألف درهم خذها واستعن بها على أمورك فقبضتها وسافرت ثم مثلت بين يديه فقلت يا أمير المؤمنين مد الله القريش في بقائك ودافع ولا امتحنها بفقدك فوالله لا زالت بخير ما بقيت لها فقال ابن الزبير جزاك الله عن الرحم خيرا فوالله ما قلت هذا لمعاوية وقد أعطاك مائة ألف ولا قلته ليزيد وقد أعطاك خمسين ألفا وقلته لنا وانما أعطيناك ألف درهم فقلت نعم يا أمير المؤمنين من أجل ذلك قلت لأني خفت ان أنت هلكت لا يلي أمر الناس الا الخنازير وما أحلى قول بدر الدين يوسف مهندار العرب

كنا اذا جئنا لمن قبلكم * أنصف في الترحيب بعد القيام
والآن صرنا حين نأتيكم * نقنع منكم بلطيف الكلام
لا غير الله بكم خشية * من أن يجي من لا يرد السلام

وقال المتوكل يوما لجلسائه أتعلمون أول ما عتب المسلمون على عثمان رضي الله عنه فقال أحدهم نعم يا أمير المؤمنين انه لما قبض النبي صلى الله عليه وسلم قام أبو بكر رضي الله عنه على المنبر دون مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمرقاة ثم قام عمر رضي الله عنه دون مقام أبي بكر رضي الله عنه بمرقاة فلما ولي عثمان رضي الله عنه صعد ذروة المنبر فأنكر المسلمون ذلك عليه

فقلت لها مالي لهم من ترقب
ولكن سري ليس يحمله مثلي
يقال ان هذا البيت أحسن ما قيل في وصف الدهر وقوله أيضا

أيها الرائح المجد ابتكارا
قد قضى من تهامة الاوطارا
من يكن قلبه الغداة سليما
ففؤادي بالخيف أضحى معارا
ليت ذا الدهر كان حتما علينا
كل يومين حجة واعتمارا

يروى أن سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه لما سمع هذا البيت قال لقد كلف المسلمين شططا عظيما وان الله لا يرحمهم من أن يبلغه أمنيته وأما الشعر الذي ذكر من أجله فقوله في هند بنت الحرث بن عوف المرية

ليت هندا أنجزتنا ما تعد
وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة
انما العاجز من لا يستبد
ولقد قالت لأتراب لها
ذات يوم وتعرت تبترد
أكما ينعتني تبصرنني
عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها
حسن في كل عين من تود
حسدا حملنه من أجلها
وقديما كان في الناس الحسد

(وكانت انما حلتك بحلاك ووسمتك بسماك) ولم تعرك شهادة ولا تكلفت لك زيادة)

وأرادوا أن ينزل دون مقام عمر بمرقاة فقال عبادة يا أمير المؤمنين ما أحد أعظم منة عليك من عثمان قال وكيف ذلك ويلك قال لانه صعد ذروة المنبر فلو أنه كلما قام خليفة نزل عن مقام من تقدمه مرقاة كنت أنت تخطب علينا في بئر وقال يوسف بن يعقوب اشترى بعض التجار دارا في الانصار فبا كروه بحب مكسور وقالوا هذا حب سعيد بن جبير فاقرضنا عليه مائة درهم فرد الحب وأعطاهم الدراهم وانتقل فقالوا له لم انتقلت قال أخاف أن تباكروني بقصعة عبادة ابن الصامت وحكي ان بعض الارقاء كان عند مالك يأكل الخاص ويطعمه الخشكار فانف الرقيق من ذلك فطلب البيع فباعه واشتراه من يأكل الخشكار ويطعمه النخالة فطلب البيع فباعه واشتراه من لا يأكل شيأ وحلق رأسه وكان في الليل يجلسه ويضع السراج على رأسه بدلا من المنارة فاقام عنده ولم يطلب البيع فقال له النخاس لاي شئ رضيت بهذه الحالة عند هذا المالك فقال أخاف ان يشتريني في هذه المرة من يضع الفتيلة في عيني عوضا من السراج ويقال ان محمد بن علي بن عبد الله بن عباس كان جميلا وكان أمد الناس قامة وكان رأسه الى منكب أبيه علي وكان رأس علي الى منكب عبد الله بن عباس وكان رأس عبد الله الى منكب العباس وعلى ذكر الجرب في قول لبيد نقلت من خط السراج الوراق له

زعموا لبيدا قال في عصر له * وبقيت في خلف كجلد الاجرب
وأراه اعدى خلفه من خلفه * جربا واعيا الداء كل مجرب
وتضاعف الجرب الذي عدواه لا * تنفك عن ماض ولا متعقب
وتفاقم الداء العضال بخلفنا * بلغ الجذام وعصرنا عصروني

ومن كلام القاضي الفاضل وأشكو بعد قلبي جسمي فقد ضعفت قوته وقوي ضعفه ونسجت عليه همومي ثوبا دون الثياب وشعارا دون الشعار من الجرب الذي عادى بيني وبيني وانتقم بيدي من جسمي واستخدمها لحرث أرضه وان لم يكن لارضه عاج فلي عيج وان لم يكن لي بذر فلي من الحب ثمار وان لم يكن لي سنبلة فلي أنملة وان لم يكن لي في كل سنبلة مائة حبة آكلها فلي في كل أنملة مائة حبة تأكلني وقد كنت مسالما لاعضائي الاسنا أقرعها فلم يخل زمن من ندماتي أو أصبعا أعضها فما أكثر ما تأتي به الايام من غائظاتي والآن فقد زدت على الظالم الذي يعض على يديه فانا أقرع جميع أعضائي وكلها ثنيات وأعض على جوارحي وكلها أنامل وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو والجرب هم الاجسام والهم جرب القلوب والفكر للقلب حك والحك للجسم فكر وبالله ندفع ما لا نطيق يا واهب العمر خلصه من الكدر ويقال ان الذي يعدي ثلاث جميات الجذام والجرب والجدري وثلاث سينات السعال والسل والسبل وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان الشؤم في شئ رواه مسلم عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشؤم في الدار والمرأة والفرس وفي لفظ ان يكن من الشؤم شئ حق ففي الدار والمرأة والفرس وفي لفظ ان كان الشؤم في شئ وفي حديث جابر ان كان الشؤم في شئ ففي الربع والخادم والفرس قال ابن الجوزي ولقائل أن يقول كيف يجمع بين هذا وبين قوله لا عدوى والجواب ان عائشة رضي الله عنها قد غلطت من روى هذا الحديث وقالت انما كان أهل الجاهلية يقولون ذلك وهذا رد منها للخبر رواته ثقات والصحيح ان معناه ان خيف من شئ أو يكون شئ يخاف شره و يتشاءم به فهذه الاشياء لا على سبيل القطع التي يظنها

قوله (وكانت) عطف على وهبها (والحلى) الاوصاف التي يوصف بها الشخص كأنها مأخوذة من الحلي وهو الزينة (والسيما) العلامة ومنه قوله تعالى من الملائكة مسومين (والشهادة) العلم بالشئ والاقرار به

(بل صدقت سن بكرها فيما ذكرته عنك)

هذا مثل يضرب في الصدق وأصله ان رجلا ساوم رجلا في بعير فقال ما سنه فاخبره بانه بكر ففر عنه أي رأى سنه واحد الاسنان فقال صدقني سن بكره روي سن بكره بفتح النون على انه مفعول وسن بضمها على انه فاعل وكلاهما صحيح المعنى

(ووضعت الهناء مواضع النقب بما نسبته اليك)

(ولم تكن كاذبة فيما أثنت به عليك)

هذا مثل يضرب لمن يضع الامور في محلها وأصله ان الهانئ وهو واضع القطران على البعير الاجرب يتتبع النقب التي في جسد البعير وهي مبادي الجرب وهذا المثل نصف بيت من الشعر لدريد يقوله في الخنساء وهو دريد بن الصمة بن الحرث الجشمي من هوازن فارس معروف من فرسان الجاهلية وشعرائها مشهور بالرأي

الجاهلية من العدوى ولما ذكر القاضى أبو بكر ابن العربى ما روى عن عائشة رضى الله عنها قال هذا ساقط لان النبى صلى الله عليه وسلم لم يبعث ليخبر عن الناس ما كانوا يعتقدونه وانما بعث ليعلم الناس ما يلزمهم ان يعلموه وقال وفائدة هذا اللفظ حصر الشؤم فى الثلاثة المذكورة عادة لا خلقة قلت وقال بعض الافاضل انه لا تنافى بين قوله لا عدوى ولا طيرة وبين حديث ابن عمر فى الشؤم لان الراوى روى طرف الحديث لكونه لم يسمع أوّله لاحتمال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ما بال أقوام يقولون ان يكن من الشؤم الحديث لان الاعرابى لما سمعه عليه الصلاة والسلام يقول لا عدوى ولا طيرة قال فما بال ابلنا تكون كالظباء العفر فاذا دخلها البعير الاجرب أعداها فقال صلى الله عليه وسلم ويحك فمن أعدى الاول وقولهم أشأم من طويس هو طويس المغنى ولد يوم توفى النبى صلى الله عليه وسلم وفطم يوم توفى أبو بكر رضى الله عنه وبلغ الحلم يوم قتل عمر رضى الله عنه وتزوج يوم قتل عثمان رضى الله عنه وجاءه ولد يوم قتل على رضى الله عنه ونقلت من خط ناصر الدين حسن بن النقيب

تطيرت الوزارة من قريب * بصاحبها الجديد ومن بعيد
وقالت كعبه كعب مشوم * ولا سيما على الملك السعيد

وما احلى قول النصير الحمامى فيما اظن

أقول للكاس اذ تبدى * بكف أحوى أغن أحور
خربت بيتى وبيت غيرى * وأصل ذا كعبك المدوّر

وقول شمس الدين محمد بن دانيال ملغزا فى السرموزة

وجارية هيفاء ممشوقة القد * لها وجنة أبهى احمرارا من الورد
من الغنيات التى حروجهها * يفوق صقالا صفحة الصارم الهندى
وثيقة حبل الوصل منذ وطئتها * فلست أراه قط منتقض العهد
ولم أرزوجا غيرها كل ساعة * على الترب ألقيها معفرة الخد
ومن عجب انى اذا ما وطئتها * تئن أنينا دونه انة الوجد
مباركة عندى فلا برحت اذن * مدورة الكعبين شؤما على ضدى

وعلى ذكر شؤم الدار قال عبد الملك بن عمر الكوفى كنت عند عبد الملك ابن مروان بقصر الكوفة المعروف بدار الامارة حين جىء برأس مصعب بن الزبير فوضع بين يديه فرآنى قد ارتعت فقال مالك فقلت أعيذك بالله يا أمير المؤمنين كنت بهذا القصر بهذا الموضع مع عبيد الله بن زياد فرأيت رأس الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما بين يديه بهذا المكان ثم كنت فيه مع المختار أبى عبيد الله الثقفى فرأيت رأس عبيد الله بن زياد بين يديه ثم كنت فيه مع مصعب بن الزبير هذا فرأيت رأس المختار بين يديه ثم هذا رأس مصعب بين يديك قال فقام عبد الملك من موضعه وأمر بهدم الطاق الذى كنا فيه وقال القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله حكى لى أبو المجد قاضى السويداء قال كان بالشام شاعران ابن منير الطرابلسى وابن القيسرانى وكان ابن منير كثيرا ما يبكت ابن القيسرانى بأنه ما صحب أحدا الا نكب فاتفق ان أتابك عماد الدين زنكى صاحب الشام غنا ممغن على قلعة جعبر وهو يحاصرها قول الشاعر

والظفر وأمه ريحانة بنت معدى كرب أخت عمرو وقتل فى غزاة هوازن مشركا حين غزاهم رسول الله صلى الله عليه وكان قد أسن وعجز عن الحرب وانما حمل مع القوم لرأيه وتدبيره وهى الواقعة التى أشار فيها برأى ولم يسمع منه فقال ياليتنى فيها جذع * أخب فيها وأضع * وهزمت هوازن وقتل أكثرهم وقتله ربيعة بن رفيع السلمى فى خبر يطول وقال لما ضربته بسيفه وقع متكشفا فاذا عجانه وفخذاه مثل القراطيس من ركوب الخيل حكى الاصمعى أن أمه ريحانة قالت له بعد مقتل أخيه عبد الله بن الصمة يابنى ان كنت عجزت عن ثار أخيك فاستعن بخالك وعشيرته من زبيد فأرق لذلك وحلف لا يأكل لحما ولا يشرب خمرا حتى يدرك ثاره ثم وجد غرة من غطفان فغزاهم وقتل منهم قوما ثم أسر ذواب بن أسماء وأتى به الى فناء أمه فقتله فاخذت السيف وجعلت تلحس الدم بلسانها الى أن انقطع منه شئ وهى لا تعلم من الفرح ثم قال فى ذلك

جزينا بنى عبس جزاء موفرا
بمقتل عبد الله يوم الذنائب

ويلي من المعرض الغضبان اذ نقل الـ.شواشي اليه حديثا كله زور
سلمت فأزور يثني قوس حاجبه * كأنني كاس خمر وهو مخمور

فاستحسنهما زنكي وقال لمن هما فقيل لابن منير وهو بحلب فكتب الى والى حلب يسيره اليه سريعا فليلة وصل ابن منير الى حلب قتل أتابك زنكي ولما رجع ابن منير الى حلب قال له ابن القيسراني هذه بكل ما كنت تبكتني به اهـ ويقال ان قصيدة ابن زيدون التي منها

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقا اليكم ولا جفت مآقينا

ما حفظها أحد الامات غريبا ويقال في كتاب العقد لابن عبد ربه ما كمل في بيت الاجرب ويقال في البيت الاخضر الذي في بلد فرعون وهي مصر القديمة بالبدرشين انه ما دخله أحد الا ودخل الحبس (رجع) الى ذكر الجرب قال ابن سناء الملك يصف جربا أصابه

اقد لقيت وصبا * وقد شقيت نصبا
من جرب صرت به * مبغضا محببا *
الماء منه قد جرى * والجسر قد تلهبا
والنار تذكى اذ أرى * بها عظامي حطبا
أناملي السلى وان * أبصرت منها رطبا
يقول من أبصرني * ذا الافق قد تكوكبا
من الهوان عاد كفي * ملكا محببا
ألبس ثوبا ساذجا * ثم يعود مذهبا
أصبحت ذا القروح لا * شعر ولكن كربا
يا حربا ان لم أقل * من جربي يا حربا

وقال ابن سناء الملك أيضا

اللؤلؤ الرطب حب * في راحتي نفائس
فلؤلؤ الحب رطب * ولؤلؤ البحر يابس

وقال البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهى اللمى أحوى المراشف أشنبا
وقالوا بدا حب الشباب بوجهه * فيا حسنه وجها الى محببا

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى بدر الدين حسن بن على الغزي في المعنى

يا فم المحبوب سبحا * ن الذي زادك زينا
قد تحليت بدر * فتحببت الينا

وأنشدني أيضا من لفظه لنفسه

توهم اذ رأى حبا بحاكي * على شفتيه درا في عقيق
فقلت له وحقك ليس هذا * سوى حبب على كاس الرحيق

وقال بهاء الدين بن الصولي في الجرب

جرحي وجرحي أذابا * جسدي اذ جفاني الاحباب
تركاني كالماء والخمر لطفا * فله ذا طفا على الحباب

قتلنا بعبد الله خير لداته
ذواب بن أسماء بن زيد بن قارب

قال الاصمعي كان عبد الملك ابن مروان يقول لولا القافية لنسبه الى آدم وهذا النوع يسميه أرباب البديع الاطراد لتوالي الاسماء منظومة * وحكى أبو عبيدة قال هجا دريد بن الصمة عبد الله بن جدعان فلقيه عبد الله بعكاظ وحياه وقال هل تعرفني يا دريد قال لا قال فلم هجوتني قال ومن أنت ولم يكن رآه قال أنا ابن جدعان قال هجوتك لانك كنت امرأ كريما فاحببت أن أضع شعري موضعه فقال له عبد الله لئن كنت هجوت لقد مدحت وكساه وحمله على ناقة فقال يمدحه

اليك ابن جدعان أعملتها
مسومة للسرى والنصب
فلا خفض حتى تلاقي امرأ
جواد الرضا وحليم الغضب
سبرت الانام فما ان أرى
شبيه ابن جدعان وسط العرب

ومن شعر دريد يرثي أخاه

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا
فقلت أعبد الله ذلكم الردي
فان يك عبد الله خلى مكانه
فما كان وقافا ولا طائشا من اليد

قلت تخيله الجدري كالحباب تخيل حسن ولكن هذا المقام مقام تشك وما يليق به ان يقول صرت كالماء والخمر لطفا نعم يليق بالحبيب المجدور أن يوصف باللطافة ولكن قد أخذت أنا هذا المعنى فنظمته بالقاهرة أول دخولي اليها وقد حصل لي ولمن أحبه جرب فقلت

ولما صفونا وامتزجنا محبة * علانا حباب الحب في ساعة المزج
وما ضر من قد خاض بحر غرامه * وأصبح في كفيه من لؤلؤ اللج

ثم اني وقفت بعد ذلك على هذا المعنى الثاني لمجير الدين محمد بن تميم وهو

لا تنكر جربا قد لاح فوق يدي * من الحبيب ومهما شئتم وقولوا
ماذا على اذا ما غصت بحر هوى * خرجت منه وكفي ملؤها لولو

وقال الباخرزي

لنا جرب بين البنان نحكه * رضينا به والكاشحون غضاب
وكنا معا كالماء والخمر رقة * علانا لطول الامتزاج حباب

وقال التهامي

جسمي نحيل بالحب والحب * ذا من ربي وذاك من ربي
ناران نار بالطب ان ظهرت * تخفى ونار تخفى عن الطب
كأن كفي في اشتباكهما * جيشان حفا بالطعن والضرب
وليس غير الاظفار بينهما * من أسمر ذابل ومن عضب

وقال ابن هندو

يهيج مسرقي جرب بكفي * اذا ما عد في الكرب العظام
تجنبني الاثام لذاك حتى * كفيت به مصافحة اللئام

وقال الوداعي الدمشقي

علة خصت وعمت * في حبيب ومحب
دب في كفيه ما من * حبه دب بقلبي
فهو يشكو جربا * واشتكائي حب

(رجع) الى معنى قول الطغرائي في التأسف على الماضين وما أحسن قول البحتري يذكر المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان

مضى جعفر والفتح بين موسد * وبين قتيل بالدماء مضرج
أأطلب أنصارا على الدهر بعدما * ثوى منهما في الترب أوسي وخزرجي

وكان البحتري حاضر الوقعة ليلة قتل المتوكل بتدبير ابنه المنتصر وهو يشرب بالجعفري ووزيره الفتح وجماعة من الندماء والمغنين وغيرهم وذلك ان المنتصر بن المتوكل قال لزرافة التركي الا تشيعني ساعة أشكو اليك ما يجري قال بلى وجعل يطاوله فغلق بغا الشرابي الابواب كلها الا باب الماء ومنه دخل الذين قتلوه فأول من ضربه باغر التركي ضربة قطع منها حبل عاتقه وأكب الفتح وزيره وقال لا والله يا أمير المؤمنين لا عشت بعدك فقتلا جميعا وأما عبادة المخنث فلما رأى قتله الخليفة والوزير قال الا أنا يا أمير المؤمنين ان لي بعدك مجالس أحضرها وكاسات أشربها وساعات لهو أقضيها فلم يلتفت اليه ونجا سالما وبويع لولده المنتصر في تلك

صبور على وقع النوائب حافظ
من اليوم أعقاب الاحاديث في غد
أعاذلني كل امرئ وابن أمه
متاع كزاد الراكب المتزود

(وقوله)

أيا دافقة من للخيل ان طردت
وأطرها الطعن في وعب وأجاف
يا فارسا ما أبوا أوفى اذا اشتغلت
كلتا اليدين كرورا غير وقاف

قوله اشتغلت كلتا اليدين يعني يمسك العنان بيد ويضرب بالاخرى ثم قال

عبر الفوارس معروف بشكته
كاف اذا لم يكن من كربة كاف

يعني ان الفوارس ترى منه ما يبكي أعينهم ويستعبرها

وقوله في يزيد بن المهدان حين ساله ردمال جاره

أمر تكم وتردوا مال جاري
وأسرى في كبولهم الثقال
فانتم أهل عائدة وفضل
وأيد في مواهبكم طوال
مني ما تمنعوا شيأ فليست
حبائل أخذه غير السؤال

وقوله أيضا

أبي القتل الا آل صمة انهم
أبوا غيره والقدر يجري الى القدر

الساعة ونقل الرواة ان بغا الصغير لما عزم على قتل المتوكل بتدبير ابنه المنتصر دعا بباغر التركى بعد ماملأ عينيه بالصلاة وقال له أنت تعلم تقديمى لك ومكانك عندى واريد أن أسر اليك شيأ قال قل ماشئت قال ان ابنى قد فسد على وصح عندى انه يريد سفك دمى وأريد اذا دخل على غدا وأنت حاضر اذا وضعت قلنسوتى عن رأسى الى الارض أن تقتله قال نعم فلما دخل من الغد عليه لم ينزع القلنسوة فظن باغر أنه نسى فغمزه بحاجبه فلم ير العلامة وانصرف ابنه فقال بغا يا باغر انى فكرت فى انه حدث وولد وأريد أن أستصلحه ثم أمسك عنه مديده وقال له ان أخى فسد على وهم على أن يقتلنى وينفرد بمكانى وأحب أن تبادر غدا اذا دخل على وتقتله وجعل له علامة فلما دخل عليه لم ير العلامة ووقف حتى خرج أخوه فقال له يا باغر هو أخى وعسى ان استصلحه وههنا أمر هو أكبر وأعظم من هذا كله فقال له باغر وماهو وقال المنتصر قد صح عندى أنه عزم على الايقاع بى وأريد قتله فكيف ترى نفسك ففكر ساعة ونكس رأسه طويلا ثم قال هذا لايجئ منه شئ قال ولم قال تقتل الابن والاب باق اذن لايستوى لكم شئ ويقتلكم كلكم أبوه قال فما الرأى قال نبدأ بالاب ويكون الصبى أيسر قال أوتفعل هذا ويحك قال نعم وأدخل أنا الى قتله وأنت خلفى فان لم أقتله والا اقتلنى أنت وقل أراد أن يقتل مولاه فعلم بغا الصغير انه قاتله فتمكن له التدبير على المتوكل وحدث البحترى الشاعر قال كنا عند المتوكل مع الندماء فتذاكروا أمر السيوف فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين وقع عند رجل من أهل البصرة سيف من الهند ليس له نظير فأمر المتوكل بالكتاب الى عامل البصرة يطلبه فاتفق أن اشترى بعشرة آلاف درهم فسر المتوكل بوجوده وانتضى فاستحسنه وقال للفتح اطلب لى غدا من تثق بنجدته وشجاعته وادفع هذا السيف اليه ليكون واقفا على رأسى كل يوم وما كنت جالسا قال فلم يستتم المتوكل الكلام حتى دخل باغر التركى المذكور فدعا به المتوكل ودفع اليه السيف وأمره بما أراد وأمر أن يزد فى مرتبه قال البحترى فوالله ما انتضى ذلك السيف ولا أخرج من غمده منذ الوقت الذى دفعه اليه المتوكل الا فى الليلة التى ضربه فيها باغر بذلك السيف وحكى ان سيفويه قال وهو على المنبر يقص فى سلسلة ذرعها تسعون ذراعا فقال له الناس ماقال الله تعالى الا سبعون ذراعا فقال هذه أعدت لوصيف وباغر وبغا وأمثالهم وأما أنتم فالسبعون لكم وكان البحترى كثيرا مايذكر الفتح بن خاقان والمتوكل فى شعره ويرتاح لذكرهما أبدا قال من قصيدة

تداركنى الاحسان منك ونالنى * على فاقة ذاك الندى والتطول
ودافعت عنى حين لا الفتح يرتجى * لدفع الاذى عنى ولا المتوكل

وعبادة المخنث فى هذه الواقعة يخالف أباذكار الاعمى فان مسرور الخادم حكى قال لما أمرنى الرشيد بضرب عنق جعفر دخلت عليه وأبوذكار عنده يغنيه

فلا تبعد فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

فقلت والله فى هذا أتيتك واخذت بيده وضربت عنقه فقال أبوذكار ناشدتك الله الا ما ألحقتنى به فقلت وما رغبتك قال انه أغنانى عمن سواه باحسانه فما أحب ان أبقى بعده فقلت له حتى أستأمر أمير المؤمنين فلما أتيت الرشيد برأس جعفر اخبرته بقصة ابى ذكار فقال هذا رجل فيه مصطنع فانظر ما كان يجريه عليه فأتمه عليه قال حماد بن اسحق غنى علويه يوما

يغار علينا واترين فيشتفى
بنا ان أصبنا أو نغير على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا
فما ينقضى الا ونحن على شطر

وأما الشعر الذى ذكر بسببه فانه مر بالخنساء بنت عمرو ابن الشريد وسيأتى ذكرها وهى تهنأ بعيرا لها وقد تبذلت حتى فرغت منه ثم نضت عنها ثيابها واغتسلت ودريد يراها وهى لاتشعر به فاعجبته وانصرف الى رحله فقال

حيوا تماضر واربعوا صحبى
وقفوا فان وقوفكم حسبى
ماان رأيت ولا سمعت به
كاليوم هانئ أينق جرب
متبذلا تبدو محاسنه
يضع الهناء مواضع النقب

وتماضر اسم الخنساء ثم خطبها فردته لكبر سنه فهجاها فقيل لها الا تجيبينه فقال ما كنت لاجمع عليه أن أرده وأهجوه

(فالمعيدى تسمع به خير من أن تراه)

هذا مثل يضرب لمن يكون خبره خيرا من منظره وأول من قاله النعمان لشقة بن ضمرة فى خبر طويل معناه انه كان يغير على مال النعمان ويطلب فلا يقدر عليه الى أن أمنه النعمان وكان يعجبه ما يسمع عنه فلما رآه استزرى

بحضرة ابى فلا تبعد فكل فتى سيأتى البيت فقال ابى مه هذا البيت لمعرق فى العمى الشعر لبشار بن برد والغناء لابى ذكار واول الشعر لقد عميت امرى يقال ان العمى شائع فى بنى عوف اذا أسن الرجل منهم عمى وقل من يفلت من ذلك ولذلك قال ارطاة بن سهية يهجو شبيب بن البرصاء من جملة ابيات

فلو كنت عوفيا عميت واسهلت * كذاك ولكن المريب مريب

فقيل ان ارطاة لما قال هذا الهجو كان كل شيخ من بنى عوف يتمنى ان يعمى ثم ان ارطاة عمر ولم يعم فكان شبيب يعير بذلك ثم مات شبيب وعمى ارطاة فكان يقول ليت شبيبا كان عاش ورآنى أعمى وستأتى جملة تتعلق بذكر العمى فى الكلام على قوله اعدى عدوك البيت (رجع) الى ذكر المتوكل قال ابراهيم بن احمد الاسدى يرثى المتوكل

هكذا فلتكن منايا الكرام * بين ناى ومزهر ومدام
بين كاسين اورثاه جميعا * كأس لذاته وكاس الحمام
لم يذل نفسه رسول المنايا * بصنوف الاوجاع والاسقام
هابه معلنا فدب اليه * فى كسور الدجى بحد الحسام

ويحكى عن الناصر صاحب حلب انه كان اذا خلا بمجلس انسه تناول الكاس وقال

قتل مثلى ياصاح شرب المدام * ليس قتلى بلهذم وحسام

ولكن ماتم له المراد فان هولاكو لما دخل البلاد أمسكه وجعله هدفا للسهام وقيل بل جمع له مخلتين وربطه بينهما ثم أطلقهما فراحت كل نخلة بشطر منه وقيل بل أودع عدلا ورفسه البغل بالموزات الى ان مات وأخذ قول ابراهيم بن أحمد الاسدى فى رثاء المتوكل عبد الكريم التميمى فقال يرثى صاحب خراج المغرب وقد كان تناول دواء فمات

ولما رأت شور المهابة دونها * عليك ولما لم تجد فيك مطمعا
ترقت باسباب لطاف ولم تكد * تواجه موفور الجلالة أروعا
فجاءتك فى شر الدواء خفية * على حين لم تحذر لداء توقعا

وأخذه عبد المجيد بن عبدون فقال يرثى

ثارت اليه المنايا من مكامنها * سرا على غفلة الحراس والسمر
أولى لهن وأولى لو هممن به * والمنع ذو راحة والدفع ذو حذر

وسمع اعرابى وهو متعلق باستار الكعبة يقول اللهم ميتة كما مات أبو خارجة فقيل له كيف مات فقال أكل بذجا وشرب مشعلا ونام شامسا فأتته منيته شبعان ريان دفآن (رجع) الى التأسف على الماضين قال القاضى الفاضل من جملة رسالة ولا حول ولا قوة الا بالله قول من تعود وراء الاحباب يودع كل يوم حبيبا ويعيش بعدهم فى الدنيا غريبا كأنه النجم طلع عليه الصباح فغابوا وبقى منتظر اللمغيب وصحة ما دعاه من طلوع الصبح ما قد علاه من المشيب وقال ابن أسد الفارقى

قديما كان فى الدنيا اناس * بهم تحيا العلا والمكرمات
فلما غال فعل الخير دهر * به عاش الخنا والمكرماتو

وقال الارجانى

منظره فقال لأن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه فقال أبيت اللعن ان الرجال ليسوا بجزر وانما يعيش المرء بأصغريه قلبه ولسانه * ومعيد اسم قبيلة وفيها يقول الشاعر

ستعلم ما تغنى معيد ومعرض

والنعمان هذا هو ابن المنذر ابن النعمان ابن عمرو آخر ملوك العرب بالحيرة من قبل كسرى وله أخبار وأقوال ومن أغرب ما ذكر منها كلامه عند كسرى فى فضل العرب وذلك انه وفد على كسرى وعنده وفود الروم والهند وغيرهم فذكروا ملوكهم وفضلهم وافاض النعمان فى ذكر العرب وفضلهم على الامم لا يستثنى فارس ولا غيرها فتمعر وجه كسرى وذكر كلاما ينتقص به العرب ويفضل عليهم الامم فقال النعمان أصلح الله الملك أما أمتك فليست تنازع فى الفضل لموضعها الذى هى به من عقلها وحلمها وبسط حكمها وما أكرمها الله تعالى به من ولاية آبائك وولايتك وأما الامم التى ذكرت فأى أمة تقرنها بالعرب الا فضلتها العرب فقال كسرى بماذا قال بعزتها ومنعتها وبأسها وسخائها وحسن وجوهها

ذهب الذين صحبتهم فوجدتهم * ذهب المؤمل أنجم المتأمل
و بليت بعدهم بكل مذمم * لا مجمل طبعا ولا متجمل

وقال ابن الخياط الدمشقي

نزلت على حكم الردى في معاشر * ومن ذا على حكم الردى ليس ينزل
تبدلت بالماضين منهم نعلة * وأين من الماضين من أتبدل

وقال ابن الساعاتي

وتربة الجود من ناس منيت بهم * فان ذلك عندى غاية القسم
مالمت دهرى على شئ غضبت له * من الحوادث حتى جار في القسم

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى السيد النسيب الحسيب شهاب الدين الحسين بن قاضى العسكر أحمد كاتب الانشاء السلطاني من قصيدة كتب بها الى الشيخ الامام الكاتب شهاب الدين أبي الثناء محمود وقد مات خاله القاضى علاء الدين بن عبد الظاهر

فلم تنقطع كتبي لنقص مودة * ولكن دهاني صرف دهرى فاذهلا
رماني عن قوس القساوة عامدا * باسهم أوصاب فصادفن مقتلا
وضيع حقى ثم أهمل جانبي * وما حق مثلي أن يضاع و يهملا
ففارقت مخدومي بالقسر لا الرضى * فهذا قضى نحبا وهذا ترحلا

وأنشدني لنفسه من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة من مرثية جار به له

شكرت زمانا جار بعد أحبتي * و بالغ في العدوى وبث الضغائن
فلو طاب طابت لى حياتى بعدهم * وكنت ألاقيهم بطلعة خائن

وما أرق قول القائل

باى وجه أتلقاهم * اذا رأوني بعدهم حيا
واخجلى منهم ومن قولهم * ماضرك البعد لنا شيا

ومن التأسف على الماضين وان كان فيه مجون قول القائل

ولقد قال لى صديقى لما * أن رآنى أضر بى الافلاس
قم تمسك بذا القمد فهذا الاير يرجى بغسله وبراس
قلت قد كان ذا ولكن دهرى * أهله كلهم لئام خساس
أين من كان عندهم يرفع الايـ * ـر على الراحتين ثم يباس
أين من كان عالما بمقاديـ * ـر الايور الكبار ومات الناس

وحكى القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان ان الامير فخر الدين بن الشيخ رأى هذه الابيات مكتوبة على ظهر كتاب بخط شرف الدين بن قديم فكتب تحتها من خلف مثلك مامات

قلت هذا يشبه قول أبي الحسين الجزار وقد رآه بعضهم ماشيا عقيب موت حماره

كم من جهول رآنى * أمشى لاطلب رزقا
فقال لى صرت تمشى * وكل ماش ملقى
فقلت مات حمارى * تعيش أنت وتبقى

وقال بعض أهل عصره

وحكم ألسنتها و وفائها واحسابها وأنسابها * فأما عزتها ومنعتها فانها لم تزل مجاورة للملوك الذين دوّخوا البلاد وقادوا الجنود لم يطمع فيهم طامع حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر اذ غيرهم من الامم انما عزها الحجارة والطين وجزائر البحار * وأما سخاؤها فان أدنى رجل منهم يكون عنده البكرة أو الناب عليها بلاغه من حمولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذى يكتفى بالفلذة و يجتزى بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج له عن دنياه كلها فيما يكسبه حسن الاحدوثة وطيب الذكر * وأما حسن وجوهها وألوانها فقد يعرف فضلهم في ذلك على غيرهم من الهند المحرقة والروم المقشرة والترك المشوهة * وأما ألسنتها فان الله أعطاهم في أشعارهم ورونق كلامهم وحسنه ووزنه وضربهم الامثال ومعرفتهم بالاشارة وابلاغهم في الصفات ماليس في ألسنة الاجناس * وأما وفاؤها فان أحدهم ليبلغه أن أحد الرجال استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب فلا يرضى حتى يفنى تلك القبيلة التي اصابته

مات حمار الاديب قلت لهم * مضى وقد فات فيه ما فاتا
من مات فى عزه استراح ومن * خلف مثل الاديب ما ماتا

وقال شرف الدين الابوصيرى

فلا تأس يا أيها الاديب * عليه فالموت ما بولد
اذا أنت عشت لنا بعده * كفانا وجودك ما نفقد

ولابى الحسين الجزار قصيدة فى حماره رثاه بها أولها

ما كل حين تنجح الاسفار * نفق الحمار وبارت الاشعار
خرجى على كتفى وهاأنا دائر * بين البيوت كأننى عطار

ومنها

لم أدر عيبا فيه الا انه * مع ذا الذكاء يقال عنه حمار
ويلين فى وقت المضيق ويلتوى * فكأنما بيديك منه سوار
ولقد تحامته الكلاب وأحجمت * عنه وفيه كل ما تختار
فرعت لصاحبه عهودا قد مضت * لما علمن بأنه جزار

وحكى لى بعض الافاضل انه جمع فى مراثى حمار ابى الحسين الجزار مجلدة جيدة ولم أرها أنا وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة يرثى بغلته

سافرت للساحل مستبضعا * قصدا وجدا حسن الجملة
فماله من متجر وافر * ما نفقت فيه سوى بغلتى

(رجع) الى التأسف على الماضين ذكر الاصمعى فى كتاب الحلى قال تزوجت أعرابية غلاما من الحى فكانت معه أياما ووقع بينهما فخرج فى نادى الحى وهو يقول يا واسعة يعيرها بذلك فقالت بديهة فى الغلام

انى تنقلت من بعد الخليل فتى * مرز أماله عقل ولا باه
ما غرنى فيه الاحسن ثقبته * ومنطق لنساء الحى تياه
فقال لما خلا بى أنت واسعة * وذاك من خجل منى تغشاه
فقلت لما أعاد القول ثانية * أنت الفداء لمن قد كان عداه

وحكى ابن عبد ربه فى الاجوبة المسكتة قال قال عبد الرحمن بن حسان لعطاء بن صيفى لو أصبت ركوة مملوءة خمرا بالبقيع ما كنت صانعا بها قال كنت أعرفها فى دور بنى النجار فان لم تكن لهم والافهى لك ولكن أخبرنى الفريعة أكبر أم ثابت قال لا أدرى قال عطاء فلم تساب الناس وأنت لا تدرى الفريعة أكبر أم ثابت وقد تزوجها قبله أربعة كلهم يتلقاها بمثل ذراع البكر ثم يطلقها عن قلى فقيل لها يا فريعة لم تطلقين وأنت جميلة حلوة فقالت يريدون الضيق ضيق الله عليهم وقيل ان بعضهم اشترى جارية فسئل عنها بعد أيام فقال ان فيها خصلتان من الجنة وهما البرد والسعة ويقال ان كردية أخت بهرام سوين كانت تحت أخيها فلما قتل عنها تزوجها ابرويز وحظيت عنده وكانت فى غاية الجمال فقال لها ما يشينك شئ غير سعة حرك فقالت له انه ثقب بايور الرجال وقيل ان رجلا كان يدل بعظم آلته فقال يوما لامرأة واقعها وأعجبه ما معه هل خرج من حلقك فقالت أو قد أدخلته الى الآن وقال ابن رشيق كنت أوصى غلاما وضيئا كان يختلف الى واحذره من كثرة التخليط فخرج يوما فى جماعة من أصحابه

او يصاب قبله لما أحقر من جواره وان أحدهم ليرفع عودا من الارض فيكون رهنا لا يغلق ولا تخفر ذمته وكذلك تمسكها بشريعتها وهو أن لهم أشهرا حرما وبيتا محجوجا ينسكون منه مناسكهم فيلقى الرجل قاتل أبيه وأخيه وهو قادر على أخذ ثأره فيمنعه دينه ويحجزه كرمه * وأما أنسابها وأحسابها فليست أمة من الامم الا وقد جهلت أصولها وكثيرا من أولها وآخرها حتى ان أحدهم يسأل عما وراء أبيه فلا ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا يسمى آباءه أبا فأبا أحاطوا بذلك أحسابهم فلا يدخل رجل فى غير قومه ولا يدعى لغير أبيه * وأما قول الملك انهم يئدون أبناءهم فانما يفعله منهم من يفعله بالاناث أنفة من العار وغيرة من الازواج * وأما قوله ان أفضل طعامهم لحوم الابل فما تركوا مادونها الا احتقارا فعمدوا الى أجلها قدرا وأغلاها ثمنا فكانت مراكبهم وطعامهم مع انها أكثر البهائم لحوما وشحوما * وأما تحاربهم وترك انقيادهم لرجل يسوسهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا انست من نفسها ضعفا

فاوقع به فاخبرت بذلك فقلت

ياسوء ماجاءت به الحال * ان كان ماقالوا كما قالوا
يا أحذق الناس بصوغ الخنا * صيغ من الخاتم خلخال

قلت هذا بعينه هو قول القائل في السقام

قد كان لي فيما مضى خاتم * واليوم لو شئت تمنطقت به

وقال بن صارة الشنتريني

من كان من نيلك حتى صار من سعة * كما تحل يد من عقد تسعينا

قال بن سناء الملك

ناكوه أوخرقوه * وجاء مثل طنين
وراح وهو كميم * وجاء وهو كعين

وقال بن الرومي من أبيات

أوسع من وقت العشاء الآخره * أولج فيه كالقناة الفائرة
كأن ايري نقطة في الدائره

قلت بن الرومي أساء الادب وأخطأ المعنى وقال بن سناء الملك

ان قلت ما أحسنه شادنا * فانما قصدي ما أخشنه
يظل ايري ضائعا في استه * كانه المغزل في الروزنه

وبالغ من قال

أخشن من قنفذ ومن حسك * ومن عظام تكون في السمك
ويدعي ضيقه وأسفله * يصلح طوقا لدارة الفلك

وقال آخر وهو أشبه بقول بن الرومي

لما انثنى وهو المسيط تبينت * لي منه دائرة كحلقة خاتم
ورأيت في الشكل المدور نقطة * فخلت مركزها بخط قائم

وقلت أنا

قالت لايري وهو فيها ضائع * كالحبل وسط البئر اذ تلقيه
قد عشت في كس كبير قلت ما * كذبت لان الكاف للتشبيه

وقلت أيضا

من منصفي من زمن جائر * أصبحت فيه غير مرزوق
أضاع فضلي في أهله * ضياع ايري في است معشوق

وحكي ان أبا الحسين الجزار جاء الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فاذن للناس كلهم ولم يؤذن له فكتب في ورقة يقول

الناس قد دخلوا كالاير أجمعهم * والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

وأرسلها مع بعض الخدم فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه اخرج الى الباب وناد يا خصي ادخل فقال أبو الحسين هذا دليل على السعة ولمح أبو الحسين هذا المعنى من قول عمارة اليمني

وتخوفت نهوض عدوها وانه انما يكون في بيت الملك واحد يعرفون فضله فيلقون أمورهم اليه فأما العرب فان ذلك كثير منهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والعشر وما أشبه ذلك فعجب كسرى من منطقه وكساه من كسوته ورده الى الحيرة * ومن طريف أخبار النعمان انه كان قد حمى ظهر الكوفة وشقائقها ومن هنالك يقال شقائق النعمان فانفرد يوما عن عسكره فاذا هو بشيخ يخصف نعلا فقال ما أنزلك ههنا قال طرد النعمان الرعاء فأخذوا يمينا وشمالا فانتهيت الى هذه الوهدة فنتجت الابل وولدت الغنم والنعمان معتم لا يعرف فقال أو ماتخاف من النعمان قال وما أخاف منه ولربما سرت يدي هذه بين عانة أمه وسرتها فلما سمع النعمان قوله سفر عن وجهه فاذا خرزات الملك تلمع فلما رآه الشيخ قال أبيت اللعن لاترى انك ظفرت بشئ فقد علمت العرب انه ليس بينها شيخ أكذب مني فضحك النعمان وحلم عنه مع تجبره وعظمته * ومات النعمان بساباط المدائن طرحه كسرى تحت

فيما أظن

مصاحبتي أيا كالاعدمتما * مصاحبة الخصيين للاير فاعلما
هما يحملان الاير حتى اذا بدت * له فرصة خلاهما وتقدما

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

على الباب المعظم عبدرق * لعادات اللقا الماضي يعوز
يجوز الآن عن اذن شريف * والا فهو شيء لا يجوز

وقال شمس الدين بن الحكيم بن دانيال

لست أدري لما أراد الزنا مني وقد لاح لي البدور الطوالع
قال دعني من الملام فاني * لست ما عشت للملام بسامع
كيف أرضى دين اليهود لواطا * حيث لي بالنساء دين واسع

وملح قول الجزار من قال

ولم أنس علقا نكته وهو واسع * طويل عريض المنكبين نتيف
يقول الخصي للزب تقعد ههنا * فقال اذ خلا ضيف الكرام يضيف

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

قل في استه من هجاء ما اشتهيت وزد * فقد وجدت مكان القول ذا سعة

ونقلت من خط ناصر الدين بن النقيب له

قالوا رأينا العلق يسرف منفقا * والعلق لا شيء لديه ولا معه
فأجبتهم انفاقه من سرمة * قالوا صدقت لذاك ينفق من سعه

وقال النور الاسعردي

قال وقد قصرت في نيكه * سد فضا مبعري الواسع
فقلت يا مولاي عذرا فقد * اتسع الخرق على الراقع

وأنشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي ومن خطه نقلت

ولقد تعاطيت اللواط فلم أجد * علقا لاقسام الصناعة يكمل
بل ضاع بينهما الصواب فواسع * يخري علي وضيق لا يدخل

وحكي ان بعض البغايا حصلت مع رجل في بيته فلما خلا بها لم ينعظ فلما أطال عليها أخذت تعنفه فلما ازادت عليه في اللوم قال لها ويلك أنت تفتحين بيتا وأنا أنشر ميتا وان بينهما لفوتا

وما أحلى قول ابن الحجاج

قالت وقد قامت اعشى لي به * يوما وقد قامت وقد ناما
لو أن اسرافيل في راحتي * ينفخ في ايرك ما قاما

وقوله وهو من المعاني الغريبة

تقول لي وهي غضبى من تدللها * وقد دعتني الى الشيء فما كانا
ان لم تنكني نيك المرء زوجته * فلا تلمني اذا أصبحت قرنانا
كأن ايرك من شمع رخاوته * فكلما عركته راحتي لانا

ونقلت من خط السراج الوراق له

أرجل الفيل له فبطته حتى مات وذلك بتحيل عدي بن زيد كاتبه وذلك أن كسرى أرسل يخطب ابنة النعمان لنفسه فقال النعمان للرسول أما ما كان في عين السواد ما يكفي الملك فلما سمع كسرى هذا الكلام لم يفهمه فسأل عنه عديا فقال انه أنف من مصاهرة الملك وقال يكفيه بقر العراق فغضب واستدعى النعمان وقتله

(هجين القذال
أرعن السبال)
(طويل العنق والعلاوة
مفرط الحمق والغباوة)

الهجين من الناس من في نسبه هجنة أي قبح وكذلك المقرف وهو أن يكون أحد أبويه قد دخل في العبودية ويقال ان المقرف من قبل الاب والهجين من قبل الام وتقول العرب فلان هجين القذال أي يتبين لؤم نسبه في قذاله والقذال جماع مؤخر الرأس وخص القذال لان الذي يعرف لؤم نسبه اذا ولى طأطأ رأسه حياء وذلا فكان اللؤم يتبين من قذاله وقيل لكثرة انهزامه في الحروب (والارعن) والراعن الاحمق مأخوذا مما من الرعن وهو الاسترخاء واما من الرعن بالتسكين وهو انف الجبل المائل فكان الاحمق مائل

طوت الزيارة اذ رأت * عصر المشيب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثني * بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت أهرب وهي تسـ * ـأل جارة من بعد جاره
وتقول يا ستي استرحـ * ـنا لا اسراج ولا منـاره

ونقلت منه أيضا

تقول اذ أخرجته سعلتها * وهو ذليل القفاء مطرود
يا عامل السعل اف من عمل * مخرج كله مردود

ونقلت منه له أيضا

اذا يئس المرء من ايره * رأت عرسه اليأس من خيره
ومن كان في سنه طاعنا * فقد عدم الطعن في غيره

ونقلت منه له أيضا

يا قوم عالجت ايرى * بالحشو لما تكعك
ولم يصح ودادى * من عادة مذ تودعك

ونقلت منه له أيضا

رب بكر أصبتها أول العمـ * ـر وقدحي من الشباب المعلى
طلبت ذلك النشاط فاجا * بت لها القول حين قصرت فعلا
كنت ترسا وكان رمحا فلما * صرت بئرا ياستنا صار حبلا

ونقلت منه له أيضا

قالت وقدها جرتها * في الصوم أف عليك بعلا
كانت عليك وظيفة * صيرتها في اليوم نفلا
فاجبتها ذاك المذا * كل صار منكوسا مدلى

ونقلت منه له أيضا

قام فلما دنوت منها * نام وما مثل تلك خجله
وكل كفى لفرط جذبى * له وما للجبان حيله
وأصبحى لا تزال جنبا * له ولا همة لسفله
فزرجنت وانثنت وقالت * قوموا انظروا عاشقا بوصله
فقلت هذا الفرط حبي * قالت دع الترهات بالله
قلت أقيم الدليل قالت * لو قام ما احتجت للادله

نقلت منه له أيضا

أصبحت أعجز اذ أقوم وشرما * وقعت عليه العين شيخ عاجن
واذا أردت أدق شيئا لم أجـد * عندى يدا والبيت فيه الهاون

نقلت منه له أيضا

لا بارك الله في ايرى وبارك لى * فيه فدحى وذمى فيه سيان
له قيام معى في واحد أبدا * وينثنى حين ما أدعوه للثانى

عن الصواب وذكر بعض المفسرين أن المراد بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا هذا المعنى فانهم كانوا يقولونه للنبي صلى الله عليه وسلم على سبيل التهكم يقصدون به رميه بالرعونة ويوهمون انهم يقولون راعنا من المراعاة أى احفظنا (والسبال) جمع سبلة وهى شعر الشفة العليا شبهت بسبل المطر لما فيها من التحدر وخصت الرعونة بالسبال لانها علامة الرجل والمعنى ان هذه المرأة تسمعنا عنك الاوصاف الجميلة فاذا نظرت واختبرت فأنت على هذه الاوصاف الذميمة (والعلاوة) الرأس ما دام على العنق يقال ضربت علاوته ويقال في الفراسة ان طول العنق والرأس من دلائل الحمق

(جافى الطبع سيئ الجبابة والسمج بغيض الهيئة سخيف الذهاب والجيئة)

(ظاهر الوسواس منتن الانفاس كثير المعايب مشهور المثالب)

(الجفا) النبو والتباعد والاصل من جفا السرج عن الفرس اذا نبا (والطبع السجية وهو نقش النفس بصورة ما وذلك اما من جهة الخلقة أو من حيث العادة مأخوذ من طبع الدرهم أى تصوره بصورة ما

يصير طاقين في كفي وحسرته ❊ وحسرتي في السراويلات طاقان
والشيء في نظري شيئان أنظره ❊ كذاك ايري تثني فهو ايران

وقال شهاب الدين أبو حجلة

وعلق من بني الاتراك الى ❊ له عينان وكلتا بهتكى
ظفرت به على غير الليالي ❊ فلم يدخل وأكثر في التشكي
يقول عميرة ادفعني عليه ❊ ولا تجزع وهان عليه صكى
فلم أدفع عليه فظل ايري ❊ يقبل باب مفساه ويبكي

وقال آخر

ورب علق قال لي مرة ❊ يريد توبيخي على ظنه
ايرك هذا مات قلت انحني ❊ كرامة الميت في دفنه

وعكس ذلك في لغز فيه

وصاحب مازلت دهري له ❊ كل مليح أتمناه
يحبني الشيء فاختاره ❊ له بجهدي علم الله
ان مات لا يمكنني دفنه ❊ وان يعيش يوما دفناه

وقال آخر

ولي ايرسوء كثير الخنا ❊ يعامل باللؤم من يكرمه
اذا نمت قام وان قمت نام ❊ فلا رحم الله من يرحمه

وقلت أنا مضمنا

لي ايرينام لؤما وشؤما ❊ ان أنا نلت من حبيب وصالا
واذا ما غدوت في البيت فردا ❊ طلب الطعن وحده والنزالا

وقلت مضمنا ايضا

عهدي بايري وهو فيه تيقظ ❊ كم قام منتصبا وما حركته
والآن كالطفل الصغير بعهده ❊ يزداد نوما كلما نبهته

وأنشدني من لفظه المولى شمس الدين محمد بن علي بن أيبك السروجي قال أنشدني من لفظه لنفسه المولى القاضي زين الدين عمر بن الوردي

وكنت اذا رأيت ولو عجوزا ❊ يبادر بالقيام غلى الحراره
فأصبح لا يقوم لبدر تم ❊ كأن النحس قد ولي الوزاره

وقال أيضا

تعقف فوق الخصيتين كأنه ❊ رشاء على رأس الركية ملتف
كفرخ ابن ذي يومين يرفع رأسه ❊ الى أبويه ثم يسقطه الضعف

وقال ابن حجاج

أسفي عليه ممددا فوق الخصى ❊ شبه العليل فديته من نائم
طمع الغواني في انتظار قيامه ❊ طمع الروافض في انتظار القائم

وقوله في المجون

(وسيئ الاجابة) يعني يسمع الشيء على غير حقيقته فيجيب كذلك اما من البله أو الطرش وهو مثل للعرب يقولون ساء سمعا أو أساء سمعا فأساء اجابة قاله سهيل بن عمرو وكان قد تزوج صفية بنت أبي جهل فولدت له أنس بن سهيل فخرج ذات يوم وهو معه فوجده الاخنس بن شريف فقال من هذا فقال ابني فقال الاخنس حياك الله يا فتى فقال لا والله ما أمي في البيت فقال أبوه أساء سمعا فأساء اجابة ولسهيل هذا حكاية في الكرم عجيبة وذلك انه كان أسلم بعد فتح مكة وسكن البادية الى ان حضر اليرموك واستشهد فقيل انه لما صرع مر به رجل وهو بآخر رمق فقال اسقني فأتاه بشربة من ماء فنظر الى الحرث بن هشام وهو صريع ينظر اليه فقال اذهب اليه بالشربة فلما تناولها رأى عكرمة في حاله فقال اذهب اليه بالشربة فذهب بالشربة الى عكرمة فوجده قد مات فرجع بها الى الحرث فوجده ميتا فرجع بها الى سهيل فوجده ميتا ومات الثلاثة قبل أن يذوقوها (والهيئة) الحالة التي يكون عليها الشيء محسوسة كانت أو معقولة وهي في المحسوسة أكثر (والسخف)

لما رأته قائماً صفقت * كذلك الناس مع القائم

هو في غاية الحكمة

(وان علانى من دونى فلا عجب * لى اسوة بانحطاط الشمس عن زحل)

(اللغة) علا يعلو علوا في المكان وهو المراد هنا وعلى في الشرف بالكسر علاء ويقال أيضا على يعلى قال الشاعر * لما علا كعبك لى عليت * فجمع بين اللغتين وعلوت الرجل غلبته ودون نقيض فوق والدون الحقير الخسيس قال الشاعر

اذا ما علا المرء رام العلى * ويقنع بالدون من كان دونا

ولا يشتق منه فعل وبعضهم يقول منه دان يدون دونا والعجب ما يتعجب الانسان منه وهو استغراب النفس الشئ الذى لم تألف وقوعه ولا علمت سببه والعجيب والعجاب بالضم والتخفيف والعجاب بالتشديد أكثر منه وقولهم عجيب عاجب كقولهم ليل لائل توكيد اسوة بالضم واسوة بالكسر لغتان وهو ما يتأسى به الحزين ومنه قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة انحطاط مصدر انحط السعر وغيره اذا نقص ونزل عن الغاية التى كان فيها أول وقوله تعالى وقولوا حطة معناه حط عنا أوزارنا الشمس هى الكوكب النهارى وقد نطقت لها العرب باسماء منها ذكاء غير منصرف ولا يدخله أداة التعريف والجارية والجونة والغزالة وما أحسن قول القائل

غدوت مقكرا فى سر أفق * أرانا العلم من بعد الجهاله

فما طويت له شبك الدرارى * الى أن أظفرته بالغزاله

وأنشدنى لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود قراءة منى عليه فى وصف العقاب حيث قال

ترى الوحش والطير فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزاله

فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا طلعت ما تسمت غزاله

وقد غلطوا الحريرى فى قوله فلما ذر قرن الغزاله طمر طمور الغزاله وقالوا لم تقل العرب الغزالة الا للشمس فاذا أرادوا تأنيث الغزال قالوا الظبية (رجع) والالاهة وهى مثل ذكاء لا يدخلها الالف واللام فى فصيح الكلام وربما أدخلوها قال الشاعر

* وأعجلنا الالاهة ان تؤوبا * كأنهم لما عظموها وعبدت سموها الالاهة والله أعلم والضحى والضح ويوح بالياء آخر الحروف وبعضهم يقول بوح بالباء الموحدة وليس بشئ وانما البوح من أسماء الذكر وسماها الله تعالى فى القرآن سراجا وزحل نجم من النجوم الخنس فى السماء السابعة ونوره يثقب ما دونه من الافلاك ويظهر لنا فى السماء الدنيا وبه فسر قوله تعالى النجم الثاقب لانه فى السماء الدنيا وهو قول الفراء قلت لو قال قائل لاى شئ ذهب صاحب هذا الرأى الى انه زحل ولو قال بأنه الشعرى العبور أو الغميصاء أو احد النسرين أو أحد السماكين لما له شهرة وهو فى فلك البروج وهذا الفلك أعلى من الفلك السابع لكان أبلغ فى نفوذ الضوء الى سماء الدنيا فالجواب انه لما قال النجم الثاقب وأفرده وتلك شعرتان وهما كان ونسران فكونه مفردا حسن القول به وقد ذهب جماعة الى أنه الثريا وهو عندى أرجح من ذلك لان العرب اذا أطلقت النجم فانما يريدون به الثريا دون سائر

رقة العقل وقد سخف سخافة فهو سخيف (والوسواس) الخطرات الرديئة من حديث النفس مأخوذ من وسواس الحلى وهو صوته الخفى ودخل الحسن بن سهل على المأمون وابراهيم ابن المهدى عنده فاقترح الحسن على ابراهيم أن يغنيه فغنى

تسمع للحلى وسواسا اذا انصرفت

يعرض بوسواس كان فى الحسن

(والمثالب) النقائص مأخوذ من ثلب الرمح اذا تثلم

(كلامك تمتمة وحديثك غمغمة وبيانك فهفهة وضحكك قهقهة)

(التمتمة والغمغمة) من معايب النطق المعدودة قال الجاحظ التمتمة التردد فى التاء والفأفأة التردد فى الفاء والعقلة التواء اللسان عند ادارة الكلام والحبسة تعذر الكلام عند ارادته واللفف ادخال حرف فى حرف والرتة تمنع الكلام فاذا جاء منه شئ اتصل وقيل العجمة فيه واللثغة ان يعدل من حرف الى حرف والغنة أن يشرب الحرف صوت الخيشوم والخنة أشدمنها واللكنة أن يعترض الكلام حرف أعجمى والطمطمة أن يكون الكلام شبيها

الكواكب قال ابن دريد في وصف الفرس

كأنما الجوزاء في ارساغه * والنجم في غرته اذا بدا

لان الثريا تشبه الغرة السائلة وقال بعض المفسرين انه أراد جماعة النجوم لانها كلها طارقة بالليل كما قال تعالى ان الانسان لفي خسر والمراد جميع الاناسي (رجع) واشتقاق زحل من التزحل وهو التنحي والتباعد لما كان فوق الكواكب الستة المتحيرة وقيل من زحل فلان اذا أبطأ فكأنه لما كان فلكه بطيء السير على ما يظهر فيما بعد سمي زحل وقيل الزحل والزحيل الحقد وذلك في طبعه على ما يزعمه المنجمون من نسبته الى أنه نحس أكبر كما قالوا في تسمية المشتري انه سمي بذلك لحسنه كأنه اشترى الحسن لنفسه وقيل في المريخ لما كان في لونه حمرة اشتقوا له ذلك من المرخ وهو الشجر الذي تحك غصونه فتوري النار وقيل المريخ سهم لا ريش له اذا رمي به لا يستوي في ذهابه والمريخ فيه التواء في سيره لان له فلك تدوير وقيل في الشمس لما كانت واسطة الافلاك والواسطة في المخنقة تسمى شمسة وفي هذا نظر وقيل في الزهرة انها مشتقة من الزاهر وهو الابيض النير من كل شيء وقيل في عطارد انه النافذ في الامور وقيل انه لا يستمر على حال فكأنه أعطى وردا وقيل في القمر انه مأخوذ من القمرة وهي البياض ومن أسماء زحل كيوان كما أن من أسماء المشتري البرجيس وتير ومن أسماء المريخ بهرام وما أحسن قول ابن النبيه

يدور كأس الراح شمس الضحى * ياقوم ما أسعد هذا القران

توقدت جمرة لألائها * كأنها بهرام أو بهرمان

ومن أسماء الشمس مهر ومن أسماء الزهرة أناهيد وبيدا خت ومن أسماء عطارد هرمس ومن أسماء القمر الزبرقان والزمهرير وبه فسر قوله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والفاسق والوباص والمتسق والباهر واسنمار والطوس والحكم وأهل المغرب يسمون زحل المقاتل والمريخ الاحمر وعطارد الكاتب وقد جمع بعض الشعراء أسماء الكواكب الاعجمية فقال

لازلت ترقى وتبقى في العلى أبدا * ما دام للسبعة الافلاك أحكام

مهر وماه وكيوان وتير معا * وهرمس وأناهيد وبهرام

وسيأتي الكلام على منع زحل من الصرف في الاعراب (الاعراب وان) حرف شرط وتقدم الكلام عليه في قوله فان جنحت اليه البيت (علاني) علا فعل ماض تقول علا يعلو علوا والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول وهذا الفعل هو الشرط (من) اسم ناقص بمعنى الذي وهو مبني لاحتياجه الى صلة وعائد فأشبه الحرف من حيث الاستعمال وهو لمن يعقل تحقيقا أو تشبيها كقوله * أعلى الى من قد هويت أطير * أو تغليبا كقوله تعالى ومنهم من يمشي على بطنه ٣ و(دوني) اسم مرفوع على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هو دوني وحذف صدر الصلة اذا لم تطل ضعيف ومنه قراءة بعضهم تماما على الذي أحسن برفع النون أي هو أحسن وقول الشاعر

من يعن بالحمد لم ينطق بما سفه * ولم يحل عن سبيل المجد والكرم

وانما جوزوا حذف صدر الصلة اذا طالت كقوله تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وقولهم ما أنا بالذي قائل لك سوأ لان الصلة هنا طالت فجاز حذف صدرها وأما الصلة في

بالعجمي (والغمغمة) أن يسمع الصوت ولا يبين تقطيع الحروف قال أبو عبيدة كان رجل من المشركين يحد حربته عند فتح مكة فقالت له امرأته ما تصنع قال أحد الحربة لقتل محمد وأصحابه فلما هزمت المشركون قال منشدا هذه الابيات

انك لو شهدت يوم الخندمه
اذا فر صفوان وفر عكرمه
واذعلتنا بالسيوف المسلمه
ضربا فلا تسمع الا غمغمه

وقال معاوية يوما من أفصح الناس فقال رجل من السماط قوم تباعدوا عن كشكشة تميم وتنافروا عن كسكسة بكر ليس فيهم غمغمة قضاعة ولا طمطمة حمير فقال معاوية من أولئك قال قومي قال من أنت قال أنا رجل من جرم قوله كشكشة تميم فان بني عمرو بن تميم اذا ذكرت كاف المؤنث فوقفت عليها أبدلت منها شينا قال بعضهم هل لك أن تنفعيني وأنفعش وتدخلين اللذ معي في اللذ معش يعني وأنفعك واللذ معك وكسكسة بكر انهم

قوله ودوني اسم مرفوع الخ الظاهر ان دوني ظرف متعلق بمحذوف هو صلة من اه

قوله من دونى فانها لم تطل والمبتدأ المقدر حذفه والخبر هنا صلة من لانها ناقصة تحتاج الى صلة وعائد وقد تقدم الكلام على الموصول فى قوله وضح من لغب نضوى البيت (فلا) الفاء جواب الشرط الذى تقدم ذكره ولا النافية للجنس تقدم الكلام عليها فى قوله فلا صديق اليه البيت (عجب) اسم لا وقد تقدم الكلام على مثل هذا عند ذكر لا (لى) جار ومجرور فى موضع رفع لانه خبر مقدم (اسوة) مبتدأ مؤخر (٢) وانما تأخر لانه نكرة وقد تقدم الكلام على الاسباب الموجبة لتأخر المبتدأ (بانحطاط) الباء للتعدية وانحطاط مجرور بالباء (الشمس) الالف واللام لتعريف الحقيقة وقد تقدم الكلام على ذلك فى قوله ويتحرون كرام الخيل والاضافة هنا معنوية بمعنى اللام فالشمس مجرورة بالاضافة (عن) تقدم الكلام عليها فى أول القصيدة وهى هنا للمجاوزة و (زحل) اسم ممنوع من الصرف لان فيه العلمية والعدل التقديرى أما العلمية فلانه علم على الكوكب السابع وأما العدل فلانه معدول عن زاحل مثل عمر معدول عن عامر وقثم معدول عن قاثم هذا ان قلنا انه عربى مشتق من التزحل وهو التنحى والبعد وان قلنا انه أعجمى فيكون فيه العلمية والعجمة فهو على كل حال ممنوع من الصرف وذكرت بالعدل والمعرفة هنا ما حكاه أبو الفتح بن جنى فى بعض مجاميعه ان الشريف الرضى أحضر الى السيرافى النحوى وهو طفل لم يبلغ عشر سنين فلقنه النحو وذاكره يوما فى الحلقة على عادة التعليم فقال له اذا قلت رأيت عمر فما علامة النصب فى عمر فقال الرضى بغض على فعجب الشيخ والحاضرون من حدة خاطره قلت ومن هنا أخذ الخطيرى الوارق قوله يهجو

يا فتح يا أشهر كل الورى * باللؤم والخسة والكذب

كم تدعى شيعة آل النبى * اسمك ينبيك عن النصب

وهذا فيه تسامح لكنه يغتفر لحلاوة النظم اذ التحقيق ان الفتح من ألقاب البناء والنصب من ألقاب الاعراب وحركة الاعراب غير حركة البناء لان حركة البناء لا تتغير ولا تتأثر بالعوامل وحركة الاعراب معرضة للتغيير والتأثر بالعوامل وقد مما يتعلق بباب ما لا ينصرف من الملح عند قوله وقد جاءه رماة من بنى ثعل سافيه مقنع فليؤخذ من هناك (المعنى) أخذ يسلى نفسه ويتأسى بما ضربه من المثل فى انحطاط الشمس عن زحل فقال وان علا فى هؤلاء الذين ذهبت دولتهم وأيامهم وهم دونى فى كل شئ فان لى اسوة بكون الشمس منحطة عن زحل وهو مثل حسن وفيه من البديع ارسال المثل والايضاح وقد تقدم الكلام على ذلك وهذا البيت قد أخذ بمجامع الحسن وفاق على المقاول اللسن لانه واسطة هذا العقد الفريد وليس بيتا كما يقال وانما هو قصر مشيد سكنه الحسن البديع وما ظعن عنه ولا ارتحل وفاق آفاق البلاغة لان تلك ان كان فيها النجوم فهذا مما فيه الشمس وزحل ودار به على قطب الفصاحة فلكه الدائر وسار فى الاقطار مثله السائر وأضاءت به الشموس فى أيام الدروس واسفرت به البدور فى ليالى السطور وسعى قائله فأدرك المجد المؤثل وتمثل به من ظلمه الدهر وما أكثر من يتمثل والقصيدة ذات بدائع لمن يعددها وفرائد لمن ينضدها ومحاسن تبرج للتأمل خودها وزواهر يشرق فى سماء البلاغة توقدها وهذا البيت

شمس ضحاها هلال ليلتها * در تقاصيرها زبرجدها

ولما مثله بالشمس وزحل فهو مثل مطابق لمن يكون بحالته التى ذكرها وشرحها من ارتفاع

(١) قوله الفاء جواب الشرط الصواب ان جواب الشرط هو ما بعد الفاء وقوله لا النافية للجنس الظاهر انها ملغاة أو عاملة عمل ليس ولم تتكرر للضرورة كقوله حياتك لا نفع وموتك فاجع اهـ

قوله وانما تأخر لانه نكرة الظاهر ان المسوغ هنا عمل اسوة فيما بعدها فهو كقوله ورغبة فى الخير خير اهـ

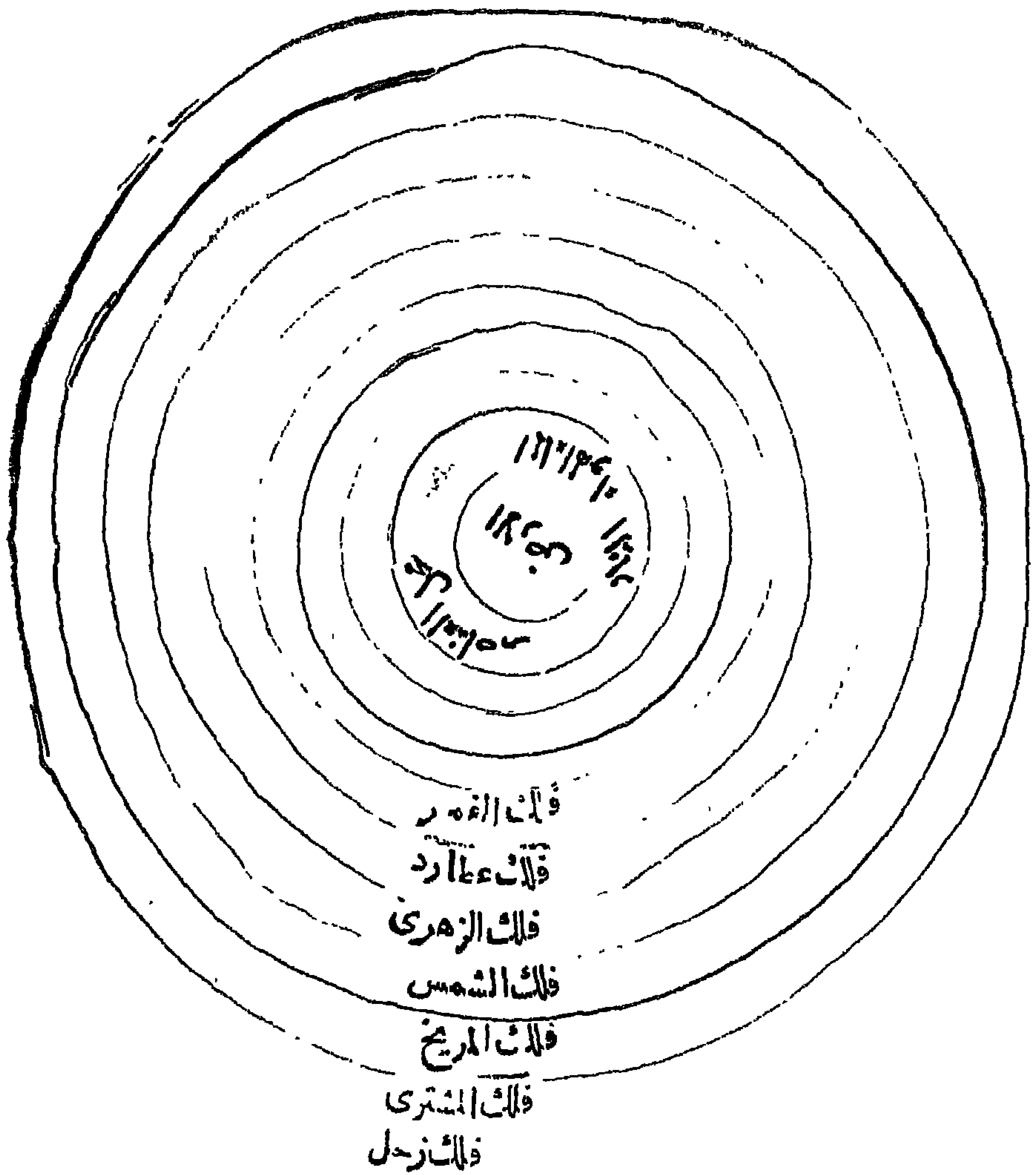
يثبتون حركة كاف المؤنث ويزيدون عليها سينا يقولون تنفعكس واعطيتكس (والغمغمة) لقضاعة وقد ذكرت (والفهفهة) عى فى المنطق (والقهقهة) صفة الضحك الشديد كأن الضاحك يقول قه قه وهى خصلة مذمومة فى الانسان دالة على قلة العقل

(ومشيك هرولة وغناك مسئلة ودينك زندقة وعلمك مخرقة)

(الهرولة) ضرب من العدو وهو بين المشى والعدو وعدها هنا من المعايب لاقترانها بذكر المسئلة يعنى انه سائل نهم سريع المشى للطلب والكدية * والزندقة فى الاصل الثنوية وذلك أن زردشت المجوسى لما ظهر

السفل وانحطاط الكرام لان الشمس فى الفلك الرابع وزحل فى السابع وانما حكموا بأن زحل فى السابع والشمس فى الرابع لان ذلك أمر يشاهده الحس ويحكم به العقل وهو أنهم وجدوا زحل يدور فلكه فى كل ثلاثين سنة دورة كاملة بالتقريب والمشترى يدور فلكه فى كل اثنتى عشرة سنة بالتقريب دورة واحدة والمريخ يدور فلكه فى كل سنتين الا اشهرا واحدا بالتقريب دورة واحدة والشمس يدور فلكها فى كل سنة واحدة مرة واحدة والزهرة مثل الشمس ولكن مرة تسرع السير فتكون أمامها ومرة ترجع فتكون وراءها وذكر بعضهم ان الناس كانوا فى شك من فلك الزهرة هل هو فوق فلك الشمس أو تحته حتى أتى الرئيس أبو على بن سينا ورصدها حتى كسفت الشمس وغدت كالخال على الوجنة فعلم ان الزهرة تحت الشمس وعطارد زعموا ان سيره ودورانه مثل الزهرة وبعضهم يقول انه يقطع فلكه فى كل مائة وستة وعشرين يوما مرة واحدة فى فلك تدويره وعطارد والزهرة والشمس تتساوى مدد دورانها فى فلك البروج والقمر يقطع فلكه فى السنة اثنتى عشرة مرة فعلم ان الاقل حركة فلكه أوسع وهو ما ولما حركته أسرع وهذا رأى الطبيعيين الذين يعتمدون على برهان لم واما الرياضيون الذين يعتمدون على برهان ان وهو الاوفق والاليق بصناعتهم فبرهنوا على ذلك بكسوف الكواكب بعضها بعضا لان الادنى يكسف الاعلى ضرورة لانهم لما وجدوا القمر يكسف جميع الكواكب ولا يكسفه الا ظل الارض حكموا بان فلكه اقرب الافلاك الينا ولما وجدوا عطارد يكسف الزهرة حكموا بان فلكه دونها والزهرة تكسف المريخ ففلكها دونه وكذلك المريخ يكسف المشترى ففلكه دونه والمشترى يكسف زحل وزحل يكسف ما يسامته من الثوابت فحصل بهذا الاعتبار حكم جازم بهذا الترتيب وبقى الشك فى الشمس بالنسبة الى الكواكب الخمسة والثوابت دون القمر لانه تبين انه تحتها واما الخمسة الاخر فان ماقرب منها يختفى من نورها فلا يظهر بينهما كسوف ووضع بطليموس فلكها رابعا تحت المريخ وفوق الزهرة تقليدا للقدماء ولما راى من لوازم يشترك فيها زحل والمشترى والمريخ فقط جعلها فوق وسماها علوية ولوازم تشترك فيها الزهرة وعطارد جعلها تحتها وسماها سفلية واما المتأخرون فانهم لم يقفوا فى امر الشمس عند هذا الاقناع بل اعتبروا لوازم القرب والبعد من اختلاف المنظر فظهر لهم انها فوق القمر خاصة كما بينه جابر بن افلح فى كتابه فى الهيئة وغيره من المتأخرين ورام النصير الطوسى الانتصار لبطليموس فذكر اشياء من جهة لوازم الاجرام والابعاد تعضد رأى بطليموس لكنها عند التحقيق لا تثبت على محك النظر والله أعلم والرصد والتسيير يشهدان بهذا كله فهو أمر مبرهن يشهد به الحس ويحكم به العقل وهذه صورة الافلاك والعناصر

بلاد المشرق ودعا الى عبادة النيران لما رأى فى تلك الاماكن من البرد والثلج ورغبة أهلها فى النار اتبعوه وكان صاحب حيل وسحر ويقال انه كان صحب شعيبا عليه السلام وكان يخبره بوقائع تقع ثم كفر ووضع كتابا زعم أنه أنزل عليه مكتوبا بماء الذهب فصعبت عليهم قراءته فوضع له شرحا سماه الزند ثم لما ظهر مردك زاد فى شرحه فى اسم الكتاب فقال زندين فلما جاءت العرب قالت زنديق ويسمى من مال الى هذا المذهب أو ما قاربه من الخروج عن الشريعة زنديقا وأكثرهم فى الاسلام نوع من الجهمية أصل اعتقادهم انه ليس ينبغى لاحد أن يثبت لنفسه ربا لانه لا يمكنه الاثبات الا بالعين أو الادراك بالحواس وقالوا ما لا يدرك ليس باله لانه مجهول وما لا يدرك فلا ينبغى أن يثبت وسلكوا على هذه الطريقة واباحوا اتيان المحرمات وترك العبادات لانكارهم البعث وجحودهم الشريعة وسبيلهم مذهب مردك فى اباحة النساء وان الناس كلهم سواء فيهن ولذلك قيل للمنهمك فى لذاته واللعب والبطالة يا زنديق أو قيل له أظرف من زنديق



وفلك البروج محيط بفلك زحل والفلك الاطلس محيط بفلك البروج والاطلس يدور بما فيه فى اليوم والليلة من المشرق الى المغرب مرة واحدة دورة كاملة فتبارك الله أحسن الخالقين وقال الارجانى مشيرا الى علو زحل وانحطاط الشمس عنه

ودع التناهى فى طلاب العلى * واقنع فلم ار مثل عز القانع
فسابع الافلاك لم يحل سوى * زحل ومجرى الشمس وسط الرابع

وهذا المعنى أخذه من الطغرائى لان الارجانى توفى سنة أربع واربعين وخمسمائة والطغرائى سنة خمس عشرة وخمسمائة ولكن بيت الطغرائى أبدع وأعذب وأطرب وأهز للاعطاف واخلب للقلوب وان كان بيت الارجانى فيه زيادة ان الشمس فى الرابع وزحل فى السابع ففيه زيادة بيان

في الصورة الواقعة وبعد التفاوت بينهما في المحل وبيت الطغرائي انما يفهم منه علو زحل لا غير فقد يظن أنه في الخامس وقال ابن الساعاتي يشير الى أن الشمس في الرابع ويريد به الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أتظن يا خير الانام نقيصة * والنقص للاطراف لا الاشراف
أوما ترى ان الكواكب سبعة * والشمس رابعة بغير خلاف

والشمس هي الكوكب النير الذي يمد سائر الكواكب بالنور على بعض الآراء والى ذلك أشار التهامي في قوله يمدح الشريف الزيدي المحبوس بالقاهرة في خزانة البنود

بث الفضائل خلفه وامامه * ففناؤه مهجته كمثل خلودها
كالشمس تودع في الكواكب نورها * فتنوب للسارين عن مفقودها

وبالاجماع من أرباب الهيئة ان القمر يستمد النور من الشمس وزيادة النور فيه ونقصانه بحسب البعد والقرب منها لان جرم القمر كثيف حديدي مستحصف قابل لانطباع النور فيه كالمرآة ولهذا قال الخطيري

أعطيتني نصف الذي أملته * من كاغد ووعدتني بسواه
ورجعت تأخذه المليك تقاضيا * مني وذاك الوعد لست أراه
كالشمس تعطي البدر نور تمامه * وتعود تأخذ منه ما يعطاه

وقال ابن نباتة السعدي

ان جمعناهما اضر بنا الجمع وضاعت فيه ضياع المحال
فهو كالشمس بعدها يملأ البد * ر وفي قربها محاق الهلال

قال ابن الساعاتي

تعجبت من نحولي وهي واصلة * توهما أنني بالوصل انتفع
وما درت ان خديها ومصطبري * كجذوة النار منها قرب الشمع
والبدر يكمل حيث الشمس نائية * عنه ويمحق اذ بالشمس يجتمع

وقال ابن قلاقس يشير الى أن نور البدر عرضي

ما أنت والقمر المنير وان غدا * ملء العيون وراقهن سواء
للبدر بالعرض الضياء وأنت قد * جمعت بجوهر ذاتك الاضواء

والشمس تمد القمر بالنور وهو يكسفها ولهذا قال الشعراء في هذا المعنى فمنهم أبو الفتح البستي

لئن كسفونا بلا علة * وفازت قداحهم بالظفر
فقد يكسف المرء من دونه * كما يكسف الشمس ضوء القمر

وقال ابن رشيق يعرض بكاتب رد أمر محمد بن هرون

أرى بعض من أنت حسيرته * من الناس يعروك تعييره
تنافس أفعالك أفعاله * وينقص جاهك تأثيره
كما كسف الشمس بدر الدجى * وان كان من نورها نوره

وقال أبو اسحق الغزي

كفاك الله أصغر من تناوى * فان الشمس تكسف بالهلال

وسئل بعضهم من الاضحى فقال وباء يقع في البقورة والاغنام وقتل منهم المهدي خلقا كثيرا وذلك أنه رأى في المنام كأن الكعبة قد مالت فدعمها هو وشخص حتى قامت فلما انتبه سأل عن صفة ذلك الشخص الذي رآه في المنام فأتى بزنديق يقال له حمدون على الصفة فاستتابه فتاب فأمره بتتبع الزنادقة فانه كان يعرف عامتهم فدله على خلق كثير فقتلهم وكان جيد الفراسة فيهم حتى أنه مر بمؤذن مظهر للصلاح فسمعه يقول في أذانه أشهد أن محمدا رسول الله بفتح اللام فوقع في ظنه أنه زنديق لانه لم يضم اللام فقبض عليه وقرره فوجده زنديقا وكان يمتحنهم بمسائل مختلفة ويبرز لاكثرهم خرقة مصورا فيها صورة ماني وهي صورة سمجة غليظة المشافر فيأمره أن يبصق عليها فيأبى ويختار القتل دون ذلك فيقتل وكان أكثرهم ثنوية (والمخرقة) نوع من التوصل الى حيل باظهار الخرق الذي هو ضد الرفق والتدبر ومنه يقال المخراق وهو شيء يلعب به كأنه يخرج لاظهار الشيء بخلافه

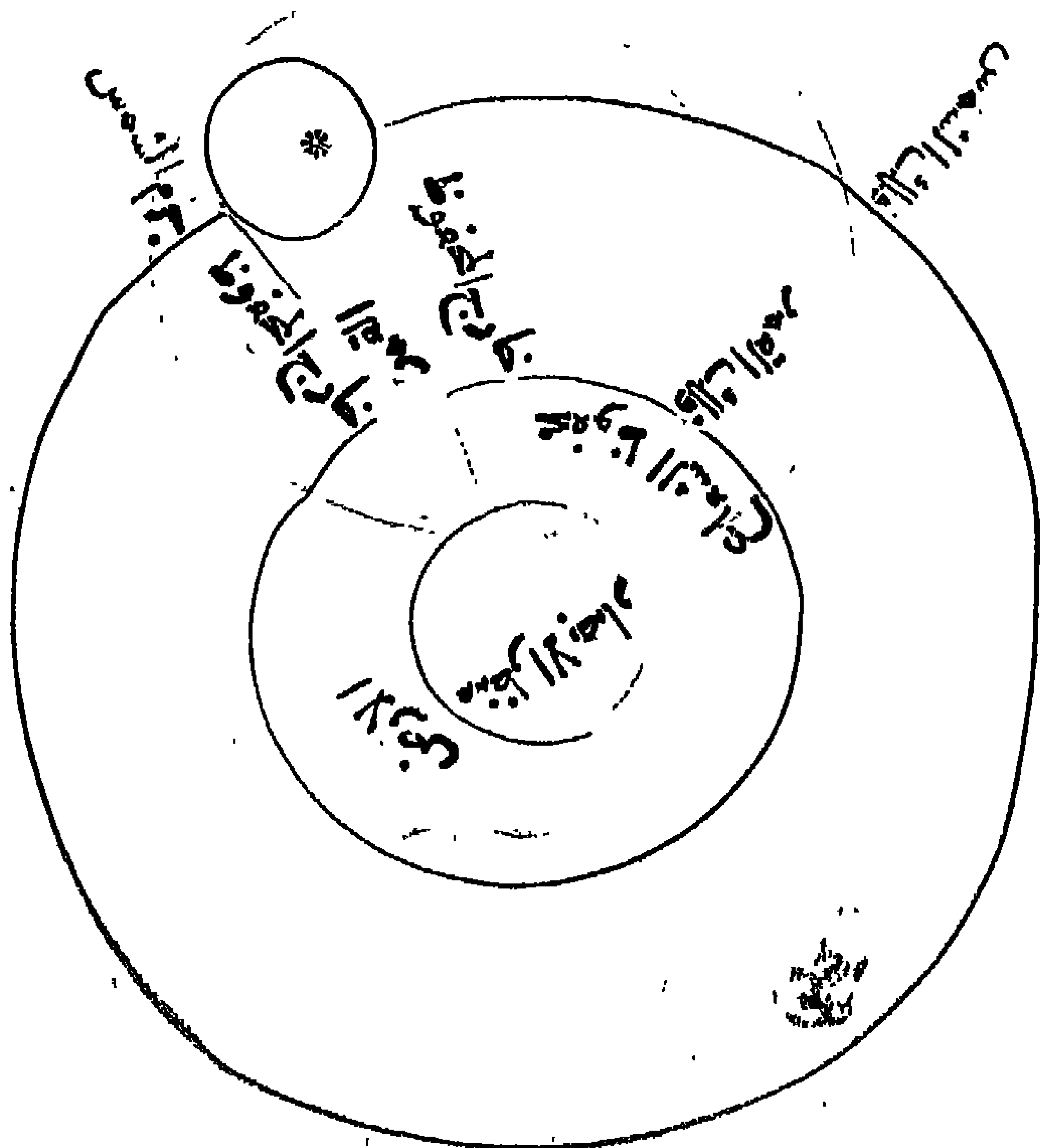
وقال أيضا

لست أنسى قول سلمى ذات يوم * ما لهذا المنحنى الظهر ومالى
أنا شمس فى الضحى وهو هلال * وكسوف الشمس من قرن الهلال

وقال ابن التلميذ

أشكو الى الله صاحبا شكسا * تسعفه النفس وهو يعسفها
فنحن كالشمس والهلال معا * تكسبه النور وهو يكسفها

والسبب فى ذلك توسط القمر بينها وبين أبصارنا لان جرم القمر كما تقدم كدر مظلم فيحجب ماوراءه عن الابصار لان فلكه دون فلك الشمس فاذا اجتمع معها فى درجة واحدة وكان على مسامتة احدى نقطتى الرأس أو الذنب أو قريبا منهما فانه يجوز تحت الشمس فيحول بينها وبين أبصارنا ولا يتصور لكسوف الشمس مكث أكثر من ساعتين مستويتين لان حركة القمر متصلة سريعة لضيق فلكه فاذا كان الكاسف ليس عارضا فى نفس الشمس بل هو سبب التوسط بينها وبين الابصار فيجوز أن يختلف وضع المتوسط وهذا هو سبب اختلافه فى الزمان والقدر فى بعض البلاد وانجلائها من طرفها الغربى اذ القمر متصل بها من ناحية المغرب وهذا الشكل يوضح لك ما ذكرته فتأمله وتدبر وضعه يظهر لك صورة كسوف الشمس



(مساو لو قسمن على الغوانى
لما أمهرن الا بالطلاق)
هذا البيت لابى تمام الطائى من أبيات يهجو بها الاعمش وهى هذه

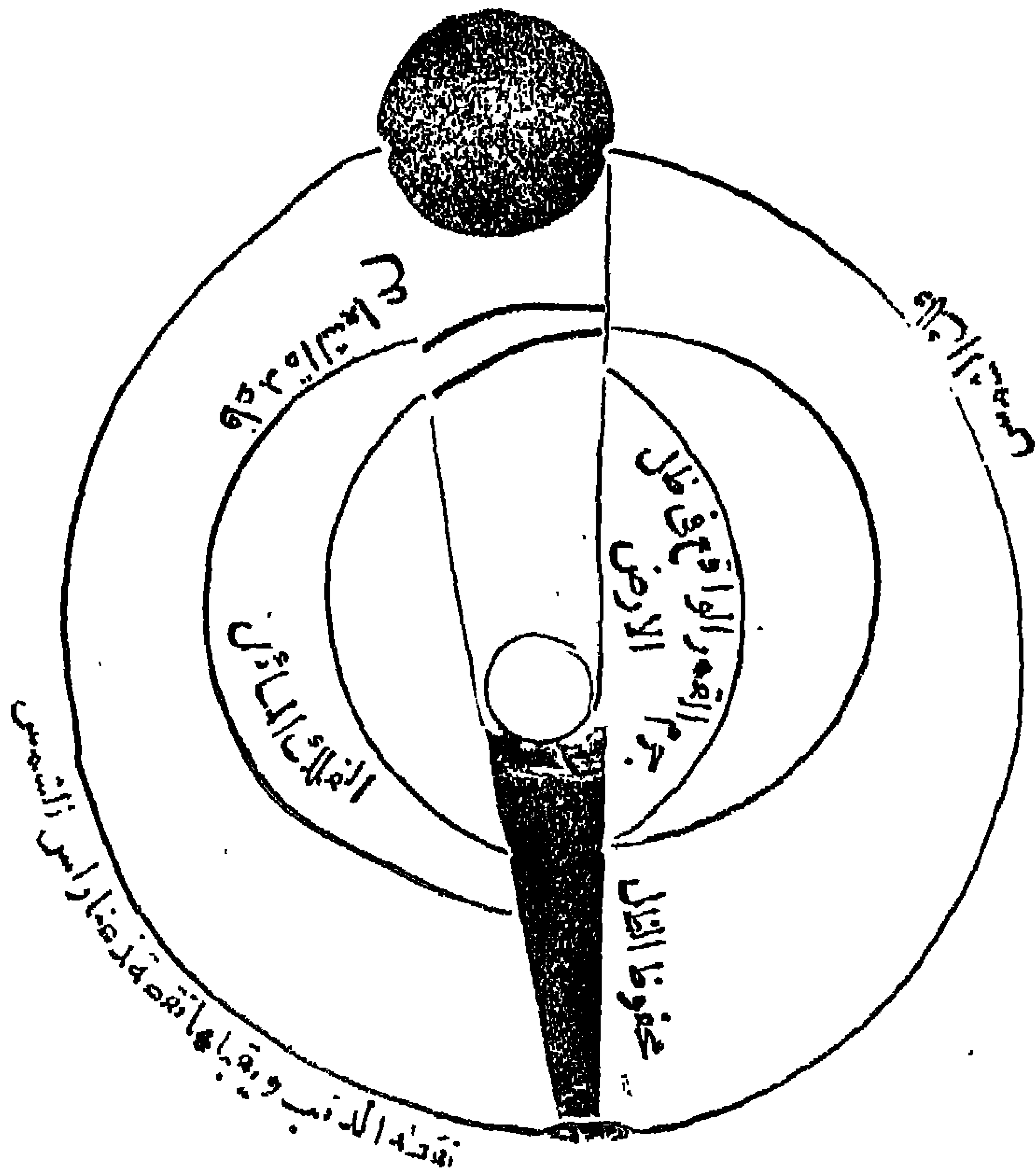
دع ابن الاعمش المسكين يبكى
لداء ظل منه فى وثاق
لبئس الداء والداء استكفا
عليه من السماحة والخلاق
كحات بقبح صورته فأضحى
لها انسان عينى فى السياق
مساو لو قسمن على الغوانى
لما أمهرن الا بالطلاق

يعنى ان صفاته لو تقسمت على الغوانى وهن النساء اللواتى غنين بأزواجهن لم يعطهن الازواج مهرا غير الطلاق بغضا فيهن وراحة منهن لما اكتسبن من المساوى والقبائح

(حتى ان باقلا موصوف بالبلاغة اذا قرن بك)
يعنى باقل بن عمرو بن ثعلبة الايادى الذى يضرب به المثل فى العى فيقال اعيى من باقل قال أبو عبيدة بلغ من عيه انه اشترى ظبيا بأحد عشر درهما فلقيه شخص وهو معه فقال بكم اشتريته ففتح كفيه وفرق أصابعه وأخرج لسانه يشير بذلك الى أحد عشر فهرب الظبى من كفه وضربوا به المثل فى العى قال حميد الارقط يهجو ضيفا له

أتانا وما داناه سحبان وائل

وسبب خسوف القمر توسط الارض بينه وبين نور الشمس فاذا كان القمر على مسامتة احد نقطتى الرأس والذنب أو قريبا منهما توسطت الارض بينه وبين ضياء الشمس فيقع فى ظل الارض ويبقى على ظلامه الاصلى فيرى منخسفا وظل الارض أبدا يكون فى الجهة التى تقابل جرم الشمس وخسوفه لا يختلف باختلاف البلاد لان الكاسف عارض فى جرمه وهو وقوعه فى ظل الارض ولكن تختلف أوقات الخسوف باختلافها بان يكون فى بعض البلاد على مضى ساعة وفى بعضها على مضى نصف ساعة أو أقل أو أكثر وقد يطلع فى بعضها منخسفا ولا يرى فى بعضها لكونه تحت الارض اذ طلوعه فى البلاد الشرقية قبل طلوعه فى البلاد الغربية ويبدو خسوف القمر من طرفه الشرقى اذ هو الذاهب الى الاستقبال ثم ينحرف نحو الشمال والجنوب وانجلاؤه يكون أيضا من الطرف الشرقى وأطول ما يكون زمانه بالتقريب أربع ساعات ومن هذا الشكل يظهر لك ما ذكرته فتأمله



فقد ظهر لك بهذا الشكل خسوف القمر والذى قبله خسوف الشمس وبعضهم يخص لفظة الكسوف بالشمس والخسوف بالقمر وقال الامام فخر الدين طعنت الملاحدة فى قوله تعالى فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر قالوا خسوف القمر لا يحصل حال اجتماع

الشمس

بيانا وعلما بالذى هو قائل
فما زال عنه اللقم حتى كأنه
من العى لما ان تكلم باقل
سحبان رجل من بنى وائل
يضرب به المثل فى البلاغة
واللقم بالفتح ثم السكون سد
الفم باللقم وقال أبو العلاء
المعرى فى لاميته
اذا وصف الطائى بالبخل مادر
وعير قسا بالفهاهة باقل
وقال السها للشمس أنت خفية
وقال الدجى للصبح لونك حائل
وطاولت الارض السماء
سفاهة
وفاخرت الشهب الحصا
والجنادل
فيا موت زر ان الحياة ذميمة
ويا نفس جدى ان دهرك
هازل
الطائى هو حاتم المشهور
بالكرم ومادر اسم رجل من
بنى هلال بن عامر بن صعصعة
يضرب به المثل فى البخل لانه
سقى ابله من حوض فبقى
فى أسفله قليل ماء فسلح فيه
ومدر به أى لطخه فى جوانب
الحوض بخلا أن يسقى غيره
فصار مثلا يضرب قال الشاعر
لقد جللت خزيا هلال بن عامر
بنى عامر طرا بسلحة مادر
وقس بن ساعدة الايادى
أسقف نجران وكان أحد
حكماء العرب وخطبائهم
يضرب به المثل فى الفصاحة
والفهاهة العى يقال رجل فه

الشمس والقمر والجواب ان الله تعالى قادر على ان يجعل القمر منخسفا سواء كانت الارض متوسطة بينه وبين الشمس أولم تكن والدليل عليه ان الاجسام متماثلة فيصح على كل واحد منها مايصح على الآخر والله تعالى قادر على الممكنات فوجب ان يقدر على ازالة الضوء عن القمر في جميع الاحوال اه قلت وقال بعضهم هو كناية عن ذهاب الروح الى عالم الآخرة كأن الآخرة كالشمس فانها تظهر فيها المغيبات وتبدو المبهمات وتتضح والروح كالقمر فكما ان القمر يقبل النور من الشمس كذلك الروح تقبل نور المعارف من عالم الآخرة وبهذا التأويل يسقط طعن من ألحد في هذه الآية الكريمة والله أعلم وقال الفراء وانما قال وجمع الشمس ولم يقل وجمعت لان المراد انه جمع بينهما في زوال النور وذهاب الضوء وقال الكسائي المعنى جمع النوران وقال القمر شارك الشمس في الجمع وهو مذكر فلاجرم غلب جانب التذكير في اللفظ (رجع القول الى فضيلة الشمس) والشمس هي التي يكون بواسطتها تكون المعادن ونحو الحيوان والنبات باذن الله تعالى الذي خلق كل شيء ويسره فقد جعلها الله علة التركيبات الطبيعية واعتدالها سبب النشء الحيواني والنباتي اذلا بقاء لهذا النشء الا في هذه المواضع التي لا تبعد عن مدار الشمس ولا تقرب منه جدا لانها ان بعدت عن ناحية الشمال اشتد البرد وعصفت الرياح وتكاثفت الظلم فلا يمكن ان ينشأ حيوان ولا نبات وان قربت الى ناحية الجنوب اشتد الحر وسخن الهواء وجفت الرطوبات فلا يمكن أن ينشأ حيوان ولا نبات فهي اذا اعتدلت في البعد والقرب أو قاربت أمكن نشء النبات والحيوان واعتدلت الامزجة والطبائع والاخلاق وقال ارسطو لو توارت الشمس عن الارض لمات حيها وأنتن طينها وجمد ماؤها لانها في الارض كالدم في الجسد واعلم ان الشمس وسائر الافلاك والكواكب لا يقال في شيء منها انه حار ولا بارد ولا رطب ولا يابس لانتفاء لوازم هذه الكيفيات بل هي طبائع خارجة عن هذه الطبائع الاربع وكل واحد منها نوع منحصر في شخصه وربما قيل فيها طبيعة خامسة تجوزا والا فهي متغايرة الطبائع في جواهرها وانما تأثير الشمس في عالم الكون والفساد التسخين العام بالاضاءة والاشراق واشتداده انما هو بانعكاس الشعاع على زوايا حادة جدا ونا كصة على أعقابها فتتراكم الاشعة فيحصل منها افراط التسخين كما يحصل الاحراق عن المرآة المحرقة بواسطة انعكاس الشعاع والله أعلم بالصواب وذكر أرباب الهيئة ان مساحة جرمها على ماتبرهن في المجسطي كما ذهب اليه أبو الريحان قدر الارض مائة وسبعة وستين مرة وثلث مرة وعلى ماصححه كوشيار مائة وستة وستين مرة وربع مرة وثمن مرة وزعموا أن مساحة كرة الشمس مما يلي كرة الزهرة اثنان وعشرون ألف ألف وخمسمائة ألف وتسعة وستون ألفا ومائة وأربعة وثمانون ميلا ومساحة كرة الشمس مما يلي كرة المريخ اربعة وعشرون ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسة وتسعون ألفا ومائتان وتسعة عشر ميلا وأما دور قرص الشمس فزعموا انه مائة ألف وثمانية وثمانون ميلا وقول كوشيار هو الصحيح وعليه العمل لان بطليموس بين أولا ان جرم الشمس أعظم من كرة الارض ثم حرر هذه النسبة وبين ان قطر الارض كجزءين من أحد عشر جزأ من قطر الشمس وبين اقليدس ان نسبة الكرة الى الكرة كنسبة القطر الى القطر مثلثة بالتكرير فاذا جعلنا قطر الارض الذي هو أصغر المقدارين واحدا وضربناه في نفسه كان الحاصل عنه واحدا ثم ضربناه مرة أخرى في نفسه لم يحصل غير

وامرأة فهة قال بعضهم
ولم تلفني فها ولم تلف حجتي
ملجلجة أبغي لها من يقيمها
والسها كوكب خفي في
بنات نعش الكبرى والناس
يمتحنون به أبصارهم وفي
المثل أريها السها وتريني
القمر وقد ضمن هذا المثل
الشيخ شمس الدين النواجي
صاحب حلبة الكميت
حيث قال
مرضت فعادت وأبدت سنى
محيا بروق لعيني النظر
وبت ولي جسد ناحل
أريها السها وتريني القمر
وضمنت أنا عجز بيت المعري
فقلت
وأعيا فصيح الوقت نبت
عذاره
وعير قسا بالفهاهة باقل
(والبلاغة) بلوغ الدرجة
العالية في النطق والمعنى
في قوله أن باقلا بالنسبة
اليك يكون بليغا
(وهبنقة مستوجب لاسم
العقل اذا أضيف اليك)
يعني يزيد بن ثروان أحد بني
قيس بن ثعلبة الملقب
هبنقة والمكني بابي الودعات
لانه نظم ودعا لنفسه في سلك
وجعله في عنقه علامة لنفسه
لئلا يضيع قيل ان أخاه
راقبه الى أن نام فاخذ العقد
من عنقه وجعله في عنق نفسه
فلما انتبه هبنقة ورأى أخاه

واحد وهذا هو الحاصل من تكعيب قطر الارض وهو جرمها ثم نضرب قطر الشمس الذي هو خمسة أمثال هذا ونصف مثل في نفسه فيبلغ ذلك ثلاثين جزأ وربع جزء فاذا ضربناه في الاصل وهو خمسة ونصف بلغ مائة وستة وستين جزأ وربعا وثمنا وهو تكعيب قطر الشمس أعني جرمها وقد بين الخواجة نصير الدين الطوسي في كتابه التذكرة في الهيئة في الباب الرابع منه معرفة الاجرام والابعاد ان بعد الشمس عن مركز الارض في بعدها الاوسط الف ومائتان وعشرة أمثال نصف قطر الارض ونصف قطر الارض ثلاثة آلاف وستمائة وتسعة عشر ميلا فيكون البعد عن الشمس الى الارض بالاميال أربعة آلاف مرة واحدة ومائتين وثلاثة وعشرين ألف ميل اوتسعمائة وتسعين ميلا ويكون بعد زحل الاوسط عن مركز الارض سبعة وسبعين ألف ألف مرتين ومائة ألف وستة وأربعين ألفا وستمائة وسبعة وتسعين ميلا والبعد الابعد لزحل عن مركز الارض تسعة عشر ألفا وتسعمائة وثلاثة وستين مثلا بالثاء المثلثة لنصف قطر الارض وجرم زحل مثل جرم الارض سبعة وسبعين مرة وزعم المنجمون ان الذهب معدن الشمس وان الاصفر من الالوان يخص الشمس وانها في الفلك بمنزلة السلطان وقال بعضهم الحكمة في كون الشمس في الرابع لانها اذا كانت فيه كانت في اوسط الافلاك فاضاء بها مافوقها وماتحتها وبعثت النور في مجموع العالم وتكون بمنزلة الواسطة في العقد وقال صاحب رسائل اخوان الصفا الشمس بين الكواكب كالملك وسائرها كالاعوان والجنود والقمر كالوزير وولي العهد وعطارد كالكاتب والمريخ كصاحب الجيش والمشتري كالقاضي وزحل صاحب الخزائن والزهرة كالخدم والجواري اهـ وعلى الجملة فمحاسن الشمس كثيرة وفضائلها عديدة وقد اقتضى الوضع الالهي ان تكون رابعة لما تقدم من انها كالواسطة بخلاف ما اذا كانت في الاعلى او في الاسفل وهذا دليل على الحكمة الربانية وما احسن قول التهامي

محاسن الاشياء في تركيبها * طوق الحمامة حلية في جيدها

وقد وصف الشعراء الشمس واطنبوا فيها فمن ذلك قول الوزير ابي محمد المهلبي

الشمس من مشرقها قد بدت * منيرة ليس لها حاجب
كأنها بوتقة أحميت * يجول فيها ذهب ذائب

وظرف ظافر الحداد الاسكندري في قوله

انظر لقرن الشمس بازغة * في الشرق تبدو ثم ترتفع
كسبيكة الزجاج ذائبة * حمراء تنفخها فتتسع

واخذه الآخر فقال واحسن

ياحسنها وقد دنا طلوعها * فاضحكت بقربها سماءها
كأنها عين بها جارية * وقد أفاضت في السماء ماءها

وقال ابن المعتز في الشمس والغيم وهو بديع

تظل الشمس ترمقنا بلحظ * مريض مدنف من خلف ستر
تحاول فتق غيم وهو يأبى * كعنين يريد نكاح بكر

وقال المهلبي

قال له أنت أنا فانا ترى من هو أنا ولهذا يضرب به المثل في الحمق وهو جاهلي ومن اخباره انه كان اذا رعى غنما أو ابلا جعل يختار المراعي للسمان وينحي المهازيل وقال لا أصلح ما أفسد الله * ومنها انه اختصم اليه بنو راسب وبنو طفاوة في شخص يدعونه فقال هبنقة أرموه في البحر فان رسب فهو من بني راسب وان طفا فهو من بني طفاوة * ومنها انه رأى مع الناس جوادا قد أقبل فقال لا يهولنكم ماترون فان أكثرها موتى * واشترى أخوه بقرة باربعة أعنز فركبها فأعجبه عدوها فالتفت الى أخيه وقال زدهم عنزا أخرى فضرب به المثل للمعطي بعد امضاء البيع ثم سار بها فرأى أرنبا تحت شجرة ففزع منها وركض البقرة وقال

الله نجاني ونجى البقرة
من جاحظ العينين تحت الشجرة

وروى أن مالك بن مسمع قال للاحنف بن قيس مازحا وهو يفتخر بالربيعة على المضرية لاحمق بكر بن وائل أشهر من سيد بني تميم يعني بالاحمق هبنقة القيسي فقال الاحنف لتيس بني تميم أشهر من سيد بكر بن وائل يعني تيس بني حمان الذي يقال

والشمس حيرى خلف غيم عارض * فكأننا فى ضوء ليل مقمر

وقال فى طلوعها مبادرة القمر

أما ترى الشمس وهى طالعة * تمنع منا ادامة النظر
حمراء صفراء فى تلونها * كأنها تشتكى من السهر
مثل عروس غداة ليلتها * تمسك مرآتها من القمر

وما أحسن قول ابن طباطبا

متى أبصرت شمسا تحت غيم * ترى المرآة فى كف الحسود
يقابلها فيلبسها غشاء * بانفاس تزايد فى الصعود

وهذا يشبه قول أبى بكر محمد بن هاشم فى السماء

وتنقبت بخفيف غيم أبيض * هى فيه بين تخفر وتبرج
كتنفس الحسناء فى المرآة اذ * كملت محاسنها ولم تتزوج

وقال أبو حفص بن برد

والبدر كالمرآة غير صقلها * عبث الغوانى فيه بالانفاس

وما أعدل قول المعوج

كأن شعاع الشمس فى كل غدوة * على ورق الاشجار أول طالع
دنانير فى كف الاشل يضمها * لقبض فتهوى من فروج الاصابع

وهو مأخوذ من قول أبى الطيب المتنبى

والقى الشرق منها فى ثيابى * دنانيرا تفر من البنان

ولكن زاده فى المعنى كف الاشل لكثرة اضطرابها فى حركتها وهو حسن ولكن هذه الزيادة أخذها أيضا من قول ابن المعتز * والشمس كالمرآة فى كف الاشل *

ومن هنا أخذ ابن قلاقس رحمه الله قوله

والرمل فى حبك النسيم كأنما * أبدى غضون سوالف المذعور
والبحر يرعد متنه فكأنه * درع يشن بعطفى مقرور

بل أخذه من قول الآخر فى الخمر

كانت سراج أناس يهتدون بها * فى سالف الدهر قبل النار والنور
تهتز فى الكاس من ضعف ومن كبر * كأنها قبس فى كف مقرور

وأخذه القاضى الفاضل أيضا فقال

والشمس من بين الآرائك قد حكت * سيفا صقيلا فى يد رعشاء

وقال ابن الرومى

كأن جنوح الشمس عند غروبها * وقد جعلت فى مجنح الليل تمرض
تخاوص عين مس اجفانها الكرى * ترنق فيها النوم وهى تغمض

وقال ابن قلاقس

والشمس فى وقت الاصيل بهارة لفت بورد

وقال ابن خفاجة

فيه أعلم من تيس بنى حمان يزعمون انه نزا على عنز بعد أن قربت أوداجه

(وطويس أشأم من طويس اذا قيس عليك)

هو عيسى بن عبد الله مولى بنى مخزوم وكنيته أبو عبد النعيم كان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية ويضرب به المثل فى الشؤم وذلك انه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم مات أبو بكر وختن يوم قتل عمر وتزوج يوم قتل عثمان وكانت أمه تمشى بالنميمة بين نساء الانصار * وله أخبار تدل على مكره وفطنته قال كان عبد الله بن جعفر ومعه أخدان له فى عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جود أسال كل شئ فقال عبد الله هل لكم فى العقيق وهو منتزه أهل المدينة فى الربيع والمطر فركبوا ثم أتوا العقيق فوقفوا على شاطئه وهو يرمى بالزبد فانهم لينظرون اذ جادت السماء فقال عبد الله لاصحابه ليس معنا جنة نستجن بها وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا فهل لكم فى منزل طويس فانه قريب منا فنسكن فيه

والنقع يكسر من سنا شمس الضحى * فكأنه صدأ على دينار

قلت قوله صدأ على دينار فيه نظر لان الذهب من جملة خواصه أنه لا يعلوه صدأ ولا يركبه ولا يبليه التراب نعم قالوا اذا علق في مكان تتصاعد اليه الرطوبات كما اذا علق في فضاء بئر أو ما أشبهه ربما تأكل وبلي وابن النبيه استعمل الصدأ فأحسن في قوله

والظل يسبح في الغدير كأنه * صدأ يلوح على حسام مرهف

وهو تشبيه وقع موقعه بخلاف قول ابن خفاجة وقد أحسن ابن سناء الملك أيضا في قوله

كأن أصيل الجو في نهرها * سحالة العسجد في المبرد

وانشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود رحمه الله تعالى فقال والشمس في طفل الامساء تنظر من * طرف غدا وهو من خوف الفراق خفي

كعاشق سار عن أحبابه وهفا * به النوى فتراآهم على شرف

ولابن الرومي من قصيدة في غروب الشمس

ولاحظت النوار وهي مريضة * وقد وضعت خدا على الارض أضرعا

وودعت الدنيا لتقضي نحبها * وشول باقي عمرها فتضعضعا

كما لاحظت عوادها عين مدنف * توجع من أوصابه ما توجعا

وما أحسن قول بعض الاعراب يصف أحوالها

مخبأة أما اذا الليل جنها * فتخفى وأما بالنهار فتظهر

اذا انشق منها ساطع الفجر وانجلى * دجى الليل وانجاب الحجاب المستر

والبس عرض الارض لونا كأنه * على الافق الغربي ثوب معصفر

تجلب سريعا حين يبدو شعاعها * ولم يبد للعين البصيرة منظر

عليها كدرع الزعفران يشوبه * شعاع تلالا فهو أبيض أصفر

فلما انجلت وابيض منها اصفرارها * وجالت كما جال الوشاح المشهر

وجلت الآفاق نورا فأصعدت * بحر له صدر الشجي يتسعر

ترى الظل يطوى حين تبدو وتارة * تراه اذا زالت على الارض ينشر

كما بدأت اذ أشرقت بطلوعها * تعود كما عاد الكبير المعمر

وتدنف حتى ما يكاد شعاعها * يبين اذا ولت لمن يتبصر

فافنت قرونا وهي اذ ذاك لم تزل * تموت وتحيا كل يوم وتنشر

وقال محمد بن شرف القيرواني ملغزا فيها

وبلقيسية في الملك ليست * كن أو هي سليمان قواها

يراها كل ذي بصر فيعشو * لبهجتها الى أن لا يراها

اذا العليا يبالغ ناسبوها * عزوها في السمو الى علاها

وملك الارض من بر وبحر * فليس يرومه ملك سواها

نعوت كلهن غدت نعوتا * لعباد سوى نعت عداها

وذلك انها مهما أقامت * بارض أيبست منها ثراها

وعباد اذا ما حل أرضا * تفجر يبس تربتها مياها

وتحدثنا ويضحكنا فقال وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر مع أصحابه ولم يروه فقال عبد الرحمن ابن حسان جعلت فداك وما تريد من منزل طويس عليه غضب الله مخنث شائن لمن عرفه فقال عبد الله لا تقل ذاك فانه خفيف انما فيه انس فلما استوفى طويس الكلام تعجل الى منزله فقال لامرأته ويحك قد جاءك سيد الناس عبد الله ابن جعفر فما عندك قالت نذبح هذه العناق وكانت قد ربتها باللبن واختبز رقاقا فبادر بذبحها وعجنت هي وخرج وتلقاه مقبلا اليه فقال له طويس بأبي أنت وأمي هذا المطر هل لك في المنزل فتسكن به الى أن تكف السماء قال اياك أريد قال فامض يا سيدي على بركة الله وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا فتحدثوا الى أن أدرك الطعام فاستأذنه عليه وأتى بعناق سمينة ورقاق فأكل وأكل القوم وأعجبه طعامه ثم قال بأبي أنت وأمي أما أغنيك قال بلى فاخذ الدف وغنى

يا خليلي نابني سهدي
لم تنم عيني ولم تكد
كيف تلحوني على رجل
آنس تلتذه كبدي

فطرب القوم وقالوا والله

وقال

وقال الشرف التيفاشي في ذمها

في خلقة الشمس وأخلاقها * شتى عيوب ستة تذكر
من صحها النور لامسائها * مغاير الأشكال لا يغتفر
ومبداء عشاء إذا أصبحت * عمياء عند الليل لا تبصر
ويغتدى البدر لها كاسفا * وجرمه من جرمها أصغر
جورها في القيظ لا تتقي * ونورها في القر مستحقر
وخلقها خلق الملوك التي * تنكث في العهد ولا تصبر
ليست بحسناء وما حسن من * يقصر عنه اللفظ إذ يخبر

وأحسن من هذا قول ابن سناء الملك

لا كانت الشمس فكم أصدأت * صفحة خد كالحسام الصقيل
وكم وكم صدت بوادي الكرى * طيف خيال جاءني من خليل
وأعدمتني من نجوم الدجى * ومنه روضا بين ظل ظليل
تكذب في الوعد وبرهانه * ان سراب القفر منها سليل
وتحسب النهر حساما فتر * تاع وتحكي فيه قلب الذليل
ان صدأ الطرف فصاقله * الا التحلي بحيا جميل
وهي اذا أبصرها مبصر * حديد طرف عاد عنها كليل
يا غلة المهموم يا جلدة المحموم يا زفرة صب نحيل
يا فرحة المشرق وقت الضحى * وسلحة المغرب عند الاصيل
أنت عجوز لم تبرجت لي * وقد بدا منك لعاب يسيل
وأنت بالشيطان قرنانة * فكيف تهدينا سواء السبيل

انظر الى هذا المعنى الذي تكلفه لاظهار معايب الشمس ليعلم تفاوت الناس في البلاغة وأحسن ما في هذه القطعة قوله يا غلة المهموم البيت والذي بعده أحسن وكذلك الثالث أيضا وهو مأخوذ من قول أبي العلاء المعري

وفضل الشمس في الايام باق * وان مدت من الكبر اللعابا

وعلى قوله سلحة المغرب ذكرت ما أنشدني من لفظه الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد ابن سيد الناس اليعمري قال أنشدني شهاب الدين أحمد بن زكريا بن أبي العشائر الماردينى قال أنشدني الزين الجوبان لنفسه

انظر الى الشمس وقد عممت * رؤس الهضاب الصلع بالاصفر
كأنها في الجو قلاعة * وجاء فلاح عليها خري

وقال عبد الملك بن عمر في الشمس لما سئل عنها مظهرة للداء منقلة للريح مبلاة للثوب وقال فيها آخر تشحب اللون وتغير العرق وترخي البدن وتثير المرة ان احتجمت فيها أمرضتك وان أطلت النوم فيها أقلقتك وان قربت منها صرت زنجيا وان بعدت عنها صرت صقليا وقد تكلف ابن الرومي وعدد للقمر معايب وأبياته في ذلك مشهورة وهي

لو أراد الاديب أن يهجو البد * ر رماه بالخطة الشنعاء

أحسنت فقال يا سيدي أتدري لمن هذا الشعر قال لا قال هذا الفارعة بنت حسان وهي تعشق عبد الرحمن بن الحرث المخزومي وتقول فيه فسكت القوم وضرب عبد الرحمن برأسه فلو ثقبت له الارض لذهب فيها وعلم عبد الله انه اقتص من عبد الرحمن *ولطويس شعر ركيك لا فائدة في ذكره (واليمن) البركة وأيامن الطير ما كانت العرب تتفاءل به للسافر اذا أولاه الطير يمينه وهو خلاف الاشائم وفي الحديث اللهم لا طير الا طيرك

(فوجودك عدم
والاغتباط بك ندم)
(والخيبة منك ظفر
والجنة معك سقر)

قوله (وجودك عدم) هو مأخوذ من قول المتنبي

يا من يعز علينا أن نفارقهم * وجداننا كل شيء بعدكم عدم

(والغبطة) حسن الحال وفي الحديث اللهم غبطا لا هبطا أي نسألك الغبطة ونعوذ بك أن نهبط عن حالنا (والاغتباط) تمني حال المغبوط من غير أن يريد زوالها (والخيبة) فوت المطلوب (والظفر) الفوز به مأخوذ من ظفر أي نشب ظفره فيه (والجنة) كل بستان ستر الارض بشجره مأخوذ من

قال يابدر أنت تغدر بالسا * رى وتغرى بزورة الحسناء
كلف فى بياض وجهك يحكى * غشاف سوق وجنة برصاء
يعتريك المحاق فى كل شهر * فترى كالقلامة الحنّاء

وقد عدوا فى القمر معايب كما عدوا فى الشمس قالوا انه يهدم العمر ويحل الدين ويوجب أجرة المنزل ويسخن الماء ويفسد اللحم ويشحب الالوان ويبلى الكتان وقال الشاعر فى ذلك وهو أبو المطاع فى مليح عليه أخلاق

ترى الثياب من الكتان يلمحها * نور من البدر أحيانا فيبليها
فكيف تنكر أن تبلى غلائله * والبدر فى كل وقت طالع فيها

وهو مأخوذ من قول ابن طباطبا العلوى

لا تعجبوا من بلى غلالته * قد زر أزراره على القمر

والقمر يغر السارى لانه يخفى الكواكب فيضله ويفضح العاشق وقال فيه الشاعر

ياسارق الانوار من شمس الضحى * يامثكلى ثوب الكرى ومنغصى
لم يظفر التشبيه منك بطائل * متلفا بهقا كجلد الابرص

ويعجبنى قول ابن سناء الملك

ليل الحمى بات بدرى فيك معتنقى * وبات بدرك مرميا على الطرق
شتان مابين بدر صيغ من ذهب * وذاك بدرى وبدر صيغ من بهق

وقد حكى ان بعض العرب شردت راحلته فى الليل فاتبعها حتى أعيا فلما طلع القمر وجدها معلقة بخطامها ترعى من الشجر فرفع راسه الى القمر وقال

ماذا أقول وقولى فيك ذو قصر * وقد كفيتنى التفصيل والجملا
ان قلت لازلت مرفوعا فأنت كذا * أو قلت زانك ربى فهو قد فعلا

وهذا البدوى كان أرق طباعا من هؤلاء الذين عابوا القمر وعلى ذكر شرود الراحلة حكى ان امرأة شردت لها ناقة فأضلتها فقيل لها لو وجهت لها من يطلبها فقالت قد أخذت عليها بجوامع الطرق فقيل لها وما جوامع الطرق قالت الدعاء فيقال ان الناقة أصبحت مربوطة ببعض أطناب بيتها وقال بعض الاعراب يصف دعوة المظلوم

وسائرة لم تسر فى الارض تبتغى * محلا ولم يقطع بها البيد قاطع
سرت حيث لم تحد الركاب ولم تنخ * لورد ولم يقصر لها القيد مانع
تمر وراء الليل والليل ضارب * بجثمانه فيه سمير وهاجع
اذا وفدت لم يردد الله وفدها * على أهلها والله راء وسامع
تفتح أبواب السموات دونها * اذا قرع الابواب منهن قارع
وانى لارجو الله حتى كأنما * أرى بجميل الظن ما الله صانع

نقلت من خط ابن القيسرانى له يمدح نور الدين الشهيد

كلفت همتك السمو فخلقت * فكأنما هى دعوة فى ظالم
وطنت بأوطان النجوم فكم لها * من مارد قذفت اليه براجم

ونقلت من خط السراج الوراق له

جن الشئ اذا ستره قال الراغب وسميت الجنة جنة اما تشبيها بما يرى فى الارض وان كان بينهما بون واما لستر النعم المشار اليها بقوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين (وسقر) اسم علم للجحيم وهو من سقرته الشمس وصقرته اذا لوحته ولما كان السقر يقتضى التلويح قال الله تعالى وما أدراك ما سقر أى ان ذلك السقر مخالف لما تعرفونه من سقر الشمس المعلوم بينكم

(كيف رأيت لؤمك لكرمى كفاء
وضعتك لشرفى وفاء)

(اللؤم) الدناءة فى الاصل والاخلاق (والكرم) ضده (والاكفاء) الانظار ويستعمل فى المناكحة والمحاربة (والضعة) مقابلة الرفعة مأخوذ من وضعت الشئ اذا حططته (والشرف) علو المقدار وهو مأخوذ من من شرف المكان وهو أعلاه والمعنى كيف تكون كفؤا لى على شرفى وضعتك

(وانى جهلت ان الاشياء انما تنجذب الى أشكالها)
(والطير انما تقع على آلافها)

يعنى كيف جهلت أنى انما أميل الى شكلى والفى ولست من أشكالى وآلافى والكلمة الاولى منظومة

توقَّ من سؤته دعوة * تطلع حيث السهم لم يطلع
ما كبد القوس اذا أرسلت * فيها الذى فى كبد الموجع

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة بدمشق سنة أربع وثلاثين وسبعمائة

الاربذى ظلم كنت لحربه * فاوقعه المقدور أى وقوع
وما كان لى الاسلاح تركع * وأدعية لاتتقى بدروع
وهيهات ان ينجو الظلوم وخلفه * سهام دعاء من قسى ركوع
مريشة بالهدب من جفن ساهر * منصلة أطرافها بنجيع

وقد كان ابن الرومى ممن يخالف الناس ويعكس القياس فيذم الحسن ويمدح القبيح وهو القائل

فى زخرف القول ترجيح لقائله * والحق قد يعتريه بعض تغيير
تقول هذا مجاج النحل تمدحه * وان تعب قلت ذا قئ الزنابير
مدحا وذما وماجاوزت وصفهما * سحر البيان يرى الظلماء كالنور

والحريرى انما فاق على من سواه بما أتى به فى مقاماته من مدح الشئ وذمه كما فعل فى المقامة الدينارية والتى فاضل فيها بين كتاب الانشاء والحساب والتى ذكر فيها البكر والثيب والزواج والعزبة وغير ذلك وهذا هو البلاغة والقدرة على التلاعب بالكلام وصحة التخيل والذوق وقال ابن الرومى يهجو الورد

وقائل لم هجرت الورد قلت له * من شؤمه عند لقياه ومن سخطه
كانه سرم بغل حين سكرجه * عند البراز وباقى الروث فى وسطه

وأين هذا التشبيه القبيح من قول الآخر فى الورد

كانه وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

فانظر الى هذا وجنة حبيب ودينار والى ذاك سرم بغل وروث وشتان ما بين ذاك وهذا وقال ابن الرومى يفضل النرجس على الورد من أبيات

هذى النجوم هى التى ربيتها * بحيا السحاب كما ربى الوالد
فانظر الى الولدين من أدناهما * شبها بوالده فذاك الماجد
أين العيون من الخدود نفاسة * ورياسة لولا القياس الفاسد
فصل القضية ان هذا طارد * زهر الرياض وان هذا قائد

فناقضه جماعة من البغداديين وغيرهم فى ذلك فمنهم أحمد بن يونس الكاتب فقال

ان القياس لمن يصح قياسه * بين العيون وبينه متباعد
ان قلت ان كواكبا ربيتها * بحيا السحاب كما ربى الوالد
قلنا أحقهما بطبع أبيه فى الـ * جدوى هو الزاكى النجيب الراشد
زهر النجوم تروقنا بضيائها * ولها منافع جمة وفوائد
وكذلك الورد الانيق يروقنا * وله فضائل جمة وعوائد
ان كنت تذكر ما ذكرنا بعدما * وضحت عليه دلائل وشواهد
فانظر الى المصفر لونهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد

وقال سعيد بن هاشم الخالدى

فى قول المتنبى والكلمة الثانية منظومة فى قول بعض العرب وعلى آلافها الطير تقع قال الاصمعى كنت أسمع بهذا المثل فلم أفهمه حتى رأيت غربانا تقع البقع منها مع البقع والسود مع السود الى ان رأيت غرابا أعرج قد سقط خلفه آخر مهيض الجناح فسقط عنده فعلمت أن المثل ما ضاع (وهلا علمت ان الشرق والغرب لايجتمعان) وشعرت ان المؤمن والكافر لايتقاربان) وقلت الخبيث والطيب لايستويان) (شعرت) أى علمت علما دقيقا مأخوذ من دقة الشعر ويلمح من السجعة الاولى قول على كرم الله وجهه الدنيا والآخرة كالمشرق والمغرب كلما ازددت من احداهما قربا ازددت من الاخرى بعدا ومن السجعة الثانية قول النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن أطيب من عمله والكافر أخبث من عمله ويدل على ذلك لفظ القرآن العظيم فى السجعة الثالثة فتأمله (وتمثلت * أيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان) هذا البيت لعمر بن أبى ربيعة المخزومى يقوله فى

أبحث النرجس لرقى ودى * ومالى باجتناب الورد طاقه
كلا الاخوين معشوقى وانى * أرى التفضيل بينهما حماقه
هما فى عسكر الانوار هذا * مقدمة تسير وذاك ساقه

وقال مسلم بن الوليد فى تفضيل الورد

كم من يد للورد مشهورة * عندى وليست كيد النرجس
الورد يأتى ووجوه الربى * تضحك عن ذى برد أملس
وقد تحلت بعقود الندى * نابتة فى الارض لم تغرس
ولن ترى النرجس حتى ترى * روض الخزامى رثة الملبس
وتخلق النكباء ماجددت * ايدى الغوادى فى سنا السندس
هناك يأتيك غريبا على * شوق من الاعين والانفس

وقال ابو بكر الصنوبرى

زعم الورد انه هو ازهى * من جميع الازهار والريحان
فاجابته اعين النرجس الغض بذل من قولها وهوان
ايما أحسن التورد ام مقلة ريم مريضة الاجفان
أم فماذا يرجو بحمرته الور * د اذا لم تكن له عينان
فزها الورد ثم قال مجيبا * بقياس مستحسن وبيان
ان ورد الخدود أحسن من عين بها صفرة من اليرقان

ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم

من فضل النرجس وهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس
أما ترى الورد غدا جالسا * اذ قام فى خدمته النرجس

يقال انهما أنشدا فى حضرة الشيخ محيى الدين عبد الوهاب بن سحنون فاجاب من غير روية

ليس جلوس الورد فى مجلس * قام به نرجسه يوكس
وانما الورد غدا باسطا * خدا لمشى فوقه النرجس

وقد وضع بعضهم كتابا فى المفاضلة بين الورد والنرجس لان الشعراء أولعوا بذلك فاطالوا وأطابوا والمفاضلة بينهما ممكنة كما صنف الفضلاء مفاخرة السيف والقلم ومفاخرة الدرهم والدينار ومفاخرة البخل والكرم ومفاخرة مصر والشام ومفاخرة الشرق والغرب ومفاخرة العرب والعجم ومفاخرة النظم والنثر ومفاخرة الجوارى والمردان اذ كل ذلك يمكن فيه الاتيان بالحجة للجانبين وأما مفاخرة المسك والرماد فما للعقل فى ذلك مجال وما عسى البليغ أن يقول فى الرماد اذا فاخر المسك وللجاحظ فى ذلك رسالة بديعة ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس المزور قال وقوله لا يدفع
فتح عيونك فى سواى فانه * عندى قبالة كل عين أصبع

وقال شهاب الدين بن جلنك

أرى النرجس الغض الشهى مشمرا * على سوقه فى خدمة الورد قائم
وقد ذل حتى لف فوق رؤسه * عمائم فيها اليهود عمائم

الثريا بنت عبد الله وقد تقدم ذكرهما وسبب قوله أن سهيل بن عبد العزيز بن طلحة قدم من الشام الى الطائف فتزوجها ورحل بها الى الشام فقال عمر

أيها المنكح الثريا سهيلا
عمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية اذا ما استقلت
وسهيل اذا استقل يمان

واتفقت له تورية حسنة باسم النجمين والمقصدين وقوله عمرك الله يعنى سألت الله عمرك أى يعمرك والعمر والعمر واحد وانما خص العمر بالقسم وأصل العمر من العمارة وهو عمارة البدن بالحياة

(وذكرت انى علق لا يباع ممن زاد
وطائر لا يصيده من أراد
وغرض لا يصيبه الا من أجاد)

(ذكرت) عطف على قوله وهلا علمت (والعلق) الشئ النفيس الذى يتعلق به صاحبه فلا يبرح عنه واللفظ مأخوذ من شعر حريث بن قطان التميمى كانت له فرس يسميها سكاب فاراد بعض ملوك اليمن أخذها منه فهرب بها وقال

أبيت اللعن ان سكاب علق
نفيس لا يعار ولا يباع
مفداة مكرمة علينا
تجاع لها العيال ولا تجاع

وقال آخر

أيا جاعلا النرجس الغض ميزة * على الورد قد أخطأت عن سنن القصد
بعيني رأيت النرجس الغض قائما * على ساقه بالامس فى خدمة الورد

وما أحسن قول أمين الدين جوبان القواس

نفش غصن البان أذنابه * وماس عند الصبح زهوا وفاح
وقال هل فى الروض مثلي وقد * تعزى الى قدى قدود الملاح
فحدق النرجس يهزو به * وقال حقا قلت ذا أم مزاح
بل أنت بالطول تحامقت يا * مقصوف عجبا بالدعاوى القباح
فقال غصن البان من تيهه * ماهذه الاعين وقاح

وقال ابن الرومى فى هجو والده

لو كان مثلك فى زمان محمد * ما جاء فى القرآن بر الوالد

وأين هذا من ابن سناء الملك وهو يمدح والده الرشيد بقصيدة بعد قصيدة من ذلك قوله

انى لارثى لدمعى فى تزاحمه * كما رثيت لشملى فى تشتته
انا الغوى بهمى والرشيد أبى * هو الرئيس على الدنيا بهمته
أحيى وأنشر ميت المجد مجتهدا * فى لم متسعه أو رم رمته
أصبحت اختال فى حالى ونضرتها * به وأرفع فى عيشى وخضرته
وأسعد الناس من لاقى بلا تعب * مبدا السعادة فى مبدا شبيبته

وقوله فيه أيضا

يكفيك أنى بك ياسيدى * قد طاب أصلى وزكا محتدى
جاوزت حد البر بى صاعدا * فقف فما أبقيت من مصعد

وقوله فيه أيضا من قصيدة

وبات نديمى ولا ليله * يطول ولا سربه يقصر
فلا يعجب الصبح من نوره * فوجه الرشيد أبى أنور

وقوله فيه من قصيدة أخرى

أبى لى النقص ان مجد أبى * سام كما ان قدره سابق
هو الرشيد الذى رياسته * سارت فلا زاجر ولا سائق
يكنى أبا الفضل وهو يعشق نفس الفضل والمرء لابنه عاشق

وقوله من قصيدة أخرى

انى وحسبى نسبة عقدها * درو ذاك الدر در ثمين
كأنه ازداد فى بره * يعلم الآباء بر البنين

ولما مات أبوه رثاه بقصيدة رائية فى غاية الحسن وقال أبو العينا أنا أول من أظهر العقوق لوالده بالبصرة قال لى أبى ان الله تعالى قرن طاعته بطاعتى فقال اشكر لى ولوالديك فقلت يا أبت ان الله تعالى أمننى عليك ولم يأمنك على قال تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقكم واياهم وممن هجا والده على بن بسام حتى قال فيه ابن المعتز

سليلة سابقين تناسلاها
اذا انتسبا يضمهما الكراع
فلا تطمع أبيت اللعن فيها
فدون منالها أمد شناع
(والغرض) الهدف المقصود بالرمى ثم صار اسما لكل غاية يتحرى الانسان ادراكها
(ما أحسبك الا كنت قد تهيأت للتهنية وترشحت للترفية) يعنى طمعت بحصول القصد فانتظرت الهناء به (والترشيح) الاستعداد للشئ مأخوذ من ترشح الفصيل اذا قوى على المشى (والترفية) والرفاهية التنعيم والتوسع فى العيش (لولا ان جرح العجماء جبار للقيت من الكواعب ما لاقى يسار) (جرح العجماء جبار) لفظ الحديث والعجماء البهيمة سميت بذلك لانها لا تعرب عن نفسها بالعبارة والجبار الدم الهدر والمعنى عدم القصاص فى جرح البهيمة وضرب به المثل لمن يستهان به (والكواعب) جمع كاعب وهى الجارية التى تكعب ثدياها تشبيها بالكعب (ويسار) اسم عبد وهذا مثل معروف وشبهه ان يسارا هذا كان عبدا أسود دميما يقال له يسار الكواعب لان النساء اذا رأينه ضحكن منه لقبحه فكان يظن انهن يضحكن من عجبهن به حتى نظرت اليه

من شاء يهجو عليا * فشعره قد كفاه
لو أنه لابيه * ما كان يهجو أباه

وقال المرزباني في حق ابن بسام استفرغ شعره في هجاء والده وقال شرف الدين بن عنين

وجنبني ان أفعل الخير والد * قليل اذا ما عدا أهل المناسب
بعيد عن الحسنى قريب من الخنا * وضيع مساعي الخير جم المعايب
اذا رمت أن أسمو صعودا الى العلى * غدا عرقه نحو الدنية جاذبي

وهذا الثالث يشبه ما قيل في خالد بن عبد الله القسري

اذا نبهته نخوة عربية * الى المجد قالت أرمنيته نم

وما أكرم شاعرا قال

بنفسي أنت لا بأبي فاني * رأيت الجود بالاباء لؤما

وذكرت هنا ما حكاه لي المولى القاضي عماد الدين بن القيسراني قال كنا في الديوان بقلعة الجبل انا وأخي صحبة والدي وكان قد غاب في ذلك الوقت ولما عاد وجد قد جاءت اليه ورقة من بعض أصحابه وقد كتب أخي الجواب عنها وقال فيه ان مملوكه الوالد كان غائبا فأخذ الورقة وكشطها وكتب والدا المملوك وقال المولى يقطع في كيسه ولا يقطع في كيسي وبالغ ابن الرومي في وصف جارية أبي الفضل عبد الملك ابن صالح حيث وصفها وهي سوداء بتلك القصيدة الطنانة وهي طويلة بديعة في بابها وقد اشتهرت بين الادباء ومنها

أكسبها الحب انها صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

وهي مشهورة بين الادباء فلا فائدة في ذكرها وعلى ذكر السودان فما أحسن قول القائل

يا أسودا يسبح في بركة * فقت الورى حسنا واحسانا
كنت لخد الحسن خالا وقد * صرت لعين العين انسانا

ومثله قول ابن خفاجه

وأسود يسبح في لجة * لا تكتم الحصباء غدرانها
كأنها في شكلها مقلة * زرقاء والاسود انسانها

وذكرت هنا قول عبد الجليل بن وهبون للمعتمد بن عباد وقد جاوز البحر وهو في غاية الحسن من التشبيه

فسرت فوق دفاع البحر تهصره * براحة الدين والتقوى فينهصر
كأنما كان عينا أنت ناظرها * وكل شط باشخاص الورى شفر

وقال نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي

وجارية من بنات الحبو * ش ذات جفون صحاح مراض
تعشقتها للتصابي فشبت * غراما ولم آلُ بالشيب راض
وكنت أعيرها بالسواد * فصارت تعيرني بالبياض

وقال ابن دفترخوان فاغرب

ان لمعت ليلا نجوم السما * بيضا على أدهم مرخى الازار
وأوجب العكس مثالا لها * في الارض فالسود نجوم النهار

امرأة مولاه فضحكت فظن انها خضعت له فقال اصاحب له أسود كان يكون معه في الابل قد والله عشقتني مولاتي فلا أزورنها الليلة ولم يكن يفارق الابل فقال له صاحبه يا يسار اشرب لبن العشار وكل لحم الحوار واياك وبنات الاحرار فقال له يا صاحب أنا يسار الكواعب والله ما رأتني حرة الا عشقتني فلما أمسى قال لصاحبه احفظ على الابل حتى أنصرف وأعود اليك فنهاه فلم ينته حتى دخل على امرأة مولاه يراودها عن نفسها فقالت له مكانك فان للحرائر طيبا أشمك اياه فقال هاتيه فأتته بطيب وموسى حذمة أي قاطعة فأشمته الطيب ثم أنحت بالموسى على أنفه فقطعته وقيل وضعت تحته بخورا وقطعت مذاكيره فصاح فقالت صبرا على مجامر الكرام ثم خرج هاربا حتى أتى صاحبه ودمه يسيل فضرب به المثل وأيضا ما قيل ان اسم المرأة منشم وانها التي ضرب بها المثل بقولهم عطر منشم وهذا على أحد الاقوال في ذلك مما رويناه

(فاهم الا ببعض ما به هممت ولا تعرض الا لأيسر ما له تعرضت)

يعني ما طلب يسار من مولاته

وقال ابن رباح الملقب بالحجام

يا كعبة بذوى الالباب لاعبة * فى أصل حسنك معنى غير متفق
خلقت بيضاء كالكافور ناصعة * فصرت سوداء من مثواك فى الحدق

وقال أحمد بن بكر الكاتب

يامن فؤادى فيها * متيما لايزال
ان كان لليل بدر * فأنت للصبح خال

وأحسن منه وأكمل قول جمال الدين ابراهيم الحنفى المعروف بابن امام الحرمين ولكن ليس فى أسود

وعاكس الليل وبدر الدجى * بخده والخال أهواه
فالبدر خال فى محيا الدجى * والليل خال فى محياه

وقال أبو اسحق الصابى

قد قال رشد وهو أسود للذى * ببياضه يعلو علو الخائن
مافخر خدك بالبياض وهل ترى * أن قد أفدت به مزيد محاسن
لو ان منى فيه خالا زانه * ولو ان منه فى خالا شانى

وقال آخر تضمينا

وسواده الاديم اذا تبدت * ترى ماء النعيم جرى عليه
رآها ناظرى فصبا اليها * وشبه الشئ منجذب اليه

وقال شرف الدين بن عنين

وماذا عليهم ان كلفت باسود * محاسنه فى العين والقلب منهم
وقد عابنى قوم بتقبيل خده * وماذاك عيب أسود الركن يلثم
وماشانه لون السواد لانه * لغير الثنايا والخلائق معلم
لئن ضم جنح الليل اثناء برده * لتدشق عن مثل الصباح التبسم

وقال الوزير المغربى

يارب سوداء تيمتنى * يحسن فى مثلها الغرام
كالليل تستسهل المعاصى * فيه ويستعذب الحرام

وقريب من هذا قول أبى الجهم

غصن من الآبنوس أبدى * من مسك دارين لى ثمارا
ليل نعيم أظل فيه * للطيب لاأشتهى النهارا

وكلاهما مولد من قول الآخر * وانما الليل نهار الاديب * وقال أبو الحسن على بن رشيق

دعابك الحسن فاستجيبى * يامسك فى صبغة وطيب
تيهى على البيض واستطيلى * تيه شباب على مشيب
ولايرعك أسود لون * كمقلة الشادن الربيب
فانما النور عن سواد * فى أعين الناس والقلوب

وأخذه ابن قلاقس فقال

وتعرض له الادون
ماتعرضت السه منى لانى أشرف من تلك وأنت أقل من ذاك (وهممت) بالشئ اذا جعلت طلبه همّ نفسك (وتعرضت) للشئ اذا وقفت عرضا فى طريقه
أين ادعاؤك رواية الاشعار وتعاطيك حفظ السير والاخبار
أما ثاب اليك قول الشاعر
بنو دارم أكفاؤهم آل مسمع
وتنكح فى أكفائها الحبطات
(ثاب اليك) أى رجع الى ذهنك وهذا البيت للفرزدق يقوله لرجل من بنى الحرث بن عمرو خطب الى بنى دارم (ودارم) هو مالك بن حنظلة التميمى وهو أبو مجاشع وبيته أكبر بيوت بنى تميم (وآل مسمع) بيت بكر بن وائل فى الاسلام وهو من بنى قيس بن ثعلبة (والحبطات) بنو الحرث ابن عمرو بن تميم يجمعهم البيت مع بنى دارم وانما نقص قدر الحبطات عنهم لقول الشاعر فيهم
وجدنا النيب من شر المطايا
كما الحبطات شر بنى تميم
فلزمهم هذا القول وقيل انما سمى الحرث حبطا لانه كان فى سفر فأكل أكلا فانتفخ بطنه فمات فسمى حبطا وعيروا بذلك والحبط أن

رب سوداء وهي بيضاء معنى * نافس المسك في اسمها الكافور
مثل حب العيون يحسبه النا * س سواداوانما هو نور

والاصل في هذا المعنى قول الوزير المهلبي

فسموه مع القربى غريبا * كنور العين سموه سوادا

ومن هذه المادة وان لم يكن في المعنى قول ابن التعاويذي في مليحة اسمها هاجر

فديت من ترحم عشاقها * وراحم العاشق مأجور
لست على دين الغواني ترى * ان وصال الصب محظور
لاعجب ان سميت هاجرا * قد سمى الاسود كافور

وما أحسن قول ابن صريعة في سوداء

عقلتها حاء مصقولة * سواد عيني صفة فيها
ما انكسف البدر على تمه * ونوره الا ليحكيها
لاجلها الازمان أوقاتها * مؤرخات بلياليها

قلت انما كان التاريخ بالليالي دون الايام لان الهلال انما يبدو ليلا وهو أصل التاريخ

وقال آخر

يارب سوداء تجلى * بنورها الظلمات
كليلة الهجر تنسى * بوصلها السيئات
ماذا يعيبون منها * وكلها حسنات

وقال ابن بليطة في أسود أحدب يسقي

وكاس انس قد جلتها المنى * فباتت النفس بها معرسه
طاف بها أسود محدودب * أطرب من لهو بها مجلسه
نخاله من سبج ربوة * قد أنبتت من ذهب نرجسه

وذكرت بالاسود الساقي ماجرى لبعض الافاضل وقد حضر مجلسا والمغني يقول بيت ابن النبيه

ساق تكون من صبح ومن غسق * فابيض خداه واسودت غدائره

ولكن لايغنيه الا ويقول فاسود خداه وابيضت غدائره والفاضل يقول فابيض خداه واسودت غدائره وجعل يرده عليه مرارا وهو لا يقوله الا معكوسا وكان لبعضهم غلام شيخ أسود واقف يخدمهم فقال يامولانا تعرف فمن يغني من أمس الى الساعة قال لا قال في هذا العبد النحس أفي هذا تغزل ابن النبيه فرجع وغناه مستقيما ومن معاني ابن الرومي التي ابتدعها قوله

توددت حتى لم أدع متوددا * أفنيت أقلامي عتابا مرددا
كاني أستدني بك ابن حنية * اذا النزع أدناه من الصدر أبعدا

وكرره أيضا فقال

وأيتك بيننا أنت جار وصاحب * اذا بك قد وليتنا ثانيا عطفا
وانك اذ تحنو حنوك معقبا * بعادا لمن بادلته الود والعطفا
لكالقوس أحنى ماتكون اذا حنت * على السهم أدنى ماتكون له قذفا

وولد ابن بابك من هذا معنى آخر فقال

أصبحت في صولجانه كرة * يبعدها قربها من الضارب

تأكل الماشية فتكثر حتى تنتفخ بطونها ولا يخرج عنها مافيها وذلك معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم ومعنى قول الفرزدق أن بني دارم لا ينبغي أن يخطب اليهم الا بنو مسمع لانهم أكفاؤهم في الشرف فأما الحبطات فلا وذكر المبرد أن الرجل الخاطب أجاب الفرزدق فقال

أما كان عتاب كفيئا لدارم
بلى ولابيات بها الحجرات

عتاب أحد آباء بني الحرث وقوله أبيات بها الحجرات يعني بني هاشم لقوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات * والفرزدق هذا هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي الشاعر المشهور وصاحب جرير ولقب الفرزدق لجهامة وجهه لان الفرزدقة القطعة الضخمة من العجين وكنيته أبو فراس وذكره الشريف المرتضى فقال كان الفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الى الذروة العليا شريف الآباء كريم البيت وكان شيعيا مائلا الى بني هاشم ونزع في آخر عمره عما كان عليه من الفسق والقذف وراجع طريقة الدين على أنه لم يكن في خلال ذلك منسلخا

وما أحسن قول ابن المفلس ملغزا فى الكرة

أراد دنوها حتى اذا ما * دنت منه وكد أى كد
قلاها ثم أتبعها بضرب * وبدل قربها منه ببعد

وأخذ المعنى الاول من ابن الرومى ناصح الدين الارجانى فقال

فلا تنكروا حق المشوق فاننا * لناو عليكم أنجم الليل تشهد
أراناسها ما فى الهوى ونراكم * حنايا فما تدنون الا لتبعدوا

وكرره فقال

قد قوس القد توديعا وقربنى * سهما فأبعدنى من حيث أدنانى

وقال أيضا

والالف قد عاقنى للنوى * فالتف خداى وخداه
كأنه رام الى غاية * تناول السهم بيمناه
حتى اذا أدناه من صدره * أبعده من حيث أدناه

وأخذه كشاجم من قبله فقال

أرى وصالك لا يصفولا مله * والهجر تتبعه ركضا على الاثر
كالقوس أقرب سهميها اذا عطفت * عليه أبعدها من منزع الوتر

وأخذه أيضا ابن قيم الحموى بعد الارجانى فقال

فهو كالسهم كلما زادته منك دنوا بالنزع زادك بعدا

ومن معانى ابن الرومى الغريبة قوله فى خباز رقاق

لا أنس لا أنس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الماء يلقى فيه بالحجر

وهذا من التشبيهات العقم وحكى ان الاديب أبا عمرو النميرى أنشدت هذه الابيات فى حلقته فقال بعض تلامذته ما أظن انه يقدر على الزيادة فيها فقال

فكدت أضرط اعجابا برؤيتها * ومن رأى مثل ما أبصرت منه خرى

فضحك من حضر وقال البيت لائق بالقطعة لولا ما فيه من ذكر الرجيع فقال

ان كان بيتى هذا ليس يعجبكم * فجعلوا محوه أو فالعقوه طرى

وحكى ان الملك المعظم عيسى حضر الشعراء عنده وفيهم شرف الدين بن عنين فقال لهم لا بد أن تهجونى فى وجهى فقبلوا الارض واستعفوا من ذلك فقال لا بد من ذلك وألح عليهم فقال ابن عنين

نحن قوم ما ذكرنا الامرئ قط * الاواشتهى أن لا يرانا

فقال السلطان صدقت فقال * شعر نا مثل الخرا فقال السلطان صدقت فقال ذقت الخرا * فقال السلطان لا والله فضحك الله فقال صفع الله به

أصل لحانا * ومن معانى ابن الرومى الغريبة قوله يهجو

لخالد شاعر نا زوجة * لها حر يبلغ مثليها
قوامة بالليل لكنها * تستغفر الله برجليها

حدث ابن عمران قال جاء الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله تعالى وسعتها فكان أوثقنا بالله تعالى فقال له رجل ألك هذا الرجاء وهذا المذهب وأنت تفعل ما تفعل فقال أترونى لو أذنبت الى والدى أكانا يقذفانى فى تنور وتطيب أنفسهما بذلك قلنا لا بل كان يرحمانك فقال أنا والله برحمة الله أوثق منى برحمتهما وقيل انه كان يخرج من منزله فيرى بنى تميم وفى حجورهم المصاحف فيفرح بذلك ويقول ابه فدا كم أبى وأمى هكذا والله كان أباؤكم واستدل الشريف على تشيعه بحكايته مع هشام بن عبد الملك وذلك أن هشاما حج فى خلافة أبيه فأراد أن يستلم الحجر فلم يتمكن لازدحام الناس فجلس ينتظر خلوة فأقبل على بن الحسين رضى الله تعالى عنهما وعليه ازار ورداء وهو من أحسن الناس وجها وبين عينيه سجادة فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى الناس له هيبة واجلالا فاغاظ ذلك هشاما فقال رجل من أهل الشام من هذا الذى قد هابه الناس فقال هشام لا أعرفه لئلا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق وكان حاضرا لكنى أنا أعرفه فقيل له من هو

وقوله أيضا

مرفوعة تحت الدجى رجلاها * كأنما تستغفران الله

وقال أبو محمد المصري من شعراء الذخيرة من أبيات

ولا تتزوجن لهم ببنت * فللسودان عندهم مراح

بارجلهن يستغفرن دأبا * فارجلهن في الدعوات راح

وما أحسن ما استعمل الآخر الاستغفار حيث قال

صل الراح بالرحات واغنم مسرة * باقداحها واعكف على لذة الشرب

ولا تخش أوزارا فاوراق كرمها * أكف غدت تستغفر الله للذنب

وقلت أنا تضمينا في ورق الكرم من قصيدة

وطل على ورد حكى خد غادة * به عرق من خجلة يتصبب

وأوراق كرم قد حكت كف سائل * لمن بات في نعمائه يتقلب

وقد سبقت عليه بنت المهدي ابن الرومي الى هذا المعنى فقالت في طغيان لما وشت بها الى رشا وكانت طغيان جارية أم جعفر زبيدة

لطغيان خف مذ ثلاثين حجة * جديد فما يبلى ولا يتخرق

وكيف بلى خف هو الدهر كله * على قدميها في الهواء يعلق

فما خرقت خفا ولم تبل جوربا * وأما سراويلاتها فتمزق

وأنشد بعض الشعراء زبيدة شعرا قال فيه

ازبيدة ابنة جعفر * طوبى لزائرك المثاب

تعطين من رجليك ما * تعطي الأكف من الرقاب

فجعل عبيدها يقرعون رأسه فقالت دعوه انه أراد خيرا فاخطأ وهو أحب الينا ممن أراد شرا فاصاب سمع قولهم شمالك انذى من يمين فلان فظن انه من هذا الباب ويقال ان جحى دخل يوما الى دارهم فوجد أباه على أمه فرآته فلما خرج وعاد بعد فراغهما أرادت ان تذهب خجلتها فدفعت اليه درهمين وقالت اشترى لى بهما يا جحى سرموزة فمضى وعاد بسرموزة كاغد فقالت له كيف تتحمل هذه الوطا فقال لها ان مشيت بها كما كنت تمشين تحت أبى ثلاث الساعة فانها لا تنقب وعلى الجملة فابن الرومي كان من غرائب الوجود في تقبيح الحسن وتحسين القبيح والقدرة على الاتيان بالمعاني الغريبة وقال الخالديان في اختيار شعر مسلم بن الوليد وما رأينا أمرا أعجب من أمر ابن الرومي فانه يخترع المعنى فيجيده ولا يترك فيه زيادة لغيره فاذا تناول معنى من غيره قصر فيه ولم يأت به كالذى أخذه منه قلت والعلة في هذا انه شاعر جيد دقيق النظر صحيح الذوق حسن التخيل فاذا طرق المعنى بكرا أتى به في غاية الحسن فالذى يأتى بعده لم يجد فيه فضلة وأما هو فلا يرى ان يأخذ الا المعانى الجيدة من الفحول وأولئك قد سبقوه اليها فلا يكون له فيها فضلة والله أعلم وقد كان في ابن الرومي عجائب منها انه كان شديد التطير فيلازم بيته ولا يخرج منه الا بعد استقراء القرائن الحسنة والالفاظ الخيرة فيما يسمعه ويتفاءل به من الكلمات الحسنة والوجوه المليحة فيقال ان بعض أصحابه أرادوا الخلوة به في يوم أنس واختاروا له غلاما حسنا وقالوا له اذا طرقت الباب عليه وقال من فقل له أنا اقبال فلما فعل ذلك قال اقبال مقلوبه

فأنشد يقول

هذا ابن خير عباد الله كلهم
هذا التقى النقي الطاهر العلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحل والحرم
يكاد يمسكه عرفان راحته
ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان وفي ذلك يقول

أيحبسني بين المدينة والتى
اليها رقاب الناس يهوى منيبها
يقلب رأسا لم يكن رأس سيد
وعينا له حولاء باد عيوبها

وبعض الرواة يروى الابيات الميمية لابى الطمحان القيني والذى يرويها للفرزدق يستدل لها بحبسه وقوله هذه الابيات ومات الفرزدق بالبادية سنة ١١٠ ومن أخباره المستظرفة دخل يوما على بلال بن أبى بردة وهو أمير على البصرة وعنده أصحابه فتنقصوا بنى تميم ورفعوا اليمن فقال الفرزدق لولم يكن لليمن الا أبو موسى وما تولاه من خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لكفاهم فقال بلال ان فضائله كثيرة فما أردت منها فقال حجامته اياه فقال صدقت قد فعل ذلك وما فعله بأحد قبله وما بعده فقال الفرزدق

لا بقاء وهذا شيء أتطير منه فلا أخرج اليوم وجهزوا اليه في بعض الايام غلاما وضيء الوجه حسن الاسم طيب الريح فلما طرق الباب عليه خرج اليه فشم طيبه وسمع اسمه ورأى وجهه المليح فقال حسن في حسن فلما خرج رأى دكان خياط وقد صلب درابتي الباب وهو يأكل تمرا فقال ان الدرابتين مثل لا والتمر تمر فالفال قال لا تمر فدخل وأغلق الباب وقال والله لا مررت معك وكان منهوما في الاكل وكان به صلع لا يكاد يرفع عمامته عن رأسه أبدا وشعره جيد ومعانيه غريبة وكتب القاضي الفاضل الى الرشيد ابن سناء الملك رحمهما الله تعالى كان القاضي السعيد لما وصل الى دمشق عائدا جعلت قراءة شعر ابن الرومي واختياره فاختار حرف الالف وتوجه قبل تمام الاختيار ووعد بانه يكمله فلم لا ينجز ميعاده ولم لا جعل مرادي مراده وكان يبرز من الشعر محاسنه المغموره ويلفظ ابياته الخراب ويبقي ابياتها المعموره وكان ابن الرومي يشكره في لحده ويستعير ألسنة الاحياء في حمده فأجاب القاضي السعيد بن سناء الملك أما ما أمر المولى به في شعر ابن الرومي فالمملوك من أهل اختياره ولا من الغواصين الذين يستخرجون الدر من بحاره لان بحاره زخاره واسوده زآره ومعدن تبره مردوم بالحجاره وعلى كل عقيلة منه ألف نقاب بل الف ستاره يطمح ويؤيس وينفر ويؤنس وينير ويظلم ويصبح ويعتم شذرة وبعره ودرة وآجره وقبلة يجانبها السبه وحرة تجاورها قحبه ووردة حف بها الشوك وبراءة غطى عليها النوك لا يصل الاختيار الى الرطبة حتى يجرح بالسلى ولا يقول عاشقها هذا المليح قد أقبل حتى يقول قد ولى فالمملوك من جهابذته فكيف وقد تفلس فيه الوزير ولا من صيارفته ونقاده ولو اختاره جرير لاعياه تمييز الوشي من الحشي والوبر من الحرير والمملوك يكمل بمشيئة الله تعالى بقية قراءة حروفه ولكن بين يدي من قرئ بين يديه حرف الالف ليشاهد من مولاه معجز اختياره الذي يجعل المختلف فيه من الشعر المؤتلف اه قلت وقد اختاره الخالديان واختاره المولى جمال الدين محمد بن نباتة

(رجع القول الى ذكر الشمس وزحل) قد ذكرت مقدار الشمس وزحل وما في الشمس من المحاسن والفوائد وبقي ذكر ما في زحل والمنجمون يزعمون انه نحس أكبر وان له من المعادن الرصاص ومن الالوان الزرقة وهو في الفلك بمنزلة الفلاح والاكار الذي يثير الارض بالمساحي ويسقي بالدلو ولهم في ذلك كلام طويل من هذه الاشياء التي تناقض محاسن الشمس وبعد هذا كله فاضره من ذلك شيء وحل مع ذلك في السابع والشمس لها تلك المحاسن وفيها تلك الفوائد وهي في الرابع دونه بفلكين وذلك صنع فعال لما يريد قادر على ما يشاء ويختار لا تعالل أفعاله لا اله غيره ولا فاعل في الوجود سواه ولله در المتنبي حيث يقول

خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وابن شرف القيرواني حيث يقول

بحيث يهون المرء يكرم ضده * وحيث هبوط الشمس يشرف كيوان

ولابن شرف القيرواني أيضا في زحل وهو لغز

وشيخ له غرفة فخمة * علت وهو فيها اجمع الغرف
يسير ويرجع طول الزمان * فكم مر من مرة وانصرف
ويفسد كل مكان حواه * على انه غاية في الشرف

الشيخ كان أتقى لله من أن يقدم على نبيه بغير حذق فيجرب عليه فأمسك بلال وعجب الناس من حذقه في هذا التعريض ونظر يوما الى ابن هبيرة وعليه ثياب تتقعقع فقال ان ثيابه لتسبح أراد بذلك قول الشاعر

اذا لبست قيس ثياب الزينة
تسبح من لؤم الجلود ثيابها

وكان قد هجا الازد فلما قدم يزيد المهلب البصرة قال لابي الجعد وكان صديقا للفرزدق فقال له يوما ماذا يعدو قلت عن يزيد أعظم الناس عفوا وأسخاهم كفا فقال صدقت ولكني أخشى أن آتيه فأجد العمانية ببابه فيقوم الى رجل منهم فيقول هذا الذي هجانا فيضرب عنقي فيبعث اليه يزيد فيضرب عنقه ويبعث الى أهل بيتي بديتي فاذا يزيد قد صار أوفى العرب واذا الفرزدق قد ذهب فيما بين ذلك لا والله لا أفعل فقال يزيد أما اذا فطن لها فدعه الى لعنة الله وقيل ان هذا كان مراده وسمع الفرزدق رجلا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال الفرزدق فاقطعوا أيديهما والله غفور رحيم لا ينبغي أن يكون هكذا

وأما بيت الطغرائى فأقول انه يصدع الفؤاد ويرض الاكباد لان الدهر مولع برفع الناقص وخفض الكامل وسعد الجاهل وشقاء الفاضل وبؤس الكريم ونعيم اللئيم وعز الشرير وذل الخير الخبير وراحة المتهور وتعب المتحذر

شيم مرت الليالى عليها * والليالى قليلة الانصاف

ومن الكلام النوابغ لاغرو أن يرتفع الجاهل وينحط العالم فقد يتدلى سهيل وتستعلى النعائم والطغرائى اختلس معنى بيته من قول أبى الطيب

ولولم يعل الاذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام

لا بل أخذه صريحا من أبى الفتح البستى حيث قال

لاتعجبن لدهر ظل فى صبب * أشرافه وعلا فى أوجه السفل

وانقد لاحكامه أنى تقادبه * فالمشترى السعد يعلوفوقه زحل

وما أحسن قول ابن عمار الكوفى

لئن بسط الزمان يدى لئيم * فصبرا للذى فعل الزمان

فقد تعلو على الرأس الذنابى * كما يعلو على النار الدخان

وقال الارجانى

هذا الزمان على مافيه من كدر * حكى انقلاب لياليه بأهليه

غدير ماء تراءى فى أسافله * خيال قوم تمشوا فى نواحيه

فالرجل تنظر مرفوعا أسافلها * والرأس ينظر منكوسا أعاليه

والارجانى أخذ هذا المعنى من البحترى وحوله ثم تحوله لان البحترى قال

قل للرئيس أبى محمد الرضى * قول امرئ أبلاه حسن بلاء

من حول بركتك البهية سادة الـ * علماء والفضلاء والامراء

لو أن صفوك وهم قيام أشبهت * أشخاصهم أمثالها فى الماء

يعنى كانوا يقفون على رؤسهم وهو معنى حسن مسئلة ان قال قائل لم كانت الاشياء القائمة على الانهار يرى أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها وترى السماء تحتها مع انها فوق فالجواب أن الشعاع الخارج من العين اذا اتصل بجسم صقيل وهو الماء أوغيره لم يثبت عليه لصقالته وزلق عنه الى الجهة المقابلة للرائى ان لم يكن الصقيل امامه بحيث تكون زاوية الالتقاء على الصقيل مثل زاوية الانعكاس فى المساحة من غير زيادة ولا نقص مثاله هكذا



قيل انما قال والله عزيز حكيم فقال هكذا ينبغى أن يكون ثم اخذ نفسه بحفظ القرآن بعد ذلك وسمع رجلا ينشد قول لبيد هذا البيت

وجلا السيول عن الطلول كأنها

زبر تجد متونها اقلامها

فسجد فقيل له ماهذا فقال موضع سجدة فى الشعر اعرفه كما تعرفون مواضع السجود فى القرآن وسمع راوية جرير ينشد قصيدته التائية فلما قال

بهاترص بأسفل اسكتيها

وضع يده على عنفقته وانشد كعنفقة الفرزدق حين شابا * فقال علمت انه يقول هكذا فان شيطاننا فى الشعر واحد ومر يوما بقوم فدعوه للنزول فقال لماذا قالوا النبيذ وجدى حنيذ وغداء لذيذ فقال وهل يأبى هذا الابن المراغة يعنى جريرا ثم نزل واستسقى الحكم بن المنذر ذات يوم لبنا فامر غلامه أن يجعل فى القعب خمرا ويحلب عليه لبنا ويسقيه فلما كرع جعل الخمر ينبع من تحت اللبن فشرب وقال بابى أنت انك ممن تخفى الصدقات وتؤتيها الفقراء وقال لما لخفنى أحد الانبطى من أهل تستر قال لى أنت الفرزدق الشاعر قلت نعم

فهاتان الزاويتان فى السعة واحدة فيتصل طرف الشعاع بالقائم ثم يجرى فيه خماله الى الماء فينطبع فيه فكان القائم وقع على سطح الماء والقائم اذا وقع يصير أعلاه أسفله وأسفله أعلاه فلذلك رأينا السماء تحته وكل ماهو أعلى من صاحبه يراه أسفله فلو أقيم الماء واقفا كالمرآة رؤى على هيئته فالقائم فى القائم قائم والقائم فى المنبسط منعكس لان موضوع الانطباع أسفل والقائم أتى اليه فكأنه انطبع فيه وهو قائم فاخذه فى نفسه وانبطح والانطباع فى الحقيقة انما هو فى وجه الماء لافى عمقه وانما الحس لايمكنه ضبط ذلك فيغلط فيه الوهم فيراه فى جوفه فكأنه غرق فى الماء بعد الانبطاح على وجه الماء ولو غرقت الشجرة لكان رأسها أسفل ضرورة أن كل ماهو أعلى من السماء وغيرها يرى أسفل فاعرف ذلك (رجع) قال أبو تمام الطائى

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نجد ولم يعبأن بالرتم

وأخذه البحترى فقال

ولست ترى شوك القتادة خائفا * سموم الرياح الآخذات من الرند
ولا الكلب محموما وان طال عمره * الا انما الحمى على الاسد الورد

وأخذه أبو الوليد بن زيدون أيضا فقال

لايهنأ الشامت المرتاح خاطره * انى معنى الامانى ضائع الخطر
هل الرياح بنجم الارض عاصفة * أم الكسوف لغير الشمس والقمر

وقال شمس المعالى قابوس

أماترى البحر تعلو فوقه جيف * وتستقر باقصى قعره الدرر
وفى السماء نجوم لاعداد لها * وليس يكسف الا الشمس والقمر

والاول مأخوذ من قول ابن الرومى

دهر علا قدر الوضيع به * وغدا الشريف يحطه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه * سفلا وتطفو فوقه جيفه

وقال أيضا

طار قوم بخفة الوزن حتى * لحقوا رفعة بقاب العقاب
ورسا الراجحون من جلة النا * س رسوّ الجبال ذات الهضاب
لا وماذاك للئام بفخر * لاولاذاك للكرام بعاب
هكذا الدر راسخ الوزن راس * وكذا الذر شائل الوزن هاب
جيف أنتنت فاضحت على اللجة والدر تحتها فى حجاب
وغثاء علا عبابا من اليم وغاص المرجان تحت العباب

وأخذه ابن الساعاتى فقال

لاترفعن علم العلوم بجهل * فعلو حظك أن تخال جهولا
وتعد عن دنيا الدنىء وان سما * تحو الشريف وان أصاب نحولا
فالسيف تكسبه الضرائب رفعة * اماتركنا بشفرتيه كلولا
والدر يرسب فى القرار وقد طفا * زبد البحار لايعد جليلا

قال ان هجوتنى تموت زوجتى عيشونة قلت لا قال فتموت جارتى قلت لا قال فن رجلى الى عنقى فى رحم امك قلت ويلك فلم تركت رأسك قال حتى أنظر ماتصنع وكان الفرزدق يقول لقد استراح النبطى من حيث تعب الكرام ومن محاسن شعره قوله

تصرم منى ود بكر بن وائل
وماخلت باقى ودها يتصرم
قوارص تأتينى ويحتقرونها
وقد يملأ القطر الاناء فيفعم

(وقوله)

ان الذى سمك السماء بنى لنا
بيتا دعائمه أعز وأطول
بيت زرارة محتب بفنائه
ومجاشع وأبو الفوارس نهشل
أين الذين بهم تسامى دارم
أمّن الى سلفى طهية تجعل
أحلامنا تزن الجبال رزانة
وتخالنا خشنا اذا ما نجهل
فادفع بكفك ان أردت بناءنا
ثهلان ذا الهضبات لا يتحلحل
انى ارتفعت عليك كل ثنية
وسموت فوق بنى كليب من عل

(وقوله)

ومستنبح طاوى المصير كأنما
يساوره من شدة الجوع أولق
دعوت بحمراء الفروع كأنها
ذرى راية فى جانب الجو تخفق

وأخذه الغزي أيضا فقال

وترفع الاوباش فوقي جائز * أوليس درالبحر تحت جفائه
بوقاحة السرحان هان وانما * زاد الهزبر مهابة بحيائه

وما أحسن قول ابن منير يصف النواعير

لنواعيرها على الماء ألحا * ن تهيج الشجي لقلب المشوق
فهي مثل الافلاك شكلا وفعلا * قسمت قسم جاهل بالحقوق
بين عال خال ينكسه الدهر ويعلو بسافل مرزوق

وقال أبو القاسم الباسليسي

لقد كدت سوق الفضائل كلها * وللهزل أحظى في الزمان من الجد
فلست أرى الاكرما يفرمن * اثيم وحرا يشتكي الضيم من عبد

وقال أبو العلاء بن أبي الندى

لاغرو أن كان من دوني يفوز بكم * وأنثني عنكم بالويل والحرب
يدني الاراك فيضحى وهو ملتثم * ثغر الفتاة ويلقي العود في اللهب

وقال أبو عبيد البكري

ومازال هذا الدهر يلحن في الورى * فيرفع مجرورا ويخفض مبتدا

وأنشدني من لفظه لنفسه عكس هذا المعنى المولى جمال الدين محمد بن نباتة

زد كل يوم رفعة في العلى * وليصنع الحاسد ما يصنع
الدهر نحوي كما ينبغي * يدري الذي يخفض أو يرفع

وقال ابن نقادة

الدهر يرفع مخفوضا ويخفض مر * فوعا من الناس عمدا فهو لحان
فالفضل ينحط والنقصان مرتفع * كأنما صرفه في الحكم ميزان

وما أحسن قوله صرفه مع ذكر الميزان والاصل في المعنى قول ابن الرومي

قالت علا الناس الا أنت قلت لها * كذاك يسفل في الميزان من رجحا

وقال الآخر زائدا عليه

الدهر كالميزان يرفع ناقصا * أبدا ويخفض راجح المقدار
واذا انتحى الانصاف ساوى كونه * في الوزن بين حديدة ونضار

وقال التهامي

تأمل القدر المحتوم وارض به * فانما وزن الدنيا بميزان
فظل يزداد فيها كل منتقص * علاو يهبط فيها كل رجحان

وقال الخطيري الوراق

لاغرو أن أثرى الجهول على * نقص واعدم كل ذي فهم
ان اليد اليسرى وتفضلها الـ * يمنى تفوز بعلم الكم

ومن هذه المادة قول محمد بن شرف القيرواني في خدمة الحر أصحابه

خادمنا خيرنا وأفضلنا * نطرح أعباءنا ويحملها

وانى سفيه النار للمبتغي القرى
وانى حليم الكلب للضيف يطرق
اذا مت فابكيني بما أنا أهله
فكل جميل قلت في يصدق
وكم قائل مات الفرزدق والندى
وقائلة مات الندى والفرزدق
كان الجاحظ يكثر التعجب والاستحسان لقوله سفيه النار وحليم الكلب وقوله يرثي ابنيه
يذكرني ابني السما كان موهنا
اذا ارتفعا فوق النجوم العواتم
وقد رزئ الاقوام قبلي بنيهم
واخوتهم فاقني حياء الكرائم
ومات أبي والمنذران كلاهما
وعمرو بن كلثوم شهاب الاراقم
وما ابناك الامن بني الناس فاعلم
فلم يرجع الموتى حنين المآتم
وقوله في الفائية التي أولها
عرفت بأعشاش وما كدت تعرف
وأنكرت من حدراء ما كنت تعرف
اذا اغبر آفاق السماء وكشفت
بيوتا وراء الحي نكباء حريف
وأصبح مبيض الصقيع كأنه
على سروات النيب قطن مندف
هذا البيت يروى بالنيب والبيت والنبت وأصح ذلك كله النيب

فنحن يسرى اليدين تخدمها * يمناهما الدهر وهى أفضلها

وقال النور الاسعردى فيمن ندم على مدحه

يمينا مامدحتك من ضلال * ولى فى ذاك عذر للمعالى
ولكنى أكمل منك نقصا * كما جعل الطراز على الشمال

وقال الحريرى

ان البنان الخمس أكفاء معا * والحلى دون جميعها للخنصر

وقال الآخر

وان لم أكن أهلا لما قد سألته * فقد عطلوا اليمنى وقد حلوا اليسرى

وما أحسن قول شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز

النذل مفروض له يسره * والحر بالاقتار مرفوض
كذلك المنقوص لم ينخفض * وأكمل الاسماء مخفوض

وقال الوراق الخطيرى

كن ناقصا تشرف ان الغنى * يحرمه الكامل فى فهمه
فالبدر يحوى من نجوم الدجى * فى النقص ما يعدم فى تمه

وقال قوام الدين أبو طالب

اذا طبع الزمان على اعوجاج * فلا تطمع لنفسك فى اعتدال
فلولا أن يكون الزيغ طبعا * لما مال الفؤاد الى الشمال

قلت ولهذا علل الطواف بالكعبة لما كان الطائف يجعل الكعبة المعظمة على يساره قالوا ليجتمع البيتان على جهة واحدة لان القلب بيت الرب والقلب فى الجانب الايسر وسألت الشيخ الامام العالم العلامة شمس الدين أبا عبد الله محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصارى ما الحكمة فى ميل القلب الى الجانب الايسر فقال مقاومة حرارة الكبد التى فى الجانب الايمن بحرارة القلب التى فى الجانب الايسر ولو اجتمعا فى جانب واحد لافرطت الحرارة هنالك واستولى البرد على الجانب الذى يقابله فكان البدن مقلوبا والطبع والحكمة تأبى ذلك قلت فهلا كان الامر بالعكس فيكون الكبد فى الجانب الايسر ويكون القلب فى الجانب الايمن فقال لو كان كذلك لاعتدل البدن فى حالة بالنسبة الى شقيه كما قلت ولكن الحركات تبتدى من جهة اليسار لان الكبد مبدأ توليد الدم الغادى والارواح الحاملة للقوى فكنا نسميه يمينا لان اليمين جهة مبدأ الحركة ولذلك سمت الحكما جهة المشرق يمين الفلك لابتداء الحركة العظمى فيها قلت فلعل الاعسر انما كان كذلك لان كبده فى الجانب الايسر فقال لا يبعد ذلك فى القياس وقال أحمد بن الخازن

من يستقم يحرم مناه ومن يزغ * يختص بالاسعاف والتمكين
انظر الى الالف استقام ففاته * نقط وفاز به اعوجاج النون

وعكس المعنى أبو طالب يحيى بن زيادة فقال

ان كنت تسعى للزيادة فاستقم * تنل المراد ولو سموت الى السما
ألف الكتابة وهو بعض حروفها * لما استقام على الجميع تقدما

ترى جارنا فينا يخبر وان جنا
فلا هو مما ينطف الجار ينطف
وكنا اذا نامت كلاب عن القرى
الى الضيف تمشى بالعبيط وتلحق

ومنها أيضا وهو أحسن ما قيل فى الفخر ويقال انه غصبه من جميل

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا
وان نحن أومأنا الى الناس وقفوا
وانك اذ تسعى لتدرك شأونا
لانت المعنى يا جرير المكلف

(وقوله)

لا خير فى الحب لا ترجى نوافله
فاستمطروا من قريش كل منخدع
تخال فيه اذا خادعته بلها
عن ماله وهو وافى العقل والورع

وقوله يرثى جارية له حاملا

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح
عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفى بطنه من دارم ذو حفيظة
لوان المنايا أنسأته لياليا

أرباب البديع يستحسنون قوله وجفن سلاح للكناية عن الولد ويقولون انها كانت سوداء فانه أبدع فى التشبيه قوله

وتقول كيف تميل ميلك فى الصبا
وعليك من سمة الحليم وقار

كما عكس المعنى على الشعراء ابن قزل المشد فقال

ان ترقى الى المعالى أولوا الفضـــل وساخت تحت الثرى السفهاء
فحباب المدام يعلو على الـكا * س محـــلا وترسب الاقـذاء

وقال آخر في المعانى المتقدمة

لقـد قعد الزمان بكل حر * وخص أخا الحماقـة باليسار
كأن حاد الحساب على يمين * وآلاف الحساب على اليسار

وأخذه الشيخ صدر الدين محمد بن عثمان الوكيل فقال

عقود الحساب كيوم الحساب * فمن قل وقر اسما في المعالى
كذاك اليمين لها ما يقـل * وعقد الكثير نصيب الشمال

وقال ابن الخيـاط

فذا الدهر مطوى على البخل بذله * يعود عن المذق حين يصرح
يساوى لديه الفضل بالنقص بهله * وسيان للمكفوف ممسى ومصبح

وقال مجير الدين محمد بن تميم

الدهر عندى لامحالة أحول * واسأل به من كان طبا عاقلا
يرنو لحظ فاضــلا فيرده * حول بعينيه فيلحظ جاهـلا

وما أحلى قول ابن قلاقس

ان تأخرت فالمحرم عطل * من حلى العيـد وهو في شوال

وقال ابن اللبانة

لما تناهيت علما ظـل ينقصنى * عنـد الكمال يصيب النير السرر
وفى الغراب اذا فـكرت مغربة * من فرط ابصاره يعزى له العور

قلت هذا من عادة العرب في التفاؤل يقولون الغراب أعور لانه الذى ينعق للفراق يريدون بذلك ضعف بصره لئلا يهتدى الى تفرق شملهم المنتظم كما عكسوا المعنى فى المهلكة فقالوا مفازة وفى اللديغ فقالوا سليما طلبا للتفاؤل وفى لغتهم أشياء المراد منها باطنا خلاف الظاهر من ذلك قولهم للشاعر المفلق قاتله الله وللرجل الفارس المجرب لا أب له قال الحريرى فى درة الغواص وعلى هـذا فسر بعضهم قوله صلى الله عليه وسلم لمن استشاره فى النكاح عليك بذات الدين تربت يداك والى هذا المعنى أشار الشاعر فى قوله

أسب اذا أجدت القول ظلما * كذاك يقال للرجل المجيد

قلت وفسر بعضهم قوله تربت يداك أى صار مالهما مثل التراب وقال آخرون بل المراد لحقت يداك بالتراب من الفقر ومنه أمثال العوام ضرب الارض طلع لوجهه الغبار وقد ضمنت عجز بيت الطغرائى فقلت

أفدى حبيبا له فى كل جارحة * منى جراح بسيف اللحظ والمقل
تقول وجنته من تحت شامته * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

وكلفت تضمينه أيضا فيمن يعلوه عبد فقلت مرتجلا

رأيته تحت عبد بات يرهزه * فقلت ترضى بذا قبحت من رجـل

والشيب ينهض فى الشباب كأنه
صبح يصيح بجانبيه نهار
قوله يصيح يعنى يظهر يقال صاح الشجر بنفسه اذا طال كأنه ينادى على نفسه بالظهور
(وهلا عشيت ولم تغتبر وما أشك انك تكون وافد البراجم)
فى النسخة عسيت بالسين المهملة وهو خطأ ولا يصح به المعنى يقال عسيت أن أفعل فلا يصح ان يقول قاربت ان تغتبر والكلام يقتضى انه قد اغتبر وانما هى عشيت أى رفقت وعشيت الابل وعشيتها اذا أطعمتها عشيا وفى المثل عش ولا تغتبر * وأما وافد البراجم فهو رجل من تميم والبراجم خمسة من أولاد حنظلة والعرب تضرب المثل بوافد البراجم وذلك ان الملك عمرو ابن هند أحرق تسعة وتسعين رجلا من بنى تميم لثار له عندهم وقد كان آلى ان يحرق منهم مائة فبينا هو يلتمس بقية المائة اذ مر رجل من البراجم يسمى عمارا قادم من سفر فاشتم رائحة القتار فظن أن الملك اتخذ طعاما فعدل اليه فقيل له ممن أنت قال من البراجم فالقى فى النار وقيل ان الشقى وافد البراجم ومن هنالك عيرت بنو تميم بحب الطعام

وكيف يعلوك عبد السوء قال نعم * لى أسوة بانحطاط الشمس عن زحل

(فاصبر لها غير محتال ولا ضجر * فى حادث الدهر ما يغنى عن الحيل)

(اللغة) محتال اسم فاعل من الحيلة اذا احتال وتعمد التحيل وضجر اسم فاعل من الضجر وهو القلق من الغم وقد ضجر فهو ضجر ورجل ضجور وأضجرنى فلان فهو مضجر وقوم مضاجر ومضاجير قال اوس

تناهقون اذا اخضرت نعالكم * وفى الحفيظة أبرام مضاجير

وضجر البعير كثر رغاؤه قال الشاعر

فان أهجه يضجر كما ضجر بازل * من الادم دبرت صفحتاه وغاربه

خفف ضجر ودبرت فى الافعال كما يخفف نخذ فى الاسماء والحادث والحدث والحدثى والحادثة والحدثان كل ذلك بمعنى ما يحدثه الدهر من الامور ويختص ذلك بالشرور كرت هنا بيتين لى وهما

صبرى الذى اقتسمته غربة ونوى * كأنما لهما فى ذاك ميراث

وكل يوم على ما فيه من هرم * يلقى صروف الليالى وهى أحداث

احداث جمع حدث وهو الشاب وورّيت بذلك عن الحوادث (رجع) الدهر تقدم الكلام عليه يغنى من الغنى والحيل جمع حيلة وهى الفكرة فى بلوغ القصد بطريق خفى على غيرك كأن الذى يفعل ذلك أفرغ حيلته وقوته فى اعتماده (الاعراب فاصبر) اصبر فعل أمر وقد تقدم الكلام على فعل الامر فى قوله فسر بنا فى ذمام الليل (لها) اللام هنا للتعدية وهى حرف جر والضمير يرجع الى معهود فى النفس لم يذكر وهى المقادير أو الايام أو الحوادث وثم أشياء تذكر مضمرة غير مظهرة كقوله تعالى كل من عليها فان يعنى الارض ولم يجر لها فى اللفظ ذكر وقوله تعالى كلا اذا بلغت التراقى أى الروح وقوله تعالى ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة أى على ظهر الارض وقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر أى القرآن وقوله تعالى حتى توارت بالحجاب أى الشمس وقوله تعالى فاثرن به نقعا فوسطن به جمعا أى الوادى أو الموضع أو المكان وكذا قولهم ما عليها أكرم منى أى ما على الارض وقول أبى الطيب

وانك رعت الدهر فيها وريبه * فان شك فليحدث بساحتها اخطبا

يعنى بالارض (غير محتال) غير منصوب على الحال أى مسلما أمورك الى الله ومحتال مجرور بالاضافة وهى لفظية ما أفادت تعريفا وتقدم الكلام على غير فى قوله غير هياب ولا وكل (ولا ضجر) الواو عاطفة عطفت المنفى على المنفى ولا حرف نفى وضجر اسم فاعل من ضجر يضجر ضجرا فهو ضجر مثل فرح فهو فرح وحزن فهو حزن (فى حادث الدهر) فى هنا ظرفية وحادث مجرور بها والدهر مجرور بالاضافة وهى معنوية بمعنى اللام والجار والمجرور فى موضع رفع لانه خبر تقدم على المبتدا الذى يأتى فيما بعد وجواب الامر محذوف وهو الفاء كأنه قال اصبر ففى حادث الدهر ما يغنى وقد تحذف قال الشاعر

من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان

تقديره فالله يشكرها (ما يغنى) ما هذه نكرة موصوفة بما بعدها وقد تقدم الكلام على ما وتقسيمها كأنه قال شئ مغن ويغنى فعل مضارع مرفوع لخلوه من الناصب والجازم وعلامة

وستأتى قصة عمرو ابن هند فى أصل تسميته محرقا وما السبب فى ذلك

(أو ترجع بصحيفة المتلمس)

(صحيفة المتلمس) مثل يضرب لمن يحصل له الضرر من جهة النفع * والمتلمس هو جرير بن عبد المسيح أحد بنى ضبيعة شاعر مجيد من شعراء الجاهلية وفد هو وابن أخته طرفة بن العبد على عمرو ابن هند أحد ملوك الحيرة فنزلا منه فى خاصته حتى نادماه فبينما طرفة يوما يشرب معه وفى يده جام من ذهب فيه شراب أشرفت أخت عمرو فرآها طرفة وقيل انعكس آها فى الاناء فقال الابانى الظبى الذى تبرق شفاه ولولا الملك القاعد الثمنى قاه فسمعها عمرو فاضغنها عليه وامسكها فى نفسه ثم خرج عمرو يتصيد ومعه عبد عمرو بن بشر وكان طرفة هجاه فرمى عمرو حمارا وقال لعبد عمرو انزل فاذبحه فنزل اليه فعالجه فاعياه فقال عمرو قد عرفك طرفة حيث يقول فيك ولا خير فيه غير ان له غنى وان له كشحا اذا قام اهضما فقال له عبد عمرو وما هجاك به أشد قال وما هو قال قوله فليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تخور فهم بقتل طرفة وخاف من هجاء المتلمس له وان يجتمع

رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل الطرف بالياء وهو فى موضع رفع لانه صفة للمبتدا الذى هو نكرة كأنه قال شئ مغن فى حادث الدهر (عن الحيل) عن للتجاوز والحيل مجرور بعن والجار والمجرور متعلق بيغنى والتقدير فاصبر للحوادث مسلما أمورك ففى حادث الدهر شئ يغنيك عن الحيل (المعنى) اصبر للنوائب صبر من لا يحتال ولا يقلق لنزولها فان فى حادث الدهر ووقائعه ما يغنيك عن الحيل ويأتيك بما لا تقدر عليه بحيلك وحولك ولو لم يكن فى الصبر الا ما جاء فى القرآن الكريم من الثناء على من اتصف به ومن الوعد له بالعقبى وما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله انتظار الفرج بالصبر عبادة لكان فى ذلك كفاية وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقالت عائشة رضى الله عنها لو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وافضل العدة الصبر على الشدة وسئل الامام على رضى الله عنه اى شى اقرب الى الكفر قال ذو فاقة لا صبر له وقال الحرث ابن أسد المحاسبى لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر ومن كلامهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر وكان بن المقفع يقول اذا نزل بك أمر مهم فانظر فان كان لك فيه حيلة فلا تعجز وان كان مما لا حيلة فيه فلا تجزع وما أحسن قوله تعجز وتجزع وهذا الذى يسمى قلب البعض وهو معدود عند أرباب البديع من الجناس كقولك رقيب وقريب وقال بعض العارفين كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو وقال الطحاوى أخبرنا أحمد بن أبى عمران أخبرنا أبو نصر أحمد بن أبى حاتم حدثنا الاصمعى عن أبى عمرو بن العلاء قال استعمل الحجاج أبى على أعماله فنقم عليه فتوارى عنه فى بادية من قومه وأنا معه فبينا أنا معه فى سحر من الاسحار اذ مر راكب وهو يقول

صبر النفس عند كل ملم * ان فى الصبر حيلة المحتال
لا تضق فى الامور ذرعا فقد يكـ * ـشف عنها الردى بغير احتيال
ربما تكره النفوس من الامـ * ـر له فرجة كحل العقال

قال فقلت ماذا الخبر قال مات الحجاج قال فوالله ما أدرى بايها كنت أشد فرحا بقوله مات الحجاج أم بقوله فرجة اه وقد حكاها بعضهم بزيادة وهو أن الحجاج أنكر على من قرأ الا من اغترف غرفة فقال ان لم تأتنى على ذلك بدليل والا ضربت عنقك وأجله على ذلك أجلا فجعل يطوف فى احياء العرب حتى وقع بمن أنشده الابيات (رجع) وفى كلام بعض الحكماء القواهر العلوية دائمة الفيض ممنوعة الحجب تقتص من الظالم للمظلوم وما أحسن قول بن حجاج

دعها سماوية تجرى على قدر * لا تفسدنها برأى منك أرضى

وقال احمد بن حمديس الصقلى

ما أغفل الفيلسوف عن طرق * ليست لاهل العقول منسلكه
من سلم الامر للاله نجا * ومن غدا القصد واقع الملكه

وقال آخر

اذا دجا خطب وأيقنت من * ضعف بان الامر يأتى عسير
ينعكس الامر ويأتى كما * شئت فسبحان اللطيف الخبير

عليه بكر بن وائل متى قتلهما ظاهرا فقال لهما يوما أظنكما قد اشتقتما الى الاهل قالا نعم فكتب لهما كتابين الى عامل البحرين وقال انى كتبت لكما بصلة فاقبضاها من عامل البحرين فخرجا من عنده والكتابان فى أيديهما فمرا بشيخ جالس على ظهر الطريق منكشفا يقضى حاجته وهو مع ذلك يأكل ويتفلى فقال أحدهما لصاحبه هل رأيت أعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ مقاله فقال ما ترى من عجبى أخرج خبيثا وادخل طيبا واقتل عدوا وان أعجب منى من يحمل حتفه بيده وهو لا يدرى فاوجس المتلمس فى نفسه خيفة وارتاب بكتابه فلقيه غلام من أهل الحيرة فقال له أتقرأ يا غلام فقال له نعم ففض كتابه فقرأه فاذا فيه أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه واصلبه حيا فاقبل على طرفة فقال والله لقد كتب لك بمثل هذا فادفع كتابك الى الغلام يقرؤه فقال كلا ما كان ليجترى على قومى بمثل هذا وأنا أقدم عليهم فأكون أعز منه فالقى المتلمس صحيفته فى نهر الحيرة وقال

رميت بها المارايت مدادها * يجول به التيار فى كل جدول

ثم قال يخاطب طرفة

وقال آخر

الدهر لا ينفك عن حدثانه * والمرء منقاد لحكم زمانه
فدع الزمان فانه لم يعتمد * بجلاله أحدا ولا لهوانه
كالمزن لم يخصص بنافع صوبه * أفقا ولم يختر أذى طوفانه
لكن لباريه مواطن حكمة * فى ظاهر الاضداد من أكوانه

وقال أبو بكر يحيى بن بقى

دع المنى ربانيات بلا طلب * وربما وقع الحرمان فى المهن

وقال التهامى

الدهر كالطيف بؤساه وأنعمه * من غير قصد فلا تمدح ولم تلم
لا تسأل الدهر فى غماء يكشفها * فلو سألت دوام البؤس لم يدم

وذكرت هنا قول أبى بكر الخوارزمى فى الصاحب بن عباد

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت * كفاه بالجود حتى أخجل الديما
فانها خطرات من وساوسه * يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

وكان الصاحب قد تلقاه بالرحب والسعة وأكرم نزله فصنع هذين البيتين وتركهما فى مكان يجلس فيه الصاحب وسافر من وقته فلما وقف الصاحب عليهما قال

أقول لركب من خراسان اقبلوا * أمات خوارزميكم قيل لى نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من يكفر النعم

وكان الخوارزمى مولعا بهذا المعنى يردده فى شعره فمن ذلك قوله

ما أثقل الدهر على من ركبه * حدثنى عنه لسان التجربه
لا تحمد الدهر لشئ سببه * فانه لم يتعمد بالهبه
وانما أخطأ فيك مذهبه * كالسيل اذ يسقى مكانا خربه
والسم يستشفى به من شربه

وهذا كله خلاف قول ابن المعتز

الدهر فيه مساءة ومسرة * فجزاء دهرك أن يذم ويحمدا

وقال أبو الطيب فى المعنى الاول

هون على بصر ما شق منظره * فانما يقظات العين كالحلم
ولا تشك الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وقال الغزى

لا تشكون من الخمول فربما * كان الخمول الى السلامة سلما
لولا كمون الدر فى أصدافه * ومشقة استخراجه ما فخما

وقال أيضا

لا تشك فالايام حبلى ربما * جاءتك من أعجوبة بجنين
فكذا تصاريف الزمان مشقة * فى راحة وخشونة فى لين
ماضاع يونس بالعراء مجردا * فى ظل نابتة من اليقطين

أطريفة بن العبد انك حائن
أبساحة الملك الهمام تمرس
ألق الصحيفة لا أبا لك انه
يخشى عليك من الحباء النقرس

ثم مضى طرفة بكتابه الى صاحب البحرين فقتله فلما سمع المتلمس ما جرى عليه قال

عصانى فما لاقى رشادا وانما
تبين من أمر الغوى عواقبه
فاصبح محمولا على آلة الردى
تمج نجيع الجوف منها تراثبه
فان لا تحللها يعالوك فوقها
وكيف التوقى ظهر ما أنت راقبه

ثم لحق بالشام وهجا عمرا وبلغه أن عمرا يقول حرام عليه حب العراق أن يطعمهم منه حبة ولان وجدته لاقتلنه فقال

آليت حب العراق الدهر أطعمه
والحب يأكله فى القرية السوس
أغنيت شانى فأغنوا اليوم تيسكم
واستحمقوا فى مراس الحرب أو كيسوا

قال أبو حاتم قرأت هذه الابيات على الاصمعى فصحفت على فقلت اغنيت شاتى فأغنوا اليوم شاتكم فقال الاصمعى قل فأغنوا اليوم تيسكم ومن جيد شعر المتلمس قوله من قصيدة

والاول مأخوذ من قول الاول

والليالى من الزمان حبالى * مثقلات يلدن كل عجيب

وقال ابن نباتة السعدى

تربص بيوملك مافى غد * فان العواقب قد تعقب

لعل غدا من أخيه حى * يلم لك الصدع أو يرأب

وقال الطغرائى رحمه الله

رويدك فالهموم لها رتاج * وعن كثب يكون لها انفراج

ألم تر أن طول الليل لما * تناهى حان للصبح انبلاج

وقال أبو فراس بن حمدان

خفض عليك ولا تكن قلق الحشا * مما يكون وعله وعساه

فالدهر أقصر مدة مما ترى * وعساك أن تكفى الذى تخشاه

وقال آخر

أبى لى اغضاء الجفون على القذى * يقينى أن لاضيق الا سيفرج

ألا ربما ضاق الفضاء باهله * وأمكن من بين الاسنة مخرج

والى هذا أشار ابن سناء الملك فى قوله يمدح الملك العادل

يجر جيوشا ركد النقع بينها * فلم يلق من بين الاسنة مخرجا

وقال ابراهيم بن عباس الصولى

ولرب نازلة يضيق بها الفتى * ذرعا وعند الله منها المخرج

كملت فلما استحكمت حلقاتها * فرجت وكان يظنها لا تفرج

قال القاضى شمس الدين احمد بن خلكان فى وفيات الاعيان انه ماردده أحد ممن نزلت به نازلة الا فرج الله عنه

وقال آخر

كن عن همومك معرضا * وكل الامور الى القضا

وابشر بخير عاجل * تنسى به ما قد مضى

فلرب أمر مسخط * لك فى عواقبه الرضا

وقال المعتمد بن عباد

من يصحب الدهر لم يعدم تقلبه * والشوك ينبت فيه الورد والآس

تمر حينا وتحلولى حوادثه * فقل ما جرحت الا انثنت تاسو

قلت قد جرحته الليالى ولم تاسه وفقد عند الشدة رهطه وناسه وواقعة المعتمد بن عباد صدعت الاكباد ودكت لها من القلوب اطواد فانه لم يجر على ملك ما جرى عليه ولا ذويه ولا اصيب احد بمصيبته فى ملكه وماله ونفسه وبنيه وما رعت الايام له حقوقه ولا أرت المعالى بعد غروبه شروقه ولا عدت ان عدت بنوه الاملاك فى السوقه حتى قال أبو بكر بن اللبانة وقد رأى ولده فخر الدولة بن المعتمد وهو فى دكان صائغ يعمل صناعة الصياغة

أذكى القلوب أسى أجرى الدموع دما * خطب وجودك فيه يشبه العدما

ألم تر أن المرأ رهن منية
صريع لعافى الطير أو سوف يرمس
فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة
وموتن بها حرا وجلدك املس

وقوله يصف البخل ويمدحه

لحفظ المال خير من بغاة
وضرب فى البلاد بغير زاد
واصلاح القليل يزيد فيه
ولا يبقى الكثير مع الفساد

(وقوله)

الى كل قوم سلم يرتقى به
وليس الينا فى السلاليم مطلع
ويهرب منا كل وحش ويتقى
الى وحشنا وحش الفلاة فيرتع

وقوله وهو أحسن ما ورد فى المستنبحات

ومستنبح تستكشف الريح ثوبه
ليسقطعنه وهو بالثوب معصم
عوى فى سواد الليل بعد اعتسافه
لينبح كلب أو ليفزع نوم
فجاوبه مستسمع الصوت للندى
له عند اتيان المهيبين مطعم
يكاد اذا ما أبصر الضيف مقبلا
يكلمه من حبه وهو اعجم

(أو افعل بك ما فعله عقيل ابن علفة بالجهنى اذ جاءه) (خاطبا فدهن استه بزيت وأدناه من قرية النمل) هو عقيل بن علفة بن الحرث اليربوعى يكنى أبا العملس وأمه عمرة بنت الحرث بن عوف المرى وأمها بنت بدر ابن حصن بن حذيفة شاعر من

وعاد كونك في دكان قارعة * من بعدما كنت في قصر حكى ارما
صرفت في آلة الصياغ أغلة * لم تدر الا الندى والسيف والقلما
يد عهدتك للتقبيل تبسطها * فتستقل الثريا أن تكون فما
يا صائغا كانت العليا تصاغ له * حليا وكان عليه الحلى منتظما
للنفخ في الصور هول ما حكاه سوى * هول رأيتك فيه تنفخ الفحما
وددت اذ نظرت عيني اليك به * لو أن عيني تشكو قبل ذاك عمى
لح في العلى كوكبا ان لم تلح قمرا * أوقم بها ربوة ان لم تقم علما

وهذه جملة من القصيدة وقد تأخر منها بقية وعلى الجملة ما رأى الناس ولا سمعوا أمثالها رزية وقد ذكرت واقعته في كتب الادب والتاريخ وذكرها ابن خلكان وغيره وعلى أبو بكر بن اللبانة جزأ سماه نظم السلوك في وعظ الملوك قصره على واقعة المعتمد واشعاره في السجن واشعار أولاده وقال فيه ومن الغريب انه أخرج من سجن أغمات ونودي عليه الصلاة على الغريب ومن نظمه فيه قوله

لم تمت انما المكارم ماتت * لا سقى الله بعدك الارض قطرا

وله فيه قصيدة أولها

لكل شئ من الاشياء ميقات * وللمنى من منا ياهن غايات
انفض يديك من الدنيا وساكنها * فالارض قد أقفرت والناس قد ماتوا
وقل لعالمها العلو قد كتمت * سريرة العالم السفلي أغمات

وله فيه قصيدة أخرى اولها

تنشق رياحين السلام فانما * أفض بها مسكا عليك مختما
وقل لي مجازا ان عدمت حقيقة * لعلك في نعمى فقد كنت منعما

ومنها قوله

يحيك من نجى من الجب يوسفا * ويؤويك من آوى المسيح بن مريما
فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

وله قصيدة أخرى دالية اولها

تبكي السماء بمزن رائح غادي * على البهاليل من ابناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها * وكانت الارض منهم ذات اوتاد
عريسة دخلتها النائبات على * اساود منهم فيها وآساد
وكعبة كانت الآمال تخدمها * فاليوم لا عاكف فيها ولا باد
يا ضيف اقفر بيت المكرمات فخذ * في ضم رحلك واجمع فضلة الزاد
ويا مؤمل واديهم ليسكنه * خف القطين وجف الزرع والوادي
ان يخلعوا فبنو العباس قد خلعوا * وقد خلت قبل حمص ارض بغداد

يريد بحمص هنا حمص المغرب وهي اشبيلية وله فيه من جملة امداحه قصيدة بائية اولها

بكت عند توديعي فما علم الركب * أذا السقيط الطل ام لؤلؤ رطب
وتابعها سرب واني لمخطئ * نجوم الدياجي لا يقال لها سرب

شعراء الدولة الاموية وكان أهوج جافيا شديد الغيرة والعجرفة والبذخ بنسبه وهو من بيت شرف في قومه من كلا طرفيه وكان لا يرى أن له كفؤا وكانت قريش ترغب في مصاهرته وتزوج اليه من حلفائها وأشرافها وخطب اليه عبد الملك بن مروان بعض بناته لبعض ولده فاطرق ساعة ثم قال ان كان ولا بد فجنبني هجناءك فضحك عبد الملك وعجب من كبر نفسه على ضائقته وشدة عيشه بالبادية وتزوج يزيد بن عبد الملك بعض بناته ودخل على عثمان بن حيان وهو أمير المدينة فقال له عثمان زوجني بعض بناتك فقال أبكرة من ابلي تعني فقال له عثمان أمجنون أنت قال أي شئ قلت لي قال قلت لك زوجني ابنتك فقال ان كنت تريد بكرة من ابلي فنعم فأمر به فوجئت عنقه فخرج وهو يقول

لحى الله دهرا ادع المال كله
وسود أبناء الاماء الفوارك

وكان له جار جهني فخطب اليه ابنته فغضب عقيل وأخذ الجهني فكتفه ودهن استه بشحم أو بزيت وأدناه من قرية النمل فاكل خصيتيه حتى ورم جسده ثم حله وقال أيخطب الي عبد الملك بن

ومنها سألت اخاه البحر عنه فقال لي * شقيقي الا انه البارد العذب
لنا ديمتا ماء ومال فديمتي * تماسك احيانا وديمته سكب
اذا نشأت برية فله الندى * وان نشأت بحرية فلي السحب

وكتب اليه يودعه وهو في سجن اغمات من ابيات

رويدك سوف توسعني سرورا * اذا عاد ارتقاؤك للسرير
وسوف تحلني رتب المعالي * غداة تحل في تلك القصور
تزيد على ابن مروان عطاء * بها وازيد ثم على جرير
تأهب ان تعود الى طلوع * فليس الخسف ملتزم البدور

وقال المعتمد وهو في سجن اغمات من ابيات

مضى زمن والملك مستأنس به * وأصبح عنه اليوم وهو نفور
برأي من الدهر المضلل فاسد * متى صلحت للصالحين دهور

فاجابه ابن حمديس الصقلي بابيات منها

تجيء خلافا للأمور أمور * ويعدل دهر في الورى ويجور
أتيأس من يوم يناقض أمسه * وشهب الدراري في البروج تدور
وقد تنجلي الاملاك بعد نحولها * ويخرج من بعد الخسوف بدور

وما أحسن قول القائل

لا تجزعن لعسرة من بعدها * يسران وعد ليس فيه خلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها * لله في أعطافها ألطاف

البيت الاول فيه اشارة الى قوله تعالى فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا قال الامام فخر الدين قال ابن عباس يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين فلن يغلب عسر يسرين وروى مقاتل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان يغلب عسر يسرين وقرأ هذه الآية وفي تقرير هذا المعنى وجهان قال الفراء والزجاج العسر مذكور بالالف واللام وليس هناك معهود سابق فيصرف الى الجنسية فيكون المراد بالعسر في اللفظين واحدا واما اليسر فانه مذكور على سبيل التنكير فكان أحدهما غير الآخر زيف الجرجاني هذا وقال اذا قال قائل ان مع الفارس سيفا ان مع الفارس سيفا يلزم أن يكون هناك فارس واحد ومعه سيفان ومعلوم ان ذلك غير لازم من وضع العربية الوجه الثاني أن تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما قرر قوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين ويكون الغرض تقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكون المفرد في قولك جاءني زيد زيد والمراد يسر الدنيا وهو ما تيسر من افتتاح البلاد ويسر الآخرة وهو ثواب الجنة لقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب فالمراد من قوله لن يغلب عسر يسرين هذا وذلك لان عسر الدنيا بالنسبة الى يسر الدنيا ويسر الآخرة كالنزر القليل اه وبالجملة فالله تعالى قد أمر بالصبر وحث عليه ووعد بالعقبى لمن صبر والسنة ملأى من ذلك والعقلاء أجمعوا على ملازمته وهو شعار الانبياء والصديقين والشهداء ولكن فيه مشقة وألم وطول أمد قال الشاعر

مروان وارده وتجتري أنت على أن تخطب الي * ومما حكي عنه انه خرج هو وابناه جثامة وعملس وأختهما المسماة بالحوراء حتى أتوا ابنة لهم نكحا في بني مروان بالشام ثم قفلوا حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال عقيل

قضت وطرا من دير سعد وطالما
على عرض ناطحنه بالجماجم

ثم قال أجز يا جثامة فقال

وأصبحن بالموماة يحملن فتية
نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم قال أجز يا عملس فقال

اذا علم غادرنه بتنوفة
تذارعن بالايدي لآخر طاسم

ثم قال يا حوراء أجيزي فقالت

كأن الكرى أسقاهم صرخدية
تدب دبيبا في المطا والقوائم

فقال عقيل شربتها ورب الكعبة ثم شد عليها بالسيف ليقتلها فقال أخوها ماذنبها انما أجازت شعرا فشد عليه فخدشه أحدهم بسهم فوقع يتعلك في دمه ويقول

ان بني ضرجوني بالدم
من يلق أبطال الرجال يكلم

شنشنة أعرفها من أخزم الشنشنة السجية وأخزم فحل منجب لرجل من العرب وقيل أخزم جد حاتم الطائي ثم توجه ولده الى الطريق

ما أحسن الصبر ولكنه * فى ضمنه يذهب عمر الفتى

وقال القاضى الفاضل

يقولون ان الصبر يعقب راحة * وما ضمنوا تبليغ عاقبة الصبر
وفى الصبر ربح أو طريق مبلغ * الى الربح لكن الخسارة فى عمرى

ونقلت من خط السراج الوراق له

وقائل قال لى لما رأى قلقى * لطول وعد وآمال تعنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخرينا

وقال أبو الحسين الجزار

عدم الصبر فهو يظهر ما يلقاه بعد الجحود والكتمان
وعناد الاقدار لا ينفع المر * ء ولكن ما الصبر فى الامكان

وما أحسن قول ابن شرف القيروانى

وحسن صبرى فلا يغررك عن ضرر * مثل الملاحة فى أجفان ذى السبل

وقال أبو الوليد بن زيدون

أمقتولة الاجفان مالك والها * ألم ترك الايام نجما هوى قبلى
أقلى البكا اذلست أول حرة * طوت بالاسى كشحا على مضض الثكل
وفى أم موسى عبرة اذ رمت به * الى اليم فى التابوت فاعتبرى واسلى
ولله فينا علم غيب وحسبنا * به عند جور الدهر من حكم عدل

وقال الحسين القاضى الاشرف أحمد بن القاضى الفاضل

تصبر للعواقب واحتسبها * فأنت من العواقب فى اثنتين
تريحك بالمنى أو بالمنايا * فان الموت احدى الراحتين

وقال ابن رشيق

ما أنت يا دهر بالاهوال تفجعنا * الا كمن يقرع الجلمود بالخزف
ان كنت أنت لسيف الغدر منتضيا * فاننى من جميل الصبر فى زغف

وقال أبو المظفر محمد بن اسمعيل الابيوردى

تنكر لى دهرى ولم يدر أننى * أعز وان الحادثات تهون
فبات يرينى الخطب كيف اعتداؤه * وبت أريه الصبر كيف يكون

وقال أبو الفتح البستى

من جعل الصبر فى مقاصده * وفى مراقيه سلما سلما
والصبر عون الفتى وناصره * وقل من عنه ندما ندما
كم صدمة للزمان منكرة * لما رأى الصبر صدما صدما
فاصبر فان الزمان عن كثب * يأسو على الرغم كلما كلما

قلت وفى هذه الابيات الجناس الذى يسميه أرباب البديع جناس التحريف ونقلت من كتاب أجناس التجنيس تصنيف أبى الوفا صادق بن كامل وهو بخطه قصيدة له كانت غير منقوطة ولا مضبوطة وهى

فلما مروا ببنى القين قالوا لهم هل لكم فى جزور أنكسر قالوا نعم قالوا الزموا أثر هذه الرواحل حتى تجدوا الجزور فخرج القوم حتى انتهوا الى عقيل فاحتملوه وعالجوه الى أن برئ ولحق بهم وقد تروى الحكاية على غير هذا الوجه وان المخدوش بعض ولده والذى عليه أكثر الرواة هذه وروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عاتب رجلا من قريش أمه أخت عقيل ابن علفة فقال له قبحك الله لقد أشبهت خالك فى الجفاء فبلغت عقيلا فرحل من البادية حتى دخل على عمر فقال له اما وجدت لابن عمك شيأ تعيره به الاخؤلتى قبح الله شر كما خالا فقال عمر انك لاعرابى جاف أما لو كنت تقدمت اليك لادبتك والله ما أراك تقرأ من كتاب الله شيأ قال بلى انى لاقرأ ثم قرأ انا بعثنا نوحا فقال له عمر ألم أقل انك لم تقرأ فقال ألم أقرأ فقال ان الله تعالى قال انا ارسلنا نوحا فقال عقيل

خذوا بطن هرشى أو قفاها فانه * كلا جانبى هرشى لهن طريق

فجعل القوم يضحكون من عجرفته ويعجبون منه وقدم عقيل المدينة فدخل المسجد وعليه خفان غليظان فجعل

أدر أدر كاس السرور فـي الربى * حدائق للاحداق من زهر زهر
وعـد وعد أيام التصابى فانهـا * كاضغاث أحـلام ومن سفر سفر
ودر ودر كالحيـا تدرهـا * ثغور بهـا يفـترعن بدر بدر
الى م الام اليـوم فى حبهـم فقل * ودع أن ينال العقل من خمر خمر
أقل أقل ياقلب من لوعة الهوى * ففيـه لقلب الصب من قر قر
وصل وصل واعتدوا اعتد تسليا * فيغنيك فى السلوان عن خبر خبر
ملاذ مـلاذ المرء فى الدهر أن يرى * له ثروة تغـنى ومن قـدر قـدر
فوات فوات القصد فى العمر واقصد الـ * ـتقى وقـد وافاك من عمر عمـر
يمين يمـين الظن الا بوعدهـا * وخلق له ماخط من بشر بشر
وعرف وعرف فى سـناء وفى سنا * توالى بهـا منـه على صدر صدر
كأن كان للدنيا والدين سيفه * يحـط به عن كل ذى وزر وزر
وعيد وعيد منه فى السخط والرضى * ولا مانع منـه لدى حـذر حذر
أكف أكف الشر فى حومة الوغى * فليس لها فى الحرب فى ظفـر ظفر
معين معين صارف متصرف * اليـه بما فى الدهر من فقـر فقر
وقد وقد أعيى الردى النـاس سيره * وجرعـه منـه جنى صـبر صـبر
أبى أبى الا الصـفاح تـكرما * بعـلم وأغنـته عن السمر السمر
وجود وجود للمنايا وللـمـنى * وجـد ووجد فيه من ذكر ذكر

(رجع) قال الشاعر وهو أرق ما يكون

ومصبر للصب قلت له وهل * صبر لمن عنه الحبيب يغيب
والله ان الشهد بعد فراقهم * مالذلى فالصبر كيف يطيب

وقال آخر

لاتخف للخطوب فى كل وقت * لا ولا تخشها اذا هى حلت
فحقيق دوامهـا ليس يبقى * كثرت فى الزمان أو هى قلت
وادرع للهموم صبرا جميلا * فالرزايا اذا توالت تولت

وقال آخر

اذا بلغ الحوادث منتهاها * فرج يقر بها الفرج المطلا
فكم خطب تولى اذا توالى * وكم كرب تجلى حين جلا

وقال آخر

اصـــــــــــبر اذا نائبة حلت * فهـى سواء والتى ولت
واستنهض العزم فليس الظبـا * تبرى وتفرى كالتى كلت

وقال القاضى الفاضل

لاتلن للخطوب واصلب فن لا * ن توالى عليه قرع الخطوب
ان ضرب الحـديد ما كان الا * حين أبدى لينا لحر اللهيب

وقال آخر

يضرب برجليه فضحكوا منه فقال ما يضحككم فقال له يحيى بن الحكم وكانت ابنة عقيل عنـده وكان أميرا على المدينة انهم يضحكون من خفيـك وضربك برجليك وجفائك فقال لا ولـكنهـم يضحكون من امارتك فانها أعجب من خفى وحكى أن يحيى ابن الحكم حين خطب ابنة عقيل بعث اليها جارية من عنده لتنظر اليهـا فغمزت الجارية عضدها فرفعت يدها فدقت أنف الجارية فرجعت الى يحيى وقالت بعثتنى الى أعرابية مجنونة فصنعت بى ماترى فلما اتصلت بيحيى قال لهـا مالك مع الخـادم فقـالت أردت أن يكون نظرك الى قبل كل ناظر فان كان حسـنا كنت أول من تراه وان كان قبيحـا كنت أولى من واراه وبهـاتين السجعتـين يستشهد فى التجنيس لقولهـا أول وأولى ورآه وواراه ومن جيد شعر عقيل يرثى ولده علفة يقول

لعمرى لقـد جاءت قوافل أخبرت
بأمر من الدنيا على ثقيل
لتسع المنايا حيث شاءت فانها
محللة بعد الفتى ابن عقيل
فتى كان مولاه يحل بنجوة
فحل الموالى بعده بمسيل
كأن المنايا تنتقى من خيارنا
لهـا ترة أو تهتدى بدليل

اذا حل بك الامر * فكن بالصبر لواذا
والا فاتك الاجر * فلا هذا ولا هذا

وما أحسن قول بعضهم

كل آت آت وشيكا وذوالجهـ * ـل معنى والهم والحزن فضل

وقال مسلم بن الوليد

وقالت لترببها سلاه أعاتب * فنعتبه أم صارم متجنب
وانى لهما بالوصل لاهى أيم * ولا أنا من قصد المحجة أنكب
لعلك أن تمنى بفرقة صاحب * وتستعتب الايام فيك فتعتب

وقال آخر فى هذه المادة

تربص بها ريب المنون لعلها * تطلق يوما أو يموت حليلها

وقال آخر أيضا

لى منيـة يا هند أرجو نيلهـا * فى بعلك الوغد الدنىء الصاحب
اما طـلاق بين اوميتة * تجتاحـه فأكون أول خاطب

ويقال ان الرشيـد أراد ان يبتاع عنانا جارية الناطفى من مولاها فى حياته فاشتط عليـه فى الثمن وقال لا أبيعها الا بمائة ألف دينار فلما بيعت بعـد موت الناطفى اشتراها الرشـيد بخمسين ألف درهم فلما صارت اليه قال كيف رأيت ظفرنا بك وابتياعنا اياك بعض ما قال مولاك فقالت يا أمير المؤمنين اذا كان الخليفة يتربص بشهواته المواريث بلغ ما يريد ببعض ما اشترانى فاخجلته وقال آخر

لا أقـول الله يظلمنى * كيف أشكو غير متهم
قنعت روحى بما رزقت * وتمطت فى العلى هممى
ولبست الصبر سابغة * فهى من فرقى الى قدمى

قلت ما أحسن استعارة التمطى للهمم هنا وكذلك قول الشاعر فى وصف مصلوب

كانه عاشـق قد مد ساعـده * يوم الفراق الى توديع مرتحل
أو قائم من نعاس فيه لوثته * مواصل لتمطيه من الكسل

وعلى ذكر المصلوبين فما أحسن قول ابن حمديس

ومرتفع فى الجذع ان حط قدره * أساء اليـه ظالم وهو محسـن
كذى غرق مد الذراعين سابحا * من الجو بحرا عومه ليس يمكن
وتحسـبه من جنة الخلد دانيا * يعانق حور الاتراهن أعـين

وقال عمر الخياط

انظـر اليه كانه متظـلم * فى جذعه لحظ السماء بطرفه
بسط اليدين كانه يدعو على * من قد أشار على الامير بحتفه

وقال بعضهم م عمارة اليمنى بمصلوب فقال يصفه

ومد على صليب الصلب منه * يمينا لا تطول الى الشمال
ونكس رأسه لعتاب قلب * دعاه الى الغواية والضلال

وقوله أيضا يحرض قومه وذلك بسبب جارلهم

أما هلكت فلم آتكم
فابلغ أماثل سهم رسولا
أذل الحياة وذل الممات
وكلا أراه وخيما وبيلا
فان لم يكن غير احداهما
فسيروا الى الموت سيرا جميلا
ولا تقعدوا وبكم منة
كفى بالحوادث للمرء غولا

وقوله وقد خطب اليه رجل كثير المال يغمز فى نسبه فامتنع

لعمرى لئن زوجت من أجل ماله
هجينا لقد حبت الى الدراهم
أبى لى ان أرضى الدنية انني
أمد عنانا لم تخنه الشكائم

(ومتى كثر تلاقينا واتصل تراثينا
فيدعونى اليك مادعا ابنة الخس)
الى عبدها من طول السواد وقرب الوساد

(ابنة الخس) هذه هى هند بنت الخس والخص والخسف الايادى حكى ذلك الشريف الرضى قديمة فى الجاهلية أدركت القلمس أحد حكام العرب الذى يقال انه أول من وصل الوصيلة وسيب السائبة وتحاكمت هى وأختها جمعة اليه فى كلام لهما ومدحته بأبيات حسنة منها

قال فلم يمض ثلاثة أيام حتى رأيته مصلوبا مع جماعة بين القصرين وقال بعضهم عبرت بين القصرين وأنا عائد من دار السلطان صلاح الدين عشية النهار الذى صلب فيه عمار فشاهدته مصلوبا فذكرت أبياتا عملها فى الصالح وهى

اذا قدرت على العلياء بالغلب * فلا تعرج على سعى ولا طلب
ولا ترقن لى من كربة عظمت * فان قلبى مخلوق من الكرب
واستخبر الهول كم آنست وحشته * وكم وهبت له روحى ولم أهب

قلت هذا نجم الدين عمارة اليمنى كان فقيها أديبا شاعرا شافعى المذهب من أهل السنة المتعصبين لها فى دولة الفاطميين الى مصر وصاحبها يومئذ الفائز بن الظاهر والوزير الصالح ابن رزيك فكان عنده فى أكرم محل وأعز جانب واتحد به على ما بينهما من الاختلاف فى العقيدة ثم رحل الى اليمن ثم عاد الى مصر وأقام بها الى أن زالت دولة الفاطميين على يد السلطان صلاح الدين رحمه الله ورثى أهل القصرين بقصيدته اللامية التى أولها

رميت يا دهر كف المجد بالشلل * ورعته بعد حسن الحلى بالعطل

ومنها

قدمت مصر فأولتنى خلائفها * من المكارم ما أربى على الامل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن * تمامها انها جاءت ولم أسل
يا عاذلى فى هوى أبناء فاطمة * لك الملامة أن قصرت فى عذلى
بالله زر ساحة القصرين وابك معى * عليهما لا على صفين والجمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة * بنسل آل أمير المؤمنين على
هل كان فى الامر شئ غير قسمة ما * ملكتم بين حكم السبى والنفل

وهى طويلة فى غاية الحسن مثبتة فى الجزء السابع من التذكرة فلما بلغت السلطان صلاح الدين تغير عليه وقيل انه استفتى عليه فى قوله فى قصيدته الميمية

وكان مبدأ هذا الدين من رجل * سعى فأصبح يدعى سيد الامم

فأفتى العلماء بقتله قلت لان هذا الكلام هو رأى الفلاسفة فى النبوات وانها بالتكسب وهى احدى المسائل التى كفروا بها والصحيح ان الله يجتبى من رسله من يشاء ولم يكن أحد من الانبياء صلوات الله عليهم عنده شعور بأنه يكون فيما بعد نبيا ولو كان كذلك ما أنكر النبى صلى الله عليه وسلم ورود الوحى عليه ولا حم وجاء الى أهله وقال زملونى زملونى وأرى أنا أن هذه مفتعل على الفقيه عمارة نظمه بعض أعدائه على لسانه ودسه فى تلك القصيدة وأغروا به السلطان وقالوا هذا متعصب للقصريين ويريد اعادة الدولة لهم وضموه مع القاضى العويرس وأولئك السبعة الذين صلبوا وما يبعد أن القاضى الفاضل تمالأ عليه واختار هلاكه لانه لما استشاره صلاح الدين فى ضربه قال الكلب يسكت ثم ينبح قال فيسجن قال يرجى له الخلاص قال فيقتل قال الملوك اذا أرادوا أشياء فعلوه ونهض فأمر بصلبه مع الجماعة فلما أمسكوه قال مروا بى على باب القاضى الفاضل فلما رآه مقبلا قام ودخل وأغلق الباب فقال عمارة

عبد الرحيم قد احتجب * ان الخلاص من العجب

وذكر القاضى جمال الدين بن واصل فى مفرج الكروب ان القاضى العويرس رأى فى منامه المسيح عليه السلام وهو مطل عليه من السماء فقال له الصلب حق قال نعم فقصه على العابر

اذا الله جازى محسنا بوفائه
فجازاك عنى يا قلمس بالكرم

وبعض الرواة يزعم انها أقامت فى زمن النعمان عند هند ابنته ويستشهد على ذلك بقول الفرزدق

وفيت بعهد كان منك تكرما
كالابنة الخس الايادى وفت هند

وليس الامر كذلك وانما مراد الفرزدق أن هندا هى التى وفت لاختها جمعة ابنة الخس لانها هند ابنة النعمان وكانت ابنة الخس قد زنت بعبد لها فليمت وقيل لها ما حملك على الزنا فقالت قرب الوساد وطول السواد والسواد السرار يقال ساودته اذا ساررته وفى الحديث السواد من السحر والحق بعض الرواة فى قولها وحب السفاد لان أباها كان قد منعها من الزواج * ولها أسجاع كثيرة وشعر قليل وكانت تحاجى الرجال الى أن مر بها رجل فسألته المحاجاة فقال لها كاد فقالت كاد العروس يكون أميرا فقال كاد فقالت كاد المتنعل يكون راكبا فقال كاد فقالت كاد البخيل يكون كلبا وانصرف فقالت له أحاجيك فقال قولى فقالت عجبت فقال عجبت للسبخة لا يجف ثراها

فقال له أنت تصلب قال لأي معنى قال لأن المسيح لم يصلب وقد قال وهو صادق انه حق فما بقي الصلب الا في حقك فصلب بعد أيام أو كما قال وأما القصيدة التي رثي بها أبو الحسن محمد بن يعقوب الانباري الوزير بن بقية فلا أحد مثلها ولو لم يكن الا أولها لكفى به حسنا وهو

علو في الحياة وفي الممات * لحق أنت احدى المعجزات
كأن الناس حولك حين قاموا * وفود نداك أيام الصلات
كأنك قائم فيهم خطيبا * وكلهم قيام للصلاة
مددت يديك نحوهم احتفالا * كمدهما اليهم بالهبات
وتشعل حولك النيران ليلا * كذلك كنت أيام الحياة

وهي مشهورة فلا فائدة في اثباتها ويقال ان الشاعر كتبها نسخا ورماها في شوارع بغداد الى أن تداولها الناس وبلغت عضد الدولة بن بويه فتمنى أنه المصلوب ولم يزل مصلوبا الى أن توفي عضد الدولة فانزل ودفن وقيل ان بعض المغفلين وقف على قاص وهو يذكر ضغطة القبر ويبالغ في هولها فقال يا قوم كم لنا في الصلب من الفرج العظيم ونحن لا ندري فقال مغفل آخر الى جنبه فانا نطلب الصلب منه (ذكر جماعة من أعيان المصلوبين) أول مصلوب صلب في الاسلام عقبة بن أبي معيط قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرق الظبية منصرفه من بدر وأمر بصلبه ومنهم خبيب بن عدي وابن الدثنة الانصاريان أسرتهما هذيل يوم الرجيع ولهما حديث طويل فصلبوهما بالتنعيم وخبيب هذا أول من سن الركعتين قبل القتل وعقبة بن هيثم بن هلال النميري صلبه خالد بن الوليد وهانئ بن عروة المرادي ومسلم بن عقيل بن أبي طالب صلبهما عبيد الله بن زياد بسوق الكوفة وعبد الله بن الزبير صلبه الحجاج بمكة منكوسا وقال لا أنزله حتى تشفع فيه أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلم تتكلم فيه فيقال انه بقي سنة حتى مرت به بعد ذلك فقالت أما آن لراكب هذه المطية أن ينزل فأنزل فيقال انه لما أتي اليها بأشلائه وضعتها في حجرها فحاضت وجرى اللبن في ثدييها فقالت حنت اليه مواضعه ودرت عليه مراضعه ومنهم يزيد بن المهلب بن أبي صفرة صلبه مسلمة ابن عبد الملك بجسر بابل وعلق معه خنزيرا وسمكة وزق خمر وزيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم صلبه يوسف بن عمر في خلافة هشام وبقي معلقا أربعة أعوام ثم أنزل وأحرق ولا حول ولا قوة الا بالله ويحيى بن زيد بن علي المذكور صلب في أيام الوليد بن يزيد بالجوزجان ولم يزل مصلوبا حتى جاء أبو مسلم الخراساني فأنزله وواراه وصلى عليه وأخذ كل من خرج الى قتاله بعد أن تصفح الديوان فقتل كل من كان في بعثه الا من أعجزه وسود أهل خراسان ثيابهم اذ ذاك فصار شعارا لبني العباس وأمر باقامة المأتم عليه ببلخ ومرو سبعة أيام وناح عليه النساء وكل من ولد في تلك السنة من أولاد الاعيان سموه يحيى وخالد بن عبد الله القسري صلبه مروان الحمار على باب الفراديس بدمشق وجعفر بن يحيى البرمكي صلبه هرون الرشيد وقطعه ثلاث قطع ثم أحرقه (رجع) الى ذكر التمطي وما ألطف ما استعمل ابن سناء الملك التمطي في قوله

يا هذه لا تستحي * مني قد انكشف المغطى
ان كان كسك قد تثا * ءب ان أيري قد تمطى

ولا ينبت مرعاها فقالت عجبت فقال عجبت للحجارة لا يكبر صغيرها ولا يهرم كبيرها فقالت عجبت فقال عجبت لحفيرة بين فخذيك لا يدرك حفرها ولا يدرك قعرها فخجلت وتركت المحاجاة ومن أسجاعها قيل لها أي الخيل أحب اليك قالت ذو المعية الصنيع السليط التليع الأيد الضليع الملهب السريع فقيل لها أي الغيوث أحب اليك قالت ذو الهيدب المنبعق الاضخم المؤتلق الصخب المنبثق فقيل لها أي الايور أحب اليك فقالت الذي اذا احتفر حفر واذا أخطأ قشر واذا خرج عقر وقيل لها ما مائة من المعز قالت مويل يشف الفقر من ورائه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل فما مائة من الضأن قالت قرية لا حمى لها قيل فما مائة من الابل قالت بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل فما مائة من الخيل قالت طغى من كانت له ولا توجد قيل فما مائة من الحمر قالت عازبة الليل وخزي المجالس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجز ان ربط عيرها أدلى وان ترك ولى وقيل لها من أعظم الناس في عينك قالت من كانت لي اليه حاجة ومن شعرها

واستعارة التثاؤب والتمطي هنا من أحسن الاستعارات قال ابن جبارة أنشدني ابن سناء الملك هذا وزاد في الاعجاب به فلما عدت الى البيت أخذت جزأ من البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي فوجدت فيه أن بغدادية قالت لاخرى أخرجت يوم العيد قالت لها ناني وحيانك قالت فما رأيت قالت أحراجا تتثاءب وايورا تتمطى فلما اجتمعت به قلت له قد عثرت على الكنز الذي انتهبته وحكيت له الحكاية فقال سيدنا يفتش عن أمري ومما اتفق لي نظمه في الصبر أن قلت

اذا أنشب الدهر ظفرا ونابا * وصال على الحر منا ونابا
صبرنا ولم نشك أحداثه * لانا نعاف التشكي ونابى

وقلت أيضا

لو يعلم الدهر مني ان مصطبري * يغتال صرف الليالي ثم يفترس
كانت جياد الرزايا كلما اطردت * تحوم حول ربوعي ثم تنعكس

وقلت أيضا

بالله لا تأس على فائت * مضى ولا تيأس من اللطف
فقد يجيء الدهر مع قسوة * فيه بوقت لين العطف

وقلت أيضا

ما أبصر الناس صبري * على عنائي وكربي
الصمت دأب لساني * وقد تكلم قلبي

وقلت أيضا

لزمت بيتي مثل ما قيل لي * ولم أعاند حادث الدهر
وليس لي درع يرد الردى * استغفر الله سوى صبري
علما بأن البؤس رهن الرخا * وغاية العسر الى اليسر
فقد يسل السيف من غمده * ويخرج الدر من البحر
وتبرز الصهباء من دنها * ويرجع النور الى البدر

وقلت أيضا

قد أنزل الدهر حظي بالحضيض الى * أن اغتذيت بما ألقاه منه لقا
يضوع عرف اصطباري اذ يضيعني * والعود يزداد طيبا كلما احترقا

(اعدى عدوك ادنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل)

(اللغة) أعدى افعل تفضيل من العداوة العدو ضد الولي وجمعه أعداء وهو عدو بين العداوة والمعاداة والانثى عدوة وفعول اذا كان في تأويل فاعل كان مؤنثه بغير هاء نحو رجل صبور وامرأة صبور الا حرفا واحدا جاء نادرا قالوا هذه عدوة الله قال الفراء انما أدخلوا فيها الهاء تشبيها بصديقة لان الشيء قد يبنى على ضده أدنى هنا أقرب وثقت به بالكسر اذا ائتمنته والميثاق العهد صارت الواو ياء لانكسار ما قبلها والموثق والميثاق والوثيق الشيء المحكم حاذر أمر من المحاذرة وهي التحرز ويقال الحذر ورجل حذر وحذرون وحذارى وأنشد سيبويه في تعدية حذر

أنتم كنصل السيف جعد مرجل
شغفت به لو كان شيء مدانيا
وأقسم لو خيرت بين لقائه
وبين أبي لاخترت أن لا أبا ليا

(وهل فقدت الاراقم فأنكح في جنب)
(الاراقم) حي من تغلب (وجنب) حي من اليمن وهذا اللفظ من جملة شعر لمهلهل التغلبي وقد تقدم ذكره كان قد هرب حين طالت عليه الحروب من أجل حرب البسوس فنزل في طريقه على حي من اليمن فخطبوا اليه ابنته فأبى فساقوا المهر وهو جلود من أدم وغصبوه على الزواج فقال

أعزز على تغلب بما لقيت
أخت بني الاكرمين من جشم
أنكحها فقدها الاراقم من
جنب وكان الحباء من أدم
لو بأبانين جاء خاطبها
رمل ما أنف خاطب بدم

(أو عضلني همام بن مرة فأقول زوج من عود خير من قعود)
(عضل) الولي المرأة اذا منعها من النكاح والعضل المنع الشديد مأخوذ من عضل اللحم (وزوج من عود خير من قعود) قول احدى بنات همام بن مرة ابن ثعلبة كان له أربع بنات وكن يخطبن اليه فيعرض ذلك عليهن

خذوأمورالاتخاف وآمن * ماليس منجيه من الاقدار

وهونادرلان النعت اذاجاء على فعل لايتعدى واصحبهم أمرمن المصاحبة وهى المعاشرة على دخل الدخل المكروالخديعة قال الله تعالى ولاتتخذوا أيمانكم دخلا بينكم (الاعراب أعدى) أفعل تفضيل من العداوة وهذه الصيغة لاتبنى الامما يجوزأن يبنى منه فعل التعجب وله شروط ذكرت هنالك فى شرح قوله أعلل النفس بالآمال البيت فلايبنى أفعل تفضيل الامن ثلاثى ليس بلون ولاعاهة فلاتقل هذا أحمرمن ذا ولاهذا أعورمن ذا بل هذا أشد عورا وأحسن حمرة فان قلت قوله تعالى فهوفى الآخرة أعمى واضل سبيلا وقول أبى الطيب

أبعد بعدت بياضا لابياض له * لأنت أسود فى عينى من الظلم

قلت أجابوا عن الآية بأنه مأخوذ من عمى البصيرة لاعمى البصر فليس بعاهة وعن البيت بأن أسود فاعل وليس بأفعل تفضيل فهو أسود الذى مؤنثه سوداء ومن الظلم صفة له غيرمتصل به اتصال من فى قولك زيد خيرمن عمرو وبقية الشروط المذكورة فى أفعل التفضيل مذكورة فى فعل التعجب فى ذلك البيت المذكور قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك وأفعل التفضيل يأتى فى الكلام على ثلاثة أضرب مضافا ومعرفا بالالف واللام ومجردا من الاضافة وأداة التعريف فان جردمنهما لزم اتصاله بمن جارة للمفضل عليه كقوله زيد أكرم من عمرو وقد يستغنى بتقديرمن من ذكرها ويكثرذلك اذا كان أفعل التفضيل خبرا كقوله تعالى والآخرة خيروأبقى ويقل اذا كان صفة أوحالا كقول الراجز * تروحى أجدران تقيلى * أى تروحى وائتى مكانا أجدرأن تقيلى فيه من غيره وان كان أفعل مضافا نحو زيد أفضل القوم أومعرفا نحو زيد الافضل لم يجز اتصاله بمن فأما قوله

ولست بالاكثرمنهم حصى * وانما العزة للكاثر

ففيه ثلاثة أوجه احدها ان من ليست لابتداء الغاية بل لبيان الجنس كما فى قولهم أنت منهم الفارس الشجاع أى من بينهم الثانى انها متعلقة بمحذوف دل عليه المذكور الثالث ان الالف و اللام زائدتان فلم يمنعا من وجود من كما لم يمنعا من الاضافة فى قوله

تولى الضجيع اذا تنبه موهنا * كالاقحوان من الرشاش المستقى

قال أبو على أراد رشاش المستقى اه قلت اذا تقرر هذا فى أفعل التفضيل فقوله أعدى عدولك ليس مبنيا من ثلاثى اذ الفعل منه عاداه فهورباعى لايبنى منه أفعل التفضيل فلا يقال هو أعدى عدو ولا اصدق صديق من المصادقة أما من الصدق فنعم ولهذا قال تعالى لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا وما بقى فيه الا أن يقال هو على لغة من قال هو أعطاهم للدرهم وأولاهم للمعروف (رجع) اعدى مرفوع بالابتداء ولم يظهر الرفع لانه مقصور (عدولك) مجرور بالاضافة الى ما قبله والكاف ضمير المخاطب فهى فى موضع جر بالاضافة أيضا الى عدو (أدنى) أفعل تفضيل آخر من الدنو وهو القرب من دنا يدنو دنوا فأصله ثلاثى بخلاف الاول وهو مرفوع لانه خبر المبتدا المتقدم ولم يظهر فيه الرفع لانه مقصور فالضمة مقدرة (من) هذه فى موضع جر لانها مضافة الى أدنى وهى نكرة موصوفة والتقدير أدنى رجل أو أدنى صاحب موثوق به (وثقت) فعل ماض والتاء ضمير المخاطب فهى فاعلة الفعل وموضعها الرفع (به) جار ومجرور والباء للتعدية وهذه الجملة فى موضع جر صفة لمن (فاذر)

فستحيين فلايزوجهن وكانت أمهن تقول له زوجهن فلايفعل فخرج ليلة الى متحدث لهن فاستمع عليهن وهن لايعلمن فقلن تعالين نتمنى ولنصدق فقالت الكبرى

ألاليت زوجى من أناس ذوى غنى
حديث شباب طيب الريح والعطر
طبيب بادواء النساء كأنه
خليفة جان لايبيت على وتر

فقلن لها أنت تحبين رجلا ليس من قومك ثم قالت الثانية وهى الوسطى * ألاهل أراها مرة وضجيعها

أشم كنصل السيف غيرمهند
لصوق بأكباد النساء ورهطه
اذا ما انتمى من أهل بيتى ومحتدى

فقالت الثالثة

ألاليته يملى الجفان بديهة
له جفنة يسقى بها النيب والجزر
له حكمات الدهرمن غيركبرة
تشين فلا الفانى ولا الضرع الغمر

فقلن لها أنت تحبين رجلا شريفا قال وقلن للرابعة وهى الصغرى تمنى فقالت زوج من عود خيرمن قعود فلما سمع أبوهن ذلك زوجهن فمكثن برهة ثم اجتمعن عنده فقالت الكبرى يا أبت سل

الفاء للتعقيب وحاذر فعل أمر وهو للمفاعلة من الحذر والامر مبنى على السكون وانما تحركت هنا لالتقاء الساكنين وهما الراء واللام و(الناس) مفعول به والفاعل ضمير استتر فى فعل الامر والتقدير فحاذر أنت الناس (واصحبهم) الواو عاطفة عطفت الامر على الامر والهاء والميم ضمير يرجع الى الناس وهو فى موضع نصب لانه مفعول به لاصحب (على دخل) جار ومجرور وعلى للاستعلاء والجار والمجرور فى موضع نصب على الحال أى واصحبهم مخادعا (المعنى) اشد الناس عداوة لك أقرب رجل وثقت به فخذ حذرك من الناس واصحبهم بالخديعة والمكر ولا تركن الى احد ممن وثقت به وظننت انه صديقك لانه أشد لك عداوة من كل عدو وقرأت على الشيخ الامام العلامة الحجة الحافظ القدوة جمال الدين ابى الحجاج يوسف المزنى بدمشق اخبرنا المشايخ الثلاثة فخر الدين ابو الحسن على بن البخارى وكمال الدين ابو محمد عبد الرحيم ابن عبد الملك المقدسيان بدمشق وكمال الدين أبو العباس احمد بن محمد بن عبد القاهر النصيبى بحلب قال المقدسيان اخبرنا ابو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن بن زيد الكندى وقال ابن النصيبى اخبرنا افتخار الدين الهاشمى بحلب سنة اثنتى عشرة وستمائة اخبرنا ابو شجاع عمر ابن محمد البسطامى وابو الفتح عبد الرشيد بن النعمان الولوالجى وابو حفص عمر بن على الكرابيسى وابو على الحسين بن بشير النقاش قالوا اخبرنا ابو القاسم احمد بن ابى منصور محمد ابن عبد الله الزيادا الخليلى قال حدثنا أبو القاسم على بن احمد بن محمد بن عبد الله الخزاعى البخارى المعروف بابن المراغى سنة ثمان واربعمائة قال حدثنا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشى الاديب ببخارى سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة قال حدثنا ابو عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الحافظ الترمذى قال حدثنا سفيان بن وكيع قال حدثنا جميع بن عمرو بن عبد الرحمن العجلى قال اخبرنا رجل من بنى تميم من ولد ابى هالة زوج خديجة يكنى اباعبد الله عن ابن لابى هالة عن الحسن بن على رضى الله عنهما قال سألت خالى هند بن ابى هالة وكان وصافا عن حلية النبى صلى الله عليه وسلم وانا اشتهى ان يصف لى شيأ منها فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر فذكر الحديث بطوله قال الحسن فسألته عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا فيما يعنيه ويؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن احد منهم بشره ولا خلقه وفى الحديث طول اه وعن ربيعة بن ماجد قيل لمعاوية بن ابى سفيان ما بلغ من عقلك قال ما وثقت باحد قط قلت نعم الحزم سوء الظن بالناس وقيل

من احسن الظن باعدائه * تجرع الهم بلا كاس

ولو كنت ناظم هذا البيت لقلت من احسن الظن باحبابه ولا اقول باعدائه ولله در القائل

جزى الله خيرا كل من ليس بيننا * ولا بينه ود ولا متعرف

فانالنى ضيم ولامسنى اذى * من الناس الا من فتى كنت اعرف

ويقال ان رجلا كان على عهد كسرى يقول من يشترى ثلاث كلمات بالف دينار فطنرمنه الى أن اتصل بكسرى فاحضره وساله عنها فقال ليس فى الناس كلهم خير فقال صدقت ثم ماذا قال ولا بد منهم فقال صدقت ثم ماذا قال فالبسهم على قدر ذلك فقال كسرى قد استوجبت

عنا قال يا بنية ما مالكم قالت الابل قال كيف تجدونها قالت خير مال نأكل لحمانها مزعا ونشرب ألبانها جرعا وتحملنا وضعيفنا معا قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم حليله ويعطى الوسيله قال مال عميم وزوج كريم ثم قال للثانية ما مالكم قالت البقر قال كيف تجدونها قالت خير مال تألف الفناء وتملأ الاناء وتودك السقاء ونساء مع نساء قال فكيف تجدين زوجك قالت خير زوج يكرم أهله وينسى فضله قال حظيت ورضيت ثم قال للثالثة ما مالكم قالت المعز قال فكيف تجدونها قالت لا بأس بها نولدها فطما ونسلخها أدما لم نبغ بها نعما فقال جدوى مغنية قال فكيف تجدين زوجك قالت لاسمح بذور ولا بخيل حكر ثم قال للرابعة يا بنية ما مالكم قالت الضأن قال فكيف تجدونها قالت شر مال جوف لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وأمر مغويتهن يتبعن قال فكيف تجدين زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين عرسه قال أشبه امرؤ بعض بزه وبعض الرواة يعزى هذه الحكاية الى ذى الاصبع العدوانى وبناته (ولعمرى لو بلغت هذا المبلغ

المال فخذه قال لا حاجة لى به وانما أردت ان أرى من يشترى الحكمة بالمال وقال أبو الطيب

وصرت أشك فيمن اصطفيه * لعلمى انه بعض الانام
وآنف من أخى لأبى وامى * اذا لم أجده فى الكرام
أرى الاجداد يغلبها كثيرا * على الاخلاق أولاد اللئام

وقال ابن سناء الملك

أبى الدهر الاضدما انا طالب * فياليت منى مكن الله ضده
يعد الفتى اخوانه لزمانه * واعدى له من صرفه من أعده

وقال أبو العلاء المعرى

جربت دهرى وأهليه فما تركت * لى التجارب فى ود امرئ غرضا

وقال أيضا

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبرى * لما طلعت مخافة ان تكادا
فأى الناس أجعله صديقا * وأى الارض أسلكه ارتيادا

وقال ابن نباتة السعدى

وخلنى وبنى الدنيا فانهم * يوما أصوغ له ليس الامن المدر
لم يبق فيهم خفى لست أعرفه * وكيف لا أعرف الصافى من الكدر

وقال بن الرومى

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ما تراه * يكون من الطعام أو الشراب

وقال الغزى

قالوا بعدت ولم تقرب فقلت لهم * بعدى عن الناس فى هذا الزمان حجا
لولا التباعد بين الحاجبين به * بان افتراقهما لم نعرف البلجا

وقال الارجانى

جربت دهرى وأهليه فبادرتى * من قبل أن تجربنى فيهم الحنك
فلا حسائك فى صدرى على أحد * منهم ولا لهم فى مضجعى حسك
ولا أغر ببشر فى وجوههم * ورب غمر بحر تحته شبك

وقال بن قلاقس

اعلق باطراف الوداد فانه * من دافع الأمواج مات غريقا
واذا انتهى الاخلاص أوجب ضده * ان التجمع يورث التفريقا

وقال الارجانى

أسفت على عمر تصرم ضائعا * وجدت بدمع يستهل هتون
وآنسنى بعدى عن الناس جانبا * وان هم على أحداقهم حملونى
ولما غدا أعلى جفن ناظرى * لقاء الورى من صاحب وخدين
ألفت القلى مستوطنا ظهر ناقتى * تلف سهولا داعما بحزون

لارتفعت عن هذه الحطة) ولا رضيت بهذه الخطة. الحط انزال الشئ من العلو (والحطة) الحدرة من الارض وهو المكان المنخفض (والخطة) الامر والمقصد قال تأبط شرا
هما خطتا اما أسار ومنة * واما دم والقتل بالحر أجدر
أراد خطتان فحذف النون استخفافا والمعنى أنه لو عضانى هما وفقدت الاراقم وكنت كابنة الخس لما رضيت لنفسى بك ولرفعت قدرى عنك ولست أعبأ بكلامك ولا أستمع لخطابك
(فالنار ولا العار والمنية ولا الدنية والحرة تجوع ولا تأكل بثدييها) هذه أمثال تضرب لمن يختار التأنف على قبح الاحدوثة وجاء قولهم النار ولا العار والمنية ولا الدنية بالنصب أى أختار النار والمنية وبالرفع أى النار والمنية أحب الى وقال العسكرى فى قولهم الحرة تجوع ولا تأكل بثدييها يعنون لا تكون الحرة ظئرا لقوم على جعل تأخذه منهم فيلحقها عيب وكان أهل بيت زرارة حضان الملوك وفى ذلك يقول حاجب * حضنا ابن ماء المزن وابنى محرق * فعابه الناس بذلك

وماسرت الا في الهواجر وحدها * كراهة ظلي ان يكون قريني

وقال عبيد بن أيوب العنبري أحد اللصوص

لقد خفت حتى لو تمر حمامة * لقلت عدو أو طليعة معشر

وخفت خليلي ذا الصفاء ورابني * وقيل فلان أو فلانة فاحذر

اذا قيل خير قلت هذي خديعة * وان قيل شر قلت حق فشمر

وقد بالغ بشار في الحذر حيث قال

يروعه السرار بكل شئ * مخافة ان يكون به السرار

وقيل له من أين أخذت هذا قال من أشعب الطماع وقد قيل له ما بلغ من طمعك قال ما كنت في جنازة فرأيت اثنين يتساران الا قلت هما يتحدثان في شئ أوصى لي به الميت وأخذه أبو نواس أيضا فقال

تركتني الوشاة نصب المشيريـ ـن وأحدوثة بكل مكان

ما أرى خاليين في الناس الا * قلت ما يخلوان الا لشاني

وأخذه بعده أبو الطيب فقال

لو قلت للدنف الحزين فديته * مما به لأغرته بفدائه

وأخذه منه ابن الخياط الدمشقي فقال

أغار اذا آنست في الحي أنة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

وقد تقدم ماو أما نوادر أشعب فكثيرة مشهورة ومن أحسنها أنه قيل له ما بلغ من طمعك قال لمن قال له ذلك ما قلت لي هذا الكلام الا وقد خبأت لي شيأ تعطيني اياه وقيل له أيضا ما بلغ من طمعك قال ما رأيت عروسا بالمدينة تزف قط الا كنست بيتي ورششته طمعا في ان تزف الي ووقف على رجل خيزراني وهو يعمل طبقا فقال وسعه قليلا قال الخيزراني وما تريد بذلك كانك تريد أن تشتريه قال لا ولكن يشتريه بعض الاشراف فيهدي لي شيأ فيه وقيل له هل رأيت أطمع منك قال نعم خرجت الى الشام مع رفيق لي فنزلنا بعض الاديار فتلاحينا فقلت ايرهذا الراهب في حرأم الكاذب فلم نشعر بالراهب الا وقد طلع وهو منعظ ويقول أيكم الكاذب وقيل له أيضا هل رأيت أحدا أطمع منك قال نعم كلب أم حومل يتبعني فرسخين وأنا أمضغ كندرا ويقال انه مر يوما فجعل الصبيان يعبثون به فقال لهم ويلكم سالم بن عبد الله يفرق تمرا من صدقة عمر فمر الصبيان يعدون الى دار سالم وعدا أشعب معهم وقال ما يدريني لعله يكون حقا ويقال ان بعضهم اجتاز بدار فسمع صاحبها يقول لزوجته ان لم أحمل عليك ألف رجل فأنا برجل فجلس على الباب الى أن أعياه ثم قام وضرب الباب وقال تحمل على هذه القحبة أحدا والاغمض ومن الحكايات الموضوعة على ألسنة البهائم قالوا رأت الضبع ظبية على حمار فقالت أردفيني على حمارك فأردفتها فقالت لها ما أفره حمارك ثم سارت يسيرا فقالت ما أفره حمارنا فقالت لها الظبية انزلي قبل أن تقولي ما أفره حماري فما رأيت أطمع منك وأتى بعض الفقراء الى خياط في يوم برد ولم يكن عليه غير قميص واحد فنزعه ودفعه الى الخياط ليخيط فتقا كان فيه ووقف المسكين مقرفقا من البرد ينتظر فراغه فلما فرغ منه طواه وجعله تحته وأطال في ذلك فقال أجير عنده أما تدفعه اليه فقال اسكت عساه ينساه ويروح وقيل ان بعضهم تمنى في منزله

وقالوا ما رأينا من يفتخر بالمعاب غيره وذلك أن الظئر خادم والخدمة تضع ولا ترفع والمثل للحرث بن سليل الازدي أتى علقمة الطائي يخطب ابنته ربا فقال لامها أبيني عمن في نفسها فقالت لها يا بنية أي الرجال احب اليك الكهل المباح أم الفتى الطماح قالت بل الفتى الوضاح قالت ان الشيخ يميرك والفتى يغيرك قالت يا أماه أخشى من الشيخ ان يلي شبابي ويشمت اترابي فلم تزل امها بها حتى زوجتها من الحرث فرحل بها الى قومه فبينا هو جالس بفنائه وهي الى جانبه اذ اقبل شباب من بني أسد يعتلجون فتنفست صعداء فقال لها ما لك فقالت مالي وللشيوخ الناهضين كالفروخ فقال تكلتك أمك تجوع الحرة ولا تأكل بثدييها أما وابيك لرب غارة شهدتها وسبية أردفتها الحق باهلك فلا حاجة لي فيك قال العسكري وليس هذا الحديث موافقا للمثل وقال ابو عبيد أصله ولا تأكل ثدييها أي من الحسرة وليس هذا بموافق ايضا ولكنه حكى على ما قيل والله تعالى اعلم

(فكيف وفي أبناء قومي منكح
وفتيان هزان الطوال الغرانقة)

يعني كيف أرضى بهذا وفي

منزله فقال ليت لنا لحما فنطبخ سكباجا فما لبث أن جاءه ابن جاره بصحفة وقال اغرفوا الناقيها قليلا من المرق فقال الرجل جيرا ننا يشمون رائحة الأماني (رجع الى الحذر واليقظة) قال مسلم ابن الوليد من قصيدة مدح بها يزيد بن مزيد الشيباني

تراه في الامن في درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

وهذه القصيدة من القصائد المشهورة وفيها الابيات النادرة ويقال ان هرون الرشيد لما سمع البيت الاول في ليلة من مغنية في دار وسأل عنه وعمن قيل فيه فقيل له لمسلم بن الوليد في يزيد ابن مزيد الشيباني وكان يزيد يقول والله يا أمير المؤمنين لأحرصن على أن لا أكذب شعراءي فيما يمدحونني به فأمر الرشيد باحضار يزيد على الحالة التي يصادف عليها فاحضروه وعليه ثياب خلوته ملونة معصفرة فلما نظر اليه الرشيد في تلك الحالة قال أكذبت شاعرك يا يزيد قال فيم يا أمير المؤمنين قال في قوله تراه في الأمن البيت فقال يزيد لا والله يا أمير المؤمنين ما أكذبته وان الدرع على ما فارقتني وكشف ثيابه واذا عليه درع مظاهرة فأمر الرشيد بحمل خمسين ألف دينار ليزيد وخمسة آلاف دينار لمسلم وحكى الخالديان في اختيار شعر مسلم عن مسلم من جملة خبره في وصوله الى يزيد قال فلما صرت الى الرقة دخلت على يزيد بن مزيد وبين يديه وصيفة بيدها المرآة وهي تريه وجهه وبيده مشط يسرح به لحيته فقال ما الذي أبطأ بك عني قلت أيها الامير ضيق اليد وقصور الحال قال انشدني فانشدته أجررت حبل خليع في الصبا غزل القصيدة فلما بلغت قولي لا يعبق الطيب خديه ومفرقه البيت وضع المرآة من يده ورد المشط وقال للجارية انصرفي فقد حرم مسلم علينا الطيب ويقال انه لما سمع هذا البيت قال منعتني الطيب وأمرهتني باقي عمري فما رؤي بعد ذلك ظاهر الطيب ولا مكتحلا ويقال انه كان أعطر أهل زمانه وكان يقول الله بيني وبين مسلم حرم علي أحب الاشياء الي قلت

ياليت شعري أين كنت من الدنا * والناس ناس والزمان زمان

ففي مثل هذا الزمان كان الادب في عنفوانه والشعر في ابانه والمدح اذا أتى تلقاه الممدوح باحسانه لا كالزمان الذي قال فيه لآخر

وقالوا في الهجاء عليك اثم * وليس الاثم الا في المديح

لاني ان مدحت مدحت كذبا * وأهجو حين أهجو بالصحيح

(رجع) وقال مجير الدين محمد بن تميم

من كان يرغب في حياة فؤاده * وصفائه فلينأ عن هذا الورى

فالماء يصفو ان نأى واذا دنا * منهم تغير لونه وتكدرا

وقال أبو العلاء المعري

والخل كالماء يبدي لي ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وقد أخذه من عمارة بن عقيل حيث قال

وما النفس الا نطفة بقرارة * اذا لم تكدر كان صفوا غديرها

وقال أبو الطيب

كلام أكثر من تلقى ومنظره * مما يشق على الآذان والحدق

قومي كثير من أكفائي (وهزان) اسم قبيلة (والغرانقة) الشباب وهذا البيت للاعشى الاكبر وهو أعشى بني قيس بن جندل من فحول شعراء الجاهلية المتقدمين وكان يقال أشعر الناس امرؤ القيس اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب وكان بعض الادباء يقول الاعشى أشعر الاربعة فقيل له فاين الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرأ القيس بيده لواء الشعراء فقال بهذا الخبر صح للاعشى التقدم وذلك انه ما من حامل لواء الا على رأس أمير فامرؤ القيس حامل اللواء والاعشى الامير وكان الاصمعي يقول ما مدح الاعشى أحدا الا رفعه ولا هجاه الا وضعه فمن ذلك انه مر بالسامة على المحلق بن جشم الكلابي وكان خامل الذكر وله بنات لا يخطبن رغبة عنه فنزل عنده فنحر له ناقة لم يكن عنده غيرها وسقاه خمرا فلما أصبح قال له الاعشى ألك حاجة قال تشيد ذكري فلعلي أشهر فتخطب بناتي فنهض الاعشى الى عكاظ وأنشد قصيدته القافية التي يمدح بها المحلق ويقول فيها

وقال أيضا

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوا له ما من صداقته بد

وقيل ان أبا الطيب لما ادعى النبوة قيل له ما معجزتك قال قولي ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى البيت وأما أبو العلاء المعري فقد سلى نفسه عن عماه بقوله

قالوا العمى منظر قبيح * قلت بفقدانكم يهون
والله ما في الوجود شيء * تأسى على فقده العيون

وما هذه النفس قويه وهمة عن أدناس الوجود عليه على ان عدم رؤية الناس مما يخفف بعض الباس لان وقوع الناظر على ما يكره مما يجعل الجفن أمره

واحتمال الاذى ورؤية جانيه * غذاء تضوى به الاجسام

وعلى ذكر العمى فقد حضرني لابن قزل أبيات عملها في عمياء أشهى من الشفة اللمياء وهي

علقتها عمياء مثل المها * قد خان فيها الزمن الغادر
أذهب عينيها فانسانها * في ظلمة لا يهتدي حائر
تجرح قلبي وهي مكفوفة * وهكذا قد يفعل الباتر
ونرجس اللحظ غدا ذابلا * واحسرتا لو أنه ناضر

يكاد هذا الرابع يختم لنفسه على الحسن بطابع وما أرشق نظامه وأنفذ في القلوب سهمه ولقد أحسن من قال وان لم يكن من زنة ذلك المثقال

قالوا تعشقتها عمياء قلت لهم * ما شأنها ذاك في عيني ولا قدحا
بل زاد وجدي فيها انها أبدا * لا تعرف الشيب في فودي اذا وضحا
ان يجرح السيف مسلولا فلا عجب * وانما أعجب لسيف مغمد جرحا
كأنما هي بستان خلوت به * ونام ناطوره سكران قد طفحا
تفتح الورد فيه من كمائمه * والنرجس الغض فيه بعد ما انفتحا

ولابن سناء الملك مقاطيع في عمياء تروي غلة الكبد الظمياء منها

شمس بغير الليل لم تحتجب * وفي سوى العينين لم تكسف
مغمدة المرهف لكنها * تقتل في الغمد بلا مرهف
رأيت منها الخلد في جؤذر * وناظري يعقوب في يوسف

وهذا البيت الثالث ماله في الحسن وارث ولقد تلطف فيما تخيل واختلس رقة المعنى وتحيل وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة ولكنه استعمل الخلد مورى ودخل الدار من دربه وغيره برا وان كان قد سرقه من ابن سناء الملك فقد استرقه وجعله بالزيادة حرا وهو

فديت أعمى مغمد الحظه * لنزهتي في خده الوردي
تمكنت عيناي من وجهه * فقلت هذي جنة الخلد

وقلت أنا في ذلك

يا حسن أعمى لم يجرد طرفه * حب غدا سكران فيه وما صحا
اذا طار قلب بات يرعى خدوده * غدا آمنا من مقلتيه الجوارحا

وقلت

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق
فما أتت على المحلق سنة حتى
زوج البنات على مثين ألوف
ومن ذلك أنه امتدح الاسود
العنسي فأعطاه ذهبا وحللا
فلما سار ببلاد عامر خافهم على
ما معه فاتى علقمة بن علاثة
فقال أجرني فقال أجرتك قال
من الانس والجن قال نعم
قال ومن الموت قال لا فاتى
عامر بن الطفيل فقال أجرني
فقال أجرتك قال من الانس
والجن والموت قال نعم قال
كيف تجيرني من الموت قال
ان مت في جواري بعثت
الى اهلك بالدية قال الآن
علمت انك أجرتني ثم مدح
عامرا وهجا علقمة فكان
علقمة يبكي اذا ذكر قوله
تبيتون في المشتى ملاء بطونكم
وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا
ويدعو عليه ان كان كاذبا
ويقول أنحن نفعل بجاراتنا
هذا وما زال منكسر البال
من هذا البيت وحكى ابن
خلاد قال كان الاعشى كثير
التطواف فاصبح ليلة بأبيات
علقمة بن علاثة فلما نظر
قائده الى قباب الادم قال
ياسوء صباحاه هذه والله
أبيات علقمة فلما مثل بين

وقلت فيه أيضا

ورب أعمى وجهه روضة * تنزهى فيها كثير الديون
فى خده ورد غبنسابه * عن نرجس مافتحته العيون

ولابن سناء الملك أيضا

فتنتنى مكفوفة ناظراها * كتبالى من الجراح أمانا
فهى لم تسلل الجفون حساما * لاولم تحمل الفتور سنانا
وهى بكر العينين محصنة الاجفان ما افتض ميلها الاجفانا
قصرت عشقها على فلم تعشق فلانا اذلم تعاين فلانا
عميت من هواى وارتحل الانسان من عينها وأخلى المكانا
علمت غيرتى عليها فخافت * ان يسمى غيرى لها انسانا

وله أيضا فيها

ان الكمال أصاب فى محبوبتى * لما أصاب بعينه عينيها
زادت حلاوتها فصرت تخالها * وسنى وقد أسرا الكرى جفنيها
وكما علمت وللدبيب حلاوة * فكأننى أبدا أدب عليها

وقد اختلس النور الاسعردى هذا المعنى ونقله الى غير هذا المبنى وأنزله فى غير هذا المغنى فقال

ألذ من الملاح سرا * لاجل ذا أستعذب الدبيب
عجبت من نايك الانثى * عليها من وجهها رقيب

وعلى ذكر حلاوة الدبيب فلا بأس بايراد بعض رسالة كتبها الشريف أبو يعلى بن الهبارية الى الاستاذ الخطيرى أبى منصور وهى أسعد الله سيدنا الاستاذ الخطيرى الرئيس الاثير النفيس بهذا اليوم السعيد وعرفه بركات هذا الشهر الجديد نعم أسعده الله بهذا اليوم وعرفه بركات هذا الصوم وحشره فى زمرة القوم وأعاذ جده السعيد وأمره الجديد من النوم فان من أصعب الامور نوم الايور لاسيما عند مغالطة الرقيب ومخالسته ومسامحة الحبيب ومساعدته فى دهليز مظلم أو حمام معتم أو طريق لهو قل سائره أو مجلس أنس نام سامره أو ضرورة داعية الى الدبيب أو حاجة حاملة على خيانة الحبيب يقضى بها الوطر من غير علمه ويبلغ بها القصد منه على رغمه وقد اختلف فى ذلك أئمة الظرف وحكماء اللطف فمنهم من أباحه تجوزا ومنهم من حظره تحرزا ومنهم من عده جناية وخساره ومنهم من رآه عيارة وجساره قال بعضهم

خوق سراو بلاتهم * لاتنتظر حل التكك
وافتك بهم انى ظفرت من الشوارع والسكك

وقال الآخر

لاأبيح الدبيب الا اذا كا * ن حبيبى عسا أروم بخيلا
فأحث الكؤس حرصا عليه * جاء لاسكره اليه سبيلا
فاذا نام قمت بالرفق واللطف وأدخلته قليلا قليلا

ومنهم من وصفه بالخلو عن اللذة المطلوبه والتجرد عن الشهوة المحبوبه فقال حمد النيسك ان

بديه قال له أتدرى لم أظفرنى الله بك بغير دية ولا عقل قال لا قال لتقولك على الباطل من غير جرم قال الاعشى لا ولكن ليبلو الله قدر حلمك فى فأطرق علقمة فاندفع الاعشى يقول
أعلقم قد صيرتنى الامور
اليك وما كان لى منكص
فهب لى نفسى فدتك النفوس
ولازلت تنمى ولا تنقص
فقال قد فعلت والله لو قلت فى ما قلت فى ابن عمى عامر لاغنيتك ولو قلت فى عامر ما قلت فى ما أذاقك برد الحياة (وحكى الاصمعى) قال وفد الاعشى على كسرى فأنشده من شعره فسأله عن معنى قوله
أرقت وما هذا السهاد المؤرق
ومابى من سقم ومابى تعشق
فقيل انه سهر ومابه عشق ولا مرض فقال كسرى هذا لص فأخرجوه (ورحل) الاعشى آخر عمره الى النبى صلى الله عليه وسلم طالبا للاسلام وقد مدحه بقصيدته التى يقول فيها
فآليت لاأرثى لها من كلالة
ولا من رجى حتى تلاقى محمدا
متى ماتناخى عند باب ابن هاشم
تراحى وتلقى من فواضله ندى
نبى يرى مالاترون وذكره
أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا
فبلغ قريشا خبره فقالوا هذا

يكون مفاعله أعني لا مناغصة ولا مباداه فان ذلك من شيم الوزراء وخلائق الكبراء فاما نحن معاشر الشحاذين وحيل عباس أجمعين فانما أدنى محلا من ان ندعي فيه حظا أو نعد له لحظا أو نختلط بأهله أو ننسب الى حزبه وما كل من تعاطاه كان له أهلا ولا كل من داناه سومح بكونه له محلا وقال ابن البياضي في القاضي أبي محمد بن السمالك

وقال قوم به ابنة * ومازلت أنقض ماشيدوا
ومن ذلك الكلام حتى يكو * ن له في البغاء قدم أويد

والمصريون يتنافسون فيه ويتفاخرون به ويعدونه منقبة سامية ومرتبة عالية واذا ادعاه مدع وممن لا يعتزي الى مجد شريف ولا ينتمي الى منصب منيف دفعوه عنه وأنفوا له منه وقالوا باي أبوة استحق هذه المنزلة أم باي رياسة وصل الى هذه المرتبة واذا وصفوا انسانا برقة الحافر قالوا فلان يبوس ملتقانا فاخذه المتنبي وقال

ويغيرني جذب الزمام لقلبها * فمها اليك كطالب تقبيلا

وانما قصدت بالمفاعلة ان تكون بين اثنين متفقي الشهوة متقاربي الرغبة متاني الحالة اذا رهزهذا جزذاك واذا خضع هذا رحم راكبه وناك واختال اختيال الطرف براكبه وهملج هملجة الرهوان بجاذبه وكثير من اللاطة يعتذرون عن ميلهم الى الغلمان الصغار ورغبتهم في العلوج الكبار بانهم يعلمون مايراد منهم وفي علمهم لذة عارضة وشهوة داخلة غير الطبيعية والشهوات تتغير بتغير الاسباب حتى ان منهم من يتمنى نيك الوزير وان كان شيخا ويعشق الامير وان كان كهلا ويتمنى امرأة الرئيس وان كانت عجوزا هرمة ويقال فلان يعشق لحشمته وفلان ينال لنعمته وفلان يستجاد لرياسته وشرف بيته ولقد سمعت ان رجلا دب على أبي عمرو بن العلاء فلما شعر به قال ويلك ما حملك على هذا وانا شيخ قال ولم لا أنيكك وانا أوجع منك في شحم ولحم وعلم ضخم واست رجل ذي فهم ولقد كنا ليلة باصبهان في دار الوزارة في جماعة من الرؤساء وعصبة من الفضلاء وعدجماعة باسمائهم فلما هدأت العيون واستولى على الحركات السكون سمعنا صراخا عاليا وصوتا مرتفعا وولولة واستغاثة فقمنا واذا الشيخ الاديب أبو جعفر القصاص ينيك أبا علي الحسن بن جعفر البندنيجي الشاعر الضرير وذلك يستغيث ويقول اني شيخ أعمى فما حملك على نيكي وذلك لا يلتفت اليه الى ان أفرغ فيه وسل منه كذراع البكر وقام قائلا اني كنت أتمنى ان أنيك أبا العلاء المعري لكفره والحاده ففاتني ذلك فلما رأيتك شيخا أعمى فاضلا نكتك لاجله وقال

أنيك الشيوخ نيكة عاهر * مغيظ على أعمى المعرة أحدا

فقال البندنيجي قصيدة يشكو ماجرى عليه فيها

وقد كنت دبابا على كل نائم * فها أنا مدبوب على أنالك
وقد مات شيطاني وايري مقاص * ضعيف القوى لم يبق فيه حرالك

وحدثني القاضي أبو الحسين الاسعاندائي المحامي قال حدثني أبو القاسم المغربي الوزير ببغداد أن غلامه نسيما استشعر به انه دب عليه في سكره فانتبه مغضبا وصد معاتبا فقال الوزير في ذلك أبياتا يعتذر اليه فيها من جملتها

سيان عندي ميت في قبره * يجني عليه ونائم في سكره

صناجة العرب مامدح أحدا الا ارتفع فرصدوه على طريقه فقالوا له يا أبا نصير أين أردت قال صاحبكم لاسلم قالوا انه ينهى على خلال كلها لك موافق قال وماهي قالوا الزنا قال لقد تركني الزنا وما تركته قالوا والقمار قال لعلي أصيب منه عوضا قالوا والخمر قال أوه أرجع الى صبابة لي في المهراس فأشربها ثم أرجع فعاد الى رحله فلبث أياما ثم رمى به بعيره فقتله وزعم بعض الرواة أن الذي أمره بالرجوع أبو جهل وهو غلط فان الخمر لم تحرم الا بالمدينة بعد ان مضت بدر والصحيح أن القائل عامر بن الطفيل وأما قوله

أغار لعمري في البلاد وأنجدا

فقال المعري حكى الفراء وحده أغار في معنى غار اذا أتى الغور واذا صح هذا البيت عن الاعشى فلم يرد بالاغارة الا ضد الانجاد وروى الاصمعي روايتين احداهما أن أغار في معنى شد عدوا شديدا والاخرى انه كان يقدم ويؤخر فيقول لعمري أغار في البلاد وأنجد فيأتي به على زحاف القبض وكان ابن مسعدة يقول غار لعمري فيأتي به على استعمال الخرم في النصف الثاني ويروى أن الاعشى كان يؤمن

رزق الله وليه عقلا يعقله من هذه الحماقات وروعا يحجزه وهيهات فانه اراد ان يعرق فأشأم وعزم أن ينجد فاتهم فافتتح كلامه بالدعاء الصالح ثم عقبه بكلام الماجن المازح لكنه رأى نوم الايور يورث فتره ويعقب حسره ويبقى خجله ويعيروجله وحكى عن المبرد انه قال عشقت جارية من قصر المعتز بالله فلحقني بها ما خفت عاقبته على نفسي وطال شوط مطالها وانا أقوت نفسي بترجي وصالها فلما رحمت عبدها وأنجزت وعدها وحضرتني زائرة نام ايرى لشؤم طيرى فاجتهدت ان يقوم فابى فتحيرت خجلا وتلذذت وجلا خوفا ان تظن تلك السيره ولا تعرف السريره فاخذت سكين الدواة فقالت ما تصنع فقلت أقطعه فقالت دعه تبول منه فكان ذلك أشد على من صفع الأخدعى فانصرفت وأنا أقول

الشان في ايرى يقوم * فالتفتت الى وقالت محيرة * وهوى بلائيك يدوم

فقلت ايرى على مع الزما * ن فمن أذم ومن ألوم

وأنشدني الرئيس أبو الفضل محمد بن محمد بن عيسون المنجم الموصلي لبعضهم في مثل هذا الحال

لونصر الله على ايرى * شددته المجنون في الدير

ان قلت نم قام وان قلت قم * نام على فخذى كالسير

يبغى خلافى أبدا جاهدا * كأنما صاحبه غيرى

اه ما اخترته من كلام ابن الهبارية وأما أبيات أبي العز الضرير فان الفرزدق يعدو في اثرها وهو جرير لانه اعتذر لعشقه وهو أعمى وأوضح دليله الذى صدق حسا ووهما وهى

قالوا عشقت وأنت أعمى * ظبيا كحيل الطرف المى

وحلاه ما عاينتها * وتقول قد شغلتك وهما

وخياله بك في المنا * م فما أطاف ولا ألما

من أين أرسل للفؤا * د وأنت لم تنظره سهما

فأجبت انى موسوى * العشق انصاتا وفهما

أهوى بجارحة السما * ع ولا أرى ذات المسمى

والذى سبق الى هذا سبق المطهمة الجرداء غاهو بشار بن برد حيث يقول

ياقوم اذنى لبعض الحى عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا لمن لا ترى تهوى فقلت لهم * الاذن كالعين توفى القلب ما كانا

وحيث يقول أيضا

قالت عقيل بن كعب اذ تعلقها * قلبى فاضحى به من حبها اثر

انى ولم ترها تهوى فقلت لهم * ان الفؤاد يرى ما لا يرى البصر

وحيث يقول أيضا

يزهدنى في حب عبدة معشر * قلوبهم فيها مخالفة قلبى

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى * فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

وقال الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى

ان كنت لست معى فالذكر منك معى * يراك قلبي وان غيبت عن بصرى

العين تبصر من تهوى وتفقده * وناظر القلب لا يخلو من النظر

بالبعث والحساب ولذلك كان يقول

فما معتل بني على هيكل * بناه وصلب فيه وخارا

بأعظم منك يقى في الحساب * اذا النسمات نفضن الغبارا

وكان أبو عمرو بن العلاء يقول كان لبيد مجبرا وكان الاعشى عدليا وأنشد للبيد

من هداه سبل الخير اهتدى * ناعم البال ومن شاء أضل

وأنشد للاعشى

استأثر الله بالوفاء وبالـ * ـعدل وولى الملامة الرجلا

ومن محاسن شعره قوله في القصيدة النبوية

اذا أنت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا

ندمت على أن لا تكون كمثله * فترصد للامر الذى كان أرصدا

وقوله يمدح اياس بن قبيصة

ولو ان عز الناس في رأس صخرة * ململمة تعيي الأرح المخدما

لاعطاه رب الناس مفتاح بابها * ولو لم يكن باب لأعطاه سلما

وقوله من قصيدة يمدح بها الاسود بن المنذر

رب خرق من دونها يخرق السفـ * ـر وميل يفضى الى أميال

وقال في هذا المعنى الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى

ان تغيبوا عن العيان فانتم * في قلوب حضوركم مستمر
مثلما تثبت الحقائق في الذهـ * ـن وفي خارج لها مستقر

وابن حزم لم يرض بهذا المعنى بل قال

لئن أصبحت مرتحلا بجسمي * فقلبي عندكم أبدا مقيم
ولكن للعيان لطيف معنى * له سأل المعاينة الكليم

وذكرت بالعمى هنا قول شهاب الدين أحمد بن جلنك

معكوس نصف مفرج * تصحيفه ضد المشمي
جارت على عشاقه * عيناه طول الدهر ظلما
فغدا يعاقبه الزما * ن بأعور في وسط أعمى

ويقال ان أبا العيناء لقي جده الأكبر علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأساء مخاطبته فدعا عليه وعلى ولده بالعمى فكل من عمي منهم فهو صحيح النسب وزعم المنجمون ان المولود اذا ولد وأحد النيرين في الخسوف أو الكسوف فانه يولد أعمى والله أعلم وأشراف العميان شعيب النبي عليه السلام ويعقوب صلوات الله عليه قبل ان يجيء اليه قميص يوسف عليه السلام وزهرة بن كلاب بن كعب بن مرة بن كعب بن عبد المطلب بن هاشم والعباس بن عبد المطلب والحكم بن أبي العاص وأبو سفيان بن حرب والحرث بن عباس بن عبد المطلب ومطعم بن عدي ابن نوفل بن عبد مناف وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام بن المغيرة وعتبة بن مسعود الهذلي وعبد الله بن عبيد الله بن عتبة وأبو أحمد بن جحش بن مسعود الأسدي وجابر بن عبد الله الانصاري وعبد الله بن أرقم والبراء بن عازب وحسان بن ثابت الانصاري وأبو أسيد الساعدي وقتادة بن دعامة ودريد بن الصمة الجشمي ومخرمة بن نوفل الزهري والفاكه بن المغيرة المخزومي وخزيمة بن حازم النهشلي وأبو العباس الشاعر وعلي ابن زيد بن جدعان والمغيرة بن مقسم الضبي والترمذي الحافظ الكبير والفقيه منصور الشاعر المصري وابن سيده اللغوي وأبو العلاء المعري وبشار بن برد وأبو البقاء العكبري وأبو العيناء وهشام بن معاوية الضرير النحوي الكوفي صاحب الكسائي له عدة تصانيف والسهيلي صاحب الروض الأنف والشاطبي والصرصري وأبو الحسن علي بن عبد الغني الحصري وأبو عبد الله بن خلصة المغربي النحوي وأبو عبد الله بن الخياط وقال بعضهم لبشار بن برد ما أذهب الله كريمتي مؤمن الا عوضه خيرا منهما فيم عوضك قال بعدم رؤية الثقلاء مثلك وسمع بن مكرم رجلا يقول من كف بصره قلت حيلته فقال ما أغفلك عن أبي العيناء وخاصم أبو العيناء أو أحد العميان رجلا وفخر عليه فقال ذلك الرجل ماذا أقول فيك وموضع الحياء منك خراب ونظمه ابن البناء في أبي العباس الاندلسي فقال

كيف يرجو الحياء منك صديق * ومكان الحياء منك خراب

وما أحسن ما أنشدني من لفظه الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان قال أنشدني ظهير الدين ابراهيم البارزي الحموي لنفسه

تعجبت والدنيا كثير عجيبها * لشخص تلاقى عنده الخبث والريا

وقليب أجن كأن من الريـ
ـش بأرجائه سقوط نصال
لا تشكي إلي وانتجعي الأسـ
ـود أهل الندى وأهل الفعال
أريحي صلت يظل له القو
م ركودا قيامهم للهلال
فرع نبع يهتز في غصن المجـ
ـد غزير اللها عظيم الجمال
عنده الحزم والتقى وأسا الصد
ع وحمل المغرم الأثقال
وهوان النفس العزيزة للذكـ
ـر اذا ما التقت صدور العوالي
فاذا من عصاك أصبح محرو
ما وكعب الذي يطيعك عال

وقوله يمدح المحاق

اذا حاجة ولتك لا تستطيعها
فخذ طرفا من غيرها حين تسبق
فذلك أدنى أن تنال جسيمها
وللقصد أبقى في الأمور وأوفق
أبا مالك سار الذي قد صنعتم
وأنجد أقوام لذاك وأعرقوا
وان عتاق العيس سوف تزوركم * ثناء على أعجازهن معلق * يعني ان الحداة تحدوا الابل بثناء الممدوحين فكأنه معلق على أعجازها ومنها أيضا

بدا سبل في عينه وهو مخصب * ولم أرها يوما ألم بها حيا

ويقال ان جائزة الرشيد كانت تأخرت عن أبي نواس فقال

لقد ضاع شعري على بابكم * كما ضاع عقد على خالصه

فاتصل ذلك بخالصة وكانت أحظى جواريه عنده وأعزهن فاحضره وقال ما حملك يا فاسق على هذا فقال الغالط من الراوي ظن ان الهمزة عينا فاظهر الرضا متخذعا له طلبا للتكرم ويقال ان بعض الادباء ذكر البيت والواقعة بحضرة القاضي الفاضل رحمه الله تعالى فقال للغور هذا بيت قلعت عيناه فابصر وهذا من محاسن ما اتفق له وقد عكس هذا الذي قال

كان بالناظر بصيرا * فصار بالناظرين أعمى

ويقال انه كان بحرم الخليل عليه السلام شخصان أعميان أحدهما ناظر الحرم والآخر خطيبه فرام الناظر عزل الخطيب فعارضه الشيخ ومنعه فقال له الناظر كأنك قد شاركتني في النظر فقال لا بل في العمى فاستحى واستمر الخطيب وقال بعضهم أكثر أهل هيت عور فرأيت رجلا منهم صحيح العينين فقلت ان هذا الغريب فقال لي يا سيدي ان لي أخا أعمى قد أخذ نصيبي ونصيبه فضحكت منه ويقال ان رجلا أعمى تزوج امرأة قبيحة فقالت له رزقت أحسن الناس وأنت لا تدري فقال يا بظراء أين كان البصراء عنك قبلي وقال بعضهم نزلت ببعض القرى وخرجت في الليل لحاجة فاذا أنا بأعمى على عاتقه جرة ومعه سراج فقلت له يا هذا أنت أعمى والليل والنهار عندك واحد فما معنى السراج فقال يا فضولي حملته معي لأعمى البصيرة مثلك يستضيء به فلا يعثر بي في الظلمة فأقع أنا وتنكسر الجرة ويقال ان المؤمل بن أميل لما قال

شف المؤمل يوم الحيرة النظر * ليت المؤمل لم يخلق له بصر

رأى في منامه كأن رجلا أدخل أصبعيه في عينيه وقال هذا ما تمنيت فاصبح أعمى وقال الخزيمي

فان تك عيني خبا نورها * فكم قبلها نور عين خبا

فلم يعم قلبي ولكنما * أرى نور عيني لقلبي سعى

ومثله قول بن العلاء المعري

سواد العين زار سواد قلبي * ليتفقا على فهم الامور

وقال بعض القدماء لو ان العين كلها تكون نظار النقص ابصارها وانما أبصرت باجتماعها سوادا في انسان الانسان

*(فانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعول في الدنيا على رجل)*

(اللغة) الرجل خلاف المرأة والجمع رجال ورجالات مثل جمل وجمال وجمالات وأراجل أيضا ويقال للمرأة رجلة قال الشاعر

خرقوا جيب فتاتهم * لم يبالوا حرمة الرجله

الدنيا هي هذه الدار التي نحن فيها وسميت الدنيا لدنوها والجمع دنا مثل كبرى وكبر والنسبة اليها دنياوي ودنيوي ودنيي وواحدها الواحد أول العدد والمراد به هنا الفرد الذي لا ثاني له في الرجال والوحدة الانفراد يقال فلان واحد دهره أي لا نظير له ولا يقال للانثى وحدى وزعم بعضهم ان أحدا لا يكون الا من يعقل يعول عولت عليه أدللت عليه دالة وحملت عليه ويقال

وكم دون ليلى من عدو وبلدة
وسهب به مستوضح الآل يبرق
وان امرأ أسرى اليك ودونه
سهوب وموماة وبيداء سملق
لمحقوقة أن تستجيبي لصوته
وان تعلمي ان المعان موفق

يعني ان الموفق معان وهذا الغالب المستعمل في كلام العرب مثل قول الآخر

أو بلغت سوآتهم هجر

وعلى ذلك قد فسر بعض العلماء قوله تعالى خلق الانسان من عجل أي خلق العجل من الانسان ومنها

لعمري لقد لاحت عيون كثيرة
الى ضوء نار باليفاع تحرق
تشب لمقرورين يصطليانها
وبات على النار الندى والمحلق
رضيعي لبان ثدي أم تحالفا
باسحم داج عوض لا يتفرق

يعني ان المحلق والندى حليفان لا يتفرقان كأنهما تحالفا على ذلك عند النار وكذا كانت العرب من عادتها تحلف عند النار وفي قوله أسحم داج سبعة أقوال قيل هو الرماد كانوا يحلفون به وقيل الليل وقيل الدم فانهم كانوا يغمسون أيديهم فيه ويحلفون وقيل حلمة الثدي وقيل دماء الذبائح

عول على بماشئت أى استعن بى كأنه يقول احمل على ماشئت (الاعراب فانما) الفاء للاتباع وانما كلمة تقتضى الحصر وقال قوم انها وضعت كذا وقال قوم هى مركبة من ان وما فاذا قلت انما قام زيد كانك قلت ماقام الا زيد ففى الكلام نفى واثبات والصحيح أنها للحصر وقال بعضهم ليست له واحتج بقوله تعالى انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وبالاجماع أنه من لم يكن كذلك فانه مؤمن والجواب أن هذا محمول على المبالغة وقال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى فى قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات اذا ثبت انها للحصر فتارة تقتضى الحصر المطلق وتارة تقتضى حصرا مخصوصا ويفهم ذلك بالقرائن والسياق كقوله تعالى انما أنت منذر وذلك ظاهر الحصر للرسول فى النذارة والرسول لا ينحصر فى ذلك بل له أوصاف جميلة كالبشارة وغيرها لكن مفهوم الكلام يقتضى حصره فى النذارة لمن لا يؤمن ونفى كونه قادرا على انزال مايشاء على الكافر من الآيات وكذلك حديث انما أنا بشر وانكم تختصمون الى معنى حصره فى البشرية بالنسبة الى الاطلاع على بواطن الخصوم لا بالنسبة الى كل شئ فان للرسول أوصافا أخر كثيرة وكذلك قوله تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو يقتضى والله أعلم الحصر باعتبار من آثرها وأما بالنسبة الى مافى نفس الامر فقد تكون سببا للخيرات ويكون ذلك من باب تغليب الاكثر فى الحكم على الاقل فاذا وردت لفظة انما فاعتبرها فان دل السياق والمقصود من الكلام على الحصر فى شئ مخصوص فقل به وان لم يدل على الحصر فى شئ مخصوص فاحمل الحصر على الاطلاق اه قلت ومن الدليل على انها للحصر أن ان تقتضى الاثبات وما تقتضى النفى فعند تركبهما وجب أن يبقى كل واحد على الاصل لان الاصل عدم التغير فاما ان تقول كلمة ان تقتضى ثبوت غير المذكور وكلمة ما تقتضى نفى المذكور وهو باطل أو تقول كلمة ان تقتضى ثبوت المذكور وما تقتضى نفى غير المذكور وهذا هو الحصر وهى ههنا للحصر كأنه قال مارجل الدنيا وواحدها الا الذى لا يعول على أحد وفى انما مباحث أخر أضربت عنها خوف الاطالة وحاصل الامر أنك اذا أردت قصر الموصوف على الصفة قلت انما زيد كاتب لمن يعتقده كاتبا وشاعرا واذا أردت قصر الصفة على الموصوف قلت انما الكاتب زيد لمن يعتقد الكاتب زيدا أو عمرا أو غيرهما (رجع رجل الدنيا) مرفوع على انه مبتدأ والدنيا مجرور على الاضافة ولم يظهر الجر لانه مقصور فهو بكسرة مقدرة على الالف (وواحدها) الواو عاطفة وواحد مرفوع لانه معطوف على المبتدأ والضمير فى موضع جر بالاضافة وهو يرجع الى الدنيا (من) اسم ناقص بمعنى الذى لا يتم الا بصلة وعائد وموضعه الرفع لانه خبر للمبتدأ الذى تقدم وان أردت فاجعله نكرة موصوفة بما بعدها تقديره رجل غير معول على أحد والمحصور هنا من (لا يعول) لا حرف نفى يعول فعل مضارع من عول يعول وهو مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم والفاعل ضمير يرجع الى من والجملة فى موضع رفع صفة لمن (فى الدنيا) فى هنا للظرف والدنيا مجرور بفى ولم يظهر الجر لانه مقصور وموضع الجار والمجرور النصب لانه مفعول فيه (على رجل) على للاستعلاء ورجل مجرور به وموضعهما النصب على المفعولية به ليعول (المعنى) ما أرى رجل الدنيا وواحدها الذى تفرد فيها بالحزم ولم يكن له فيها ثان الا رجلا ساء ظنه بالناس وتجنبهم فلم يعول فى دنياه على رجل يريد أن الرجولية لا تنحصر الا فيمن اتصف بهذه الصفة واضاف الرجل الى الدنيا يعنى انه اذا كان كذلك لم يكن للدنيا رجل غيره فهو

للاصنام وقيل الرحم وقوله رضيعى لبان ثدى أم واحدة مبالغة فى الوصف بالكرم وعوض اسم صنم لبكر بن وائل وقيل من أسماء الدهر وأصله أن يكون ظرفا تقول لا أفعله عوض العائضين ودهر الداهرين ثم كبروه حتى أحلوه محل مايقسم به ومن جعل عوض اسم صنم كانه قال عوض قسمنا الذى نقسم به ومنها

ترى الجود يجرى ظاهرا فوق وجهه
كما زان ضوء الهندوانى رونق

نفى الذم عن آل المحلق جفنة
كجابية الشيخ العراقى تفهق

يروى جابية الشيخ العراقى يعنى ان العراقى الذى يعود الحضر ويسلك البادية يكون حريصا على مائه لانه لا يعرف مواقع المياه فتكون جابيته التى هى من أوانى الماء ملآنة أبدا ويروى السيح بالسين والحاء المهملتين تعنى الماء السائح من العراق ومنها

كذلك فافعل ماحييت اذا شتوا
وأقدم اذا ما أعين الناس تفرق

واما الشعر الذى ذكر بسببه فيحكى انه تزوج امرأة من عنزة فلم يرضها فطلقها وقال

أحق بالاضافة اليها من كل من عداه ومن كلام ابن سناء الملك اياك أن تغتر بخلاب لسان أو تثق بقلب انسان أو تركن الى صداقة صديق أو تأمن من شقاق شقيق أو يروقك ملق ملق أو بشر بشر أو تشيم صفو سحائب الاخلاء فانها تهمي بكدر أو تنخدع بنسيم انفاس الأعداء فانها ساترمي بشرر وعليك بالاحتراز من أبناء جنسك والاحتراس حتى من نفسك

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدهر بالدهر الذي كنت تعرف

اه وقيل ان انسانا صدم اباالعيناء فقال ماهذا فقال ابن آدم فضمه أبو العيناء اليه وقال تعال تعال لا اله الا الله ماظننت أنه بقي أحد من هذا النوع وقال أبو الطيب

اذا ما الناس جربهم لبيب * فاني قد أكلتهم وذاقا

فلم أرودهم الاخداعا * ولم أرديتهم الانفاقا

فعطف قوله وذاقا على قوله جربهم واعترض بين المعطوف والمعطوف عليه بقوله فاني قد أكلتهم والمعنى مليح لانه يقول اذا ماجرب الناس لبيب وذاقهم فاني قد أكلتهم ومن أتى على الشئ أكلا عرفه أكثر ممن جربه ذواقا وقال أيضا

ومن عرف الايام معرفتي بها * وبالناس روى رمحه غير راحم

فليس بمرحوم اذا ظفروا به * ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

وقال السميسر الالبيري

تحفظ من ثيابك ثم صنها * والا سوف تلبسها حدادا

وميز عن زمانك كل حين * ونافر اهله تسد العبادا

وظن بسائر الاجناس خيرا * وأما جنس آدم فالبعادا

أرادوني بجمعهم فردوا * على الاعقاب قد نكصوا فرادى

وعادوا بعد ذا اخوان صدق * كبعض عقارب رجعت جرادا

وقال أبو فراس بن حمدان

بمن يثق الانسان فيما ينوبه * ومن أين للحر الكريم صحاب

وقد صار هذا الناس الا أقلهم * ذئابا على اجسادهن ثياب

وقال ابن حمديس الصقلي

من سالم الضعفاء راموا حربه * فالبس لكل الناس شوك مجرب

كل لأشراك التحيل ناصب * فاغلب بني دنياك ان لم تغلب

لا يكذب الانسان رائد عقله * فامرتع وكن عذوبا تشرب

*(وحسن ظنك بالأيام معجزة * فظن شرا وكن منها على وجل)*

(اللغة) الظن عدم الجزم بالامر هل هو كذا أو كذا وقد يأتي بمعنى العلم قال الشاعر

فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج * سراتهم في الفارسي المسرد

أي استيقنوا وانما يخوف عدوه باليقين لا بالشك وما أحسن قول أبي البركات بن بنت العصار يرثي المعظم عيسى

أظن قدمات الندى بعده * والظن قد يأتي بمعنى اليقين

معجزة مثل مبخلة ومجبنة ومحمدة مصدر من العجز والعجز ضد القدرة الوجل الخوف تقول

بديهة * يا جارتي بيني فانك طالقه
كذاك أمور الناس غاد وطارقه
وبيني حصان الفرج غير ذميمة
وموموقة فينا كذاك ووامقه
وبيني فان البين خير من العصى
والا ترى فوق رأسك بارقه
وذوقي فتى قوم فاني ذائق
فتاة أناس مثل ماانت ذائقه
وكيف وفي ابناء قومك منكح
وفتيان هزان الطوال الغرانقه
وبهذه الابيات استدل قوم على أن الطلاق في الجاهلية كان ثلاثا لانه كرر قول بيني في ثلاثة أبيات وتمثل ابن زيدون في هذه الرسالة بالبيت الاخير واستعمل فيه نوع الاهتدام وهو تغيير قومك بقولها قومي
(ما كنت لأتخطى المسك الى الرماد
ولا امتطى الثور بعد الجواد) يعني ما كنت لأدع الفتيان من قومي لارغب اليك وانت بالنسبة اليهم كالرماد الى المسك ولعله أشار بذلك الى رسالة لابي عثمان الجاحظ في ذكر الرماد والمسك وأما قوله أمتطي الثور بعد الجواد فهو قول المتنبي في قصيدة من قصائده يقول فيها
وما الاقني بلد بعد كم
وما اعتضت من رب نعماي رب

وجـل يوجل ويا جل وييجل بكسر الياء فمن قال ياجل جعل الواو ألفا لفتحة ما قبلها ومن قال ييجل بكسر الياء فعلى لغة بني أسد فانهم يقولون انا ايجل ونحن نيجل وانت تيجل ومن قال ييجل بناه على هذه اللغة ولكنه فتح الياء مثل قولهم يعلم والامر منه ايجل صارت الواو ياء لكسرة ماقبلها وتقول اني لأوجل ولا يقال للمؤنث وجلاء (الاعراب وحسن) مرفوع على الابتداء وهو مصدر وسيأتي الكلام على اعرابه بعد الفراغ من مفردات الكلام (ظنك) مجرور بالاضافة الى حسن وظن مصدر ظن يظن ظنا وظن واخواتها من نواسخ الابتداء تدخل على المبتدا والخبر فتنصبهما مفعولين والكاف في موضع جر بالاضافة (بالايام) جار ومجرور متعلق بظنك والباء للتعدية أو للالصاق ٣ والايام مفعول أول الظن والمفعول الثاني محذوف دل عليه حسن كانه قال ظنك بالايام خيرا معجزة وسيأتي الكلام على حذف أحد مفعولي ظننت في قوله فظن شرا (معجزة) مرفوع على انه خبر المبتدا وهذه الصيغة صيغة اسم المصدر قال الشيخ بدر الدين بن مالك اعلم ان اسم المعنى الصادر عن الفاعل كالضرب او القائم بذاته كالعلم ينقسم الى مصدر والى اسم مصدر فان كان أوله ميم مزيدة لغير مفاعلة كالمضربة والمحمدة أو كان لغير ثلاثي كالغسل والوضوء فهو اسم المصدر والا فهو المصدر اه قلت فمعجزة اوله ميم مزيدة لغير المفاعلة لأن أصله العجز وليس فيه ميم وهي لغير المفاعلة فتعين ان يكون اسما للمصدر الذي هو العجز (فظن) الفاء للتعقيب وظن فعل أمر من الظن ولك في مثل هذا ضم آخره وفتحه وجره فان ضممت كنت قد تبعته حركة ما قبله لان أوله مضموم وان فتحت كنت قد طلبت الاخف وان جررت كنت على قاعدة الساكن اذا حرك (شرا) هذا منصوب على انه مفعول ثان لظن والاول محذوف تقديره ظن بالايام شرا وقد منع النحاة من مثل هذا وقالوا اما أن يحذف مفعولا ظن واما أن يثبتا قال الشيخ جمال الدين بن مالك رحمه الله الاصل أن لا يقتصر على أحد المفعولين في هذا الباب لانهما مخبر عنه ومخبر به فلو حذف الاول بقي الخبر دون مخبر عنه ولو حذف الثاني بقي المخبر عنه دون خبر فان دل دليل على المحذوف منهما جاز الحذف كقوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم أي لا يحسبن الذين يبخلون ما يبخلون هو خيرا لهم وحذف المفعولين أسهل من حذف أحدهما لكن بشرط الفائدة فلو قال القائل دون تقدم كلام ولا ما يقوم مقامه ظننت مقتصرا لم يجز لعدم الفائدة نص على ذلك سيبويه اذ لا يخلو أحد من ظن فلو قارنه سبب يقتضي تجدد مظنون جاز ذلك لحصول الفائدة كقوله تعالى ان هم الا يظنون وكقول بعض العرب من يسمع يخل اه قلت وهنا دل على المفعول الاول دليل فجاز حذفه لانه مفهوم من سياق الكلام اذ هو قد قال أولا وحسن ظنك بالايام معجزة فاذا قال فيما بعد فظن شرا علم انه أراد فظن بها شرا أي بالايام وكذا في قوله وحسن ظنك بالايام حذف المفعول الثاني كانه قال ظنك بالايام خيرا معجزة وقد تقدم (وكن) الواو عاطفة عطفت الامر على الامر وكن فعل أمر من كان فهي ترفع الاسم وتنصب الخبر واسمها مستتر فيها تقديره أنت (منها) من هنا لبيان الجنس والضمير يرجع الى الايام وهو في موضع جر ولم يظهر الجر لان الضمائر كلها مبنية والجار متعلق بوجل (على وجل) على للاستعلاء معنى ووجل مجرور به والجار والمجرور متعلق بخبر كان المقدر تقديره وكن أنت مستقرا على وجل منها واما قوله في أول البيت وحسن ظنك بالايام معجزة فحسن مصدر

إضيف

ومن ركب الثور بعد الجوا
د أنكر أظلافه والعبب
(فانما يتيمم من لم يجد ماء ويرعى
الهشيم من عدم الجميم ويركب
الصعب من لا ذلول له)
الهشيم من النبات اليابس
المتكسر والجميم النبت المقتبل
الذي طال ولم يبلغ النهاية
والصعب ما لا يطيع والذلول
ضده ومثلت بهذا القول
عدم حاجتها اليه واستغنائها
عنه بمن هو خير منه
(ولعلك أغرك لمن علمت
صبوتي اليه وشهدت
مساعفتي له من أقمار العصر)
وريحان المصر الذين هم
الكواكب علوهم
والرياض طيب شيم العصر
الدهر والمصر وكل بلد عصور
أي محدود والمراد بالاقمار
هنا والريحان وصف قوم
بحسن الوجوه والاخلاق
ومرادها بهذه الصفات.

٣ قوله والايام مفعول أول
الخ الظاهر ان مفعولي
المصدر هنا وهو قوله ظنك
محذوفان وتقديرهما وفاءها
حاصلا مثلا وكذلك
مفعولا فعل الامر الآتي
وهو ظن أيضا وتقديرهما
غدرها حاصلا مثلا وأما قوله
بالايام فمتعلق بظنك المذكور
وقوله شرا فمفعول مطلق
لفعل الامر المذكور أيضا اه

أضيف الى فاعله وهو ظنك والمفعول الاول للمصدر وهو ظن اغماه والايام والثانى ماقدرته من خبر المفهوم من سياق الكلام فهنا مصدر أول يحتاج الى فاعل وهو حسن وفاعله ظنك المضاف اليه ومصدر ثان يحتاج الى فاعل ومفعولين وهو ظن فالكاف التى أضيف اليها فاعل أضيف الى مصدره والمفعولان هما الايام وخبرا المفهوم من سياق الكلام فقدره (المعنى) حسن ظنك أن فى الايام خيرا عجز منك لانك لم تخبر الايام ولا أهلها ولا جربتهما لتعلم ماهما عليه وهذا العجز ظاهر وهو أن يحف الانسان غيره مدة العمر وهو به جاهل والحزم انك تظن الشر بالايام وتكون منها على وجل فلا تأمن اليها وكن منها خائفا ولا تركن الى مسالمتها وسكونها فى وقت ما وما أحسن قول ابن عبدون فى قصيدته المشهورة وهى التى رثى بها بنى المظفر

الدهر يفجع بعد العين بالاثر * فما البكاء على الأشباح والصور
أنهاك أنهاك لا آلوك معذرة * عن نومة بين ناب الليث والظفر
فلا يغرنك من دنياك نومتها * فما صناعة عينيها سوى السهر
ماللليالى أقال الله عثرتنا * من الليالى وخانتها يد الغير
تسر بالشئ لكن كى تغر به * كالايم ثار الى الجانى من الزهر

قيل ان الرشيد كان اذا ذكر قول جعفر بن يحيى البرمكى

فاغتبق واصطبح وقد صانني الله اذا صنتني من الحدثان

قال ماصانه الله بى من الحدثان ولقد كنت له كون الافعى فى أصول الريحان حتى اذا جاءه بالشم تلقاه بالسم وحديث قيصر بن الطرطيس لما خطب قيلا قطرة اليونانية ودخل اليها ووضعت الحية التى تقتل بالنظر بين الرياحين له ودخوله هو عليها وعبثه بالريحان مشهور فلا فائدة فى ذكره وقصيدة ابن عبدون هذه من أحسن القصائد لانها اشتملت على تواريخ جماعة من اعيان الاسلام وغيرهم من الطوائف ومن أحسن مافيها قوله

وخضبت شيب عثمان دما وخطت * الى الزبير ولم تستحى من عمر
وليتها اذ فدت عمرا بخارجه * فدت عليا بما شاءت من البشر

وقد شرح هذه القصيدة ابن بدرون وغيره من الفضلاء وقصيدة عدى بن زيد الرائية مشهورة وقد عدد فيها جماعة من الملوك الاول وندب فيها من درج من الامم وهى مليحة وعظ فيها الزهاد والملوك واستعمل الكتاب ابياتها فى رسائلهم تضمينا وتداولها الناس واستشهدوا بابياتها كثيرا ومنها

أين كسرى كسرى الملوك أنوشر * وان ام اين قبله سابور

ومنها

وبنو الاصفر الكرام ملوك الـ * روم لم يبق منهم مذكور
ثم اضحوا كأنهم ورق جف * فألوت به الصبا والدبور

ويحكى ان المامون أو الرشيد قال لو وصفت الدنيا نفسها مازادت على ماقال ابونواس شيأ وهو قوله

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت * له عن عدو فى ثياب صديق

وقال أبو الطيب

فذى الدار أخدع من مومس * وأمكر من كفة الحابل

التعريض بذكر ابن زيدون وأمثاله ممن تخجيهم ونكاية المكتوب اليه بذمهم ومدحه بهذه الالفاظ والتهكم عليه

*(من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى)* يعنى هؤلاء الموصوفين وهذا البيت من جملة أبيات منسوبة لرجل من العرب يسمى العرندس ويقال انه أحد بنى بكر بن كلاب يمدح بها بنى بدر الغنويين وكان أبو عبيدة اذا أنشدوها يقول هذا والله محال كلابى يمدح غنويا يعنى عداوة الحيين وهى هذه

هينون لينون أيسارا ذوو كرم * سوّاس مكرمة أبناء ايسار
ان يسألوا الخير أعطوه وان صبروا * فى الجهد أدرك منهم طيب أخبار
وان تودّدتهم لانوا وان شهموا * كشفت أذمار شر أى أذمار
فيهم ومنهم يعد المجد متلدا * ولا يعد نثا خزى ولا عار
لا ينطقون عن الفحشاء ان نطقوا * ولا يمارون ان ماروا باكبار
من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

تفانى الرجال على حبها * ومايحصلون على طائل

وقال أيضا

ومايسع الازمان على باعرها * وماتحسن الايام تكتب ماأملى

وما الدهر أهل أن تؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النسل

وقد لمح هذا المعنى أبو العلاء المعرى فقال

بنت من الدنيا ولابنت لى * فيها ولاعرس ولاأخت

و يقال انه كتب على قبره هذا البيت

هذا جناه أبى على * وماجنيت على احد

قال علاء الدين الوداعى ومن خطه نقلت زرت قبره بالمعرة رحمه الله تعالى فى ربيع الاول سنة تسع وسبعين وستمائة ولم أر عليه شيئا من ذلك وقد درواطى بالارض وعملت هذين البيتين

قد زرت قبر أبى العلاء المرتضى * لما أتيت معرة النعمان

وسألت من غفر الخطايا انه * يهدى اليه رسالة الغفران

وبالغ أبو العلاء المعرى فى ذم الاولاد فمن ذلك قوله

أرى ولد الفتى عبأ عليه * لقد سعد الذى أضحى عقيما

فاما ان يربيه عدوا * واما أن يخلفه يتيما

واما أن يصادفه حمام * فيبقى حزنه أبدا مقيما

وقال الامير أبو الفتح بن أبى حصينة

وفى الدار خلف صبية قد تركتهم * يطلون أطلال الفراخ من الوكر

جنيت على روحى بروحى جناية * فاثقلت ظهرى بالذى خف من ظهرى

وقال الباخرزى

القبر أخفى سترة للبنات * ودفنها يروى من المكرمات

أما رأيت الله عز اسمه * قد وضع النعش بجنب البنات

وقال صالح بن صالح التشتيزينى

تحاذر احداث الليالى وقلما * خلا من توقيهن قلب لبيب

وترتاب بالايام عند سكونها * وما ارتاب بالايام غير أريب

وما الدهر فى حال السكون بساكن * ولكنه مستجمع لوثوب

وعلى ذكر فساد الزمان فلله در البديع الهمدانى حيث يقول فى رسالة أجاب بها استاذه أبا الحسين بن فارس صاحب المجمل فى اللغة عن رسالة كتبها اليه فى ذم الزمان نعم أطال الله بقاء الشيخ أنه الحمأ المسنون وان ظنت الظنون والناس لآدم وان كان العهد قد تقادم فالاستاذ يقول فسد الزمان ولا يقول متى كان صالحا فى الدولة العباسية وقد رأينا آخرها وسمعنا أولها أم فى الدولة المروانية وفى أخبارها لاتكسع السيول باغيارها أم فى السنين الحربية والسيف يغمد فى الطلا والرمح يركز فى الكلام والحرتان وكربلا أم البيعة الهاشمية والعشرة براس من بنى فراس أم الايام الاموية والنفير الى الحجاز والبعوث على الاعجاز أم الامارة العدوية وصاحبها يقول وهل بعد البلوغ الا النزول أم فى الخلافة التيمية وهو

(نحن قدح ليس منها ما أنت وهم وانى تقع منهم)

قوله نحن قدح مثل يضرب لمن يتشبه بقوم ليس منهم ويتمدح بما ليس فيه ويقال حن قدح على التمييز وقدح على انه الفاعل والقدح أحد قداح الميسر وهى السهام التى توضع فى خريطة ويقترع بها فاذا كان أحد القداح من غير جوهر اخوانه ثم أجاله المفيض خرج له صوت يخالف أصواتها فعرف به انه ليس من جملة القداح وتمثل به عمر رضى الله عنه حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل أبى عمرو بن أمية يوم بدر فقال أبو عمرو اقتل من بين قريش صبرا فقال عمر رضى الله عنه حن قدح ليس منها يعنى انك لست من قريش ويروى ان أبا عمرو كان عبدا وكان أمية قد عمى وكان يقوده فتبناه قلت كذا روى

(وهل أنت الا واو عمرو فيهم وكالوشيظة فى العظم بينهم)

يعنى انك مستلحق بهم ولست منهم كواو عمرو الملحقة بلفظه وليست منه وأول من أفاد هذا المعنى أبو نواس فى أشجع السلمى

أيها المدعى سليمى سفاها

لست منها ولا قلامة ظفر

انما أنت من سليمى كواو

ألحقت فى الهجاء ظلما بعمرو

يقول طوبى لمن مات فى نأنأة الاسلام أم على عهد الرسالة ويوم الفتح قيل اسكتى يافلانه فقد ذهبت الامانه أم فى الجاهلية ولبيد يقول

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

أم قبل ذلك واخو عاد يقول

بلاد بها كنا ونحن من أهلها * اذ الناس ناس والزمان زمان

أم قبل ذلك ويروى عن آدم عليه السلام

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح

أم قبل ذلك وقد قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء مافسد الناس وانما اطرد القياس ولا أظلمت الايام وانما امتد الظلام وهل يفسد الشئ الاعن صلاح ويمسى المرء الاعن صباح انتهى قلت استدل بعضهم بهذه الآية الكريمة على انه كان قبل خلق آدم خلق آخر فى الارض وانهم أفسدوا فيها وأهلكهم الله تعالى لان الملائكة قالت أتجعل فيها من يفسد فيها وقال آخرون لم يسكن الارض قبل آدم خلق آخر غيره وانما الملائكة علموا ان ذرية آدم يفسدون فى الارض من قوله تعالى خليفة قالوا الخليفة الذى يحكم بين الخصوم والخصم اما ان يكون ظالما أو مظلوما ومتى حصل التظالم بينهم حصل الفساد فى الارض فلهذا قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها (رجع) قال أبو اسحق الغزى فى حسن الظن

دع ماتناسب فى الابصار ظاهره * ولا تقل بقياس غير مطرد

فهيئة المتنافى لا امتداد بها * شتان مابين مهتز ومرتعد

وقال أبو العلاء المعرى

قد يبعد الشئ من شئ يشابهه * ان السماء نظير الماء فى الزرق

وقال أبو الطيب وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان

وما أحسن قول المعرى فيما أظن

الناس كالناس الا أن تجربهم * وللبصيرة حكم ليس للبصر

والايك مشتبهات فى منابتها * وانما يقع التفضيل فى الثمر

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

فاقت بسيوفها الدنيا وفاح لها * طيب طوى المسك فى نشر لها أرج

فان يشاركه فى اسم الملك طائفة * فان شمس الضحى من جملة السرج

ومن الكلام النوابغ الناس أجناس وأكثرهم أنجاس وقال ابن اللبانة

وقد يسمى سماء كل مرتفع * وانما الفضل حيث الشمس والقمر

ونقلت من خط السراج الوراق له

قد تشبه الحالة الاخرى وبينهما * اذا تأملت فرق عن سواك خفى

فرب عاصفق المسرور من طرب * ورب عاصفق المحزون من أسف

وقال ابن سراج انما تكون أصوات الحمام على قضية ما فى نفس المستمع فاذا سمعها من يطرب سماه غناء واذا سمعها من يحزن سماه بكاء وقال ابن قاضى ميلة

لقد عرض الحمام لنا بسجع * اذا أصغى له ركب تلاحا

ورأى انسان فى النوم كأنه يكتب على ظفره ووفقص رؤياه على معبر فقال رائى هذا المنام دعى فى نسبه وأنشد هذا الشعر من قول أبى فراس وكالوشيظة وهى قطعة عظم تكون زيادة فى العظم الصميم ومنه يقال فلان وشيظة فى قومه أى هو حشو فيهم وتمثل به الحسن بن على صلوات الله عليهما فقال لعمرو بن العاص وقد تلقاه بكلام كرهه أليس من وهن الدين واماتة السنة أن يكون معاوية رئيسا وهو الطليق ابن الطليق ويكون مثلك لى خصما وأنت شانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وغلت فى قريش وانما أنت منها كالوشيظة فى العظم ،

(وان كنت انما بلغت قعر تابوتك وتجافيت عن بعض قوتك وعطرت اردانك وجررت هميانك واختلت فى مشيتك وحذفت فضول لحيتك)

يعنى لازمت منزلك وأظهرت الغنى والقرى بما تستفضله من قوتك وعطرت أكمام ثيابك وجررت هميانك وأسروالك وما أشبه ذلك قال الشاعر

يشد هميانه على عدم

وذلك من حمقه ومن تيهه

والهميان غير عربى واختلت

زها قلب الخلي فقال غني * وبرح بالشجي فقال ناحا

وقال ابن المعتز

بشر بالصبح طائر هتفا * هاج من الليل بعد ما انتصفا

مذكر بالصبوح صاح بنا * كخاطب فوق منبر وقفا

صفق اما ارتياحة لسنا الصبح واما على الدجى أسفا

وقال العماد الكاتب

وأترجة صفراء لم أدر لونها * أمن فرق السكين أم فرقة السكن

بحق عرتها صفرة بعد خضرة * فمن شجر بانت وصارت الى شجن

وقال غيره أمسيت أرحم أترجا وأحسبه * في صفرة اللون من بعض المساكين

عجبت منه فما أدري أصفرته * من فرقة الغصن أم خوف السكاكين

وقال الغزي كالشمع يبكي ولا يدري أعبرته * من صحبة النار أم من فرقة العسل

(غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت * مسافة الخلف بين القول والعمل)

(اللغة) غاض الماء يغيض غيضا أي قل ونضب وغيض الماء فعل به ذلك وغاضه الله يتعدى ولا يتعدى وأغاضه الله وغاض ثمن السلعة أي نقص الوفاء ضد الغدر يقال وفى بعهده وأوفى بمعنى ووفى الشيء وفيا على فعول اى تم وفاض الخبر والحديث واستفاض أي شاع وهو مستفيض ولا يقال مستفاض وفاض الماء أي كثر حتى سال على جانب الوادي الغدر ضد الوفاء انفرجت الفرجة في الحائط طاقة تفتح ويقال رجل أفرج للذي لا تلتقي الياه والمراد بالانفراج ههنا التباعد فيما بين الطرفين مسافة المسافة البعد وأصلها من الشم لان الدليل اذا كان في فلاة أخذ التراب فاستافه أي شمه ليعلم أين هو من بقاع الارض الخلف بالضم الاسم من الاخلاف وهو في المستقبل كالكذب في الماضي (الاعراب غاض) فعل ماض و(الوفاء) فاعله (وفاض) الواو عاطفة عطفت الفعل على الفعل وفاض فعل ماض أيضا (الغدر) فاعله (وانفرجت) الواو عاطفة انفرجت فعل ماض فهو وانفعل من الفرجة وهو من افعال المطاوعة كما تقول كسرته فانكسر وفرجته فانفرج والتاء علامة لتأنيث الفاعل الآتي (مسافة) فاعل انفرجت (الخلف) مضاف اليه والاضافة معنوية بمعنى اللام (بين) منصوب على انه ظرف مكان فهو مفعول فيه فعل فيه الانفراج ولفظة بين تقتضي الاشتراك ولا تدخل الا على مثنى أو مجموع كقولك المال بينهما والدار بين الاخوة قال الحريري في درة الغواص فاما قوله تعالى مذبذبين بين ذلك فان لفظة ذلك تؤدي عن شيئين ألا ترى انك تقول ظننت ذلك فتقيم ذلك مقام مفعولي ظننت وكان تقدير الكلام في الآية مذبذبين بين الفريقين وكشف هذا بقوله تعالى لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ونظيره لا نفرق بين أحد من رسله وذلك ان لفظة أحد في قوله تستغرق الجنس الواقع على المثنى والجمع يعضد ذلك قوله تعالى يا نساء النبي لستن كأحد من النساء وكذلك اذا قلت ما جاءني من أحد فقد شمل هذا النفي استغراق الجنس فان اعترض معترض بقول امرئ القيس بين الدخول فحومل فالجواب ان الدخول اسم واقع على عدة أمكنة فلهذا جاز أن يعقب بالفاء كما تقول المال بين الاخوة فزيد ومثله قوله تعالى يزجي سحابا ثم يؤلف بينه اهـ ما اخترته من كلامه في هذا

الفصل

أي أظهرت الخيلاء والكبر وقصصت ما استطال من لحيتك معتمدا على الوضاءة والنظافة وأصلحت شاربك ومططت حاجبك ورققت خط عذارك واستأنفت عقد ازارك رجاء الاكتنان فيهم وطمعا في الاعتداد منهم فظننت عجزا) الطاء المدكأنه اذا تخايل مدهما والازار الطيلسان وما أشبهه والمعنى انك ان كنت تصنع هذه الاشياء لتعد من هؤلاء القوم وتكن بهم والاكتنان ستر الشيء بثوب أو غيره فقد خبت وظننت ظنا عاجزا وهذا اللفظ منظوم من قول الخنساء حيث تقول

ومن ظن ممن يلاقي الحروب بان لا يصاب فقد ظن عجزا

واسم الخنساء تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمي كانت من شواعر العرب المعترف لهن بالتقدم حكى الاصمعي قال كان النابغة الجعدي يجلس في الموسم بعكاظ وتتحاكم اليه الشعراء فدخلت اليه الخنساء فأنشدته من قولها في أخيها

وان صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

فقال أنت أشعر من كل ذات ثديين فقالت ومن كل ذي

الفصل (القول) مخفوض بالاضافة الى الظرف المكانى (العمل) معطوف عليه (المعنى) ان الوفاء نقص أو غاب أو ذهب من بين الناس والغدر اشتهر وزاد وشاع واتسعت مسافة ما بين القول والعمل فى الوعود أخذ يوضح الدلالة على عدم حسن الظن بالايام وتحقيق ما ادعاه من الحزم فى ذلك وان الانسان لا يعول على أحد لان الوفاء ذهب والغدر ظهر والخلف فى الوعد زاد وهذه موجبات تقتضى التأدب بما وعظوا الاخذ بما أمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان وفى رواية يعرف به وفى رواية لكل غادر لواء عند رأسه يوم القيامة وفى رواية لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير وهذه عادة العرب كانت تنصب الألوية فى الاسواق الحفلة بغدرة الغادر لتشهره بذلك قال الشيخ محيى الدين النووى رحمه الله فى هذه الاحاديث بيان تغليظ تحريم الغدر لاسيما من صاحب الألوية العامة لان غدره يتعدى ضرره الى خلق كثير اه ويقال ان أعرق الناس فى الغدر عبد الرحمن بن محمد ابن الاشعث بن قيس بن معدى كرب بن معاوية بن جبلة غدر عبد الرحمن بالحجاج بن يوسف وغدر محمد بن الاشعث بأهل طبرستان وكان زياد بن أبيه ولاه اياها فصالحهم وعقد لهم ثم غدر بهم وغزاهم فأخذوا عليه الشعاب وقتلوا ابنه أبا بكرة وفضحوه وغدر الاشعث ببنى الحرث بن كعب وغزاهم فأسروه ففدى نفسه بمائتى قلوص أعطاهم مائة وبقى مائة فلم يؤدها حتى جاء الاسلام فهدم ما كان فى الجاهلية وغدر معدى كرب بمهرة وكان بينهم عقد فغزاهم غادرا فقتلوه وشقوا بطنه وملؤه حصى وكان بين قيس بن معدى كرب وبين مراد ولث عهد الى أجل معلوم فغزاهم فى آخر يوم من الاجل وكان ذلك يوم الجمعة فقالوا له انه بقى من الاجل يوم وكان يهوديا فقال انه لا يحل لى القتال غدا فقاتلهم وقاتلوه وهزموا جيشه وأما الوافون فكثير منهم أوفى بن مطر المازنى كان جاوره رجل ومعه امرأة له فأعجبت أخا أوفى وكان لا يصل اليها مع زوجها فوثب عليه فقتله فبلغ ذلك أوفى فقتل أخاه وقال

سعيت على قيس بذمة جاره * لأمنع عرضى ان عرضى ممنع

والحرث ابن عباد أسر عدى بن ربيعة وهو مهلهل وكان طلبته وهو لا يعرفه فقال له ان دللتك عليه فأنا آمن فأعطاه ذلك فقال أنا هو وعدى ابن ربيعة فخلى سبيله والسموءل بن عادياء اليهودى ذبح ابنه وهو ينظر اليه من الحصن ولم يدفع لقاتله دروع امرئ القيس التى عنده وقصته مشهورة وعوف ابن محلم الشيبانى كان من وفائه ان مروان بن زنباع العبسى قد وتر عمرو بن هند اللخمى فجعل على نفسه ان لا يؤمنه حتى يضع يده فى يده ثم ان مروان غزا بكر بن وائل فاسره رجل من بنى تيم الله ولم يكن منيعا فخاف مروان ان يبلغ عمرو بن هند مكانه فيبعث اليه من يأخذه فسمع أم آسره وهى تقول لابنها كأنك أسرت مروان فقال مروان وما تأملين فى مروان فقالت مائة بعير قال فأنا مروان وهى لك ان أديتونى الى عوف بن محلم قالت ومن لى بالوفاء فأخذ مروان عودا من الارض وقال هذا لك بالوفاء فحمله ابنها الى قبة عوف فلم يجده فأجازته ابنته جماعة وبلغ عمرو بن هند مكانه فبعث يطلبه فأبى ان يسلمه الا ان يؤمنه فقال قد آليت ان لا أؤمنه حتى يضع يده فى يدى فقال عوف انى أبر قسمك على ان أجعل يدى بين يدك ويده ففعل وأمن مروان ثم ان مروان وفى بوعده للعجوز مائة ناقة وتشبه هذه القصة

خصيتين وقال بشار لم تقل امرأة شعرا قط الا تبين الضعف فيه فقيل له أو كذلك الخنساء فقال تلك كان لها أربع خصى وأكثر شعرها فى مراثى أخويها معاوية وصخر وأدركت الخنساء الاسلام وأسلمت حكى ان عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه نظر اليها وفى وجهها ندوب فقال ماهذا يا خنساء فقالت من طول البكاء على أخوى قال لها أخواك فى النار قالت ذاك أطول لحزنى انى كنت أبكى لهما من الثار وانا اليوم أبكى لهما من النار ورأت عائشة رضى الله عنها على جسد الخنساء صدارا من شعر وهو ثوب صغير فقالت يا خنساء أتلبسين الصدار وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه قالت لم أعلم بنهيه وله سبب فقالت وما هو قالت زوجنى ابى رجلا متلافا لماله فاسرع فيه حتى نفد فقال لى الى أين تذهبين يا خنساء فقلت الى أخى صخر فاتيناه فقسم ماله بيننا شطرين ثم خيرنا فقالت زوجته اما كفاك ان تقسم مالك حتى تخيرهم فقال

والله لا امنحها شرارها
وهى حصان قد كفتنى عارها

قصة حاجب بن زرارة بن عدس بن عبد الله بن دارم كان قد تدبرهو وأهله أرض العراق فانكر ذلك والى الحيرة وكتب الى كسرى بذلك فكتب اليه كسرى ان أرادوا ان يرعوا بأرضنا فليقدم علينا وفدهم ويعطونا رهائن منهم فقدم عليه حاجب بن زرارة فلما وافقه على مايريده طلب منه الرهائن فقال حاجب ليس معي سوى قوسي هذه فخذها فضحك منه أصحاب كسرى فقال لهم الملك خذوها منه فانه ان يسلمها وذهب فوفى بما وعد فصار ذلك معدودا في مآثر بني تميم ولذلك قال أبو تمام الطائي يمدح ابا دلف من قصيدة

اذا افتخرت يوما تميم بقوسها * وزادت على ماوطدت من مناقب

فأنتم بذي قار أمالت سيوفكم * عروش الذين استرهنوا قوس حاجب

معناه ان بني عجل كانوا في ذي قار مع بني شيبان ويرون ان العرب كانت تزعم ان الفرس لا يموتون وان حنظلة العجلي حمل على رجل منهم فطعنه فقتله فقال لاصحابه ويلكم انهم يموتون فحملوا عليهم فكان سبب ظفرهم وما أحسن ما نقلت من خط بعض الفضلاء في مليح قرندلي

بدا لي في حلاق الحواجب فتنة * فقلت بعقل ذاهل فيه ذاهب

حبيبي بحق الله قل لي ما الذي * دعاك الى هذا فقال مجاوبي

وعدت بوصلي العاشقين تعطفا * فلم يثقوا واسترهنوا قوس حاجبي

وامرأة هدبة بن خشرم العذري فانه لما قدم ليقاد رفع رأسه اليها وقال

لا تنكحي ان فرق الدهر بيننا * أغم القفا والوجه ليس بانزعا

ضروبا بلحييه على زور صدره * اذا القوم هشوا للفعال تقنعا

فسألت المرأة ان يمهلوه قليلا ثم أتت جزارا فاخذت مدية وجدعت أنفها ثم أتته قبل ان يقتل مجدوعة ليعلم انها لا تتزوج بعده وهذه بخلاف ما يحكى عن بعض الزوجات ان زوجها وقع في السياق وكان يحبها وأهله حوله وهو في كرب الموت فاشار اليها ان تدنو منه فلما فعلت قال لها سرا أسألك بالله لا تتزوجي بعدي أحدا فقال لها أهله ما الذي قال لك قالت انه من حلاوة الروح يخلط وحكى ان عبد الحميد الكاتب قال له مروان حين أيقن بزوال ملكهم قد احتجت ان تكون مع عدوي وتظهر الغدر بي فان أعجابهم بآدابك وحاجتهم الى كتابتك يحوجهم الى حسن الظن بك فان استطعت ان تنفعني في حياتي والا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد وفاتي فقال عبد الحميد ان الذي أشرت اليه أنفع الامرين لك وأقبحهما بي وما عندي الا الصبر حتى يفتح الله وأقتل معك وأنشد

أسر وفاء ثم أظهر غدرة * فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهرا

ويقال انه كان هو وابن المقفع في بيت لما هجم عليهم العباسيون وهموا بقتل عبد الحميد قال لهم ابن المقفع أنا عبد الحميد فقالوا له أكذلك فقال اتقوا الله في دمه فليس هو بعبد الحميد وأمهلوا حتى تجدوا من يعرفنا فان كنت أنا عبد الحميد قتلتموني عن يقين ولا تقتلوه ظنا اهـ وما أمر ما وبخ به العتابي للمأمون في قوله

ماعلى ذا كنا افترقنا بيغد * ادولا هكذا عهدنا الاخاء

تطعن الناس بالمثقفة السمر على غدرهم وتنسى الوفاء

رجع الى عدم الوفاء والغدر قال أبو الطيب

ولو أموت مزقت خمارها

وجعلت من شعر صدارها

فجعلت هذا الصدار تصديقا

لظنه فلا انزعه حتى اموت

وحدث علقمة بن جرير قال

استأذن الجماعة على معاوية

وكنت فيهم فلما دخلنا عليه

اجلسنا واكلنا ثم قال يا علقمة

هل عندك طريفة تحدثنا بها

قلت نعم اقبلت قبل مخرجي

اليك أسوق شارفا لي اريد

نحرها عند الحي فادركني

الليل بين ابيات بني الشريد

فاذا عمرة ابنة مرداس عروسا

وامها الخنساء بنت عمرو فقلت

لهم انحروا هذه الجزور

واستعينوا بها وجلست معهم

فلما هيئت اذن لنا فدخلنا

فاذا هي جارية وضيئة يعني

عمرة واذا امها الخنساء

جالسة ملتفة بكساء احمر

وقد هرمت واذا هي تلحظ

الجارية لحظا شديدا فقال

القوم بالله يا عمرة الا تحرشت

بها فانها الآن تعرف بعض

ما أنت فيه فقامت الجارية

تريد شيأ فوطئت على قدمها

وطأة أوجعتها فقالت وهي

مغيظة حس الليك يا حمقاء

والله لكأنما تطئين أمة

ورهاء انا والله كنت اكرم

منك عرسا واطيب ورسا

وذلك زمان اذ كنت فتاة

أعجب الفتيان لا أذيب

الشحم ولا ارعى البهم كالمهرة

غاض الوفاء فما تلقاه من أحد * واعوز الصدق فى الاخبار والقسم

وأخذ ابن قلاقس قول الطغرائى فقال

غاض الوفاء وفاض ما * ء الغدر أنهارا وغدرا
وتطابق الاقوام فى * أقوالهم سرا وجهرا
فانظر بعينك هل ترى * عرفا وليس تراه نكرا

ومن كلام الحكماء اذا كان الغدر طبعا فالثقة بكل أحد عجز وقال محمد بن شرف القيروانى

ولقد يهون ان يخونك ذو هوى * كون الخيانة من أخ وخدين
لقى أخو يعقوب يعقوب الاذى * وهما جميعا فى ثياب جنين
ومضى على عن عقيل خاذلا * ورأى الامين جناية المأمون
فعلى الوفاء سلام غير معاين * شخصا له الاعيان ظنون

وقال ابن قلاقس

وبنو الزمان وان صفوا لك ظاهرا * يوما طووا لك باطنا ممذوقا
دوح تمر لك الجنى أثماره * ولقد تمر به الرياح وريقا

وقال ابو فراس بن حمدان

مالى أعاتب دهرى أين يذهب بى * قد صرح الدهر لى بالمنع والياس
أبغى الوفاء بدهر لا وفاء به * كأننى جاهل بالدهر والناس

قال أيضا

أين الخليل الذى يرضيك باطنه * مع الخطوب كما يرضيك ظاهره

وقال ابن الساعاتى

لا يغررنك التودد من قو * م فان الوداد منهم نفاق
والقلوب الغلاظ لا ينزع الاحـ * ـقاد منها الا السيوف الرقاق

وقال آخر

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لو يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

وقال القاسم بن عمر بن منصور الواسطى

لا ترد من خيار دهرك خيرا * فبعيد من السراب الشراب
رونق كالحباب يعلو على الما * ء ولكن تحت الحباب خباب
عظمت فى النفاق ألسنة القو * م وفى الالسن العذاب العذاب

وقال آخر

لا تثق من آدمى * فى وداد بصفاء
كيف ترجو منه صفوا * وهو من طين وماء

وهو كقول القائل

ومن يك أصله ماء وطينا * بعيد من جبلته الصفاء

وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة

يا مشتكى الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا أمسيت فى كدر * فانما أنت من ماء ومن طين

الصنيع لاضاعة ولا عند مضيع فعجب القوم من غيظها من ابنتها فضحك معاوية حتى استلقى وماتت الخنساء فى زمنه بالبادية ومن محاسن شعرها قولها فى رثاء اخيها

اذهب فلا يبعدنك الله من رجل
دراك ضيم وطلاب باوتار
قد كنت تحمل قلبا غير مؤتشب
مركبا فى نصاب غير خوار
فسوف ابكيك ما ناحت مطوقة
وما اضاءت نجوم الليل للسارى

شدوا المآزر حتى يستقاد لكم
وشمروا انها ايام تشمار
وابكوا فتى الحى لاقته منيته
وكل حى الى وقت ومقدار

وقولها من قصيدة

فاقسمت آسى على هالك
واسال نائحة ما لها
ابعد ابن عمرو بن آل الشريد
حلت به الارض اثقالها

قولها حلت به الارض اثقالها يحتمل وجهين احدهما ان السيد الشجاع ثقيل على الارض لسودده وسطوته فاذا مات حل عوته ثقل عنها والثانى ان الارض حلت باموالها من الحلية وسميت الموتى ثقلا للارض تشبيها للحمل والحمل يسمى ثقلا وفى قوله تعالى وأخرجت

وقلت أنا دع الاخوان ان لم تلق منهم * صفاء واستعن واستغن بالله
أليس المرء من طين وماء * وأى صفا لما تبلك الجبله
وقال العباس بن الاحنف
ما أرانى الاساءة هجر من ليس يرانى أقوى على الهجران
ملنى واثقا بحسن وفائى * ما أضر الوفاء بالانسان
وقال الارجانى ما يلتقى اثنان منصفان معا * اذا اختبرت الانام كلهم
تنصف ما دام يظلمونك أو تنصف ما دام يظلمون هم
وأخذه مجير الدين محمد بن تميم فقال
لك الخير كم صاحبت فى الناس صاحبا * فما نالنى منه سوى الهم والعنا
وجربت أبناء الزمان فلم أجد * فتى منهم عند المضيق ولا أنا
حكى عن بعض العارفين انه قال طفت زمانا على من ينصفنى فلما أنصفت خنت أنا وقال التهامى
ذهب التكرم والوفاء من الورى * وتصرما الا من الاشعار
وفشت خيانات الثقاة وغيرهم * حتى اتهمنا رؤية الابصار
ونقلت من خط السراج الوراق له
وكان الناس ان مدحوا أثابوا * وللكرماء بالمدح افتخار
وكان العذر فى وقت ووقت * فصرنا لا عطاء ولا اعتذار
ونقلت منه له رجعت عن التقاضى للتقاضى * ورب رضى بدا من غير راض
وقد غاضت بحار الجود عنا * وألجأنا الزمان الى الحياض
وخربة مادر فى كل حوض * فتظمأ كى بالموت قاض
قلت فى المثل الألأم من مادر وكان مادر هذا اذا أورد ابله وصدرت عن الحوض الذى شربت منه خرى فى الحوض وقد بقى ماء قليل ومدره به بخلا ان يشرب من فضله قال الشاعر
قد جللت خزيا هلال بن عامر * بنى عامر طرا بسلحة مادر
وقال آخر كان ميثاقهم ميثاق غانية * يعطيك منها الرضى ما يسلب الضجر
فلا يغرنك من قول طلاوته * فانما هو نوار ولا ثمر
لو ينفق الناس ما فى قلوبهم * فى سوق دعواهم للصدق ما اتجروا
وبالغ عبد المنعم بن عبد المحسن الصورى حيث قال
كيف ترجو الوفاء من نسل من لم * يقف الله فى الجنان بحبه
وعزيز فى العالمين أمين * خان عهدا أبوه فى الخلد ربه
نسال الله المغفرة لنا وله ولابى العلاء المعرى فى هذه المادة كثيرا ضربت عن اثبات شئ منه
ونقلت من خط السراج الوراق له
أما السماح فقد مضى وقد انقضى * فتسل عنه ولا تسل عن خيره
واسكت اذا خاض الورق فى ذكره * حتى يخوضوا فى حديث غيره
وما أحسن قوله ومن خطه نقلت

الارض أثقالها قال بعض المفسرين أى موتاها وقال بعضهم كنوزها وقولها
لعمر أبيك أنعم الفتى
تحل به الجرب أجذالها
وخيل تكدس مشى الوعو
ل نازلت بالسيف ابطالها
لدى مارق بينها ضيق
تجر المنية أذيالها
نهين النفوس وهون النفو
س يوم الكريهة أبقى لها
ومحصنة من بنات الملو
ك تعتعت بالليل خلخالها
وقافية مثل حد السنا
ن تبقى ويهلك من قالها
نطقت ابن عمرو فأوضحتها
ولم تنطق الناس أمثالها
فان تلك مرة أودت به
فقد كان يكثر تقيالها
وقولها أيضا
وان صخرا لمولانا وسيدنا
وان صخرا اذا نشتو لنحار
وان صخرا لتأتم الهداة به
كأنه علم فى رأسه نار
مثل الردينى لم تدنس شبيبته
كأنه تحت طى البرد أسوار
وقولها أيضا
فما بلغت كف امرئ متناولا
من المجد الا والذى نلت
أطول
وما بلغ المهدون للناس مدحة
وان أطنبوا الا الذى فيك
أفضل

تنسيك عرقوبا مواعيده له * عن منهج القول الصحيح نكبت
لاتبن آمالا عليها انها * واهية الاس وقد تعرقبت

وقلت أنا في مليح ساقي

كافى يساق كل وعد منه لى * مازال يخلفه على الاطلاق
حتى قطعت مطامعى من وعده * ونسيت عرقوبا بهذا الساق (ى)

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

أنت حر مالم يكن منك وعد * فاذا ما وعدت صرت رقيقا
واذا شئت ان تكون عتيق الرق من موعد فكن صديقا

وقد اشتهر قول القائل

وان حلفت لاينقض النأى عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

وأنشدت للشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبى الثناء محمود رحمه الله وان صح ذلك أنه له فهو زوايتى عنه بالاجازة

حلفت بان لاتعلو الراح راحتى * لاعلم رشد المرء كيف يكون
وقد أيقظ الزهر الغمام وحليت * رياض بأكناف الحمى وغصون
فقلت لساقيها أدرها فقال لى * أمثلك من بعد اليمين يمين
فقلت له فى فتية من شعاعها * على ان تركى لو عقلت جنون
ألست ترى منها البنان خضيبة * وليس لمخضوب البنان يمين

وكتبت أنا الى المولى جمال الدين محمد بن نباتة

لوان قربك بالنفوس يكون * كان العزيز لمثل ذاك يهون
لكن دهرى أنت تعلم انه * بنوى الحبيب موكل مقرون
هذا اذا عاهدته أن نلتقى * ينسى ولو أنصفت قلت يخون
دهر له فى كل يوم خضبة * بأهيله ما عند ذاك يمين

وقيل ان بعضهم قال لآخر أتشاركنى على شرط أن لاتحلف قال اى والله قال قد حلفت قال لاوالله قال له حلفت وحلفت انك لم تحلف وما اشتركنا الى الآن وما أحلى قول ابن سناء الملك

ماذا لقيت من الصدود لانى * ألقى خشونته بقلب مترف
والقلب يحلف ان سيسلو ثم لا * لايسلو ويحلف انه لم يحلف

وقال جمال الدين ابراهيم بن النجار

مالهذى العيون قاتلها اللّٰه تسبى لواحظا وهى نبل
ولهذا الذى يسمونه العشق مجازا وفى الحقيقة قتل
ولقلبى يقول أسلو فان قلت نعم قال لست والله أسلو

وأخبرنى من لفظه الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيان سماعا من كتابه المسمى مجانى العصر فى ترجمة جمال الدين ابراهيم الوراق الكتبى عرف بالوطواط انه كان بينه وبين بعض القضاة مودة فلما تولى ذلك القاضى قضاء الديار المصرية توهم جمال الدين انه يحسن اليه ويبره فسأله فلم يجبه الى شئ من مقصوده فاستفتى عليه فضلاء الديار المصرية فكتبوا على فتياه

أخو الجود معروف له الفضل والندا
حليفان مادامت تعار ويذبل
وقولها تمدح آخاها وأباها
جارى أباه فاقبلا وهما
يتعاوران ملاءة الحضر
حتى اذا بدت القلوب وقد
لزت هناك العذر بالعذر
برقت صحيفة وجه والده
ومضى على غلوائه يجرى
أولى فأولى أن يساويه
لولا جلال السن والكبر
وهما كأنهما وقد برزا
صقران قد حطا الى وكر
يعنى انه انما أفرج له عن السبق مع قدرته على المساواة معرفة بحقه وتسليما لكبره وسنه وقيل لابى عبيد ان هذه الابيات ليست فى مجموع شعر الخنساء فقال العامة أسقط من ان يجاد عليها بمثل هذا ومن الشعر الذى ذكرت بسببه قولها هذه الابيات
تعرقنى الدهر نهسا وحزا
وأوجعنى الدهر قرعا وغمزا
وأفنى رجالى فبادوا معا
فأصبح قلبى بهم مستفزا
كان لم يكونوا حمى يتقى
اذا الناس فى ذاك من عزبزا
وخيل تكدس بالدارعين
وتحت العجاجة يجمزن جمزا
ببيض الصفاح وسمر الرماح
فبالبيض ضربا وبالسمر وخزا
جززنا نواصى فرسانها
وكانوا يظنون أن لاتجزا

باجوبة مختلفة وصير ذلك كتابا وسماه فتوى الفتوة ومرآة المروة وقد راحت به نسخة الى المغرب قلت سألت أنا الشيخ أثير الدين أبا حيان عن ذلك القاضى فيما بينى وبينه فاخبرنى أنه شهاب الدين محمد الخولى وقد وقفت أنا على ذلك الكتاب ونقلته بخطى وهو فى الجزء الثانى عشر من التذكرة والفتيا نثر حسن وأجوبة الجماعة أهل عصره نثر ونظم ومعنى الفتيا أيجوز لمن حسنت حاله وارتفعت منزلته أن لا يحسن الى صاحبه ولا يبقى له بشئ من دنياه

*(وشان صدقك عند الناس كذبهم * وهل يطابق معوج بمعتدل)*

(اللغة) شان الشين ضد الزين تقول شانه يشينه والمشاين المعايب الصدق خلاف الكذب وهو الاخبار عما يطابق الواقع فى نفس الامر وقد تقدم الكلام عليه كذبهم الكذب خلاف الصدق وهو الاخبار عما يخالف الواقع فى نفس الامر واستشكل بعضهم قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون قال كيف يكونون كاذبين وقد شهدوا بالرسالة وصدقهم الله بقوله والله يعلم انك لرسوله والجواب انه انما كذبهم فى خبرهم لمخالفته اعتقادهم ولتوجيه الكذب الى ما تضمنته جملة خبرهم من التوكيد بادخال ان على أحد جزئيها وبادخال اللام على الجزء الآخر وهما الثبوت التوكيد وزيادته فحمل ذلك على انه ادعاء عن صميم القلب لكنه غير مطابق للواقع عندهم فى نفس الامر لان الواقع عندهم خلافه فتوجه التكذيب الى ما تضمنه نفس الادعاء لا الى معنى الامر من حيث هو ولهذا وسط والله يعلم انك لرسوله بين جملة الادعاء وجملة التكذيب دفعا لرجوع الذهن اذا توهم ان التكذيب عائد الى معنى الخبر فكان المعنى والله يشهد انهم لكاذبون فيما ادعوه من مواطأة قلوبهم لألسنتهم أو ان التكذيب يرجع الى الشهادة لانه اذا لم تواطئ القلوب فيه الألسنة لم تكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسمية ذلك شهادة والمراد والله يشهد انهم لكاذبون عند أنفسهم لانهم يعتقدون ان قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر والمنافقون هم الجلاس بن سويد بن الصامت وهو الذى تخلف عن تبوك وأخوه الحرث بن سويد ونجاد بن عمرو بن عامر وعبد الله بن نغيل وهو الذى كان ينقل حديث النبى صلى الله عليه وسلم وقيس بن زيد وأبو حبيبة بن الازعر وهو ممن بنى مسجد الضرار وثعلبة بن حاطب ومعتب بن قشير وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله الآية ومعتب القائل يوم أحد لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا وهو القائل يوم الاحزاب يعدنا محمد كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن أن يذهب لحاجته الى الغائط ما يعدنا الله ورسوله الا غرورا ورافع بن زيد وفيه وفى معتب بن قشير ونفر نزلت ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت الآية وعباد ابن حنيف بن راهب ممن بنى مسجد الضرار وقيس بن رفاعة الشاعر وقرمان حليف لبنى ظفر ومن الخزرج سعد بن زرارة وكان يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشعر وعقبة بن كريم وزيد بن عمرو وقيس بن عمرو بن سهل جد يحيى بن سعيد الانصارى والحر ابن قيس وعدى بن ربيعة وهو الذى رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذرة وابنه سويد بن عدى وعبد الله بن أبى بن سلول وهو رأس المنافقين ومالك بن أبى نوفل وسويد وداعس من يهود بنى قينقاع (رجع) يطابق المطابقة الموافقة طابقت بين الشيئين اذا جعلتهما على حذو

واحد

ومن ظن ممن يلاقى الحروب بأن لا يصاب فقد ظن عجزا

(وأخطأت استك الحفرة)

هذا مثل يضرب لمن يطلب أمرا فيخطئه ولا يناله حكى أن المختار بن أبى عبيد قال وهو بالكوفة والله لأدخلن البصرة ولأرمى دونها بكتائب ثم لأملكن الهند والسند والبند أراد بالبند العلم أنا والله صاحب الخضراء والبيضاء والمسجد الذى ينبع منه الماء فلما بلغ هذا الحجاج بن يوسف قال أخطأت است ابن أبى عبيد الحفرة أنا والله صاحب ذلك كان الحجاج يتمثل بذلك

(والله لو كان سال محرق البردين)

(محرق) هو عمرو بن المنذر بن ماء السماء وهو عمرو بن هند وكان يعرف بامه هند بنت الحرث بن حجر آكل المرار الكندى وكان يقال لعمرو مضرط الحجارة لشدة بأسه وسمى محرقا القصة استوفى أبو الفرج شرحها فى كتاب الاغانى فقال كان قد عاقد طيا على أن لا ينازعوا ولا يفاخروا ولا يغزوا ثم انه غزا اليمامة ورجع مغتبطا ومر بطى فقال له زرارة بن عدس التميمى وكان من خواصه أبيت اللعن اصب من هذا الحى شيأ فقال ويلك

واحدو أصقتهما ومطابقة الفرس في جريه وضع رجليه مكان يديه معوج أعوج الشئ اعوجاجا وعصا معوّجة ولا يقال معوّجة فالشدة على الجيم لا على الواو يعتدل اعتدل الشئ اذا استقام فالمعتدل المستقيم (الاعراب وشان) الواو عاطفة عطفت شان على قوله وانفرجت في البيت الذى تقدم شان فعل ماض (صدقك) منصوب على انه مفعول والكاف في موضع جر بالاضافة (عند) منصوب بالظرفية والعامل فيه شان (الناس) مخفوض باضافته الى الظرف (كذبهم) مرفوع على انه فاعل شان ١ وانما تأخر عن المفعول به للضرورة في الوزن والهاء والميم ضمير جمع عاقل يرجع الى الناس وهو في موضع جر بالاضافة (وهل) الواو للابتداء وهل تقدم الكلام عليها في قوله فهل تعين على غى البيت وهى هنا للاستفهام (يطابق) فعل مضارع مغير لما لم يسم فاعله وقد تقدم الكلام على هذه الصيغة في قوله ناء عن الاهل البيت وهو مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم (معوج) مرفوع على انه مفعول مالم يسم فاعله (بمعتدل) الباء حرف جر وهى للاستعانة ومعتدل مجرور بها (المعنى) وشان كذب الناس صدقك عندهم لانك تلبست بما لم يتلبسوا به وخالفتهم في حالهم لانك واياهم في طرفى نقيض كما ان المعوج والمعتدل طرفا نقيض فلا تلمهم اذا عادوك وهجروك ونفروا منك لانك لست منهم في شئ ثم أخذ يستفهمه فقال وهل يطابق المعوج بالمعتدل والمعوج الناس والمعتدل أنت ضرب له بذلك مثالا ليعترف له ويقول لا ما يحصل بينهما تطابق وهذا عند أهل البديع يسمى حسن التعليل لانه علل شين صدقه عند الناس وكذبهم بأن قال وهل يطابق المعوج وهو الكذب بالمعتدل وهو الصدق ومن حسن التعليل قول ابن القيسرانى ومن خطه نقلت

وأهوى الذى أهوى له البدر ساجدا * ألست ترى في وجهه أثر الترب

وقول أبي هفان

ولو لم تصافح رجلها صفحة الثرى * لما كنت أدرى علة للتيمم

أخذه الآخر فقال

سألت الارض لم كانت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا

فقالت غير ناطقة لانى * حويت لكل انسان حبيبا

وقال أبو تمام الطائى

ربى شفعت ريح الصبا لرياضها * الى المزن حتى جادها وهو هامع

كأن السحاب الغر غيبن تحتها * حبيبا فما ترقى لهن مدامع

وقال آخر

لو لم تكن نية الجوزاء خدمته * لما رأيت عليها عقد منتطق

وقال مسلم بن الوليد

يا واشيا حسنت فينا اساءته * نجى حذارك انسانى من الغرق

وقال الآخر

ان يقعدوا فوقى لغير نزاهة * وعلو رتبة وعزمكان

فالنار يعلوها الدخان وربما * يعلو الغبار عمائم الفرسان

وقال ابن الساعاتى

أن لهم عقدا قال وان كان لهم فلم يزل به حتى أصاب نسوة واذوادا فقال في ذلك قيس ابن وجرة الطائى

أراك ابن هند لم تعقك أمانة
وما المرء الا عهده وموائقه
فاقسمت جهدى بالاباطح من منى
وما خب في بطحائهن دراذقه
لئن لم تغير بعض ما قد فعلته
لانتحين للعظم ذو انت عارقه

سمى عارقا بهذا البيت وبلغ الشعر عمرو بن هند فقال له زرارة بن عدس أبيت اللعن أيتوعدك فقال عمرو لرميلة ابن شعار الطائى أيهجونى ابن عمك ويتوعدنى قال لا والله ما هجاك ولكنه قال والله لو كان ابن جفنة جاركم ما ان كسا كم ضيمة وهوانا وأراد رميلة أن يسل سخيمته فقال والله لاقتلنه فبلغ ذلك عارقا فقال منشدا

أيوعدنى والرمل بينى وبينه
تبين رويدا ما أمامة من هند
غدرت بعهد كنت أنت أخذتنا
عليه وشر الشيمة الغدر بالعهد

(١) قوله وانما تأخر الخ الصواب ان تأخير الفاعل هنا لكونه متصلا بضمير يعود على ما يتعلق بالمفعول فلو قدمه لادى الى اعادة الضمير على متأخر لفظا ورتبة وذلك لا يجوز في فصيح الكلام اه

لا تعجبن لطالب بلغ المنى * كلا وأخفق فى الشباب المقبل
فالخمر تحكم فى العقول مسنة * وتداس أول عصرها بالارجل

وما أحسن عصرها فى هذا الموضع وقال التهامى

لو لم يكن أقحوانا ثغر مبسمها * ما كان يزداد طيبا ساعة السحر

وقال محمد بن هانئ

قد طيب الافواه طيب ثنائه * من أجل ذا تجد الثغور عذابا

وقال آخر

قد قلت اذ أبصرتها حاسرا * عن ساقها فاضل سربالها
لو لم يكن من بردساقها * لاحترقت من نار خلخالها

وقال ابن قاضى ميلة

وكيف لا تدركه نشوة * واللحظ راح وجنى الريق راح
لو لم تكن ريقته خمرة * لما تثنى عطفه وهو صاح

وقال ابن سناء الملك

علمنى بهجرها الصبر عنها * فهى مشكورة على التقبيح

وقال آخر

اعتقنى سوء ما صنعت من الرق فيا بردها على كبدى
فصرت عبد السوء منك وما * أحسن سوء قبلى الى أحد

(رجع) الى قول الطغرائى أقول سبحان الله العظيم ولا أنت يا مؤيد الدين ما طابقت بين المعوج والمعتدل لان المعوج انما يطابقه المستقيم والمعتدل يطابقه المائل وقد اتفق له ما اتفق لابى الطيب فى قوله

نظرت الى الذين أرى ملوكا * كأنك مستقيم فى محال
فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

وحكى ان أبا الطيب قيل له هذا الايراد فى مجلس سيف الدولة وان المحال لا يطابق الاستقامة ولكن القافية ألجأتك الى ذلك ولكن لو فرض أنك قلت كأنك مستقيم فى اعوجاج كيف كنت تصنع فى البيت الثانى فقال ولم يتوقف * فان البيض بعض دم الدجاج * فاستحسن هذا من بديهته قلت انما يستحسن هذا فى سرعة البديهة والا أين قوله فان المسك بعض دم الغزال من قوله فان البيض بعض دم الدجاج وكذا حكاية خلف الاحمر مع أصحابه فى قول النمر بن تولب العكلى وتقدما فى مقدمة هذا الكتاب

ألم بصحبتى وهم هجوع * خيال طارق من أم حصن
لها ما تشتهى عسل مصفى * متى شاءت وحوارى بسمن

فقال لهم لو قال أم حفص فى البيت الاول ما كنتم تقولون فى الثانى فسكتوا فقال وحوارى بلمص والفالوذج قلت ولكن أين لفظ السمن وعذوبته من اللمص وقول أبى الطيب هذا فى سيف الدولة يشبه قوله فى عضد الدولة أيضا

ولولا كونكم فى الناس كانوا * هراء كالكلام بلا معانى

وقد يترك الغدر الفتى وطعامه اذا هو أمسى جلة من دم الفصد

فبلغ عمرو بن هند قوله فغزا طيأ فأسر أسرى من بنى عدى ابن أحزم رهط حاتم فوفد حاتم عليه وسأله فى الاسرى فأطلقهم له وكان المنذر بن ماء السماء أبو عمرو قد وضع ابنا له صغيرا يقال له مالك عند زرارة بن عدس وان مالكا خرج يوما يتصيد فأخفق ولم يجد شيأ فرجع فربابل لرجل من بنى عبد الله بن دارم يقال له سويد وكان عند سويد ابنة زرارة فولدت له سبعة غلمة فأمر مالك بن المنذر بناقة سمينة منها فنحرها ثم اشتوى وسويد نائم فلما انتبه شد عليه مالك بعصى فضربه فأمته فمات وخرج سويد هاربا حتى لحق بمكة وكانت طى تطالب عنزة ابن زرارة وبنى أبيه حتى بلغهم ما صنعوا بأخى الملك فقال ثعلبة ابن عمرو الطائى

من مبلغ عمرو أبان المرء يخلق صباره
وهو ادن الايام لا تبقى لها الا الحجارة
ان ابن عمرو أمته بالسفح أسفل من أواره
تسفى الرياح خلال كشحيه وقد سلبوا ازاره
فاقتل زرارة لا أرى فى القوم أوفى من زراره

فلما بلغ هذا الشعر عمرو بن

وقول يحيى بن بقي مما نصطفيه ونتنقي وهو

هل يستوي الناس قالوا كلنا بشر * فالمندل الرطب والطرفاء أعواد

وبيت الحصري أحق بالتقدم وأولى بالترنم وهو

أبا بكران أصبحت بعض ملوكهم * فان الليالي بعضها ليلة القدر

وصاحب الذوق لا يمترى في أن هذا من قول البحتري

فان قصرت أكفاؤه عن محله * فان عين المرء فوق شماله

ما أثقل قول الغزي في هذا المعنى وأوهى وأوهن ما شاد في هذا المبنى وهو

ولا غرو أن كنت بعض الورى * فان اليلنجوج بعض الحطب

ومن كلام القاضي الفاضل رحمه الله وأسره بتقصيري عن مداه فما كان هذا عهدي بوده فقال أرسل نفسك على سجيتها وأسرف في التمسك على دجوجيتها وتعرض لنفحات صديقك فما يبخل عليك بيلنجوجيتها فقلت نعم على تفريقك كما في النسبة الى اليلنجوج وعلى كون حروفها أطول في هجائها من عوج وقال في المعنى الاول عبد الصمد بن بابك

تقاعس عنك الفاخرون فاحجموا * وخيل المعالي غير خيل المراكب

فان زعم الاملاك انك منهم * فخارا فان الشمس بعض الكواكب

وقال خلف بن عبد العزيز الجزوري النحوي

ما أنت بعض الناس الا مثلما * بعض الحصى الياقوتة الحمراء

وقلت أنا في هذه المادة

مولى تفرع من كرام وجوههم * وبنانهم للمعتلي والمجتني

فاقوا الانام علاوهم من جنسهم * ومن الحجارة اثمد في الاعين

وأما عدم المطابقة في شعر أبي الطيب فكثير جدا من ذلك قوله

ولكل عين قرة في قربه * حتى كأن مغيبه الاقذاء

القرة ضدها السخنة والقذاء ضد الجلاء وقوله أيضا

ولم يعظم لنقص كان فيه * ولم يزل الامير وان يزالا

العظم ضد الحقارة والنقص ضد الكمال فلو قال ولم يكمل لنقص كان فيه لكان أصنع وكذا قوله وان لم يكن من هذا الباب

لم نفتقد بك من مزن سوى لثق * ولا من البحر غير الريح والسفن

ولا من الليث الا قبح منظره * ومن سواه سوى ماليس بالحسن

كان الذي ينبغي له أن يقول ولا من البحر غير الجزر والغرق لانهما من معايب البحر والريح والسفن من محاسنه وكذا قوله

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

وليس المجرم ضد المحب ولا السرور ضد الاساءة وانما المجرم ضد المحسن والمحب ضد المبغض والسرور ضد الحزن والاساءة ضد الاحسان وكذا قوله

وانه المشير عليك في بضده * فالحر ممتحن بأولاد الزنا

والحر ضد اللئيم وقوله

هند بكى وفاضت عيناه وبلغ الخبر زرارة فهرب وركب عمرو في طلبه فلم يقدر عليه فاخذ امرأته وهي حبلى فقال أذكر في بطنك أم أنثى قالت لا علم لي بذلك فبقر بطنها فقال قوم زرارة لزرارة والله ما قتلت أخا الملك فأته فأصدقه الخبر فأتاه فتنصل اليه فقال علي بسويد فقال انه لحق بمكة قال فعلي ببنيه فأتاه ببنيه السبعة وأمهم بنت زرارة فامر بعضهم فوق بعض فامر بقتلهم فتناولوا أحدهم فضربوا عنقه وتعلق بزرارة الآخرون فقال زرارة يا بعضي أرسل بعضي فذهب مثلا وقتلوا وآلى عمرو بن هند اليه ليحرقن من بني حنظلة مائة رجل فخرج يريدهم وبعث على مقدمته عمرو بن ثعلبة الطائي فوجد القوم قد أنذروا فاخذ منهم ثمانية وتسعين رجلا بناحية البحرين فحبسهم ولحقه ابن هند فضربت رقبته وأمرلهم بأخدود ثم أضرم فيه نارا فلما احتدمت وتلظت قذف بهم فيه فاستقروا فاقبل راكب من البراجم وهم بطن من بني حنظلة لا يدري بشيء مما كان يصنع بغيره فأخذ وألقى في النار وأقام عمرو بن هند لا يرى أحدا فقيل له لو تحللت بامرأة منهم فقد أحرقت تسعة

كم قتيل كما قتلت شهيد * بياض الطلى وورد الخدود

وكان ينبغي أن يقول بياض الطلى وحمرة الخدود (رجع) حكى المفضل ان رجلا من العرب كان له عبد لم يكذب قط فبايعه رجل ليكذبه وجعل الخطر بينهما أهلهما ومالهما فقال الرجل لسيد العبد دعه يبيت الليلة عندي ففعل فأطعمه الرجل لحم حوار وسقاه لبنا حليبا كان في في أنا خاذر فلما أصبحوا تحملوا وقالوا للعبد الحق بأهلك فلما توارى عنهم نزلوا فأتى العبد سيده فقال أطعموني لحما لا غثا ولا سمينا وسقوني لبنا لا محيضا ولا حقينا وتركتهم وقد ظعنوا واستقلوا فلا أدري أساروا بعدي أو حلوا وفي النوى يكذبك الصادق فأرسلها مثلا وحاز مولاه مال الذي بايعه وأهله وقال بعضهم أنا لا أكذب ولو أعطيت ألف درهم فقال صاحبه هذه واحدة بلا درهم وقال آخر ما كذبت عمري فقال صاحبه هذه واحدة وما أحسن قول أبي الحسين الجزار

أمستوفي قليوب * الى كم هكذا تكذب

من الصبح الى الظهر * الى العصر الى المغرب

(ان كان ينجع شئ في ثباتهم * على العهود فسبق السيف للعذل)

(اللغة) ينجع نجع في فلان الوعظ أي دخل وأثر ونجع الدواء اذا أفاد ثباتهم الثبات ضد الزوال العهود جمع عهد وهو اليمين والموثق والذمة والحفاظ والوصية السبق المبادرة والوصول الى الغاية قبل شئ آخر العذل بالسكون اللام وبالتحريك الاسم وهذا أصله مثل من أمثال العرب وصيغته سبق السيف العذل يضرب في الامر الذي لا يقدر على رده وأصله ان سعدا وسعيدا ابني ضبة بن أد خرجا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد وكان ضبة اذا رأى شخصا مقبلا قال أسعد أم سعيد ثم انه في بعض مسايره أتى الى مكان ومعه الحرث بن كعب في الشهر الحرام فقال له الحرث قتلت ههنا فتى هيئته كذا وكذا وأخذت منه هذا السيف فتناوله ضبة فعرفه فقال ان الحديث ذو شجون ثم ضربه به فعذل فقال سبق السيف العذل وقال جرير

يكلفني رد الغرائب بعدما * سبقن كسبق السيف ما قال عاذله

وقال رؤبة بن العجاج

والصادق السابق يوم العذل * كسبق صمصامة زجر المهل

(الاعراب ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليها في قوله فان جنحت اليه البيت (كان) تقدم الكلام على كان وعملها وهي فعل الشرط هنا (ينجع) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن ناصب وجازم وهو في موضع نصب لانه خبر كان ولكنه تقدم على الاسم تقديره ان كان شئ ناجعا والاصل تأخير الخبر ولكنه يجوز تقدمه في باب كان وأخواتها وتوسط الخبر جائز في جميع الباب كقوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين وقول الشاعر

سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم * فليس سواء عالم وجهول

وقال الآخر

لا طيب للعيش ما دامت منغصة * لذاته باذكار الموت والهرم

وأما تقديم الخبر على كان وبابها فجائز أيضا الا مع دام وزال وبرح وفتئ وانفك فان الخبر

وتسعين رجلا فدعا بامرأة من بني حنظلة فقال لها من أنت قالت الحمراء بنت ضمرة فقال اني لأظنك أعجمية فقالت ما أنا بأعجمية ولا ولدتني العجم اني لبنت ضمرة بن جابر سادا معدا كابرا عن كابر فقال عمرو أما والله لولا مخافتي أن تلدي مثلك لصرفتك عن النار فقالت أما والذي أسأله أن يضع وسادك ويخفض عمادك ما قتلت الا نساء أعاليها ثدي وأسفلها دمى فقال اقذفوها في النار فالتفتت وقالت ألا فتى يكون مكان عجوز فلما انطوى عليها قالت هيهات صارت الفتيان حمما وسمي من ذلك اليوم محرقا ومن ملوك جفنة أيضا المحرق لكنه غير صاحب البردين فأما امر البردين فحكى ان الوفود اجتمعت عند محرق فأخرج بردين من لباسه يبلو الوفود وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن أحيمر فأخذهما فاتزر بالواحد وارتدى بالاخرى فقال له انت أعز العرب قبيلة قال العز كله في معد والعدد في معد ثم في نزار ثم في مضر ثم في خندف ثم في تميم ثم في سعد ثم في كعب ثم في بهدلة فمن انكر هذا فليناافرني فسكت الناس فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف انت في نفسك

لا يتقدم عليه لان كلامها لا يستعمل الا بحرف النفي والنفي له صدر الكلام وكذا اذا اقترنت كان وأخواتها بحرف مصدري لا يجوز ان يتقدم الخبر كقولك أريد ان تكون فاضلا وأما ليس فقد تقدم الكلام عليها (شئ) مرفوع على أنه اسم كان (في ثباتهم) في حرف جر معناه الظرفية هنا وهو متعلق بقوله ينجع ثباتهم مجرور بفي والضمير يرجع الى الناس وهو في موضع جر بالاضافة (على العهود) على للاستعلاء معنى والعهود مجرور به والالف واللام للجنس والجار والمجرور متعلق بثبات لانه مصدر وهو يعمل عمل الفعل وقد أضيف الى فاعله وهو الهاء والميم وعلى العهود مفعوله فهو في موضع نصب (فسبق) ١ الفاء جواب الشرط وسبق مرفوع على انه مبتدأ (السيف) مجرور بالاضافة (للعذل) اللام للتعدية وهي متعلقة بالخبر المحذوف تقديره فسبق السيف مستقر للعذل (المعنى) ان كان شئ من الاشياء نافعا في ثبات الناس على العهود وذلك الشئ مثل اللوم والعذل أو التعنيف على ما ارتكبوه من نقص الوفاء واظهار الغدر فان السيف سبق العذل في ذلك يعني ان هذا الاحرفات وما بقي يفيد فيهم العذل شيئا كما أن السيف يسبق من يعذل ويفوت الفوت في كفه بعد ما يمضي ومن وضع المثل في الاصل يظهر هذا وخلاصة الحال أن رعيهم للعهود وثباتهم عليها أمر فرغ الله منه فلا تطمع في عوده كما ان المقتول لا يطمع في حياته وهيهات ما لجرح حيت ايلام لقد أسمعت لو ناديت حيا وأقول ان العذل مما يغري واللوم مما يحرض والعتاب مما يزيد في الاعراض والتعنيف مما يحسن المنهي عنه وأما رعي العهود فأمر حض الله عليه ومدح من تلبس به فقال تعالى والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وقال تعالى وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقد روى مسلم في صحيحه بسنده الى حذيفة بن اليمان قال خرجت أنا وأبو حسيل فأخذنا كفار قريش فقالوا انكم تريدون محمدا فقلنا ما نريد الا المدينة فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لننصرفن الى المدينة ولا نقاتل معه فأتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه الخبر فقال انصرفا اليهم بعهدهم ونستعين الله عليهم فأمرهما صلى الله عليه وسلم بوفاء عهدهم الكفار حضا منه صلى الله عليه وسلم على الاتصاف بالاخلاق الحميدة لانه كما قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقال مالك رحمه الله يلزم الاسير الوفاء بالعهد وقال الشافعي وأبو حنيفة والكوفيون رحمهم الله تعالى في الاسير يعاهد الكفار لا يهرب منهم لا يلزمه الوفاء بذلك ومتى أمكنه الهرب هرب منهم واتفقوا على انهم لو أكرهوه فحلف لا يهرب فله ان يهرب ولا يمين عليه وأما العذل فما يفيد الا الاغراء قال ابن سناء الملك رحمه الله تعالى من رسالة وما أتعب معاتب الايام فانه يضرب في حديد بارد وما الأم ظفر الهموم فانها كثيرة تتساعد على قلب واحد وما ألطف قول القائل

يقول لي العاذل في لومه * وقوله زور وبهتان

ما وجه من أحببته قبلة * قلت ولا قولك قرآن

وانشدني جمال الدين محمود بن علي المعروف بالحافي قال انشدني عفيف الدين التلمساني لنفسه من أبيات

ولي على عاذلي حقوق هوى * عليه شكري ببعضها يجب

لام فلما رآه هام به * فكنت في عشقه أنا السبب

---

١ قوله الفاء جواب الشرط تقدم له رحمه الله تعالى نظيره وسبق بالهامش أن الصواب جعل الفاء رابطة للجواب وأن الجملة بعدها هي الجواب اه وقوله فيما بعد اللام للتعدية وهي متعلقة بالخبر المحذوف الظاهر جعل اللام للتقوية وهي متعلقة بسبق وسبق اما مبتدأ محذوف الخبر أو خبر لمبتدا محذوف والدال عليه في الصورتين الكلام السابق والتقدير ان كان شئ نافعا في ثباتهم على العهود فسبق السيف لعذلهم نافع أو فالنافع سبق السيف لعذلهم اه

واهل بيتك قال انا ابو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها انا في نفسي وشاهد العز شاهدي ثم وضع قدمه على الارض وقال من ازالها من مكانها فله عشرة من الابل فلم يقم اليه احد وخرج بالبردين فضربت العرب بعزه المثل وببرديه

(وحليتك مارية بالقرطين) القرط نوع مما تحلى به المرأة اذنها ومارية هي ابنة ظالم ابن وهب الكندي زوجة الحرث الاكبر الغساني أحد ملوك العرب بالشام وهي ام الحرث الاصغر وامها هند

وما أرق قول وهب بن جابر الخزاعي

هددت بالسلطان فيك وانما * أخشى صدودك لا من السلطان

أهوى الملامة فيك حتى لو درى * أخذ الرشا مني الذي يلحاني

وقال ابن وكيع

أبصره عاذلي عليه * ولم يكن قبل ذا رآه

فقال لي لو هويت هذا * ما لامك الناس في هواه

قل لي الى من عدلت عنه * فليس أهل الهوى سواه

فظل من حيث ليس يدري * يأمر بالحب من نهاه

وقال شمس الدين محمد بن التلمساني

أسرفت في اللوم ولم تقتصر * وزدت في لومك يا ذا العذول

قد رضيت نفسي بمحبوبها * وانما المولى كثير الفضول

ومنه قول آخر

قد قصر اللاحي وجاء يلومني * وزخرف لي زور الكلام بعينه

وقال اسل عن هذا وعد من غرامه * فقلت له هذا الفضول بعينه

وما أحسن قول القائل

وما عذولي ناهيا عنكم * لكنه بالصبر أمار

قال أسلهم ان لم تطق هجرهم * قلت له النار ولا العار

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه

أعاذلي ليس مثلي من تفنده * وليس مثلك مأمونا على عذلي

مادمت خلوا فما تنفك متهما * اعشق وقولك مقبول على ولي

وقال شيخ الشيوخ أيضا

من منصفي من عاذل جاهل * يخون باللوم لمن لا يخون

ان قلت ما نحك الاذى * قال وما عشقك الا جنون

وقال أيضا

ان قوما يلحون في حب سعدى * لا يكادون يفقهون حديثا

سمعوا وصفها ولاموا عليها * اخذوا طيبا وأعطوا خبيثا

وقال أيضا

زعموا أنني هويت سواكم * كذبوا ما عرفت الا هواكم

قد علمتم بصدق مرسل دمعي * فسلوه ان كان قلبي سلاكم

قال لي عذلي متى تبصر الرشد وتسلو فقلت يوم عماكم

وقال شهاب الدين بن الخيمي

وعذول رابني في نصحه * كلما زادت ابا زاد لجاجا

ما عذولي قط الا عاشق * ستر الغيرة بالعذل وداجا

وأخذت أنا هذا المعنى فقلت

تداهى عذولي في الغرام ولم تكن * مقاصده تخفى على عاشق مثلي

أحب فلما غارمني وخاف أن * أفاتحه في ذاك سابق بالعذل

المشهود امرأة آكل المرار وكان في قرطيها الؤلؤتان عجيبتان يتوارثهما الملوك وصلتا الى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فلما ولي عمر الخلافة قال لها ان احببت المقام عندي فضعي القرطين والحلي في بيت مال المسلمين فوضعته فلما مات وولي يزيد ابن عبد الملك ارسل اليها يقول خذي القرطين والحلي من بيت مال المسلمين فقالت لا والله ما اوافقه في حال حياته واخالفه بعد وفاته وروى الميداني ان مارية اهدت قرطيها الى الكعبة وهما درتان كبيضتي الحمام لم يرقى عصرهما ولا قبله مثلهما هكذا روى الميداني والله اعلم بحقيقتهما

(وقلدتك عمرو والصمصامة) هو عمرو بن معدى كرب بن عبدالله الزبيدي وكنيته ابو ثور الفارس المشهور صاحب الغارات والوقائع المذكورة في الجاهلية والاسلام وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة قال عمر وقدمت المدينة فرأيت رسول الله صلى عليه وسلم قافلا من تبوك فاردت أن أدنو اليه فمنعني من حوله

وقلت

وقلت يا لقومي سائلتكم خبروني * هكذا كل من أحب حبيبه
سقم زائد ودمع وسهد * ويجي عاذلي تمام المصيبه
وقلت ياحسرة فيه على سلوة * ليستريح القلب من عاذلي
فان عمري بين ذل الهوى * وعذله قد ضاع في الباطل
وقلت تعشقته مثل القضيب اذا انثني * بوجه حكى البدر المنير اذا اتما
فان كان عذالي عموا عن جماله * فلي اذن عن كل ما نقلوا صما
وقلت ألح عذولي في هواه وزادني * ملامي فقلت احتل على غير مسمعي
فلم يدر من فرط الولوع بذكره * مصيبته حتى تعشقه معي
وقلت بي غزال لما أطعت هواه * أخذ القلب والتصبر غصبا
ما أفاق العذول من سكرة العذ * ل عليه حتى غدا فيه صبا

والعلم المشهور في هذا كله قول أبي نواس

دع عنك لومي فان اللوم اغراء * وداوني بالتي كانت هي الداء

وقال محمد بن شرف القيرواني

قل للعذول لو أطلعت على الذي * عاينته لعناك ما يعنيني
أتصدني أم للغرام تردني * وتلومني في الحب أم تغريني
دعني فلست معاقبا بجنايتي * اذ ليس دينك لي ولا لك ديني

وحكى ان المفضل الضبي قال له الرشيد دلني على بيت أوّله أكثم بن صيفي في اصالة الرأى وجودة الموعظة وآخره بقراط في معرفة الدواء فقال يا أمير المؤمنين لقد هولت على فقال هذا قول أبي نواس دع عنك لومي البيت وذكرت ههنا ما ذكره صاحب الاغاني عن الهيثم بن عدى قال قال لي صالح ابن حسان يوما انصف بيت كأنه اعرابي في شملة والآخر كأنه مخنث يتفكك قلت لا أدري قال أجلتك حولا قلت لو أجلتني عشرا ما عرفته قال أف لك قد كنت أحسبك أجود ذهنا من هذا قلت فما هو قال قول جميل

ألا أيها النوّام ويحكموهبوا * هذا الكلام اعرابي
ثم قال نسائلكم هل يقتل الرجل الحب * كأنه والله من مخنثي العقيق

قلت علم الله لولا ايراد النادرة لاستحييت ان أكتب النصف الثاني لانه محلول الى الغاية والناس ينظرون به قول الآخر

مات الخليفة أيها الثقلان * فكأنما افطرت في رمضان

و يقولون في الاوّل عزى الثقلين ثم انه حل في الثاني وأقول انه ليس بينهما نسبة في الانحلال وقول جميل انما يحسن من مثل فريدة جارية الواثق فانها صنعت فيه لحنا وغنت به وكانت بارعة الجمال فاذا سمع منها كان مناسبا والى بيت جميل أشار ابن نقادة في قوله

أهجر وصد واغتراب وفرقة * وبين فيا لله كم يحمل الصب
فقل لمحب نبه الركب سائلا * ونام نعم قد يقتل الرجل الحب

ويقال اغنج بيت قالته العرب قول الاعشى

قالت هريرة لما جئت زائرها * ويلي عليك وويلي منك يارجل

فقال دعوه فدنوت منه فقلت أنعم صباحا أبيت اللعن فقال يا عمرو أسلم تسلم ويؤمنك الله من الفزع الاكبر فاسلمت وعاش عمرو الى أيام عثمان وأبلى في وقائع الاسلام بلاء حسنا مثل وقعة القادسية وهو الذي ضرب خطم الفيل بالسيف فانهزم وانهزمت الاعاجم وكان سبب الفتح ومثل وقعة اليرموك وغيرها قال الخثعمي ما رأيت أشرف من رجل رأيته يوم اليرموك خرج له علج فقتله ثم آخر فقتله ثم انهزموا فتبعهم وتبعته ثم انصرف الى خباء له اسود فنزل فدعا بالجفان ودعا من حوله قلت من هذا قالوا عمرو ابن معدى كرب وحدث ابن أبي حاتم قال مررنا يوم القادسية بعمرو بن معدى كرب وهو يحض الناس بين الصفين ويقول أيها الناس كونوا أشداء فانما هذا الرجل من الاعاجم اذا ألقى مزراقا فانما هو تيس فبينما هو كذلك يحرضنا اذ خرج رجل من الاعاجم فوقف بين الصفين فرماه بنشابة فما أخطأت سيئة قوس كان متنكبها فالتفت ثم حمل عليه فاعتنقه ثم أخذ بمنطقته فاحتمله فوضعه بين يديه وجاء حتى اذا دنا منا كسر

وقيل ان عبد الملك بن مروان قال يوما لجلسائه تعلمون ان النابغة كان مخنثا قالوا وكيف ذلك يا أمير المؤمنين قال أما سمعتم قوله

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه * فتناولته واتقتنا باليد

والله لا يعرف هذه الاشارة الا مخنث قلت لو كان أحد من الجلساء انتصر للنابغة لقال فمن أين ظهر لمولانا أمير المؤمنين هذا ومعرفته بذلك عار يب ولكن حرمة الخلافة ومهابتها منعان المعارضة وذكر صاحب الاغاني أن المأمون قال لمن حضر من جلسائه أنشدوني بيتا لملك يدل البيت وان لم يعرف قائله انه لملك فأنشده بعضهم قول امرئ القيس

أمن أجل اعرابية حل أهلها * جنوب الملا عيناك تبتدران

قال وما في هذا ما يدل على ملكه قد يجوز أن يقول هذا سوقة من أهل الحضر فكأنه يؤنب نفسه على التعلق باعرابية ثم قال الشعر الذي يدل على أن قائله ملك قول الوليد بن يزيد

اسقني من سلاف ريق سليمى * واسق هذا النديم كأسا عقارا

أما ترى الى اشارته وقوله هذا النديم فانها اشارة ملك ومثل هذا قوله

لي المحض من ودهم * ويغمرهم نائلي

وهذا قول من يقدر بالمال على طويات الرجال يبذل المعروف فيهم ويمكنه استخلاصها لنفسه وأنشدني من لفظه الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان الاندلسي للسلطان أبي عبد الله محمد بن السلطان الغالب بأمر الله أبي عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجي يعرف بابن الاحمر ملك الاندلس قال رأيته مرارا بغرناطة وأنشدته شعرا وحضرت عنده انشاد الشعر وكان رجلا جميلا حسن السياسة متظاهرا بالدين

أيا ربة القرط التي حسنت هتكي * على أي حال كان لا بد لي منك
فاما بذل وهو أليق بالهوى * واما بعز وهو أليق بالملك

انتهى وقلت أنا رادا عليه

تمسك بذل فهو أليق بالهوى * لتنتظم مع أهل المحبة في سلك
متى لاق بالعشاق عز وسطوة * كأنك من ذل المحبة في شك

وممن قال الشعر في محبوبه من الخلفاء والملوك هرون الرشيد فانه قال في هذه المادة

ملك الثلاث الآنسات عناني * وحللن من قلبي بكل مكان
مالي تطاوعني البرية كلها * وأطيعهن وهن في عصياني
ما ذاك الا أن سلطان الهوى * وبه غلبن أعز من سلطاني

وقال المستعين بالله بن الحكم الاموي أحد خلفاء المغرب

عجبا يهاب الليث حد سناني * وأهاب لحظ فواتر الاجفان
وأقارع الاهوال لا متهيبا * منها سوى الاعراض والهجران
وتملكت نفسي ثلاث كالدمى * زهر الوجوه نواعم الابدان
حاكمت فيهن السلو الى الصبا * فقضى بسلطان على سلطاني
فأبحن من قلبي الحمى وتركنني * في عز ملكي كالاسير العاني
لا تعذلوا ملكا تذلل للهوى * ذل الهوى عز وملك ثان

عنقه ثم أمر الصمصامة على حلقه فذبحه ونزع سواريه ومنطقته وألقاه وقال هكذا فاصنعوا بهم فقلنا من يستطيع يا أبا ثور أن يصنع كما تصنع وحكى أبو عبيدة قال لما كان فتح القادسية أصاب المسلمون أموالا عظيمة فعزل سعد بن أبي وقاص الخمس ثم قسم البقية فأصاب الفارس ستة آلاف وبقي مال دثر فكتب الى عمر بما فعل فكتب اليه أن رد على المسلمين الخمس وأعط من لحق بك ممن لم يشهد الوقعة ففعل ذلك ثم كتب اليه كذلك فكتب اليه أن أعط ما بقي حملة القرآن فأتاه عمرو بن معدي كرب فقال ما معك من حفظ القرآن قال اني أسلمت ثم شغلت بالغزو عن حفظ القرآن وقيل أتاه بشر بن ربيعة فقال له ما معك من حفظ القرآن قال معي بسم الله الرحمن الرحيم فضحك القوم فقال سعد ما لك في هذا المال من شيء ولا من نصيب فقال عمرو منشدا

اذا قتلنا ولا يبكي لنا أحد * قالت قريش ألا تلك المقادير
نعطى السوية من طعن له نفذ * ولا سوية اذ تعطى الدنانير

وقال بشر أبياتا فكتب سعد الى عمر بما قالا فكتب اليه أعطهما على بلائهما فأعطاهما

ماضر أني عبدهن صبابة * وبنو الزمان وهن من عبدانى
وقال الملك تميم بن المعز بن باديس
بالله جدلى بوعد صدق * وخل هذا الدلال عنكا
ولا تدعني أطل أشكو * مثل محياك ليس يشكى
وقال القائم بأمر الله العباسي
جمعت على من الغرام عجائب * خلفن قلبي في أسار موحش
خل يصد وعاذل متنصح * ومعاند يؤذى وغمام يشى
وقال ابن منقذ
أسطو عليه وقلبي لو تمكن من * كفى غلهما غيظا الى عنقى
واستمير اذا عاتبته حنقا * وأين ذل الهوى من عزة الحق
وقال الظاهر غازى في مملوكه أيبك الجدار
أنا مالك مملوك ظبي أغيد * ومن العجائب مالك مملوك
وأنا الغني وانني من وصله * بين البرية معدم صعلوك
ولكم سفكت دما بسيفي عنوة * ودمى بسيف لحاظه مسفوك
(رجع الى العذل) أخذ ابن قلاقس قول أبي نواس فقال
فدعى الملامة في التصابي واعلمي * أن الملامة ربما تغريني
وما أحسن قول ابن سناء الملك
وصفتك واللاحي يعاند بالعذل * فكنت أباذر وكان أبا جهل
له شاهد زور من النهى والنهى * عليك ومن عينيك لى شاهد عدل
وقال شرف الدين على بن جبارة هذا البيت نادرة قصيدته وعين خريدته وقد أخذه أخذا وفلذه فلذا من قول شاعر متقدم
ولى عاذل يعزى الى الجهل لم يخل * بأني في دعوى الغرام أبوذر
قلت لكنه أخذه وقف عاج وأعاده درة تاج ألا ترى الى أنه قابل فيه بين أبي ذر وبين أبي جهل فزاده حسنا وكان فيه ليلى فضم اليه البنى وكرر ابن سناء الملك هذا في شعره فقال
أيا عاذلى فيه لما رآه * لئن كنت أعمى فاني أصم
وهبك أبا ذر هذا الملام * فاني أبو جهل هذا الصنم
ومن أبيات المعاني
وشادن مبتسم عن حبب * مورد الخد مليح الشنب
يلومني العاذل في حبه * وما درى شعبان أني رجب
قلت العرب كانت تسمى المحرم المؤتمر وصفر ناجرا وربيعا الاول خوانا وربيعا الآخر بصانا وجمادى الاولى الحنين وجمادى الآخرة الرنى ورجب الاصم وشعبان العاذل ورمضان الناتق وشوالا الوعل وذا القعدة رنة وذا الحجة بركا وأبو العلاء المعرى ممن أكثر من هذا النوع فقال
هزت اليك من القدا بن ذى يزن * ولاحظتك بهاروت على عجل
أرتك عم رسول الله منتقبا * أبا حذيفة يحكى أو أبا جهل

أربعة آلاف درهم وحكى المدائني قال كان عمرو بن معدى كرب في سرية أميرها سلمان بن ربيعة فعرض الخيل فمر عمرو على فرس له فقال سلمان هذا هجين فقال عمرو وعتيق قال فأمر به فعطش ثم دعا بترس فقلبت فيه ماء فدعا بالخيل عتاق فشربت فجاء فرس عمرو فثنى يديه وشرب وهكذا يصنع الهجين فقال له الا ترى فقال عمرو أجل الهجين يعرف الهجين فبلغ عمر فكتب اليه قد بلغني ما قلت لاميرك وبلغنى أن لك سيفا تسميه الصمصامة وعندى سيف مصمم بالله لئن وضعته على هامتك لا أقلع حتى أبلغ به شرا سيفك فان سرك أن تعلم أحق ما أقول فعد ويروى أن عمر رضي الله عنه سأله يوما فقال ما تقول في الحرب قال مرة المذاق اذا كشفت عن ساق فمن صبر عرف ومن ضعف تلف قال فما تقول في الرمح قال خليلك وربما خانك قال فالنبل قال منايا تخطئ وتصيب قال فالترس قال عليه تدور الدوائر قال فالسيف قال عبدك ثكلتك أمك قال عمر بل أمك فقال الحمى أصرعتني فاغلظ له عمر في الكلام فقال

ابن ذي يزن هو سيف ملك مشهور وهاروت ملك ساحر والعباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذيفة وحمل هما ابنا بدر وقال أيضا

نهارهم ابن يعفر في ضحاه * وليلة جارهم بنت الحلق

ابن يعفر هو الاسود وبنت الحلق هي ليلى أي ليلة مظلمة وقال آخر

علي أبوابه في كل وقت * لسائله أخو عمرو بن أد
أخو لخم أعارك منه ثوبا * هنيئا بالقميص المستجد
وقد ألقى كساء أبي عبيد * عليك فصرت أكسى أهل نجد
أراد أبوك أملك حين زفت * فلم يوجد لامك بنت سعد
أراني الله عينك في العمى * وعينك مثل بشار بن برد

أخو عمرو ضبة وأخو لخم جذام وأبو عبيد الابرص وبنت سعد عذرة وبشار بن برد أعمى وقال محمد بن عبدون يصف خمرا عادت خلا

ألا في سبيل اللهو كأس مدامة * أتتنا بطعم عهده غير ثابت
أتت بنت بسطام بن قيس عشية * وراحة كجسم الشنفرى بعد ثابت

بنت بسطام هي صهباء وجسم الشنفرى عني به قوله

فاسقنيها يا سواد بن عمرو * ان جسمي من بعد خالي لخل

وذكرت هنا ما اتفق للشريف أبي الحسن علي بن اسمعيل الزيدي لانه عمد الى شراب اعتصره في جرتين فوجد احداهما خلا فقال

رب اختين أمستا طوع ملكي * نجل أم تصبو اليها الرجال
هذه حسنها مقيم وهذي * غيرت حسن حالها الاحوال
فافتضاض الحسناء سهل حرام * وافتضاض السوآء صعب حلال

قال ابن رشيق أخذ البيت الاخير من قول ابن هرمة وقد توعده الحسن بن زيد في شرب الخمر

أرى طيب الحلال علي خبثا * وطيب النفس في خبث الحرام

قلت ومن هنا ولد ابن حجاج فيما أظن قوله

كيف لا أشرب من صالحها * وعلى فاسدها أفطر الصيام

واما ابن هرمة فكان منهوما في الشراب لا يصبر عنه قال مرة للمنصور فيما أظن يا أمير المؤمنين اكتب الى عامل المدينة ان لا يحدني في الخمر اذا أتي بي اليه فقال ويحك هذا حد كيف اكتب باسقاطه عنك قال يا أمير المؤمنين تحيل لي في ذلك قال فكتب الى عامل المدينة اذا أتى اليك بابن هرمة وهو سكران فخذه ثمانين واجلد من جاء به مائة فكان العسس يمرون به وهو ملقى على الطريق فلا يتعرضون له ويقول أحدهم من يشتري ثمانين بمائة وسئل بعضهم عن معشوق له فقال هو أبو سفيان فقيل له استعن عليه ببنت بسطام أراد انه صخر والآخر أراد ان يسقيه صهباء فنظم ذلك بعض الشعراء فقال

ولم أنسه اذ زار بعد ازوراره * فبت نديم البدر في ليلة البدر
وكان أبو سفيان حتى تولعت * به بنت بسطام فبتنا الى الفجر
خليفة بغداد الموفي ثلاثة * وعشرين والموفي الثلاثة في مصر

أتوعدني كأنك ذو رعين
بأنعم عيشة أو ذو نواس
فلا تفخر بملكك كل ملك
يصير لذلة بعد الشماس

فقال عمر صدقت فاقتص مني قال بل أعفو يا أمير المؤمنين لولا آية سمعتها منك لجللتك بالسيف أخذ منك أم ترك قال وما هي قال سمعتك تقرأ انه من يأت ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى والله لو علمت اني اذا دخلتها مت لفعلت وحكي أن عيينة بن حصن لما قدم الكوفة أقام أياما ثم قال والله مالي بابي ثور عهد ثم ركب فرسا وسأل عن محله بني زبيد فأرشد اليها وسأل عن عمرو فوقف ببابه ثم قال يا أبا ثور أخرج الينا فخرج مؤتزرا كأنما كسر وجبر فقال له أنعم صباحا أبا مالك فقال أو ليس قد بدلنا الله تعالى بهذا السلام عليكم فقال دعنا مما لا نعرف انزل فان عندي كبشا سمينا فنزل فعمد الى الكبش فذبحه ثم ألقاه في قدر وطبخه وجلس يتحدث الى ان أدرك فثرد في جفنة عظيمة وألقى القدر عليها وقعدا فأكلا منها ثم قال أي الشراب أحب اليك اللبن أم ما كنا نتنادم عليه في الجاهلية فقال أوليس حرمها الله تعالى في الاسلام

أرادالمطيع والحاكم وقال أبوالحسين الجزار

يا أخامالك ويامن له الخنساء * أخت ويا أبا المعاذ

أرادمتمماوصخراوجبلا (رجع) وأماهذا المثل أعنى سبق السيف العذل فقداستعمله الشعراء كثيراوأحسن مافيه مانقلته من خط السراج الوراق له

قلت اذجردلحظا * حده يدنى الاجل
ياعذولى كف عنى * سبق السيف العذل

وقول بدرالدين يوسف بن لؤلؤالذهبى

ياغصناقدطاب لى منه الجنى * وياغزالا الذلى فيه الغزل
طرفك قبل العذل قدأبادنى * فما احتيالى سبق السيف العذل

وقال أبو الطيب

ترابه فى كلاب كحل أعينها * وسيفه فى جناب يسبق العذلا

قال بن وكيع لوقال

احسانه فى كلاب غيث مجدبها * وسيفه فى جناب يسبق العذلا

اصح التقسيم اذليس التراب ضدالسيف وقال بن الحاجب القديم

وحاولت بالعذل ان ترشدنى * فقلت مهلا سبق السيف العذل

وقال بن نباتة السعدى

ياأهل بابل عزمى قبله فكرى * فى النائبات وسيفى يسبق العذلا

(ياوارداسؤرعيش كله كدر * أنفقت صفوك فى أيامك الاول)

(اللغة) الوارد الذى يرد الماء ليشربه سؤر السؤر البقية يقال اذاشربت فاسئر أى أبق شيئا من الشراب فى قعر الاناء والنعت سائر على غير قياس لان قياسه مسئر ونظيره أجبر فهو جبار وبهذا استدل على ان سائرا بمعنى الباقى وليس هو بمعنى الجميع وقد تقدم الكلام فى هذا عيش العيش تقدم الكلام عليه كله بمعنى جميعه وكل لايدخله الالف واللام فى كلام العرب لانه وضع فى الاصل للشيوع ولكن أرباب المعقول غيرواهذا الاصل فقالوا الكل والجزء وكل لايؤكدبه الامايبعض فتقول ذهب المال كله ولاتقول جاءزيد كله وتقول اشتريت العبد كله ويؤتى باجمع بعدكل فى التأكيد قال الله تعالى فسجد الملائكة كلهم أجمعون قال الشيخ الامام جمال الدين بن مالك رحمه الله تعالى وأغفل أكثر النحويين جميعا ونبه سيبويه على انها بمنزلة كل معنى واستعمالا ولم يذكر شاهدا من كلام العرب وقد ظفرت له بشاهد وهو قول امرأة من العرب ترقص ابنها

فداك حى خولان * جميعهم وهمدان
وكل آل قحطان * والاكرمون عدنان

والكليات الخمس عندأرباب المنطق هى الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام فالجنس كالحيوانية والنوع كالانسانية والفصل كالناطقية ولايريدون بالناطقية مايفهمه عوام الناس من أنه النطق بالكلام لانه ينتقض بالدرة وهى الببغاء اذاحاكت شيأ من ألفاظ الناس يلزم ان تكون انسانا لانها بهذا الاعتبار حيوان ناطق وينتقض بالاخرس والطفل الذى

فقال انت أقدم اسلاما أم أنا قال انت قال فانى قدسمعت مابين دفتى المصحف فوالله ماوجدت لها تحريما الاانه قال فهل أنتم منتهون فقلت الاثم جاء بنبيذ وجلسا يشربان ويتحدثان ويذكران ايام الجاهلية حتى أمسيا فلما اراد عيينة الانصراف قال عمرو ان انصرف ابو مالك بغير حبائها لوصمة فأمرله بناقة ارحبية وحمله عليها ثم اتى بمزود فيه اربعة آلاف درهم فوضعه بين يديه فقال اما المال فوالله لا آخذه ولا أمسه فانصرف وهو يقول

جزيت أباثور جزاء كرامة
فنعم الفتى أنت المزور المضيف

وقيل انه لم يكن فى عمرو خصلة رديئة الاالكذب حكى أبوعمرو بن العلاء قال وقف عمرو يوما بالمربد يتحدث على عادتهم فقال غزوت فى الجاهلية على بنى مالك نخز جوامستر فعين بخالد بن الصقعب فحملت عليه بالصمصامة فاخذت رأسه وكان خالد بن الصقعب حاضرا فقال بعض الجماعة مهلا اباثور فقتلك يسمع كلامك وأشار اليه فقال اسكت انما أنت محدث فاسمع أوقم ثم التفت الى خالد وقال انما نهب هذم

لا يتكلم انهما ليسا من الاناسي لانهما غير ناطقين وانما يريدون بالناطقية القوة المفكرة فعلى هذا دخل الاخرس والطفل فى حد الانسان وخرج عنه الببغاء والناطق هو فصل الانسان عن سائر الحيوان والخاصة كالكتابة لانها تختص ببعض النوع ولم تعمه والعرض العام كالضاحكية لانها عامة لجميع النوع ولهذا كان التعريف فى الحدود بالجنس القريب والفصل مطردا منعكسا والتعريف بالجنس القريب والخاصة مطردا غير منعكس ولقد قلت هذا لجماعة فلم يعرفوه حتى مثلته بأمثلة كثيرة منها قول النحاة فى الاسم انه كلمة تدل على معنى غير مقترنة بأحد الازمنة الثلاثة وقولهم فى الاسم أيضا انه كلمة تدخلها حروف الجر أو الالف واللام أو التنوين فالتعريف الاول بالجنس القريب والفصل لا جرم أنه مطرد منعكس حيث وجد الحد وجد المحدود وحيث وجد المحدود صدق الحد لان كل اسم هو كلمة تدل على معنى غير مقترنة بزمان وكل كلمة تدل على معنى غير مقترنة بزمان فهى اسم والتعريف الثانى بالجنس والخاصة لا جرم أنه مطرد غير منعكس لان كل كلمة دخلها الجر أو الالف واللام أو التنوين فهى اسم وليس كل اسم يدخلها الجر كباب ما لا ينصرف والمبنيات وما لا يدخله الالف واللام مثل كل وغير وذكاء ودجلة وغير ذلك ولا التنوين مثل الاسماء المؤنثة المقصورة كحبلى ودنيا وبابهما فأنت ترى كيف اطرد وما انعكس بخلاف الاول فتنبه لهذه القاعدة فانها فائدة جليلة (رجع) كدر الكدر ضد الصفاء قال أصحاب التجارب ان الخيل لا تشرب الماء اذا كان صافيا ولهذا تضربه بأيديها حتى يتعكر وقال بعضهم هذا بأن الخيل ترى خيالها فى الماء الصافى فلهذا تكدره وهذا تعليل عليل لا يشفى به غليل وذكرت بالعكر هنا قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر لما كانوا فى حصن عكار وهو

حصن عكار ما صفا * قط يوما من الكدر
كيف يصفو الذى ثلا * ثة أرباعه عكر

وقال لما فتح ومن خطه نقلت

يا مليك الارض بشرا * لك فقد نلت الاراده
ان عكار يقينا * هى عكار زياده

ومن هذه المادة قوله ومن خطه نقلت

قولهم عنى صبيغ * لى فى ذاك اراده
ليس الا يقولوا * ذا صبى وزياده

وذكرت بالاول ما حكى عن القاضى الفاضل رحمه الله وقد ركب القاضى المكين بن حيوس ولم يكن معه مقرعة فأعطاه القاضى الفاضل مقرعة فرماها ثم رد فى طلبها على الاقفا وجدها فعاد بسكينة لخيبته فأنشدها الفاضل رحمه الله تعالى

يا غاديا شبه السفيه وعائدا مثل الحليم
ضيعت مقرعة وعد * ت تشيرها من غير ميم

وما أحسن قوله وقد ورد نعى الملك الناصر من الشرق ولم يصح ذلك

نعى زاد فيه الدهر ميما * فأصبح بعد بؤساه نعيما
وما صدق النذير به لانى * رأيت الشمس والنجوما

المدينة بهذه الاخبار ومضى فى حديثه فلم يقطعه فقال له رجل انك لشجاع فى الحرب والكذب فقال انى كذلك وحكى أبو عمرو بن العلاء قال جاء رجل الى عمرو وهو واقف بالمربد على فرس له وقد أسن فقال لانظرن ما بقى من قوة أبى ثور فادخل يده بين ساقه وجنب الفرس ففطن عمرو لذلك فضم رجله وحرك الفرس فجعل الرجل يعدو مع الفرس لا يقدر أن ينزع يده حتى اذا بلغ منه صاح به فقال يا ابن أخى مالك قال يدى تحت ساقك فخلى عنه وقال ان فى عمك بقية بعد ومن كلامه حكى أنه أتى مجاشع ابن مسعود فقال أسألك حملان مثلى وسلاح مثلى فأمر له بفرس جواد وسيف صارم وعشرين ألف درهم فمر ببنى حنظلة فقالوا يا أبا ثور كيف رأيت صاحبك فقال لله بنو مجاشع ما أشد فى الحروب لقاءها وأجزل فى اللزبات عطاءها وأحسن فى المكرمات بناءها والله لقد قاتلتها فما أجبنتها وسألتها فما أبخلتها وهاجيتها فما أفحمتها ومن جيد شعره

ولما رأيت الخيل زورا كأنها جداول ماء أرسلت فاسبطرت

ويقال

ويقال ان ابن عمار دخل يوما الى مجلس فيه ابن اللبانة الدانى ولم يكن ابن عمار يومئذ قد رأس فقال له اجلس يا ابن عمار بغير ميم فقال له نعم يا دانى بغير ألف وقال أبو تمام الطائى

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

أخذه ابن الرقاق فنقله الى وصف قوس فقال

أفديك من نبعية زوراء * مشغوفة بمقاتل الاعداء
ألفت حمام الايك وهى نضيرة * والآن يألفها بكسر الحاء

ولكنه نقص المعنى الذى حاوله بزيادة الايك لان الحمام بكسر الحاء لا يضاف الى الايك ولو قال ألفت الحمام وسكت لكان أحسن وأتم وقال ابن وضاح المرسى فى ذلك

عجبي من القوس الكريمة انها * لم ترع حق حمائم الاغصان
أضحت لها حتفا وكانت مألفا * وكذا حكم تصرف الازمان

وقال الحصرى المكفوف فى موت المعتضد وولاية ابنه المعتمد

مات عباد ولكن * بقى الفرع الكريم
فكأن الميت حى * غير أن الضاد ميم

وقال ابن سناء الملك

لم أنس اذ زارنى كالبدر مكتملا * بالحسن مشتملا بالسحر مكتحلا
ورنا الى بعينيه فقلت طلا * حتى اذا كسر الاجفان قلت طلا

وحكى لى ان أبا الحسين الجزار أو السراج الوراق شكا فى طريق الحجاز اسهالا فوصف له بعض الاطباء سفوفا فلما تناوله أفرط به الاسهال فقال

فتحت على بابا السفوف * وصلت به الى الامر المخوف
ولكن الحكيم أراد خيرا * فجاء بغير ياء فى الحروف

ونقلت من خط السراج الوراق له

قلت له مسليا * عن حالة ماشاءها
لعل فيها خيرة * فقال أخر ياءها

ونقلت منه أيضا له

قالوا وقد سمعوا امدحى له ورأوا * حالا باعقاب ذاك المدح مجهوده
ما كان رأيك محمودا بمدحته * فقلت كلا ولكن كان محموده
ووجهه شاهد ينبيك عن خبرى * والباء فى خبرى ليست بموجوده

وقال بعضهم

من طين طوبى خلقت فذا * فأنت فى ذا الورى غريب
بدلت النون فيك باء * فالناس طين وأنت طيب

وقال أبو الحسين الجزار

وكم حية خالفت النفس من * عنفها فيها ومن لامها
قد صح عندى انها حلية * وانما هم قدموا لامها

وقال ابن دانيال فى الفخر الصائغ

قد كنت بالفخر ذا اضلال * اذ جئته مخلص الوفاء

وجاشت الى النفس أول فكرة
فردت على مكروهها فاستقرت
ظللت كأنى للرماح دريئة
أقاتل عن احساب جرم وفرت
ولو أن قومى انطقتنى رماحهم
نطقت ولكن الرماح أجرت

قوله أقاتل عن احساب جرم من الهجاء الممض وذلك أنه ذكر أن قوما فروا وليس هو منهم غير أنه يقاتل غضبا لهم وعصبة وقوله ولو أن قومى أنطقتنى يعنى لو قاتلوا وطاعنوا نطقت بمدحهم ولكنهم فروا فاسكتونى عن المدح والاصل فى الاجرار أن الفصيل اذا أرادوا فطامه شقوا لسانه فلم يقدر على الرضاع وقوله فى القصيدة التى أولها

أمن ريحانة الداعى السميع
وقد عجبت امامة ان رأتنى
تفرع لمتى شيب فظيع
أشاب الرأس أيام طوال
وهم ما تبلغه الضلوع
وزحف كتيبة للقاء أخرى
كان زهاءها رأس صليع
واسناد الاسنة نحو نحرى
وهز المشرفية والوقوع
فان تنب النوائب آل عصم
تجد حكماءهم فيها وقوع
اذا لم تستطع شيأ فدعه
وجاوزه الى ما تستطيع
وصله بالتروع فكل شئ
سماك أو سموت له نزوع

حققته اذ دعواه نخرا * فكان نخرا بغير فاه

وقال أيضا

عوّادنا علق الفصيح امرؤ * ينبح أي قد صار هباء

كأنه اذ سقطت داله * فأصبح العواد عواء

(رجع) أنفقت أذهبت صفوك الصفو ضد الكدر الاول جمع أولى مثل كبرى وكبر (الاعراب يا) حرف نداء وحروف النداء خمسة وهي الهمزة وأي ويا وأيا وهيا اما الهمزة فانها للقريب مثل الذي يليك وأي لا بعد منه كالذي تراه قريبا وبالبعيد قليلا وأيا لا بعد منه وهيا للبعيد الذي يحتاج الى مد الصوت ويا تستعمل للجميع وقد ينزل البعيد قريبا والقريب بعيدا لفوائد يعرفها أرباب المعاني وقد اعترض على النحاة أجمع في قولهم الكلام لا يتركب من اسم وحرف بمثل يا زيد فانه بالاجماع منهم كلام وقد تركب من اسم وحرف والجواب ان هذه أسماء أفعال لان يا بمعنى أقبل كما ان صه بمعنى اسكت ومن قال انها أسماء أفعال خلص من هذا الايراد ولكن تعكر عليه الهمزة فانه ما لهم اسم فعل من حرف واحد ومن قال انها حروف أجاب عن هذا الايراد بأن التقدير في يا فلان أدعو فلانا وأورد عليه ان يا زيد صيغة انشاء ومتى قدر أدعو زيدا انقلب من الانشاء الى الاخبار واحتمل الصدق والكذب وهذا باطل فان من قال يا زيد لا يقال له صدقت ولا كذبت والجواب ان الصيغة مشتركة بين الانشاء والاخبار لان المتكلم اذا قال بعت فهذا مشترك بين الانشاء والاخبار اذ يحتمل ان يكون قد أخبر بأنه وقع منه بيع في زمن ماض فيقال له كذبت ما وقع منك بيع أو صدقت وقع منك ذلك وما يصرف هذه الصيغة الى الانشاء أو الى الاخبار الا القرينة مثل ما اذا كان انسان قد ساومه آخر وطلب منه البيع فيقول بعت فههنا تعينت الصيغة بالقرينة الى الانشاء قالوا سلمنا ان الصيغة مشتركة بين الانشاء والاخبار ولكن قولنا يا زيد خطاب مع زيد ومتى قدر أدعو زيدا انقلب الخطاب لغيره وهذا مشكل وقد استوفيت البحث فيه في أول التعليقة على الحاجبية (رجع) المنادى منصوب الموضع واللفظ اما اذا كان علما مفردا مثل يا آدم بني على الضم أو مفردا ويراد بالافراد ههنا أن لا يكون مضافا فان المنادى المضاف منصوب مثل يا عبد الله والا فالمجموع والتثنية غير مفرد وهو مرفوع تقول يا زيدون ويا زيدان فهذا منصوب الموضع وأما اذا كان غير مفرد أو علم فانه منصوب اللفظ وانما بني المفرد على الضم لانه أشبه المضمر والمضمر مبني ووجه الشبه انه مفرد كما انه مفرد وانه مخاطب كالكاف في أدعوك وأناديك وانه معرفة كما انه معرفة ولانه صار مع حرف النداء كالاصوات نحو حوب وهيد وهلا وعدس وانما بني على حركة اشعارا بطروّ الحركة وتمييزا له على ما لم يدخله الاعراب نحو من وكم واعلاما بعدم الثبوت في بنائه وانما كانت رفعا لانه لو كسر أشبه المضاف الى ياء المتكلم ولو فتح لا شبه المضاف اذا نودي في يا غلام زيد ولانه أعطى أقوى الحركات جبرا له لما أخذ منه الاعراب فالمنادى ان كان معرفة بني على الضم نحو يا الله يا محمد يا آدم وما أحلى قول ابن عنين

مال ابن مادة دونه لعفاته * خرط القتادة أو منال الفرقد

مال لزوم الجمع يمنع صرفه * في راحة مثل المنادى المفرد

وان كان مضافا نصبت فقلت يا عبد الله يا غلام زيد فأما اذا لم يكن معرفة ولا مفردا وهو نكرة

وقوله أيضا

يا أيها المغتابنا

جهلا بنا وولدت عبدا

ليس الجمال بمئزر

فاعلم وان رديت بردا

ان الجمال معادن

ومناقب أورثن مجدا

أعددت للحدثان سا

بغة وعداء علندى

وحسام ذا شطب يقد

البيض والابدان قدا

كل امرئ يجري الى

يوم الهياج بما استعدا

لما رأيت نساءنا

يفحصن بالمعزاء شدا

وبدت محاسنها التي

تخفي وعاد الامر جدا

نازلت كبشهم ولم

أر من نزال الكبش بدا

كم ينذرون دمي وانذر

ان لقيت بأن أشدا

كم من أخ لي صالح

بوّأته بيدي لحدا

ذهب الذين أحبهم

وبقيت مثل السيف فردا

قلت لو لم يكن له الا هذه القصيدة لاستحق بها التقدم على بشر كثير وأما الصمصامة فهي سيفه المشهور قال عبد الملك بن عمير أهدت بلقيس الى سليمان عليه السلام خمسة أسياف وهي ذوالفقار وذو النون ومجذوب ورسوب والصمصامة فأما ذو الفقار فكان لرسول

لم يقصد لها معين كقول الاعمى يارجلا خذ بيدى فانه ينصب وينون فتقول يارا كبا يا ساهيا يانائما (رجع الى اعراب البيت واردا) نكرة غير مقصودة فلهذا نصب وهو اسم فاعل من ورد فهو وارد (سؤر) منصوب على انه مفعول به لاسم الفاعل (عيش) مجرور بالاضافة بمعنى اللام (كله) مرفوع على انه مبتدا والهاء فى موضع جر بالاضافة (كدر) مرفوع على انه خبر والجملة فى موضع نصب لانه صفة لسؤر وان شئت فى موضع جر لانه صفة لعيش وهو أحسن (أنفقت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (صفوك) منصوب على انه مفعول به لأنفقت والكاف فى موضع جر بالاضافة (فى أيامك) فى هنا ظرفية متعلقة بأنفق أيامك مجرور بفى والكاف فى موضع جر بالاضافة (الاول) مجرور لانه صفة لايام وقد تبعه فى تعريفه وجمعه وتأنيثه وجره (المعنى) يامن ورد بقية عيش كله كدر لاى شئ تردهذا الكدر والصفو قد انفقته وأفنيته فى ايامك السالفة وهذا الذى يسميه أرباب البلاغة التجريد وهو أن يجرد الانسان من نفسه شخصا يخاطبه فهو يستريح بعاتبته وتعنيفه وتوبيخه وهذه عادة جارية لكل من آخذ نفسه فاخذ يوبخها ويعاتبها فيقول من قال لك تفعلين هذا ولم كنت اعتمدت هذا الامر الفاسد وأمثال ذلك (وقد) استعمل الشعراء ذلك كثيرا كقول الحيص بيص

الام يراك المجد فى زى شاعر * وقد نحلت شوقا فروع المنابر
حكمت تصيب الشعر علما وحكمة * ببعضها ينقاد صعب المفاخر
أما وأبيك الخير انك فارس الـ * ـمعالى ومحيى الدارسات الغوابر
فانك أعييت المسامع والنهى * بقولك عما فى بطون الدفاتر

ومنهم من لا يقصر اسم التجريد على مخاطبة المتكلم غيره مريدا نفسه ولكن يجريه فى كل ما يصح ان يشتق له بان يكون قد جرد فيه شئ من آخر كقوله تعالى لهم فيها دار الخلد أى الجنة والجنة هى دار الخلد ولكنه جرد من الدار دارا وقوله تعالى وهى قراءة على كرم الله وجهه يرثنى وارث وهو الوارث نفسه ولكنه جرد من الوارث وارثا وقول الشاعر

وشوهاء تعدو بى الى خارج الوغى * بمستلئم مثل البعير المرحل

يريد ويعنى من نفسى بمستلئم فجرد من نفسه مستلئما جعله مصاحبا له (رجع الكلام الى الصفو أيام الشباب) نعم ان الصفاء والعذوبة والهناء انما هى معصوبة بالشباب ومنهل الصبى رائق العيش هنى المورد عذب المذاق لذيذ المطعم فاذا أتى زمن المشيب كدر منهل العيش وغصص وارده بكره مذاقه وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين ومنكم من يرد الى أرذل العمر وقال تعالى ومن نعمره ننكسه فى الخلق وقرئ ننكسه بضم النون الاولى وفتح الثانية وتشديد الكاف قال الشاعر

من عاش أخلقت الايام جدته * وخانه ثقتاه السمع والبصر

أخذه ابن شرف القيروانى فقال

ومن يطل عمره يفقد أحبته * حتى الجوارح والصبر الذى عيلا

وقال الآخر
ومن يعمر يلق فى نفسه * ما يتمناه لأعدائه

وقال الآخر
طول حياة ما بها طائل * نغص عندى كل ما يشتهى
أصبحت مثل الطفل فى مهده * تشابه المبدأ والمنتهى

الله صلى الله عليه وسلم أخذه من منبه بن الحجاج يوم بدر ومخذوب ورسوب للحرث بن جبلة الغسانى وذو النون والصمصامة لعمرو بن معدى كرب وحكى ان عمر ابن الخطاب قال لعمرو ابعث لى الصمصامة فبعث به اليه فلم يره كما بلغه فقال له فى ذلك فقال انى بعثت اليك الصمصامة ولم أبعث لك باليد التى تضرب به وحكى ابو عبيدة ان الصمصامة انتقلت الى سعيد بن العاص وذلك ان خالد بن الوليد لما غزا بنى زبيد وكان خالد بن سعيد من جملة أمرائه اوقع بهم واسر ريحانة اخت عمرو ابن معدى كرب ففداها خالد وأثابه عمرو الصمصامة ثم فقد يوم الدار فى مقتل عثمان ووجد ولم يزل الى ان صعد المهدى البصرة فلما كان بواسط ارسل الى بنى العاص يطلب الصمصامة فقالوا انه فى السبيل محبسا فقال خمسون سيفا قاطعا فى السبيل أغنى من سيف واحد وأعطاهم خمسين سيفا واخذه فلما صار الى الهادى احضره وامر الشعراء بوصفه فقال بعضهم من أبيات

حاز صمصامة الزبيدى عمرو * من جميع الانام موسى الامين

فلا تلم سعي اذا خانني * ان الثمانين وبلغتها
وقال ابن واصلة من شاب قدمات وهو حي * يمشي على الارض وهو هالك
لو كان عمر الفتى حسابا * كان له شيبه فذالك
وقال أبو العلاء المعري
وأطربني الشباب غداة ولى * فليت سنيه صوت يستعاد
وقال التهامي وطري من الدنيا الشباب وروقه * فاذا انقضى فقد انقضت أوطاري
وقال الارجاني
ارى بين أيامي وشعري قد بدا * لتعجيل اتلاف خلاف فابحدد
فقد أصبحت سودا وشعري أبيضا * وعهدي بها بيضا وشعري أسود
وقال ابن افلح يعتذر عن الانحناء
قالوا انحنى كبرا فقلت سفاهة * لمقال من لم ينشد في قيله
سكن الحبيب شغاف قلبي ثاويا * فحنوت منعطفا على تقبيله
وقال الآخر يعتذر عن اللهو في المشيب
وقالوا انتبه من رقدة اللهو والصبى * فقد لاح صبح في دجاك عجيب
فقلت اخلائي دعوني ولذتي * فان الكرى عند الصباح يطيب
وقال ابن المعتز يعتذر عن المشيب
صدت سريرة وازمعت هجري * وصغت ضمائرها الى الغدر
قالت كبرت وشبت قلت لها * هذا غبار وقائع الدهر
وقال أبو تمام الطائي
رأت تبسمه فاهتاج هائجها * وقال لاعجها للعبرة انسكبي
فلا يروقك ايماض القتير به * فان ذاك ابتسام الرأي والادب
وما احسن قول ابي تمام الملقب بالحجام
ليالي كان العيش غضا يظلني * نضيرا وماء الوعد غير مشوب
وعيني قد نامت بليل شبيبتي * ولم تنتبه الا بصبح مشيبي
وقال ابن سناء الملك يعتذر عن شيب الحبيب
ماشاب من كبر ولكن شيبه * من ماء ورد الريق او مسك اللما
لا يستوي شيبي وشيب معذبي * هذاك عن ري وهذا عن ظما
وقال أيضا في شيب الحبيب
جاء في غير وقته ذلك الشيب فعفاه ثوب لثمي بذيلي
ولقد زاده جمالا وحسنا * زادوحي من الغرام وويلي
ولقد طفل المشيب وقلنا * حسن الطفل ذا المشيب الطفيلي
وقال ايضا لقد شيبتني في الزمان خطوبة * ولا عجب ان شاب من شابه الخطب
ونور شيب في عذار معذبي * ولا عجب ان نور الغصن الرطب
وقال ايضا قالوا لقد شاب الحبيب وشاب منه كل عزم

فاجبت

ما يبالي من انقضاء لضرب اشمال سطت به ام يمين ثم وصل الى المتوكل فدفعه الى غلامه باغر التركي فقتله به ومن عند باغر انقطع خبره (وجلال الحرث على النعامة فرس الحرث بن عباد التغلبي أ كبر سادات بني وائل وهو الذي اعتزل حرب البسوس وقال لا ناقة لي فيها ولا جمل فلما قتل ولده نهض حينئذ وقال
قربا مربط النعامة مني
لقحت حرب وائل عن حيال
يعني هذا الفرس ويأتزر قوله قربا مربط النعامة مني في أبيات كثيرة في هذه القصيدة وقد تقدم شيء من ذكره ويقال ان هذه الفرس كانت للحزز بن لوذان وهي التي يقول فيها يخاطب زوجته
ان الرجال لهم اليك وسيلة
أن يأخذوك تكحلي وتخضبي
وأنا امرؤ ان يأخذوني عنوة
أقرن الى سنن الركاب وأجنب
ويكون مركبك القعود وحدجه
وابن النعامة يوم ذلك مركبي
يعني انك ان أسرت كانت لك وسيلة عند الرجال من كحلك وخضابك وأنا ان أسرت جنبت الى جانب فرسي فاكون راكب ظلها قال أبو عبادة النعامة عرق في باطن القدم ولذلك يقال

فاجبت من شرهى عليشه أذوقه فى كل طعم

وقال ايضا

يا عجبا منى ومن صبوتى * فى أول العمر بشيخ هرم
وحبه والله فى مهجتى * كالشيب فى لحيته مضطرم

وقال آخر

هذا الذى أعشقه شائبا * يعنى من قبل ماعذرا
هويته مذلاح لى ورده * حتى غدا ريحانه مزهرا

وقال النور الاسعردى

لام العواذل اذ عشقت فتى له * سبعون عاما غير عام واحد
لا تعذلونى فى هواه فاننى * عاينت فيه لمحة من والدى

وقيل لبعض أهل المجون علام لاتميل الى النسوان قال أذكر بيزها أمى فاستحى فقيل له هلا تذكر بذكره أباك وهذا الشاعر أخذ هذا المعنى فعكسه وانشدنى بعض اشياخى لنفسه وقال لى لا ترووها عنى

تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد
أخو العقل يدرى مايراد من الذى * أمنت عليه من رقيب ومن صد
ألا اننى لو كنت أصبو لأمرد * صبوت الى هيفاء مائسة القد
وسود اللحى ابصرت فيهم مشاركا * فرحت انا صبابا بيضها وحدى

وانشدنى الشيخ الامام العلامة بهاء الدين محمد بن سيد الناس اجازة قال انشدنى الامام العلامة بهاء الدين بن النحاس لنفسه

قالوا حبيبك قد تبدى شيبه * فالام قلبك فى هواه يهيم
قلت أقصروا فالآن تم جماله * وبدا اشتعافتى عليه يلوم
الصبح غرته وشعر عذاره * ليل ونبت الشيب فيه نجوم

وماسمعت فى هذه المادة احسن من قول الشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل رحمه الله تعالى

شب وجدى بشائب * من سنا البدر أوجه
كلما شاب يختفى * بيض الله وجهه

وقلت أنا

عشقت شيخا بديع حسن * لام على حبه العذول
كأن ياقوت وجنتيه * للشيب فيها حبال لولو

وقال ابن حريق البلنسى فى محبوبته

ان ماء كان فى وجنتها * شربته السن حتى نشفا
وذوى العناب من أغلها * فاعادته الليالى حشفا

وقلت أنا فى مليحة أسنت

قالوا اسلها قد ذوى عناب راحتها * وأنت رهن صبابات وتضليل
فقلت لست بسال حبها أبدا * وكلما كرنش العناب يحلولى

وقال أبو نواس فى معاجلة الشيب

واذا عددت سنى كم هى لم أجد * للشيب عذرا فى النزول براسى

وقال أبو فراس الحمدانى

عذيرى من طوالع فى عذارى * ومن رد الشبيبة المستعار

للميت شالت نعامته أى ارتفعت رجلاه وقولهم ان فرس الحرث بن عباد هى فرس خرز فيه نظر فقد قيل ان خرز بعد الحرث بزمان *(ماشككت فيك ولا سترت اباك ولا كنت الاذاك) يعنى لو تجملت بهذه الذخائر لما تدلس على أمرك ولا خفى عنى نسبك الذى أعرفه قبل الآن (وهبك ساميتهم فى ذروة المجد والحسب) (وجاريتهم فى غاية الظرف والادب) المساماة المماثلة فى السمو والذروة أعلى الشئ ومنه ذروة السنام والمجد التوسع فى الكرم والجلالة وأصل المجد من قولهم مجدت الابل اذا حصلت فى مرعى كبير واسع وأمجدها الراعى والحسب ما يعده الانسان من مفاخره ويحسبه من مفاخر آبائه قال ابن الاعرابى الحسب والكرم يكونان فى المرء وان لم يكن له آباء لهم شرف والظرف الكيس والادب جمع أنواع من المحاسن مأخوذ من المأدبة وهى الجمع على الطعام والدعاء اليه ومنه سمى الادب الجامع لفنون كثيرة كالنظم والنثر والعلم والادب

وما زادت على العشرين سني * فما عذر المشيب الى عذاري

وما أحسن قول مهيار الديلمي

واذا عددت سني لم آتِ صاعدا * عدد الانابيب التي في صعدتي
والام فيك مع المشيب على الصبي * يا جور لائمتي عليك ولمتي

وما أحسن قول القائل

ألا يا ساريا في بطن قفر * ليقطع في الفلا وعرا وسهلا
قطعت نقا المشيب وبنت عنه * وما بعد النقا الا المصلى

وقال ابن نقادة

ان كان قد أضحى المشيب ظالمي لا عجبا
أترب رأسي فعلمت أن طي اقتربا
كذا الكتاب عاجلا * يطوى اذا ما أتربا

(رجع) الى ما يناسب قول الطغرائي قال ابن النبيه

فالعمر كالكاس تستحل أوائله * لكنه ربما مجت أواخره
خذ من زمانك ما أعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره

وهو مأخوذ من قول الصابي

والعمر مثل الكاس ير * سب في أواخرها القذى

ولما سمع ابن التعاويذي هذا قال

فمن شبه العمر كاسا يقر * رقذاه ويرسب في أسفله
فاني رأيت القذى طافيا * على صفحة الكاس من أوله

وقال القاضي الفاضل

اليك بعد انقضاء اللهو واللعب * عني فلم أرب ما يقتضي أربي
والعمر كالكاس والايام تمزجه * والشيب فيه قذى في موضع الحبب
أقول اذ غاص مني فيض فضته * يا وحشتا لشباب ذاهب الذهب

وقال أبو عثمان الخالدي

لقد فرحت بما عاينت من عدم * خوف القبيحين من كبر ومن بطر
وربما ابتهج الاعمى بحالته * لانه قد نجا من طيرة العور
ولست أبكي على شي منيت به * يبكي على الشيب من يأسى على العمر
وما شكرت زماني وهو يصعدني * فكيف أشكره في حال منحدر

قلت قوله لانه قد نجا من طيرة العور يشبه قول القائل

لم يكفني في الرزء خيبة مطلبي * حتى حرمت لذاذة الايناس
كالاعور المسكين أعدم عينه * واعتاض منها بغضه في الناس

وما أحسن قول الآخر

والاعور الممقوت مع قبحه * خير من الاعمى على كل حال

ويشبه هذا قول أبي الطيب

والتفنن في كل مقولة (الست تاوي الى بيت قعيدته لكاع اذ كلهم عزب خالي الذراع) القعيدة امرأة الرجل كأنها مقاعدته ولكاع اللئيمة النفس مبني على الكسر والعزب البعيد عن الزوجة مأخوذ من العازب في طلب الكلا وهو المتباعد وخالي الذراع مثل خالي اليد كناية عن الفراغ والمعنى انك جامع للمحاسن الست متزوجا وكل من شئت من هؤلاء القوم الذين يختارون صحبتي عزب فكيف أفضلك عليهم وقوله الى بيت قعيدته لكاع هو نصف بيت من شعر الحطيئة وهو قوله
أطوّف ما أطوّف ثم آوي
الى بيت قعيدته لكاع
واسم الحطيئة جرول بن أويس بن مالك العبسي والحطيئة لقب وقع عليه قيل لقصره من الارض وقيل لانه ضرط يوما فقيل له ما هذا فقال انما حطأت حطيئة وكان من اكبر شعراء المخضرمين ادرك الجاهلية والاسلام والغالب على شعره الهجاء وكان دني النفس والهمة قدم المدينة فمشى اشرافها بعضهم الى بعض وقالوا قدم علينا هذا الرجل وهو شاعر

ان كنت ترضى بان يعطوا الجزى بذلوا * منها رضاك ومن للعور بالحول

ونقلت من خط محيي الدين بن عبد الظاهر له

وأعور العين ظل يكشفها * بلا حياء منه ولا خيفه

وكيف يلقى الحياء عند فتى * عورته لا تزال مكشوفه

وقال أبو علي بن رشيق وكان أحول في نفسه وفي الطوسي الاعمى الشاعر وفي محمد بن شرف الاعور

لابد في العور من تيه ومن صلف * لانهم يبصرون الناس أنصافا

وكل أحول يلقى ذا مكارمة * لانهم ينظرون الناس أضعافا

والعمى أولى بحال العور لو عرفوا * على القياس ولكن خاف من خافا

وما أحسن قول القائل

شمس الضحى يعشي العيون ضياؤها * الا اذا رمقت بعين واحدة

فلذاك تاه العور واحتقروا الورى * فاعرف فضيلتهم وخذها فائده

نقصان جارحة أعانت أختها * فكأنما قويت بعين زائده

وقال محمد بن شرف يهجو حماما

كأنما حمامنا فقعة * النتن والظلمة والضيق

كأننا في وسطها فيشة * ألوطها والعرق الريق

فقال ابن رشيق

وأنت أيضا أعور أصلع * فصادف التشبيه تحقيق

وقد ظرف القاضي الفاضل في قوله

ما كان يكمل حز ذا الحمام حتى ازداد قبه

فكأنني فيه خرو * فشوا ومن فوقي مكبه

وما أظن القاضي الفاضل الاقصد هذا التشبيه والسبق اليه دون غيره لئلا يتخيله غيره وينظمه لانه كان أحدب قصيرا أوقص كما كان البهاء زهير يقصد مثل هذه الاشياء لما كان أسود قصيرا شيخا فيندب على نفسه ولا يدع أحدا يسبقه الى مثل ذلك وحكاياته في ذلك مشهورة وحكى القاضي السعيد أبو المكارم أسعد بن خطير بن مماتي قال دخلت يوما على القاضي الفاضل رحمه الله تعالى فوجدت بين يديه أترجة كبيرة مفرطة في الضخامة وهي من الاترج الشعبي فلما جلست حدقت اليها واتفق فكر وذهول فأخذ رحمه الله يتبادر على نفسه وقال يا مولاي الاسعد ما هذه الفكرة الطويلة ما أنت مفكر الا في خلق هذه الاترجة وما فيها من التكتيل والتعوج وتعجب من المناسبة لها وكيف اتفق الجمع بيننا وبينها فدهشت وانخلع قلبي مني خوفا ثم رجع الى خاطري فقلت لا والله بل أفكر في معنى وقع لي فيها ويسر الله أن نظمت فيها

لله بل للحسن أترجة * تذكر الناس بأمر النعيم

كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبد الرحيم

قال فأعجباه واستحسنهما وانقطع الحديث قلت ولو صحف الفاضل رحمه الله تعالى قوله هيبة بهيئة بالياء آخر الحروف لتم له الذي أراده من ابن مماتي وتمت له الحجة التي قصد تركيبها

والشاعر يظن فيحقق فيأتي الرجل منكم فان اعطاه جهد نفسه وان حرمه هجاه فاجمع رأيهم على أن يجعلوا له شيأ من بينهم فجمعوا له أربعمائة دينار وأتوه وقالوا هذه صلة آل فلان وآل فلان وآل فلان فأخذها وظنوا انهم كفوه عن المسئلة فاذا هو يوم الجمعة قد استقبل الامام قائلا من يحملني على نعلين كفاه الله كبة جهنم

وحكى أبو عبيدة قال مضى الحطيئة الى عبيد بن النهاس فسأله فقال ما أنا على عمل فأعطيك ولا في مالي فضلة عن قومي فقال له ولا عليك ثم انصرف فقال بعض قومه عرضتنا ونفسك للشر فقال كيف قالوا هذا الحطيئة وهو هاجينا أخبث هجاء قال ردوه فردوه اليه فقال كتمتنا نفسك كأنك تريد العلل علينا اجلس ولنا عندك ما يسرك فجلس فقال له من أشعر الناس فقال الذي يقول

ومن يجعل المعروف من دون عرضه
يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

فقال عبيد هذا والله من مقدمات أفاعيك ثم قال لوكيله اذهب به الى السوق فلا يطلب شيأ الا اشتريته فجعل يعرض عليه الخز والرقيق من الثياب فلا يريدها

وهذا من غريب الاتفاق وقال جبلة بن الايهم فى واقعته المشهورة مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لوصبرت لها ضرر
تكنفنى فيها لجاج ونخوة * وبعت لها العين الصحيحة بالعور

قال أبو الحسن بن سيده فى المحكم اراد العوراء فوضع المصدر موضع الصفة ولو اراد العور الذى هو العرض لقابل الصحيحة وهو جوهر بالعور وهو عرض وهذا قبيح فى الصنعة وقد يريد العين الصحيحة بذات العور فحذف وكل هذا يقابل الجوهر بالجوهر لان مقابلة الشئ بنظيره أذهب فى الصنعة وأشرف فى الوضع وما أحسن قول بعض المغاربة فى مليح أعور

بركات يحكى البدر عند تمامه * حاشاه بل بدر السماء يحكيه
لم تذو احدى زهرتيه وانما * كملت بذاك بدائع التشبيه
فكأنه رام يغمض طرفه * ليصيب بالسهم الذى يرميه

ومن نظم أبى الفتح بن جنى وكان أعور رحمه الله تعالى

صدودك عنى ولا ذنب لى * دليل على نية فاسده
فقد وحياتك مما بكيت * خشيت على عينى الواحده
ولولا مخافة ان لا أرا * ك لما كان فى تركها فائده

وقال بعضهم وكان أعور من اليمنى فمشى الى جانبه أعور من اليسرى

ألم ترنا اذ اسرنا جميعا * الى الحاجات ليس لنا نظير
أسايره على يمنى يديه * وفيما بيننا رجل ضرير

وقال الباخرزى

ولا تحسبوا ابليس علمنى الخنا * فانى بمنه بالفضائح أبصر
وكيف يرى ابليس معشار ما أرى * وقد فتحت عيناى لى وهو أعور

(فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وأنت يكفيك منه مصة الوشل)

(اللغة) فيم تقدم الكلام عليها فى قوله فيم الاقامة بالزوراء البيت اقتحامك قحم الامر قحوما رمى بنفسه من غير روية والمقحمة بالضم المهلكة فاقتحم افتعل منه اقتحاما اللج معظم الماء وكذلك اللجة تركبه أى تعلوه يكفيك كفاه يكفيه كفاية أغناه واكتفيت به واستكفيته الشئ فكفانيه مصة مصصت الشئ أمصه مصا وكذلك امتصصته وهو فعل بالشفتين على مهل وفى الحديث مصوا الماء مصا ولا تعبوه عبا الوشل بالتحريك الماء القليل وفى المثل وهل فى الرمل أوشال (الاعراب فيم) أصله فيما وقد تقدم الكلام عليه فى قوله فيم الاقامة البيت (اقتحامك) مصدر اقتحم وهو مرفوع على أنه مبتدأ أو الخبر تقدم فى الجار والمجرور ولانه تضمن الاستفهام وله صدر الكلام والكاف فى موضع جر بالاضافة فى اللفظ وهى فى موضع الرفع بالمعنى لانه فاعل المصدر الذى أضيف اليه (لج) منصوب على انه مفعول به للمصدر (البحر) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام (تركبه) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم والهاء ضمير يعود الى البحر أو الى اللج وهو فى موضع نصب لتركبه والفاعل ضمير يرجع الى المخاطب والجملة من الفعل والفاعل والمفعول فى موضع نصب على الحال تقديره فيم

اقتحامك

فيعرض الا كسية الغلاظ والكرابيس فيشترى بها ثم مضى فلما جلس عبيد فى نادى قومه أقبل الحطيئة وقال

سئلت فلم تبخل ولم تعط طائلا
فسيان لا ذم عليك ولا حمد

ثم ركض فرسه وولى وحكى ان الزبرقان بن بدر كان عاملا على صدقات قومه فورد فى سنة مجدبة على عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليؤدى ما اجتمع من الصدقة فلقى الحطيئة ومعه زوجته وبناته فقال له الزبرقان وقد عرفه ولم يعرفه الحطيئة اين تريد قال العراق فقد حطمتنا هذه السنة قال وما تصنع قال وددت ان اصادف بها رجلا يكفينى مؤنة عيالى واصفيه مدحى ما حييت فقال له الزبرقان فهل لك فى من يوسعك لبنا وسمنا ويجاورك أحسن جوار فقال الحطيئة هكذا وأبيك العيش فقال قد أصبته قال عند من قال عندى قال من أنت قال الزبرقان ابن بدر قال فاين محلك قال اركب هذه الابل واستقبل مطلع الشمس واسأل عن القمر يريد الزبرقان فانه من أسماء القمر وسمى به لحسنه وسر الى أم هند بنت صعصعة يعنى زوجته ففعل وأكرمته المرأة فبلغ ذلك بغيض بن

اقتحامك لج البحر واكباله (وأنت) الواو للابتداء وأنت ضمير مرفوع بالابتداء (يكفيك) فعل مضارع لتجرده من الناصب والجازم وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الياء لانه معتل الطرف لا يظهر فيه غير النصب والكاف في موضع نصب على المفعولية ليكفي وهو ضمير المخاطب والجملة في موضع رفع على انها خبر لأنت تقديره وأنت كافيك (منه) من هنا للتبعيض وهي متعلقة بيكفي والهاء مجرورة بها وهذا الضمير يرجع الى البحر فان قلت هل يجوز أن يعود الضمير الى اللج كما قلته في تركيبه قلت لا يجوز ذلك لان اللج داخل البحر فلا بد من اقتحام اللج وركوب البحر حتى يصل الى اللج فيناقض هذا الاعراب المراد من البيت وهو يريد الانكار عليه في اقتحامه اللج لان القليل من البحر يكفيه منه المصة وهذا موجود في أقل جزء منه في الساحل (مصة) مرفوع على انه فاعل يكفي (الوشل) مجرور بالاضافة المعنوية المقدرة باللام وقوله وأنت يكفيك منه مصة الى آخره جملة حالية (المعنى) لاى شئ تقتحم البحر وتركب لججه وتصبر على أهوالها والغرض في الشاطئ لان المقصود شربة تمصها من الماء القليل لتسد عطشك وتروى ظمأك وهذا موجود في أى نغبة تمصها من أى نهر كان يعني فما المراد من الدنيا الا قيام الصورة لا غير وهو ما يقوم بهذا الجسد من المأكل والمشرب والملبس وهذا سهل يحصل بادنى تحصيل وأخف تكسب ولا يضطر مع هذا الى ركوب الاخطار ومكابدة الاهوال ومقاساة المشاق ومعاناة المتاعب

ومراد النفوس أحقر من ان * يتعادى له وان يتعانى

قيل ان الخليل بن أحمد رحمه الله أتى اليه رسول الخليفة يطلبه وهو جالس يبل خبزا يابسا في ماء فاذا انتقع أكله فقال له أجب أمير المؤمنين فقال له مادمت أجد هذا فاني لا احتاج اليه وقد أخذ الطغرائي يريض نفسه ويسكن سورة غضبها بعد أن كان قد ثار واحتدم واحتد واضطرم وهذا هو الصحيح لان الامر أقل من هذا العناء كله وما أحق هذا المقام أن ينشد فيه قول القائل

ما الجزع أهل ان تردد نظرة * فيه وتعطف نحوه الاعناق

ومن كلام ابن سناء الملك رحمه الله تعالى سئمت من معانقة الآمال ومضاجعة الاماني وبرمت بمعاناة من عناني وأعياني ومللت صحبة الانتظار الذي أظماني وأضناني ورثيت لعيني من رؤية من يراني وكأنه ما يراني وعزمت على ان أتخلى واستريح وأسير وأسيح وأسكن الى كل راحة وأقلع بكل ريح وأضع يدي في يد الزمان وأطلب منه الامان وأتوب اليه من التحذلق عليه فانه سبب الحرمان فالامور مقدره والدنيا مكدره والاشياء لها غايات وللحاجات أوقات ويعجبني قوله نظما

تدعى العقل وهو أشرف ما فيك ولم صار داخلا تحت حسك
وكذا حبك الحياة وقد أصبحت لا تشتهي سوى طول حبسك
طلق النفس فهي أخون عرسيك أليست هي المشير بعرسك
واذا اختال فوق أرضك منك العطف فاذكر هوانه تحت رمسك
لا تغالط فما تنال رضى الله تعالى الا باغضاب نفسك
ما أهان الورى ولا ملك الدنيا ولا حازها سوى المتنسك

عامر بن شماس وكانوا يناسبون الزبرقان فأرادوه على جوارهم فأبى فدسوا الى امرأة الزبرقان انه يريد أن يتزوج مليكة ابنة الحطيئة وكانت جميلة فقصرت في حق الحطيئة وظهر له منها الجفاء فانتقل الى بني شماس فضربوا له قبة وضربوا له أثاثا وربطوا له بكل طنب حلة واراحوا عليه ابلهم وكسوه ثم ورد الزبرقان فقال ردوا على جاري فابوا وكاد يكون بينهم حرب فقال اهل الراى منهم خيروه ففعلوا ذلك فاختار بغيضا فصار يمدحهم وهم يطلبون منه هجاء الزبرقان فيمتنع الى أن ارسل الزبرقان الى رجل من النمر فهجا بغيضا فحينئذ قال الحطيئة يهجو الزبرقان ويناضل عن بغيض

والله ما معشر لاموا امرأ جنبا
في آل لاي بن شماس باكياس
لما بدا لي منكم غش أنفسكم
ولم يكن لجراحي منكم آسي
ازمعت يأسا مبينا من نوالكم
ولن ترى طاردا للحر كالياس
دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي
من يفعل الخير لا يعدم جوازيه
لن يذهب العرف عند الله والناس

قلت ما أحلى ما أتى بالمتنسك هنا قافية فسقى الله ضريحه وروّح روحه وما كان ألطف ذوقه وأشب عمره الذي جعل الهلال طوقه وهذه القافية لا يجيزها العروضيون ويحتجون بان الكاف أصلية وليست ضميرا كأخواتها وأنا وغيري من أئمة الادب الذين لطف ذوقهم يرون ان هذه القافية بين نجوم القوافي كالشمس وهي التي فيها خفة الروح وما عداها فيه ثقل الرمس لانها قليلة الوقوع في الكلام بخيلة بالزيارة ورد السلام قل أن يظفر الناظم من هذا النوع بقافية ويجد لها ثانية والاستقراء أمامك فاطلب لها أختا واسلك من أرض اللغة عوجا وأمتا فان وجدت فبعد جهد وتعب في النظم والنثر يؤديانك الى الزهد بخلاف أخواتها البواقي لانك تجد أمثالهن في مطالع اللغة رواقي يعرف هذا القول أربابه ومن بيني وبينه نسبة أو تشابه وقال أبو العز مظفر الاعمى دخلت على الملك الكامل فقال لي أجز هذا النصف قد بلغ الشوق منتهاه

فقلت *وما درى العاشقون ماهو*
فقال *وانما غرهم دخولي*
فقلت *فيه فهاموا به وتاهوا*
فقال *ولي حبيب يرى هواني*
فقلت *وما تغيرت عن هواه*
فقال *ياضة النفس في احتمالي*
فقلت *وروضة الحسن في حلاه*
فقال *أسمر لدن القوام *ألمى*
فقلت *يعشقه كل من يراه*
فقال *ريقته كلها مدام*
فقلت *ختامها المسك من لماه*
فقال *ليلته كلها رقاد*
فقلت *وليلتي كلها انتباه*

ثم ان مظفرا أكلها مديحا فيه وقد أوردت هذا الشعر لان فيه قافيتين لا يجوزان على رأي أرباب العروض وهما أحسن ما في هذه القوافي الاولى ماهو والثانية انتباه انظرهما تجدهما أحسن القوافي ولو تركنا والعقل لكان ينبغي ان لا تعد القوافي الا اذا كانت غير متصلات بضمير مخاطب أو غائب أو متكلم لان في ذلك شيأ من الايطاء وما أحسن قول ابن سناء الملك من قصيدة

فخذ الحديث عن المدا * مع فهي تروي عن قتاده
الى بديهي الدمو * ع وان دمعي لا يساده

وقول ابن بابك من أبيات

هو الربع يخرس ان شمته * وان سمته خبرا خبرك
فلا ترعدنك دواعي الهوى * فطود المهابة قد وقرك
كأن لساني قد ساقه * الى الجد أخذك ما قد ترك

فاستعدى عليه الزبرقان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال عمر للزبرقان ما أرى هجوا ولكن معاتبة فقال الزبرقان أما تبلغ مروءتي الا أن آكل وألبس فقال عمر رضي الله عنه علي بحسان فجيء به فسأله أهجاه قال لا بل سلح عليه بعد ان أكل الشبرم فامر عمر بقطع لسان الحطيئة ليرهبه فقال يا أمير المؤمنين والله لقد هجوت أبي وأمي وزوجتي ونفسي فضحك عمر وقال ما قلت قال قلت في أبي وأمي

ولقد رأيتك في النساء فسؤتني
وأبا بنيك فساءني في المجلس

وقلت في زوجتي

أطوف ما أطوف ثم آوي
الى بيت قعيدته لكاع

وقلت في نفسي

أرى لي وجها قبح الله خلقه
فقبح من وجه وقبح حامله

فامر به عمر فحبس في بئر وغطاه فقال

ماذا تقول لافراخ بذي مرخ
حمر الحواصل لا ماء ولا شجر
ألقيت كاسبهم في قعر مظلمة
فاغفر عليك سلام الله يا عمر

فاخرجه ثم قال اياك وهجاء الناس قال اذا تموت عيالي جوعا فقال اياك والمقذع قال وما هو قال ان تخاير بين الناس قال أنت والله أهجى مني فسلمه الى

غبار تصدع عن فارس * يقطر من قسطل المعترك

نقلت هذه الابيات من ديوان بخط ابن خروف النحوي والقصيدة مثبتة في حرف الراء وجدت ابن خروف قد كتب على الهامش هذا البيت في قافية الكاف والذي بعده وترك والمعترك في قافية الراء وهو غير جائز ويجوز الكل في قافية الكاف وما احسن قول محاسن الشواء

فضلت الورى في الحلم والعلم يافعا * ويظهر حسن الشئ مع قبح ضده

فكم من معان مشكلات شرحتها * تلجلج نطق المصقع المتبده

وقال ابن نباتة السعدي

لأسكنن الثرى للعدم معتنقا * وماء وجهي به أصفى من المقل

بذلته لنيوب الاسد تأكله * كيما أعيش بعرض غير مبتذل

وقال أبو فراس بن حمدان

ان الغني هو الغني بنفسه * ولوأنه عاري المنا كب حافي

ما كل مافوق البسيطة كافيا * فاذا قنعت فكل شئ كافي

وقال ناصر الدين بن النقيب

ليس من بات معتقا لامانيه كمن بات للاماني رقا

ان للمرء في الحياة على الله أن يموت قوتا ورزقا

خانى من حديث كدوسعي * واضطراب في الارض غربا وشرقا

ما الذي أقتنيه من عرض يفنى اذا كان جوهري ليس يبقى

وقال الشريف أبو الحسن العقيلي

وقائل ما الملك قلت الغنى * فقال لا بل راحة القلب

وصون ماء الوجه عن بذله * في نيل ماينفد عن قرب

(ملك القناعة لا يخشى عليه ولا * يحتاج فيه الى الانصار والخول)

(اللغة) القناعة الرضى بالقسم وقد تقدم الكلام عليه في قوله والدهر يعكس آمالي البيت يخشى يخاف عليه يحتاج يضطر و يفتقر الانصار الذين ينصرون و يساعدون على الاهوال والانصار الذين نصروا النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة الى المدينة شرفهما الله تعالى وآووه وحاربوا معه أعداءه وآووا الذين هاجروا معه اليهم وآخوهم والمهاجرون الذين هاجروا معه صلى الله عليه وسلم من أهل مكة وهم الذين تركوا ديارهم وأوطانهم وأولادهم واهلهم وأموالهم وتغربوا معه وهم بلاشك أفضل والانصار يلونهم في الفضيلة لانهم تلقوه بالرحب والسعة والبشر والقبول ونصروه وأعانوه على بلوغ مارامه من ابلاغ الرسالة واظهار الدين القيم ولهذا قال صلى الله عليه وسلم الانصار كرشي وعيبتي فالانصار لقب يقع على قبيلة الاوس والخزرج ابني حرثة بن ثعلبة العنقاء لقب بذلك لطول عنقه ابن عمرو مزيقيا لقب بذلك لانه كان يمزق عنه كل حلة لئلا يلبسها أحد بعده ابن عامر بن ماء السماء لقب بذلك لسماحته وبذله كأنه ناب مناب المطر ابن حرثة الغطريف ابن امرئ القيس البطريق لقب بذلك لانه أول من استعان به بنو اسرائيل من العرب بعد بلقيس فبطرقه رجعيم بن سليمان بن داود بن ثعلبة بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت مالك بن زيد بن كهلان بن سبا

الزبرقان فشد في عنقه حبلا فعارضته غطفان وسالته أن يهبه لهم ففعل ثم اشترى منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه أعراض الناس بثلاثة آلاف درهم ولم يزل مقيما بالبادية الى ان توفي في خلافة عمر رضي الله عنه ولما حضرته الوفاة قالوا له يا أبا مليكة أوص فقال ويل للشعر من راوية السوء فقالوا له أوص يرحمك الله قال أبلغوا أهل امرئ القيس أن صاحبهم أشعر الناس بقوله فيا لك من ليل فقالوا له أوص فقال

الشعر صعب وطويل سلمه
اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلت به الى الحضيض قدمه

قالوا ألك حاجة قال لا ولكن أخشى على المدح الجيد يمدح به من ليس له أهلا قالوا توصي للفقراء بشئ فقال بالالحاح في المسئلة فانها تجارة لن تبوروا ست المسؤل أضيق ثم مات ومن محاسن شعره قوله

جزى الله خيرا والجزاء بكفه
على خير مايجزي الرجال بغيضا
فلو شاء اذ جئناه ضن فلم يلم
وصادف منا في البلاد عريضا

هذا معنى حسن غريب يقول كثرت محاسنه فاستغنى أن يكثر مادحيه وانه لومنع أو أساء اساءة واحدة لكانت له في البلاد حسنات كثيرة

ابن يشجب بن يعرب بن قحطان وأنشدني بعض الافاضل لقاضي القضاة نجم الدين أحمد بن صصرى الثعلبي أبياتا منها

وما لي أنصار سوى فيض أدمعي * اذا بات من أهواه وهو مهاجر

و يعجبني قول ابن سناء الملك رحمه الله تعالى

أناجد انصار النبي لانني * ياأشهل العينين عبد الاشهل

(رجع) الخول خول الرجل حشمه الواحد خائل وقد يكون الخول واحدا وهو اسم يقع على العبد والامة قال الفراء جمع خائل وهو الراعي وقال غيره مأخوذ من التخويل وهو التمليك (الاعراب ملك) مرفوع على انه مبتدأ (القناعة) مجرور بالاضافة (لا) حرف نفي وهو وما دخل عليه في موضع الرفع لانه خبر المبتدا تقديره ملك القناعة غير مخشي عليه (يخشى) فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم ورفعه ضمة مقدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما كتب بالياء لانه من خشيت وهو مغير لم يسم فاعله (عليه) على للاستعلاء معنى والهاء مجرور به وهو في موضع رفع لانه سد مسد مفعول مالم يسم فاعله (ولا) الواو عاطفة عطفت الجملة الفعلية على مثلها الاحرف نفي (يحتاج) فعل مغير لما لم يسم فاعله والكلام فيه كالكلام في يخشى (فيه) في للظرف والضمير مجرور به وهو راجع الى الملك والجار والمجرور متعلق بالى والكلام في قوله فيه كالكلام في عليه (الى) حرف جر وهو لانتهاء الغاية (الانصار) مجرور بالى (والخول) معطوف على الانصار (المعنى) ان القناعة صاحبها ملك لانه في غنى عن الناس وفي ملكها مزية على ملك ماسواها من أمور الدنيا وهي انها غير محتاجة الى خدم ولا انصار ولا عساكر يحفظونها ولا يخشى عليها من زوال ولا اغتصاب لان ملوك الدنيا يحتاجون الى الخول والانصار للخدمة والحفظ والاحتراز على نفوسهم من الاعداء والى العساكر ليحفظوا ثغور البلاد وحدود الممالك من العدو الذين يتغلبون عليها ويضطرون الى أموال ينفقونها في العساكر ليمونوهم بذلك ثم هم مع ذلك الهم والفكرة في تحصيل الاموال وتدبير الرعايا في خوف وخشية من زوال الملك اما بغلبة العدو واما بخروج أحد من الرعايا من الطاعة واما بوثوب أحد من حشمهم وخدمهم وأقاربهم عليهم أو اطعامهم السم الى غير ذلك من الآفات والمخافات وحكي ان خالد بن برمك جد البرامكة لما طلبه السفاح أو المنصور ليقلده الوزارة دخل عليه فلما وقع نظره عليه قال أخرجوه وغضب عليه وكان كثير التطلع الى رؤيته فعجب الحاضرون من ذلك وعبا انه أمر بقتله فقال يا أمير المؤمنين علام تقتلني قال لانك دخلت علي ومعك السم فقال يا أمير المؤمنين حاش لله وانما نحن معتادون بخدم الملوك ونخشى بادرتهم في وقت غضب فمسك أحدنا ويعذب ونخاف طول العذاب فنضع لاجل ذلك تحت فص الخاتم سما فاذا رأينا ذلك امتص أحدنا ذلك ليموت خوفا من تطويل العذاب فعفا عنه وقلده الوزارة ثم قال له يا أمير المؤمنين من أين علمت ان السم معي قال انه في ساعدي دملجان اذا حصل في المكان الذي أنا فيه سم انتطحا في ساعدي فمن هنالك علمت ذلك قلت كذلك وجدتها مسطورة بهذا المعنى وفي انتطاح الدملجين بعد كثير من العقل ولكن قال أصحاب الخواص ان قرن الحية اذا قارب الطعام المسموم عرق والله أعلم (رجع) وملك القناعة منزه عن هذه المشاق المتعددة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم آمنا في سربه

تكفيه ولا يصدق هاجيه

ومن محاسن شعره قوله

في غير مفراح اذا الخير مسه
ومن نكبات الدهر غير جزوع
كثير الندى ان تأته بصنيعة
الى ماله لم تأته بشفيع

وقوله في أبي موسى الاشعري

وجحفل كسواد الليل منتجع
أرض العدو بؤس بعد انعام
من كل اجرد كالسرحان أبرزه
مسح الاكف وسقي بعد اطعام
مستحقبات روايا جحافلها
يسمو بها أشعري طرفه سامي

الروايا الابل التي تحمل الاثقال تجنب الخيل اليها فتضع جحافلها على اعجاز الابل مكان الحقائب لطولها فكأنها مستحقبة لها وكان الحطيئة قد سأل أبا موسى أن يكتبه في الجيش فقال تمت العدة فمدحه بهذه القصيدة فكتبه فبلغ عمر فلامه على ذلك فقال اشتريت رضى منه فقال أحسنت وقوله

وفتيان صدق من عدي عليهم
صفائح أخرى علقت بالعواتق
اذا ما دعوا لم يسألوا من دعاهم
ولم يمسكوا فوق القلوب الخوافق

(وقوله)

سيري أمام فان المال يجمعه
سيب الاله واقبالي وادباري

معافى بدنه معه قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس واعمل بما افترض الله عليك تكن أعبد الناس واجتنب ما حرم الله عليك تكن أورع الناس ومن كلام ابن المعتز الزهد في الدنيا الراحة العظمى ومنه طلاق الدنيا مهر الجنة وكان أبو حاتم يقول انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما أمس فلا يجدون لذته وأنا وإياهم في غد على وجل وانما هو اليوم فما عسى ان يكون هذا اليوم وأخذ هذا الكلام أبو العتاهية فقال

حتى متى نحن في الايام نحسبها * وانما نحن فيها بين يومين
يوم تولى ويوم نحن نأمله * لعله أجلب الايام للحين

وقال أبو الفتح البستي وفيه جناس

قد مر أمس ولم يعبأ به أحد * من التواعو بوس مر أم رغد
وعندي اليوم قوت استعف به * وان بقيت غدا أصلحت أرغد

وقال ابن عنين

الرزق يأتي وان لم يسع صاحبه * حتما ولكن شقاء المرء مكتوب
وفي القناعة كنز لا نفاد له * وكل ما يملك الانسان مسلوب

وذكرت هنا ما ذكره ابن مسدي في معجمه في ترجمة أبي طالب محمد بن علي بن علي بن الخيمي الكاتب قال سمعته يقول وليت حوران في قديم الزمان وكنت كثير الجوار لقبور بني أيوب فأصابني ضيق فرأيت في النوم كأن في قبورهم قبر شمس الدولة فقصدت اليه فوجدت قبرا عظيما مفتوح الباب وهو فيه مسجى بكفنه ومعي قصيدة امتدحه بها فأنشدته اياها فلما فرغت من انشادي استترعني في زاوية القبر وأخذ كفنه فرمى به الي فرأى في وجهي أثر الندم والانكسار فعرف ذلك مني فأنشدني

لا تستقلن معروفا سمحت به * ميتا وأمسيت منه عاري البدن
ولا تظنن جودي شابه بخل * من بعد بذلي ملك الشام واليمن
اني خرجت من الدنيا وليس معي * من كل ما ملكت كفي سوى كفني

(رجع) قال ابن الساعاتي

كفى علو الارض جهلا حذارهم * وان ملكوا أن يسلب الملك عنهم
وهب جعلوا ما في المعادن جلة * رهائن أكياس تشد وتختم
فلم يبق دينار سوى الشمس لم ينل * ولم يبق غير البدر في الناس درهم
أليس أخو الطمرين في العيش فوقهم * اذا بات لا يخشى ولا يتوهم

وهو مأخوذ من قول محمد بن غالب من رصافة بلنسية

صون الفتى وجه أبى لهمته * فما ازالتها في الموقف الزاري
قنعت فامتد مالي فالسماء يدي * وبدرها درهمي والشمس ديناري

وأخذه شمس الدين بن الآمدي فعكس أصل المعنى وقال

وما يستوي من راح في الناس ساريا * وآخر في قطع من الليل مظلم
ولم يستقم للمرء يوما وليلة * بلا شمس دينار ولا بدر درهم

نمري الى ضوء أحساب أضا لها
كما أضاءت نجوم الليل للساري
(وقوله)
أتت آل شماس بن لاي وانما
أتاهم بها الاحلام والحسب العد
أقلوا عليهم لا أبا لابيكم
من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا
أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنا
وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا اشدوا
وان كانت النعماء فيهم جزوا بها
وان أنعموا لا كدروها ولا كدوا
وان قال مولاهم على جهل حادث
من الدهر ردوا فضل أحلامكم ردوا
شياطين في الهيجاء مكاشيف للدجى
بنى لهم آباؤهم وبنى الجد
وتعذلني أبناء سعد عليهم
وما قلت الا بالذي علمت سعد

(وأين من انفرد به ممن لا غاب الاعلى الاقل الاخس منه)
هذا تفسير لما تقدم من الكلام بان الذي تنفرد به العزب والذي يغلب على الاقل منه المتزوج والغلب الاستيلاء على الشئ كانها لا تستولى الاعلى فضل

وقال أبو اسحق الغزى

لا تحسبن لمن يهوى و يصعدنى * دنياه فالناس فى أرجوحة القدر

واقنع بعاقل فالاوشال صافية * ولجة البحر لا تخلو من الكدر

وقال أيضا

ياطالب الرزق فى الدنيا بحيلته * ان القناعة أضحت حلية الحيل

لا تحقرن طفيف الرزق وارض به * ما الغمر مجتمع الامن الوشل

وقال الحريرى اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا

فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا

فان اراقة ماء الحيا * ة دون اراقة ماء المحيا

وقال بعض الشعراء

اقنع بأيسر شئ أنت نائله * واصبر ولا تتعرض للولايات

فما صفا النيل الا وهو منتقص * ولا تكدر الا فى الزيادات

وقال بن طباطبا العلوى

كن بما أوتيته مغتبطا * تستدم عمر القنوع المكتفى

ان فى نيل المنى وشك الردى * وقياس القصد عند الشرف

كسراج دهنه قوت له * فاذا غرقته فيه طفى

وقال آخر وهو أحسن لاختصاره وجناسه

خذ من العيش ما كفى * فهو ان زاد أتلفا

كسراج منور * ان طفا دهنه انطفا

وقال أمين الملك بن أبى حفص المنشى

لعمرك ان فضول المعاش * بذموم اعقابها لايفى

فان تك قد نلت قدر الكفاف * وصرت بميسوره تكتفى

فلا يحسدنك الا الملوك * لان القناعة ملك خفى

وقال عبد الحميد بن عبدون

يادهر ان توسع الاحرار مظلمة * فاستغنى ان غيلى غير مغروب

ولا تخل انى القاك منفردا * ان القناعة جيش غير مغلوب

وقال مؤيد الدين الطغرائى

لا تلتمس فضل الغنى انه * متلفة يشقى بها الحر

أما ترى المرء له عبرة * فى صدف أهلكه الدر

قال ابن النحوى لما قدم أبو تمام قال له أبى ما أفدت فى سفرتك هذه قال أربعمائة ألف درهم وأربعة أبيات أحب الى من المال قال أنشدنى اياها قال أنشدنى أبو نواس الحسن بن هانئ لنفسه

انى وما جمعت من صفد * وحويت من سبد ومن لبد

همم تصرفت الخطوب بها * فنزعن من بلد الى بلد

ياويح من حسمت قناعته * سبب المطامع عن غد فغد

ما بقى من زوجته

(وكم بين من يعتمدنى بالقوة الظاهرة والشهوة الوافرة والنفس المصروفة الى واللذة الموقوفة على)

كل هذه الالفاظ كناية عن كثرة النكاح المحبب للنساء حكى بعض الغزاة مع قتيبة قال لما فتحنا بلد كذا من الروم سبيت امرأة منهم فواقعتها فى ليلة سبع مرات فقالت أكل العرب تفعل هذا قلت نعم قالت صدقت بهذا العمل نصروا علينا

(وبين آخر قد نضب غديره ونزحت بيره وذهب نشاطه ولم يبق الاضراطه)

الكلام معطوف على ما قبله وهذه الالفاظ كناية عن عجز الرجل عن النكاح اذا شاخ وضعف وهو مأخوذ من قول بعض العرب وقد أسن وسئل عن حاله فقال والله لقد ذهب منى الاطيبان وهم الجماع والنوم وبقى فى الارطبان وهما السعال والضراط

(وهل يجتمع لى فيك الا الحشف وسوء الكيلة)

يعنى لو وصلتك لاجتمع على سوء منظرك وسوء مخبرك وهذا مثل للعرب يضرب فى الخلتين السيئتين يجتمعان ويقال انه لعمرو بن

لولم

لولم يكن لله متهما * لم يمس محتاجا الى أحد

و يروى عن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما

أغن عن المخلوق بالخالق * تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله * فليس غير الله بالرازق
من ظن ان الناس يغنونه * فليس من مولاه بالواثق
أوظن ان المال من كسبه * زلت به النعلان من حالق

وقال ابن أبى الصقر الواسطى

كل رزق ترجوه من مخلوق * يعتريه ضرب من التعويق
وأنا قائل واستغفر الله مقال المجاز لا التحقيق
لست أرضى من فعل ابليس شيئا * غير ترك السجود للمخلوق

وحكى ان أبا تمام لما دخل الى الحضرة وأقام بها مدة عزم على الانحدار الى البصرة وقيل الى واسط فورد عليه كتاب عبد الصمد بن المعذل وفيه

أنت بين اثنتين تبرز للنا * س وكلتاهما بوجه مذال
لست تنفك راغبا فى وصال * من حبيب أو طالبا لنوال
أى ماء لحر وجهك يبقى * بين ذل الهوى وذل السؤال

فكر راجعا وقال لا أدخل بلدا فيها مثل هذا الشاعر على أن هذه الابيات اختلف الرواة فى قائلها وفى أسبابها وذكرت هنا قول مجير الدين محمد بن تميم الاسعردى وان لم يكن من هذا الباب ومن خطه نقلت

أنت بين اثنتين يا نجل يعقو * ب وكلتاهما مقر السياده
لست تنفك راكبا عود عبد * مسبطر أو حاملا خف غاده
أى ماء لحر وجهك يبقى * بين ذل البغا وذل القياده

وقال قاضى القضاة نجم الدين بن العديم رحمه الله تعالى رأيت فى نومى كأنى داخل الى بلدة صغيرة فقيل لى ان نجم الدين محمد بن اسرائيل كاتب عندوا اليها فعملت فى النوم ارتجالا

الى كم ذا تغربك الليالى * وتبدى منك حالا بعد حال
فطورا شيخ زاوية وفقر * وطورا كاتبا فى باب وال

وقال السراج الوراق ومن خطه نقلت

مالى اذل وللقناعة عزة * أنجو بها من ذلة وهوان
وأصون وجهى أن يذل لأوجه * منحوتة من عالم الصوان
والقوم كالاصنام والاسلام * نزهنى عن الاصنام والاوثان

وقال أبو عبد الله الحسين المنعوت بالبارع وقد تقدم

قد تعففت واقتنعت بتدفيـ * ع زمانى وقلت انى وحدى
لالانى أنفت مع ذا من الكد * ية أين الكرام حتى أكدى

ومن هذه المادة قول عمارة اليمنى

وأحق الانام بالذم جيل * بين أبنائه كريم يهان

معدى كرب والحشف أردى التمر والكيلة فعلة من الكيل وهى تدل على الهيئة نحو الجلسة والركبة فاعلم ذلك *(ويقترن على بك الا الغدة والموت فى بيت سلولية)* هذا مثل آخر فى معنى الاول وقائله عامر بن الطفيل عند ما توعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا عليه وقال اللهم اكفنى عامرا بما شئت فظهر فى رقبته غدة مات منها فى بيت امرأة من سلول وجعل يقول غدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وقد تقدم خبره *(تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال)* هذا البيت لابى العتاهية واسمه اسمعيل بن القاسم ابن سويد مولى عنزة ومنشأه

أصبح الجود قصة عند قوم * مستحيل في حقها الامكان
كذبوني بواحد يهب الالـ * ـف واني من السماع العيان

قلت هذا على أنه القائل في رثاء أهل القصر في قصيدته اللامية أتيت مصر فأوانني خلائفها البيتين وقد تقدم وقال أبو الرضى الفضل بن منصور الظريف

ياقالة الشعر قد نصحتكم * ولست أدهى الامن النصح
قد ذهب الدهر بالكرام وفي * ذاك أمور طويلة الشرح
صونوا القوافي فما أرى أحدا * يعثر فيه الرجاء بالنجح
وان شككتم فيما أقول لكم * فكذبوني بواحد سمح

وحكى صاحب الاغاني عن مخارق قال لقيت أبا العتاهية على الجسر فقلت له يا أبا اسحق أنشدني قولك في تبخيل الناس كلهم فضحك وقال هنا قلت نعم فأنشدني

ان كنت متخذا خليلا * فاستنق واتخذ الخليلا

وساق الابيات صاحب الاغاني ومنها

فاضرب بطرفك حيث شئـ * ـت فهل ترى الا بخيلا

فقلت له افرطت يا أبا اسحق فقال فديتك فأكذبني بجواد واحد فأحببت موافقته والتفت يمينا وشمالا فقلت ما أجد أحدا فقبل بين عيني وقال فديتك يا بني لقد رفقت حتى كدت تشرب انتهى ويقال ان بعض السؤال اجتاز بقوم يأكلون فقال السلام عليكم يا بخلاء فقالوا والله أنقول انا بخلاء فقال كذبوني بكسرة (رجع) ومما قلت أنا في القناعة

يقول الزمان ولم يستمع * لمن طالب الرزق أو أمله
أناحرب من جد في كسبه * ومن يقتنع تعصبت له

وقلت أيضا

اذا ملك الانسان ثوب قناعة * ترشف كاس العز في الناس سائغه
ولم يخش من فقر رمته سهامه * لان عليه نعمة الصبر سابغه

وقلت أيضا

لاتسأل الناس فاني امرؤ * ماطاب لي عرف من العرف
واقنع ولا تجمع حطاما فكم * في الدهر للدينار من صرف

وقلت أيضا

هو الرزق ان وافاك سعيا فهين * وان تأته في غيضه فعويص
على ان من الغاة نال منال من * يغور على تحصيله ويغوص

وقلت أيضا

تطلبت رزقي بالقناعة في الورى * ولم ابتذل من أجل قوتي قوتي
ومذ خفت ضيق السبل في طلب الغنى * رتعت بأمن في مروط مروتي

وقلت أيضا

لايعرف الدهر احياء وأمواتا * أخانهم أمل في النفس أم واتى
فنزه النفس عن مال وعن أمل * قد أتعباها ولا تجزع لما فاتا

الكوفة وهو من الثلاثة المطبوعين الذين لا يقدر على جمع شعرهم لكثرته بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية كان أول أمره يبيع الجرار على رأسه ثم تولع بالنظم وكان فيه من العجائب قيل له كيف تقول الشعر قال ما أردته قط الا تمثل لي فآخذ منه ما أريد وأترك مالا أريد وكان أبو نواس يقول ما رأيته قط الا تمثل لي أنه سماوي واني أرضي وأكثر شعر أبي العتاهية في الزهد وكان قد تنسك وتزهد الى أن مات قال أحمد بن الحرث كان مذهب أبي العتاهية القول بالتوحيد وان الله تعالى خلق جوهرين متضادين لا من شيء ثم ان الله تعالى بنى

فالمسن تتقاضاه منيته * الا الى ذلك الميقات ميقاتا

وقلت فى القناعة غزلا

ان غاب من أحبته عن مجلسى * ليذوب قلب الصب من حسراته
احضرت لى وردا و كأس مدامة * وشربت ريقته على وجناته

وأبلغ من هذا قول أبى نواس

ألم ترانى أفنيت عمرى * بمطلبها ومطلبها عسير
فلما لم أجد شيئا اليها * يقربنى وأعيتنى الامور
حججت وقلت قد حجت عنان * فيجمعنى واياها المسير

وهو مأخوذ من قول بعضهم

أليس الليل يجمع أم عمرو * وايانا فذاك بنا تدان
وتنظر للهلال كما أراه * ويعلوها النهار كما علانى

وقال ابن المعتز

ألست أرى النجم الذى هو طالع * عليك فهذا للمحبين نافع
عسى يلتقى فى الافق لحظى ولحظها * فيجمعنا اذ ليس فى الارض جامع

وقال آخر

يقابل نجم الافق طرفى لعله * يرى طرف محبوبى فيلتقيان
وأطمع قلبى أن يفوز بقربه * ألست تراه دائم الخفقان

وحكى أن بعضهم رأى امرأة حسناء فى طاقة فأحبها ولازم المقام ببابها والمرور تحت الطاقة الى أن أعيى وقل صبره وحصل على اليأس منها فدق الباب عليها فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحيفة وقال دعى سيدتك تبل فى هذه الصحيفة فبالت له فيها وقالت للجارية اتبعيه وانظرى ما يصنع بذلك فلم يزل الى أن دخل الى بعض الخرابات فوضع ايره فى ذلك البول وقال يا مشئوم اذا فاتك اللحم فاشرب المرقة فصار ذلك مثلا وقال ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء روينا ان هدهدا قال لسليمان أريد أن تكون فى ضيافتى فقال له سليمان أنا وحدى فقال لا بل مع العسكر كله فى جزيرة كذا فى يوم كذا فمضى سليمان وجنوده الى هناك فصعد الهدهد الى الجو فصاد جرادة وخنقها ورمى بها فى البحر وقال يا نبى الله كلوا فمن فاته اللحم نال من المرق فضحك سليمان وجنوده من ذلك حولا كاملا انتهى قلت وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال

وكن قنوعا فقد جرى مثلا * ان فاتك اللحم فاشرب المرقه

وقال بعض أرباب المجون السحق والبدال والجلد من القناعة وقال الشاعر

شغل المرد بالبدال وأضحى * نسوة الناس شغلهم بالسحاق
كل جنس بجنسه قد تكفا * فعزاء يا معشر الفساق

فأجاب الآخر

اذا اجتزأ المرد بالبدال * وساحقت ربة الحجال
وضعت كفى على قدى * أصلحه ثم لا أبالى

العالم هذه البنية من سماوات العالم حديث العين والصفة لا محدث له الا الله وكان يزعم ان الله سيعيد كل شئ الى الجوهر بن المتصلين قبل ان تفنى الاعيان جميعا وكان يقول بالوعيد وتحريم المكاسب وكان يتشيع على مذهب الزيدية ولا ينتقص أحدا ولا يرى الخروج على السلطان وكان مجبرا حدث الجاحظ قال قال أبو العتاهية لثمامة بن أشرس بين يدى المأمون وكان كثيرا ما يعارضه بقوله فى الاخبار أسالك عن مسئلة فقال له المأمون عليك بشعرك فقال ان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لى فى مسئلتى ويامره بالجابتى فقال أجبه اذا سال قال أنا

وقال محاسن الشواء

يارب لاتحرس حماة فاهلها * دون البلاد أرامل عزبان
أخذ البغاء جالها فتساحقت * نسوانها وتبادل المردان

وقال الآخر

لاعدمنا عميرة ابنة كف * انها تسعف المحب الشجيا
نقدها الريق ثم لامهر الا * دلوماء ان لم تكن دهريا

وقال الآخر

جلدت يوما عميرة عبثا * وكان في ذاك منية النفس
فصنت مالي وماشممت خراجشر ولاخضت في دم الكس

وقال النور الاسعردي

أرى النحوى زيدا اذا اجتهاد * جزى الرحمن بالخيرات غيره
تراه ضاربا عمرا نهارا * ويجلدان خلا ليلا عميره

وقال آخر مضمنا

عاقبت امرى الذي أشوقه * بكل خير غدا يرتجيه
فكلما قام قمت أجلده * وذاك ذنب عقابه فيه

وقال الحكيم شمس الدين محمد بن دانيال

لي عدو يقوم مني بلا رجل مقام المحير المرتاب
با كيا كالمصاب أبكي عليه * وعناء صلاح عقل المصاب
كل يوم أنكيه جلدا الى أن * قد غدا قائما بغير اهاب
جلده هين ولا أجلد الحسد علي تلكم الامور الصعاب

وكانت بعض الجواري قد اكتفت بالنساء بدلا من الرجال فراودها رجل عن نفسها فقالت أنا ما أختار الصحابي على النبي تريد بذلك قول الشاعر

وليس على في هذا ملام * اذا اخترت النبي على الصحابي

فالنبي اسحق والصحابي الزبير وقيل لاخرى ارجعي الى الحق فقالت ان الحق بعض مرادي تعني ان السحق بعضه الحق وقال بعض الشعراء

مغرمة بالنساء بهلا * تخنوعليهن كل حين
ما أتقنت في الملوك الا * تضيف اسحق في حسين (ى)

وقال آخر

أما والله لو يلقاك ابرى * قبيل الصبح في ظلماء بيت
لما فارقته حتى كأني * أرى شفريك في معصار زيت
وكنت ترين ان السحق شؤم * وان الشأن في هذا الكميت

ويقال ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما في السحق وقد أجهدتا أنفسهما فجذب التي هي من فوق وقعد مكانها وقال بأبي وأمي انما هذا عمل يريد الرجال والجبال وما أحلى قول القائل

أقول ما يفعله العباد من خير وشر فهو من الله تعالى وأنت تأبى ذلك فمن حرك يدي هذه وجعل أبو العتاهية يحركها فقال له ثمامة حركها من أمه زانية فقال شتمني والله يا أمير المؤمنين فقال ثمامة ناقض الماص بظر أمه فضحك المأمون وقال ألم أقل لك تشتغل بشعرك وتدع ما ليس من عملك قال ثمامة فلقيني فقال لي يا أبا معن أما أغناك الجواب عن السفه فقلت ان أتم الكلام ما قطع الحجة وعاقب على الاساءة وشفى الغيظ وانتصر من الجاهل وحدث أبو شعيب صاحب ابن أبي دواد قال قلت لابي العتاهية القرآن عندك مخلوق أو غير مخلوق قال

جرح يريد القتيل له * ايش تنفع اللزقات

وقال بعضهم

رجلى وكفى لاعدمت كليهما * بهما أصول على الزمان وأعتدى
أمشى على هذى وأنكح هذه * فطيتى رجلى وجاريتى يدى

وكتب الى المولى جمال الدين محمد بن نباتة وأنا برحبة مالك بن طوق كتابا ومنه وماحال مولانا مع من استجده من صاحب وخدين وأهل رفاء وبنين وما هذه المداجة لاخباره التى لايزال فعل وعدها يستصحب السنين فكتبت اليه فى الجواب وأما سؤال مولانا عما استجده المملوك من صاحب وخدين وأهل رفاء وبنين فوالله ما رأيت فى الرحبة الى الآن قرينة الا من السجع ولا جارية الا من الدمع والفراش عاطل والامكان مماطل ومطيتى رجلى وجاريتى يدى كما قيل

مقل من الاهلين يسر واسرة * كفى حزنا ما بين شت واقلال
(ترجو البقاء بدار لاثبات لها * فهل سمعت بظل غير منتقل)

(اللغة) الرجاء ممدود الامل رجوت رجوا ورجاء ورجاوة وترجية وارتجيته وترجيته كله بمعنى رجوته وقد يكون الرجو والرجاء بمعنى الخوف قال الله تعالى مالكم لاترجون لله وقارا أى لاتخافون عظمة الله تعالى البقاء بقى الشئ يبقى بقاء وكذلك بقى الرجل زمانا طويلا وبقى من الشر بقية والباقية توضع موضع المصدر قال الله تعالى فهل ترى لهم من باقية بدار الدار مؤنثة وقوله تعالى ولنعم دار المتقين ذكر على معنى المثوى والموضع كما قال تعالى نعم الثواب وحسنت مرتفقا فأنث على المعنى أى وحسنت الجنة مرتفقا كما قال تعالى بئس الشراب وساءت مرتفقا أى ساءت النار مرتفقا وأدنى العدد أدؤر فالهمزة فيه مبدلة من واو مضمومة ولك أن لاتهمز والكثير ديار مثل جبل وأجبل وجبال ودور أيضا مثل أسد وأسد والدارة أخص من الدار قال امية بن الصلت يمدح عبد الله بن جدعان

له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينادى

ويقال مابها دورى وما بها ديار أى واحد وهو فيعال من درت وأصله ديوار والواو اذا وقعت بعد ياء ساكنة قبلها فتحة قلبت ياء مثل أيام وقيام ودار الشئ يدور دورا ودورانا لاثبات لها أى لابقاء لها الظل لغة الفىء وهو ما أظلك من سحاب ونحوه وظل الليل سواده يقال أتانا فى ظل الليل قال ذو الرمة

قد أعسف النازح المجهول معسفه * فى ظل أخضر يدعو هامة البوم

وهو استعارة لان الظل فى الحقيقة انما هو ضوء شاع الشمس دون الشعاع فاذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل وقال أصحاب العلم الطبيعى الظل مطلقا هو الضوء الثانى ومعنى ذلك ان النير اذا ارتفع عن الافق استضاء الهواء بانبات الشعاع فيه فهذا هو الضوء الاول فاذا حجب هذا الضوء حاجب كان ماوراء ذلك الحاجب ضوأ ثانيا بالنسبة الى الضوء الاول لانه مستفاد منه وهذا الضوء الثانى هو الظل ومنه مبسوط ويقال مستو أيضا وهو المأخوذ من الاعمدة القائمة على سطح الارض كظل الشخص الماشى من أشخاص البشر وغيرهم أو الشخص الواقف كالنخل وغيرها من الاشجار ومنه منكوس ويقال معكوس أيضا وهو المأخوذ من الاعمدة

سألتنى عن الله أو عن غير الله قلت عن غير الله فامسك فاعدت عليه فاجابنى هذا الجواب حتى فعل ذلك مرارا فقلت مالك لاتجيبنى قال قد أجبت ولكنك حمار وحدث ثمامة بن أشرس قال كان أبو العتاهية شديد البخل فأنشدنى ذات يوم أبياتا له فى ذم البخل يقول فيها
ألا انما مالى الذى أنا منفق * وليس لى المال الذى أنا تاركه
فقلت له من أين أخذت هذا القول قال من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما أكلت فافنيته أو لبست فابليته أو أعطيت فامضيت فقلت له أتؤمن بهذا القول انه حق قال نعم قلت فلم تحبس عندك أكثر من

الواقعة فى سطح الافق كظل الشخص القائم على السطح القائم على بسيط الافق كوتد خارج من حائط منه مايعبر عنه بالمستعمل وهو ماعداهذين كوتد قائم على سطح مائل عن الافق أو على سطح كرة او اسطوانة أو مخروط أو ما أشبه ذلك وذكرت هنا مانظمته فى مليح يشتغل بعلم الوقت وهو هذان البيتان

أهواه مشتغلا بعلم الوقت ذا * حسن بديع فى الانام نفيس
وكأن شمس جبينه لما استوت * جاء العذار بظلها المنكوس

والعرب تزعم ان ظل القناة أطول الظلال تقول يوم أطول من ظل القناة ويزعمون ان ظل الوتد أقصر الظلال فيقولون أقصر من ظل الوتد ولهذا قال الشاعر

فهذا طويل كظل القناة * وهذا قصير كظل الوتد

ويرون ان ابهام القطاة أقصر الاشياء كما قال ويوم كابهام القطاة وقال الآخر

ويوم كظل الرمح قصر طوله * دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقال عبد المحسن الصورى ملغزا فى الظل

لى صاحب لا أستطيع فراقه * مالى بشىء وماله احسان
بيناتراه وقد تقاصر طوله * حتى يطول كأنه شيطان

(ترجو) غير تقدم الكلام عليه منتقل محول (الاعراب) ترجو فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ضمة مقدرة على آخره لكونه معتل الطرف بالواو وأصله أترجو فحذفت همزة الاستفهام وهو جائز كقول عمرو ابن ابى ربيعة المخزومى

فوالله ماأدرى وان كنت داريا * بسبع رمين الجمر أم بثمان

تقديره أبسبع وهو كثير فى الشعر ومن الذهول فى المحبة وشغل القلب قول المجنون

فوالله ماأدرى اذا ماذكرتها * اثنتين صليت الضحى أم ثمانيا

وكثير من الناس يمر على سمعه هذا البيت ويظنه من باب المغالاة فى شغل القلب بالحب والذهول عن شأن المحب وعدم الالتفات الى ماسوى الفكرة فى المحبوب وليس كذلك بل الشك الذى تردد بين الثنتين والثمانية له سبب يختص بهما دون ماعداهما من الاعداد الممكنة وذلك انه كان يعلم من نفسه كثرة السهو بسبب اشتغال فكرته لغيبة لبه فكان يثنى أصابعه لعدد الركعات ثم انه مع ذلك يذهل فلا يدرى هل الاصابع التى ثناها هى التى صلاها أو الاصابع المفتوحة فاذا وجد أصبعين قد ثنيتا كان ذلك محتملا لان يكون قد صلى ركعتين بعددهما أو بعدد الاصابع المفتوحة وهى ثمانية وما أحسن قول القائل

أفرط نسيانى الى غاية * لم يدع النسيان لى حسا
فصرت مهما عرضت حاجة * مهمة ضمنتها طرسا
وصرت أنسى الطرس فى راحتى * وصرت أنسى أننى أنسى

وذكر اصحاب الخواص والتجارب أشياء تورث النسيان وقد نظمها الشيخ علم الدين السخاوى رحمه الله تعالى فقال

توق خصالا خوف نسيان مامضى * قراءة ألواح القبور تديمها
وأكلك للتفاح ان كان حامضا * وكسفرة خضراء فيها سموما

عشر بن بدرة لاأنا كل منها ولا تنفقها ولا تقدمها ذخر اليوم فاقتلك فقال يا أبا معن والله ان ماتقول هو الحق ولكنى أخشى الفقر والحاجة الى الناس قلت وبم تزيد حال من افتقر على حالك وأنت دائم الحرص والجمع والشح على نفسك لاتشترى اللحم الا من عيد الاعيد فتبرك جواب كلامى كله ثم قال والله لقد اشتريت فى يوم عاشوراء لحما وتوابله ومايتبعه باربعة دراهم فلما قال هذا القول أضحكنى وأذهلنى وعلمت انه ليس ممن شرح الله صدره للاسلام وتوفى سنة ثلاث عشرة ومائتين ببغداد هو وابراهيم الموصلى وأبو عمرو الشيبانى فى يوم واحد وقيل

كذا المشي ما بين القطار وجملة الـشـقفاء ومنها الهـم وهو عظيمها

ومن ذاك بول المرء في الماء راكدا * كذلك نبذ القمل حين تميطها

ولا تنظر المصلوب والماء راكدا * وأكلك سؤر الفار وهو تعممها

قال حماد بن الزبرقان حفظت مالم يحفظه أحد ونسيت مالم ينسه أحد كنت لا أحفظ القرآن فانفت أن أجيء لمن يعلمني فحفظته من المصحف في شهر واحد ثم قبضت يوما على لحيتي لأقص ما فضل عن قبضتي فنسيت وقصصت من أعلاها ما فوق قبضتي فاحتجت ان أجلس في البيت سنة الى أن استوت وقد روى هذه الواقعة الخطيب في تاريخه أنها وقعت لأبي المنذر هشام بن الكلبي النسابة فقال قال كان لي عم يعاتبني على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام ونظرت يوما في المرآة الحكاية ذكر ذلك ابن خلكان في وفيات الاعيان ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم في مليح ينسى كثيرا

بروحي الذي نسيانه صار عادة * وأفرط حتى كاد يعدمه الحسا

فلو أنه بالهجر أضحى مهددي * لما ساءني علما انه أنه ينسى

وعلى ذكر قص اللحية فقد ذكرت الحكاية المشهورة عن بعض المغفلين قال نظر بعضهم في كتاب الفراسة فوجد أن من كان طويل الاصغير الرأس طويل اللحية فانه يكون قليل العقل فاخذ المرآة وقال أما رأسي فصغير ولا حيلة لي في كبره وأما قدي فطويل ولا حيلة لي في قصره وأما اللحية فيمكن تقصيرها فقبض على لحيته وقرب السراج الى فصل ما زاد من قبضته ليحرق ذلك فلما وصلت النار الى يده نزعها من لحيته هربا من النار فأتت النار على لحيته جميعها وعاد نكالا فكتب على ذلك الكلام باب صحيح مجرب وقال المأمون ما طالت لحية رجل الا وقد تكوسج عقله (رجع) والفاعل لترجو ضمير مستتر فيه تقديره أنت و(البقاء) منصوب على انه مفعول به لترجو (بدار) جار ومجرور والباء هنا ظرفية معناه البقاء في دار (لا) هذه هي لا التي لنفي الجنس وقد تقدم الكلام عليها في قوله فلا صديق البيت (ثبات) مبني على الفتح لانه اسم لا (لها) جار ومجرور متعلق بالخبر المحذوف وتقديره لا ثبات موجود لها والضمير يعود الى الدار (فهل) الفاء للتعقيب وهل حرف استفهام (سمعت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب (بظل) الباء للتعدية وهي متعلقة بسمعت (١غير) صفة لظل فهو مجرور لذلك فان قلت غير مضاف والمضاف معرفة وظل نكرة فكيف توصف النكرة بالمعرفة قلت غير لا تتعرف بالاضافة لانها وضعت مبهمة وقد تقدم الكلام على مثل هذا (منتقل) مجرور بالاضافة الى غير (المعنى) أترجو الخلود والبقاء بدار هي في نفسها لا بقاء لها وهي أشبه شئ بالظل في كونها وفسادها بيناهي كائنة اذا هي فاسدة تفصيلا في الحوادث الكائنة وجملة بخراب هذه الدار وحصول القيامة وأخذ يضرب له مثلا في الخارج فقال له مستفهما فهل سمعت بظل غير منتقل وهذا الزام له لانه يضطره الى ان يقول لا ما رأيت لان الظل مستفاد من حركة الشمس وهذه الحركة لا وقفة لها فالظل في انتقال أبدا منتسخ لا يستقر على حالة بين طول وقصر واخذ في التنقل قال الله تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا فهو اما ان يريد بالدار كناية عن حياة كل فرد من أفراد هذا النوع واما أن يريد به فناء هذا العالم وايا ما كان فلا ثبات له ولا بقاء فالخلود متعذر

له عند موته أي شئ تشتهي قال ان يأتي مخارق ويضع فمه على أذني ويغنيني قولي

ستعرض عن ذكري وتنسى مودتي * ويحدث بعدي للخليل خليل

اذا ما انقضت عني من الدهر مدتي * فان غناء الباكيات قليل

ومن محاسن شعره قوله

جزى البخل عني الخير صالحة * عني لخفته على فكري

ما فاتني خير امرئ حملت * مني يداه مؤنة الشكر

(وقوله)

عذيري من الانسان لان جفوته * صفا لي ولان كنت طوع يديه

واني لمحتاج الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

(١) قوله فان قلت الخ غير هنا مضافة الى نكرة فلا يرد هذا السؤال

واذارجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار

وأما خراب هذه الدار فقد نطق القرآن الكريم به في عدة مواضع من ذلك قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات الآية وروى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تبدل الارض غير الارض فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظي لاترى فيها عوجا ولا أمتا وقال ابن عباس رضي الله عنهما هي تلك الارض الا أنها تغيرت في صفاتها فتسير عن الارض جبالها وتفجر أنهارها وتستوي فلاترى فيها عوجا ولا أمتا وقال ابن مسعود تبدل بارض كالفضة البيضاء النقية لم يسفك فيها دم ولم تعمل عليها خطيئة قال الامام فخر الدين رحمه الله اعلم ان التبديل يحتمل وجهين أحدهما ان تكون الارض باقية و تبدل صفتها بصفة أخرى والثاني أن تفنى الذات وتحدث ذات ثانية والدليل على أن اطلاق لفظ التبديل لارادة التغيير في الصفة جائز أنه يقال بدلت الحلقة خاتما اذا أنت سويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات ويقال بدلت قميصي جبة أي نقلت العين من صفة الى صفة أخرى ويقال تبدل زيد اذا تغيرت أحواله أما ذكر التبديل عند وقوع المبدل في الذات فكقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه قوله تعالى بدلناهم جلودا غيرها وقوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين فاذا عرفت ان اللفظ محتمل لكل واحد من هذين المفهومين ففي الآية قولان الاول المراد تبديل الصفة لاتبديل الذات وذكر قول ابن عباس ورواية أبي هريرة رضي الله عنهم وقوله والسموات اي وتبدل السموات بانتثار كواكبها وانفطارها وتكوير شمسها وخسوف قمرها وكورها فتارة تكون كالمهل وتارة كالدهان القول الثاني ان المراد تبديل الذات وذكر قول ابن مسعود رضي الله عنه فهذا شرح هذين القولين ومن الناس من رجح القول الاول قال لأن قوله يوم تبدل الارض غير الارض المراد هذه الارض فالتبديل صفة مضافة اليها وعند حصول الصفة يكون الموصوف موجودا فلما كان الموصوف بالتبديل هو هذه الارض وجب كون الارض باقية عند حصول ذلك التبديل ولا يمكن ان تكون هذه الارض باقية وذلك لأن التبدل مع صفاتها فوجب ان يكون الباقي هو الذات لان هذه الآية تقتضي كون الذات باقية والقائلون بهذا القول هم الذين يقولون عند قيام القيامة لايعدم الله الذات و الاجسام وانما يعدل الصفات وأحوالها والله اعلم بمراده واعلم انه لايبعد أن يقال ان المراد من تبديل الارض والسموات هو أن الله سبحانه وتعالى يجعل الارض جهنم ويجعل السموات الجنة والدليل عليه قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين وقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين والله أعلم اه كلام الامام رحمه الله تعالى قلت اذا تركنا وظاهر الآية دلنا على ان الارض تبدل باخرى غيرها في ذاتها لانه قال غير الارض كما قال تعالى بدلناهم جلودا غيرها ومن المعلوم أن الجلود تبلى وتفنى بالاحراق والعذاب فلو قال تعالى تبدل الارض وسكت لجاز أن يكون المراد ان صفتها تبدل وقد علل الشيخ علاء الدين بن النفيس رحمه الله تعالى في رسالته التي سماها برسالة ما ذكره فاضل بن ناطق عن الرجل المسمى بكامل عارض بها رسالة حي بن يقظان التي للرئيس ابن سينا فذكر سبب خراب هذه الدار وفساد هذا العالم وظهور الآيات التي جاءت في السنة في آخر الرسالة فقال ما معناه ملخصا واذا قد ثبت ان ميل الشمس الى الشمال والجنوب يتناقص دائما فاذا بطل هذا الميل اوقرب منه صارت

كان المأمون رحمه الله تعالى يقول خذوا مني الخلافة وأعطوني هذا الصاحب وقوله
ان المطايا تشتكيك لانها
قطعت اليك سباسبا ورمالا
فاذا وردن بنا وردن مخفة
واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

(وقوله)
كانك عند الكر في الحرب انما
تفر من الصف الذي من ورائكا
فما آفة الابطال غيرك في الوغى
وما آفة الاموال غير حبائكا

(وقوله)
بكيتك يا علي بدمع عيني
فلم يغن البكاء عليك شيا
وكانت في حياتك لي عظات
وأنت اليوم أوعظ منك حيا

(وقوله)
لاتأمن الموت في طرف ولانفس
وان تسترت بالاقفال والحرس

الشمس دائمة المسامتة لخط الاستواء أو ما يقرب منه فلذلك تحدث حرارة شديدة جدا و يحدث
في البقاع التي لها عرض بعيد برد مفرط فتفسد الامزجة و تضعف القلوب و يكثر موت
الفجأة و تسوء الاخلاق فتفسد المعاملات و تكثر الشرور و المخاصمات و تكثر الحروب و الفتن
و يتقدم الاشرار و تفسد الاذهان و بفسادها تبعد الناس عن قبول العلوم و الحكمة فلذلك
يقبض العلم ثم اذا بطل ميل الشمس جدا اشتد الحر في البقاع القريبة من خط الاستواء و كثرة
النيران و اللهيب خاصة في البلاد الغورية و الكبريتية فلذلك تحدث نار بارض اليمن و تمتد
حتى تعم الارض التي عند خط الاستواء فحينئذ تكثر الادخنة و تتولد الصواعق و البروق
الهائلة و الرياح الرديئة و يظلم الجو و يكدر و يلزم من ارتفاع ذلك عن ارض خط الاستواء و ما
يقرب منه ان يقل جرم الارض هنالك و يثقل ما يقابل القطبين من الارض فلا جرم يلزم
من ذلك سقوط الجبال و يقل الماء جدا لاجل سيلانه الى قرب خط الاستواء بسبب الخسف
ثم يبخره بقوة الحرارة التي هناك فيجف كثير من البحار و لذلك تقل مياه الارض جدا لكثرة
ما يتصاعد منها متدخنا فلذلك تظهر الكنوز و ما يكون في باطن الارض و اذا دام فقدان ميل
الشمس مدة افرط الخروج عن الاعتدال حتى افسد الامزجة الحيوانية و النباتية و كان من
ذلك القيامة انتهى و الآيات في خراب هذا العالم كثيرة منها قوله تعالى يوم نطوي السماء
كطي السجل للكتب الآية و قوله تعالى يوم تمور السماء مورا و تسير الجبال سيرا و قوله تعالى
فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان و قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل الآية
و قوله تعالى اذا الشمس كورت الآيات و قوله تعالى اذا السماء انشقت الآيات و قوله
تعالى اذا السماء انفطرت الآيات و أما ذم هذه الدار الفانية فقال رضي الله عنه الدنيا دار ممر
و الآخرة دار مقر و الناس فيها رجلان رجل باع نفسه فأوبقها و رجل ابتاع نفسه فاعتقها
و قال الشعبي سمعت الحجاج يتكلم بكلام ما سبقه اليه أحد سمعته يقول أما بعد فان الله تعالى
كتب على الدنيا الفناء و كتب على الآخرة البقاء فلا بقاء لما كتب عليه الفناء و لا فناء لما
كتب عليه البقاء فلا يغرنكم شاهد الدنيا من غائب الآخرة و اقهروا طول الامل بقصر الاجل
و قال الحسن البصري رضي الله عنه ان امرأ ليس بينه و بين آدم أب حي لمعرق في الموت
و من الكلم النوابغ كل حي يحتضر فطوبى لمن يختضر قلت الثانية بالخاء المعجمة أي يموت
شابا على خضرة و رقة و منها الليالي ما خلدن لذاتك أفتخالهن مخلدا تك و أخبرني سماعا من
لفظه الشيخ الامام الحافظ أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف القرني الاندلسي بالقاهرة سنة
ثمان و عشرين و سبعمائة قراءة من كتابه أخبرنا الخطيب المقرئ النحوي أبو الحجاج يوسف
ابن ابراهيم بن يوسف بن سعيد بن أبي ريحانة الاندلسي الانصاري في كتابه الي من مالقة
سنة اثنتين و سبعين و ستمائة و فيها توفي رحمه الله عن أبي عبد الله محمد بن أحمد بن اليتيم أخبرنا
أبو الفضل معن بن عبد الرزاق السجزي السائح بمقبرة سر من رأى قراءة عليه أخبرنا عن أبي
الحسين المبارك بن عبد الجبار عن أبي الفتح هلال بن محمد البغدادي عن محمد بن أبي القاسم
عن اسمعيل بن اسحق عن نصر بن علي عن الاصمعي عن أبي عمرو و عن عيسى بن عمر عن معاوية
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول الدنيا دار بلاء و منزل قلعة و عناء قد نزعت
عنها نفوس السعداء و انتزعت بالكره من أيدي الاشقياء و أسعد الناس أرغبهم عنها

ترجو النجاة و لم تسلك طريقتها
ان السفينة لا تجري على اليبس
(و قوله)
الا اننا كلنا بائد
و كل الى ربه عائد
فيا عجبا كيف يعصى الا
له أم كيف يجحده الجاحد
و في كل شيء له آية
تدل على انه واحد
(و قوله)
ما أن يطيب لذي الرعاية
للايام لا لعب و لا لهو
أن كان يطرق في مسرته
فيموت من أجزائه جزو
كان ابن مخلد يقول ان هذين
البيتين لروحانيان يطيران
بين السماء و الارض و قوله
أيضا
الناس في غفلاتهم
و رحى المنية تطحن

وأشقاهم بها أرغبهم فيها فهي الغاشة لمن انتصحها والمغوية لمن أطاعها والخاترة لمن انقاد لها والفائز من أعرض عنها والهالك من هوى فيها طوبى لعبد اتقى فيها ربه ونصح نفسه وقدم توبته وأخر شهوته من قبل ان تلفظه الدنيا الى الآخرة فيصبح في بطن موحشة غبراء مدلهمة ظلماء لا يستطيع ان يزيد في حسنه ولا ينقص من سيئه ثم ينشر فيحشر اما الى جنة يدوم نعيمها أو نار لا ينفك عذابها انتهى قلت فاذا كانت هذه الدار بهذه الصفات التي أخبر بها الصادق الامين ورأينا ذلك أكثره مشاهدا فأي رجاء يؤمله الانسان فيها وأي أمنية ينال منها وهذا ما آلها وهذه غايتها وأما أيام مدتها فكما قال أبو العتاهية

تأتي المكاره حين تأتي جملة * وترى السرور يجيء في الفلتات

ويعجبني قول أبي الطيب المتنبي ونقله المعنى من عتاب محبوبه الى عتاب الدهر وهو

أي يوم سررتني بوصال * لم ترعني ثلاثة بصدود

وهذا البيت ظاهره بين الانسجام لفظه وانصبابه في السمع وتعلقه بالقلب وباطنه مشكل لعدم تعلق الجملة الثانية بالاولى وقد تكلم عليه الشريف بن الشجري في أماليه في أول المجلس الثاني عشر وأباد الكلام فيه فليؤخذ من هنالك (رجع) ولله در التهامي حيث يقول

حكم المنية في البرية جاري * ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يرى الانسان فيها مخبرا * حتى يرى خبرا من الاخبار
طبعت على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقذاء والاقذار
ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب في الماء جذوة نار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال ساري

وذكرت بقوله بينا يرى الانسان فيها مخبرا البيت ما رثى به عبد الرحمن بن اسمعيل العروضي ابن يونس صاحب تاريخ مصر وهو

أبا سعيد وما يألوك ان نشرت * عنك الدواوين تصديقا وتصويبا
ما زلت تلهج بالتاريخ تكتبه * حتى رأيناك في التاريخ مكتوبا
أرخت موتك في ذكري وفي صحفي * لمن يؤرخني ان كنت محسوبا

ومما نقلته من خط الوراق في رثاء الجزار

بلغت أبا الحسين مدى اليه * لمسبوق ومستبق رهان
وكنت وطالما قد كنت أيضا * تقول على الآلى سبقوك كانوا

وأخذ بعض المغاربة فقال

ياويح اجسام الأنا * م لما تطيق من الاذى
خلقت لتبقى للقذى * وقفا وهاذاك القذى

وقال آخر

كأن بني الايام وفدان كلما * ترحل وفد جاءنا بعد وفد
فكل يحث السير عنها ونحوها * يسير بذا نعش ويأتي بذا مهد

وقال محمد بن كناسة الاسدي

(وقوله)
اذا المرء لم يعتق من المال رقه * تملكه المال الذي هو مالكه
ألا انما مالي الذي أنا منفق * وليس لي المال الذي أنا تاركه
اذا كنت ذا مال فبادر به الذي * يحق ولا استهلكته مهالكه

(وقوله)
أكل يوم طول الزمان اذا * جئتك في حاجة تقول غدا
لا جعل الله لي اليك ولا * عندك ما عشت حاجة أبدا

وقوله في الشعر الذي ذكر بسببه يخاطب سلم الخاسر حيث يقول فيه
تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تساق اليك عفوا * أليس مصير ذاك الى الزوال

ومن عجب الدنيا تيقنك البلى * وانك فيها للبقاء مريد
اذا اعتادت النفس الرضاع من الهوى * فان فطام النفس عنه شديد

وقال أبو العرب الصقلى

أرى الدنيا الدنية لا تواتى * فعاج فى التصرف والطلاب
ولا يغرك منها حسن برد * له علمان من ذهب الذهاب
فأولها رجاء من سراب * وآخرها رداء من تراب

وقال أبو العلاء المعرى

وحب الفتى طول الحياة يذله * وان كان فيه نخوة وغرام
وكل يريد العيش والعيش حتفه * ويستعذب اللذات وهى سهام

وقال آخر

حتام اصرف نفسى عن مراشدها * واتعب القلب بين اليأس والامل
ما مدة العمر الا منتهى نفس * يا قرب ما بين عيش المرء والاجل

وقال ابن خفاجة

وهل مهجة الانسان الا طريدة * يحوم عليها للحمام عقاب
تحث بها فى كل يوم وليلة * مطايا الى دار البلى وركاب
الا ان جسما يستحيل لتربة * وان حياة تنتهى لخراب

وقال ابن نباتة السعدى

وغاية هذه الدنيا فساد * فكيف تكون منها فى صلاح
هى الخرقاء تنقض بعد نسج * فما فيها لحى من فلاح
يؤول به الشباب الى مشيب * ويسلمه الغدو الى الرواح
اما فى أهلها رجل لبيب * يحس فيشتكى ألم الجراح
ومن لبس التراب كمن علاه * فلا تغررك إنفاس الرياح

وقال ابن مماتى

أيسكن الناس وقد حاطهم * سبعة افلاك عليهم تدور
والدار فى الاخرى دها اليزها * فى هذه الدنيا لحود القبور

وقال أبو الطيب

نعد المشرفية والعوالى * وتقتلنا المنون بلا قتال
ونرتبط السوابق مقربات * وما ينجين من خبب الليالى
يدفن بعضنا بعضا ويمشى * أواخرنا على هام الاوالى
ومن لم يعشق الدنيا قديما * ولكن لا سبيل الى الوصال
نصيبك فى حياتك من حبيب * نصيبك فى منامك من خيال

قلت يريد بالاوالى الاوائل وهو كثير فى كلامهم قال امرؤ القيس
وامنع عرسى ان يزن بها الخالى   أى الخائل
وقوله ولكن لا سبيل الى الوصال فيه محذوف فانه حذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه

(ما كان أخلقك بأن تقدر بذرعك وتربع بذلك على ظلعك) ما أخلقك أى ما أولاك يقال فلان خليق بكذا أى كأنه مخلوق فيه مجبول عليه وتقدر بذرعك أى تقيس الامر بجهدك قبل أن تفعله والذرع الجهد ومن ضاق فلان ذرعا وأصل الزرع بسط اليد كأنه جهد فى بسطها وتربع على ظلعك مثل للعرب يضرب لمن يكلف نفسه ما لا يقدر عليه والظلع فى البعير الغمز فى مشيه ويستعار لغيره وربع اذا اقام فالمعنى اقم على ضعفك وارفق بنفسك وقال آخر قولهم اربع الى ظلعك أى على قدر قدرتك ويقولون أيضا ارق على

تقديره ولكن لاسبيل الى دوام الوصال والمعنى عليه لان الوصال حصل ولكن دوام الوصال لاسبيل اليه قوله ويمشي أواخرنا البيت أخذه مهيار الديلمي فقال

رويدا بأخفاف المطى فانما * تداس جباه فى الثرى وخدود

وأخذه أبو العلاء المعرى قبله فقال

خفف الوطء ما أظن اديم الا * رض الامن هذه الاجساد

وما أكثر حكمة قول المعرى من هذه القصيدة

تعب كلها الحياة فما أعـ * جب الامن راغب فى ازدياد

واللبيب الاريب من ليس يغـ * تر بكون مصيره للفساد

وقال فى خراب هذا العالم

زحل أشرف الكواكب دارا * من لقاء الردى على ميعاد

والثريا رهينة باقتراق الشـ * ـمل حتى تعد بالافراد

وهذا قول بفناء هذا العالم وخرابه ثم انه خالف هذا الرأى فقال

راح من راح والثريا الثريا * والسماك السماك والغفر غفر

ونجوم السماء تعجب منا * كيف تبقى من بعدنا وتمر

وأخبرنى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى قال سمعت الشيخ العلامة تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى يقول فى أبى العلاء المعرى انه كان فى حيرة انتهى قلت يعنى من العقيدة ولعمرى هذا الذى يظهر لذوى الالباب من كلامه بيناهو يرى رأى النبوات اذاهو يرى رأى الحكماء ومن تتبع كلامه وجد هذا التناقض فيه وأماهذان البيتان فيمكن أن يفهم منهما عدم المغايرة للاولين لان قوله راح من راح لايدل على ان هذه الكواكب باقية لاتفنى وانما يفهم منه انها أطول اعمارا منا فلها أمد أطول وغاية هى ابعد من غاية الانسان وقال بعض الاعراب

وكل مفارقه اخوه * لعمر أبيك الا الفرقدان

وهذا أيضا يمكن له التأويل ويرد الى القول بخراب هذا العالم وقال بعض الناس الاهنا بمعنى حتى وليس بشئ وسألت الشيخ الامام العلامة اثير الدين أباحيان عن ذلك فقال هذا شئ لم أقف عليه فى كلام العرب وقال ابن سناء الملك

بقيت ويبلى الزمان الجديد * وتبا لمذهب أهل القدم

فلابد من أن تمور السماء * ويزوى بها كل نجم نجم

فليس السماء كما قد رأيـ * ـت بالشهب الا ديما دلهم

قلت ذهب الحكماء الى القول بقدم أربعة أشياء وهى الزمان والمكان والهيولى والصورة وقال أفلاطون بقدم النفس حتى جاء ارسطاطاليس فبرهن على حدوثها وخالف أفلاطون وقال هو صديقى والحق أصدق لى منه وتبرؤا على هذه المقالة أن العالم باق ببقاء واجب الوجود لايتغير نظامه ولايبلى ولايحول ولايزول وهى من المسائل التى كفروا بها والصحيح ماذهب اليه المتكلمون فانهم استدلوا على حدوث العالم بمجموعه وبرهنوا دعواهم وقرروا الابحاث فى ذلك مع خصومهم وليس هذا مكان شئ من تلك البراهين لمافيها من تقدير

ظالمك لان الراقى فى جبل أوسلم اذا كان ظالعا يرفق بنفسه وقال آخر قولهم أربع على ظالعك أى اجعل الجبر على قدر جهدك فان الجبر يسمى ربيعة وهو قول متعمق *(ولاتكن براقش الدالة على أهلها)* هذا مثل يضرب لمن يعمل عملا يرجع ضرره عليه واختلفت الاقوال فيه فقال قوم وهم الاكثر براقش اسم كلبة نبحت قوما قصدوا الغارة على قوم تخفى عليهم مكانهم فلما نبحت الكلبة عرفوهم فاجتاحوهم فقالت العرب أشأم من براقش وعلى أهلها تجنى براقش وقال أبو عمرو ابن العلاء براقش امرأة كانت لبعض الملوك فسافر الملك

المقدمات التي تنتج لنا المطلوب على ذلك فليؤخذ ذلك من كتب الكلام وقال الخباز البلدي أوغيره

قلت للفرقدين والليل ملق * فضل أذياله على الآفاق
أبقيا مابقيتما فسيرمى * بين شخصيكما بسهم الفراق

وقال ابن سناء الملك

آثرت دهري ان تبقى به أبدا * فكان ايثار دهري غير ايثاري
والمرء بالدهر لا ينفك منكسرا * فهزا وغير عجيب كسر فخار

وقال من أبيات

تزخرف منها وجهها وهي جنة * ويخضر منها نضرة فهو سندس
صلبي وهذا الحسن باق فربما * يعزل بيت الحسن منه ويكنس

ولما وقف القاضي الفاضل رحمه الله تعالى على هذه القصيدة التي منها هذه الابيات كتب الى ابن سناء الملك من جملة فصل وماقلت هذه الغايه الاوتعلمني انها البدايه ولاقلت هذا البيت انه القصيدة الاتلامابعده وماتريهم من آية أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ولاعيب في هذه المحاسن الاقصور الافهام وتقصير الانام والافقد لهج الناس بما تحتها ودونوا مادونها وشغلوا التصانيف والخواطر والأقلام بما لايقاربها وسارت الاشعار وطالت بما لايبلغ مدها ولانصيفه والقصيدة فائقة في حسنها بديعة في فنها وقد ذلت السين فيها وانقادت فلوأنها الراء لمازادت وبيت يعزل ويكنس أودت ان أكنسه من القصيدة فان لفظة الكنس غير لائقة بمكانها فأجاب ابن سناء الملك قائلا وعلم المملوك مانبه عليه مولانا من البيت الذي أراد أن يكنسه من القصيدة وقد كان المملوك مشغوفا بهذا البيت مستحليا له متعجبا منه معتقدا انه قد ملح فيه وأن قافية بيته أميرة ذلك الشعر وسيدة قوافيه وما أوقعه في الكنس الا ابن المعتز في قوله

وقوامي مثل القناة من الخط * وجدي من لحيتي مكنوس

والمولى يعلم ان المملوك لم يزل يجري خلف هذا الرجل ويتعثر ويطلب مطالبه فتتعسر عليه وتتعذر ولا آنس ناره الالما وجد عليها هدى ولامال المملوك الا الى طريق من ميله اليه طبعه ولاسار قلبه الا الى من دله عليه سمعه ورأى المملوك أباعبادة قد قال

ويا عاذلي في عبرة قد سفحتها * لبين وأخرى قبلها للتجنب
تحاول مني شيمة غير شيمتي * وتطلب مني مذهبا غير مذهبي

وقال

ومازارني الاولهت صبابة * اليه والاقلت أهلا ومرحبا

فعلم المملوك ان هذه طريقة لاتسلك وعقيلة لاتملك وغاية لاتدرك ووجد أباتمام قد قال

سلم على الربيع من سلمى بذي سلم

وقد قال

خشنت عليه أخت بني خشين

فاشمأز من هذا النمط طبعه واقشعر منه فهمه ونبا عنه ذوقه وكاد سمعه يتجرعه ولا يكاد يسيغه ووجد هذا المبدع السيد عبد الله بن المعتز قد قال

وقفت في الروض أبكي فقد مشبهه * حتى بكت بدموعي أعين الزهر
لولم أعرها دموع العين تسفحها * لرحمتي لاستعارتها من المطر

وقد قال

قدك غصن لاشك فيه كما * وجهك شمس نهاره جسدك

واستخلفها وكان لهم موضع اذا فزعوا دخلوا فيه فاذا ابصره الجند اجتمعوا وان جواريها عبثن ليلة فدخن فجاء الجند فلما اجتمعوا قال لهن نصاحها ان رددتيهم ولم تستعمليهم في شئ ودخنت مرة أخرى لم يحضروا فامرت بهم فبنوا بناء دون دارها فلما جاء الملك سأل عن البناء فذ ثوه بالقصة فقال على قومها تجني براقش وحكى الشرقي عن لقمان حكاية أخرى في هذا المعنى وهي تقارب هذه والاول أقرب الى المعنى

(وعنز السوء المستثيرة لحتفها) هذا أيضا مثل يضرب لمن يعين على ضرر نفسه وأصله ان رجلا وجد عنزا فاراد ذبحها

فوجد المملوك طبعه الى هذا النمط مائلا وخاطره فى بعض الاحيان عليه سائلا فنسج على هذا الاسلوب وغلب عليه خاطره مع علمه انه المغلوب وحبك الشئ يعمى ويصم فقد أعماه حبه له وأصمه الى ان نظم تلك اللفظة فى تلك الابيات تقليدا لابن المعتز فانه قالها وحمل اثقالها وهى تغفر لذلك فى جنب احسانه فاما المملوك فهى عورة ظهرت من لسانه فأجاب القاضى الفاضل رحمه الله ولا حجة فيما احتج به عن الكنس فى بيت ابن المعتز فانه غير معصوم من الغلط ولا يقلد الا فى الصواب فقط وقد علم ماذكره ابن رشيق فى العمدة من تهافت طبعه وتباين وضعه فذكر من محاسنه مالا يعلق معه كتاب ومن بارده وغثه مالا يلبس عليه الثياب وقد تعصب القاضى السعيد على أبى تمام فنقصه من حظه وللبحترى فأعطاه أكثر من حقه وما أنصفهما ولو كان هذا موضع العتب لاشتفى * فؤادى ولكن للعتاب مواضع انتهى قلت قد استعمل ابن سناء الملك رحمه الله تعالى هذه اللفظة فى غير هذا الموضع ولم يتعظ بنهى الفاضل ولا ارعوى ولا ازدجر عما قبحه لانه غالب عليه الهوى فقال

توسوس شعرى به مدة * ومابرح الحلى والوسوسه
وخلصنى من يدى عشقه * ظلام على خده حندسه
كنست فؤادى من عشقه * ولحيته كانت المكنسه

وأما القاضى الفاضل فأظنه خلا هذا الايراد من ضعف انتقاد وأحاشى ذلك الذهن الوقاد من هذا الاعتقال فى ورطة هذا الاعتقاد وما أراه الا أنه تعمد أن يعكس مراده ويوهى ماشاده ويوهن ماشيده ويرميه ببلاء البلاده اما على سبيل النكال أو النكاده لان الفاضل رحمه الله تعالى ممن يتوخى هذه الالفاظ ويقصدها وينشيها وينشدها ويورى زنادها ويوردها فمن كلام القاضى الفاضل فى بعض رسائله وما استطاعت أيديهم أن تقبض جمره ولا ألبابهم ان تسيغ خمره ولا سيوفهم ان تكنس قممه ولا أعراضهم ان تأخذ لطيمه انتهى (رجع) وأما قول الطغرائى فهل سمعت بظل غير منتقل فقد ذكرت به قول القائل

السكون عندى كالخيال حقيقة * فى شكله وعمومه وخصوصه
يبدى خيالا للشخوص تواطقا * والناطق الفعال غير شخوصه

وأحسن منه

رأيت خيال الظل أعجب منظرا * لمن هو فى علم الحقيقة راقى
شخوص وأشكال يزهره بعضا * لبعض بأصوات هناك دقاق
تمر وتمضى بابة بعد بابة * وتفنى جميعا والمحرك باقى

وظرف القائل فى قوله

ماترى فى الوجود غير شخيص * بذقين يهذى الى أن يموتا

وعلى ذكر الخيال فما أحسن قول الوجيه المناوى

اذا ماتغنت قلت سكرى صبابة * وان رقصت قلنا احتكام مدام
أرتنا خيال الظل والستر دونها * فأبدت خيال الشمس خلف غمام

وقلت أنا فى مليح مخايل

مخايل قد بدت عليه * مخايل البدر فى الكمال

فلم يجد سكينا فبينما هو كذلك اذ بحثت الشاة بظلفها فاستثارت سكينا فذبحها بها (فأراك الاسقط بك العشاء على سرحان) مثل يضرب لمن أراد أمرا فوقع على حتفه وأصله ان دابة خرجت تطلب عشاء فوجدها ذئب فأكلها وقيل رجل أعشى العين وقع على ذئب فأكله وعلى هذه الرواية يكون العشا مقصورا وقيل بل هو سرحان بن قعنب اليربوعى كان فاتكا رجى واد يأوى اليه عوف الاسدى فقال أشهد لا يمنعنى سرحان رعى ابلى الليلة فرعى فربه سرحان بن قعنب فقتله فقال أخوه يخاطب زوجة الاسدى ابلغ صبيحة ان راعى أهلها

تريك بآياته فنونا * تروق فى الحسن والجمال
فقد غدا وصله يقينا * أحسن ما كان فى الخيال

وقلت فيه أيضا

هويت ظبيا يحاكى الغصن قده * اذا ما انثنى هاجت عليه البلابل
أراق دم العشاق سيف جفونه * ومن بعد ذا أضحى عليهم يخايل

*(ويا خبيرا على الاسرار مطلعا * أصمت ففى الصمت منجاة من الزلل)*

(اللغة) السر الذى يكتم والجمع أسرار والسريرة مثل ذلك والجمع السرائر وقوله تعالى يوم تبلى السرائر معناه يوم تختبر سرائر القلب وهو ما أسره من العقيدة والنية وفى المثل ما يوم حليمة بسر لان حليمة بنت الحرث بن أبى شمر الغسانى لما وجه أبوها جيشا الى المنذر بن ماء السماء أخرجت لهم طيبا فطيبتهم فنسبوا اليها مطلعا فاعل من الاطلاع أصمت صمت يصمت صمتا وصموتا وصماتا وأصمت مثله والتصميت التسكيت والتصميت أيضا السكوت ورجل صميت أى سكيت والصمتة مثل السكتة منجاة نجوت من كذا نجاء ممدود ونجا مقصور والصدق منجاة وأنجيت غيرى ونجيته وقرئ بهما الزلل تقول زللت زللا وزليلا اذا زللت فى طين أو منطق قال الفراء زللت بالكسر تزل زللا والاسم الزلة والزليلى واستزله غيره وزلال النية والتصفيق يعنى انه نزل من موضع الى موضع لطلب الكلأ والنية الموضع الذى ينوون المسير اليه وزحلوقة زل قال الراجز

لمن زحلوقة زل * بها العينان تنهل

وكذلك زحلوقة زلال (الاعراب ويا خبيرا) الواو عاطفة على المنادى فى قوله يا وارد اسؤر عيش البيت ويا حرف نداء وقد تقدم الكلام عليه هنا خبيرا اسم فاعل من خبرت الامر ونصب لانه نكرة غير مقصودة وتقدم الكلام على المنادى (على الاسرار) على حرف جر ومعناه هنا الاستعلاء معنى وهو متعلق بمطلع لان خبير الايعدى بحرف جر بل يقال اطلعت على كذا والاسرار مجرور بعلى (مطلعا) صفة لخبيرا وقدم وأخر تقديره ويا خبيرا مطلعا على الاسرار (أصمت) فعل أمر من صمت وقد تقدمت القاعدة فى الهمزة المجتلبة فى أول فعل الامر وعلة بنائه على السكون (ففى) الفاء هنا واقعة فى جواب الامر وفى حرف جر (الصمت) مجرور بفى والجار والمجرور فى محل الرفع لانه خبر مقدم (منجاة) اسم مصدر مثل مرضاة وهو مرفوع على انه مبتدأ والخبر تقدم فى الجار والمجرور (من الزلل) من لبيان الجنس وهو متعلق بمنجاة والزلل مجرور بمن (المعنى) ويا من خبر الامور واطلع على الاسرار اصمت ولا تبد شيأ مما خبرته واطلعت عليه فان صمتك منجاة لك من الزلل وهذا أمر يجب اتباعه على كل من طلب السلامة فقد يترتب على افشاء السر مفاسد كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسر الى أخيه سر الم يحل له ان يفشيه عليه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه من كتم سره كان الخيار بيده ومن عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء الظن به وقال أكثم بن صيفى ان سرك من دمك فانظر أين تريقه وقال عمرو بن العاص ما استودعت رجلا سرا فافشاه فلمته لانى كنت به أضيق صدرا حيث استودعته اياه وأخذه الشاعر فقال

اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذى يستودع السر أضيق

سقط العشاء به على سرحان
سقط العشاء به على مستقمر
لم يثنه خوف من الحدثان
(وبك لا بظبي أعفر)
هو مثل يضرب للشماتة بالرجل يقول نزل به المكروه ولا نزل بظبي تريد أن عنايتي بالظبي أشد من عنايتي به والأعفر الذى لونه لون التراب وهو العفر وكذلك غزلان السهل وكأنه خص الظبي بالداء لان العثار والكسر سريعان اليه وقيل لانه متى أصابه داء مات سريعا والمثل للفرزدق منظوم من أبيات يتعلق بها حكاية وذلك ان الفرزدق كان قد هجا بنى نهشل بأبيات منها
لعمرى لقد قل النهى فى عديدكم
بنى نهشل ما لومكم بقليل

وقال آخر اذا ماضاق صدرك من حديث * فأفشته الرجال فمن تلوم
اذا عاتبت من أفشى حديثي * وسري عنده فأنا الظلوم

وقال بعضهم السر ما كتمته في نفسك فاذا ما أسررته الى غيرك فليس بسر وما أحسن ما أنشدني الشيخ الامام العلامة أثير الدين أبو حيان لابي حفص عمر بن محمد النجاتي البجلي اللغوي قوله

سرك ان أودعته ثانيا * فاعلم بأن قد آن أن تفشيه
لان ما أضمر في حالة الا فراد تستخرجه التثنيه

معناه اذا قلت قام الزيدان فان الفعل هنا لم يحتمل ضمير تثنية لما كان في حالة الافراد فاذا قلت وقعدا احتجت الى أن تظهر ضميرا يعود على الاثنين لانك تذكر الفعل للاثنين ففي حالة الافراد لم يظهر وفي حالة التثنية ظهر وجاء رجل الى القاضي شريح فكلمه بشئ وأخفاه فلما خرج قال له رجل يا أبا أمية ما قال لك قال يا ابن أخي أو ما رأيته ستره منك وقال عبد الله ابن أبي زكريا الخزاعي فقيه دمشق وأحد الاعلام وكان يعدل بعمر بن عبد العزيز ما عالجت شيأ من العبادة أشد من السكوت قيل انه كان لا يتكلم الا اذا سئل وكان من أكثر الناس تبسما وكان عمر بن عبد العزيز يجلسه معه على السرير وأسر رجل الى آخر حديثا فلما فرغ قال له أحفظت قال بل نسيت ومن كلام ابن المعتز رحمه الله تعالى افرح بما لم تنطق به من الخطا فرحك بما لم تسكت عنه من الصواب ومنه أيضا كلما كثرت خزان الاسرار ازدادت ضياعا ومن كلام الحكماء اكتم مذهبك كما تكتم ذهبك ومنها مقتل الرجل بين فكيه وقال ابن المحلي العنبري الطبيب

من لزم الصمت اكتسى هيبة * تخفي عن الناس مساويه
لسان من يعقل في قلبه * وقلب من يجهل في فيه

ومن الكلم النوابغ رب كلام أوردك مورد القتال أوردك عن مورد القذال ومنها يا بني ق فاك ما يقرع قفاك ق فعل أمر من الوقاية ماضيه وقى ومضارعه يقي ومنها ان لم تملك فضل لسانك ملكت الشيطان فضل عنانك ومنها ملاك حسن السمت ايثار الصمت وقال بعض النساك أسكتتني كلمة ابن مسعود عشرين سنة وهي من كان كلامه لا يوافق فعله فانما يوبخ نفسه وسمع بقراط رجلا يكثر كلامه فقال له يا هذا ان الباري عز وجل جعل للانسان لسانا واحدا واذنين ليكون ما يسمع أكثر مما يقول ومن كلام القاضي الفاضل رحمه الله تعالى وأمت الاسرار في قلبك وألحدموتاها في جنبك قبيح بك ان لا يرى لك سر الا عند ربك وقال أبو العلاء المعري

فظن بسائر الاخوان شرا * ولا تأمن على سر فؤادا

وقال آخر ابخل بسرك لا تبح بوما به * فصغيره يأتي بكل عظيم
أو ما ترى سر الزناد اذا فشا * يأتي وشيكا سقطه بجحيم

وقال مؤيد الدين الطغرائي

ولا تستودعن السر الا * فؤادك فهو موضعه الامين
اذا حفاظ سرك زيد فيهم * فذاكا السر أضيع ما يكون

وما أحسن قول ابن عماني من قصيدة

ثم خرج سادات بني تميم وفيهم الحتات بن مجاشع عم الفرزدق الى معاوية فوصلهم وترك حتا نافعاتبه فقال معاوية انى اشتريت من القوم دينهم ووفرت عليك دينك قال فاشتري مني ديني أيضا فالحقه بهم في الصلة فقام يتجزها فطعن فمات فرجع معاوية فيما أعطاه فحينئذ قال الفرزدق وهو اذ ذاك بالبصرة

أبوك وعمي يا معاوي أورثا * تراثا فأولى بالتراث أقاربه
فما بال ميراث الحتات أكلته * وميراث حرب جامد لك ذائبه
وكم من أب لي يا معاوي لم يكن * أبوك الذي من عبد شمس يقاربه

فوجد النهشليون سبيلا

وضاق على السجن حتى كأننى * حللت به للضيق فى صدر محنق
فياليتنى كالدمع فى جفن عاشق * فاخرج أو كالسر فى صدر أحمق

وما أحسن ما اعتذر به التهامى عن اظهار سره بقوله

قد بحت وجدا فلامتنى فقلت لها * لا تعذليه فلم يلؤم ولم يلم
لما صفا قلبه شفت سريرته * والشئ فى كل صاف غير منكتم

وسمعت امرأة عاشقها وهو ينشد

سرى وسرك لم يشعر به أحد * الا الاله والا أنت ثم أنا

فقالت له لا تنس القوادة فانه لابد أن تدرى بسرنا وحكى الماوردى ان عبد الله بن طاهر تذاكر الناس فى مجلسه حفظ السر فقال

ومستودعى سرا تضمنت سره * فاودعته من مستقر الحشا قبرا

فقال ابنه عبد الله وهو صبى

وما السر فى قلبى كميت بحفرة * لانى أرى المدفون ينتظر الحشرا
ولكننى اخفيه حتى كأننى * من الدهر يوما ما أحطت به خبرا

وقال أبو الحسين جعفر بن عثمان المصحفى الاندلسى صاحب الحكم

يا ذا الذى أودعنى سره * لا ترج أن تسمعه منى
لم أجره بعدك فى خاطرى * كأنه ما مر فى اذنى

وكنت قد أهديت الى المولى جمال الدين محمد بن نباتة من رحبة مالك بن طوق جمل سمك فراتى وسألته كتمان ذلك لمصلحة آثرتها وكتبت مع ذلك

أهديته سمكا بسطا دولك لى * فليس ذا سمكا لكنه شبك
لا تنكر التمر اذ يهدى الى هجر * فأنت بحر وقد أهدى لك السمك

فكتب الجواب عن ذلك ومنه فانه هاله رفدا لم يكن فيه عيب غير السرف ووجود الوقت ولكن المملوك منه لو صل فيه القول ووصف ولكن أشار مولانا الى مصلحة كتمه وجرى فى امتثال الاشارة على رسمه وخشى أن يجرى له فى هذه المطالعة ذكر بحكمه ويأخذ من أقصته اللؤلؤية معنى ينثره أو ينظمه فيتوهم مولانا ان المملوك يشيع أمره طلبا لاشاعة كلامه واذاعة نثاره ونظامه فسكت والاقوال تختلج وصمت والفاظ الآثار تكاد فى مسامع الاعين تلج ومنه على ان المملوك ان سكت مقاله فقد تكلمت مقلاته وجاش غليانها بشكر ما هبت به منن مولانا وهباته وليست والله كما قال بعض العرب مقلاة نزور ولكن ذات نتاج نعاود منها القرى ونزور

هبات عن البحر الفرات تحدثت * فقد عظمت عن قولى المتغالى
وقد أفصحت عندى المقالى بشكرها * فلم تخل عندى من ثناء مقالى

انتهى وأما الجاحظ فلم ير الصمت مذهبا لانه قال كيف يكون الصمت أنفع من الكلام ونفعه لا يكاد يجاوز صاحبه ونفع الكلام يخص ويعم والرواة لم تروسكوت الصامتين كما روت كلام الناطقين وبالكلام أرسل الله أنبياءه ومواضع الكلام المحمودة كثيرة وبطول الصمت يفسد البيان وقال أبو تمام الطائى تذاكرنا فى مجلس سعيد بن عبد العزيز الكلام وفضله

فسعوا به الى زياد وقالوا هجا أمير المؤمنين فقال زياد لعريف بنى تميم أحضر قومك والفرزدق فيهم لتأخذوا عطاءهم فأحس الفرزدق فهرب ومازال يطوف بالشر حتى أتى المدينة عائذا بسعيد بن العاص فقال فيه من قصيدة منشدا

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الامر فى الحدثان عالا
قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

فأمنه سعيد فبلغ زيادا فقال لا والله لا أرضى عنه حتى ينتسب فى بنى فقيم ثم قال مروان لم ترض أن تكون قعودا تنظر الى سعيد حتى جعلتنا قياما فقال انك منهم يا أبا عبد الملك اصافن فقعدها

والصمت ونبله فقال ليس النجم كالقمر انك انما تمدح السكوت بالكلام ولا تمدح الكلام بالسكوت وما أنبأ عن شئ فهو أكبر منه قلت ليس هذا بانصاف لا الصمت مطلقا ولا الكلام مطلقا وانما الصمت محمود اذا تكلم الانسان فيما لا يعنيه أو فيما اذا نقل عنه آلت عقباه الى مضرته أو مضرة غيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وأفتى الفقهاء أنه ان علم أن قوله الحق يصادف موقعا وقبولا تعين أن يقوله والا فالسكوت أولى ورب كلمة أدنت أجلا وقطعت دولا ومنعت أملا ودعت الى مأدبة شرها الجفلى وأما الرسل فكلامهم متعين واجب عليهم لانهم الزموا البلاغ وكلفوا هداية العباد ولا يكون ذلك الا بالكلام ولو لازموا الصمت لم يؤدوا الامانة ولم ينصحوا العباد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حفظ على أمتي أربعين حديثا بعثه الله في زمرة العلماء يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها فالكلام في العلم ونشره هداية وهداية الناس تتعين على من اتصف به وقد قال صلى الله عليه وسلم من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار ونصح المسلمين فريضة على كل مسلم وروى الشعبي عن علقمة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت وفي بعض الروايات أو ليسكت وقال الحسن بن عمرو الشعبي سمعت بشر بن الحرث يقول الصبر هو الصمت والصمت هو الصبر ولا يكون المتكلم أورع من الصامت الا رجل عالم يتكلم في موضعه ويسكت في موضعه انتهى والكلام مذموم اذا تكلم به في غيبة بل هو محرم أو اشتغل بما لا فائدة فيه أو بما اذا حفظ عليه أو نقل عنه حصلت به فتن أو نشأت به احن أو تولدت به أحقاد أما اذا كان الكلام بين أحباب وأصحاب وأهل وفاء وصفاء ومروات وديانات فلا بأس بالكلام وما أحسن ما قال محمد بن كناسة الاسدي

في انقباض وحشمة فاذا * جالست أهل العفاف والكرم
أرسلت نفسي على سجيتها * وقلت ما شئت غير محتشم

وقال القاضي الفاضل رحمه الله

الصمت أسلم لكن ان اردت دمي * ان لا يفيض فسامحني افض كلمي
بيني وبين وجودي الله يحكم لي * عليه ياليتني لا شئ في العدم
ولا حديثي ولا دهري وحادثه * ولا همومي ولا وهمي ولا هممي
ولا حسامي الذي للعز اغمده * ولا اجرد في الشكوى سوى قلمي
ولا الليالي التي نيرانها اتقدت * بالفكر لم تعل في الدنيا سوى علمي

وقال سيف الدين الآمدي رحمه الله اجتمعت بالشيخ شهاب الدين ابي الفتوح يحيى السهروردي في حلب فقال لي لا بد لي ان املك الارض فقلت من اين لك هذا قال رأيت في المنام كأني شربت البحر فقلت لعل هذا يكون اشتهار العلم وما يناسب ذلك فرأيته لا يرجع عما وقع في نفسه ورأيته كثير العلم قليل العقل انتهى ويقال انه لما تحقق القتل كان كثيرا ما ينشد

أرى قدمي اراق دمي * وهان دمي فها ندمي

ونقلت من خط القاضي شمس الدين أحمد بن خلكان رحمه الله تعالى ما صورته حكى لي

عليه مروان فلما عزل سعيد وتولى المدينة مروان أحضر الفرزدق فقال أنت القائل
هما دلتاني من ثمانين قامة * كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فقلت ارفعوا الاستار لا يشعروا بنا * وأقبلت في أعجاز ليل أبادره
فقال نعم قال أتقول هذا بين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عن المدينة فاستجار بعبد الله ابن جعفر ثم مات زياد فبلغ الفرزدق أن مسكينا الدارمي رثاه فقال ولم يكن هجا زيادا حتى مات خوفا منه
أمسكين أبكى الله عينك انما * جرى دمعها في باطل فتحدرا
بكيت امرأ من أهل ميسان كافرا

الضياء محمد بن خميس الوكيل المعروف بابن المغربي قال لما اعتقل الشهاب السهروردي بالمقام بقلعة حلب دخلت عليه المقام قاصد الأجر وجلست أتوضأ للصلاة فرأيته يتمشى ويقول اللهم اقبض روحي على خط مستقيم ولما رجع من تمشيه قال اللهم خلص لطيفتي من هذا العالم ثم عاد وقال

لو علمنا اننا لا نلتقي * لقضينا من سليمى وطرا

قال فتركته وخرجت ولم أسمع منه شيأ غير هذا انتهى ما نقلته ووجدت شمس الدين محمد بن التلمساني قد خرج على الحاشية بخطه قوله اللهم اقبض روحي على خط مستقيم تبع فيه اقليدس حيث قال اللهم أمتنا على زاوية قائمة وابعثنا على خط مستقيم انتهى قلت قدم الكلام على هذا في قوله وضج من لغب نضوي البيت وقوله اللهم خلص لطيفتي تبع فيه قول ارسطو فيما أظن اللهم خلص لطيفتي من ظلمات الهيولى وذكرت هنا ما حكاه ابن المزرع قال سمعت الجاحظ يقول وقد أنشد أبيات أبي نواس السينية التي أولها ودار ندامى عطلوها وأدلجوا الابيات لا أعرف شعرا يفضل هذه الابيات ولقد أنشدتها أبا شعيب القلال فقال والله يا أبا عثمان ان هذا لهو الشعر ولو نقر لطن فقلت له ويحك ما تفارق عمل الجرار والخزف انتهى قلت وكتاب الصنائع لابن مولاهم ولابن يعمر في هذا الباب غايه وفي العجب العجيب آيه وما أحسن قول أبي الحسين الجزار

فان يكن أحمد الكندي متهما * بالفخر يوما فاني لست أتهم
فاللحم والعظم والسكين تعرفني * والخلع والقطع والساطور والوضم

يشير الى قول أبي الطيب

فالخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وقال

ان شئت تعرف في الآداب منزلتي * واني قد عداني العز والنعم
فالظرف والسيف والاوجاق تشهد لي * والعود والنرد والشطرنج والقلم

وقلت أنا في هذه المادة

ان كنت تنكر حالي في الغرام وما * ألقى واني في دعواي متهم
فالليل والويل والتسهيد تشهد لي * والحزن والدمع والاشواق والسقم

وقال أبو الحسين الجزار متهكما يفخر على أبي الطيب

تعاظم قدري على ابن الحسين * فذهني كالعارض الصيب
وكم مرة قد تحكمت فيه * لان الخروف أبو الطيب

وقال أبو الحسين أيضا

حسن التأني مما يعين على * رزق الفتى والحظوظ تختلف
والعبد مذ كان في جزارته * يعرف من أين تؤكل الكتف

قلت قد رأيت بعضهم قد قال ان الكتف تؤكل من أسفلها لان لحم الكتف اذا اجتذب من الجانب الاسفل انقلع بكليته ولان المرقة تجري بين اللحم والعظم فاذا أخذت من أعلاها ربما انصبت المرقة على الآكل وقال النصير الحمامي أنشدنيه القاضي جمال الدين ابراهيم بن

ككسرى على علاته أو كقيصرا
أقول له لما أتاني نعيه
به لا بظبي بالصريمة أعفرا

*(أعذرت ان أغنيت شيأ وأسمعت لو ناديت حيا) يعني بلغت العذر في نصيحتك ان قبلت مني وتركت التعرض الى وأسمعتك ان كنت حيا تسمع وهذا نصف بيت من بيتين لعمرو بن معدي كرب ويروى لدريد ابن الصمة وقد تقدم ذكرهما وهما

لقد أسمعت لو ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي
ولو نارا نفخت بها أضاءت
ولكن أنت تنفخ في رماد

وبعض المتعصبين على أبي العلاء المعري يزعم أنه خرج ليلة الى بعض مراقب موسى

شيخنا الامام شهاب الدين محمود وقال أنشدني النصير لنفسه من لفظه

ومذ لزمت الحمام صرت فتى * بها يدارى من لا يداريه
أعرف حر الاشيا وباردها * وآخذ الماء من مجاريه

وقد أتى بمثلين معروفين وقال تاج الدين مظفر الذهبي

كلفت بتصوير الدمى في شبيبتي * وأتقنتها اتقان حرمهذب
وحاولت عنها رجعة ومدحتكم * فلم أخل من تزويق زور مكذب

وقال نجم الدين بن صابر المنجنيقي

تعلمت علم المنجنيق ورميه * لهدم الصياصي وافتتاح المرابط
وعدت الى نظم المديح لشقوتي * فلم اخل في الحالين من قصد حائط

وقال سيف الدين المشد

الحمد لله في حلي ومرتحلي * على الذي نلت من علمي ومن عملي
بالامس كنت الى الديوان منتسبا * واليوم أصبحت والديوان ينسب لي

وقال السراج الوراق

رب سامح أبا الحسين وسامحني بخسي وحسبه الآثام
فذنوب الوراق كل جريح * وذنوب الجزار كل عظام

وقال أيضا

نصب الحشا غرضا وقرطس اذ رمى * وهي القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال يجيبني * ياليت شعري أيما الوراق

وقال أيضا

بني اقتدي بالكتاب العزيز * وراح لبرى سعيا ولاجا
فما قال لي أف مذ كان لي * لكوني أبا ولكوني سراجا

وقال أيضا

قالوا وقد ملني فلان * ومالود المملول رجعه
قطلك عنه فقلت دعه * كنت سراجا فصرت شمعه

وقال أيضا

أثنى على الانام انى * لم أهج خلقا ولا هجاني
فقلت لاخير في سراج * ان لم يكن دافئ اللسان

وقال أيضا

قلبي لديك وطرفي طال بعدهما * عني فلي أبدا سهد وتذكار
ولست متهما قول السراج اذا * ماقال من قلق في قلبي النار

وقال أيضا

الهي قد جاوزت سبعين حجة * فشكرا لنعماك التي ليس تكفر
وعمرت في الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا يبدو السراج المعمر
وعم نور الشيب رأسي فسرني * وماساءني أن السراج منور

عليه السلام ورفع رأسه الى السماء وقال يارب كلني فانا أفصح من موسى قال ذلك مرارا فلم يجبه أحد فانشد البيتين وذكر انهما من شعره والحكاية باطلة في حقه من وجوه متعددة
(ان العصا قرعت لذى الحلم والشئ تحقره وقد ينمى)
قرعت له العصا مثل يضرب لمن ينصح وينبه على ماهو أصلح وقوله ان العصا قرعت والشئ تحقره مثلان في التحذير منظومان في قول الحرث بن وعلة الشكري وقد قتل بعض سادات قومه أخاه فقال من أبيات حسنة في معناها
أقتلت سداتنا بلا ترة * الا لتوهن قوة العظم

وقال أيضا

كم قطع الجود من لسان * قلد من نظمه النحورا
فها أنا شاعر سراج * فاقطع لساني أزدك نورا

وقال وقد وقع المطر

جاء لسان السراج مبلولا * لكم بشكر كالروض مطلولا
فقال قوم والقطر يأخذه * قد عاد هذا السراج قنديلا

وقال أيضا

شعر بني مذ رمدت قد حجبت * شخصك عني وكان مأنوسا
الحمد لله زادني شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

وعلى الجملة فقد استعمل اسمه وصناعته كثيرا الى الغاية وأخبرني المولى القاضي عماد الدين اسمعيل بن القيسراني قال قال والدي للسراج الوراق لولا لقبك راح نصف شعرك وحكى انه جهز يوما غلامه ليبتاع له زيتا طيبا يأكل به الحمص فأحضره وقلبه وأخذ في الاكل فوجده زيتا حارا فأنكر على الغلام وأخذه وجاء الى البياع وقال أتفعل مثل هذا بنا فقال والله يا سيدي مالي ذنب لانه قال أعطني زيتا للسراج وحضر هو وأبو الحسين الجزار ليلة من الليالي عند الصاحب بهاء الدين للمنادمة فقام أبو الحسين الى بيت الخلاء فقال الصاحب يا طواشي قم قدام جمال الدين بالشمعة فقال أبو الحسين يا مولانا الصاحب المملوك تعوّد أن يخرا على السراج فقال السراج لا جرم أني ما بقيت أنيك علقا وما أحسن قول شرف الدين أبي الطيب أحمد بن الحلاوي

جاء غلامي فشكا * أمر كيتي وبكى
وقال لي لا شك بر * ذونك قد تشبكا
قد سقته اليوم فما * مشى ولا تحركا
فقلت من غيظي له * مجاوبا لما حكى
تريد أن تخدعني * وأنت أصل المشتكى
ابن الحلاوي أنا * فلا تكن مملكا
ولا تخادعني ودع * حديثك المعلكا
لو أنه مسير * لما غدا مشبكا
فذر أي حلاوة الالفاظ مني ضحكا

(رجع) وهذا شهاب الدين السهروردي وهو المقتول حبسه الظاهر غازي ابن السلطان صلاح الدين باشارة والده وكان شابا فاضلا أوحد أهل زمانه في العلوم الحكمية بارعا في اصول الفقه مفرط الذكاء فصيح العبارة له كتاب التنقيحات وكتاب التلويحات وهو أكثر مسائل من اشارات ابن سينا وكتاب الهياكل وكتاب حكمة الاشراق والرسالة المعروفة بالغربة الغريبة على مثال رسالة حي بن يقظان ويقال انه كان يعرف علم السيمياء وانه اجتمع بالظاهر غازي وأراه منها عجائب فقيل لوالده السلطان صلاح الدين انه يفسد عقيدة ولدك فكتب اليه أن اقتله بلا معاودة فقتله وهو ابن ست وثلاثين سنة أو ثمان وثلاثين والناس في

ووطئتنا وطأ على حنق
وطء المقيد نابت الهرم
وزعمت أنا لا حلوم لنا
ان العصا قرعت لذي الحلم
لا تأمنن قوما ظلمتهم
وبدأتهم بالشتم والظلم
أن يأبروا نخلا لغيرهم
والشيء تحقره وقد ينمي
الآن لما ابيض مسربتي
وعضضت من نابي على جذم
ترجو الاعادي أن أصالحها
جهلا توهم صاحب الكلم
قومي هم قتلوا أميم أخي
فاذا رميت يصيبني سهمي
فلئن عفوت لاعفون جللا
ولئن اصبت لاوهنن عظمي
واختلف فيمن قرعت له العصا وضرب به المثل فقيل هو عامر بن الظرب بن عباد اليشكري أحد حكام العرب

أمره مختلفون فقائل انه من أهل الصلاح والكرامات ظهرت بعد موته وقال القاضي بهاء الدين ابن شداد رحمه الله تعالى في أول سيرة صلاح الدين انه كان حسن العقيدة كثير التعظيم لشعائر الدين وأطال الكلام في ذكره وأكثر الناس على انه ملحد لا يعتقد شيئا وانه انما قتله قلة عقله وكثرة كلامه ويقال ان الخليل بن أحمد رحمه الله اجتمع هو وعبد الله ابن المقفع ليلة فتحادثا الى الغداة فلما تفرقا قيل للخليل كيف رأيته قال رأيت رجلا علمه أكثر من عقله وقيل لابن المقفع كيف رأيت الخليل قال رأيت رجلا عقله أكثر من علمه وكذا كان ابن المقفع فانه قتله قلة عقله وكثرة كلامه شر قتلة ومات شر ميتة قلت وكذا أيضا كان الشيخ الامام العالم العلامة تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله علمه متسع جدا الى الغاية وعقله ناقص يورطه في المهالك ويوقعه في المضايق وما أحسن قول القائل

الصمت يرتع في الرياض وانما * حبس الهزار لانه يترنم

وكم قد رأيت من ذي منظر ورواء حسن وسمت وبهاء كان له في النفوس أبهة وعظمة حتى اذا تكلم انسلخ مما كان فيه ورمي بالهوان وحكي ان بعضهم كان يجلس الى القاضي أبي يوسف فيطيل الصمت فقال له يوما القاضي أبو يوسف ألا تتكلم فقال بلى متى يفطر الصائم فقال أبو يوسف اذا غابت الشمس قال فان لم تغب الشمس الى نصف الليل فضحك أبو يوسف وقال أصبت أنت في صمتك وأخطأت أنا في استدعاء نطقك ثم تمثل بقول القائل

عجبت لازراء الغبي بنفسه * وصمت الذي قد كان بالقول أعلما

وفي الصمت ستر للغبي وانما * صحيفة لب المرء أن يتكلما

وبعض الناس يروي أن هذه الواقعة اتفقت للشافعي رضي الله عنه وان هذا السائل كان يحضر مجلس الشافعي وهو ذو أبهة وزي حسن وبخور يعبق فيحترمه الشافعي ويتجمع منه ويضم رجليه ويجد لذلك المسا فلما كان في بعض الايام أطال الجلوس والشافعي ضام رجله الى أن خدرت فلما سأل هذا السؤال وقال فان لم تغب الشمس الى نصف الليل قال الشافعي يمد الشافعي رجله ومدها وبعضهم يرويها انها وقعت لابي حنيفة رضي الله عنه والظاهر انها وقعت لابي يوسف رحمه الله تعالى وقال الهيثم بن صالح لابنه اذا أقللت من الكلام أكثرت من الصواب واذا أكثرت من الكلام أقللت من الصواب فقال يا أبت فان أنا أكثرت وأكثرت يعني من الكلام والصواب فقال أبوه ما رأيت موعوظا أحق بان يكون واعظا منك

*(قد رشحوك لامر ان فطنت له * فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل)*

(اللغة) رشحوك فلان يرشح للوزارة أي يربى لها ويؤهل فان الترشيح هو أن ترشح الام ولدها باللبن القليل تجعله في فيه قليلا قليلا الى أن يقوى على المص وترشح الفصيل اذا قوي على المشي قال الاصمعي اذا قوي ومشى مع أمه فهو راشح وأمه مرشح فطنت الفطنة الفهم تقول فطنت بالفتح ورجل فطن وقد فطن فطنة وفطانة وفطانية أربأ قال أبو زيد ربأت الشئ اذا حذرته واتقيته والمرباة المرقبة ومنه قيل لمكان البازي الذي يقف عليه مربأ الهمل بالتحريك الابل بلا راع مثل النفش الا ان النفش لا يكون الا ليلا والهمل يكون ليلا ونهارا يقال ابل همل وهاملة وهمال وهوامل وتركتها هملا أي سدى وفي المثل اختلاط المرعي بالهمل قال الزمخشري في المستقصى أي تساوى النعم التي لا راعي لها والتي لها راع لسوء الرعية يضرب

المشهورين وفيه يقول ذو الاصبع

ومنا حاكم يقضي * فلا ينقض ما يقضي

وهو أول من قضى في الخنثى وذلك انه اختصم اليه في رجل له ما للمرأة وما للرجل فقال أيجعل رجلا أم امرأة فقال لهم انصرفوا عني حتى أنظر في أمري فما نزل بي مثلها فانصرفوا وبات ليلته ساهرا وكانت له جارية ترعى غنمه يقال لها سخيلة وكان يقول لها اذا سرحت عنه بكرة صبحت يا سخيل واذا راحت يقول مسيت يا سخيل لانها كانت أخرى تسبق فلم يقل لها شيئا ورأت سهره وفكره فقالت له ما عراك فقال دعيني من شأنك فأعادت

مثلا القوم يشكل عليهم أمرهم فلا يعزمون فيه على رأي (الاعراب قد) حرف يصحب الافعال ويقرب الماضي من الحال وهي هنا للتحقيق وقد تقدم الكلام عليه (رشحوك) رشح فعل ماض والواو ضمير الفاعلين والكاف للمخاطب وهي ضمير المفعول وأضمر الفاعلين هنا لانه آثر طي ذكرهم اما للخوف منهم اذا ذكروا واما للجهل واما للعلم المخاطب بهم وهم معهودون في ذهنه (لامر) اللام لام التعدية وأمر مجرور بها وهو في موضع نصب (ان) حرف شرط وقد تقدم الكلام عليها (فطنت) فعل ماض والتاء ضمير الفاعل وهو المخاطب فارق بين ضمير المتكلم والمخاطب انما ضموا تاء المتكلم وفتحوا تاء المخاطب لان الرفع هو العمدة في الكلام وهو أول الحركات فاعطوا الاول للاولى لان المتكلم أولى من المخاطب كما ان المخاطب أولى من الغائب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ثم بالناس وفتحوا تاء الخطاب لانها استحقت ثاني الحركات وهي الفتحة لما أخذ الاولى الاول (له) جار ومجرور وهو متعلق بفطنت (فاربا) الفاء جواب الشرط ار بأ فعل أمر مبني على السكون وهو سكون الهمزة (بنفسك) الباء للتعدية وعلى ما حكاه أبو زيد أن ار بأ يتعدى بنفسه فالباء هنا للمصاحبة ونفس مجرور بالباء والكاف في موضع جر بالاضافة (أن) حرف ينصب الفعل المضارع وقد تقدم الكلام على أن في قوله وعادة النصل أن يزهى بجوهره وهي هنا مصدرية لانها وما دخلت عليه في تاويل المصدر (ترعى) فعل مضارع منصوب بان وعلامة نصبه فتحة مقدرة على الالف لانه معتل الطرف وانما كتب بالياء لانه من رعيت (مع الهمل) مع قال الجوهري في صحاحه هي كلمة تدل على المصاحبة وقال محمد ابن السري الذي يدل على ان مع اسم حركة آخره مع حركة أوله وقد يسكن وينون تقول جاآ معا انتهى (الهمل) مجرور باضافته الى مع كأنه قال ار بأ بنفسك أن ترعى مصاحب الهمل قلت اللغة الفصحى أن تكون العين من مع متحركة قال بعضهم ما عمر بيت فيه مع ولا نهضت قافية مقيدة وهذا كلام من ذاق البلاغة وارتضع اخلافها ومعا اذا جاءت في الكلام فانها تنصب على الحال اذا قلت جاآ معا كأنك قلت جاآ متصاحبين وذكرت هنا قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني

للناطقين أشتكي أبدا * عين رقيبي فليته هجعا

حاذرها من احبه فانى * ان تختلي ساعة ونجتمعا

كيف غدت دائما وما انفصلت * مانعة الجمع والخلو معا

قلت في هذا نظر لان التعجب لم يصادف موقعا لانك اذا قلت العدد اما زوج واما فرد كانت هذه القضية مانعة الجمع والخلو معا لان العدد لا يجتمع فيه الزوجية والفردية ولا يخلو من واحد منهما واذا كان كذلك فما بقي للتعجب ولا للانكار محل ولا مساغ وانما عادة الشعراء وغيرهم التعجب مما يخرج عن العوائد المألوفة والقواعد المعروفة كقول الامير أمين الدين علي بن عثمان السليماني

أضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ما خص بالجسر

وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

وما أحسن ما استعمل أبو الطيب معا في القافية حيث قال

عليه فقال وذلك أنه اختصم الى في خنثى له مال الذكور مال الانثى في ميراثه أأجعله امرأة أم رجلا فقالت لا أبالك أقعده فان بال من حيث يبول الرجل فهو رجل فقال لها * مسى سخيل بعدها أو صحي *فذهبت مثلا ثم خرج فقضى بالذي أشارت قال السهيلي وهو حكم معمول به في الشرع من باب الاستدلال بالعلامات وله مثل في الشرع بعد قول الله تعالى وجاؤا على قميصه بدم كذب ووجه الدلالة على الكذب أن القميص لم يكن فيه خرق ولا اثر ثم أن عامرا كبر وضعف حتى قال في شعره

أرخت ثلاث ذوائب من شعرها * في ليلة فارت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها * فأرتني القمرين في وقت معا

ويعجبني قول أبي نصر أحمد بن علي بن أبي بكر الزوزني

الا حل بي عجب عاجب * تقاصر وصفي عن كنهه
رأيت الهلال على وجه من * رأيت الهلال على وجهه

قلت وهذا في غاية الحسن يظن السامع له من أول وهلة أنه من باب التكرار وتحصيل الحاصل الى أن يشحذ ذهنه ويتأمل غرض الشاعر في ذلك فيرقص له طربا ومن هذه المادة قول القائل

قالت لترب معها منكرة * لوقفتي هذا الذي تراه من
قالت فتى يشكو الهوى متيم * قالت بمن قالت بمن قالت بمن

معناه قالت بمن هو متيم تستفهم من تربها قالت لها بالتي قالت بمن وقالوا هو مأخوذ من قول أبي الطيب

قالت وقد رأت اصفراري من به * وتنهدت فاجبتها المتنهد

وفي البيتين عيب ولم أر أحدا تنبه له وهو الايطاء في القافية لان من في القافيتين للاستفهام ولو كانت احداهما للاستفهام والاخرى موصولة كالوسطى في قوله قالت بمن لكان أكمل وأخلص من الايطاء في بيتين ومنها قول شيخ الشيوخ شرف الدين عبد العزيز الحموي

مابان لي فيك حين * لولم يبن لك حين
ياجنتي كل هون * لولا تجنيك هين
تدنيننا بوعيد * وتنكر الوعد دين
ان كان جفنك جفن * فان عيني عين

قلت يليق بهذا النوع ما سماه الشيخ زين الدين عمر بن مظفر الوردي وهو ايهام التوكيد وأنشدني فيه لنفسه اجازة ومن خطه نقلت

تعشقت أحوى لي اليه وسائل * واصلاح أحوالي لديه لديه
أحربه مستعطفا متلطفا * فيثقل تسليمي عليه عليه
فلا كان واش كدر الصفو بيننا * وبغض تحبيبي اليه اليه

ومثله قول ابن نقادة

يثبت تأليف الهوى حسنها * وقدها الصبر ان ماح ماح
وطرفها مسكرة خمره * اذا ادرت وهو يا صاح صاح
أمد قلبي نحو كاساتها * رشفا اذا مدت الى الراح راح
واضحها موضح عذري فما * يلومني فيها اذا لاح لاح

وأما تحصيل الحاصل وتكرار اللفظ والمعنى بعينهما فهو كما قال الارجاني فيما أظن ولكنه قصد ذلك

سال الصدى عنه وأصغي للصدى * كيما يجيب فقال مثل مقاله

ارى شعرات على حاجبي
بيضا نبتن جميعا تواما
أظل أهاهي بهن الكلا
ب أحسبهن صوارا قياما
فقال له الثاني من ولده وقيل ابنته انك ربما أخطأت في حكم فيحمل عنك قال فاجعلوا لي امارة أتنبه بها حتى أعرف الصواب فكان يجلس قدام بيته ويحمل ابنه في البيت ومعه عصا فاذا هفا قرع جفنة فينتبه ويرجع الى الصواب فضرب به المثل وهو أول من فعل ذلك وقيل هو شخص في زمن النعمان بن المنذر حذر أخاه وذلك ان النعمان أرسل شخصا يرتاد الكلأ فأبطأ فغضب وعزم على أن يسأله اذا ورد

ناداه اين ترى محط رحاله * فاجاب اين ترى محط رحاله

وكان بهاء الدين أسعد السنجارى فى بعض أسفاره فنزل فى بعض الطريق وكان له غلام يدعى ابراهيم وكان يأنس به فابعد الغلام فقام يناديه يا ابراهيم يا ابراهيم مرارا ولم يجبه غير الصدى فقال

بنفسى حبيب جاروهو مجاور * بعيد عن الابصار وهو قريب
يجيب صدى الوادى اذا ما دعوته * على انه صخر وليس يجيب

وما أحسن قول محاسن الشواء

لى صديق غدا وان كان لا ينطق الا بغيبة أو محال
اشبه الناس بالصدى ان تحدثه حديثا اعاده فى الحال

وقول ناصر الدين حسن بن النقيب

لما رفعت لضيف الطيف حين سرى * نارا شتياقى هدته فى دجا الظلم
وسار نحوى ليلقانى فلم يرنى * ولا استبنت له من شدة الالم
فكنت مثل الصدى فيما أجبت به * فارى ويحس الصوت من كلمى

وقول السراج الوراق

وقفت باطلال الحبة سائلا * ودمعى يسقى ثم عهدا ومعهدا
ومن عجب انى أروى ديارهم * وحظى منها حين اسأل الصدى

وقال السراج الوراق ملغزا فى ماء

ما اسم شئ اذا سألتك ماهو * قلت لى كالصدى مجيبا ماهو
ولعمرى لقد أجبت وأثلجت فؤادى به فزال صداه

وقال ابن سناء الملك

يحكينى الربع او احكيه بعدكم * سقما فياليت شعرى اينا الحاكى
فما مررت بربع كان ربعكم * الا ظننت صداه انه الشاكى

وانشدنى لنفسه اجازة المولى جمال الدين محمد بن نباتة

امعهد سغدى بالعذيب سقاكا * ملث الحيا حتى يبل صداكا
صدى كلما أشكو أجاب كأنما * خلقنا على اطلالها نتشاكى

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب

خيال الفتى فى كل صاف لعينه * كصوت الصدى فى سمعه اذ يجاوب
فيسمع من ذا ناطق وهو صامت * ويبصر من ذا حاضر وهو غائب

وأما قول أبى الطيب والذى بعده فانهما فى غاية ما يكون من مبالغة وصف البشرة بالرقة والصفاء وما أحسن قول بعضهم

برزت فقابل ناظرى من وجهها * مرآة حسن بالجمال صقيل
أبكى فانظر أدمعى فى خدها * تجرى فأحسب انها تبكى لى

وقال الآخر

ولما التقى الواشون والركب ظاعن * وقد رام للتوديع منى تدانيا

فان قال خصبا فتله وان قال جدبا فتله وعرف بذلك أخوه فقال للنعمان أتأذن اليه لى ان انذره قال لا قال فاشير قال لا قال فاقرع له عصا قال فاقرع فلما ورد اخذ اخوه عصا من بعض جلسائه وقرع بها عصاه التى كانت معه قرعا مختلفا الى ان فهم اخوه القصة فقال لم اجد خصبا ولم اذم جدبا الارض مشكلة لا بقلها يعرف ولا جدبها يوصف رائدها واقف ومنكرها عارف فقال النعمان أولى لك بذلك نجوت فنجا وقال اخوه قرعت العصا حتى تبين صاحبى ولم تك لولا ذاك للقوم تقرع

بدت في محياه خيالات أدمعي * صفاء فظنوه بكي البكا ئيا

ومثله قول الارجاني

قابلني حتى بدت أدمعي * في خده المصقول مثل المراه
يوهم صحبي انه مسعدي * بادمع لم تذرها مقلتاه
وانما قلدني منه بدمع عين من جفون مراه
ولم تقع في خده قطرة * الا خيالات دموع البكاه

وقال الارجاني

وأغيد راق ماء الوجه منه * فلو أرخى لثاما عنه سالا
تبين سوادها الابصار فيه * فحيث لحظت فيه حسبت خالا

واخذه الآخر فقال

ولما استقلت أعين الناس حوله * تراقبه حيث استقل وسارا
تمثلت الاهداب في صفو خده * خيالا فخالوا الشعر فيه عذارا

وقال أبو الحسن علي بن أحمد الديباجي المصري

يا حبذا قر تزرفن صدغه * واخضر شاربه فزاد جمالا
وكأن اسود ناظري في خده * لما نظرت له تمثل خالا

وقال بن رشيق فيما أظن

أخاف تجنيه فاصفر ان بدا * ويصفر خوفا ان أنم عليه
وأكثر ظني أن مرآة خده * توصل الوان الوجوه اليه

وقال أحمد بن صالح بن شرزاد الوزير

ظبي ترى وجهك في وجهه * وتشرب الخمرة من فيه

وقال بن قاضي ميلة

محيا ترى الاتراب اشخاصها به * جرى فيه رواق النضارة مذهبا
اذا زاره ذو لوعة لاح شخصه * الى الحول في افرنده متنصبا
فاعجب بوجه حسنه من وشاته * ينم على من زاره متنقبا
بدت صور العشاق في ماء خده * فاغنت رقيب الحي أن يترقبا

وقال أبو العيناء أنشدت النظام

اذا هم النديم له بلحظ * تمشت في مفاصله الكلوم

فقال ما ينبغي أن ينادم هذا الا أعمى ولا ينال الابا برون وهم وقال آخر

ومهفهف قسم الاله مثاله * نصفين من غصن ومن رمل
فاذا تأمل في الزجاجة ظله * جرحته لحظة مقلة الظل

وقال آخر

اضمر ان اضمر هجري له * فيشتكي اضمار اضماري
رق فلو مرت به ذرة * لخضبته بدم جاري

وقال بن سناء الملك

نظراتي لوجهه * بدموع معثره رق حتى كأنما * لثمه سوء مقدره

وانشدني

وقيل المراد بقرع العصا قصة قصير لما كان مع جذيمة واقبلت عساكر الزباء قال له اني متى انكرت القوم قرعت لك العصا وهي فرس جذيمة التي لا تلحق فاركبها وانج فلما رأى الشر قرعها بالسوط فأنف جذيمة من الهرب فركبها قصير ونجا عليها وضرب بذلك المثل يعنون لو كان لجذيمة حلم لركبها لكن القول الاول أشهر وأحسن

(وان بادرت بالندامة ورجعت على نفسك بالملامة كنت قد اشتريت العافية لك بالعافية منك) يعني ان ندمت على ما أقدمت

وانشدني لنفسه اجازة المولى صفي الدين عبد العزيز الحلي

وظبية من ظباء الترك كالشمس * لسكنها في رياض الحسن قد سرحت
ان جال ماء الحيا في خدها خجلت * وان تردد في أجفانها انفتحت
قست على صبها قلبا ووجنتها * لو مر تقبيلها بالوهم لانجرحت

وقال بن القابلة

ووجه مليح رق حسنا اديمه * يرى الصب فيه وجهه حين ينظر
تعرض لي عند اللقاء به رشا * تكاد الجسام من حياه تعصر
ولم يتعرض كي أراه وانما * اراد يريني أن وجهي اصفر

وعلى ذكر رؤية الهلال فما أحسن قول ابن الرقاق

لله شهر ما انتظرت هلاله * الا كنون أو كعطفة لام
حتى تبدى لي أغن مهفهف * لضيائه يجاب كل ظلام
فطفقت أهتف في الانام ضللتم * وغلطتم في عدة الايام
ماجاءنا شهر لاول ليلة * مذ كانت الدنيا ببدر تمام

وقوله أيضا

وشهر أدرنا لارتقاب هلاله * عيونا الى جو السماء جوائلا
الى ان بدا أحوى المراشف أحور * يجرر لابراد الشباب دلادلا
فقلت له أهلا وسهلا ومرحبا * ببدر حوى طيب الشمول شمائلا
أتطلبك الابصار في الجو ناقصا * وأنت كذا تمشي على الارض كاملا

قلت ومع حسن هذين المعنيين فقد طول في المقطوعين وزاد في التوطئة لما اراد وكان يكفيه في كل مقطوع بيتان وقد خطر لي نظم هذا المعنى في بيتين لا غير فقلت

ولما تراأينا الهلال بدا لنا * محيا حبيب لم يغب قط عن فكري
فقلت عجيب أن يرى البدر هكذا * تماما ونحن الآن في أول الشهر

وقلت في ذلك أيضا

رأيت الهلال وحبي معا * وفي وجهه شغل عيني وفكري
فبشرت بالسعد عيني التي * أرتني الهلال على وجه بدري

وقال آخر في مليح لم ينظر الهلال

تراآت البدر عيون ولم * ينظر اليه مع نظاره
وما الذي يصنع بالبدر من * أطلعه الله بازراره

قيل ان في أيام اياس بن معاوية القاضي تعذر على الناس رؤية الهلال فلم يره أحد فحضر اليه أنس بن مالك رضي الله عنه فيما أظن وقال رأيته فقال أرني مكان رأيته فأراه فلم ير اياس شيئا ونظر شعرة بيضاء خارجة عن حاجبه فنحاها وقال له انظر الى الهلال وحققه فنظر فلم يجد شيئا وهذا من تفرس اياس رحمه الله تعالى (فائدة) ذكرتها هنا وهي انه وجد بخط الشيخ تقي الدين بن الصلاح رحمه الله تعالى ما صورته ذكر أبو القاسم السهيلي قال اجمع المسلمون على ان حجة الوداع كان يوم عرفة فيها يوم الجمعة وكان أول شهر ذي الحجة في تلك السنة يوم

عليه وتركته وملت نفسك أرحت نفسك بانقطاعك عنا وأرحتنا منك (وان قلت جعجعة ولا طحن ورب صلف تحت الراعدة) مثلان يضربان لمن يتوعد ولا يفعل والجعجعة صوت الرحى والطحن الدقيق فعل بمعنى مفعول كذبح وفرق والصلف قلة البركة والخير ولذلك يقال اصلف من ملح في ماء أي لا يسقي وسحاب صلف اذا كان قليل الماء كثير الرعد والمعنى انك متى قلت اني أتوعد ولا تفعل فسترى ما يكون (وانشدت لا تؤيسنك من مخدرة قول تغلظه وان جرحا)

الخميس وهذا لاشك فيه ثم قال بعد ذلك وقال أكثر أهل التاريخ ان رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاوّل بعد الحجة المذكورة بثلاثة أشهر وكيف حسب الانسان الشهور وهن ذو الحجة والمحرم وصفر وربيع الاوّل وجعل أوّل ذي الحجة الخميس ما يتصوّر أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاوّل سواء حسب الجميع نواقص أو كوامل أو بعضهن نواقص وبعضهن كوامل فاعتبره تجده كذلك وأجاب عن هذا السؤال قاضي القضاة شرف الدين البارزي الحموي بما صورته يحتمل انه لما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى هلال ذي الحجة بين مكة والمدينة ليلة الخميس وغم على أهل المدينة فلم يروا هلال ذي الحجة الا ليلة الجمعة فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوفي بالمدينة أرخ أهل المدينة موته على حكم ما رأوا وارخوا في أوّل ذي الحجة وهو يوم الجمعة فجاءت الشهور الثلاثة ذو الحجة والمحرم وصفر كوامل وجاء أوّل ربيع الاوّل الخميس وكان ثاني عشر ربيع الاوّل يوم الاثنين وكان بين رؤيته صلى الله عليه وسلم وبين رؤية اهل المدينة مسافة القصر والصحيح من مذهب الشافعي اعتبار اختلاف المطالع والله اعلم بالصواب وقد أجاب القاضي عز الدين بن جماعة عن هذا الاشكال ايضا بان تفرض الشهور الثلاثة كوامل ويكون قولهم لاثنتي عشرة ليلة خلت منه اى بايامها كاملة فتكون وفاته بعد استكمال ذلك والدخول في الثالث عشر والاشكال قوي وكلا الجوابين فيه نظر لما في كلام السير مما يدل على نقصان الثلاثة او اثنين منها والراجح من حيث الاتباع انه لليلتين خلتا من ربيع الاوّل والجمهور على انه لاثنتي عشرة ليلة خلت وصرح به جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين (المعنى) قد ربوك واهلوك لامر ان كنت تعلم باطنه في مرادهم منك فاهرب منهم ولا تطاوعهم على ما يرمونه منك ان اردت ان لا ترعى هاملا فقعود سدى يحذر نفسه من أعاديه الذين يسعون في قهره وحساده الذين يريدون هلاكه ويتمنون وقوع الاذى به ويتربصون به الدوائر قال الارجاني

عرفت دهري واهليه ببادرتي * من قبل ان تجدتني فيهم الحنك
فلا حسائك في صدري على احد * منهم ولا الهم في مضجعي حسك
ولا اغر ببشر في وجوههم * وربما غر حب تحته شبك

وقال ابن الساعاتي

لا يغرنك التودد من قو * م فان الوداد منهم نفاق
والقلوب الغلاظ لا ينزع الاحـ * ـقاد منها الا السيوف الرقاق

وقال مهيار الديلمي

خلعت موفقا نظري وقلبي * هواه فمن يعادي او يوالي
اطالع صاحبا فادري بظني * خلال تجاربي فيه اختلالا
وأخبره فلا ارضاه قولا * لاخبره فارضاه فعالا

وأبو الطيب أوجز قولا من هذا لانه قال

اخالط نفس المرء من قبل جسمه * وأعرفها من فعله والتكلم

والسابق الى هذا المعنى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيما ينسب اليه من الشعر حيث قال

هذا البيت لبشار بن برد وقد ذكر أبو الشمقمق قال دخلت عليه يوما وبين يديه مائة دينار فقال خذ منها أتدري ما قصتها قلت لا قال أنا اليوم جالس واذا بفتى من ذوي النعمة دخل علي فقال يا أبا معاذ هذه مائة دينار نذرت أن أدفعها اليك فتسلمها فقلت ما سببها فقال كنت قد هويت امرأة وتعرضت لها فتصعبت علي فأردت السلو فذكرت قولك
لا يؤيسنك من مخدرة
قول تغلظه وان جرحا
عسر النساء الى مياسرة
والصعب يركب بعدما جمحا
فصبرت فادركت مقصودي منها وآليت على نفسي أن

عيناك قد دلتا عيني منك على * أشياء قد كنت طول الدهر تخفيها
والعين تعلم من عيني محدثها * ان كان من حزبها او من اعاديها

وقال أبو الطيب

واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل

وهو مأخوذ من قول زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وقال أبو الطيب

ويعرف الامر قبل موقعه * فماله بعد فكره ندم

ومن حكم أبي الطيب قوله

لو فكر العاشق في منتهى * صورة من يسبيه لم يسبه

ومثله قول القائل

يمثل ذو اللب في نفسه * مصائبه قبل ان تنزلا
يرى الامر يفضي الى آخر * فيجعل آخره أولا

وما أحسن قول أبي نواس

أسأل القادمين من حكمان * كيف خلفتم أبا عثمان
وأبا مية المهذب والما * جد والمرتجى لصرف الزمان
فيقولون لي جنان كما سرك في حالها فسل عن جنان
ما لهم لا يبارك الله فيهم * كيف لم يغن عنهم كتماني

قلت أبو عثمان هو أخو مولى جنان وأبو مية هو مولاها وهذه جنان كان أبو نواس يهواها ولم يصدق في هوى امرأة غيرها وله فيها املح طريقة قال شرف الدين شيخ الشيوخ عبد العزيز الحموي رحمه الله تعالى أنشدت والدي أبيات أبي نواس هذه فقال هذا شبيه بقصد ظريفة وهي ان بعض عوام بغداد مرض له نسيب فوصف له بطيخ رقي وكان عزيزا في ذلك الفصل فلم يجده فذكر له ان بطيخة منه عند بعض الفكاهيين بالكرخ فلما جاءه لم يرد البداءة بسوم البطيخة لئلا يفطن لقصده فقال كيف تبيع هذا الرمان فقال البطيخة بنصف دينار فقال بعها لمن يطلبها عاشت فأنا أريد مشتري طبق فاكهة كيف تبيع التفاح قال البطيخة بدينار فلم يزل يساومه على نوع نوع وهو يزيد في البطيخة حتى ألجأته الضرورة الى ان صدقه واشتراها منه بما تراضيا عليه انتهى قلت ومن هذا الباب ما حكي ان انسانا مر بمكتب فيه صغير مليح الوجه فوقف وسأل الفقيه وقال يا مولانا هذا ابن من وأشار الى صغير غيره ذلك فقال الفقيه يا مولانا لا تتعبني وتضيع الزمان في السؤال هذا المليح ابن فلان وما أحلى قول شرف الدين شيخ الشيوخ

سألته من ريقه شربة * اطفي بها من كبدي حره
فقال اخشى يا شديد الظما * ان تتبع الشربة بالجره

وأنشدني جمال الدين محمد بن نباتة قال أنشدني القاضي زين الدين عمر بن الوردي قال أنشدني الاديب يحيى بن محمد بن زكريا الحموي الخباز لنفسه

احمل اليك هذه المائة دينار (فعدت لما نهيت عنه وراجعت ما استعفيت منه) وبعثت من يزعجك الى الخضراء دفعا ويستحثك نحوها وكزا وصفعا) يعني انك ان لم تبال بتوعدي ولم تصدقه وعاودت المراسلة بعثت من يزعجك من مكانك والازعاج عدم الاستقرار ومنه المرأة المزعاج التي لا تستقر في مكان والخضراء ناحية المزدرع من البلد أو اسم ضيعة والوكز مثل الدفع وهو ضرب الظهر مع الدفع وقيل الضرب بجمع اليد على الذقن

طلبت منه قبلة قال لى * اياك ان تطمع فى القرب
البوس جاليش واخشى بأن * تستتبع الجاليش بالقلب

وقال أبو حاتم الجارى بالراء

وزائر زارنى وقد هجعت * عيناى لما تبلج الفجر
بكيت للقرب ثم قلت له * من ثمر الوصل يجتنى الهجر

وقال سعيد بن حميد لفضل الشاعرة

ما كنت أيام كنت راضية * عنى بذاك الرضا بمغتبط
علما بأن الرضا سيعقبه * منك التجنى و كثرة السخط

وقال العباس بن الاحنف

قد كنت أبكى وأنت راضية * حذار هذا الصدود والغضب

وقال آخر

بكيت فقالت أراك بكيت * فقلت الوصال اخاف انتقاضه
فقالت فديتك من عاشق * يشمر للذيل قبل المخاضه

وقال ابن خفاجة

ماللعذار وكان وجهك قبلة * قد خط فيه من الدجى محرابا
ولقد علمت بكون ثغرك بارقا * ان سوف يرجى للعذار سحابا

وأنشدنى انفسه اجازة القاضى شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى

أأحبابنا هل لى اليكم وقد نأت * بى الدار من بعد البعاد رجوع
وهل شمس هذا الانس بعد فراقنا * يكون لها بعد الغروب طلوع
وهل لى ولا والله ما ذاك ممكن * فؤاد اذا حان الفراق مطيع
وقد كنت أدرى والحياة شهية * برؤيتكم أن النوى سيروع

ومن تلميح قول القائل

عاقنى عن حلاوة التشييع * ما أرى من مرارة التوديع
لا يفى انس ذا بوحشة هذا * فرأيت الصواب ترك الجميع

وما أحسن اعتذار القائل عن ترك الوداع

ما اخترت ترك وداعكم يوم النوى * والله من ملل ولا لتجنب
لكن خشيت بان أموت صبابة * ويقال انت قتلته فتقاد بى

وقال عبد الصمد بن بابك

ان لم أودعك فمن عذرة * فاتن اليها اذ ناواعيه
قرت بك العين فنزهتها * عن نظرة ليست لها ثانيه

ويعجبنى قول القائل

انى لأكره ان انام فالتقى * بك فى الكرى خوف الفراق الثانى

وذكرت هنا قول ابن رشيق يرثى

المنايا حتم قطوبى لنفس * سلمت بالرضا لحتم القضاء

(فاذا ضرت اليعاميب أكار وهابك وتسلط نواطيرها عليك)
الاكارون الزراعون جمع أكار ويجمع على اكرة كانه جمع آكر فى التقدير مأخوذ من الاكرة وهى الحفيرة فى الارض والعبث ان تخلط بعمله لعبا مأخوذ من العبيثة وهى طعام مخلوط والسلاطة التمكن من القهر ومنه سمى السلطان
(فى قرعة معوجة تقوم فى قفاك ومن خلة منتنة يرمى بها تحت خصاك)
أى تضرب فى القفا بالقرع المعوج الى أن يستقيم وهو

لو بودى قتلت نفسى لا لقا * ولكن خشيت فوق اللقاء

هو مأخوذ من قول القائل

ولقد هممت بقتل نفسى بعده * أسفا عليه فخفت أن لا نلتقى

ومعناه انى اذا قتلت نفسى كنت فى النار وهو من أهل الجنة وهذا من ألطف معنى يكون وقال آخر يتمنى الوداع وهو مشهور

أرأيت من يرضى بفرقة إلفه * أنا قد رضيت لنا بأن نتفرقا

حتى أفوز بقبلة فى خده * عند الوداع ومثلها عند اللقا

وقال آخر يهون أمر الوداع

اذا رأيت الوداع فاصبر * ولا يهمنك البعاد

وانتظر العود عن قريب * فان قلب الوداع عادوا

وما أحسن قول الارجانى

كنا جميعا والدار تجمعنا * مثل حروف الجميع متلصقه

واليوم جاء الوداع يجعلنا * مثل حروف الوداع مفترقه

وعلى ذكر القلب فما أحسن قول القائل

جاذبتها والريح تضرب عقربا * من فوق خد مثل قلب العقرب

فتمايلت عجبا وصدت وانثنت * وتسترت عنى بقلب العقرب

وقال الآخر

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على ورد خد ندى

تسالم من وطئت خده * وتلدغ قلب الشجى المكمد

وقال الآخر

فقالت ترى ماذا الذى أنت قانع * به من هوانا قلت معكوس قانع

وقال آخر فى ذم الدنيا

كيف السرور باقبال وآخره * اذا تأملته مقلوب اقبال

وقال أبو الفضل الميكالى فى ذم الاقحوان

للاقحوان على ملاحته * ونحن بقلب يشتكى العشقا

مقلوبه فى اللفظ يخبرنى * ان الاحبة قد نأوا حقا

وقال آخر فى ذم أترجة

اترجة قد أتتك برا * لا تقبلنها اذا بررتا

ولا تراها فدتك نفسى * لان مقلوبها هجرتا

وقال آخر فى البهار

حكانى بهار الروض حتى ألفته * وكل بهار للمحب مصاحب

فقلت له ما بال لونك شاحبا * فقال لانى حين أقلب راهب

وزاد على هذا المعنى ابن رشيق فقال

يا حسن ما سمى البهار به * لو تركته عيافة العائف

مما لا يستقيم فيكون كناية عن ايصال الضرب والرمى بالفعل تحت الخصى كناية عن استدخاله فى استه وفى نتنه مناسبة واستقذار للمفعول به *(ذلك بما قدمت يداك الذوق وبال أمرك وترى ميزان قدرك)* يعنى بما فعلت أنت والعرب تقول هذا بما كسبت يداك وان لم تكن اليد الفاعلة وانما يقصدون بذلك فعله وعلى ذلك حمل قوله تعالى لما خلقت بيدى على بعض الوجوه والذوق وجود الطعم بالفم ونقل الى اختبار الشئ ويستعمل فى القليل والكثير ولذلك ذكره الله تعالى فى

قلبته راهبا فاشعرنى * خوفا ويا ويل راهب خائف

وقال أيضا

لم كره النمام اهل الهوى * اساء اخوانى وما احسنوا

ان كان نماما فمعكوسه * من غير تكذيب لهم مامن

وكتب بعض الافاضل مع كرسى أهداه

اهديت شيئا يقل لولا * احدوثة الفال والتبرك

كرسى تفاءلت فيه لما * رأيت مقلوبه يسرك

وقال ابن قزل ملغزا فى رمح

أى شئ يكون مالا وذخرا * راق حسنا عند اللقاء ومخبر

اسمر القد ازرق السن وصفا * انما قلبه بلا شك أحمر

وقال آخر ملغزا فى دملج

الى النساء يلتجى * وعندهن يوجد

الجسم منه فضة * والقلب منه جلمد

وقال آخر فى كمون

يا أيها العطار أعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سومك

تنظره بالعين فى يقظة * كما يرى بالقلب فى نومك

وقال الشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل

راح بها الاعمى يرى مع العمى * وها الدليل انا على هذى المدح

الخمر للاقداح قلب دائما * والحدق انظرها تجد قلب القدح

وكتب النصير الحمامى الى السراج الوراق لغزا فى سيل

لترشدنى شيئا به يدرك المنى * له قلب صب كم فؤاد به صب

اذا ركب البيداء يخشى ويتقى * فلم يثنه طعن ولم يثنه ضرب

بقلب يهد الصخر يوم لقائه * ومن أعجب الاشياء ليس له قلب

فأجابه السراج الوراق

أرى النصير الدين عذبت خاطرى * وقد راق لى من لغزك المنهل العذب

وأثبت قلبا منه ثم نفيته * واعرفه صبا وهام له قلب

واصرف منه أعينا لا تحفها * جفون كعادات الجفون ولا هدب

ومن وصفه صب كما أنت واصف * صدقت ولولاه لما عرف الحب

وكتب النصير اليه أيضا ملغزا فى ثور

تعرف اسما قلبه فى دبره * ما حواه صدره فى عمره

مثل الذى القرنين يغدو عنده * ان خلا فى مربع مع خضره

يشكر الكافر يوما سعيه * حين ترنو عينه فى اثره

فأجاب السراج الوراق عنه ولكن ليس فى الجواب ما يدخل فى هذا الباب فلهذا لم أثبته

وكتب اليه النصير أيضا ملغزا فى آل

العذاب والوبال الامر الثقيل الذى يخاف ضرره ومنه طعام وبيل وكلأ وبيل والوبل هو المطر الثقيل والميزان معرفة مقدار الشئ وأصله موزان فانقلبت الواو ياء لكسر ماقبلها

*(فمن جهلت نفسه قدره * رأى غيره منه مالا يرى)*

هذا بيت من شعر المتنبى ختمت بذكره الرسالة لمناسبة ماقبله وكذلك مذاهب أكثر البلغاء فى مقاطيع رسائلهم اما بآية أو مثل أو بيت من الشعر يتمثلون به فى معنى ماهم فيه فيكون له مزية ظاهرة ويجب أن يكون من أحسن ماسمع وفى القصيدة

تعرف اسماظاهرا * طورا وطورا يحجب
مثل السحاب انما * بارق هذا خلب
وهو اذا قلبته * فانه لا يقلب

فاجابه السراج بقوله
أرحتني منك بلغز * ليس فيه تعب
قلبته لا كالذى * قلت وقلبي قلب
وان يكن ذا كذب * فأنت منه أكذب

وانشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد ابن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة لغزا فيه

ماسانح منفرد * عن الورى مغترب
لا أكل يحجبه * ولا العمرى مشرب
وهو على ماقد ترى * يعزى اليه الكذب
وان أردت قلبه * فانه لا يقلب

ونقلت من خط القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر رحمه الله قوله ملغزا في باب

أي شئ تراه في الدور والكتب مجازا هذا وهذا محقق
يحفظ المال والحريم ولولا * هحفيظ الكان ذلك يسرق
هو زوج وتارة هو فرد * وهو في أكثر الاحايين يطرق
وطليق في نشأتيه ولكن * بحديد من بعد ذلك يوثق
وثلاثا تراه في الخط لكن * هو اثنان كله ان تفرق
وهو في القلب يستوي وتراه * بان تصحيفه لمن يترمق
وتراه للحشو ينسب حينا * وهو مع ذاك لا يرى يتزندق
فأجبني عنه بقيت مطاعا * لست في حلبة الفضائل تسبق

قلت في هذا اللغز الفاظ لا يخفى على الفاضل ما فيها من الوهم والغلط فما رأيت ان أطيل الكلام فيها وعلى ذكر الباب فما أحسن ما كتب به شرف الدين شيخ الشيوخ بحماه الى والده ملغزا في ذلك وهو

ماواقف في المخرج * يذهب طورا ويجي
لست تخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب أبوه ذهاب ومجيء وخوف وشر هذا باب خصومة والسلام وذكرت هنا أيضا مانقلته من خط الفاضل علاء الدين الوداعي وصورته حدثني شيخنا الامام تاج عبد الرحمن الفزاري رحمه الله تعالى قال كان شيخنا شيخ الاسلام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام رضي الله عنه اذا قرأ القارئ عليه من كتاب وانتهى الى آخر أي باب كان من أبوابه لا يقف عليه بل يأمره أن يقرأ من الباب الذي بعده ولو سطرا واحدا ويقول مانشتهي ان نكون ممن يقف على الابواب انتهى (رجع) الى ذكر القلب وقد أتيت من هذا النوع بما يكفي ولا بد من ايراد نوع آخر من القلب وهو أشرف من الاول وهو أن الكلمة ومافوقها لا يتغير معناها بالقلب وقد عبر عنه الحريري في مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس ومثله بقوله ساكب كاس ومثله قوله تعالى كل في فلك وقوله تعالى ربك فكبر ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن

التي منها هذا البيت أبيات حسنة أذكرها جريا على العادة في الاستطراد بما ينطوي على نكتة وفائدة فمنها قوله وقد خرج هاربا من كافور الاخشيدي من مصر الى العراق يصف طريقه

فيا لك ليلا على أعكش
أحم البلاد خفي الصوى
وردنا الرهيمة في جوزه
وباقيه أكثر مما مضى

أعكش موضع والاحم الاسود

يوم القيامة اقرأ وارقاومنه قول الحريري كبر رجاء أجر ربك وقول القاضي الفاضل رحمه الله تعالى ابدا لاتدوم الا مودة الادباء وقال العماد الكاتب للقاضي الفاضل رحمه الله تعالى سر فلا كبا بك الفرس فقال له دام علاء العماد وهذا مطلع قصيدة للارجاني ومنه مودتي لخلي تدوم ومنه أرض خضراء فيها هيف ساكب كاس ومنه وهو موزون أرانا الاله هلالا أنارا ومنه مرا كب كادم ومنه مطرق قرطم ومنه سر فسار برأس فرس ومنه حوت فيه مفتوح ومنه آدم حمد محمدا ومنه رجح أحمر ومنه هريره وكذلك هره ومنه كبرت آيات ربك ومنه عقرب تحت برقع وقول الارجاني

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وقال كمال الدين علي بن النبيه

لبق أقبل فيه هيف * كل ما أملك ان غنى هبه

وقال سيف الدين بن المشد

ليل أضاء هلاله * أني يضيء بكوكب

ومن كلام المولى صفي الدين الحلي كدضدك كن كما أمكنك كرم عاملك يكمل عمرك ومن هذا ان يكون أول البيت كلمة مقلوبها قافية كقول الشاعر

رقت شمائل قاتلي * فلذاك روحي لا تقر

رد الحبيب جوابه * فكأنه في اللفظ در

وقد سميت أنا هذا النوع بمجنح القلب وفي هذه التسمية تورية مطبوعة وقد فكرت في هذين البيتين فوجدت الكلمة الاولى ثلاثية والثانية ثنائية فقلت لو اتفق الكلمتان في العدد لكان أكمل في الصناعة فامتحنت الخاطر بنظم شئ في هذا النوع كاملا ففتح الله علي بالمطلوب عاجلا فقلت في الوزن والروي

رضت فؤادي غادة * ما كنت أحسبها تضر

ردت رسولي خائبا * فمدامعي أبدا تدر

وكذا فكرت يوما في قول شمس الدين محمد بن التلمساني

أسكرني باللفظ والمقلة الـ * ـكحلاء والوجنة والكاس

ساق يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس

فكدت أرقص لا بل أطير عجبا وأميل لا بل أذوب طربا وقلت هل أستطيع له طلبا أو أحكي لثغره شنبا فلم أر بيني وبين هذا الانسجام نسبا ولم أجد لي الى غير القالب الذي أبرز فيه معناه منقلبا وروضت جواد فكري في هذا الميدان فكبا ووجدت حسام اقدامي على المعارضة فنبا وعلمت أنه غاية فات لحاقها ولم أر لي ما يقتضي أربا ولكن

قد يدرك المجد الفتى ولباسه * خلق وجيب قميصه مرقوع

فقلت ليست المعارضة مطلوبة في انسجام لفظه وعذوبة تركيبه ولكن في الصناعة فقط والاتيان بمثل هذه المادة لا غير تجربة للخاطر المستكن فحركت لها جواد رحاتهن ففتح علي في ذلك الوقت بما أرجو أن يوجب المقة لا المقت فقلت

قلب الدن من أحب فأضحت * نفحة الند من حياه تهدي

والصوى العلامات في الطرق وهي أحجار يوضع بعضها فوق بعض ليعرف بها الطريق وفي الحديث ان للاسلام صوى ومنارا والزهمة موضع والضمير في جوزه عائد على الليل يعني اعترض قوم هذا اللفظ فقالوا اذا كان باقي الليل أكثر مما مضى فلا يكون نصفه فقيل في الجواب وجهان أحدهما انه انما أراد بالنصف مدة

قال لي اعجب فقلت غير عجيب * كل دن قلبته كان ندا

فقلت لو اتفق لي شيء في رويه لكان أقرب وأغرب في البديع وأصوب فرجعت رجوع المفلس الى بقايا الدفاتر الموروثه وبقيت أخبط في الظلام على خرط القتاد بعد الجلوس في النهار على الزرابي المبثوثه وقلت ألق دلوك في الدلاء ولا تجزع ان جاءت بقليل حماة أو كثير ماء فما كل قريحة تكدي ولا كل خطر يردي

وما عقمت أم الندى بعد حاتم * لها كل يوم في البريه مولود

فقلت قلت وقد سرت في الظلام وقد * أهمني منه فقد ايناسي

كيف يطير الفؤاد من جزع * وكل سار فقلبه راس

ولما قرأت المقامات الحريريه على الشيخ الامام الاديب الكاتب شهاب الدين أبي الثناء محمود رحمه الله أنشدني من لفظه عند وصولي في القراءة الى بيتي ابن سكرة مواليا لبعضهم

لقيتها قلت وقيتي من الافات * بالله ارحمي صب بك المضنى والامات

قالت تريد بحدوثه وخرافات * تنصب علينا وتأخذ سادس الكافات

ثم التفت الى الحاضرين وقال هل فيكم من يحفظ من نوع قول ابن سكرة شيئا فبعض القوم أنشد قول ابن التعاويذي

اذا اجتمعت في مجلس الشرب سبعة * فبادر فما التأخير عنه صواب

شواء وشمام وشهد وشادن * وشمع وشاد مطرب وشراب

وسكت الباقون فأنشدته لابن قزل

عجل الي فعندي سبعة كملت * وليس فيها من اللذات اعواز

طار وطبل وطنبور وطاس طلا * وطفلة وطباهيج وطناز

وأنشدته له أيضا

جاء الخريف وعندي من حوائجه * سبع بهن قوام السمع والبصر

موز وخمر ومحبوب ومائدة * ومسمع ومدام طيب وطري

وأنشدته لغيره أيضا

رمتني يد الايام عن قوس خطبها * بسبع وهل ناج من السبع سالم

غلاء وغارات وغزو وغربة * وغم وغدر ثم غبن ملازم

فاعجبه رحمه الله ذلك وأمر بتعليقها ثم انه قال الان من خاصية هذا النوع انه لا بد وأن يكون بعض هذه السبعة موصوفا ليقوم الوزن بذلك فاستقريت ما حفظه فكان كذلك قلت والعلة في ذلك انها سبعة ألفاظ ويريد الناظم يأتي بها في بيت واحد فيضطره الوزن الى زيادة لفظة ليكون كل نصف فيه أربعة وبقي هذا الكلام في ذهني ولم أكن اذ ذاك مشتغلا بغير التحصيل والقراءة والمطالعة الى أن اشتغلت ببعض العمل فاردت امتحان الخاطر الخاطر بنظم شيء من هذه المادة بحيث أن يكون سبعة ألفاظ بغير زيادة وصف فاتفق ذلك فقلت

اذا تيسر لي في مصر واجتمعت * سبع فاني في اللذات سلطان

خود وخمر وخاتون وخادمها * وخاسة وخلاعات وخلان

وقلت أيضا ان قدر الله لي في العمر واجتمعت * سبع فما أنا في اللذات مغبون

الثلث الاوسط والثاني أن الضمير في جوزه عائد على أعكش والرهيمة ما في وسطه وردوه وباقي الليل أكثر مما مضى

لتعلم مصر ومن بالعراق ومن بالعواصم أني الفتى يعني بمن في مصر من فاتهم ومن بالعراق من هو قادم عليهم ومن بالعواصم سيف الدولة

قصر و قدر وقوادو قبيته * وقهوة وقناديل وقانون

وقلت فى الجميع بين ثمانية

ثمانية أن يسمح الدهر لى بها * فمالى عليها بعد ذلك مطلوب

مقام ومشروب ومزح ومأكل * ومله ومشموم ومال ومحبوب

وقلت ايضا

الى متى أنا الانفك فى بلد * رهين جيمات جور كلها عطب

الجوع والجرى والجيران والجدرى * والجهل والجبن والجرذان والجرب

وأنشدنى الشيخ الامام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس لغيره

اذا كان فى اسم المرء شين هوت به * الى الشر فليحذر أذاه المحاذر

شريف وشيعى وشيخ وشاهد * وشمر وشريب وشرخ شاعر

سوى الشافعى أو شادن واق حسنه * كذا الشهداء المتقون وشاكر

وأنشدنى أيضا لابى الحسين الجزار

وكافات الشتاء تعد سبعا * ومالى طاقة بلقاء سبع

اذا ظفرت بكاف الكيس كفى * ظفرت بمفرد يأتى بجمع

ووقفت أيضا على بيتين لابى الحسين الجزار وهما

يارب ان أعدمتنى راحة الدنيا * فهب لى راحة الآخره

فى بلدتى لم أخل من هاجر * ورحلتى لم أخل من هاجره

فاعجبانى وأنشدتهما لبعض أدباء العصر فى زعمه وكررت العجب منهما فقال لقد نفخت فى غير ضرم أى شئ قال اعاذكر ان له فى بلده هاجرا وفى غربته هاجرة فذكروا أنت فعلمت انه ذاهل عن نكتة البديع فيهما وأنشدتهما للمولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة فقال قد نظمت أنا أيضا فى مثل هذا وأنشدنى قوله

يارب ان ابنى وشعرى معا * قد أصبحا فى حالة حائله

الشعر محتاج الى قابل * والابن محتاج الى قابله

وكنت أجتمع أنا وهو بالحائط الشمالى من الجامع الاموى بدمشق بكرة النهار وبعد العصر نتذاكر فاتفق ان غبت ليلة عن ميعادنا فكتب الى

أمولاى غبت وخلفتنى * من الهم ذا فكرة خاضعه

فها أنا بعدك فى جامع * ولكن قلبى فى جامعه

فكتبت الجواب اليه

وقفت على نظمك المشتهى * وشاهدت روضته اليانعه

فكم ألف مثل غصن النقا * وهمزته فوقه ساجعه

أقام على الود لى حجة * ولكن عن الناس لى قاطعه

وقد سمع العبد الفاظها * فياحسنها فى الحشا واقعه

واصبح شكرى لها تاليا * وجلته للثنا جامعه

ورحت لباب الدعا قارعا * الى أن تصيب العدا قارعه

ومن يك قلب كقلبى له
يشق الى العز قلب النوى
ونام الخوديم عن زيلنا
وقد نام قبل عمى لا كرى
وقد كنت أحسب قبل الخصـ
ـى أن الرؤس محل النهـ
ـى
ولما نظرت الى عقله
وجدت النهى كلها فى الخصى
وقد ضل قوم باصنامهم
فاما برق رياح فلا
يعـ
ـنى ان من أطاع كافورا
فقد ضل بطاعة شئ أسود مملوء

فلما وقف عليها قال والله هذا التالى والجامعة ما كانالى فى حساب وقلت فى هذه المادة

يازمنا اوقعنى شؤمه ٭ فى محنة ليس لها كاشفه
الفضل يحتاج الى عارف ٭ والحال تضطر الى عارفه

وقلت ايضا مذغاب محبوبى عن ناظرى ٭ بطلعة كالروضة الناضره
ابكى بطرف فى الدجى ساهر ٭ حتى يرى شخصى فى الساهره

وكنت كثيرا ما اقول للشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمرى يعجبنى قول القاضى الفاضل وعجبت لاطراد تلك القوافى ورأيت الشعراء أتت بها الفت فى ضيق الاودية وخاطره وقلمه أتيا بها الفيافى الفيافى فلما كنت بصفد كتب الى كتابا جوابا عن كتاب صدر منى اليه يقول فيه فلله ذلك السحر الحلال الشافى بل تلك القوى فى القوافى يشغل تلك المقاصد التى أقصدت المنى فى المنافى فكتبت الجواب اليه ومنه وعكف منه على كعبة الفضل فلله ما شرفى استلامى وطوى فى طوافى واراد طائر القلب ان ينهض بالجواب فذهبت القوى من القوادم وظهر الخوى فى الخوافى وحكى لى الشيخ فتح الدين قال كان شرف الدين محمد بن الوحيد الكاتب يقول قولهم النبيذ بغير الدسم سم وبغير النغم غم لم يقع لهاتين السجعتين ثالثة وقد عملت أنا لهما ثالثة وهى وبغير المليح قبيح قلت ما كان ابن الوحيد لمح ما فيهما من الجناس المرقص ولو ان الامر يرجع الى السجع أو الوزن أو التضاد عمل الناس مجلدات كثيرة من هذا النوع وقد تكلفت أنا لهما سجعة ثالثة وهى وبغير النهم هم أعنى أن الاكثار من الشراب سبب الانشراح والسرور على العادة من كلام الذين أولعوا بالشراب وبالغوا فى الاكثار منه وحضوا عليه كقول الشاعر

اذا لم يكن سكر يضل عن الهدى ٭ فسيان ماء فى الزجاجة أو خمر

ولما قرأت كتاب حسن التوصل الى صناعة الترسل على مصنفه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبى الثناء محمود رحمه الله تعالى وكان مما أورده فى أنواع الجناس قول المطوعى وهو

أغرّ وكم كرم يفضى الورى من بساطه ٭ الى روض جود بالسماح مجود
وكم لجباه الراغبين اليه من ٭ مجال سجود فى مجالس جود

قال لى عندما مررت بهما ما جاء لاحد مثل هذا الجناس فبقى هذا الكلام فى ذهنى فلما كان بعد مدة اتفق لى نظم سبعة وعشرين مقطوعا فى هذا النوع وقد أودعت ذلك فى كتاب لى سميته جنان الجناس فمن ذلك قولى

وساق غدا يسعى بكاس وطرفه ٭ يجرد اسيافا الغير كفاح
اذا جرح العشاق قالوا أقت فى ٭ مدراج راح أم مدار جراح

وقولى أيضا بكيت على نفسى لنوح حمائم ٭ وجدت لها عندى هدية هاد
تنوب اذا ناحت على الايك فى الدجى ٭ مناب رشاد فى منابر شاد

وأنشدت يوما بعض فضلاء العصر ما أنشدنيه لنفسه الشيخ الامام العلامة شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى قراءة منى عليه وهو

تثنى وأغصان الاراك نواضر ٭ فتحت وأسراب من الطير عكف
فعلم بانات النقا كيف تنثنى ٭ وعلمت ورقاء الحمى كيف تهتف

هوا ولم يضل أحد بمثل ذلك ومن جهلت نفسه قدره رأى غيره منه ما لا يرى يعنى من جهل قدر نفسه عرفه غيره بارتكاب القبائح التى لا يتنبه لها ومن نوادر المنقبين على سرقات المتنبى قول أحدهم انه سرق هذا البيت من حكاية وهو ان قصارا كان يعمل على شاطئ نهر وكان كل يوم يرى كركيا يجيء فيلتقط من الحمأة دودا

وقلت هذا هو الديباج الخسرواني والسحر الحلال لاهل المعاني لا ما يعال به شعراء العصر نفوسهم ويظنون انهم جلوا في مجالس الطرب كؤسهم هيهات هيهات نأى هذا النوع عن غاياتهم وقلت فقال لي هل لك في أن تأتي له بمشابه أو تجد طاقة على الدخول في بابه قلت ليس لي بهذا يدان ولا أنا من فرسان هذا الميدان أما المعنى فيمكن الاتيان به في وزن أقصر وأما العذوبة والانسجام فالاعتراف بالعجز عنهما أعضد وانصر فنظمت في أصل المعنى لا في لطف المبنى بيتين وهما

لم أنسه في روضة * والطير تصدح فوق غصن
فأعلم الورق البكا * ويعلم البان التثني

واجريت يوما ذكر قصيدة له مدح بها الملك المؤيد صاحب حماة رحمهما الله تعالى اظهر غزلها في مظهر البديع كما يظهر أبو الطيب الحماسة في صورة الغزل وقد تقدم منه قطعة في اثناء هذا الكتاب وأنشدني لنفسه رحمه الله اجازة من قصيدة

وان ترد علم بديع الهوى * فات الى عندي فعندي المراد
جانس طرفي النجم مستيقظا * لي في الدجى بين السها والسهاد
وطابق الشوق لمبيي بما * دمعي فضلا بين خاف وباد
وقسم الوجد غرامي كما * شاء واعضاي على ما أراد
فقلبي للدمع والجسم للاسقام والقلب لحفظ الوداد
وفرع الحب الضنى في الحشا * عن مقل فيها منايا العباد
فما ظباء أرهفها قينها * ليوم حرب من سيوف حداد
يوما بأمضى من جفون بدت * من كحل خالطها في السواد
وقلت بالموجب في قولهم * بعد النوى يعرف صدق الوداد
فهو كما قالوا ولكنه * يعرف ممن وده في ازدياد

فطرب الحاضرون لذلك طرب المشوق الى وجه الحبيب والعاني لغيبة الرقيب وقالوا هل يمكنك أن تنخرط في سلكها أو تحتوي قريحتك على مثل ملكها فقلت ما كل غصن تناله يد المصر ولا كل بديع في الوجود يدخل تحت الحصر ولا كل بطل يثق في المبارزة بالنصر ولكن لا يترك فرض الظهر لدخول وقت العصر ولا يهدم الحصن لاجل القصر فنظمت ولو وفقت هدمت وهو

أنا والحبيب ومن يلوم ثلاثة * لهم بديع الحب أصبح ينتمي
فلي الجناس لان دمعي عن دمي * يجري ألست تراه مثل العندم
وله مطابقة التواصل بالقلى * ولعاذليه لزوم ما لم يلزم

وقلت أيضا

لا تعجبوا منه فما حسنه * الا بليغ حرت في وصفه
ان كان قد أوجز في خصره * فانه أطنب في ردفه
وما اتى بالواو في صدغه * الا وقد رتب في عطفه
ولف في البردة اعطافه * حتى يطيب النشر من لفه

وهذا آخر كتاب غيث الادب المسجم في شرح لامية العجم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

ويقتصر في القوت عليه فرأى الكركي صقرا قد ارتفع في الجو وانقض على حمامة فاصطادها وأكلها فقال الكركي مالي لا اصطاد الطيور كما يصطاد هذا الصقر وانا أكبر منه جسما فارتفع في الجو وانقض على حمامة فأخطأ وسقط في الحماة فتلطخ رأسه وتلطخ ريشه ولم يمكنه أن يطير فاخذه الصياد ورجع الى منزله فاستقبله رجل فقال

هذا وقد تفضل بعض أهل المعارف والعلوم الحائزين قصب السبق فى المنطوق والمفهوم بارسال تقريظين مشتملين على تاريخين فذكرناهما على حسب الورود وهاك عذب زلالهما المورود قال الهمام الاكمل والعلامة الافضل حضرة الشيخ ابراهيم أفندى الاحدب الطرابلسى

هل بارق من ثنايا ثغر مبتسم * أبان نظم اللآلى فى دجى الظلم
أم وجنة وردها غض تفتح من * مر النسيم جلاها بارئ النسم
أم عارض قلم البارى حكاه لنا * فى صفحة عوذت بالنون والقلم
وهى عقود زهت فى جيد غانية * روت معاطفها عن بانة العلم
أم هذه الشهب فى الظلماء مشرقة * تهدى الى منهج الآداب كل عمى
وهل زلال معين قد تسلسل فى * ورد الثنايا جلا عن مورد شبم
أم ذى مناهل غيث قد أضيف بما * حلا الى أدب بالفضل منسجم
لامية العجم استعلت به وزهت * بمعرب للمعانى غير منعجم
شرح بديع به شرحى يطول اذا * أحكمت فيه بيان النعت بالحكم
أبان للقوم أفنان الفنون فما * روض جلا نور منثور ومنتظم
وكم به من عيون راق موردها * رويها بالقوافى رى كل ظمى
اخلاف غيث سماها در صيبها * كم شب منها رضيع غير منفطم
لله در صلاح الدين منشئها * أبكار حسن فما سلمى بذى سلم
لم ينصف ابن الدمامينى حيث أتى * منتقصا لعلاه غير محتشم
أحرى به انه يثنى عليه ولم * ينسب فسادا الى من للصلاح نمى
ولم يعب فيه احماضا يطيب به * ذوق حلا بعد مر الجد للفهم
سفر بروق لذى الأسفار منهله * وفيه يغنى فقير السمع للنغم
جلت أناطبعه الاسكندرية فى * أيام غيث البرايا منهل الكرم
وثغرها افتر مسرورا بطلعة من * علا على النجم كعبا ثابت القدم
سامى المآثر اسمعيل من طلعت * أقماره فى سماء الفضل والنعم
عزيز مصر الذى عزت معالمها * به فأم حماها سادة الامم
وقد غدت كعبة المعروف كل فتى * يسعى لأبوابها مسعاه للحرم
يمينه بيسار المرتجى ضمنت * كما بعلياه برت أحرف القسم
به العلوم ازدهت بالطبع وابتسمت * تهدى الثناء بما يحلو بكل فم
من ذاك شرح جلت أحكامه حكما * فرق حاشية للمنصف الحكم
فلو رآه صلاح الدين قال وقد * أبان وهو أشم القدر عن شمم
قد رق طبع كتاب ما يؤرخه * بدا لشرحى على لامية العجم
سنة ١٢٩٠ ٨ ٥٤٨ ١١٠ ٤٨١ ١٤٤

وقال حضرة الاديب الكامل والاريب الفاضل الشيخ رمضان حلاوه

رق الفؤاد بمنهل ومنسجم * وداو كلم الحشا من هذه الكلم

ما هذا فقال كركى يتصقر وسمع المتنبى حكاية فاخذ منها معنى هذا البيت وهذا من نادر التعصب على هذا الرجل الفاضل المحسود
تمت الرسالة وشرحها * والدلالة ولمحها * ولا أدعى فيها غير انتخاب الاخبار * واختيار المتمكن من النظام والنثار * فانى أتيت بيوت الاشعار من أبوابها * وميزت أبكار الفقر من أترابها *

واشرح حديث الصبا يا صاحبي فيها * شرح الصدور واصب فيه منسجم
واستطرد القول في شأن الحبيب فقد * بان الحبيب فهي عن بانة العلم
واجل المعاني معاني الحسن تعرب عن * حال المعاني بنصب الشوق والسقم
واذكر لدنيا لغات في الهوى حسنت * مبلغات لحي الالمعي الفهم
خليل أيبك من راقت مشاربه * وبحر آدابه قد فاض كالديم
لله شرح له سامي العلوم على * لامية العجم المرفوعة العلم
مطول أدبا في ضمنه حكم * لا خير في قصر الآداب والحكم
من كل معنى يكاد السحر يعبده * وكل لفظ رقيق الحسن منتظم
يظل يورد احيانا ويعقبها * ورد الحديث فيروي منه كل ظمي
له رجوع الى اتحاف شاردة * على اصالة رأي فيه ملتئم
وقد بدا طبعه زاكي الطباع على * نسيم صفو بطيب الروض مختتم
ما انتهى قلت في التاريخ فاق علا * شرح الصلاح على لامية العجم
سنة ١٢٩٠ ١٠١١٨١ ٥٠٨ ١٦٠ ٨٦١١٠ ١٤٤

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على سيد انبيائه وعلى آله هداة الانام وأصحابه الائمة الاعلام فقد تم طبع هذا الكتاب الجليل الراقي من درجات البلاغه اسنى رتبة يشهد سموها كل لوذعي نبيل المشتمل على بديع الرقائق ومحاسن الآداب المسفر عن وجوه مخدرات القصيدة الموسومة بلامية العجم كل حجاب ونقاب المظهر من خفي دقائقها ما لا يصل الى الوقوف عليه الا ثواقب الاذهان ولا يهتدي الى ابرازه على هذا الوجه البديع الا من لا يدرك شأوه في مضمار البيان الموسوم طبقا لمعناه بالغيث المسجم في شرح لامية العجم للعلامة الفاضل والهمام الكامل الاستاذ صلاح الدين بن أيبك الصفدي الأريب الشاعر المفلق الاديب رحمه الله وأكرم مثواه مطرزا بطراز الكتاب النفيس المغني الواقف عليه عن المسامر والانيس المسمى شرح العيون لرسالة ابن زيدون للعالم النحرير وعلم الفضل الشهير جمال الدين الاستاذ محمد ابن نباتة المصري تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته وكان طبعهما البهي الفائق وتمثيل شكلهما الشهي الرائق بالمطبعة البهية الازهريه احدى جليل المطابع المصريه السنيه المنسوبة للشهم الهمام الاوحد المقدام السيد محمد رمضان عاملني الله واياه بالاحسان احد ذوي اداراتها الامراء الاماثل اخدان الفضائل والفواضل ووافقت نهاية الطبع منتصف رمضان المعظم من عام ألف وثلاثمائة وخمسة من هجرة النبي الاعظم صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه وعترته وتابعيه وجميع حزبه
آمين
م

وعلى الجملة ففي عواطف من عرضت عليه هذه النبذة ما يسد خللي * ويشد املي * ويكثر قليلي * ويرعى كل وقت رحلتي الشمالية * بقبولي عطر الله بذكره المشارق والمغارب * وزين سماء المدح في مناقبه بزينة الكواكب ولا خلت أبواب نعمه وعلمه على كلا الحالين من طالب * آمين * والحمد لله رب العالمين

